$ 7.

معجم بلدان حضرموت

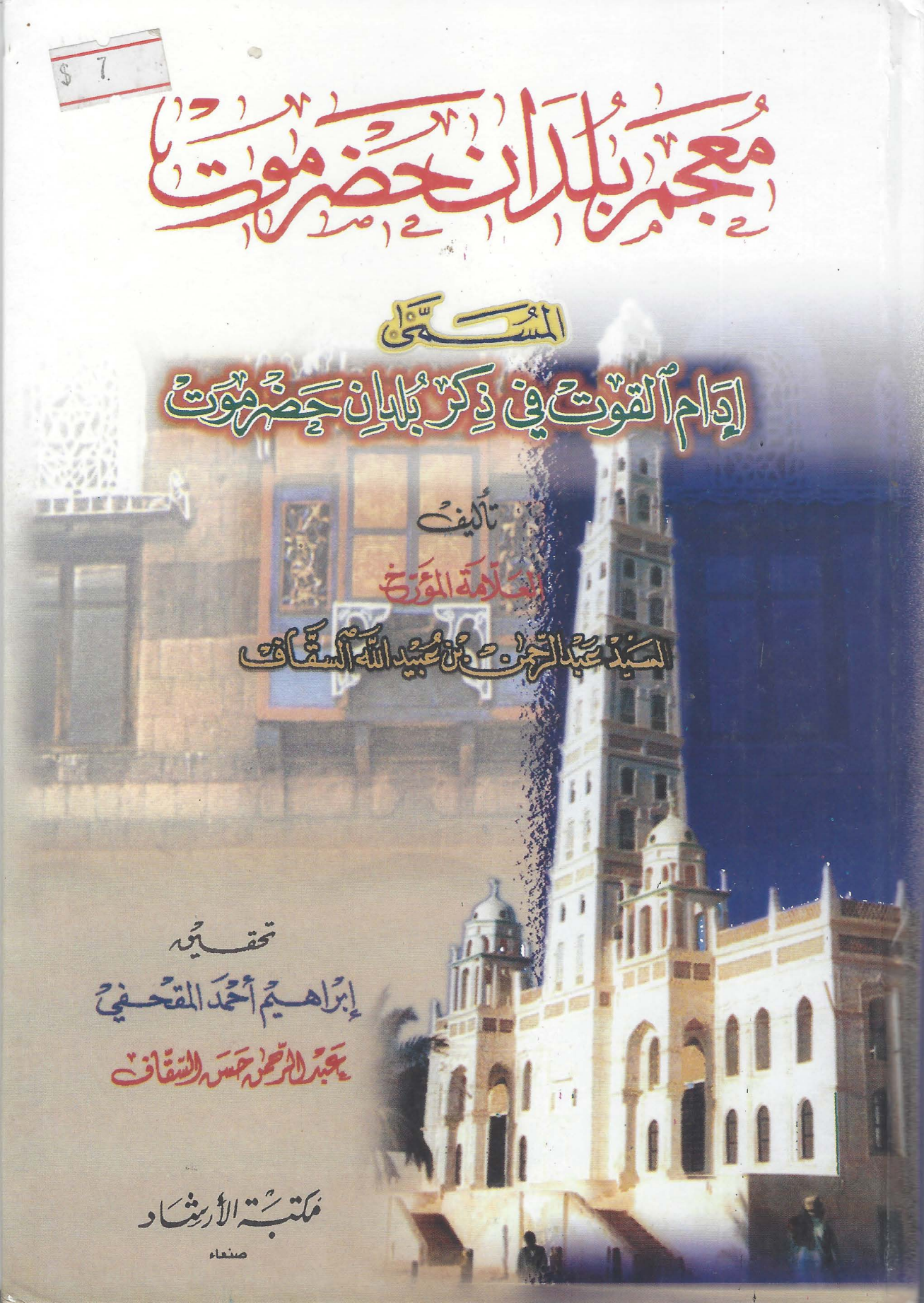
المسمى

إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت

تأليف

العلامة المؤرخ

السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف



تحقيق

إبراهيم أحمد المقحفي

عبد الرحمن حسن السقاف

مكتبة الإرشاد

صنعاء

معجم بلدان حضرموت

بسم الله الرحمن الرحيم

معجم بلدان حضرموت

المسمى

إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت

تأليف

العلامة المؤرخ السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

تحقيق

إبراهيم أحمد المقحفي

عبد الرحمن حسن السقاف

مكتبة الإرشاد

صنعاء

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مكتبة الإرشاد
صنعاء

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م



مكتبة الإرشاد

الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير

شارع ٢٦ سبتمبر ص.ب ٣٠١٩ تليفون ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩

بين يَدَيْ الكتاب

عندما كنت أعد لإصدار الطبعة الرابعة من كتابي «معجم البلدان والقبائل اليمنية» حصلت على مجموعة مخطوطات من المكتبات الحضرمية الخاصة، جعلتني أَتَلقَّف أكبر عدد من المعلومات والجوانب المتعلقة بموضوعي، وكان كتاب «**إدام القوت**» في مقدمة هذه الكتب التي أَخذْت منها نقولات كثيرة. وكنت أجد نفسي منساقاً إلى التساؤل عن السبب في تأخر طبع هذا الكتاب الموسوعي الهام والظروف التي أحاطت بذلك رغم مضي نحو خمسين عاماً على وفاة مؤلفه. وإذا كان الأستاذ حَمَد الجاسر قد نشر جزءاً يسيراً منه في شكل حلقات بمجلة (العرب) إلاّ أنه لم يشمل الكتاب كاملاً بل عَمَد ـ فيما نشر ـ إلى الحذف والإختصَار، هذا عَدَا الأخطاء المطبعية وعدم التدقيق في تشكيل أسماء الأماكن والأشخاص. كما أن النسخة التي إعْتَمدها ناشر «العَرَب» قد إفتقرت إلى تلك الزيادات التي أضافها المؤلف في نسخته الأصلية وهي إضافات ذات قيمة أساسية في مادة الكتاب.

ولمّا انتهيت من تنفيذ الطبعة الرابعة من المعجم، كان هذا الكتاب قد نجحَ في الإستيلاء على حواسي، وملَكَ عليّ نفسي، وصرت مدفوعاً برغبةٍ قوية في إخراجه من محبسه في أدراج المكتبات الخاصة وتقديمه للقارىء مطبوعاً. ولهذا تعايشت مع سطوره وحروفه نحواً من ثلاثة أشهر وأنا أنسخ مادته. صحيح أن خط المؤلف كان واضحاً وجميلاً غير أن الزيادات والإضافات التي ملأت حواشي وهوامش المسودّة كانت من الغموض والتداخل ما تطلب جهداً كبيراً.

والكتاب فريد في بابه، فهو أول موسوعة جغرافية عن بلدان حضرموت، إذا ما استثنينا كتاب «النِسْبَةَ إلى البلدان» للطيب بامَخْرَمة، فقد حرص فيه المؤلف على التعريف بالمشهور من بلدان حضرموت من حيث الموقع والنشأة والتاريخ والأسرات القاطنة وأَبْرَز الرجالات وأدوارهم في مختلف مجالات الحياة، كل ذلك مع إستحضار الفرائد من الأَشْعَار والأخبار وإيراد النُكت والنوادر والشواهد

من القصص، بل كثيراً ما نجده يُعَرِّج إلى القضايا الفقهية والشرعية إذا ما استلزم الأمر تناول ذلك، فجاء الكتاب سِفْراً فريداً ورائعاً دلَّل على ما يتمتع به المؤلف من سعة الإطلاع، وذلك ليس غريباً عن السيد عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف الذي حَمَل أرفع المقامات فَعُرِفَ بِعَالِم حضرموت، ومفتي الديار الحضرمية.

وإذا كان قد جعل من كتابه هذا مختصاً بالجغرافيا مع شذرات من التاريخ، فهو قد توسع بصورةٍ أَوْفَى وأشمل من الناحية التاريخية في كتابه الذي أسماه (بضاعة التابوت في تاريخ حضرموت) وهو الذي كثيراً ما يحيلنا إليه، فيقول: «وقد ذكرت ذلك في الأصل» أو «وهذا مُفَصَّل في الأصل». فهو يعني بالأصل: كتابه «التابوت» الذي يقع في ثلاثة مجلدات، وهو ما زال مخطوطاً، نعمل بالتعاون مع حفدته على مراجعته وتصحيحه والدفع به إلى الطبع - قريباً - ليأتي مكملاً لهذا الجهد ومستوفياً الغرض الذي قصده المؤلف.

ولأن المؤلف قد عنى في هذا الكتاب بالحديث عن القبائل والعوائل القاطنة في كل منطقة، وتاريخها، وأصولها، والمشهور من رجالها، فأن ما لفت نظري هو حرصه على تسجيل تاريخ حياة عدد من الأشخاص الحضارم الذين أسهموا في النشاط الاقتصادي بالجزيرة العربية، وعملوا على تأسيس كيانات إقتصادية حَمَلت أسماء: آل بَغْلف، وآل باخشب، وآل باعشن، وآل باخشوين، وآل بقشان، وآل بامشموس، وآل شَمّاخ، وآل باناعمه، وآل باحميش، وآل بالادن، وآل العطّاس، وآل السقّاف، وآل العمودي، وغيرهم. كما أنه عالج جوانب من حياته الذاتية وذلك في سياق حديثه عن والد زوجته السيد عبد الله بن حسن بن صالح البحر ساكن بلدة ذي أصبح؛ فنجده يورد أموراً تدخل في إطار الخاص والشخصي فهو حديث نادر في كُتُب التراجم. كما أشار إلى نشأته وطريقة أخذه العلوم سواء في ترجمته لوالده أو لأستاذه العلامة عيدروس بن عمر الحبشي الذي كثيراً ما يشير إلى اسمه بلقب: الأستاذ الأَبَرّ. ومع أن المؤلف قد وضع كتابه عن معرفةٍ ومعايشة لبعض الأحداث والوقائع والأشخاص، إلاَّ أَنَّهُ قد رجع إلى مجموعة كبيرة من المؤلفات التي أشار إليها بأسمائها المختصرة، لذلك أوردناها بأسمائها الكاملة في: ثَبْت مراجع المؤلف.

ويبقى أن نُشير إلى أن المؤلف لم يضع مقدمةً لكتابه ولكنه اكتفى بمقدمة تعريفه بحضرموت، من حيث الاسم والموقع والخصائص التي تتميز بها هذه

المنطقة الواسعة من اليمن، كما أنه قد جعل لكتابه خاتمة موجزةً في آخر الصفحات أبان فيها عن منهجه وأسلوبه في الكتابة والرؤية التي ينظر بها إلى القضايا والأحداث.

وأخيراً الشكر الجزيل لحفيد المؤلف الاستاذ عبد الرحمٰن بن حسن بن عبد الرحمٰن السقاف الذي عمل على مراجعة وتصحيح الكتاب فجاءت ملاحظاته وتصويباته لتضيف الكثير والهام إلى عمل التحقيق، كما أنني أعمل معه على إنجاز الكتاب الآخر المعروف باسم «بضاعة التابوت في تاريخ حضرموت» مؤملاً - بعون الله - أن يظهر ذلك قريباً، والله من وراء القصد.

إبراهيم أحمد المقحفي



العلامة عبد الرحمٰن بن عبيد الله بن محسن السقاف
١٢٩٩ ـ ١٣٧٥ هجرية
١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ ميلادية

العلامة عبد الرحمن بن عبيدِ الله
ابن محسن السقاف

١٢٩٩ ـ ١٣٧٥ هجرية
١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ ميلادية

فقيه عالم متبحّر مصلح وجيه شاعر أديب مؤرخ عرف بمفتي حضرموت ولد في «عَلَم بدر» من ضواحي مدينة سيئون وتَربّي في بيت علم وفضل وكان الابن الوحيد في الأسرة وقد تخطف الموت إخوته صغاراً فحضي بعنايتها الفائقة وكان والده يتولى تدريسه ويُخصص له الأساتذة ويصحبه معه لمجالس العلم ولو بعدت لتحصيل العلم ونيل البركة واستمداد الدعاء له من الشيوخ وقد انتفع كثيراً بالعلامة السند عيدروس بن عمر الحبشي (ت ١٣١٤) ويعتبره شيخ فتحه.

ظهرت معالم شخصيته الفذة مبكراً فلم يبلغ الخامسة والعشرون من عمره إلا وقد تصدر للتدريس والخطابة واتصل بزعماء المسلمين ونشرت مقالاته وقصائده في الصحف العربية بمصر وسوريا والمهاجر الحضرميّة التي صارت تعتبره علماً وطنياً، التزمت شخصيته، بمبادىء الأخلاق الإسلامية من معينها النقي؛ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مبداءً وسلوكاً فقد عُرف بنزوعه لحرية الفكر وصراحة الرأي والشغف بالمجد وبالمواقف السامية والغيرة على الدين وقيمه وتفهمه لواقعة وعصره وميله للتيسير والبساطة والطرافة، ومقت الغلو والجمود والتعصب الأعمى والتصنع، بذل جهود مضنية في دعوة أبناء وطنه حكام ومحكومين مقيمين ومهاجرين لإصلاح بلدهم وبنائها واللحاق بالأمم المتمدنة فأسس الجمعيات والهيئات لذلك وسافر إلى جنوب شرق آسيا فقرّب بين المختلفين وحثهم على بناء وطنهم كما زار السواحل الأفريقية وسجلت رحلاته مواقف يعتز بها بنو وطنه إلى الآن.

بذل مساع سياسية للحؤول دون توسع النفوذ الاستعماري البريطاني في الجنوب فأتصل بدولة الخلافة العثمانية من خلال اتصاله بقائد لواء لحج سعيد باشا وعمل على أخذ عهود الولاء من سلاطين ومشائخ عدد من المناطق والقبائل اليمنية لدولة الخلافة العثمانية الأمر الذي جعله هدفاً يتربص به الاستعماريون البريطانيون وأعوانهم فهددوه بالقتل وتعرض للأذى والنفي عن بلدته.

وبعد غياب دولة الخلافة العثمانية تجدد أمله بالإمام يحيى حميد الدين فأتصل به وحرضه على تحرير جنوب اليمن من الاستعمار البريطاني وتبادل معه الرسائل نثراً وشعراً ضمت في كتاب بعنوان «الاماميات» طبع بمصر سنة ١٣٤٥ وكان في أغلب أسفاره مغادراً حضرموت أو عائداً إليها يُعرّج لزيارة الأمام ويمكث ضيفاً لديه بصنعاء وكان يخطب بالجامع الكبير بطلاقه اعجب بها الناس.

سفر بين الأمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود للتقريب بينهما ولحقن دماء المسلمين.

له ديوان شعر من ثلاثة أجزاء طبع أحدهما بمصر سنة ١٩٥٩هـ وقد عبّر شعره عن أدوار حياته من مقتبل شبابه حتى سنة وفاته مترجماً مبادىء ومواقفه ومقارعته لخصومة وحساده وعبّر كثير من شعره عن حبة لرسول الله ﷺ وآل بيته الطاهرين وغلب على شعر المرحلة الأخيرة من عمره طابع المناجاة والابتهال إلى الله.

له مؤلفات قيمة أغلبها لا زال مخطوطاً وهي في علوم مختلفة في التوحيد وفي الشمائل النبوية والفقه وأحكامه والأدب ونقده والتاريخ والجغرافيا جميعها تشهد له بالعلم الموسوعي وفهم عميق بالمذاهب الإسلامية وعلم دقيق حتى بنصوص التوراة والإنجيل وعلم بالتاريخ الإسلامي وتاريخ الأمم الأخرى مع قدرة ذكية للتحليل والنقد ومنطق وحجة دامغة يحتج بها وحافظة أمينه لما يطّلع عليه وبديهة حاضرة يستشهد بها وتمكن راسخ في اللغة وسلاسة في التعبير.

توفي بمدينة سيئون في خمسة وعشرين جماد الآخر من سنة ١٣٧٥هـ وشيع في جمع لم يشهد له نظير من قبل، عكس مكانته في قلوب الناس، كما أقيمت حفلات التأبين في عدد من البلدان.

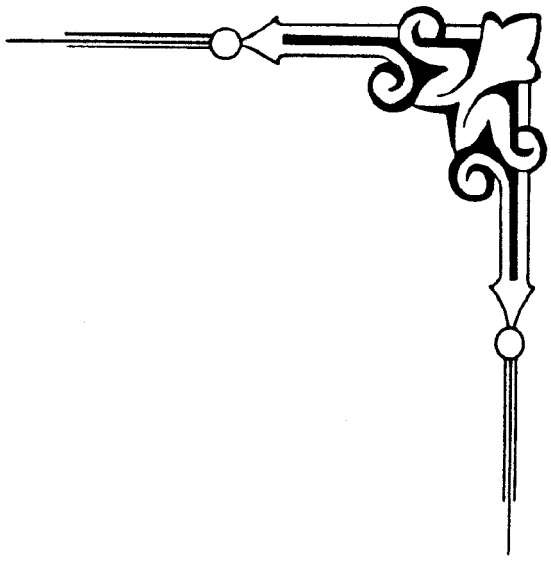
عبد الرحمٰن حسن السقاف

ثبت مراجع المؤلف:

- **برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم**: محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب.
- **بستان العجائب**: محمد بن سقاف بن الشيخ أبي بكر بن سالم.
- **تاريخ شنبل**، ويُسمَّى أيضاً التاريخ الأكمل، في تاريخ **حضرموت**ما بين القرنين الخامس والعاشر الهجري.
- **تاريخ باسخله**: عبد الله بن محمد باسخله، من أهل مدينة الشحر وتاريخ وفاته سنة ٩٨٧هـ.
- **تراجم الأولياء والصالحين من أهل اليمن**: محمد بن مسعود بن سعد باشكيل المتوفي سنة ٨٧١هـ.
- **جواهر الأنفاس**: الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان.
- **الجوهر الشفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف** من آل باعلوي وغيرهم من الأولياء: عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن الخطيب المتوفي سنة ٨٥٥هـ.
- **الدرر الفاخر في تراجم أعيان القرن العاشر**: محمد بن عبد الرحمٰن باجمّال المتوفي سنة ١٠١٩هـ.
- **الدر المزهر على منظومة مدهر**: أحمد بن علي بن هارون الجنيد المتوفي سنة ١٢٧٥هـ شرح فيه منظومة الشيخ عبد الله بن جعفر مدهر المتوفي سنة ١١٦٠ هـ والمتعلقة بأنساب بعض آل باعلوي، وفي الشرح تراجم للكثير منهم.
- **روضة الألباب وتحفة الأحباب** وبغية الطلاب ونخبة الأحساب في معرفة الأنساب، المعروف بمشجر أبي علامه: محمد بن عبد الله بن علي المؤيدي المُلَقَّب بأبي علامه.
- **الرياض المونقة**: علي بن حسن العطاس.
- **سفينة البضائع وضميمة الضوائع**: علي بن حسن العطّاس المتوفي سنة ١١٧٢ هـ.
- **شمس الظهيرة في أنساب السادة العلويه**: عبد الرحمٰن بن محمد المشهور

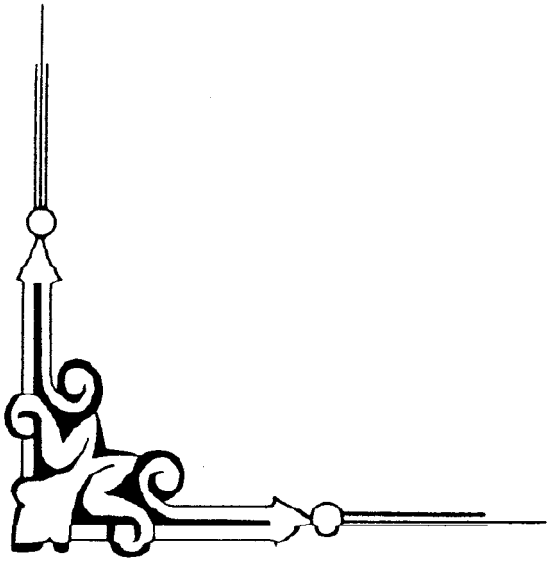
المتوفي سنة ١٣٢٠هـ.

- **صلة الأهل في مناقب فضلاء بني فضل**: محمد بن عوض بن محمد بافضل المتوفي سنة ١٣٦٩هـ.
- **العقد النبوي في مناقب أهل البيت المصطفوي**، في تراجم الأعيان من أهل حضرموت: شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس المتوفي سنة ٩٩٠هـ.
- **عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر**: محمد بن أبي بكر الشِلِّي المتوفي سنة ١٠٩٣هـ.
- **غاية القصد والمراد** في مناقب القطب السيد عبد الله بن علوي الحداد: محمد بن زين بن سميط المتوفي سنة ١١٧٢هـ.
- **فتح الرحيم الرحمٰن** في مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن العيدروس: الشيخ عمر بن عبد الرحمٰن السقاف المعروف بصاحب الحمراء والمتوفي سنة ٨٨٩هـ.
- **قلائد النحر في وفيات أعيان الدهر**: عبد الله «الطيب» بن أحمد بامخرمه.
- **قلادة النحر** في مناقب السيد حسن بن صالح البحر: عبد الله بن سعد بن سمير المتوفى سنة ١٢٦٢هـ.
- مجمع البحرين: معروف بن محمد باجَمَّال.
- **المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي**: محمد بن أبي بكر الشلي المتوفي سنة ١٠٩٣هـ.
- **مفتاح السعادة والخير** في مناقب السادة آل باقشير: أبو شكيل.
- **مفتاح السنه**: الشيخ أبو بكر بن عبد الله باشراحيل.
- **مقال الناصحين ومنال المفلحين**: محمد بن عمر باجمّال المتوفي سنة ٩٦٤هـ.
- **المواهب والعطايا** والإمداد في مناقب الشيخ عبد الله الحداد: عبد الله بن محمد باشراحيل المتوفي سنة ١١٠٥هـ.
- **المواهب والمنن** في مناقب قطب الزمن الحسن بن عبد الله الحداد: تأليف حفيده علوي بن أحمد بن حسن الحداد المتوفي سنة ١٢٣٢هـ.
- **النسبه إلى المواضع والبلدان**: عبد الله «الطيب» بن أحمد بامخرمه.
- **النفحات المسكيه في أخبار مدينة الشحر المحميه**: عبد الله بن محمد جمل الليل المتوفي سنة ١٣٤٧هـ.



توطئة تعريفية

بحضرموت



حضرموت

حضّرمَوت: ساكنة الضاد مفتوحة الميم، ولُغة هُذيل: ضم ميمها قال أبو صخر:

حلت مزنه من حضرمُوت مريّة ضجوجٍ لها منها مُدّر وحالب

أمّا قول عبد يغوث الحارثي:

أبا كرب والأيهمين كليهما وقيسا بأعلَى **حضرموت**اليمانيا

فيصلح فيه ضم الميم وفتحها. ويُرْوَى أن قيساً لمّا سمعَ هذا البيت قال: لبّيك وإن كنت قد أخرتني ـ ص ٣١٥ ج ١ خزانه الأدب، وفي مادتي: (عَبْد) و(عَبْدَل) من «التاج» أنَّ إسْمَ **حضرموت** الأول هو (عَبْدَل) وقال بعضهم: إن **حضرموت** كانت تُسمَّى (وبَاراً) ثم سُمِّيَت (وادي الأحقاف) ثم سُمِّيَت (**حضرموت**)، ولاَحَظْت عليه تأخر حضرموت بن حِمْيَر الأصغر ووَبَارِ عن هُوْد والأَحقاف، كما يشهد لذلك ذِكْرَهُ في كتاب الله القديم، ويأتي في الشحر أنها تُسمَّى الأحقاف، وفي «التاج» عن «المعجم»: رُوِيَ عن ابن عبّاس أنها وادٍ بين عُمان وأرض مَهْرَه، وقال ابن إسحاق: الأحقاف رمل فيما بين عُمان إلى **حضرموت**؛ وقال قتادة: الأحقاف: رمال مشرفه على هجر بالشِّحْر من أرض اليمن. قال ياقوت: فهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى. أهـ. وفيه أيضاً أن الحِقفَ أصل الجبل، ومن الشحر إلى الدهناء سلسلة جبال تخللها الأودية. وفيه عن «اللسان»: أن كل ما طال واعوَجَّ فقد احقَوْقَف. اهـ. وكذلك **حضرموت**: جبالاً ورمالاً وكثرة أحقاف الرَّمْل بالدَّهناء في شمال حضرموت، لا يغبر على إطلاقه على البلاد بأسرها، لا مجازاً فقط من إطلاق الجزء على الكل، كما في قوله: يجعلون أصابعهم في آذانهم، بل حقيقة لمّا عَلِمْت أن حضرموت سلاسل جبال ورمال، فالأحقاف إسم لجميع **حضرموت** لا للرمال التي في شمالها فقط، وقال الشيخ أبو بكر بن عبد الله بَاشَرَاحِيْل الحضرمي الشِبَامي في كتابه «مفتاح السنه»: **حضرموت** بلاد مشهورة متسعة من بلاد اليمن تجمع أودية كثيرةَ، وقد

اختص بهذا الاسم وادي بن راشد، وساحلها: (العين) و(بروم) إلى الشحر ونواحيها، والأحقاف بلاد عاد. وفي «السيرة» لابن هشام: بلاد عاد بين **حضرموت** وعُمان، وقيل: الأَحقاف رملة الشِّحْر وليس بشيء إلاَّ أن يُرَاد بالرمله ما وراء جبل الشحر الذي عند ظفار الحبوظي فثمَّ رملة متصلة بطرف عُمّان. أ هـ. وهذا لا يغير على إطلاق الأحقاف على سائر بلاد حضرموت، لأن الأمر كما سبق ولأن مثاني أودية **حضرموت** رمالاً كثيرةً، منها التي في جنوب (بور) والتي بين (السِوَم) و(قسم)، وتأكد ذلك بما سيأتي في الشِّحْر عن «مروج الذهب» للمسعودي، وقد جاء في ص ٥٧ ج ٥ من «صُبح الأعشى» عن «العَبْر»: أَنَّ عُمَاناً كانت في القديم لِعَاد مع الشحر **وحضرموت** وما والاهما. أهـ. فالشحر **وحضرموت** بلاد عاد وبلاد عاد هي الأحقاف، فلا مشاحّة في شيء، ووجود نبي الله هُوْد عليه السلام بآخر **حضرموت**أقوى تأكيد لذلك. وفي «الرياض المؤنقة» للعلامة الجليل السيد علي بن حسن العطّاس: الأرض الجُرز المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾[1] هي جهة **حضرموت**يحدها المِشْقَاص إلى عين بامَعْبَد إلى الشِّحْر إلى مأرب وليست غيرها، وذلك لِمَا ذكره الإمام البُخاري في «صحيحه» في تفسير سورة الجُرُزْ: أنَّها التي لا يصلها من الماء إلاّ دون كفايتها، ولا نعلم أرضاً أوْلَى بهذا من هذه الجهة الحضرميّة، ولا أجْزَر ولا أسنت ولا أغلى أسعاراً ولا أقل ثماراً، أهـ. ومنه مثل غالب أهل جهة **حضرموت**من الساحل إلى مأرب ومن عين بامعبد إلى سيحوت في السعى الممقوت، وضعف البخوت كمَثلِ العنكبوت إتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت. إلى آخر ما أطال به في ذمّ أهلها، ونقله الشيخ عبد الله باسودان في كتابه الذي ترجم به للعلامه السيد علي بن حسن ووسمه بـ «جواهر الأنفاس» وقال: وتحديد **حضرموت**في العرف العام ـ كما حققه شيخنا علي بن **شهاب في** رسالة مختصرة ـ من مرباط الحبوظي إلى حَبَّان، فيدخل مرباط الحبوظي دون حبَّان، وأمّا **العُرف** الخاص فمن شِبَام إلى تَرِيْم. أهـ. أي بدخول المُنَيَا والمُغَيَّا به. وإسم **حضرموت**في «التوارة» كما نقله ياقوت عن ابن الكلبي[2]: (حاضر

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٧.

(٢) «معجم البلدان» مادة (حضرموت) وكذا مادة (سُكاك)، والبيت المذكور من مقطوعة أوردها في قصة طويلة مادة (الأحقاف).

ميت) وكان يُقال (وادي سُكاك) وأنشد ياقوت لبعض شعراء الحضارم:

جابَ التّنائفَ من وادي سُكاك إلى ذات الأماحل من بطحاء أجياد

وهو من أبيات لها قصة أوردها الهمداني في «الإكليل» وغيره، ثم قال ياقوت: وسكاك موضع **بحضرموت**. وقال بعضهم: أنَّ من أسمائها (بِرْك الْغِمَاد) وكانت **حضرموت** أرض خِصْب ورخاء بما كانت تشرب من فضول مياه مأرب حسبما يأتي في المبحث الخامس من (الحُسيِّسة) وغيره؛ وبما فيها من العيون السَّائحة على الأَرض والمنبثقة من الجبال إلى أَنْ سدَّها مَعْن بن زائده، إذْ فعلَ فعلته التي فعل بأهل **حضرموت** بعد أن قتلوا أخاه[1] كما أشار إلى ذلك مروان بن أبي حفصة في قوله:

وَطِئت خدود الحضرميين وطأة ... بها ما بنوا من عزةٍ قد تضعضعا

فأقعوا على الاستاه اقعاء معشر ... يرون إتباع الذل أَحْرَى وانفعا

فلو مدت الأيدي إلى الحرب كلها ... لأقعوا وما مدوا إلى الحرب اصبعا

وفي «النور السافر» و«المشرع الروي» و«الفوائد السنيه»: أَنَّ بعض المغاربة جاءَ في أيام بدر بُوْ طُويرق وتعهد بفتحها، ولكن بدراً خاف من رغبة الأتراك فيها، ويتأكد ما ذُكِر بما جاء في ص ٦٣ من «تاريخ المستبصر» لابن المجاور: أن موضع زَبِيْد كان حِمًى لِكُليب وائل وأخيه مهلهل وكان ريفاً واسعاً به ستمائه أو ستون عيناً سائحة لم تزل كذلك حتى ردمها بعض الملوك، ولا شك أنه مَعْن بن زائدة الشيباني. أهـ.

ولا يُحْصىَ مَنْ أنجبت **حضرموت** مِنْ رجال العلم والمجد والشرف والزعامة والعروبة، قديماً وحديثاً، كما تشهد معاجم الرجال وكتب التاريخ، وفي هذه المجموعه وأصلها الكثير الطيب من ذلك.

ومما يؤكد تسميتها ببرك الغِمَاد أنها مضرب المثل في البعد، قال الشَّمَرْدَلْ بن شَرِيْكٍ يصف الرياح:

بَلَغْنَ أقْصَى الرَّملِ مِنْ يَبْرِيْنَا ... وَحَضرَمَوْتَ وَبَلَغْنَ الصِّيْنَا

---

(١) انظر أدوار التاريخ الحضرمي: ١/ ١٤١.

وقال قَيْس:

ولـــو أَنَّ وَاشٍ بـــالْـــيَـــمَـــامَـــةِ دَارُهُ ودارِيْ بأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ أَهْتدَى لِيَا

وبعضهم يرويه (أقصى **حضرموت**) وهو أنسب. وقد قال المقداد ـ وهو حضرمي ـ للنبي ﷺ: فوالذي بعثكَ بالحق لو سِرْتَ بنا إلى بِرْكَ الغِمَاد لجَالدنا معك من دونه. وقيل: إنَّ بِرْكَ الغِمَاد وادٍ مخصوص من **حضرموت**وهو الذي فيه بِيْر بَرَهُوت فقط، قال ابن دُرَيْد:

وإِذَا تَـــنَـــكَّـــرتِ الْـــبِـــلاَ دُ فَـــأَوْلِـــهـــا كَـــنَـــفَ الْـــبِـــعَـــادْ

وَاجْـــعَـــلْ مَـــقَـــامَـــكَ أو مَـــقَـــرُّ كَ جَـــانِـــبِـــي بِـــرْكِ الْـــغِـــمَـــاد

وفي «الصحيح»: أَنَّ أبا بكر هاجر إلى الحبشة حتى إذا بلغَ بِرْكَ الغِمَاد لقيه ابن الدغنه، إلى آخر الحديث، وذكَرَ الشُّرَّاح فيه أقوالاً أحدها أنه **بحضرموت**.

وكما كانت **حَضْرَمَوْتُ** مَضْرِبَ الْمَثَلِ في الْبُعْدِ فكذلك كانت مَضْرِبَ المثل في أمور كثيرة منها ـ كما في الأصل ـ **الْجَمَالُ**، وحسبك شاهداً عليه ما جاء في كتابه صلى الله عليه وآله وسلّم لوائل بن حُجْرٍ مِنْ وصف أَقْيَال حضرموت بالمَشَابِيْب ومعناه كما في «التاج» وغيره: الرُّؤس الأعيان كأنما أُوْقِدَتْ وجوهُهُمْ بالنارِ، لِحُسْنها وإشْراقِها، ومعلوم أنَّ وَفْدَ كِنْدَة استجْهَرَوا الناسَ بجمالهم، وحُسن شارتهم، وما عليهم من الحبرات التي تشب ألوانهم. وذَكَر المُبرِّدُ أنَّ الأشعثَ بن قيس من النّفر الذين فَرَعُوا النَّاسَ طولاً وجمالاً، وأنه من مُقَبِّلي الظُعْن[1]، وذكَرَ أيضاً قول أبي دَهْبَلٍ الجمحي:

أَعَـــرَفْـــتَ رَسْـــمـــاً بـــالـــنُّـــجَـــيْـــ ـرِ عَـــفَـــا لِـــزَيْـــنَـــبَ أَوْ لِـــسَـــارَه

لِـــعَـــزِيْـــزَةٍ مِـــنْ حَـــضْـــرَمَـــوْ تَ عَـــلـــى مُـــحَـــيَّـــاهَـــا الـــنَّـــضَـــارَهْ

ورَوَى الجاحظ أَنَّ حضرميةً كانت من آيات الله جمالاً تَجَرَّدَتْ أمام زوجها وقالت: ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوتٍ؟ فقال لها: أَرَى فُطُوْراً، فاسْتَحْيَت

وقال امرؤ القيس:

تـــنـــورتـــهـــا مـــن اذرعـــات وأهـــلـــهـــا بـــيـــثـــرب أدنـــى دارهـــا نـــظـــر غـــالـــي

(١) أي يستطيع تقبيل من علىٰ هَوْدَج البعير، لِطُوْله.

ويترب ـ بالمثناة الفوقيه ـ مدينة **بحضرموت** كما قاله الهمداني[1] نزلتها كِنْدَه وإيّاها يعني الأعشى بقوله:

بسهام يَترب أو سهام الوادي

وقال ابن عبيد الأشجعي:

وعدتِ وكان الخَلْف منكِ سجيّة مواعيد عرقوب أخاه بيترب

وقد أجمعوا على روايته بالتاء المُثنّاة، ولئن كان الأكثر على رواية بيت امرء القيس بالمثلثة فكثير من الحضارم يزعمون أن يترب الحضرمية بالثاء المثلثة أيضاً، ويتأكد ذلك بوجود طائفة من الحضارم يُقال لهم (آل يثرب) لا يزال منهم ناس حتى اليوم يحترفون بالحدادة. وقد وُصِفَت لرسول الله ﷺ امرأه من كِنْدَه بالجمال، فرغب فيها، ولمّا قال له أبوها: وأزيدك أنها لم تتجع تعافي عمرها، رَغِبَ عنها. وهي غير الجونيه، وغير أخت الأشعث التي حُرِمت السعادة بامتناعها من الارتحال إلى المدينة وهي التي إقترنت ـ بعدُ ـ بعكرمه ابن أبي جهل وجرىَ لهما مع أبي بكر شأن.

ومنها: **حُسْنُ النَّسِيْج**، ففي حديث الهِجْرَة: أنّ عَلِيّاً تَسَجَّى ببرد النبي ﷺ الحضرميّ الأخضر، وأخرج ابنُ سعد بسنده إلى عروة بن الزبير أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد ورداؤه حَضْرَمِيٌّ طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خَلَّقُوهُ وطووه بثوبٍ يلبسونه يوم الإضحى والفطر، وقال النابغة الجعديُّ في مَشُوْبَتِه:

يُدِيْرُ عَلَيْنَا كَأْسَهُ وَشِوَاءَهُ مَنَاصِفُهُ، والْحَضْرَمِيّ الْمُحَبَّرَا

والمنَاصِفْ هم الخدَمُ، وقال جرير:

وَطَوى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بُطُونَهَا طَيَّ التِّجَارِ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُوْدَا

وقال حبيب:

كَشَقِيْقَةِ الْبُرْدِ الْمَسَهَّمِ وَشْيُهُ فِي أَرْضِ مَهْرَة أو بِلاَدِ تُزِيد

وَتَزِيْدُ ـ زِنَةُ جَمِيْلٍ ـ كما هو في «التاج» ابن حَيْدان بن عمران بن الحاف بن

---

(١) «صفة جزيرة العرب» ص ١٧٠.

قُضاعه، وهم الذين تُنْسَبُ إليهم الْبرودُ التُزْيديَّه، قال أبو ذؤيب:

يعثرن في حد الضباة كأنما كسيت برود بني تزيد الأذرع

وقال علقمة:

رد القيان جمال الحي فاحتملوا فكلها بالتزيديات معكوم

وكانت **حضرموت** تفيض بالأكْسية إلى صنعاء فما دونها من بلاد اليمن وفي مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أن بعض أهل شبام يستحيك شياذر فيذهب بهن بعض أولاده إلى صنعاء فيبيعهنّ على الامام أو بعض حاشيته من ثمانين ريالاً ومائة ريال، ولم يزل امراء لحج إلى عهد السلطان أحمد فضل العبدلي يستحيكون الشياذر التريمية.

وإلى تزيين حواشيها بخيوط الحرير الأبيض أو المقصب المتخالف النسيج يشير ذو الرمة بقوله:

به ملعب من مصعفات نسجنه كنسج اليماني بردة بالوشائع

إذاً الوشائع: الطرائق المختلفة من وَشَعت المرأة الغزل علىٰ يدها أي خالفته وتوشعت الغنم في الجبل اختلفت.

وكان بِصنعاءَ دَلاَّلُوْنَ مخصوصون بِالْبَزِّ الحضرمي، يرجع نسبهم إلى آل السقَّاف بِسَيْوُوْنَ، ولمّا انقطع الْبَزُّ الحضرميُّ منذ نحوٍ من نصف قرن ساءَتْ أحوالهم.

وكان الحضارمةُ في عهد الشيخ عبد الله بَاعَلْوان يجلِبُون الخيلَ من **حضرموت** إلى ظفار كما يُعرف من الحكاية (١٥٦) من «**الجوهر الشفاف**» للخطيب.

ومنها: **جودة الإبل**، قال الْبَعِيْثُ الحنفي يمدح ناقة:

أمُفَرَّجَةٌ مَنْفُوحَةٌ حَضْرَمِيَّةٌ مسَانَدَةٌ بَيْنَ الْمَهَارَي انْتَقَيْتُها

وقال ذُو الرَّمَّة:

حَرَاجِيجُ قُوْدٌ ذُمِّرَتْ في نِتَاجِهَا بِنَاحِيَة الشِّحْرِ الْغُرَيْز وَشَرْدَقم

ويدخل فيه كُلَ ماجاء في مدح الإبل المَهْرِيَّةِ مما لا يضبطه الحصر، لأَنَّ مَهْرَةَ ـ كلها أو بعضها ـ داخلة في حَدَّ **حَضْرَموت**، على كثير من الأقوال.

ومنها: فَرَاهَةُ الحُمُرِ فقد جاء في «صفة جزيرة العرب» للهمدانيَّ: ان أحسن الحمير الحضرمية.

ومنها: **جودة الْخَمْرِ، فقد جاء في مادة (بَنَى) من «التاج» قوله:**

سَبَتْهُ مُعْصِرٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ ... بَنَاةُ اللَّحْمِ جَمَّاءَ الْعِظَامِ

ومنها: جُدُلُ النَّوْقَ، فقد جاء في آخر مادة (ثنى) من «التاج» لشاعرٍ قوله:

تُلاَعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ ... تَمَعُّجُ شَيْطَانٍ بِذِي خِرْوَعٍ قَفْرِ

ومنها: جودَةُ النِّعَال، والأَدِلَّةُ على هذا تدخل تحت العد ومنها قولْ كُثيِّرٍ:

رَأَيْتُ ثِيَابَ الْعَصْبِ مُخْتَلِطَ السُّدَى ... بِنَا، وَبِهِمْ، والْحَضْرَمِيَّ الْمُخَصَّرا

وقوله أيضاً

لهم ازر حمر الحواشي يطونها ... باقدامهم في الحضرمي الملسن

وقول مروان ابن أبي حفصة:

كَمَا قَاسَ نَعْلاً حَضْرَمِيٌّ فَقَدَّهَا ... عَلَى أُخْتِهَا لَمْ يَأْنِ أَنْ يَتَجَرَّدا

وقول حبيب:

حُذِيَتْ حِذَاء الْحَضْرَمِيَّةِ أَرْهَفَتْ ... وأَجَابَهَا التَّخْصِيْرُ والتَّلْسِيْنُ

وقول الرضي:

وتمّ علاكمو في بعد نقصٍ ... تمام الحضرميّة بالقيال

وكما يُضْرب المثلُ بالسيوف اليمانية فإنَّ أهلَ اليمن يضربون المثل بالخناجر الحضرميّة، ويتنافسون في اقتنائها، ويتمدحون بها في أشعارهم، وروَى الهمداني[1] عن أبي الحسن الخُزَاعيَّ ـ وكان يسكن بأرض نجدٍ العليا ـ أَنَّهُ أصاب الناس أزمةٌ شديدةٌ قأقبلوا من نجد إلى مكة وكان فيهم شاعر يُقال له الحزاره العامريُّ فأنشد شعراً يذكر فيه ما كان من رحمة الله عندهم، فقال

(١) «صفة الجزيرة العربية» ص ٣٣٥.

التهاميون لشاعرهم أبي الجياش: قُلْ مِثْلَهُ، فأنشد شِعراً منه:

سُقِيَتْ حَضْرَمَوْتُ مِنْهَا مَعَ الأَحْقافِ ... رِيَّا وغُلَّتِ الأَسْعَاءُ

طُبِّقَتْ بالسُّيُولِ أَبْيَنُ حَتَّى ... لَحْجَها فهْي والسَّماءُ سواءُ

ومنها: تفضيل نَخْلها، ولا جَرَم فأنه كثير الحلاوة رقيق القشرة، كثير اللب، دقيق النَوَى، فله أن يتفضّل بحق على سائر التمور. ونقلوا عن الصاغاني أن (ذا النخل) يُطلق على بقاع منها: واحد دوين حضرموت، وهو المراد من قول أبي حربٍ الأعلم ـ أحد بني عقيل ـ أو ليلى الأخيليّة:

نحن اللذون صبّحوا الصباحا ... يوم النخيل غارة ملحاحَا

مَذْحِج فاجتحناهم إجتياحا ... ولم نَدَعْ لِسَارِحٍ مَرَاحَا

وذِكْر مَذْحِجْ يؤكد ذلك لأنها بلادهم. وفي ص ٢٧٣ ج ٢ من «خزانة الأدب» عن ابن الأثير أن ذا النُخَيل ـ بضم النون وفتح الخاء ـ عَيْن قُرْب المدينة وأخرى قرب مكه وموضع دوين حضرموت. أ هـ. ومثله في ص ٥٠٧ ومن قصيدةٍ هائيه لصخر بن العود الحضرمي ذِكْرٌ لنخل **حضرموت** في قوله:

تَذكَّرت كاساً إذْ سمعت حمامةً ... بكت في ذرو نخل طوال جريدها

تنبيه: إنما قُلْت سابقاً أن الأنسب في بيت قيس أن يُقال: بأقصى حضرموت، لأن أعلاها يقرب من نَجْد فلا يليق أن يكون غايةً للبعد، وعاصمة نجد اليمامه وكان إسمها (جوّا) في الزمان الأوّل، قال الأعشى من قصيدة عذبة يمدح هوده بن علي بن ثمامة الحنفي:

فَلَمّا أَتَت آكام جو وأهله ... أُنيخت فألقى رحلها في فنائكا

وقال من أخرى:

عرفت اليوم من تيّا مقاماً ... بجوّ أو عرفت لها خِيَاما

ولمّا صُلِبَت «اليمامه» علي باب جوّا سُمِّيت باسمها، والذي سمّاها بذلك الإسم هو تُبَّع الحِمْيَرِي قاتل اليمامة، وقال:

وقلنا سموّها اليمامة باسمها ... وسرنا وقلنا لا نريد إقامة

واليمامه إمرأه تبصر من ثلاث وحديثها مشهور[1] وإليها الإشارة بقول أبي الطيب:

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءِ جَوٍّ لأَنَّني ... إذا نَضَرَتْ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عِلْمِي[2]

وقبله يقول النمر بن تولب:

وفتاتهم عنز عَشِيَّة أَبْصَرت ... عَنْ بُعْد مَرْأَى في الفضاء ومسمع

قالت أَرَى رجلاً يُقلِّب نعله ... أصلا[3] وجوّا من لم يفزع

فمكان صالح أهل جوّ عَذْوةً ... صبحوا بذيفان السمام المُنَقَّعِ[4]

وكانت اليمامه لأُمَّتَيْن: إحداهما **طَسْم** بن لاوَذ بن سام بن نُوْح، والأخرىٰ **جَدِيس** بن عَابِر بن إِرَمْ بن سام بن نوح. ومن قربهما إلى نوح يضعف القول بأن الذي أهلكَ جديساً هو حسان بن تُبَّع لتأخره، والكلام منتشر في ذلك حتى لقد قيل: أنَّ هود عليه السلام من ولد إسماعيل وأَنَّهُ وعشيرته من عادٍ الثانية، وهو غير المعروف المشهور قال ابن هشام: وبعض أهل اليمن يقول أَنَّ قحطان من ولد إسماعيل، وأَنَّ إسماعيل أبو العرب كلها، وقال: قال ابن إسحاق: عاد بن عوص بن إِرَم ابن سام بن نوح، وثمود وجَدِيس إِبْنَا عابر إبن إِرَم بن سام بن نوح وطسم وعِمْلاق[5] وأُميم بنو لاوَذ بن سام بن نوح، عرب كلهم. أهـ. وأطال فيه صاحب «التاج» وذَكَر أَنَّ عَاداً وثَموداً وأميماً وعبيلاً ووَباراً هم العرب العاربه ومنزلهم الأحقاف وما جاورها. أهـ. وقال الهمداني في أوائل الأكليل[6]: أمّا الذين ذكروا أن قحطان من ولد إسماعيل، فإنهم تعلّقوا بظاهر حديث ابن أبي حَدَرد الأسلمي[7] قال: مَرَّ رسول الله ﷺ بناس من أَسْلَم خُزاعه وهم يتناضلون[8]، فقال: إرموا بني إسماعيل. إلخ.. وهم من الأزد والأزد من

---

(١) انظر مادة «اليمامه» في «معجم البلدان» لياقوت الحموي.

(٢) «شرح ديوان المتنبي» ٤/ ١٢٧، عبد الرحمٰن البرقوقي.

(٣) أصلا: جمع أصيل.

(٤) الذيفان: أقتل السموم.

(٥) ويقال لهم: العمالقة والعماليق.

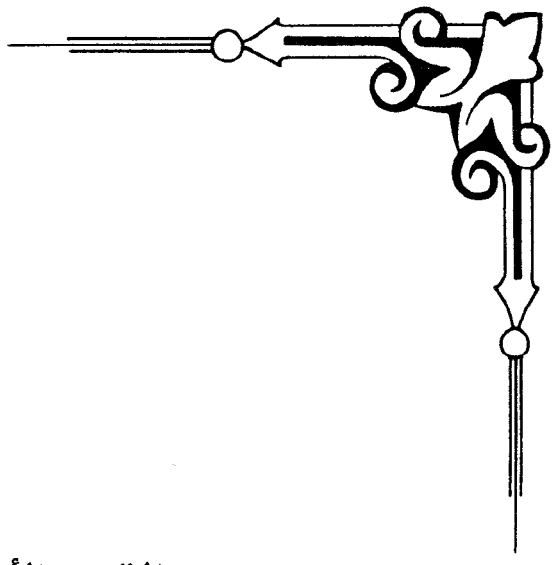
(٦) «الأكليل» ١/ ١٠٣.

(٧) ابن أبي حَدَرد: صحابي، شهد الحديبيه وخيبر مع النبي ﷺ والجابيه مع عمر، ومات سنة ٧١هـ.

(٨) المناضلة: المباراة والمسابقة بالرمي.

قحطان، وجوابه أن العرب اختلطت بالصهورية؛ فالقحطانية أبناء لإسماعيل من جهة الأمهات؛ والنزارية أبناء لقحطان بِهِنَّ. كما نُسِب عيسى عليه السلام في القرآن إلى آباء أُمّه، ومن ذلك قول لُوْط: هؤلاء بناتي. وإنما أَراد نِساء القرية، ومنه قوله عزّ وجل: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فإنه لا يخرج عنها أحدٌ من العرب إِذْ قد أُولد الجميع بالرجال والنساء، ثم أطال في ذلك بأَشْعَار تركناها، ثم قال: ومن الجهة الأكيدة ما رُوِي من جهات كثيرة أَنَّه لمّا نزلَ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ إلى آخر الآية. قال ناس: ما سباء؟ أرض أم إمرأة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا ذا ولا ذاك، ولكنه رجل من العرب أولد عشرة أبطن؛ فتيامنت ستةٌ، وتشاءمت أربعة»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أَمَّا الذين تيامنوا: فَكِنْدَه ومَذْحِج والأشعرون وحِمْيَر وأَنْمَار والأَزْد، وأمّا الذين تشآءموا: فجُذام ولخم وعامله وغسَّان**». قالوا: فما خثعم وبجيله؟ قال: «**بطنان من أنمار**[1] **وأسهب بما لا حاجة بنا إليه**». وحديث سبأ موجود عند الترمذي بزيادة وقال أنه حسن غريب.

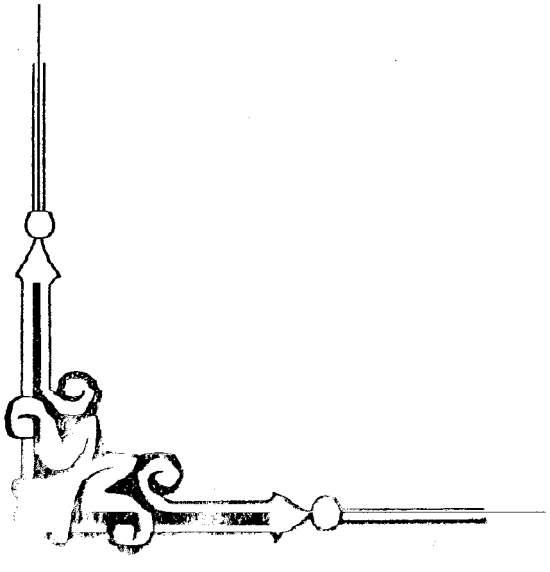
(١) قال مُحقق الأكليل: هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده.



القسم الأول

مرافئ حضرموت

من أعـلاها إلى أدنـاها



عَيْنُ بَامَعْبَد:

هي قرية صغيرة واقعه في حد حضرموت الجنوبي الغربي[1]. ويأتي في «مَيْفَع» أن به ناساً من آل بامعبد لا يزالون إلى اليوم، فَيُفْهَم ـ منه ـ أن العين منسوبةٌ إلى جدهم. ولا يزال بالعين منه خَلْق إلى الآن، وقد نجع كثير منهم إلى تريم، ولمّا مَسَّهم ظُلْم يافع انتقل بعضهم إلى دَمُّون، وبعض إلى السويري، وفي ترجمة الشيخ الكبير عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم، أنه مَرَّ في طريقه من الحجاز إلى حضرموت **بعين بامَعْبد**، فاستقبلهُ شيخها الكبير محمد بن عبد الله بامعبد، وأجلّه واحترمه. وكانت وفاة الشيخ عبد الله بن علوي في سنة ٧٣١ عن إحدى وتسعين عاماً. وفي صفحة ٦٢ من «النور السافر» للشيخ عبد القادر بن شيخ العيدروس؛ أن الشيخ بامعبد إنتفع بالشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفي سنة ٦٧١، فيمكن أن يكوْن هو صاحب الشيخ عبد الله بن علوي، ويحتمل أن يكون أبوه. أمّا رجوع الشيخ عبد الله بن علوي من الحجاز إلى حضرموت فقد كان في سنة ٦٨٠هـ.

وفي عين بامَعْبد عيون ماء عليها نخل كثير. وسكانها الآن ـ من الرجال ـ نحو المائتين، من آل بامعبد، وآل عبد الله، وغيرهم. وهي تبعد عن الساحل بنحو أربع ساعات للماشي. ومنهم الشيخ عبد الحسين بن حيمد بن أمبارك بن عمر بامعبد، ولد بالسُوَيْري[2] حوالي سنة ١٣٠٥ وبها قرأ القرآن على المُعَلِّم عمر بن عبود باعطب، ثم أقام أزماناً على طلب العِلْم بتريم، وهو الآن **بالمُكَلاَّ** وله تنقلات. والتسمية بِعَبْد الحُسين ممنوعةٌ كما في «التُحفة» وغيرهما، لا سيما الشرياك. ولعل الحُرْمة مقصورة على الراشح الأول. أمّا إذا وُضع لإنسانٍ اشتهرَ به فلا يَحْرُم للحاجة ولأن النهي لا يشمله، كما إعتذروا عن تكنية الرافعي بأبي القاسم مع حرمتها مطلقاً، كما اعتمده الرملي وإبن حَجَر تبعاً لما صححه

---

(١) عِدَادها اليوم من مركز رضوم، مديرية مَيْفَعه وأعمال محافظة شَبْوَه؛ في غربي ساحل حضرموت.

(٢) السِوَيْري: بلده شرقي مدينة تَرِيم.

النووي، وإن كان اختياره تخصيص الحُرمة بزمنه ﷺ، وإعتماد الرافعي إختصاص ذلك بمن اسمه محمد. وبمثل ذلك الاعتذارُ عن التلقيب بمثل الأعمش، وعن إطلاق جار الله في الدوام على الزمخشري مع حرمة ذلك في البدء كما في «التحفه» وغيرها. وبنحوه العذر عن تكنية الترمذي بأبي عيسى مع القول بكراهتها في الابتداء، أمّا تسمية ابن الصباغ بِعَبْد السيد فلا إشكال فيها لأن السيد هو الله، كما وَرَد ـ ولا حرج ـ في إطلاق اللّعين على المنقري. أمّا في الدوام فواضح وأمّا في الابتداء فلأن الواضع مجتهد، وهو ابن أبي الخطّاب، وقد سمعه ينشد شعراً والناس يُصلّون.

بِالْحَاف:

هو من وراء عين بامَعْبَد إلى جهة الشرق، وهو مَرسىٰ لآل أحمد بن هادي آل عزان، والسلطان فيهم هو عبد الله بن محسن الواحدي، وهو من جملة الموقعين على الوثيقة التي أمضى عليها أعيانُ تلك الجهات وسلاطينها، بالسمع والطاعة لي على نصر الحق في الْمَنْشَطِ والمَكْرَهِ. كما أن من جملة الموقعين عليها الشيخ محمد بن جعبل العوذلي؛ بالنيابة عن السلطان صالح بن حسين بن جعبل؛ لأنه كان إذ ذاك صغير، وهو القائم بأمور السلطنة. ومن الموقعين عليها السلطان حسين بن أحمد الرصّاص، ومشائخ المِصْعَبين، والمياسر، وآل حسنه، ومناصب السادة آل المِحْضَار بِمَرَخْه وحَبّان، ورؤساء آل بامسدوس، والدِيَّن، وغيرهم. وكان كل ذلك برأي المغفور له سيف الإسلام محمد بن الإمام يحيى، أراد بذلك نصرتي لِمَا نالني من الاهتضام بحضرموت إزاء قيامي بنصر الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد استنجدت بوالده الإمام يحيى، فلم يتمكن مَن مساعدتي علناً، لتلبد جو السياسه بالغيوم. لقد تم كل ما يرام من أخذ العهود على أولئك، ولولا أنني شاورت مولانا الإمام في النهوض فنهاني عن الاعتماد عليهم لكان لذالك نبأ عظيم، ولكنه ـ أعلا الله شأنه ـ كان أعرف بأحوالهم، وما كنت لأقدِم على أَمْرٍ وبيعته في عنقي بدون إشارته لأن طاعته واجبة ورأيه الأعلى الأصوب فلله الحمد على السلامة، وأخبرني الشيخ محمد بن أحمد الحجري[1] بأن الأسلحة المطلوبة لذلك من ألمانيا وصلت، لكن بعد وفاة

(١) هو المؤرخ الكبير والعلامة محمد بن أحمد الحجري، صاحب كتاب « مجموع بلدان وقبائل =

المرحوم السيف محمد وإنتهاء الحاجة[1].

ومن آل بالحاف جماعةٌ كثيرةٌ نجعتْ إلى الشِّحْر. وفي الحكاية (٦٨) من جوهر الخطيب، أن آل بالحاف تلقوا السيد علي بن علوي بن الفقيه المقدم بالسماع. وفي أخبار سنة ٨١٣ أن أحمد بن فارس أخذ قرية آل بالحاف، وأخرجهم منها، فأقبلوا إلى الشيخ علي بن عمر، فأرسل بَعْضَ الفقراء فلم يجبه، فسار هو بنفسه في رجب، فردها عليهم وعاد هو ـ أعني الشيخ علي بن عمر ـ في شعبان. إنتهى من «تاريخ باشراحيل». وما أدري من هو الشيخ علي بن عمر؟ أَمِن: آل باشراحيل؟ أم الشاذلي صاحب المَخَا المتوفي بها سنة ٨٢٨، والأقرب أنه: علي بن محمد بن عمر صاحب الحُوْطَة الآتي ذِكْرَه فيها عَمّا قليل وأن سقوط إسم أبيه في العبارة السابقة سهو من الناسخ.

وقد انعقدت بين سلطان بالحاف وهو محسن بن صالح بن عبد الله الواحدي، و(الانقليز) معاهدةً بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٥م على يد (ماسيون) وآلي عدن، وشهودها: عبد الله بن حسين الواحدي، وأحمد بن صالح بن ناصر الواحدي، وهادي بن صالح الواحدي، وحسين بن صالح الواحدي، على غرار المعاهدات التي جرت بين القعيطي و(الانقليز). ثم انعقدتْ بأثرها على القرب معاهدة أخرى بتاريخ ٢٢ نوفمبر من السنة المذكورة، جاء في المادة الثالثة منها: إنه متى قَذَفَتْ مياه البحر ببضاعة أو بمركب فإنْ عُرِفَ مَالِكَهُ في ظرف شهر فليس للسلطان الواحدي إلاّ ثلث الموجود، وإن لم يُعرفْ في ظرف شهرٍ فكله له. أهـ. وهذا يدل على أنهم كانوا على نوع من القرصنة كآل كَثِيْر في «رَيْدَةِ ابْن حمدات» حسبما يأتي فيها. وفي أواخر الحرب الأولى وردني بريدٌ مخصوص بكتاب من السيد أبو بكر بن سالم بن أحمد بن علي بن عمر المحضار، محرراً في ١٧ الحجة سنة ١٣٣٥هـ يقول لي فيه: إن آل طالب بن هادي يريدون أن يحالفوا آل كثير، فإذَا كانوا راغبين أفيدونا، ولكن آل كثير قد ركنوا إلى الدِّعَةِ، وقصرتْ هِمَمُهُمْ فلم نجد عندهم حركة لشيءٍ، ولم يكن ذلك موافقاً لهوانا، إذ قد غمسنا في صداقة مع الدولة القعطيه فلم يمكنا معها أن نُؤَلِّبَ الأَعْدَاء عليها، وإنْ كانت

= اليمن»وكتاب «تاريخ مساجد صنعاء» وغير ذلك من الكتب التي أبانت عن مؤرخ قدير وباحث موسوعي مُلِّم بأحوال القبائل اليمنية وتفرعاتها وتاريخها.

(١) توفي السيف محمد غرقاً في الحديده يوم الجمعة ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٥٠هـ.

صداقتها لا تُسمن ولا تُغنى من جوع، لا معنا فقط بل مع سائر حلفائها واصدقائها لأن السيد حسين بن حامد ـ الذي يمثّلها إذ ذاك ـ إنما يُنفق من بضائع المجاملة والمعانقة التي لا تنفد، بدون أيّة نتيجة، ومَنْ بَعْدَهُ من الوزراء قريبٌ منه، فهي دولة غنية، مترامية الأكناف، ولكن بلا رجال أكفاء يُخلصون للسلطان.

بير علي:

هي إحدى موانىء البحر الشِّحْري[1]، في شرقي بالحاف، وهي لآل طالب بن هادي الواحدي. والسلطان فيهم ناصر بن طالب، وقد زار حضرموت قريباً، وكان يزورني بعد الظهر في أكثر الأيام، وكانت حكومة عدن تحاول اتِّحادَهُ مع آل أحمد بن هادي، وجعلهم دولةً واحدةً، فأمّا آل أحمد بن هادي فَرَضُوا وأمّا هو فَأَبَى، ولكنه توفي فَجْأةً بعدن، في ١٤ ابريل من سنة ١٩٤٠[2]، ولا أعرف الآن ما يوافقها بالضبط من التاريخ الهجري. وفي ٢٨ ديسمبر من تلك السنة [3] توفي أيضاً بعدن فَجْأةً نقيبُ الموسطة الشيخ أبو بكر، بِعقِبِ مقابلته لوالي عدن في الحادي عشر من الشهر المذكور. وكذلك كُلُ من لَمْ يوافق حكومة عدن على هواها يموت فجأة لأنّ لله جُنُوداً من العسل!!

حصن الغراب:

هو في شرقيّ بير علي، وكان أحد موانىء حضرموت، وهو مبنيٌّ بالحجارة المنحوتة، يبلغ بعض أحجاره أربعة أذرع وستة أذرع، على قِمَّةِ جَبل، يحيط به البحر من الجهات الثلاث، على عمق غزير، يمكن لكبريات البواخر أن ترسي فيه بقربه، وليس له طريق من البر إلاّ من جهة شماله فقط، وهو حصن منيع، باقية آثاره، وحواليه كتابات بالمُسند، يظهر أنها تعريف به وبأهله، هكذا وصفه لي السلطان ناصر بن طالب، وقد ذكره ابن الحائك الْهَمْداني بقوله[4]: وفي المنتصف من هذا الساحل شرقاً بين عُمّان وعدن ريبوت، وهو موئل كالقلعه، بل قلعة مبنية على جبل، يحيط بها البحر إلاّ من جانب واحد، وبها سَكْن من الأُزْدِ

(١) عِدَادها اليوم من مركز رضوم، مديرية ميفعه، وأعمال محافظة شبوه. وكذلك بالحاف.

(٢) ٧ ربيع الأول ١٣٥٩ هـ.

(٣) ٢٩ ذي القعده ١٣٥٩ هـ.

(٤) «صفة جزيرة العرب» ص ٩١ـ ط: مكتبة الإرشاد، صنعاء.

من بني جُدَيْد، حتى طردتهم بنو خَنْزِريت من القَمَر، فتفرقوا في بلاد المَهْرة، ويقال: إن ساكن رَيْسُوت القدماء هم البياسرة، ونزلت عليه بنو جُدَيْدٍ من الأزد فترأست فيهم. انتهى باختصار. والقَمَرُ زِنَةُ قَمَر السماء بخلاف مدغشقر وما حواليها فإنها تُسمّى جزائر القُمر بضم القاف والميم. وفي موضع آخر يقول ودهلك من معاقل البحر وكذلك ريسوت حصن منيع لبني رئام وسقطرى وجبل الدخان. أهـ. ولريبوت ذِكر عند ياقوت في موضعه. وفي التعريف باليمن، وهو ناقل عن ابن الحائك، وما ذَكَرَاهُ ينطبق في الكَيْف على **حصن الغراب**. وأمّا ما ذكراه من: الأَيْن؟ والموقع؟. فلا ينطبق إلاّ على على رَيْسوت القريبة من ظَفار، وهي التي يفرق بين طريقها وبين الطريق المسلوك إلى ظفار نحو ميل، وهي التي تلاقت فيها عساكر الملك المُظَفَّر الرسولي، ثم تقدموا منها إلى موضع من أعمال ظفار يُقال له: عوقد، حيث كانت الواقعة الهائلة التي دارت فيها الدائرة على سالم بن إدريس الحبوظي، واستولى بعدها عسكر المُظَفَّر على ظَفَار وعلى سائر بلاد حضرموت، وكانت تلك الوقعة في يوم السبت ٢٧ رجب من سنة ٦٧٨هـ. وياقوت مخطئٌ في نقله هذا عن ابن الحائك، إذ لا يمكن أن يذكر ظفار إذ كانت وفاته بسجن صنعاء في سنة ٣٣٤ كما في «بغية الوعاة» للسيوطي[١] وإنما أُنْشِئَتْ ظفار بعد ذلك بزمانٍ. أمّا مرباط فلها ذِكْر كثير في «صفة جزيرة العرب»[٢] ومنه في هذا الموضع أن أهل رَيْسوت تفرقوا في البلاد بعدما بيتهم بنو خنزريت فسكنوا موضعاً من الغبب يُقال له «حاسك» و«مرباط» ومن هنا نشأ وهم ياقوت. وذِكْر حاسك مرباط هنا يُمَهِّد العذر له لكن الغبب بأسرها من المَهْرَه وبذلك يقوى الاشكال ويشتد الاشتباه. وقد عَرفت ـ بعد هذا ـ من سؤال الملاّحين أن ريسوت الظفاريّة شبه قلعة يحيط بها البحر من الجهات الثلاث، وهي في منتصف الطريق بين عُمَان وعدن، لأن المسافة في السفن الشراعية بالريح المعتدل من مسقط إلى ريسوت أربعة أيام، ومن ريسوت إلى المكلا يومان، ومن المكلا إلى بير علي نصف يوم، ومنها إلى عدن يومان. فالوصف ينطبق على ريسوت ظفار أكثر منهُ على حصن الغراب.

---

(١) حقق المؤرخ العلامة القاضي محمد بن علي الأكوع أن تاريخ وفاة الهمداني تأخرت عمّا ذكره السيوطي، فأدرك منتصف القرن الرابع الهجري ـ انظر ترجمة الهمداني في بداية «صفة جزيرة العرب».

(٢) من ذلك ما جاء في صفحة ٩١.

ومنها أعني «صفة جزيرة العرب» [1] **أن شطوط بحر العرب، مثل:** سفوان وكاظِمه وأغْباب مَهْرَه وسُفْليُّ حضرموت والأحقاف، وتيه أَبْيَن، وفلاة الفرسان، وبني مَجِيد أهـ. وحَيْق بني مَجِيْد هو ثغر عدن ولعله منهم آل باماجد الآتي ذكرهم في تريم بأماره أن العرب يقولون عن الملاح الخبير الآتي ذكره معهم أحمد باماجد، والأفرنج يقولون أحمد بن مجيد فالأمر قريب من بعضه ويأتي في تآليفه ما يصرح بأنه من عُمان والله أعلم. وفي القاموس أن غب القمر موضع بين الشِّحْر وظَفَار. وقال الطيب بامَخْرَمه: وغب القمر هو المعروف اليوم بعشة القمر، وهو موضع خطر، إذا سقطت إليه السفن قلَّ أنْ تسلم. أهـ. وقال الهمداني: ورؤوس هذا البحر - يعني بحر العرب المتعالمة بالخطر والصعوبة - الفرتك، ورأس الجمجمة، وباب المندب. ثم ذَكَر غيرها مما لا حاجة بنا إليه، وسيعادُ بَعْضُ ما هنا قبيل القسم الثاني فلا مؤاخذه. ورأس الفرتك قريب من حصويل، والملاّحون - اليوم - يعرفون غب القمر ويسمونه غبه لأنه في البحر لا في البر، وهي قريبه جداً من ظفار، وقد مَرّ بك قريباً من الهمداني ما يفيد أن أغباب المَهْرَه هي شواطي مع أن الملاحين لا يعرفونها إلاّ غبباً بحريّه، فالغيظه غبة قَمَر، وهيراك غبه قمر، وفوري غبه قمر، وهروت غبة قمر، وخَوّر خلفوت غبة قمر، ورأس نشطون غبة قَمَر. وكلها واقع بين غيضة ابن بدر وجبل يُقال له رأس الغنيطاس، وهو شرقي رأس الفرتك. ورأيت في «الشهاب الراصد» أن ضابطاً (انقليزياً) نقل بعض النقوش التي في حصن الغراب وعَرَضها على العلماء العارفين فإذا فيها أن سميفع أشوى وأولاده نقشوا هذا التذكار في حصن مويجت **(غراب)** لمّا وصلوا أسوارهم، ومَهَّدُوا دروبهم، وتحصنوا فيه، بعد أن فتحوا اليمن، وغلبوا عليها، وفتحوا طريق التجارة في أرض حِمْيَرَ، وقتلوا مِلِكَها وأَقْيَاله الحِمْيَرِيِّيْنَ. وشبيه أن يكوْن هذا المقتول هو ذُوْ نُوَاسٍ الحِمْيَرِيُّ فإنه الذي قتله الأحباش[2]. اهـ. وسمعت أن هذا الضابط الذي نقل النقوش يُقال له (وِلستاد) وهو صادق في قوله: إنَّ الأحباش قتلوا ذَا نُوَاسٍ لأنهم إنْ لم يقتلوه مباشرةً فقد ألقى بنفسه في البحر، لمّا انهزم من أرياط وأبرهة الحبشيين. وذُو نُوَاس إذا هو

---

(١) «صفة الجزيرة» ص ٢٤٠.

(٢) جاء في هامش الأصل: (وفي مذكراتي من بعض التواريخ اليمنية أن أول نائب من جهة الحبشة كان عربياً مسيحياً يُقال له «سيمافع أشرع» ثم تبعه أبرهة المشهور. انتهى. وهي فائدة حسنة جداً).

الذي أَجْبَرَ أهل نَجْرَان على التَّهوُّد، وخدَّ لَهُمْ الأُخْدُوْدَ فكان في غزوة الأحباش له انتصارٌ للمسيحيّة، وأَخْذٌ بالثأر. أمّا مدة الأحباش باليمن فقد كانت قصيرة حسبما هو مُفَصَّل بالأصل.

«وموجود في سيرة ابن هشام وغيرها: وأول ملك منهم ارياط بعثه صاحب الحبشة على جيوشه ولما تمرد ذو نواس واحرق الإنجيل ففتح ارياط اليمن واستقر في ملك ذي نواس ثم ملك بعده ابرهة الأشرم وهو صاحب الفيل ثم ملك بعده ابنه يكسوم ثم ملك بعده أخوه مسروق وهو آخر من ملك اليمن من الحبشة، وأن سيف بن ذي يزن استعان بكسرى على مسروق فأمده بجيش ففتح به اليمن وبقي نائباً به عن كسرى حتى قتله بعض من استخلصه من الحبشة فولى كسرى وهزر مكانه ولما هلك أقام كسرى المرزبان ولما هلك أقام خذخسرو ثم عزله وولى باذان وفي عهده كانت البعثة فأسلم باذان وفشي الإسلام باليمن وتتابعت منه الوفود على رسول الله ﷺ وبقي باذان نائباً على اليمن حتى مات بعد حجة الوداع فولى النبي ﷺ ابنه شهراً على صنعاء وعلى كل جهة واحداً من الصحابة إلى أن خرج الأسود العنسي فقتل شهر بن باذان وأخرج عمال النبي ﷺ من اليمن ولما قتل عادوا إلى أعمالها اهـ صبح الأعشى» (١).

وقد دَخَلَتْ بيرُ علي تحت الحماية (الأنقليزية) على يد والي عدن لذلك العهد المُسَمَّى (هوع) وسلاطينها محسن بن صالح، وصالح بن أحمد بن صالح، وعبد الله بن أحمد بن صالح، وناصر بن حسين بن محسن، وأبو بكر بن حسين بن محسن، وصالح بن عبد الله بن صالح بن محسن، وعلي بن عبد الله بن صالح بن محسن، وناصر بن طالب بن هادي، بتاريخ ٢٠ أبريل ١٨٨٨م.

وبالحجاز حصن خراب يُقال له حصن الغراب وهو الذي يقال له أيضاً حصن الهجوم قال ابن المجاور في ص ٢٠ من تاريخه كان جبل مدور في قاع صفصف حوله قلعة بنيت بالحجارة المنحوتة طول كل حجر سبعة أذرع في عرض ثلاثة يحاذي طوله ذروة ذلك الجبل وقد فتح النبي ﷺ ذلك الموضع وبقي الحصن بحاله حتى انتهى الملك إلى قتادة بن إدريس فهدمه كي لا يعتصم به الأعراب ويسمى حصن الغراب والله أعلم بحال هذا الخبر ففي الكتاب كثير من الأقاصيص التي لا تطمئن إليها النفس قال وهو من بناء الانباط اليونانيين وليس

(١) فقرة مضافة في هامش النسخة (ب).

من بناء العرب لأنه لا يتدبر لهم فيه عمل ولا يصلح على أيديهم فلا يتصور في خواطرهم إنما هو وما أشبهه من عمل الجبابرة وحكمة الأوائل اهـ مختصر بالمعنى ويأتي في هذا الكلام ما سيجي عليك في العُر.

عزان:

هو في شمال بالحاف[1]، على مسافة ثلاثة أيام منها للجمال، وهو حصن آل أحمد بن هادي، وقد جَرَت لهم خطوب، وتقلّبت بهم الأحوال حسبما فُصِّل بالأصل. وفي غربيّ عزان على مسافة ساعتين بالتقريب تكوْن حُوْطَة الفقيه علي.

حُوْطة الفقيه:

هي بلاد تجاريّة معمورة، في غربيّها على بعد تسع ساعات للجمال يكوْن موقع حبّان، ومنها إلى يبعث في شرقيها مرحلتان بسير الأثقال[2]. والحوطة المذكورة منسوبة للشيخ الجليل علي بن محمد بن عمر بن راشد بن خالد بن مالك المالكي نسباً، الشافعي مذهباً، وبها كانت وفاته أوائل سنة ٨٣٢هـ وعليه قبة كبيرة إلى جانب جامعه الذي كانت عمارته في سنة ٧٧١هـ، وقال الطيب بامخرمه[3] في مادة الرجبي: إن باليمن بقرب قرية محفن المعروف بحصن المخارم الكنديين قرية يُقال لها الرجبة، أنشأها الفقيه العالم الصالح الورع نور الدين علي بن الفقيه جمال الدين محمد بن عمر المالكي. قَدِم والده من أَبْيَن، ثم أقام بالمصنعه وهي حَبَّان، فأولد الولد الصالح علي المذكور، والفقيه شرف الدين إسماعيل، والفقيه إسرائيل، والفقيه أبا بكر. وكانت هذه الرجبة مَوَاتاً طلبها من أهل تلك الجهة، وبنى بها جامعاً حسناً، وفَطَر فيها آباراً، وأولد فيها أولاده الفقهاء، يطعمون الطعام. توفي الفقيه علي بالمحرم سنة ٨٣٢هـ. كذا ذكره

---

(١) عزان: قرية كبيرة من قُرى وادي مَيْفَعه ـ محافظة شبوه؛ تقع بالقرب من بلدة: جَوْل الرَّيدة.

(٢) حوطة الفقيه: مدينة عِدَادها من مديرية مَيْفَعه وأعمال محافظة شَبْوَه. ومفهوم (الحُوَط) عند الحضارم ـ ومفردها حوطه ـ يعني القرى والأماكن التي كان يتخذها الأولياء ومشائخ العلم، مركزاً يفد إليه طُلاّب العِلْم والتعليم. وكان لهذه الحُوَط حُرْمَتها وتقديرها عند القبائل والسلاطين، فلا يجوز فيها قتل ولا قتال ولا نَهْب ولا ظُلم. ولذلك ازدهرت هذه الحُوَط وأخرجت عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء والقضاة.

(٣) النسبة إلى البلدان ـ مخطوط.

القاضي مسعود. هذا آخر كلام الطيب وهو موافق لما تقدّم[1].

روضة بني إسرائيل:

هي واقعةٌ في شمال حوطة الفقيه علي[2]، منسوبه إلى أخيه إسرائيل بن محمد، وهم بيت عِلْم وصلاح، ولهم مؤلفات وفتاويات كثيرة في فقه الإمام الشافعي، منهم الشيخ الشهير محمد بن عبد القادر، مؤلف «غريب القرآن» وغيره ذكره صاحب «المشرع» في ص (١٩٨ج ٢)، وقد صدر لإسماعيل المذكور في كلام بامخرمة ـ أخي إسرائيل هذا ـ مرسوم سلطاني بولاية القضاء، من باب برُوم إلى باب أَبْيَن وما بينهما من القرى، مثل دِثَيْنه وأَحْوَر ومَيْفَعه والعين وغيرها. وكان ذلك المرسوم بتاريخ ١٠ محرم سنة ٨١٥، وكانت وفاة إسماعيل هذا بمدينة حَبَّان في ٧ ربيع الثاني سنة ٨٣٥هـ. ولاسماعيل بن محمد بن عمر ـ هذا ـ ذِكْرٌ كثير في مجموع الجد طه بن عمر، وهو ممن أفتى بصحة العهده المعروفة بحضرموت.

مَيْفعه:

هي أرضٌ واسعة، فيها قُرى وآبار كثيرة، عاصمتها قرية في أثنائها تُسمَّى (إصبعون) على شَفَا جَرْفٍ هارٍ من الدمار[3]. وهي في شرق عَزّان، بينها وبينه مسافة نحو ساعتين ومن أرباض ميفعه في جنوبها الصعيد وجول آل عبد المانع والحوش ورضوم وفي شمالها الرقه والعطوف وريدة آل بارشيد، وفي عطفها جماعة من أعقاب السيد فدعق بن محمد بن عبد الله بن مبارك بن عبد الله المشهور بـ (وَطَبْ). ولآلِ باقطمي اعتقاد في شريفةٍ مقبورةٍ هناك يُقال لها علويّه،يُشاع أنها من آل البغدادي والأثبت أنها من آل جنيد وما أظنها إلاّ من آل فدعق المذكورين، ومن شرطهم أن لا يكون القائم بمنصبها إلاّ بنتٌ بِكْرٌ من أسرتها، ولا يمكن لها أن تتزوج، وعلى منصبتها اليوم شريفه منهم يُقال لها

---

(١) محفن، والرجبة: قريتان عامرتان بجوار الحُوطَه.

(٢) الروضة: مدينة كبيرة، وهي تُشَكِّل في أعمالها اليوم مديرية من مديريات محافظة شَبْوَه، وكان مركزها بوادي مَيْفَعه.

(٣) مَيْفَعه: وادٍ ومديرية من أعمال محافظة شبوه. وميفعه القديمة، هي اليوم مجرد قرية صغيرة ذات آثار مطمورة. أما (إصبعون) فهي قرية خاربة. ولعلها محل القرية المعروفة اليوم بإسم «حيفون».

سيدة، تبرز للرجال، وتحادثهم، ولها جاهٌ واسع، لدى آل باقطمي وغيرهم، وهي تكرم الضِّيْفَان، وفي مَيْفَعه كانت وفاة الشيخ عبد الله الصالح المغربي، وكان من خَبَره أن الشيخ أبا مَدْيَنَ أرسل بخرقة التصوف للفقيه محمد بن علي بن محمد، بمعية الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الحضرمي، فأدركته الوفاة بمكة المشرفة، فعهد للشيخ عبد الله الصالح المغربي بإيصالها للفقيه المقدم، فألبسهُ إياها، وغضب لذلك شيخه علي بامروان، وقال له: أَذْهَبْتَ نورَك بعد أن رَجَوْتُ أَنْ تكونَ كأبْنِ فورك، فتفقَّرت، فقال له الأستاذ الفقيه المقدم: الفقر فَخْري. ثم سار الشيخ الصالح لإلباس الشيخ سعيد بن عيسى العمودي عن إشارة الشيخ أبي مَدْيَن، ثم توجه إلى **ميفعه**، وفي طريقه إليها أَلْبَس صاحب عوره الشيخ باعمر[1]، عن نفسه لا عن الشيخ أبي مَدْيَن، ولمّا صعد إلى ميفعه اتصل بباحمران، وذَكَر الشلِّيُّ وغيره أن الفقيه المقدم سار إلى **ميفعه** لعيادة الشيخ عبد الله الصالح، وكان بلغه توعكه، وهناك اجتمع به وبتلاميذه، وشهدوا وفاته ودفنه بميفعه، ولم يذكروا تاريخ موته، غير أنه كان قبل موت الفقيه الذي كانت وفاته سنة ٦٥٣هـ. ومن العجب أن العلاّمة السيد علي بن حسن العطّاس يقول في «سفينة البضائع»: إن الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي والشيخ عبد الله بن عمر ـ صاحب الدلق ـ والشيخ باحمران، اجتمعوا بشيخهم الشيخ عبد الله الصالح المقبور ببلدة كنينه، بَلَد بالشِق البحري قريب من حَجْر، وهي الجهة التي يُقال لها ميفع. أهـ. ففيه أوهام وكَأَنَّ النظرَ انتقل عليه من ميفعه إلى ميفع، ثم ما كان الشيخ الصالح بشيخ للمقدم ولا للعمودي، وإنما هو سفير محض في إيصال الخرقةِ لهما. ونقل الحبيب شيخ الجفري في «كنز البراهين» عن الشيخ عبد القادر العيدروس: إن الشيخ عبد الله الصالح لمّا رجع من حضرموت أقامَ **بميفعه**، وهي بلد أقصى حضرموت، قريب من ساحل عين بامَعْبد، وتزوج بقريةٍ من قُراها يُقال لها (السوق) أعلى من (إصبعون) فوق (الروبه)، وكان له بنتان «حماده» و«محموده» فلما مرض جاء المشائخ الذين حَكَّمهم ـ رضي الله عنهم ـ يزورونه، وهم: الفقيه المقدم والشيخ سعيد العمودي وباعمر وباحمران، وقالوا: تُشِيْر إلى أحدٍ بعدك؟. فسكت ساعةً ثم قال: يا أولادي ما استقلّ منكم إلاّ صاحب السبحه وأنتم مشائخ وميراثي أرباع بينكم؛ والبنتان على يديك يا شيخ سعيد. فلما مات قَسَّموا ميراثه

---

(١) عُوْرَه: بضم فسكون ففتح، قرية في الجانب الشرقي من وادي دَوْعَن، وسيأتي ذكرها.

بالقُرعة، فَخَرَج المشعل والقدر للشيخ سعيد، والسبحه والعكاز للفقيه المقدم فكان هو المُشار إليه بالاستقلال، والدلق لباعمر صاحب عوره، والحبوه والبسطه لباحمران، وقُبِرَ الشيخ الصالح بأصبعون. أهـ. وفي قسمة الميراث بين هؤلاء إشكال، لأنه إن أراد السر غَيَّر عليه ذِكْر المقتسمات، ولعل المراد الوصية والسر تبع لما جرت فيه القسمه. ثم إن قوله: يا أولادي، لا يخالف ما نقلوه أن ليس له مشيخه على الفقيه ولا على العمودي، إذ لا مانع من التغليب وتقدم السن.

وفي **ميفعه** باحمران آخر غير الأول، هو من تلاميذ السيد عبد الله باعلوي. وكان في **ميفعه** جماعة من علماء الإباضيّه حسبما يُعرف منه شعر الإمام إبراهيم بن قيس الآتي ذكره في شبام.

أمّا سلطنة **مَيْفَعه** وحَبَّان، فقد كانت في القرن التاسع للدولة الطاهريّة، وأمّا في القرن العاشر فسلطنة حَبَّان للواحدي، ومنهم عبد الواحد بن صلاح بن عبد الله بن عبد الواحد بن صلاح بن رَوْضَان، وهو ممدوح الشيخ محمد بن عبد القادر بن أحمد الإسرائيلي. توفي عبد الواحد المذكور في سنة ٩٩١هـ. وسلطنة **مَيْفعه** لابن سدّةٌ، وكثيراً ماجاء ذِكْرَهُ فيّ ديوان الشيخ عمر بن عبد الله بامَخْرَمه، فمن ذلك قوله يُهيِّج بَدْرَ بُو طُويريق عليهْ:

فـالـمَـرِه زاهـلـه لـلـعـقـد مـا عـاد عـدِّهْ
مـا تُـبـا [1] إلاّ حـصـانَـكْ قُـلْ لـعـبـدك يـشـدّهْ
حَـجْـر فـي شـهـرنـا والـعـولـقـي وابـن سَـدِّهُ

وهو وآل عبد المانع وآل عبد الواحد سلاطين الظَّاهر، يرجعون إلى بني أُميّة في النَّسب. وفي حوادث سنة ٩١٥هـ من «تاريخ شنبل» أن عبد الودود بن سَدَّةُ صال في بَيْحَان، فأفسد ضمراً فيها، ثم لاقاه آل بَيْحَان مع رجوعه فقتلوا مِنْ عسكره أكثر من عشرين، وأخذوا عليه عبيداً وعتاداً وأسلحةً. ومنه في أخبار سنة ٩١٧هـ توفي السلطان العادل عبد الودود بن سدّة.

وينهر إلى **مَيْفَعه** كلٌ من جبال عَمَقِيْن، ووادي هَدَى، ووادي سَلْمون. وكان بينهما وبين وادي حَبَّان جبل يمنع من وصول مائة إليها، ولكن فتحه أحد الملوك

---

(١) ما تُبا: لا تُرِيْد.

السابقين فصار ماء حبان يفيض مع تلك الأودية إلى ميفعه. كذا أخبرني بعضهم عن مشاهدةٍ وانها لأَمَارة مُلْك ضخم وسلطانٍ عظيم. وما بين عطف **ميفعه** المُسمَّى (عطف بالرشيد) **وميفعه** آثارُ مدينةٍ قديمة، يُقال لها (الْهَجْرُ)، كان يُرْوَى: إنها ثاني بلاد ذلك الصقع بعد مدينة شَبْوَةَ، لا تزال آثارها ماثلة، وأساطينها قائمة، وعليها كتابات كثيرة بالمسند، وحجاراتها منجورة، وضخامتها تدل على أنه كانت لديهم آلات غريبة للنقل؛ لأَنَّ نقلَ تلك الحجارة الضخمة لا يسهل للجمال ولا للرجال.

وقبائل مَيْفَعه هم آل بابحر، **ينقسمون إلى أربع قبائل**: آل بالرشيد وآل باقطمي وآل بادَيَّان وآل بافقير، يُقَدَّرون ـ حسبما أخبرني بعضهم ـ بأكثر من ألف وخمسمائة رام. وما سبق من خَرْقِ الجَبل ليس بالكبير في جانب ما ذكره ياقوت[1] في مادة «مَنْدَب» من أن بعض الملوك أراد أن يُهْلِك عَدُوَّهُ فندب الرجال للمندب، وكان جبلاً يحجز البحر. ويمنعه أن ينبسط بأرض اليمن، فقدُّوه فنفذ البحر إلى أرض اليمن، وغلب على بلدان وقرىً كثيرة، وأهلك أُمماً، وصار منه بحر اليمن، الحائل بين أرض اليمن والحبشة، والآخذ إلى عَيْذاب والقُصَير، إلى مقابل قُوْص من بلد الصعيد، وعلى ساحله: أَيْلَةُ وجُدّه والْقُلْزُم، وغير ذلك من البلاد، والله أعلم. هذا آخر كلام ياقوت، وفيه من البُعد ما لا يقبله العقل، لأن هذا البحر المُسمَّى البحر الأحمر قَدِيْمٌ جداً، لأن المسافة ما بين رأس دمار الواقع في أفريقيا والجبل المُسمَّى (المَنْهلي) ـ المنسوب للشيخ سعيد وفيه قلعه ـ تقرب من ثلاثين ميلاً تمخرها كبريات السفن بلا توقف [2]، فما هو إن صح إلاّ أَمْرٌ عظيمٌ لم يصل إليه الغربيون الآن، ولا إلى قريب منه. وظاهر كلام ياقوت أنه لذلك سُمّى (المَنْدب) وسمعت بعض أهل اليمن يقول: إنما سُمَّى المَنْدب لواقعة بتهامه كثرت القتلى فيها فانتشرت الندبةُ فيه، وفي كل ما وراءه من بلدان، فلذلك قيل «باب المندب» والله أعلم.

---

(١) «معجم البلدان» ٥/ ٢٠٩ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) يُقَدَّر عرض فتحة باب المندب بـ ٢٤ كيلو متراً، وتقع وسطها جزيرة ميون التي تفصل باب المندب إلى قسمين: شرقي وعرضه نحو ثلاثة كيلومترات، وغربي عرضه ٢١ كيلو متراً. والسفن تستعمل المضيق الشرقي فقط لأن الغربي تقع فيه مجموعة صخور بركانية تُسمّى الأخوات السبع تعيق حركة السفن وتمنع مرورها من هذا الجزء.

ثم زارني البحاثة المؤرخ سارجنت يحمل كتاباً اسمه تاريخ المستبصر طبع ليدن سنه ١٩٥١ مؤلفه جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدِّمشقي المعروف بابن المجاور فإذا عبارة ضعيفة ومناقضات وتجازيف تطلب كثيراً من البساطة وقد نقل في ص ٩٥ منه عن المفيد بجياش ابن نجاح الحبشي قال إن ذا القرنين لما وجد شدة الحر نقب باب المندب فخرج البحر حتى وقف عرق منه بالقلزم وحصل الفرق بذلك بين العرب والحبش وبنى بعض العرب على جبل المندب حصناً وقال في ص ١٠٦ إنه كان لا يرى من عدن إلا رؤوس الجبال حتى فتح باب المندب فجرى البحر إلى القلزم وعَرُض وانبسط فبانت أرض عدن ومثله في الصفحة ١٠٧ و١١٥ وغير ذلك ودلل في الصفحة ١٠٦ بما أكثره عليه لا له، منه ان شداد ابن عاد لم يبن ارم ذات العماد إلا ما بين اللخية ولحج وبين المعادي التي على طريق المفاليس ولم يكن ثم بحر وإنما استجد البحر بفتح ذي القرنين انتهى مختصراً؛ فإنه لو كان موضع ارم ذات العماد مغموراً بالبحر لما أمكن البناء فيه وقد قال في صفحة ١٤٨ ان **المعادى** قريب من عدن فهل كان قاعاً صفصفاً ثم انغمر بالبحر حتى كان فتح ذي القرنين لباب المندب فعادت إلى حالتها الأولى وسيأتي في العر انه اسم لجبل عدن وقال ابن المجاور في ص ١٠٧ ناقلاً عن تفسير أبي عبد الله الكيساني لما خرج شداد ابن عاد من أرض اليمن طالب أعراض حضرموت ووصل لحج نظر جبل العر في مسافة بعيدة فقال لأصحابه اغدو فانظروا ما دون هذا الجبل فقالوا وادٍ فيه شجر وأفاعٍ عظام وهو مشرف على البحر المالح فنزل بلحج وأمر بأن تحفر الآبار التي يشرب منها أهل عدن وأمر أن ينقر له باب في صدر الوادي واستعان عليه بعفريت من الجن فنقره له في سبعين سنة وتم له الأمر على ما أراد. انتهى باختصار فهذا كله شاهد بأن أرض عدن كانت كحالها اليوم في أيام شداد وهو في غير موضع من تاريخه مصرح بتأخر ذي القرنين عن شداد كما عليه الناس ثم إنه يعَدُّ كما في صفحة ١٤٧ بغرق عدن ورَجوعها لجه من لجج البحر وعلى الجملة ففي الكتاب تجازيف كما قلنا لا تبرك عليها الأبل ولا يُسلَّم بها من يعقل.

مَيْقَع:

هو ساحل يبعد عن البحر بنحو ساعة ونصف في شرقي بير علي، وغربي

برُوم، عليه أرض واسعة، وفيه مياه غزيرة تدفع إليه من حَجْر[1]. وفي أخبار الشيخ عبد الله بن محمد بامخرمه المتوفي سنة ٩٧٢، أن له مدائح في سلطان ميفع سند بن محمد الوداد الثعيري، وقال السيد سالم بن أحمد المِحْضَار. وفي سنة ١٣١٤هـ استولى الجمعدار غالب بن عوض القُعيطي على وادي مَيْفَع، أَخَذهُ بالشراء الصحيح من آل بامزاحم وآل باحفيظ وآل بامَعْبِد، ولمّا علم بذلك آل عبد الواحد رفعوا عليه دعوى في عدن، وطال النزاع ولكنه انتهى بفوز القعيطي. وفي سنة ١٣١٥هـ بنى المصانع والحصون بميفع، وساق الأَكَرَةَ والعُمَّال من الْمُكَلاَّ، وحَصَّنها بالعساكر، وهي بالحقيقة أرض آل عبد الواحد، ولكن القعيطي غلبهم عليها مع ضعفهم. هذا حاصل كلامه باختصار وتلطف، وقوله: غَلَبهم القعيطي، لا يخالف ما قبله من قوله: أَخَذهُ بالشراء الصحيح، لأن الشراء واقع على مُلْكِ اليد، والغلبةُ واقعةٌ على الإمارة، وقلما تؤخذُ إلاَّ غَصْباً، قال المتنبي:

فالموتُ أَعْذَرُ لي والصَّبْرُ أجملُ بي ... والْبَرُّ أَوْسَعُ والدنيا لِمَنْ غَلَبَا

وقال:

من أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلاَباً ... واغْتِصَاباً لم يَلْتَمِسْهُ سُؤَالاً

وقال:

ومَنْ تَكُنْ الأُسْدُ الضَوَارِي جُدُوْدَهُ ... يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً ومَطْعَمُهُ غَصْبَا

وأصل المعنى ـ فيما أحفظ ـ ما أنشده مروان يوم وَثَبَ على المُلك بعد معاوية بن يزيد وهو:

إنِّي أَرَى فِتْنَةً تَغْلِي مَرَاجِلُهَا ... والْمُلْكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلٍ لِمَنْ غَلَبَا

وأرض مَيْفَع صالحةٌ للزراعة بكثرة مائها وحُسن تربتها، فهي مظنة ارتفاع مائل، إلا أنها موبؤة، قلَّ من أقام بها إلاّ زارته الحُمَّى من دون حياء ثم لم تفارقه حتى تورده شَعُوبَ، ولكن ما أظنه يصعب مع تقدم الطب في الأيام الأخيرة أن يُعَالَجَ هَواؤها حتى يُصِحَّ، فتنبعث نيةُ السلطان لعمارتها، حتى يتوفر

---

(١) مَيْفَع: وادٍ في ساحر حضرموت، أسفل وادي حَجْر، تصب إليه أغلب مياه نهر حَجْر ثم يذهب إلى البحر عند رأس الرجيمة وحصن بن طالب. وعلى إمتداد نهر وادي ميفع توجد قُرى كثيرة تُشكِّل في أعمالها مديرية من مديريات محافظة حضرموت.

على الخزينة رِبْحٌ عظيم، ومالٌ كثير، تنتعش به البلاد، وينتفع به العباد، إنْ لم يَؤُلِ الأَمْرُ إلى مثل قول الرصافي:

هو ملك مشرقيُّ الضَّرْع غُرْبيُّ الملابن

وفي أخبار سنة ٩١٦ من «تاريخ باشَرَاحِيْل» أن ابنَ سَدَّة أغارَ على ميفع، وَنَهَب عبيداً وبهائم، ثم لاقاه ابنُ دَغَّارٍ إلى نحو «عين بامَعْبِد» فانهزم ابنُ دغَّار انهزاماً فاحِشاً، فأُسِرَ، وقُتل من قومه نحو خمسة عشر وأُسِرَ الباقون.

حَجر:

ذُكر في «التَّاج» وأَصْلِهِ: حَجْر ذِي رُعَيْن، من حِمْيَر، وحَجْرُ الأُزْدِ قال: وباليمن موضع يُقال له حَجْرٌ على مسافة عشرة أيام من زَبِيْدَ، وهو المذكور في قول مُهَلْهل:

ولَوْلاَ الريْحُ أَسْمَعَ مَنْ بَحَجْرٍ صَلِيْل البَيْضِ تَقْرَع بالذُّكُوْر

وكانت الواقعةُ بالذَّنَائِبِ، وهي على مقربة من زَبِيْد، وعلى هذه الواقعة هي التي كثرت على هلكاها الندبة فيما تقدم. ولا أدري أحجْرٌ هذه بِضَم الحاءِ أم بفتحها، ولكن ياقوت يقول[1]: قال أبو سعد: **حُجْر**، بالضم، اسم موضع باليمن؛ إليه يُنْسَب أحمد بن علي الهُذَليُّ الحجري. وأطال في **حَجْرِ** اليمامة وهي عاصمة نجد واسمها اليوم الرياض وإليها الإشارة بقول عروة بن حزام في نونيته المشهورة:

جعلت لفراق اليمامة حكمه وعراف حجران هما شفياني

وقول جحدر بن مالك الحنفي:

فيا أخويّ من جشم بن سعدٍ اقلا اللوم ان لم تنفعاني

إذا جاوزتما سعفات حجر وأودية اليمامة فانعياني

وقول النابغة:

وهم قتلوا الطاءي بالحجر عنوةً أخا جابر واستنكحوا أم جابر

---

(١) «معجم البلدان» ٢/٢٢٣.

وقول زهير:

لمن الديار بقنة الحجر

وانكر أبو عمر أن يكون المراد من هذا قصبة اليمامة وقال لأن ال لا تدخلها لكن قال الجوهري الحجر بالفتح قصبه اليمامة يذكر ويؤنث وبيتا زهير والنابغة يؤيدان ما قال لأنهم كثيراً ما يدخلون الة التعريف على الأعلام كما في قوله: «وجدت الوليد بن اليزيد مباركاً» وهذا يتنزل عليه وقال في صبح الأعشى ومن بلاد اليمامة حجر بفتح الحاء وسكون الجيم وراء مهملة في الآخر وهي في الغرب عن مدينة اليمامة على مرحلتين منها وبعضهم يجعلها قاعدة اليمامة وبها قبور الشهداء الذين قتلوا في حرب مسيلمة الكذاب اهـ وهو في هذا ناقل عن المشترك ويأتي في السفيل من قرى وادي العين ذكر سوق حجر وفي ص ١٢٩ ج ٤ من الخزانة أن قوله: لمن الديار بقنة الحجر.. ليس لزهير وإنما انتحلها حماد لمّا سأله المهدي عن المشار إليه بقول دع ذا وعد القول في هرم فانتحل الأبيات الثلاثة التي قبله. وهي غير التي نحن بِسَبيْلها. وقال الطيبُ بامخرمه[1]: وحَجْرُ، بفتح ثم سكون، قال القاضي مسعود: هذا الاسم مشترك بين موضعين أحدهما (حَجْرُ علوان) وهو وادٍ باليمن، فيه قرى وحصون، طيِّبُ الماء والهواء والتُربة. والثاني (حَجْر ابْن دَغَّار) الكِنْدِيُّ، وهو كثير الماء والنخيل، له غِيَالٌ لا تنقطع، وهي وَخِيْمَةٌ جداً بضدّ الأولى .أهـ[2]. وهو صقع واسع، كثير المياه والنخيل، ومن مدنه: كَنِيْنَه، ومَحْمَده، ويَوْن. ومن نواحيه الخصبه المكان المُسَمَّى بـ (الصداره)، فيه نحو مئة عين نَضّاخة، ولا يزال آل أحمد بن هادي الواحدي

---

(١) «النسبة إلى البلدان» مخطوط.

(٢) حَجْر رُعَيْن: منطقة وقبيلة في وادي بَنَا من مديرية السَدَّة وأعمال محافظة إبّ، منها المؤرخ العلامة القاضي محمد بن أحمد الحجري. أما حَجْر ابن دَغَّار، فهو وادٍ عظيم في أعلا وادي مَيْفَع، يُشَكِّل في أعماله اليوم ـ مديرية من مديريات محافظة حضرموت. ويعتبر وادي حَجْر من أخصب المناطق وأكثرها ماء. وعلى امتداده تُوجد قُرى بها مساحات واسعة من الأراضي الزراعية حيث تخزر الحياة النباتية وحقول الذرة والسمسم والبلح التي تُرْوَى من قنوات تستمد مائها من ينابيع وعيون لا تنقطع. وفي الوادي أكثر من مليون شجرة نخيل، لذلك أطلق البعض على الوادي اسم (وادي النخيل). ومن أهل قُرَى المديرية: كَنِيْنَه، مَحْمَده، القاره، الجَوْل، يَوْن، قَشْن، يبعث، مِشَاط، مدهون، الصدارة، وما يحمل إسم (حجر) من بلدان في اليمن كثير أنظرها في كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

يَدَّعُوْنَ لهم حقوقاً فيه، فلم تُسْمَعُ لهم دَعْوَى. وفي غربي حَجْر جبال فيها المكان المعروف بـ (صِيق العِجِر) تبعد عن يبعث في غربيه بنحو ساعتين. وهو الذي قُتِلَ فيه السلطان عبود بن سالم الكثيري غدراً، قتله أحد آل خليفه، وكان خفيراً معه؛ بجعالةٍ وَقَعت له من جانب القُعيطي حسبما فُصِّل بالأصل. وفي شماله (لبنَةْ بَارشيد) بأَعْلى الجبل الَّذِي يَنْهَرُ إلى حَجْرٍ، وهي الحد الفاصل ما بين الدِيَّن ونوَّح. ومن ورائها: رَيْدَةُ الدِيَّن، وسَيْبَان، وجبال دَوْعَن، وجبال نُعمان. وفي شِعر الإمام إبراهيم بن قيس الأباضي - وهو من أهل القرن الخامس - ذِكْرٌ كثير لابن دَغَّارٍ المنسوب إليه هذا الوادي، منه قوله:

سَيَعْلَمُ دَغَّارُ بْنُ أَحْمَدَ والْفَتَى ... سُلاَلَةُ مَهْدِيٍّ وُكُلُّ مُخَالِفِ

إذَا نَزَلَ الْمُسْتَنْصِرُوْنَ بِجَحْفَلٍ ... يَهُزُّوْنَ بِيْضاً كَالْبُرُوْقِ الخَوَاطِفِ

والظّاهر أنه **أبو حَجْر** الذي **يُنْسَب إليه هذا الوادي**. وفي مسودةٍ بقلم ضعيفٍ أن بلاد (مدوره) الواقعة بين لازم والسور كانت بلاداً قويَّةً معمورةً، **أمّا ملوكها فهم**: إبْنُ دَغَّارٍ، وبابقي، والصَيْعَر، وابن دخياخ. وأمّا سَوقَتها فَهُمْ: باصغار، وبامحفوظ، وآل شِحْبل، ثم لمّا طغوا سلَّط الله عليهم النَّهْدِيّ، وأَتَى لهم بابن سهل من القِبْلِة، فدمروها تدميراً، وهرب ابن دَغَّارٍ وباقي أهلها، وسكنوا (خرايت سباي) فسلّط الله عليهم الجوهي، وطَرَدهم، فانتقل ابن دَغَّارٍ إلى حَجْرٍ، واستولى على: باحوته وباحيوته[1]، واتخذها له موطناً، ثم جاء مركب من مسيطبة إلى حصن الغراب، فمات رُبَّانُهْ فأخذه ابنُ دغَّار، واتخذ المسيطبة الذين به عسكراً. فهؤلاء الحَجُور ذُرية أولئك، ثم إنَّ ابن دَغَّار قَهَر الدِيَّن والمشاجرة، وأخذ منهم العشور، ومَلَك دَوْعَن، وطغى، فتقلّص مُلْكَهُ من دَوْعَن. ولمّا أيقنَ بالزوال ختَم الأنهارَ بالخشب، ثم بالرصاص الكثير المُذاب، وكان الذي خَلَفَهُ: على الرشيد وطائفه من دَوْعَن آل بالَحْمَان. وتاريخ زوال ملكه عن دوعن - حسبما يُفهم من تلك المسودة - في حدود سنة ٧٨٢هـ. وعن بارضوان عن «شجرة الأنساب» لأبي الحسن الأشمري أن بني دَغَّار بقرية مدوره[2]. أهـ. وفيه تأكيد لبعض ما تقدم. وفي ترجمة الشيخ مبارز بن غانم

---

(١) حُوته: قرية صغيرة بذات وادي حَجْر، فيها «عَقَبة حُوته» الطريق الموصلة بين: مَيْفَع والصدارة.

(٢) مَدُوْره: بفتح فضم، أطلال قديمة في منطقة قريبة من بجران - أنظرها في موضعها من هذا الكتاب.

الزبيدي من «طبقات الشرجي»[1] أنه انتقل إلى **حَجْر** وهي جِهَة متسعة، تشتمل على قرى ومزارع، خرج منها جماعة من الصالحين، وابتنى بها رباطاً لم يزل به حتى مات هناك، وقبره مشهور، وكانت وفاته ـ حسبما يُفْهم من السياق ـ في العقد الثامن من المئة السابعة.

وهذا الاسم وإنْ كان مشتركاً بين **حَجْر** عَلْوان وحَجْر ابن دَغَّار فهو إلى الثاني أقرب، لأن إنتقال الشيخ مبارز إليها كان من عند الشيخ أحمد بن أبي الجعد بِأَبْيَنَ، وهي إلى هذه أَدْنَى ثم أخبرني من أثق به أن **حَجْر** علوان في قَعْطَبه على مقربةٍ من الضالع وأبْيَن فهو المُراد إذاً والله أعلم.

وبعد أن تقلّص مُلك ابن دَغَّار من دَوْعَن وَهَتْ أسبابه في **حَجْر**، ولم يزل في التلاشي حتى اضمَحَلَّ مُلْكَهم[2]، وخَلَفَتْهُ عليها: (نَوَّح) وهي من سَيْبَان. و(سيبان) كما في «بغية» شيخنا المشهور نقلاً عن الغسَّاني: من ولد حَضْرَمَوْت بن سبأ، وهو شَعْب كبير، تتفرع منه عدة قبائل، منهم: الحالكه تشمل بِلَّحمر، وبانَخْر، وباسَعْد، وهم نحو أربعمائة رام، ومنهم الخامعه تشمل باصُرَّه، وباقديم، وباسلّوم، وبارشيد، نحو ثلاثمائةً، وخمسين رامياً، ومنهم المراشدة يدخل فيهم آل بادحيدوح، وآل بابعير، وباصريح وباكردوس، وباضروس، نحو خمسمائة رام، ومنهم القشم يدخل فيهم آل بامغرومه وبن مقدم والباصقع وبن علي بن مسلَّم، نحو ثلاثمئة رام. ومنهم آل باخشوين لا يزيدون عن ستين رامياً، ومنهم باعمروش نحو عشرة رُماه، ومنهم السموح وهم الجهضمي [3] وباوسيم، وعددهم قليل [4]. وأكثر هذه القبائل بدوعن وجبالها وما حواليها [5]. ومن سيبان الإمام العظيم ـ أحد علماء الإسلام ـ أبو عمر عبد الرحمٰن بن عمرو بن

---

(١) «طبقات الخواص» ص ٢٦٣ ـ ط الأولى، دار المناهل بيروت.

(٢) جاء في هامش الأصل: (بقيت منهم فرقتان في حَجْر، يُقال لأحدهما آل فارس، يسكنون الآن في ميفع ولا يزيدون عن خمسة عشر رجلاً، منهم الشيخ سعيد بن طالب، والأخرى: آل بن يُمَيْن وعدتهم نحو ثلاثين رجلاً، يسكنون قريةً صغيرةً تبعد خمسة أميال عن جول باحيره، يُقال لها: الحسين).

(٣) والشاكعه وبامنصور والجوداني والغويثي والحسنّى.

(٤) ومُقَدَّم السموح أو السماح بأسرهم الآن حسن باعمر.

(٥) ومساكن السماح روبه وهي على مقربه من لبنة بارشيد وحنور ومسائل الصيوق. وهذه كلها نجود يدفع ماؤها إلى حَجْر، ومن مساكنهم يُوَنْ وهي سبع قرى فوق أعلى وادي حجر.

محمد الأوزاعي، كما في السين من كتاب «المُغني في النسب» للعلامة الفتني.

وقال الطيب بامخرمه: سيبان بطن من حِمْيَر، وَوَهِمَ الذهبيُّ فجعلهم من مرَادٍ. أهـ. والطيب جعل سيبان بَطْناً، والعمارة أكبر منه، والقبيلة أكبر من العمارة، ونحن ذهبنا بها بعيدة فجعلنا سيبان شَعْباً تتفرع منه تلك القبائل التي لا تُعَدُّ إلاّ أفخاذاً أو فصائل على ما ذُكر، ولكن لا مشاحة في مثل ذلك، ولا سيما مع تطاول الأيام، وكثرة التوالد، ومهما يكن من الأمر فإنه قريب. وعندما جاء ذِكْر أعقاب السيد عبد الرحمٰن بن علوي الخواص الجِفْري من «شمس الظهيرة» أشار إلى أن بعضهم **بحجر** العوالق، ومنه يُفْهَم أن هناك حجراً ثالثاً، إلاّ أنه خفيٌّ لا شهرة له، وقد علمتَ مما سبق عن الطيب بامخرمه أنّ حَجْر بْن دَغَّارٍ كِنْديٌّ النسب، ليس من سيبان في رُطْبٍ ولا عِنَب. وفي **حَجْر** موضع يُقال له (الواد) زعم بعضهم أنه المراد من قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾، وقد يُسْتظهر له بقربه من حصن الغراب، وبما حواليه من الآثار الموجودة، والحجارة المنحوتة، والله أعلم.

وبِعَقِب ما اشترى السلطان غالب بن عوض القُعيطي أرض ميفع ـ بالنيابة عن أبيه ـ اشتدَّ طمعُهُ في حَجْر، إلاّ أنها تمنّعت عليه بِعَقْبةٍ كأداء لا طريق لها إلاّ منها، فكلما أرسل القعيطيُّ بجيش كَمَنُوا لهُ في مخاربها فأبادوهُ أو كسروه على الأقل. حتى لقد جهز لهم ثلاثة ألف مقاتل بزادهم وعتادهم فلما كادوا يتسنموا تلك العقبة وايقنوا بالظفر سيروا بالكتب للسلطان غالب بن عوض فأمر بإطلاق المدافع ودفع شارات الأفراح ولكن نوح نذرت بهم فتداعت عليهم وهزمتهم وقتلت ثلاثين وأسرت ثلاثين وفر الباقون وكانت معداتهم غنيمة لنوح وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا حجر ريضي وارقبي واستأمني ... ما داموا أصحابش يديرون النقوس

إلا ان بغيتي اليافعي من خاطرش ... انا عليّ العقد وأمسي له عروس

والمراد بالنقوس البارود ولمّا لم يكن لِنَوَّح ذَرْعٌ بالمطاولة وكان السلطان عوضُ قويّ العزيمة، شديدَ الشكيمة ـ لا تنفسخ له نيّه من هزيمه ـ أخَذَ يوالي الزحوف، ويبذل الألوف، ويشتري ما يقدر عليه من الضمائر حتى انقطعتْ أسباب نوّح وتعطلت معايشهم، فنجعوا لتحكيم السيد حسين بن أحمد العطّاس صاحب عِمد، والسيد أحمد بن حسن العطّاس صاحب حريضه. وفي القعدة من

سنة ١٣٢٨هـ توجه السيدان؛ وكان الأول محمولاً على الأعناق، لضعفه، وكبر سنه، فَحَكما بأن جميع وادي حَجْر ونواحيه (كَبِيْنَه) و(مَحْمدَه) و(يَوْن) وما تعلّق بها، يكوْن تحت سلطنة السلطان عوض بن عمر وأولاده غالب وعمر وصالح، وما تناسلوا، فلهم سلطان الأرض، ولِنَوّح إعفاء أموالهم الخاصة من جميع الرسوم الدوليّة، فلا عشور ولا مكوس عليهم، ولا على مناصبهم: آل البيتي، وآل العطّاس، وآل باراس، وآل الشاطري، وبافقيه، وباعلوي، وابن مالك، وعَلى أن يَبْقى عُشور الشيخ سعيد بن عيسى العمودي **بِحَجْر** على حاله، وعلى قبائل نَوَّح أن يضعوا رهائن من أولادهم للوفاء بذلك؛ من كل قبيلة، وهم: بامسعود، وبافقاس، وبادبيان، وبارشيد، وهذه هي أقوى قبائلهم، وفيها رئاستهم العامة، وعلى أن تكوّن الرهائن بنسبة القبائل كثرةً وقلةً، وكتب بينهم في ذلك عدة وثائق موجوده بِنَصِّها في الأصل. وبتمام الأمْر انتهت البشارةُ إلى السلطان عوض بن عمر، وهو على فِراش الموت، فَقرَّت عينه، ولم يسلم روحه لبارئها إلاّ مَثْلُوج الصدر من جهة حَجْر بارد الفؤاد، وكان اهتمامه بها يشغل أكبر موضع من باله، حتى لقد قال في حَجِّهِ وهو متعلق بأَسْتارِ الكعبة في سنة ١٣١٧هـ (أخبرني بذلك السيد حسين بن حامد المحضار) قال: أتوبُ إليك يا ربِّ من كل ذنب إلاّ من **حَجْر** وحضرموت.

ولآلِ **حَجْرٍ** عوارضُ قوية في الأَشْعَار العاميّة كما يُعرف مما مر، أخبرني السيد حسين بن حامد المحضار؛ بأنها كثيراً ما تحصل المهادنات بينهم ـ أثناء الحرب ـ فيتبادلون الزيارات بين الأراجيز ودَوِيِّ البنادق، وإن كان الواحد ليرتحل العشرين بيتاً فلا يرتجزون إلاّ بالآخير منها، ومن أشعارهم الدالة على الإِبَاءِ قول أحدهم:

والقعيطي نطح بالراس لمّا تكسر ... جاه ختتوب من حرب النمر في صنيفه

والسر انه عشا نَوّح ومبقى ضحاهم ... حاملين البنادق والمقاضِ اللطيفه

واللِّقَا والوفا والْوَعَدْ إلى رأس حوته ... بانُعَارِضُه بانَلْقَى حراوه وضيفه

لَوْ يقع من مئة مقتول في قبر واحد ... والنبي مالتوت يَدُّه لعقد الشريفه

فَبُقيُت ـ من هذا ـ حزازة في نفس السيد حسين بن حامد لم يستطع أن ينفث بما يُشفي صدره في جوابها إلاّ ليلة دخولهم إلى المُكَلاّ بعد إبرام المعاهدات فقال:

قالُوا لي اليوم الشَّرِيفة وكَّلَتْ ... من بعد ما غلبتْ وصاليها غَلَبْ

بيدي عوادي شاربين المسكرة ... حملوا على حُوْتَه وحلفوا في السلب

وحُوْتَه هي العَقَبة الكأداء التي أعجزتهم عن أخذِها عنوةً [1]، ولكن طفقوا يُفْتِلُون في الذُّرى والْغَوارب حتى وَطَّأوْا أكنافَهم بالبذل، ولهذا أجابه بعضهم قبل أن يُبْلِعهُ الرِّيْقَ بما نَسِيْتُه في هذا المعنى [2]، وكادوا يتواثبون إِثْرَ تلك المراجعات بالأراجيز الحارّة ولكن هَدّئهم المناصب، وأخبرني السيد حسين بن حامد أنه قال في أحد مراجزه لهم في هدنة ذات الأيام:

يا حَجْر ابْنِ دغّار ماشِي معذره ... لَوْبَا نُرَادَفْ في المقابر من ثنين

إن عاد شي تركوب وإلا تبصره ... ولاّ مع الله يالمطابق والكبين

فأجابه أحدهم لا عن ذُلّ، ولكن خضع الجناحَ شيئاً بما جُبِلُوا عليه من كرم الضيافة فقال:

حيا وسهلا بالوجيه الزاهرة ... بالسَّيِّد المحضار بن حامد حسين

أنتوا وصلتوا والبشارة ظاهره ... والزين يخرج منه إلا كل زين

قال: فأخجلني بهذا اللطف، لأني نزيلهم على ضيافتهم، مع أنه لم يخضع صريحاً لا سيما والبشارة محتملة للطرفين، والمساجلات التي بينهم تدخل في جزء، وعلى السنة الرواة منها الشيء الكثير، وقال شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة»: وللسيد أبي بكر البيتي بن إبراهيم بن السقاف عَقِبٌ منتشر بِحَجْر وكَنِيْنَه ومَحْمَده، وفيها ـ أيضاً ـ أن للسيد أبي نُمَيٍّ بن عبد الله بن شيخ بن علي المندرج أعقاباً بِكَنَيْنَه ويون، وفيها أن لعلوي بن عبد الله بن علوي بن أحمد بن محمد بن أحمد الكاف عَقِباً بحجر وكنيته. وفيها: وأمّا عمر الجِفْرِي فذريته بحجر. وفيها: أن عبد الله بن محمد بن عبد الله التريسي بن علوي الجفري الخواص له ذُرِيّة بِرَدَاع وحَجْر، وكان نجوعهم من حَجْر إلى رَدَاع في طلب العلم، ثم هاجروا في طلب العيشة إلى السواحل الأفريقيه، ففي بمباسه جماعةٌ منهم السيد علوي بن شيخ الرداعي، وفي (السومال) الإيطالي ناس منهم السيد علي بن صالح بن

---

(١) عَقَبة حُوته: هي الطريق الموصلة بين ميفع والصدارة.

(٢) لم تنفك الأسلحة ولا الرجال وإنما نفعك ما بذلته من المال.

حامد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد الله التريسي. وفيها: أن عبد الله الأعين النَسّاخ بافقيه بن محمد عَيْدِيْد له ذُرِيّة بحجر، وكنينه، وبكنينه كانت خزانة ملأى بالكتب الخطية النفيسة للشيخ العمودي، ولكن أخبرني من رآها ـ بالآخرة ـ أنه لم يبق بها من تلك الأعلاق إلاّ ما لا يستحق الذِكر، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله. وفي كنينه ناس من آل العمودي، منهم الشيخ محمد بن عوض العمودي، نهشته أفعى في رجله فَوَرَمت فأشار عليه الطبيب بقطعها، ففعل، وكان ذلك سبب عكوفه على العلم حتى حَصَل منه جملةً فَأَفَاد واستفادَ وكأنه في قصته شبه بعروة ابن الزبير[1]. ومنهم آل بن دحمان كانوا بكنينه ثم انتقلوا إلى مَحْمَده، ثم نجع أحمد بن دحمان وأخوه عمر إلى السواحل الأفريقية.

وأكثر حاصلات حَجْر التمر، فالذي يخرج منها زائداً عن حاجات أهلها شيء كثير. ومن الغرائب ـ كما حدثني الثقة السيد عبد الرحمٰن بن حامد المحضار ـ أن الغراب لا يتعرض لثمار **حَجْر** بِسُوْءٍ أبداً، ومن عادتهم إباحة التمور التي تتساقط بعصف الرياح، وأن لا حَرَج على أيِّ إنسانٍ تسلُّقَ أي نخلةٍ أراد للأكل فقط أمّا أَخْذُ شَيْءٍ إلى المنزل فممنوع.

بَرُوْمْ:

هي مرسىٰ حصين من عواصف الرياح، أحصن من مرسىٰ المُكَلاَّ على حصانته، فإليه تأوي السفن عند إضطراب الأمواج، وهيجان البحر، وهو واقع بين مَيْفَع والمُكَلاَّ[2]، قال الطيب بامَخْرَمه: **بروم** بلدةٌ بين الشِّحْرِ ومَيْفَع، على ساحل البحر، كانت بلدة قديمة من أعمال فوّه يُجْلَب إليها الصبرُ السُقَطْرِي، وكان بها قلعه تُسمّى (عُرْنَه) ـ بضم العين المهملة وسكون الراء ـ وهي ردية الماء، وأكثر أهلها المتقدمين صيادون. أهـ. وفيه شاهد لأَنَّ المُكَلاَّ لم تكن إذ ذاك شيئاً مذكوراً وإلاَّ لأشار إليها. وإلى **بَرُوْمُ** يُنْسَب السيد حسن بن محمد بن علوي بن عبد الله بن علي بن عبد الله باعلوي، وقد تَرجَم في «المشرع» لابنه

---

(١) عُروَة بن الزُبَير: تابعي وأحد فقهاء المدينة السبعة. توفي سنة ٩٣هـ. وهو أخو عبد الله بن الزُبَير.

(٢) يبعد ميناء بروم عن مدينة المكلا ـ غرباً ـ بمسافة ٢٠ ميلاً. ومدينة بروم ـ اليوم ـ هي عاصمة مركز إداري من أعمال مديرية المُكَلاّ، ويضم المركز مجموعة قُرى أهمها: فُوّه، بَوْر، ظلومه، حصيصه، الباردة، نتيشه، الخبة، وغير ذلك.

أحمد بن حسن، وذكر أنه هو الذي عمّر مسجد آل جديد بِتَرِيْم، وأنشأ له بركةً في سنة ٩١٩ فَنُسِبَت إليه، فهو اليوم يُعْرَف بمسجد بروم، وتَرجم في «المَشْرِع» أيضاً لابن حفيده وهو عبد الله بن محمد بن أحمد بن حسن بروم المتوفي سنة ١٠٣٩، **ولبروم** هذه ذِكْر كثير في الحروب الواقعة بين الكسادِي والقُعَيْطي، وهي أول مَا رَسَت بها سفائن النجدة التركية في سنة ١٢٦٧ التي كان على رأسها شيخ السادة بمكة، السيد إسحاق بن عَقيل بن يحيى. ومن أعيان **بروم** في القرن الثامن: العارف بالله الشيخ مزاحم بن أحمد باجابر، أخذ عنه سيدنا الإمام الكبير الشيخ عبد الرحمٰن السقاف، المتوفي بتريم سنة ٨١٩، وفي الحكاية (٣٠٤) من «الجوهر» للخطيب عن عبد الله بن نافع بن أبي منذر قال: لمّا وَقَعت الفتنةُ في بلادي الهَجْرَيْن سرت إلى بروم عند الشيخ الكبير مزاحم بن أحمد باجابر، فَأَحَبّني، وسَارَ بي إلى أَحْوَر، وكانت مع الشيخ خيمةً من سلطان اليمن فلمّا وصلنا أَحْوَر نصبنا تلك الخيمة، ومضى الشيخ مزاحم لبعض شأنه، فسألني بعض السادة عن حالي في بروم، فقلت له: ما رأيت أنجَس منها ولا من ساحل بَرْبَرَه. أهـ. أمّا الذي أهدىٰ الخيمة للشيخ مزاحم من ملوك اليمن فيحتمل أن يكون الأفضل عباس بن المجاهد علي، لأنه كما في «التاج» استولى على المُلك في سنة ٧٦٤ ومات في سنة ٧٧٨، أو الأشرف إسماعيل بن الأفضل، وكان تولّى بعد أبيه إلى أن مات سنة ٨٠٣، أو ابن الأشرف الذي بقي على اليمن كما في «صُبح الأعشى» إلى سنة ٨١٢، وأقرب ما يكوْن الأشرف إسماعيل، لأنه كان مُحِبّاً للعلم والعلماء. وفي الحكاية (٣٤٤) من «جوهر الخطيب» عن السيد أحمد بن الشيخ علي بن أحمد باجابر قال: كنت إذا اجتمعت بعمّي الشيخ مزاحم يُثْنِي عَلَى السيد عبد الرحمٰن السقاف، ويقول: إنه القطب، وكان ذلك قبل سنة ٨٠٥، وقال السيد علي بن حسن العطاس في «سفينة البضائع»: وفي سنة ٨٨٧ توفي الشيخ الأجل، ذو الأخلاق الرضية أبو الغيث عبد الرحمٰن بن مزاحم **ببروم**. وسيأتي في عَنْدل ـ من أطراف وادي عِمِد ـ التعريفُ بنسب الشيخ مزاحم لأنه هو وآل جابر ـ أصحاب عندل ـ من قبيلةٍ واحدة، وسيأتي في الشِّحْرِ ذِكْر أحد علماء آل مزاحم باجابر، وهو الشيخ محمد بن عبد الرحيم. وفي أواخر الجزء الأول من الأصل عن قصيدة للشيخ عمر بامَخْرَمه ما يشهد لأن **بروماً** كانت للحبوظي ثم صارت لعلي بن عمر الكثيري، وذلك حيث يقول للسلطان عبد الله جعفر:

خـاطـر كـمـا خـاطَـرْ عـلـى جـدّك وخـاض أغـمـارهـا
حـتـىٰ سـكـن بـعـد الـجـبـوظـي فـي بـروم أخـتـارهـا

المُكَلاَّ:

هو إسم دالٌ على مُسَمَّاه إذْ جاء في مادة (كلأ) من «التاج»: وأصله أن الكلأ كَكَتَّانٍ مَرْفَأ السفن، وهو عند سيبويه فَعَّالٌ مثل جَبّار، لأنه يَكْلأُ السفن من الريح، وساحل كُلٍّ نَهْرٍ كَالْكَلأ مَهْمُوز مقصور. إنتهى باختصار ومنه تعرف أنه عربي فصيح، لم تتصرف فيه العامَّة على ممر السنين إلاّ بالشيء اليسير. وكانت خيصةٍ لبني حسن والعكابره، وملجأ تعوذ به سفائن أهل الشِّحْر والواردين إليه من الآفاق، عندما يهتاج البحر في أيام الخريف، لتَأْمَنَ به من عواصف الرياح، لأنه مَصُوْنٌ بالجبال، بخلاف ساحلِ الشِّحْرَ فإنه مكشوف، وقد اتخذ الصيادون به أكواخاً، ففرضت عليهم العكابره ضريبةً خفيفة، إزاء استيطانهم بها، لأنها من حدود أرضهم، ثم ازدادت الأكواخ، واستوطنها كثير من العكابرة أنفسهم، وناس من أهل رُوكبْ، ويقال: إن آل الجدياني - وهم من يافع - مَرُّوْا بها في أواخر سنة ٩٨٠ مجتازين فأعجبتهم، فاستوطنوها، وصار أمر أهل تلك الخيصة إلى رئيسهم يشاورونه في أمورهم، حتى صار أميراً عليهم، وكان كبير آل كساد - واسمه سالم - موجوداً **بالمُكَلاَّ** إذْ ذاك، فاغتال الجدياني، واستقل بأمر المُكَلاَّ، ثم جاء سالم بن أحمد بن بحجم الكسادي، ومعه ولده صلاح وأخوه مقبل، فاغتالوا سالم الكساديِّ في البِيْر المعروفة إلى اليوم ببير بَشْهر، واستولى سالم بن أحمد بن بحجم على البلاد، وحكمها سنةً ثم مات، وخَلَفَهُ عليها ابنه صلاح، ثم مات وله ثلاثة أولاد: عبد الرب وعبد الحبيب وعبد النبي. وكان النفوذ لعبد الحبيب، لأنه الأكبر، ولمّا مات خَلَفَهُ أخوه عبد الرب، وبقي يحكم **المُكَلاَّ** إلى أن توفي سنة ١١٤٢، وخلفه عليها إبنه صلاح، فأخذ محمد بن عبد الحبيب ينازعه حتى إتفقوا على تحكيم صاحب عَدَنٍ، فركبوا إليها **فَقَضَى بها لمحمد بن عبد الحبيب**، فسافر صلاح وأخوه مطلق وعمهم عبد النبي إلى السواحل الأفريقية، وبقي محمد عبد الحبيب يحكم المُكَلاَّ. وفي أيامه بُنِيَتْ حافَةُ الْعَبِيد، وسُمِّيت بذلك، لأن أول ما بُني بها بيت لِعَبِيد آل كساد، ولمّا مات محمد عبد الحبيب في سنة ١٢٠٧ قام من بعده ولده صلاح بن محمد بن عبد الحبيب، وكان عمه عبد الله بن عبد الحبيب ينازعه الإمارة، ولكنه تغلّب عليه بمساعدة عمه علي بن عبد الحبيب، وبقي على حكم **المكلا** إلى أن مات في سنة ١٢٩٠هـ، وقام بعده ولده

عمر بن صلاح بن محمد بن عبد الحبيب بن صلاح بن سالم بن أحمد بن بحجم الكسادي. وكان صلاح في أيامه استدان مئة ألف ريالاً من عوض بن عمر القُعَيْطي في سنة ١٢٨٥هـ، وهي حِصَّتُهُ في نفقة غزوة المحائل عَامَئِذٍ، وبأثر موته وصل عوض بن عمر من الهند إلى الشِّحْر، وأقام بها شهراً، ثم سار إلى **المكلا** بهيئة التعزيه، وبعد أن اجتمع له بها من عسكره نحو ثلاثمائة دخلوا إرسالاً، طالَب بذلك الدَيْن، فَسَفر الناس بين عمر بن صلاح والقعيطي على أن يحتل القعيطي ناصفَة المُكَلاً إلى أن يستوفي ماله من دين، ولكن عمر بن صلاح استدعى عسكره من كل ناحية، وأذكَى نار الحرب، وعندما أحسَّ القُعيطيُّ بالهزيمة استوقف الحرب، ونجا بنفسه. هذه هي إحدى الروايات في (إمارة آل كساد) على **المُكَلاَّ**. والأخرى أنه في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل الثاني عشر ورد **المُكَلاَّ** أحد آل ذِي ناخب ـ وهو جدّ آل كساد ـ وبمجرد ما استقرت قدمه **بالمكلا** اتجهت همته للتجارة والمضاربة مع أهل السفن، ثم اتفق هو وإياهم على شَيْءٍ يدفعونه إليه، برسم الحراسة، يعطي العكابرة وبني حسن بعضه، ويستأثر بالباقي إلى أن استقوى أمره، وضعف أمر أولئك، وانشق رأيهم، فما زال يتدرَّجُ حتى صار أمير المُكَلاَّ. (والثالثة) عن الشيخ المعمر أحمد بن مرعي بن علي بن ناجي الثاني، أن صلاح بن سالم الكسادي كان بِغَيْلِ ابن يُمَيْن، فكثر شَرَّهُ فطرده اليافعيون الشناظير، فالتجأ إلى علي ناجي الأول بن بُريك بالشِّحْر، فأجاره هو وأولاده عبد الحبيب وعبد الرب وعبد النبي، وكانت لصلاح بنت تُدْعى عائشة، جميلة الطلعة، استهوت قلب علي ناجي، فطلب يدها، واستاء آل بريك من بنائه عليها، لما يعلمون من شيطنة صلاح، وخافوا أن يستولي بواسطة بنته على خاطر السلطان علي ناجي، فيَتَنَمَّر لهم، فبيّتوا قتل صلاح بن سالم الكسادي، فَنَذر بهم علي ناجي، فذهب به إلى **المُكَلاَّ**، وهي إذْ ذاك خيصة للعكابرة وبني حسن، فَبَنى بها السلطان علي ناجي حصناً على ساحل البحر سَمَّاه حصن عبد النبي إحتفاظاً بالاسم لولده، وعاهد أهل **المُكَلاَّ** لعمه **صلاح بن سالم** وأجلسه بها مع عائلته. اهـ. وقد نزع الشيطان آخراً بين **علي ناجي** و**عبد الرب** بن صلاح بن سالم الكسادي، وجاء في «تاريخ **باحسن الشحري**»[1] أن علي ناجي نفى آل همّام

---

(١) هو كتاب «**نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية**» تأليف العلامة الأديب عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر باحسن جمل الليل العلوي. وهو مخطوط نعزم النيه على نشره إن شاء الله.

إلى المُكَلاَّ، فاستنجدوا بعبد الرب بن صلاح ـ صاحب المكلا ـ فجهَّز قوماً التقوا بعسكر علي ناجي في الْحَدَبه [1]، وقُتل محسن بن جابر بن هَمَّام، وانكسر عسكر الكسادي، وغَنِمَ آل بُرَيْك جميع ما معهم. أهـ. وسيأتي في تَرِيْم أن الكسادي لم يجيءْ إلى **المكلا** إلاّ بعد سنة ١١١٧، وفي أواخر سنة ١١٦٣، غزا ناجي بن بريك **المُكَلاَّ** بسبعمائةٍ من الحموم وغيرهم، فلاقاهم آل كساد إلى رأس الجبل، فهزموهم، وقتلوا منهم نحو العشرين، ولم يُقتل من آل كساد إلاّ أربعة، لا تزال قبورهم ظاهرةً برأس الجبل. ولمّا مات صلاح بن سالم ـ على هذه الرواية ـ خَلَفَهُ على **المُكَلاَّ** ولده عبد الرب بن صلاح، ثم أخوه عبد الحبيب، وكان شهماً صارماً حازماً، ثم تولّى بعده ولده محمد، وفي أيامه أخذ آل عبد الرب بن صلاح يدبرون المكايد لاغتياله، فأحسَّ بذلك، فَوَطَّأ لهم كَنَفَه، وكان ذلك في اقتبال رمضان، فأظهر النسك، واشتغل بالعبادة، فخفَّ حقدهم عليه، وهو يعمل عمله ليتغدَّاهم قبل أن يَتَعَشَّوْهُ، وفي الليلة السابعة والعشرين من رمضان هجم عليهم وهم غارُّوْنَ نائمون، بعد أن اشترى ذِمَمَ عَبِيْدهم، ففتحوا له الباب، فأباد خَضَرَاءَهم، وقتل منهم ومن حاشيتهم ثلاثة عشر رجلاً في ساعةٍ واحدةٍ، وهرب من بقي منهم بخيط رقبته إلى السواحل الأفريقية، ولمّا مات محمد بن عبد الحبيب وقعت عصابته على ابنه صلاح بن محمد بن عبد الحبيب، وكانت له محاسن وعدل تام، وشدة قاسية على أهل الفساد، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في ربيع الثاني من سنة ١٢٩٠ وخلفه ولده عمر بن صلاح، وجرت بينه وبين السلطان عوض بن عمر القُعَيْطي خطوبٌ انهزم في أولها القعيطي، ثم استعان بحكومة عَدَن، فاستدعت عمر بن صلاح، وخَيَّرَتْهُ ـ بعد أن أخذت التحكيم من الطرفين ـ بين أن يدفع المئة ألف حالاً أو يتسلم مئة ألف ريال من القعيطي ويترك له البلاد، وبين أن يتسلم بَرُوماً من القعيطي وقَدْراً دون الأول من الريالات، فلم يقبل فأجبروه على الجلاء من **المُكَلاَّ**، فذهب إلى السواحل الإفريقية حسبما فصَّلناه بالأصل، واحتفظوا لأنفسهم مِنَّة كُبرَى على القُعيطي بهذا الصنيع، وكان ليوم سفر النقيب من **المُكَلاَّ** رَنَّةُ حُزْنٍ في جميع الديار، لأنهم كانوا متفانِيْنَ في محبته:

سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنُوْحُ يَتْبَعُهَا ... كأنها إِبِلٌ يَحْدُو بِهَا الحادي

(١) الحَدَبة: من قُرى رَيْدَة المشقاص وأعمال مديرية الشّحر. تقع بالقرب من بلدة: المَقَد.

والناسُ قَدْ مَلُّوا العِبْرَيْن واعتبرُوا وأَرْسَلُوا الدَّمْعَ حتى سال بالوادي
كَمْ سَالَ في البحرِ مِنْ دِمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ تِلْكَ القطائع من أفلاذِ أكبادِ

هذا حال أهل المكلا في توديعهم، وأمّا هُم ـ أعني آل النقيب ـ فكما قال الرّضي:

ترحلت عنكم لي أمامي نظرة وعشر وعشر نحوكم من ورائيا

وزعم بعضهم أن صاحب زنجبار لذلك العهد، وهو السلطان سعيد بن سلطان، منع السلطان عمر بن صلاح من النزول ببلاده لِمَا سبق من فَعْلَةِ جَدِّهِ الشنعاءِ بأقاربه، وكاد يرجع أَدْرَاجَهُ، ولكن بقايا الموتورين من آل عبد الرب بن صلاح أضأرتهم الرحم عليه، فشفعوا إلى سلطان زنجبار في قبوله، فَقَبِلَ نزوله، ولا تزال الدراهم مرصدةً له بأرباحها في خزينة عدن، كذا يقول بعضهم، ويزعم آخرون أن الحكومة اختلقت مُبَرِّراً لحرمانه منها.

ولا بأس بإيراد وثيقتين تتعلقان بالقضية هذه، صورة الأولى: بسم الله الرحمٰن الرحيم، أُقِّر أَنَا عمر صلاح نقيب بندر **المُكَلاَّ** بأني قد قَبِلْت بتوقيف وقطع العداوة التي بيني وبين عوض بن عمر القُعَيطي وأخيه عبد الله بن عمر حاكم بندر الشِّحْر، وأن أجري وأقبل صُلْح هُدْنه لمدة سنتين، من هذا التاريخ، وكذلك أقبل والزم نفسي بنيةٍ صالحه بأن لا أعاون ولا أساعد بأي وجهٍ كان ـ ظاهراً أو باطناً ـ كل عدوّ للقعيطي المذكور في أثناء هذه الهدنه السنتين المذكورة، وقد رضيت وصححت هذه الشروط برضائي واختياري والله خير الشاهدين، النقيب عمر صلاح، ثم الختم، حُرر في المركب كونتنيك تعلق [1] الدولة العظمى الأنكليزية ٢٢ ديسمبر ١٨٧٦م، ٦ الحجة سنة ١٢٩٥هـ.

(والأخرى): بسم الله الرحمٰن الرحيم، أقِرّ أنا الجمعدار عبد الله بن عمر القعيطي حاكم بندر الشِّحر، بأني قبلت بتوقيف وقطع العداوة التي بيني وبين النقيب عمر صلاح، نقيب **المُكَلاَّ**، وأن أجري وأقبل صُلْح هُدْنه لمدة سنة واحده من هذا التاريخ، وكذلك أقبل وأُلزم نفسي بنية صالحة، بأن لا أعاون ولا أساعد ـ بأي وجهٍ كان، ظاهراً أو باطناً ـ كل عدوّ للنقيب عمر في أثناء هذه الهدنة ـ السَّنة المذكوره ـ وقد رضيت وصُحِّحت هذه الشروط برضايَ واختياري والله خير

(١) تعلق: تتبع.

الشاهدين، صحيح عبد الله بن عمر القعيطي، حُرر في المركب الحربي المُسمَّى عرب، تعلق الدولة العظمى في ٧ مايو ١٨٧٩م الموافق ١٢ جماد أول سنة ١٢٩٦هـ. وفي الأولى إمضاء الوكيل السياسي صالح جعفر، وفي الأخرى كومندور الدارعة فرانسيس لوك. المقيم السياسي عدن.

وفي سنة ١٨٨٨ ميلادية ـ ولعلها موافقه سنة ١٣٠٥هجريه ـ انعقدت معاهدة بين الحكومة الانجليزية والحكومة القُعَيْطية هذا نصها: (المادة الأولى): تلبية لرغبة المُوَقِّع أدناه عبد الله بن عمر القعيطي بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن أخيه عوض، تتعهد الحكومة البريطانية بأن تَمُدَّ إلى **المُكَلاَّ** والشَّحْر ومتعلقاتهما التي في دائرة تفويضهما وحكمهما المنّة السامية، وحماية صاحبة الجلاله الملكة الأمبراطورة، (المادة الثانية): يرتضي ويتعهد عبد الله بن عمر القعيطي بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن أخيه عوض وورثائهما وحلفائهما بأن يتجنب الدخول في مكاتبات أو اتفاقيات أو معاهدات مع أي شعبْ أو دولة أجنبية إلاَّ بعلم وموافقة الحكومة البريطانيه، ويتعهد أيضاً بأن يُقَدِّم إعلاماً سريعاً لوالي عدن، أو لضابط بريطاني آخر، عند محاولة أيَّةِ دولةٍ أخرى في التدخل في شؤون **المكلا** والشحر ومتعلقاتهما. (المادة الثالثة): يسري مفعول هذه المعاهدة من هذا التاريخ، وشهادةً عى ذلك وضع الموقعون أدناه إمضاءاتهم أو ختوماتهم في الشَّحْر باليوم من شهر مايو سنة ١٨٨٨م. وكنت أتوهم هذه أول معاهدةٍ بين القعيطي والأنكليز، ولكن رأيت قبلها أخرى بواسطة (جايمس بلار) والي عدن بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٨٨٢م/ ١٢ رجب سنة ١٢٩٩هـ جاء فيها ما يوافق التي قَبْلَها، مع زيادات: (الأولى): أن عبد الله بن عمر وأخاه عوض بن عمر تمكنا بواسطة المساعدة لهما من الحكومة البريطانية من الاستيلاء على مرفأيْ بَرُوم **والمُكَلاَّ** في أكتوبر سنة ١٨٨١م، وعلى الأراضي التي كان يحتلها النقيب، وبما أن الحكومة البريطانية قد أَسْدَ إليهما مساعداتٍ ومِنَناً أخرى فقد وافقوا على المعاهدة الآتية. ـ وهي مثل معاهدة سنة ١٨٨٨ ميلاديه ـ (والزيادة الثانية) هي: بما أن الممتلكات التي كانت سابقاً في قبضة النقيب عمر بن صلاح قد انتقلت إلى يد عبد الله بن عمر القعيطي، وهو قد دفع مئة ألف ريال للوالي في عدن، لقاء نفقات النقيب عمر بن صلاح، فإن هذا المبلغ سيصرف بنظر الوالي في عدن عن النقيب عمر بن صلاح المذكور. (والزيادة الثالثة) هي: تَعَهُّد الحكومة البريطانية بمعاش سنوي لآل القعيطي قدره ثلاثمئة وستون رُبِّية، ما داموا قائمين بشروط هذه المعاهدة.

أهـ. ولكن آل القعيطي ترفَّعوا عن ذلك المعاش الزهيد، ولم يقبضوا منه شيئاً من يوم المعاهدة إلى اليوم.

ومقدم تربة **المُكَلاَّ** هو الشيخ يعقوب بن يوسف باوزير، وهو أول من وصل إليه العِلْم من أجداده المشائخ آل باوزير، وكانت وفاته **بالمكلا** في سنة ٥٥٣هـ وقال السيد علوي بن حسن مدهر: (آل باوزير) يرجعون إلى الشيخ حسن الطرفي، المقبور بجزيرة كَمَران، وقال الشيخ عبد الله بن عمر بامَخْرَمه: إن آل باوزير يُنْسَبون إلى قرية يُقال لها «وزريه» من شَرْعَب باليمن، على مقربةٍ من تَعِزَّ، بينهما مرحلةٍ تُطِّل على تهامه. وقد اجتمعت بالفاضل السيد محمد بن محمد بن عبد الله بن المتوكل فحدثني عن وزْرِيَّة، وقال: أنها (الوَزِيْره) لا وزريه، وهي ما بين شَرْعَب والعُدَيْن[1]، بلاد خِصْبَه جداً، يمر فيها غيل غزير، لا تزال به تُربه خصبه خضراء صيفاً وشتاءً. وزَعَم قوم أن الشيخ يعقوب بن يوسف مِنْ آل الجَيْلاَني. وكان لآل باوزير منصب عظيم وجاه واسع حتى لقد كانت لهم دولةً (بانقزيجه) وهي من جزائر القمر، وآخر سلاطينهم بها يُقال له موسى فوم ولكن السيد علي بن عمر المسيلي طلب منه أن يوليه على بعض البلاد فلم يرضَ، فخرج عن طاعته واستعان بفرنسا، فساعدته بالأموال والعتاد وبباخرةٍ حربية حاصَرَ بها موسى فوم سنة، ولمّا رغب في الصلح أتعد هو وإياه إلى مكان أعد فيه ـ على اللقاء ـ الرجال، وبمجرد ما وصل غَدَرَ به فقتله خنقاً واستولى على مُلْكه، وكان جباراً ظالماً معاصراً لسيدي أحمد بن أبي بكر بن سميط، ولا تزال لأولاده سلطنة اسمية إلى اليوم وأُمَّهُ من ذرية السيد أحمد بن علي ـ أحد آل الشيخ أبي بكر بن سالم ـ وكان له أولاد يزيدون عن المائة، وهو ليس من آل الشيخ أبي بكر بن سالم ولكن أُمَّه منهم، وأمّا هو فمن المسيله ولهذا قيل له المَسِيْلِي.

وللمُكَلاَّ ذِكْرٌ كثير في أخبار بدر أبو طويرق الكثيري المتوفي سنة ٩٧٧ بسيئون، وشيء من ذلك لا ينافي كونها خيصةً صغيرة لذلك العهد، لم تُعَمَّر إلاَّ في أيام الكسادي، لأنه لاينكر وجودها من زمنٍ متقدم وصغرها لا يمنع ذكرها،

---

(١) الوزيْره: هي اليوم مركز إداري من مديرية «فرع العُدَيْن» وأعمال محافظة إب. وإليها يُنْسَب (آل الوزيري) الذين يرجعون في أصولهم إلى قبيلة الأوس الانصارية وليس صحيحاً أن آل باوزير يُنسبون إليها.

فَمَن ذكرها فقد نَظَر بمجرد وجودها، ومن لم يذكرها فلحقارتها، ولأنها لا تستحق الذِكْر إِذْ ذَاك، إلاَّ أنه يشكل على ذلك شَيْئَانِ أحدهما أن الشيخ عمر بن صالح هرهره لم يذكرها في رحلته التي استولى فيها على حضرموت والشحر، ولقد ذكر فيها أنه أقام بالشِّحْرِ ثلاثة أشهر وأن ما جباه منها في هذه المدة خمسة وثلاثون ألف ريال، مع أنه متأخر الزمان لم يكن إلاّ في سنة ١١١٧هـ فإنَّ هذا يدل على فرط تأَخُّرِها إلاَّ أَنْ يقال: إن الشيخ عمر بن صالح احترمها لمكان إخوانه اليافعيين فيها، ولكنه لا يصلح جواباً إلاّ عن الغزو لا عن الذكر. وثانيهما: أن كثرة المقابر بها يدل على عمران قديم، وقد يُجَاب بأنها ربما كانت كلها مقبرةً للعكابرة وبني حسن ومَنْ داناهم، حرصاً على مجاورة الشيخ يعقوب، كما هي عادة أهل البلاد. وأهل البادية أكثر حِرْصاً على مثل ذلك ولذا ينقلون موتاهم من المسافات البعيده. وقد عُمِرَ كثير من تلك المقابر، بعد دثورها، مساكن ومساجد. وكنت أشتد في إنكار ذلك، حتى رأيت كلام «التحفه» و«الأيعاب» في ذلك وحاصل ما فيهما: أن الموات المعتاد للدفن بلا مانع يدخل في قسم المُسْبَل ويجوز زرعه وبناؤه متى تيقن بلاء من دُفِن به لا سيما إذا أعرض أهل البلد عن الدفن فيه حالاً واستقبالاً، وإنما يمتنع الإحياء والتصرف فيما يَتيقّن وقفها، أو أن مالِكاً سَبَّلَها. وقال العيني ـ وهو من الحنفيه ـ: ذكر أصحابنا أن المقبرة إذا دثَرْت تعود لأربابها، فإن لم يُعْرف أربابها كانت لبيت المال. أهـ. وفي شروح «المنهاج» ما يوافقه، وقال ابن القاسم ـ من المالكيّه ـ: لو أن مقبرة عَفَتْ فبنى عليها قومٌ مسجداً لم أر بذلك بأساً. أهـ. وهذا شامل لما تحقق وقفها أو تسبيل مُسَبِّل لها، أمَّا مَا لم يتحقق فيه ذلك فنحن وإياهم على اتفاق في جواز إحيائه والتصرف فيه، وقال بعض الحنابلة: إذا صار الميت رميماً جازت زراعة المقبرة والبناء عليها[1].

وبعد فأنه لم يكن للعلم شَأنَ يُذْكَرُ بالمُكَلاَّ ونواحيها، لانصراف وزير الحكومة القعيطية السيد حسين بن حامد المحضار إِذْ ذاك عن هذه الناحية، بل كان ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يتعمد ذلك، لأنّ في العلم والمدارس تنبيه الأفكار وهو يكره وجود النابغين، لئلا يزاحموه أو يغلبوه على السلطان، أو يطالبون بحقوقهم، وإنما كان

(١) جاء في هامش الأصل: (وهذا غير قبور الأولياء والعلماء والصحابة أما هؤلاء فلا تجوز نبش قبورهم مطلقاً).

يوجد فيها بحكم الفلتات، كالشيخ عوض بن سعيد بن محمد بن ثعلب، الذي تولّى القضاء بها فيما قبل سنة ١٣١٣ وكالشيخ عبد الله بن عوض باحشوان والشيخ سعيد بن مبارك باعامر، في قليل من أمثالهم، لا تحضرني أسماؤهم، ومن أواخرهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عوض باوزير، قرأ على الشيخ محمد بن سلم، وله رحلات في طلب العلم إلى الحجاز وعدن وحضرموت، وكان ذا لسان ونفس طيب في الوعظ والتذكير، وتوفي بالغيل في سنة ١٣٥٤ ودُفن إلى جانب شيخه ابن سلم.

وبأثر وصول السادة آل الدَّبَّاغ إلى **المُكَلاَّ** في حدود سنة ١٣٤٣ فتحوا المدارس، واحسنوا التعليم، وكان حزب الأحرار الحجازي يغدق عليهم الأموال من الحجاز وتصلهم مع ذلك المواساة من العراق، إلاّ أنهم كانوا يضمرون من التعليم غير ما يظهرون، فقد حاولوا تربية الأولاد على الطريقة الحربيّة ليعدوهم لغزو الحجاز، واستمالوا رؤوساء يافع، وكان لهم إذْ ذاك أكبر النفوذ في **المُكَلاَّ**، وربما تركوا صندوق الذهب مفتوحاً يرونه عندما يزورونهم ليبصروه، وبالآخرة طالبوهم بعسكر على أن يدفعوا إليهم مرتبات ضخمة، فالتزموا لهم بخمسة وأربعين ألف مقاتل من يافع، ولكن آل الدَبَّاغ تأخروا بعد ذلك لِمُؤثِّرٍ إما من الحجاز وإمّا من العراق، وقد حاولوا إثارة حفيظة ملك العراق، لغزو **المكلا** وحضرموت، وفيما كانت فرقة الكشافة مارَّةً بسوق المُكَلاَّ تحمل الأعلام العراقية تكدّرَ لذلك الشيخ الأديب عبد الله أحمد الناخبي، وكان شريكهم في التعليم، ولكنه لم يصبر على هذا التطرف، فنبه الوزير، فَجبن من يافع، وكان خَوَّاراً، فسكت على مضض، حتى قَدِمَ الفاضل السيد طاهر الدَبَّاغ، فعرف تَهَوُّرَ أصحابه فقذعهم، ولكنه بارح المكلا وشيكاً، فعادت القضيّة إلى أسوأ مما كانت، إلاّ أن المسألة انحلّت بطبيعة الحال، إذْ سافر علي الدَبَّاغ إلى جازان، لتدبير الثوره فغرق هناك وكان آخر العهد به. وأمّا السيد حسين فلم يزل مُصِرّاً على رأيه من الانتقام من الحكومة السعودية، وكانت خاتمة أمره أن نزل الحَالِمَيْن من بلاد يافع، فمنعه أهلها آل مفلح، فلم يقدر عليه أحد، ثم نشبت بينهم وبين جيرانهم من يافع أيضاً فتنة، ولمّا عَلِموا أنه السبب فيها إعتزموا قتله، فغدر بهم فهرب، كما فعل الكميت في زِيِّ امرأة، وذَهَب إلى الحمراء في آخر حدود يافع، فأذْكَى شَرّاً بينهم وبين آل القويم من الزيدية، وكَثُرَ بينهم القتلى، ولمّا أحس بالفشل هربَ إلى القُطَيْب، وهي إحدى المحميّات، فألقى هناك ضابطاً أنقليزياً فأغرَى به

بَدَوِيّاً فقتله بِجُعْلٍ دفعه له فطلبتهُ حكومة عدن بهذه التهمة، فحماه حسن بن علي القُطَيْبي، وأبى أن يخيس بجواره وذِمَّتِهِ. وبعد أن أقام لديه مدةً خَطَر له أن خرج متنكراً إلى حضرموت، وكانت الحكومة الإنجليزية جعلت أربعة آلاف رُبِّيه لمن يُلْقي القبض عليه، فلمّا انتهى إلى الهَجْرَيْن أمسكَ عليه عاملها، وهو الشيخ محمد بن عوض النقيب، وكان أحد تلاميذه بمدرسة النجاح **بالْمُكَلاَّ**، وهناك أخذه الضابط السياسي (إنجرامس) وهو يصيح ويستثير حفائظ المسلمين، ولا مجيب، ولمّا وصلوا به إلى عدن طلبه ملك الحجاز، وأمر بإنزاله مكرماً في جيزان، وأعلن له عاملها عفو الملك عنه، وأنه حُرٌّ في نفسه، تحت حراسة عسكر، بمثابة خدم له، حتى يعرف سلوكه. فلم يزل يخاطب رؤساء العشائر، ويعمل أعمالاً لا تنطبق مع المنطق، وكأنّ ذلك أثّر مرضٍ لم يزل يَتَزايدُ بهِ حتى توفي وهو مشمول بإكرام الحكومة السعودية وسماحها. فمن حين فتح آل الدَبَّاغ المدارس بدأت المعارف تتقدم بِخُطاً قصيرة، حتى لقد عَنَيْتُ مدارس **المكلا** بما ذكرته في مقدمة كتابي «النجم المضِيء، في عبقرية الرضيّ» إلاّ أنّ السلطان الحالي لمّا كان من جملة العلماء أخذ يناصر المدارس، وأغرق عليها الأموال، حتى لقد قيل لي: إنما ينفقه عليها سنوياً أكثر من ثلاثمائة ألف ربّيه، عبارة عما يقارب رَبْع إيراد **المُكَلاَّ**، وقد استجلب لها ناظراً خبيراً محنكاً من السودان، هو الفاضل الشيخ سعيد القَدّال[1]، فأدارها أحسن إدارة وظهر الأثر، وينع الثمر **فالمكلا** بل وسائر الموانىء اليوم في المعارف، غيرها بالأمس، إلاّ أنني اقترحت على السلطان ـ يوم زارني بمنزلي في سنة ١٣٦٥ـ أن يهتم بإيجاد مدرسةً تحضيرية لتربية التلاميذ على الأخلاق الفاضله، فإن الهمم قد سقطتْ والذمم قد خَربت، ولن تعود سيرتها الأولى، إلاَّ بمدرسة تأخذ بطريق التربية الصوفية أو قريب منها مع الإبتعاد عن الخلطة، لأن أكبر المؤثرات على الصبيان المشاهدة، فلن ينفعهم ما يسمعون إذا خالفه ما ينظرون، إذِّ المنظور لا ينمحي من الذاكرة، بخلاف المسموع، فَإنه لا يبقى إلاَّ عند صدق التوجه، فلا مطمع في إصلاح نَشءٍ مع اختلاطه بمن لا تُحمد سيرته البته، ولذا لم يكن لبني إسرائيل علاج من أمراضهم الأخلاقية إلاّ بإهلاك الجيل الفاسد في التِّيْهِ، وتكوين ناشئة لم تتأثر

---

(١) أصدر ابنه الدكتور **محمد سعيد القَدّال** ـ الاستاذ بجامعة عدن ـ كتاباً عن حياة والده ودوره في مجال التعليم بحضرموت، بعنوان «الشيخ القَدّال باشا، معلم سوداني في حضرموت».

بهم، وفي «الصحيح»: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانِهِ أو يُمَجِّسَانِه». فنحن بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى إيجاد البشرية الصحيحة قبل العالمية، ومعلوم أن التخلية مقدمة على التَّحْلِية، والتلاميذ ظِلُّ آبائِهم وأمهاتهم ومعلميهم؛ إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فَشَرّ، وكثيراً ما أُذَكِّرُ المعلمين بخاتمة قصيدة جَزْلَةٍ لي، في الموضوع. هي قولي:

وَقَّوُّا الْكَلاَمَ، وكُوْنُوا في الذِّمَامِ وَفي خَوْفِ الْمَلاَمِ على مَا كَانَت العَرَبُ

ثم إنه لم يكن عندي تصور لمناحي التعليم وأخلاق الطلاب والمدرسين بالساحل حتى يسوغ لي الحكم، فأنما يتناول ثنائي ما ظَهَر من جمال الأسلوب وحركة الإنقلاب وعموم التيقظ والانتباه وإجادة بعضهم في الشعر.

وفي **المُكَلاَّ** ديوان للحكومة، وإدارة للكهرباء، ووزارة للمالية، وليس للسلطان إلاّ مرتَّبٌ مخصوص، قدره عشرة آلاف ربيه، مع إضافات معينة لا يتجاوزها، وفيها إدارة للقضاء، ومجلس عالٍ لكن ذلك المجلس العالي هو أكْبَرُ حِجَار الْعِثَار في طريق العدالة، فالحقوق مهضومة، والحقائق مكتومة، وطالما رُفِعَتْ إليَّ أحكامُ ذلك المجلس فإذا بها شرٌ مما نتألم منه بسيئون، وذلك أن وزير الدولة ـ الذي يقولون له السكرتير، وهو الشيخ سيف أبو علي ـ جعل كلمة ذلك المجلس النهائية لا مُعَقِّبَ لها بحالٍ، فسقطت عنه مُؤنةُ التحفظ، ولم يحتج إلى مراجعة الكتب إذْ هو في أمان من النقض، والشعب مَيِّتٌ، والخاصة نفعيُّوْن يتساكتون، وإلا فلو احتجوا لدى السلطان لَعَدَّلَ الأَمْرَ، لأنه يكره الجور، أما الآن فإن المجلس يفعل ما يشاء بدون رقيب، فبعد أن ينشق الخصوم انشاق الخردل يَصُكُّهُم بتلك الأحكام المضحكة المبكية، صَكُّ الجَنْدَل، ولله دَرُّ العَبْسِيُ في قوله:

إنّ الْمُحَكَّم مَا لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً أوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْ حَدِّ الْقَنَا جَنَفَا

ودفاتر التسجيل شاهدة بصدق ما أقول، فلينظرها من له أدنى إلمام بالفقه، وفي الحفظ عن «جمع الجوامع» أنه لم يقع أن قيل لنبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن فُوِّضَت إليه الأحكام ليحكم بما شاء، وإنما الاختلاف في الجواز. ومثله عند غيره من أهل الأصول. وقد قال تعالى لأَشْرَف الخلق صلوات الله عليه: ﴿اتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ وقال لداود عليه السلام: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فإن قيل أن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ تفويضاً مطلقاً، قيل: لا

وإنما هو بما أراهُ الله من الحق كما يشهد السياق. وقد جاء في «التحفة» قبيل الوديعة ما نصه: قال بعضهم وفيما إذا فَوّض الوصي التفرقة بحسب ما يراه، يلزمه تفضيل أهل الحاجة إلخ. على اتساع شقة الفرق بين ما تراه وبين ما أراك الله. وقد روي عن عمر: لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك لتنبيهه إلاّ لتنبيه ﷺ، ولكن ليجتهد رأيه، لأن الرأي من رسول الله ﷺ كان مصيباً لأن الله كان يُريه إيّاه، ثم ما أبعد البون بين ما تراه الأدنى مما أراك الله ـ كما تقدم ـ وبين ما تشاء في الآية (٤٨) من المائدة: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ وفي التي بعدها ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۚ﴾ ﴿يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۚ﴾. ولكن المجلس العالي **بالمُكَلاَّ** وقع من السلطان على مالم تحصل عليه الأنبياء من ربِّها، وسيأتي في (الظاهره) من أرض الكسر ما يستخرج العجب العجاب، ويستلفت أنظار طالبي الحقيقة في هذا الباب.

وسكان **المُكَلاَّ** اليوم يزيدون عن خمسة وعشرين ألفاً، وفيها عدة مساجد، أشهرها الجامع القديم، ومسجد الروضة بناه صاحب الأحوال الغريبة السيد ـ المشهور بـ أبو علامه ـ عمر بن علي بن شيخ بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم، المتوفي في شبام سنة ١٢٧٨هـ وقد أنكر عليه بعضهم بناءه بشط البحر محتجاً بما جاء في رسالة للسيوطي في الموضوع وهي مدرجة بالحاوي، ثم جامع السلطان عمر، وهو أنزه مسجد رأيت، ومسجد النور، ومسجد باحليوه، ومسجد السلطان غالب بن عوض، وغيرها. وبها كانت وفاة العلامة الجليل الصادع بالحق، الناطق بالصدق، السيد شيخان بن علي بن هاشم السقّاف العلوي، وكان رباؤه بالغرفة، ثم تنقّل في القرى، ثم سار إلى جاوا، ثم إلى الوَمَط ولحج. وكان له جاه عظيم عند سلاطينها، ثم عاد إلى الشِّحر، ثم سار إلى المكلا وبها توفي سنة ١٣١٣، وعليه قبة عظيمة، وترك أولاداً أكرموا علوي بالمكلا وله أولاد فتحوا بها مدرسة أهلية منذ عشر سنوات، والثاني عبد الله كان خفيف الظل مقبولاً وراوية لأخبار من أتصل بهم من الرجال وفيهم كثرة، والثالث محمد وهو بلحج والرابع جعفر وهو حافظ للقرآن مشهور بالصلاح في سرايا من أرض جاوه، والخامس عمر وهو أصغرهم ومسكنه الآن بالمكلا.

ولئن قلَّ العلم **بالمكلا** في الأزمنة السابقة فقد كانت ملأى بفحول الرجال، ولقد أخبرني الثقة أن وسط البقعة المسماة بـ «الحارة» منها كان مُزداناً ـ في

حدود سنة ١٣٢٨هـ - برجال لم تُعَوَّض عنهم، كالسيد حسين بن حامد، وأخيه عبد الرحمٰن، وسعيد وأحمد وعوض آل بُوْسبعة، وعلي بامختار وأولاده، وآل زيَّاد من يافع، وسعيد باعامر، وعبد الله بن عوض باحشوان وعوض بن سعيد بن ثعلب السابق ذكرهما، وعمر وأحمد وعبد الرحمٰن آل لَعْجَم، وعقيل بن عوض بالربيعه من شِبَام، وبو بكر وعبد الصمد وعبد الكريم آل بَفْلَح، وسالم عمر وعوض عمر آل قيسان، والشيخ عمر بن عبد الله عبَّاد، والشيخ حسن بن عبد الرحمٰن عبّاد، وأحمد ومحمد وسعيد آل مسلم العزفيون، وعمر الجرو، وولداه عبد الله وعلي، وسالم وسعيد آل بابشير، هؤلاء من خلع راشد، والشيخ عبد الله بارحيم، وآل غَزِّي، وآل غريب، وغيرهم. هؤلاء كلهم من نقطةٍ صغيرة من الحارة، دع ما سواها كانت العيون بقربهم تَقِر والنفوس بجوارهم تستبشر:

فلو قيل هاتُوا فيْكُمُ اليوم مِثْلُهُم لَعَزَّ عَلَيْكُمْ أن تَجِيئُوا بِوَاحِدِ

وفي غربي **المُكَلاَّ** قريةٍ يُقال لها **(شِرج باسالم)**، وفي شمالها بستان مُسَوَّر يُسمى **(القرية)**، وذلك أن كثيراً من الأيتام نجعوا من المنطقة الكثيريّة بحضرموت، في أيام المجاعة التي ابتدأت في سنة ١٣٦٠ إلى **المُكَلاَّ**، فأدركهم عطف السلطان، وتصدّق عليهم بذلك البستان، وبَنَوْا لهم فيه بنايات تؤويهم، فأنقذوهم من المجاعة وعلَّموهم من الجهالة، وقد نيَّفَ عددهم على المئتين والخمسين، ولكن كل من اشتد ساعده وعرف أهله رجع إليهم، والباقون بها اليوم يزيدون على المئة في عيشٍ رغيد، وتعليمٍ نافع، وحالٍ مشكور.

وفي شمال المُكَلاَّ: البَقْرَيْن، والدَيْس، ثم الخربة، والحَرْشِيّات، وتله عضد. وهذه هي ضواحي **المكلا** وأرباضها ومخترفات أهاليها. وفي شرقي **المكلا** على الساحل: رَوْكَب وفيها جامع، ثم **بُوَيْش تبعد قليلاً** عن الساحل وفيها عيون ماء جارية ومزارع.

شُحَيْر:

كانت بلدة لا بأس بها، ولكنها خُرِبَت من سابق الزمان[1]، ولهذا قلَّ ذكرها ويقال: إن البرتغال جاؤوا إليها فهزمهم أهلها وقُتل منهم - في هذه الوقعة -

(١) شُحَيْر: بالتصغير، قرية كبيرة عامرةٌ، عِدَادها من مركز «غيل باوزير» وأعمال مديرية المكلا. تقع بالغرب الجنوبي من الشِّحْر بمسافة نحو ١٨ كيلاً، وهي قريبة من الساحل.

خلق كثير[1]، فخافوا أن يعودُوا إليها بتجهيز أقوى فهجروها، ولم يبق بها إلاّ العوابثه، وعندما تولّى بدر بوطويرق على الشِّحر استرضى قبائلها على خُمْس الوَزِيْف[2] الذي يأتي به الصياديون، واشترط عليهم أَنْ يقاتلوا معه، فرضوا بذلك، وكان يُقال للشيخ عبد الرحمٰن ـ الملقب بالعكضة ـ بن أحمد بن عبد الرحيم ـ مَوْلَى الدعامة ـ باوزير صاحب شحير، ولا يبعد أن يكون هو أول من اخْتَطَّها، فإن البرتغاليين الذين حاربوا أهلها إنما كانوا أثناء القرن العاشر، وقد توفي جده عبد الرحيم سنة ٧٤٣ فالأمر مُحْتَمِلٌ جداً. وفي حدود سنة ١٢٥٥ استولى علي ناجي، على شحير، وولّى عليها رجلاً من آل البطاطي[3] كان معه، ولا تزال أطلال حصنه قائمةً إلى الآن، وبقيت تحت أيدي آل بُريك، حتى انتهت دولتهم بالكثيري، ثم استولى عليها عوض بن عمر بعد أن اشترط عليه قبائلها الإعفاء من الضرائب، وابقاء عوائدهم، وسكانها نحو الألف نسمه.

الغَيْلُ:

هو واقع في شمال شحير[4]، وهو أرض واسعة فيها عيون ماء غزيرة جارية، عليها نخل كثير، وأكثر ما يُزرع عليها التبغ، وهو أجود ما يكوْن، يرسل منها إلى عدن وإلى مصر وإلى الحجاز، يتغالى فيه أهلُ تلك الجهات لأنه مضرب المثل في الجودة، ويكوّن له إيراد عظيم[5]. والغَيْلُ منسوب إلى الشيخ عبد الرحيم بَاوَزِير ـ مَوْلَى الدعَامة ـ بن عُمَر صاحب **الغيل** الأسفل المُسمَّى بغيل عمر **وغيل** باسودان، والشيخ عمر هو ابن محمد ـ صاحب عرف ـ بن سالم ـ المقبور بالحويب[6] ـ بن الشيخ عبد الله ـ مَوْلَى المحطه بالشحر ـ بن عمر بن الشيخ

---

(١) عن الغزو البرتغالي، يمكن الرجوع إلى كتاب «الشهداء السبعة» للاستاذ محمد عبد القادر بامطرف، صادر عن دار الهمداني سنة ١٩٨٣م.

(٢) الوَزِيْف: نوع صغير جداً من السمك، يأكله الصيادون مسحوقاً مع الغذاء، كما يُستخدم طُعْماً لصيد الأسماك.

(٣) آل البطاطي: من قبائل يافع الذين استوطنوا حضرموت أول القرن الثاني عشر الهجري.

(٤) المقصود به: غيل باوزير. وهي بلدة كبيرة سُميَّت باسم نبع ماء جاري، ونُسِبت إلى سكانها (آل باوزير). وتشكل في أعمالها ـ اليوم ـ مركزاً إدارياً من مديرية المكلا وفي اليمن مناطق كثيرة تحمل اسم (الغيل) انظرها في كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٥) هو المعروف بالتبغ الحَمُومي، نِسْبةً إلى قبيلة الحموم الساكنة في ذات المنطقة.

(٦) الحويب: بلده قريبة من حوره.

يعقوب بن يوسف باوزير مقدم تُرْبَة المكلا السابق ذكره. وفي الحكاية رقم ١٦٤ من «الجوهر الشفاف» للخطيب ما يُعْرَف منه أن هذا **الغيل** كان موجوداً من قبل سنة ٧٤٣هـ، ويتأكد ذلك بأن وفاة الشيخ عبد الرحيم بن عمر باوزير كانت سنة ٧٤٧هـ، وقد اختطه قبل وفاته بزمان. وأول من بنى **بالغيل** الأسفل: الشيخ عمر بن محمد بن سالم باوزير سنة ٧١٦هـ حسبما يأتي ذكره، وكان أمر **الغيل** لآل باوزير، والعوابثة المَذْحِجيُّوْنَ، ينتمون إليهم بالخدمة ويذبُّون عنهم، وفي أوائل القرن التاسع استولت على بعض الأمر فرقة من العوابثة يُقال لهم آل عمر باعمر، فغلبوا آل باوزير على بعض النهي والأمر، وكَوَّنُوا لهم دولةً أو شبهها، داموا عليها حتى انقرضت بالسلطان عوض بن عمر القعيطي، على مافصّلنا بالأصل، ونزيد هنا ما تلقيناه ـ بعد ـ عن المُعَمَّرين، ومنهم الشيخ صالح بن محمد بن أحمد بن همّام ـ صاحب الغيل ـ أن الذي سجنهم القعيطي ـ من آل عمر باعمر ـ مائتان عَبِيداً وأحراراً، ثم أنه أطلق سراح العبيد، وبقي في سجنه مائة وخمسون كلهم أحرار فتمكنوا من الهرب بعد عامين، وصل منهم خمسون إلى المُكَلاَّ فأمِنوا عند النقيب، وسار الباقون عند صائل البحسني فغدر بهم وردّهم إلى القعيطي، فأودعهم السجن ثانياً حتى لم يبق منهم إلاّ سبعة أطلقهم. ولا يزال منهم بالغيل ـ اليوم ـ نحو من خمسة وخمسين رجلاً بعائلاتهم، ونجع الكثير منهم إلى (السومال) الأيطالي، فَبِهِ منهم ـ في ماركد ومقدشوه ـ نحو من ثلاثمائة وخمسين رجلاً بعائلاتهم، ولهم في ماركد مسجدان، وفي مقدشوه مسجد، ومنهم الشيخ سالم بن عبد الله بن سالم بن مساعد بن عمر باعمر، وهو عالِمهم ومُدَرِّس مسجدهم بمقدشو، ومنهم في براوه من السومال الأيطالي نحو مائتي رجل، عالمهم الشيخ محمد بن عبد الله بن شداد، وهو من أخص أصحاب السيد علي بن أبي بكر بن محمد النضيري، وولده عيدروس، الآتي ذكرهما في قارة الصناهج، ومنهم بماركد الشيخ سعيد بن أحمد بن مساعد، من تلاميذ الشيخ محمد بن عمر بن سلم، توفي في حدود سنة ١٣٥٣، ومنهم بها الشيخ محمد بن عبد الله بن مقداد.

ومرجع العوابثه في النسب إلى عوبثان بن زاهر بن مُرَاد بن مَذْحِج، وقد جرت بينهم وبين السلطان محمد بن عبد الله أخي بدر بو طُوَيْرق حوادث في سنة ١٩١٩هـ وقُتل منهم اثنين وثلاثين رجلاً ظلماً، ثم ساكنهم في **الغيل** آل همّام من يافع، فغلبوهم بسطوة عشائرهم على شيء من أَمْر **الغيل**.

وفي سنة ٩٤٣هـ ابتدأ السلطان بدر بعمارة حصن **غَيْل** باوزير.

وقد أنْجَب الغيل كثيراً من العلماء، وجاء في ترجمة السيد علي بن أبي بكر المتوفي سنة ٨٩٥هـ من «المُشرِّع» أنه رحل إلى الشِّحْر والغَيْل، ومكث هناك أربع سنين، يقرأ على الفقهاء آل باهرون، وآل باعمار، والفقيه محمد بن علي باعديله، والعلامه إبراهيم بن محمد باهرون، والفقيه محمد بن أحمد باغشير، وعبد الله بن محمد باغشير، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن باوزير. انتهى. وفي البرقه أن الشيخ العالم العامل الزاهد الورع عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمٰن باوزير كتب الأجازة لمؤلفها أربع مرات.

وفي سنة ٩٠٣هـ توفي بها الفقيه العارف بالله الشيخ محمد بن أحمد باجرفيل الدَّوْعَنِي، وقد أورد له سيدي الأستاذ الأَبَرُّ إجازة منه للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بافَضْل التَّرِيْمي، عدَّ فيه بعض مشايخه كالشيخ أبي بكر العدني بن عبد الله العيدروس عن شيخه عبد الله بن أحمد باهراوه، عن شيخه فضل بن عبد الله بافضل عن شيخه أبي بكر بن محمد عَبّاد. ومن مشايخ باجرفيل: الشيخ سعيد بن عبد الله بابصيل، يَرْوِي عن أبي بكر بن عبد الله بن سالم، عن الشيخ محمد بن أبي بكر عبّاد، ومن مشايخه ـ أيضاً ـ الشيخ محمد بن مسعود باشِكَيْل، عن ابن كَبَن، وعن عمر بن أبي بكر بانقيب، عن علي بن عمر باعفيف، ومن مشايخه ـ أيضاً ـ الشيخ محمد بن عثمان باوزير، وغيرهم. وفي الحكاية (٣٩٨) من «الجوهر» أن الفقيه أبا بكر باقتيل كان يقرأ تفسير القرآن على الشيخ عمر المِحْضَار بمسجد **غيل باوزير، ولا تزال بالغَيْل** حتى الآن ناس من آل باقتيل.

ومن أهل **الغيل** الشيخ الجليل محمد بن أحمد باحميش، كما ذكره السخاوي في «الضوء اللامع» إذْ كان ترجم له فيه، ولا يزال بها وبالشِّحْر جماعةٌ منهم، ولا بأس أن نَعُدَّ العلامة الكبير الشيخ محمد بن أحمد بافضل[1] من علماء الغيل، لأنه ولد بتريم سنة ٨٤٠هـ ونشأ بالغيل المذكور، واشتغل في الفقه على باعديله، ثم دخلَ إلى عدن يقصد القاضي محمد بن أحمد باحميش، ولمّا مات جلس مجلسه، واقترن بامرأته، وكانت وفاته بعدن سنة ٩٠٣هـ. قال السيد

(١) أنظر ترجمته في «كتاب صلة الأهل» ص ١٣٤.

الشريف محمد بن عمر الطيب بافقيه: كان هو وصاحبه الفقيه عبد الله بن أحمد بامخرمه عمدة الفتوى بعدن، وكان بينهما من التواد والتناصف ماهو مشهور، وفضائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تُذْكَر، ومن مؤلفاته (العدة والسلاح في أحكام النِكاح) لا يُسْتَغنى عنه من يتَصدَى لعقود الأنكحه، وله شرح ألفية البرماوي، وكتاب على تراجم البخاري بَيَّن فيه مناسبة الترجمة للحديث، وله رسالة في العمل بالربع المجيّب، وله مختصر الأنوار، واختصار قواعد الزركشي، قال الطيب بامخرمه: وغالب ظني أنه مجدد قرنه، ودُفن بتربة حافة البصالين بعدن. أهـ.

ومن أهل **الغيل** الفقيه الجليل محمد بن مسعود باشكيل، السابق ذكره في مشايخ باجرفيل، وقد رحل إلى عدن، وبها كانت وفاته. ومنهم الفقيه أحمد بلرعيّه تلميذ العلامة ابن حجر الهَيْتَمي، وله منه مكاتبات كثيرة نافعة لا يزال مشايخنا يوصون بقوله من أثناء إحداهما: فبالله عليك ثم بالله عليك أن تجعل جُلَّ وقتِكَ ليلاً ونهاراً في البحث في الفقه، والتحقيق، والتأمل والتدقيق، مع نشره بين طالبيه وغيرهم، أو ما هذا معناه، ومن «خلاصة الأثر» للمحبِّي أن آل بامزروع وآل بامطرف قنازله، وهم فخذ من كِنْده، وسيأتي لبعض القنازلة ذِكْرٌ في قرية (الواسطة) الواقعة في شمال العجز من أسفل حضرموت، وقد نجع آل بامطرف من «رَيْدَة الصَّيْعَر» إلى الهَجْرَيْن، وتَفقّروا وتركوا السلاح، إلاَّ أنَّ آل مساعد على القول بأنهم منهم عادوا إلى حَمْلِه، كما يُعْرَف مما سيأتي في الهَجْرَيْن، ثم افترقوا في البلدان، واختلفوا في الأعمال، حتى لقد كان جماعة منهم بِمَدُوْدَه، خوّاصون ونَجّارون، وأول من نجع من الهجرين إلى **الغيل** ـ من آل بامطرف ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وكان صاحب يسار فاشترى **بالغيل** أطياناً كثيرة تُسْقَى من مِعْيان الحرث، الذي اشتراه أيضاً، ووقف جميع ذلك على البطن الأعلى ثم الأعلى من ذريته. ولمّا استولى القعيطي على أموال آل عمر باعمر كان معيانَ (الحرث) من جملة ما أخذ فيها، وبانقطاع الماء أو قِلَّتِهُ عن أوقاف الشيخ عبد الرحمٰن بامطرف كادت تتلاشَى غِلاَلَهُ.

وفي سنة ١٠٧١هـ كان القاضي **بالغَيل** أحد ذُرّية الشيخ عبد الرحمٰن بامطرف، وكان العلامة أحمد بن محمد مؤذن باجمَّال يصفهُ بالتهور في قبول الأهله. وهو أول من تولّى القضاء منهم ثم تولاه الفقيه محمد بن علي بن

أحمد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بامطرف، وكانت ولايته سنة ١١٠٠هـ. وممن تولاه منهم الشيخ بو بكر بن محمد بامطرف، وكانت ولايته بالمُكَلاَّ سنة ١٢٦١هـ أيام النقيب صلاح بن محمد الكسادي، وله فتاوى موجودة لدى الشيخ عبد القادر بامطرف الموجود بالمكلا الآن، وهو والد الشيخ محمد بن عبد القادر بامطرف الكاتب الأول بإدارة المستشار بسيون وهو ولد نبيه، سهل الخُلق، بَعِيد الغَوْر، يحب المطالعة، ويعجبني منه أنه لم يقلد الأجانب في شيء من أزيائهم وعاداتهم، مع كثرة اختلاطه بالأجانب، وكان بمعية الناسك العلامة سيف الإسلام الحسين بن الإمام، يترجم له في وفادته إلى الجزائر البريطانية، وكان يحدثنا عنه بما يُشَنِّف الأسماع[1]. توفي الشيخ بو بكر بن محمد بامطرف بالغيل سنة ١٢٨٤هـ. وممن تولّى القضاء ـ منهم ـ الشيخ عوض بن سعيد بامطرف، تولاه بالشِّحْر في عهد آل بريك، وكانت وفاته سنة ١٢٨٧هـ. والقاضي الابتدائي في المُكَلاَّ ـ لهذا العهد ـ هو عبد الله بن عوض بامطرف.

ومن أواخر علماء **الغيل**: الشيخ محمد بن عمر بن بكران بن سلم، كان ركناً ركيناً من أركان العلم، له وفادات إلى حضرموت، ثَافَنَ فيها العلماء، وأخذ فيها عن مسند حضرموت بل اليمن بل الدنيا سيدنا الأستاذ الأَبَرّ عيدروس بن عمر الحِبْشِي، ولعل ذلك في حدود سنة ١٣١١هـ، وكان معه في تلك القَدْمَةِ ابنٌ له مُنَوِّرَ القلب، صافي السريرة، متوقد الذكاء، يحفظ عدة من المتون على صغر سنه، ولكنه نغص شبابه فمات عَبْطَةً مرجعه من حضرموت، ويقال: إن سبب موته انبهار قلبه مما رأى من الأشعة النورانية على غرر السادة الأجلاء بحضرموت، كالسادة عبد الله بن عمر بن سميط، والأستاذ الأَبَرّ، وعبد الله بن حسن البحر، إذ كان رآهم مجتمعين في حفل مشهود، فانشقت مرارته، فعظم عليه، وجد أبيه. والشيخ محمد بن عمر بن سلم هو مؤسس (رباط الغيل) وكانت وفاته سنة ١٣٢٩هـ، وابنه أحمد ـ الآن ـ من مشاهير الرواق اليماني بالأزهر الشريف، و(آل ابن سلم) بيت عِلْم وصلاح، منهم الشيخ علي بن سِلِم تلميذ سيدنا عبد الله باعلوي المتوفي سنة ٨٣١هـ.

---

(١) محمد عبد القادر بامطرف: هو المؤرخ الكبير صاحب العديد من المؤلفات التاريخية الهامة، ومنها كتابه «الجامع في أعلام المهاجرين» وكتاب «الشهداء السبعة» عن الحملة البرتغالية لغزو الشحر في القرن العاشر الهجري، وكتاب «المختصر في تاريخ حضرموت العام» وغيرها.

وفي **الغيل** المذكور جماعةٌ من أعقاب السيد أبي نُمَيٍّ بن عبد الله بن شيخ بن علي المندرج بن فدعق بن محمد بن عبد الله بن أمبارك بن عبد الله وَطَبْ نُمَيٍّ. ومنهم ـ الآن ـ الفاضل السيد محسن بن جعفر بو نميّ، فقيهُ ذكي بحّاثة، تولّى القضاء بالمُكَلاّ والغَيْل مَرّات، وهو ـ الآن ـ مدير رباط **الغيل**، وهو أفقه رجال الساحل، وبما أن مدارسهم على ما ذكرنا من نظامها ـ محدودة المعارف ـ فما إلاّ عليه يتخرج من يرشحونه للقضاء، وفيهم كثرة إلاّ أنه لا يُعامَل بمقتضى ما يستحق، فإن مرتبه الشهري لا يبلغ المئة الروبيّة، مع أن عائلاته تقارب الأربعين نفساً، غير أن الشيخ الفاضل سعيد القدّال يعرف له فضله، ويسعى في ترقيته، ولقد صَدَق الذي يقول (إنما يَعْرِف ذَا الْفَضْل ذَوْوْهُ). وكان **بالغيل** جماعةً من ذرية السيد عبد الرحمٰن بن محمد عَيْدِيْد، لا أدري أيوجد الآن به أحد منهم أم لا؟. وكانت **بالغيل** مدرسة للسيد محمد بن جعفر العطّاس، وهو رجل غزير العلم والعباده، صحيح التقوى والزهاده، وكان له اخوان فتح الله عليهم أبواب الرزق بجاوَا، فبعثوا له برسالة مع خمسمائة ريال فرنصه، فأمر أحد تلاميذه بالجواب وشُكْرَهم على الرسالة وطلب من تلميذه إرجاع ما أرسلوه وأنه يعنيه من الرسائل استمرار الصِلْه. فلم يعمل التلميذ على إرجاع الأموال بل أرسلها إلى من يشتري بها مالاً للسيد محمد بِحريضة، وهكذا يفعل بما تواتر بعدها من الصِلاَة حتى اجتمع له من ذلك مال دثر، وكلما جاءت له رسالة قرأها عليه وكف عن ذِكْر الصِله، وهو مع ثقته بالتلميذ وشغله بربه لا يباشر قراءة الكتب، وفي آخر أمره طالعه بالحال، فعاتبه يسيراً، ثم وقف ذلك المال على أولاده، سواء فيه الذَكَر والأنثى والعالي والسافل؛ لا ينقطع إلاّ نصيب من يموت. ولا يزال يصل للسيد بو بكر بن حسن ـ صاحب الحديده ـ الآتي ذكره في الرِباط، نصيبه ونصيب أولاده مما يفضل عن أيدي العابثين من غَلاّت.

النَقْعَه:

هي **في شمال الغَيْل إلى جهة الغرب**. والنقعه ـ كما في «فتح الرحيم الرحمٰن» للشيخ عمر بن عبد الرحيم صاحب الحمراء ـ في عُرف أهل اليمن مُرَادِفٌ للحوطه في إصطلاح أهل حضرموت، وأول من سكنها الشيخ أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد باوزير، صاحب عرف، وآل باوزير أهل النقعة المذكوره من ذريته. وممن كان يسكنها السيد محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن

علوي بن محمد، صاحب مرباط العلوي، وبها كان موته ودفنه، وكان يكتفي لخرجه بثمرة شجرةٍ واحدة بها من الليمون. وفي ذلك دلالة على حسن تربتها، وبركة عيشتها، وفي ديوان الشيخ عبد الصمد باكثير ذِكْرُ واقعةِ **النقعة** بين آل العَمُودِي وآل كثير، وهي التي كان فيها قتل الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله العمودي على يد السلطان عمر بن بدر أبو طويرق، وقد هنأه عبد الصمد بقصيدته المُسْتَهَلّة بقوله:

الله أَكْبَرُ هٰذَا الفَوْزُ وَالظَّفَرُ فَتْحاً مُبِيْناً مَعَ التأْيِيْدِ يَا عُمَرُ

وعلى اسم هذه **النقعة** كانت (نقعه آل جنيد) الواقعة شمال حوره بالكسر. وفي حوادث سنة ٩١٧هـ من «تاريخ شنبل» أن العوابثة قطعوا بعض خريف النقعة وغيل باوزير وعطّلوا الحرث.

ومن فضلاء **النقعه**: العَالِم العامل المُعَمَّر الشيخ سالم بن محمد باوزير، ولد بها، وطلب العلم بالشِّحْر وحضرموت والحجاز ومصر والشام، وأقام مدة طويلة ينشر العلم بالشحر، ثم عاد إلى **النقعة** وبها توفي سنة ١٣١٨هـ عن مئة وستة عشر ربيعاً تقريباً، وكان متمكناً من علم الأوفاق والحروف.

القاره:

وبإزاء النقعه وشمال **الغيل** إلى جهة الشرق في غربي الحزم **قرية يُقال لها القارة**، لا يزال بها جماعة من العوابثه، وآل عمر باعمر، وآل بُكَيْر وأصلهم من الرييدة - بالتصغير - القرية التي في شمال بَوْر إلى الغرب في أطراف وادي مدر، يحترفون بإثارة الأرض وبناء المساقي، ومن آل بُكَيْر - أصحاب **القارة** - قاضي القُضاة الآن الشيخ عبد الله بن عوض بُكَيْر، وهو رجل دَمِث الأخلاق، بعيد القعر، هَشٌّ بَشٌّ، وله إبن يُسمَّى عبد الرحمٰن ذكي نبيه، له شِعْر جميل. وبالقارة المذكورة ناس من آل باعمروه، وآل باسويد، وآل بايُمَيْن، وآل بالجعد، وفيها عيون غزيرة استأثر **الغيل** بنسبتها إليه لاشتهاره، وخمولها، كما استأثر المَخَا بالبُنْ اليمني، لاشتهاره به من القديم، مع أنه لا يوجد به شيء منه الآن، ويقال: إن **القارة** أقدم من الغيل، وأن الشيخ عبد الرحيم باوزير كان يجلب منها الأَكْرَةَ لبناء مسجده بالغيل. وفيها جامع منسوب للسيد علي بن عبد الله المغربي، يُقال: إنه بناه في القرن الثامن، وكان أهلها من العوابثه وغيرهم في ليل حالك من

الجهالة، فما زال المغربي المذكور ينشر فيهم دعوة الإسلام، ويعلمهم مبادئه، حتى انكشف عنهم ليل الجهل، إذ صادفت دعوته ثَرىً طيباً ونفوساً سليمة، وقد قال يزيد بن الطُّثْرِيَّةِ:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكَّنَا

الحَزْم وصُّدَاع:

هي أرض واسعة من أعمال غيل باوزير، كانت بها عينُ ماءٍ وَشِلة، فما زال الأمير عبد الله بن علي العولقي في علاجها حتى انبثقت ماءً غزيراً، وفيه اليوم مِعْيَانانِ، وله جامع، ومن سكانه الشيخ الصالح المعمر عمر بن مبارك بادباه، يقال: إن سِنَّهُ اليوم ينتهي إلى مئة وإحدى عشر عاماً، وفي حوالي سنة ١٢٦٠هـ كانت المنافسات قائمةً على قدم وساق، بحيدر آباد الدكن بين الأمير عمر بن عوض القعيطي والأمير عبد الله بن علي العولقي، وفي جانبه الأمير غالب بن محسن الكثيري، وكلهم في خدمة الجيش الأصِفي، فاتفق العَوْلقي وغالب بن محسن على تكوين دول لهم بحضرموت، وكان العولقي كثير المال، كريم النفس، شجاع القلب، فطفق يرسل إلى حضرموت بكثير من الأموال، لمواصلة العلويين، ولبناء المساجد والسقايا وما أشبه ذلك، ولمّا بدأ غالب بن محسن الكثيري بشراء الغُرف من أسافل حضرموت بدأ العولقي بشراء الحزم هذا، واختار القَارَّة المعروفة هناك لِبِنَاء حصنه الحصين عليها، وهو المعروف بحصن **صُدَاع** الذي يقول فيه شاعرهم:

سَلاَمْ أَلْفَيْن يا حِصْن مَبْنِي فَوْقَ قَارَهْ بناكَ العولَقِي ما يُعَوِّلْ بالْخِسَارَهْ

ولمّا شعر القعيطي بذلك أرسل أولاده محمداً وعبد الله وعليّاً وعوضاً إلى القَطْن من أرض حضرموت، وزَوَّدهم بالأموال الطائله، وبعث معهم بعبدين دَاهِيَيْن محنكَيْنِ، يُقال لأحدهما: الماس، وللآخر: عَنْبَر، ووافق ذلك هوى ابن يافع، إلاّ أنهم اختلفوا مع عبدَيْهِ في مخزن التموين، فأراد العبدان أن يكون بسيؤون، فامتنعت يافع خوفاً من رسوخ قدم القعيطي فيها، وهم لا يبغون بها بديلاً، ولمّا أحسَّ آل كثير بعد اللُّتَيَّا والَّتِي، وبعد هروج ومروج - مستوفاة بالأصل - بأنهم عاجزون عن مناهضة القعيطي، عقَدوا حِلْفاً ثلاثياً مع الكسادي الذي استمالوه إليهم، وكان هو والقعيطي على رأي، لأنهم يافعيون، ومن

العولقي والكثيري، وكان ذلك في سنة ١٢٩٠هـ، وكانت للعولقي عدة مراكب شراعية، تمخر عباب البحر، وتنقل ما يحتاجه من الهند إلى **الحزم وصُدَاع**، وجرت بينهم حروب كثيرة كانت النهاية فيها ـ كما بالأصل ـ إنهزام العولقي والكسادي وآل عمر باعمر، وتراجع آل كثير واستيلاء القعيطي على الغيل، **وعلى الحزم وعلى صُدَاع**، وكان ذلك في سنة ١٢٩٣، وسمعت من الثقات أن نفقات العولقي على **الحزم وصداع** بلغت ثمانية آلاف روبيه، وكان كثير الندم على ما كان في أيام حياته من ذلك، وتمنَّى أن لو كانت في سبل الخيرات، وللعامة في تمنيه ذلك أشعار كثيره، ومن يك وكلاؤه آل كثير فإنه جدير بمثل ذلك، وما أدري أكان ما أنفقه ولده محسن بعد وفاته في حروب **الحزم وصُدَاع** داخلاً في ذلك القدر، أم كان علاوة عليه، إلاَّ أنه انتبه لآل كثير، واحتاط منهم، ولذا لم يُحْمَد بينهم المآل ولم يبلغوا الآمال.

وينتهي نَسَب العولقي إلى ذِي يَزَنْ الحِمْيَرِي، وقيل إلى مَعْن بن زائدة الشيباني، وقيل أنه من آل باحلوان وهو من بني حلوان بن عمران بن الحَافْ بن قُضَاعة وأن الأمير عبد الله بني علي العولقي من ذرية عبد الله بن قيس بن زملي بن عمرو الفهمي الآتي ذكره في الغرفة، والله أعلم بحقيقة ذلك. ومهما يكن من الأمر.

فما سَوّدتهُ عامر عن وراثة ... أَبَىٰ الله أن يسمو بأم ولا أبِ

وله أخبار عظيمة، ومناقب كريمة، وأنف حَمِيٌّ، وقدر سَمِيٌّ.

وَاللَّهُ أَعْطَاهُ الْمَحَبّة في الْوَرى ... وَحَبَاهُ بالْفَضْلِ الَّذِي لا يُجْهَلُ

نَفْسٌ مُشَيَّعَةٌ وَرأيُ مُحْصَدٌ ... وَيَدُ مُؤَيْدَةٌ وَرَأْيٌ فَيْصَلُ

إلى جُوْدٍ ضَخْم، ومجد فخم، وعقل راجح، وسيف طامح.[٢]

وَزَنُوا الأَصَالَةَ مِنْ حِجَاهُ وإِنَّمَا ... وَزَنُوا بِهَا طَوْداً مِنَ الأَطْوَادِ

وَوَرَاءَ ذَاك الحلْم لَيْثٌ خَفِيَّةٍ ... مِنْ دُونِ حُوزَتِهِ وَحَيَّةُ وَادِيّ

ولم تكن الهزائم المشار إليها في **الحزم وصداع** إلاَّ بعد خمود ريح دولته بموته في حيدر آباد الدكن سنة ١٢٨٤هـ، وقال بعضهم أنها وقعت بينه وبين الشاووش صلاح الضِبي اليافعي واقعة قُتِلَ فيها صلاح وجماعة من عسكر الطرفين، ولكن مَلِك حَيْدر أباد أَصْلَحَ بينهم، غير أن يافعاً ـ بعد عامين من

الصلح ـ كَمَنت للأمير عبد الله بن علي العولقي مع خروجه لصلاة العصر وأطلقت عليه الرصاص، وكان كما قال الأول:

مَضَى مِثْلَ مَا يَمْضي السِّنَانُ وَأَشْرَقَتْ ... بِهِ بَسْطَةٌ زَادَتْ عَلَى بَسْطَةِ الرُّمْحِ

فتًى يَنْطَوِي الْحُسَّادُ مِنْ مَكْرُمَاتِهِ ... وَمِنْ مَجْدِهِ الأَوْفَى عَلَى كَمَدٍ بَرْحِ

وقد وقع رداؤه على ولده محسن، وكان على قدة أبية جُوْداً ونجدةً وشهامة، ولكنه لم يكن مثله ولا بقريب منه، لا في العلم ولا في الدين، فانطبق عليه قول لَيْلَى الأخيليَّة:

فَنِعْمَ فَتَى الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ فَاجِراً ... وَفَوْقَ الْفَتَى لَوْ كان لَيْسَ بِفَاجِر

وهذا البيت من الكلام الجزل، الذي لا يعلكه إلاَّ لَحْيٌ بازلٍ فحْلٍ، فمجيئه من لسان هذه المرأة يفتح للنساء أبواب الفخر والاحتجاج على الرجال بمصاريعها، فلقد أراد حَبِيْبُ أَنْ يتعلق به فأنهار رجاؤه، واخطأته النجاة، إذْ لم يَأتِ إلاَّ بِقَوْلِهِ:

إِنَّ الطَّلاَقَةَ والنَّدَى خَيْرٌ لَهُمُ ... مِنْ عِفَّةٍ جَمَعَتْ عَلَيْكَ حُموسَا

لَوْ أَنَّ أَسْبَابَ العَفَافِ بِلاَ نَدَى ... نَفَعَتْ لَقَدْ نَفَعَتْ إذاً إِبْلِيْسَا

وَقَوْلِه:

إِنْ كَانَ بِالْوَرَعِ ابْتَنَى القَوْمُ الْعُلَى ... أَوْ بِالتُّقَى صارَ الشَّرِيْفُ شَرِيْفاً

فَعَلاَم قُدِّمَ فِي هَوَزانَ عَامِرٌ ... وَأُمِيْطَ عَلْقَمَةٌ وكَانَ عَفِيفَا

ثم رأيت الْمُبَرِّد يقول في أواخر «الكامل»: لقد كانت الخنساء وليلى متقدمتين لأكثر الفحول، وربما تقدم المرأة في الصناعة ولكنه قليل، والأغلب ما قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ الآية. لأنهن لا يَنْشَأنَ في الحليه.

وسمعت من غير واحد أن بَجِيّا قالت لمحسن هذا: أتوجد مئة ألف روبيه مجموعة معاً في مكان واحد؟. فقال لها: نعم. فقالت: أمّا أنا فلا أُصدق بذلك، وإن كان واقعاً، فإني أتمنى أن أراه! فأَمَرَ بإحضار مئة ألف روبية ونثرها في بقعة واحدة، ثم أمرها أن ترقص عليها، لا أدري أبثيابها أم عريانةً، ثم سوغها إيَّاها.

ومن محاسنه وَقْفُه لمدينة شحير الآتي ذِكْرَهُ بموضعه، وقد أَثَّرت على حياة محسن حادثة الهزيمة في **الحزم والصُدَاع**، لا سِيَّما وأن آل القعيطي أحضروا سدة صداع إلى حيدر آباد، ووضعوها في الطريق الواسعة، فمات غبناً في سنة ١٢٩٤هـ عن ولد يُقال له حسين، لم يكن بدون أبيه في الشَجاعة، ولكنه مات بعده وشيكاً بِسُمٍّ ـ حسبما يُقال ـ دُسَّ إليه، وبموته انقرضوا عن غير وارثٍ ثابت، فصارت نقودهم المقدرة بأكثر من عشرين ألف ألف روبيه فضلاً عما يناسبها من المجوهرات والعقارات الكثيرة طعمة لبيت المال:

وأَصْبَحُوا لاَ تُرى إلاَّ مَنَازِلُهُمْ قَفْراً سوى الذكْرِ والآثارِ إنْ ذُكِرُوا

وسبحان من لا يدوم إلاّ ملكه، وما هنا ليس إلاَّ نموذجاً لما في الأصل من أخبارهم الشيِّقة، وكلها دون مايستحقون، لأن خبر الأمير عبد الله بن علي من أكبر أخباره، فلو أننا كتبنا كلما سمعناه عمن رآه لكان عجباً. وموته من غير وارثٍ قد ينافي كونه من آل عبد الله باحلوان لأنهم معروفين في الغرفة بأنسابهم إلى الآن.

الشِّحْر:

لها عِدَّة إطلاقات: (الأول): أنها اسم لكل ما شمله حَدَّ حضرموت، السابق ذكره أوائل الكتاب. (الثاني): أنها اسم لساحل المِشْقَاص بأسره، فما كان منه لبني ظِنَّه فهو داخل في حد حضرموت، وما كان منه للمَهْرَه كَيَدْعوت فهو **شِحْر** المَهْرَه. (الثالث): أنها اسم لجميع ما بين عَدَن وعُمَان كما ذكره ياقوت عن الأَصْمَعي، وكثير من يقول: إن ظَفَار هي قاعدة بلاد **الشِّحْر**، وفي الأصل بسط ذلك. (الرابع): اختصاص الاسم بالمدينة المعروفة اليوم، لكن نَقَل السيد **أحمد بن حسن الحدّاد** عن الباب السابع من «نخبة الدهر» أن لحضرموت **فَرْضَتَيْنِ** على ساحل البحر، يقال لأحدهما: شَرْمَه ـ وهي الآتي ذكرها ـ وللأخرى: **الشِّحْر**، ولم تكن بمدينة، وإنما كانوا ينزلون بها في خِصَاص حتى بَنَى بها الملك المظفر ـ صاحب اليمن في زماننا هذا ـ مدينةً حصينة بعد سنة سبعين وست مئة. أهـ. وفي «صُبح الأعشى» ٥/١٦: والشحر **قال ياقوت الحموي: هي** بليدةٌ صغيرة، ولم يزد على ذلك. والذي يظهر أن لها إقليماً يُنْسَب إليها. اهـ. وما استظهره هو الواقع ولا سيما في الأعراف القديمة، وكانت وفاة ياقوت في سنة ٦٢٦هـ أي قبيل أن يجعلها المظفر مدينةً بمدة ليست بالطويلة، وما جاء في

«صبح الأعشى» عن ياقوت لعله من غير مادة «**الشحر**» أمّا في مادتها ـ من معجمه ـ فقد أطال القول عن الشِّحْر وقال: هو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وإليه يُنْسَب العنبر الشِّحْري، لأنه يوجد في سواحله، وهناك عدة مدن يتناولها هذا الاسم. وإلى **الشحر** يُنْسَب جماعةٌ منهم محمد بن خُوَىٍّ بن معاذ الشِّحْرِي. انتهى باختصار وفي مروج الذهب ذكر النسناس الذي أفضت القول عنه بالأصل ثم قال المسعودي: ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهي تسعون مدينة على الشاطىء من أرض الأحقاف وهي أرض رمل، وغيرها مما اتصل بهذى الديار من أرض اليمن وغيرها، من عمان وأرض المهرة يستطرفون أخبار النسناس إذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الأرض مما قد بَعُد عنهم كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه في العالم، وإنما هو من هوس العامة كما وقع لهم من عنقاء معزب ونحن لا نحيل وجود النسناس والعنقاء لأن ذلك غير ممتنع في القدرة غير أنه لم يَرِدُ خبر قاطع للعذر بصحة وجود ذلك في العالم فهو داخلٌ في حيز الممكن الجائز... إلى آخر ما أطال به والذي يعنينا منه كون الشحر فيما سلف من الزمان تسعين مدينةً وكون هذه الأرض تسمى كلها أرض الأحقاف وهو موافق لكثير مما سبق.. والله أعلم. **وللشحر** ذكرٌ في شعر سُرَاقَةَ بن مرداس البارقي، وذلك أنه أُخِذَ أَسِيْرَاً يوم جَبَّانَةِ السْبِيْع، فَقُدِّمَ في الأَسْرَى فقال كما عند الطبري وغيره:

أَمْنُنْ عَلَيّ الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدْ
وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِحْرٍ والْجَنَدْ
وخير من لَبَّى وَصَلَّ وَسَجَدْ

فعفا عنه المختار في قصة طويلة تشهد لاستيلائه على **الشّحر**.

وكانت دولة **الشحر** لِكِنْده إلى سنة ٥٧٥، حيث هجم عليها الزنجيلي، ثم تولاها آل فارس المُخْتَلف في نسبهم، فقيل إلى الأنصار وهو أبعدها، وقيل إلى كِنْده وهو أوسطها ويؤيده ما سبق في حَجْر أن لا تزال به طائفة من آل بن دَغَّار الكِنْديّين يُقال لهم آل فارس، وقيل إلى المَهرة وهو الذي رَجَّحته ودلَّلت عليه.

وفي سنة ٦١٦ انْقَضَّ ابن مَهْدِي ـ وهو من صنائع آل رسول اليمانيين ـ على

آل فارس وأخرجهم من **الشحر**، وفي سنة ٦٢١هـ تولّى عليها عبد الرحمٰن بن راشد، وكان يُؤَدي الخَراج لملوك الغِزّ، فعزله نور الدين الرسولي برجلٍ من الغز وأضاف إليه نقيباً، فقتل الغزيّ، واستولى على البلاد، وكان عبد الرحمٰن بن راشد في ضيافته بتعز، فاستدعاه وخلع عليه، وأمره أن يسير إلى **الشحر**، فضبطها وبقيت تحت حكمه إلى سنة ٦٧٨ حيث دَخَلَت الشحر وحضرموت تحت حُكم المظفر الرسولي، ولكنه أبقى عبد الرحمٰن بن راشد عليها نائباً حتى توفي في سنة ٦٦٤، ودُفن بين تربة الشيخ سعد الظفاري وتربة عمرو، وقبره مشهور بها، وخلفه أخوه راشد بن شجعنه فبقي عليها إلى سنة ٦٧٧ فتغير عليه المظفر، واعتقله بزبيد إلى أن مات. وفي سنة ٦٦٧ وصل المظفر بنفسه إلى **الشحر** فعمرها، حسبما تقدم، ثم لم يزل حكامها من أسرته تحت أمر آل رسول حتى ضعف أمرهم، وصار النفوذ بحضرموت لآل يماني، وفي سنة ٨١٢ استولى دويس بن راصع على الشحر، ثم عادت لآل فارس حتى انتزعها منها آل كثير في سنة ٨٦٧، وهي أول دولتهم بها، ثم استردها آل فارس منهم في سنة ٨٩٤، ثم استرجعها آل كثير في سنة ٩٠١، وما زالت في أيديهم على مناوشات بينهم وبين أمراء العشائر حتى استولى الإمام المتوكل على الله على حضرموت وعليها في سنة ١٠٧٠، وقال السيد أحمد بن حسن الحداد: كان خروج الإمام أحمد بن حسن سنة ١٠٧٢هـ، وأقام بجيشه في حضرموت نصف شهر، ثم عاد طريق البحر من بندر **الشحر**، واستخلف السلطان بدر بن عمر الكثيري، وترك عنده جملة من عسكره الزيديّة، واستمر أمرهم نحو خمسين سنةً إلى خروج يافع من الجبل سنة ١١١٧ انتهى.

وقال السيد محمد بن إسماعيل الكبسي في كتابه «الممالك اليمنيه»[1]: وفي سنة ١٠٦٤ خَطَب بدر بن عمر الكثيري للإمام فقبض عليه ابن أخيه بدر بن عبد الله، فهمَّ الإمام بالتجهيز، وأمر بحشد الجنود إلى بني أرض[2]، ومَنَعت بلاد الرَصَّاص ويافع والعوالق والجرشي والواحدي والفضلي عن المرور فيها، فجدَّ الإمام في جهادهم، واجتمع لأولاد إخوته زهاء عشرة آلاف راجل وألف عنان، واشتد القتال بينهم وبين حسين الرَصَّاص حتى قُتل أو انهزم أخوه صالح إلى البيضاء، وانتهب العسكر جميع ما في مخيمهم، وكان محمد بن الحسين لم يشهد الوقعة

---

(١) «اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية».

(٢) بني إرَضْ: من قبائل سَرَو مَذْحِج في البيضاء.

ولكنه حضر بعدها فتقدم إلى يافع يوم الاثنين ١٩ جمادى الآخرة من السنة، إلى ذيل جبل العِرّ[١]، فاستولى على الجبل، وعادوا إلى عند الإمام. ولمّا انتهى خبر هذا النصر العظيم إلى بدر بن عبد الله الكثيري أطلق عمه، وَخَطب للإمام، فأرسل الإمام صالح بن حسين الجوفي إلى حضرموت، فألفَى الأمر على حقيقته، فوجه بدر بن عمر إلى ظفار والياً عليها، وفي سنة ١٠٦٨ غدر بدر بن عبد الله بعمه بدر بن عمر وأخرجه عن ظفار، فقدم على الإمام فأكرمه. وفي جمادى الأولى من سنة ١٠٦٩ أختار المتوكل: الصفيّ أحمد بن حسن لفتح حضرموت والشحر وظفار، وفي شعبان توجه الصفي إلى وادي السِّرْ بمخلاف خولان، ثم إلى مأرب وحبان، ثم دخل أطراف بلاد العوالق، فوصل بلدة واسط[٢]، ثم سار إلى وادي حَجْر، ثم تجرد منها تجرد الحسام، وكان سلطان حضرموت قدَّمَ عساكره إلى أعلا عَقَبة حَجْر فانهزموا من أحمد بن الحسن، وبانهزامهم أَنْهَزَمَ من بعدهم، وهذا المحل يقال له رَيْدَة بامَسْدوس، ثم تقدم إلى الهَجْرَيْن، ثم التقوا بعسكر سلطان حضرموت فهزموهم، واستولوا على حضرموت، وعاد الصفي إلى حضرة الإمام بضوران في أُبَّهَةٍ فاخرةٍ، ودولة قاهرة، وفتح قريب، ونصرٍ عجيب. انتهى باختصار، وإنما استوفيته مع عدم ملائمته للإيجاز لأن فيه ما ليس في الأصل، على أن في الأصل ماليس فيه، فليضم إلى كل ما نقص.

أمّا استيلاء يافع على الشحر وحضرموت فكما ذكر السيد أحمد بن حسن الحداد كان في سنة ١١١٧، وقد سبق في المُكَلاَّ أن الشيخ محمد بن صالح هرهره ـ أمير ذلك الجيش ـ أقامَ بالشحر ثلاثة أشهر جبَى فيها ـ منها ـ خمسةً وثلاثين ألف ريال، وكان من يافع طائفةً يُقال لهم (آل عياش) سكن رئيسهم بحصن الشحر الذي يُقال له المصبح، فأطلق عليه من ذلك اليوم: حصن ابن عياش، وما زالت يافع على الشحر حتى أخذها الإمام المهدي بالمَهْرَه، ومعهم الأمير سعيد بن علي بن مطران، وحصل النداء بالشحر أنَّ الناس في أَمَان المهدي، واشترط يافع لأنفسهم أن يغادروا الشحر بسلاحهم بعد ثمانية أيام، فخرجوا منها إلى حضرموت وانضموا إلى عسكر عمر بن جعفر. وفي سنة ١١١٨ وصل السلطان عمر بن جعفر من اليمن إلى الشحر، وسلّمه النقيب والعسكر

---

(١) المقصود عِرّ يافع. وكثيرةٌ هي الجبال والمناطق التي تحمل اسم (العِرّ) ذكرناها في المعجم.

(٢) واسط: قرية كبيرة في وادي حَرَض، من مديرية زَصَاب وأعمال محافظة شبوه.

حصن **الشِّحْر**، ونادَى بالأمان، ثم كتب للعسكر بحضرموت: أن سيدي الإمام المهدي وَجَّهَني إلى حضرموت، فإن كنتم في الطاعة سلّمتم الناس من الضرر، وإلاَّ فنحن واصلون بالجيش المنصور، وهو مؤلّف من ثلاثمائة من حَاشِد وَبكِيْل، ونحو مائة من سائر عسكر الإمام، ونحو مائة من الحجاز، ونحو مائة وخمسين أخلاط من الخلق، وكان السلطان عيسى علىٰ سيوون، وحضرموت، فانهزم ثم تغلبت يافع على عمر بن جعفر، وعاد الأمر إليهم **بالشحر** إلى أن اختلفوا، فغلبهم آل بُرَيك (وأصل آل بريك من حريضه وهم إما من بقايا بني ناعب ـ الآتي ذكرهم ـ في التعريف بوادي عِمِد، وإمّا من بني جبر قبيلة من يَافِع يسكنون جبلاً في سَرْو حِمْيَر يُقال له ذو نَاخِب كما في «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك الهمداني). وأول ما ابتدأ به آل بريك المصالحة بين الحموم والتحالف معهم، ثم قَرّبوا الناس وعاملوهم بالإحسان حتى أحبوهم، وأول أمير لهم هو ناجي بن عمر، وكانت يافع جعلت إليه الماليّة في أيام نفوذهم، لأنهم تنازعوها، وكادوا أن يقتتلوا عليها، ولمّا استقل شيئاً فشيئاً على حساب اختلافهم وتفرق آرائهم، أفاقوا فناوشوه، ولكنه انتصر عليهم لأنهم كانوا متحاسِدِيْنَ. ولمّا مات ناجي بن عمر في سنة ١١٩٣، خلفه ولده علي بن ناجي بن عمر بن بريك، فخالفه محسن بن جابر بن همّام، وانضم إليه آل عمر باعمر، فجهّز عليهم علي ناجي، وأجلى آل همّام إلى المُكَلاَّ وآل عمر باعمر إلى الريدة، واستنجد آل همّام بعبد الرب بن صلاح الكسادي، ولكنه انهزم هو وإياهم، كما سبق في المكلا. وفي أيام علي ناجي هذا ظهر أن القاضي سعيد بن عمر بن طاهر كان يعمل الأسحار، فأغرقه في بالوعة الأقذار، وكان آخر العهد به، ولمّا مات علي بن ناجي سنة ١١٢٠ خَلَفَهُ أخوه حسين ابن ناجي، ثم ولده ناجي بن علي بن ناجي، وفي أيامه جاءت الوهابيّة في خمس وعشرين سفينةً تحت قيادة ابن قمله بأمر الملك عبد العزيز بن سعود آل سعود الذي استفحل سلطانه، لذلك العهد فافتتح نجداً والإحساء والعروض والقطيف والحجاز وغيرها، وكان أكثر فتوحه على يد ابنه وقائده العظيم سعود المتوفي سنة ١٢٢٩هـ فامتلكوا البلاد، ولم يأذوا أحداً في حال ولا مال، ولم يهلكوا حرثاً ولا نسلاً، وإنما أخربوا القباب، وأبعدوا الترابيت، وقد قررت في الأصل ما ذكره ابن قاسم العبادي من حرمة الترابيت، وأمّا القباب فإن كانت في مسبلة فحرام وإلا فَلاَ، بشرطه. ولم يعترضهم آل بريك، وأقاموا **بالشحر** أربعين يوماً، ثم ركبوا سفائنهم وعادوا لِطِيّتِهِمْ. وفي سنة

١٢٢٧هـ نشب الشر ما بين الكسادي صاحب المكلا وآل بريك، وامتدت المناوشات بينهم زماناً طويلاً في البحر والبر. وفي سنة ١٢٤٢، توفي ناجي بن علي، وكان خادماً للدين، شديد الغيرة على شعائره، لا يخرج عن رأي الإمام الحبيب حسن بن صالح البحر في ذلك، حتى لقد أمره أَنْ لا يُمَكِّنَ أحداً من البادية يدخل **الشحر** ليمتار إلاَّ بعد أن يحلف اليمين على أن لا يُقَصِّر في الصلاة، فحصل بذلك نفع عظيم، وصلاح كبير، حتى جاء العوابثه في قطار لهم، فلما أرادوا أن يدخلوا من العيدروس (وهي باب **الشحر** الشمالي) عرضوهم على العهد، فأبوا، وصرفوا وجوه إبلهم إلى الغَيْل عند رفاقهم آل عمر باعمر، وارتجزوا بقول شاعرهم:

قُولُو لِنَاجِي بن عَلي، كُلَّيْن يؤخَذْ له ملاه
مارَاس بن عَوْبَث غَلَبْ، مَابَا يِعَاهِدْ عَلَى الصَّلاَة

فاختلفوا في تفسير هذا، فقوم يحملونه على العناد والمجاهرة بالفساد، وآخرون يحملونه على أن الداعي إلى الصلاة من الدين، والسائق لها من الضمير، فلا تحتاج إلى عهد ولا إلى يمين، ولمّا مات ناجي بن علي خَلَفَهُ ولده علي ناجي الثاني.

وفي سنة ١٢٦٧هـ، كانت حادثة مرير [1]، وحاصلها أن آل كثير أغاروا على الشحر بعسكر مَجْرٍ، وجاءتهم نجدة من الأتراك في البحر، من مكة المشرفة، على رأسها شيخ العلويين السيد إسحاق بن عقيل بن يحيى، مؤلفة تلك النجدة من نحو خمسمائة جندي، بعدتهم وعتادهم فبلغت العساكر البحرية والبرية نحواً من خمسة آلاف، إلاَّ أنه لم يصحبها رفيق من التوفيق، فكان عاقبتها الانهزام الشامل والفشل الشائن ـ كما هو مُفَصَّل بالأصل ـ وبعضهم يعلل ذلك الانهزام بخيانةٍ من سَيْبَان الموجودين بكثرة في الجيش الكثيري، لأنهم كانوا في طليعة الجيش المرابط بمرير، فلمّا هاجمتهم فرقةٍ من عسكر الكسادي ـ جاءت من المُكَلاَّ لمساعدة آل بريك ـ انهزموا وذهبوا بها عريضةً وأكثروا من الأراجيف، فخلعوا قلوب الجيش الكثيري، وملؤا صدورهم رعباً، فركب كل منهم رأسه وذهبوا عَبَادِيْدَ لا يلوي واحدهم على شيء قط، وعادت النجدة التركية إلى

(١) مرير: منطقة ساحلية تبعد عدة أميال إلى الغرب من مدينة الشحر.

أسطولها الراسي بِشَرْمَه [1]، لأن مَرْسَى الشِّحْر كان مكشوفاً، وكان البحر هائجاً، والوقت خريفاً، وتفرق الجيش الكثيري أيدِي سبأ، وعاد بخيبة الرجاء، ولم يَبْقَ بالمعسكر - في اليوم الثاني - نافخ ضَرَم. وكان من نتيجة ذلك الفشل أن السلطان عبد المجيد العثماني أقال السيد إسحاق من مشيخة العلويين بمكة، وأبدله بالسيد محمد بن محمد السقاف، وفي سنة ١٢٨٣ جَهَّز السلطان غالب بن محسن الكثيري على **الشحر**، فاستولى عليها وهرب علي ناجي بمن معه وما قدر عليه في خمس من السفن، أعدها لذلك من يوم عَلِمَ بالغزو، وكان هربهُ إلى المكلا فلم يُمَكِّنْهُ الكسادي من النزولِ بها، معتذراً بأنه لا يصلح سيفان في جَفِيْرٍ، فأبحرَ إلى يشبم واذن له النقيب أن يبقى نساؤه وصغاره في خلف، ومات كثير منهم بالبرد فانتقل بعضهم إلى الحرشيات، وأما المكلا فلم يمكنهم من دخولها، وأقام على ناجى عند الشيخ فريد بن محسن العولقي عاماً ثم ركب إلى عدن وعاد منها إلى الشحر، وكان عليها الأمير عبد الله ابن عمر القعيطي، بعد جلاء غالب بن محسن عنها، فاكرم وفادته، واحتفى به، حتى لقد دخل بين البحَّارة الذين حملوه من القارب إلى الساحل، وأحسن مثواه، إلاّ أن فكرة الإمارة عادت تتحرك في صدره [2]، فعزم إلى الإستانة، ليستنجد بالخليفة العثماني على الكسادي بالمُكَلاَّ وعلى القُعيطي **الشِّحْر**، فسافر إلى عدن، ثم خرج إلى لَحْج وبها فاجأته المنية، وعاد كثير من أعقابه إلى **الشِّحْر**، ولا يزال بها ناس منهم إلى اليوم. أمّا غالب بن محسن فلو قنع **بالشحر** كما أشار عليه المخلصون لأوشك أن تطولَ بها مدته، لكنه طمع في أخْذِ المكلا من الكسادي، فانكسر دونها، وفي آخر الحجة من نفس السنة التي أخذَ فيها الشحر - أعني سنة ١٢٨٣- جهز القعيطي بمساعدة الكسادي على **الشحر**، وافتتحها بأسرع وقت، وتفرق عسكر السُلطان غالب شَذَرَ مَذَر، ولولا أن أحدَ عبيده وهو صنقور سليمان وكان من أهل القوة والأيْد إحتملُه على ظهره لذهب مع شفرات يافع، فما نجي إلاَّ بجريعة الذقن، وخيط الرقبة. وفي رجب من سنة ١٢٨٤هـ، أستأنف السلطان غالب بن محسن التجهيز على الشحر، إذ بقي قلبه بحسرةٍ عليها، ودخل أكثر جيشه من كوة فتحها في سور البلد، فانحصروا وانقطع عليهم خط الرجعة وأَصْلَتْهُم يافع ومن لفها من عسكر

---

(١) شرمه: بلدة في ساحل الشحر تقع شرقي الدَيْس إلى جنوبه على مسافة قصيرة جداً.

(٢) وجاء في النسخة (ب) إضافة نصها: وكلما ذكر أيامه عليها بالشحر قاله بلسان حاله:

فوالهفةً كم لي على المُلك شهقة ... تذوب عليها قطعة من فؤاديا

القعيطي ناراً حاميةً، فاثخنوا فيهم قتلاً، وخرج الباقون لا يلوي آخرهم على أولهم، ورسخت أقدام القعيطي **بالشحر**، وجلس عليها الأمير عبد الله بن عمر القعيطي كما عرف مما سبق. وبعد وفاته في سنة ١٣٠٦ خَلَفَهُ عليها ولده حسين بن عبد الله لأن أكثر إقامة السلطان عوض بن عمر كانت بحيدر آباد الدكن في خدمة النظام الآصفي، ثم نزغ الشيطان بين السلطان عوض وأولاد أخيه عبد الله، وهما منصور وحسين، وجرى بينهم ما فصلناه بالأصل، وكانت النهاية تحكيم المنصب السيد أحمد بن سالم بن سقاف، فحكم بأن لا حظَّ لهم في الإمارة، وتم جلاؤهم عن **الشحر** والغيل، بمساعدة الحكومة الإنقليزية في سنة ١٣٢٠، ومن العجب أن التحكيم كان خاصاً بما بينهم من الدعاوي الماليّة، ومع ذلك فقد كان الحكم شامِلاً للإمارة، واستتب الأمر للسلطان عوض بن عمر القعيطي فَحْل حضرموت وطَلاَع نجادها ومزلزل أوتادها:

مُـدبِّـرُ مُـلْـكٍ أَيُّ رَأْيَـيْـهِ صَـارَعُـوْا ... بِهِ الـخَطْبَ رَدَّ الـخَطْبَ يَدْمَي وَيَكْلُمُ

وَظَـلاَّمُ أَعْـدَاءٍ إذا بُـدِيّ اعْـتَـدَى ... بِـمُـوْجَـرَةٍ يَـرْفَـضُ مِـنْ وَقْـعِـهَـا الـدَّمُ

وَلَـوْ بَـلَـغَ الْـجَـانِـي أَقَـاصِـيَ جِـلْـمِـهِ ... لأَعْـقَـبَ بَـعْـدَ الْـحِـلْـمِ مِـنْـهُ الـتَـحـلُّـمُ

وقد أطلقنا عليه لقب السلطان لأنه به حقيق في اتساع ملكه، وامتداد نفوذه، وفي الأصل بسط الكلام عمن يسمى سلطاناً ومن لا يُسمَّى، ونزيد هنا قول الإمام الرازي في تفسير قوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وهو أنَّ من مَلك بلداً صغيراً لا يحسن فيه أنْ يُقال: جَلَس على العرش، وإنما يحسن ذلك فيمن مَلَك البلاد الشاسعة والأقطار الواسعة، فالعرش والكرسي لا يكونان إلا عند عظمة المُلْك. اهـ. وهو لا يخرج عما هناك.

وللسلطان عوض محاسن جمة، ومناقب مُهمة، وقد حج في سنة ١٣١٧ وأظهر من التواضع والخضوع ما يدل على قوة دين وصحة إيمان، وأكرمه الشريف عَوْنُ الرَّفِيقُ وأعاد له الزيارة، فأدركته عنده نوبة صَرْع، فانزعج القعيطي، وظنها القاضية حتى هدأه أصحاب الشريف، وقالوا له: إنما هي عادة تنتابه من زمن قديم، وقدم للشريف هدايا طائلةً، ومع قرب سفره طلبوا منه معونة لإجراء سكة الحديد بين الشام والمدينة، فدفع لهم ثلاثين ألف روبيه، فأرجعوها إليه استقلالاً لها، فركب إلى المدينة على وعد الرجوع إلى جده، ثم سار إلى الشام، وكان آخر العهد به، وسَلِمَت الثلاثون الألف. وقد سبق في حَجْر أنه تعلّق بأستار

الكعبة وتابَ من كل سيئةٍ إلاّ من فَتْح حَجْر وحضرموت. توفي بالهند آخر سنة ١٣٢٨هـ، ورثاه شيخنا العلامة أبو بكر بن شهاب بقصيدةٍ حُمَيْنِيَّة مؤثِّرة، ووقع رداؤه على ولده السلطان غالب بن عوض وكان شهماً كريماً لَيِّنَ الجانب، دمث الشمائل، وديع القلب، شريف الطبع، وافر الحرمة، سعيد الحظ، ميمون النقيبة، مبسوط الكف، ينطبق عليه قول الطائي:

فَتَى سِيْطَ حُبُّ المَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ ... وَخَامَرَهُ حَقُّ السَّمَاحِ وَبَاطِلُهُ

وقوله:

له خلق نهى القرآن عنه ... وذاك عطاؤه السرف البذار [1]

وقول البحتري:

تَغَطْرُسُ جَوْدٍ لَمْ تَمْلَكَهُ وَقْفَةٌ ... فَيَخْتَارَ فيها للصَّنِيْعَةِ مَوْضِعَا

وقوله:

إلى مُسْرِفٍ في الجُوْدِ لو أَنَّ حَاتِماً ... لَدَيْهِ لأَمْسَى حَاتِمٌ وَهْوَ عَاذِلُهْ

وقول أبي الطيب:

وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّمَاحِ مُبَذِّرَا

وفي أيامه كانت حادثة الحموم [2] في ٢٧ ربيع الثاني من سنة ١٣٣٧ وحاصلها: أنهم كانوا يخيفون السابلة، والحكومة القعيطيه تتوقّى شرهم، وتدفع لهم مواساة سنوية، يعتادونها من أيام آل بريك. وفي ذلك العهد انعقد الصلح بين الحموم والحكومة القعيطية، بدراهِمَ بذلتها لهم الحكومة، لا يُستهان بها، على العادة الجارية بينهم في ذلك، فبينا هم غَارُّوْنَ هَاجَمَتْهُم سَيْبَان، وكان لهم عندهم ثأر، فَقَتلت منهم عدداً ليس بالقليل، فاتهموا الحكومة بمساعدتهم، وظفروا بجماعةٍ من يافع فقتلوهم. فما زال ناصر أحمد بريك ـ أمير الشحر يومئذٍ ـ يداريهم ويستميلهم، ويُظهر لهم أن قتلهم ليافع لم يُثِرْ حِفَاظَهُ حتى اجتمع منهم بالشحر نحو من أربعمائة فألقى عليهم القبض أجمعين، وقتل سبعة وعشرين من

---

(١) إضافه في النسخة (ب).

(٢) الحموم: من كبريات القبائل الحضرمية، تقع منازلهم في شرقي الشحر والمشقاص وقد أفاض المؤلف في الحديث عن فروعهم، انظر: مادة: مراسي بحر الشحر.

رؤسائهم، منهم سالم بن علي بن مجنح الملقب حِبْرِيْش، وحيمد بن عمرو بالفِرخ الغرابي، ومرضوج بن عوض اليُمَيْني، وغيرهم وأظهروا من الثبات ساعة القتل ما أبقى لهم جميل الأُحْدُوثة، ومات في حبس القُعيطي منهم مائة وسبعة، وأطلق بعد ذلك سراح الباقين، ولكن بعدما وَهَنَ جانبهم، ونخرت عيدانهم إلاَّ أن علي بن حبريش لم يزل يجمع جراميزه، لأخذ الثأر، ودار على حصون آل كثير، فلم يجد عندهم منفعةً، وإلاَّ فقد كانت بينهم وبين بعضهم أحلاف، وبعد أن مضى لهذه الحادثة سبع سنين، هجم على الدَيْس[1] فنهبها واستباحها، وقَتَل جماعة من عسكر القعيطي، وأَسَر ثمانية عشر منهم، ولم يُقْتَل من أصحابه إلاَّ أربعة فقط، وطفق يتجاذب الحبال مع الدولة القعيطية، حتى استعانوا عليه بالطائرات الانقليزية، فأضرَّت بمكانه الواقع على مقربةٍ من غيل بن يُمَيْن، ولم يخضع مع ذلك. وفي نحو سنة ١٣٥٨ كَمَنَ ولده - في جماعةٍ من الحَمُوم - بالمكان المُسَمَّى حَرْو[2]، فجاءتهم ثلة من العساكر القعيطية، في سيارات يتقدمهم يافعي شجاع يقال له محمد محسن السعدي، فتبادلوا الرصاص لكن كانت يافع أثبت وأنفذ سلاحاً، فاستأصلوهم قتلاً، فانكسف بال علي بن حبريش، واستولى عليه الفِراش ومات غَبْناً.

وكان أهل **الشِّحْر** يلاقون عناء من قلة الماء فأجراه إليهم السلطان غالب من تباله[3] فاستراحوا بذلك. وفي أيامه انعقدت بينه وبين سلاطينُ آل كثير صاحب سيون وصاحب تريم المعاهدة المشهورة ذات الإحدى عشر مادة - المحررة ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦هـ - وقد اعترفوا في المادة الأولى منها بانسحاب حكم الحماية الأنقليزية عليهم، ولقد بذلت جهدي في تحذير السلاطين الكثيريين ونُصْحُهم عن الموافقة عليها وذَكرت لهم ما في ذلك من الوِزْر والخس بما هو مبسوط في الأصل ولكن السيد حسين بن حامد المِحْضَار أَلَحَّ في ذلك بمسعى شديد وجُهد جهيد، وساعده ناس من أهل الثروة، فتم له ما أراد، ومعروف مشهور مالي في ذلك من المنظوم والمنثور. وكانت بيني وبين السلطان غالب هذا

---

(١) الدَيْس: مدينة شرقي الشحر بمسافة نحو ٢٥ كيلاً، وهي المشهورة باسم (الديس الشرقي) أو (الديس الحامي) لتمييزها عن (الدَيْس الغربي) الضاحية الشمالية لمدينة المكلا والواقعة في سفح الجبل المُطِلّ على المدينة.

(٢) حَرْو: محل جنوب غيل بن يُمَيْن.

(٣) تَبَاله: قرية تبعد عن مدينة الشحر إلى جهة الشمال بحوالي سبعة كيلومترات تقريباً.

مودّة لولا مكايدة السيد حسين حامد لها لكانت قوية، وبيني وبينه مكاتبات ممتعة ذَكَرت بعضها في الأصل، ولي عليه عهود موثقة بالنصر على كل من عاداني، وبالإعفاء من الرسوم عن ستين طرداً في كل عام، وبمرتب سنوي زهيد، ومع ذلك فقد كان وزيره المرحوم السيد حسين بن حامد المحضار يراوغني فيها، ويمانع اجرائها والعمل بها، ولمّا توفي أَرْسَلت إلى عند ولده السيد أبو بكر بن حسين أطالبه بإجرائها وتنفيذ ما فيها، فلم يردها إليّ رأساً، وَظَنّها النسخة الوحيدة، ولكن كانت عندي صورتها بإمضاء السلطان غالب، والسيد حسين، وشهادة السيد محمد بن عبد الله بن هارون بن أحمد المحضار، والأمير علي بن صلاح، وطالما ذَكَّرت بها العلامة السلطان صالح بن غالب فقلت له أمام الملاءِ: أهذه المعاهدات صحيحة معمولٌ بها أم تُعتبر لاغيةً؟ فأجاب بصحتها والتزام تنفيذها. وكان ذلك بمرأى ومسمع من وزيره المُكَرَّم الفاضل سيف بن علي آل بوعلي، وقد تقدمت إلى السلطان صالح في سنة ١٣٥٥ بقصيدة تزيد عن مائة وعشرين بيتاً لم تُعَدْ فيها قافية، وأنشدتها له مَرّات بِحَوْرَه [1] سنة ١٣٦٠، وأخرى بمنزلي في سنة ١٣٦٥ منها:

وَبَيْنَ يَدَيْنَا شِرْعَةٌ لاَ تَزِيْدُهَا ... تَجَارِيْبُ ذِيْ عَقْل وَلاَ عَقْدُ مُؤْتَمِرْ

هِيَ الْقُدوَةُ الْمُثْلَى الْعُلِيُّ مَنَارُهَا ... أَتَتْنَا بِهَا غُرُّ الأَحَادِيْثِ والسُّوَرْ

وَحَسْبَكَ بِالإِفْرَنْجِ فَالْخُطَّةُ التي ... بِهَا لْمِشْيُ فيما يَحْكُمُوْنَ بِهِ اسْتَمَر

مُدَوَّنَةٌ في الأَصْلِ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ ... وَسَائِلْ تَجِدْهَا في التَّوَارِيخِ والسِيَرْ

ولكنّ أهل العلم والدِّيْنِ داهنُوا ... وباعُوا حقوقَ الله بِالماءِ والشَّجرْ

فَلَنْ تَلْقَ مِنْهُم مَنْ نَهَى عن قَبِيْحَةٍ ... وَلاَ مَنْ بِمَعْرُوفٍ عَلَى مَكره أَمَرْ

إذا أُنْتُهِكَ الإسلامُ أَغْضَى زَعِيْمُهُمْ ... وَإِنْ أُخِذَتْ شَاةٌ لَهُ اهْتَاجَ واسْتَعَرْ

فَمَا شَأنَهُمْ إلاَّ التَّصَنعُ والرِّيَا ... وَأَعْجَبُ ما تَلْقَى النِّفَاق لَدَى مُضَرْ

نِفَاقٌ وأخلاقٌ دِقَاقٌ وذِلّةٌ ... بها شَوّه الإدْبَارُ أيّامَنَا الأُخَرْ

تَوَلَّى الْوَفَا والصِّدْقُ فانْدكّ مجدهم ... وراحت عليهم كُلُّ مَكْرُمَةٍ هَدَرْ

---

(١) حوره: مدينة مشهورة في وادي العُيَّن، تشكل اليوم مركزاً إدارياً من مديرية القطن ـ انظرها في موضعها.

يقولُونَ ما لا يعملُوْنَ تَصَنُّعاً ... سَوَاسِيَةٌ مَنْ قَالَ شِعْراً وَمَنْ نَثَرْ
وقد كَانَتِ الآباءُ مِنْ قنَّةِ الْعُلَى ... بشأوٍ حَتَى في وَجْهِ كُلَّ مَنِ افْتَخَرْ
تَزِلُّ الْوُعُوْلُ الْعُصْمُ عَنْ قَذَفَاتِهِمْ ... وَكَمْ مِنْ عُقَابٍ في مَراقِيهِمُ انْكَسَرْ
مَضَوْا شُهَدَاء الحقّ في نُصْرَةِ الهُدَى ... وَمَا بَرَحُوا في هِجْرَةٍ وَعَلى سَفَرْ
وَمِنْ آل قَحْطَانٍ رِجَالٌ عَلَى الْوَفَا ... مضَوْا بِسَلامٍ ذِكْرهُم طَابَ واشْتَهَرْ
إذا عَاهَدُوْا وَفَوُا الْعُهُودْ وإن دُعُوْا ... أَجَابُوا وَلَوْ كَانَ الظَّلاَمُ قَدِ اعْتَكَرْ
كِرَامٌ يَهَابُوْنَ المَلاَمَ وَلَذْعَةَ الْـ ... كَلاَمِ لَهُمْ أَشْوَى مِنَ الصَّارِمِ الذَّكَرْ
وَجَابَتْ خُلُوفٌ سَخنَةُ الْعَيْنِ بَعْدَهُمْ ... مَشَائِيْمُ قد ضَمُّوْا إلى الْعُجَرِ الْبُجَرْ
مَذَامِيْمُ تَطْوِيْلُ الإزَارِ مِنَ الْعُلَى ... لَدَيْهِمْ وَتَصْفِيْفُ المَلاَبِسِ والطُّرَرْ
إذَا عَقَدُوْا عَقْداً وقَالُوا مَقَالَةً ... فَلاَ عَقْدُهُمْ يُرْجَى وَلاَ القولُ يُعْتَبر
فآهٍ من الشُّؤْم الذي مَسَّنَا بِهِمْ ... وآهٍ عَلَى عِقْدِ الْكِرَامِ الّذي أَنْتَثَرْ
وَلَمَّا نَصَرْتُ الْحَقَّ بَيْنَ بَنِي أَبِي ... رَأَوا أَنَّهُ الذَّنْبَ الذي ليسَ يُغْتَفَرْ
فَدَانُوا بِبُغْضِي واسْتَهانُوْا بِحُرْمَتِي ... وَكَمْ قَصَدُوني بالأَذَايَا وَبِالضَّرَرْ
وَكَمْ حَطَّ مِنْ قَدْرِيْ حَسُوْدُ فَلَم يَنَلْ ... عُلاَيَ لأني صُنْتُ نَفْسي عن الْقَذَرْ
فَإِنْ جَاءَ عَنِّيْ فَاسِقٌ بِنَمِيْمَةٍ ... وَأَلْصَقَ بي عَيْباً وَأَرْجَفَ وَافْتَجَر
فَقُولُوا لَهُ: قَابِلْ، فذا هُوَ حاضِرٌ ... وَعِنْدَ التِّلاَقِي يُعْرَفُ الصَّفْو والْكَدَرْ
يَعِيْبُونَنِي غَيْباً وَاعْلِنُ ذَمَّهُمْ ... وَلَيْسَ سَوَاءً مَنْ أَسَرَّ وَمَنْ جَهَرْ
نُنَاشِدُكَ الإِسْلاَمَ وَالْحُرْمه التي ... نُؤَمِّلُ فِيْهَا أَنْ نَلُوْذَ إِلَى وَزَرْ
وَلِي بِخُصُوْصٍ في الذِّمَامِ وَثَائِقٌ ... أَبُوْكَ بِهَا، حَيّاهُ مَوْلاَهُ، قد أَقَرْ
وَأَمْضَى بِمَرأى مِنْ رِجَالٍ ومَسْمَعٍ ... عَلَيْهَا وَعِنْدِي خَطُّهُ الآنَ مُسْتَطَرْ
وَأَكَّدَ إِحْدَاهُنَّ تَوْقِيعَكُمْ بِهَا ... وَشَاعَ لَدَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ وَالْوَبَرْ
فَمَا بِيَ مِنْ هَضْمٍ يَمَسُّ بَمَجْدِكُمْ ... وَأَنْتَ الْحَمِيُّ الأَنفُ والأَمْرُ قد ظَهَرْ
أَتَرضَى عَلَى هَذَا بَوَاشٍ يَقُوْلُ لي: ... كَلاَمُ الْقُعَيْطِيِّ الذِي قَالَهُ قَصَرْ؟

وكان الاقتصار أحق بالاختصار، لكن أخَذَ الكلام برقاب بعضه، واقتضاه سَوْق الحفيظة والاستنجاز في هذا العرض المناسب. وقد توفي السلطان غالب بن عوض في سنة ١٣٤٠هـ ودُفن بجانب أبيه بمقبرة أكبر شاه بحيدر آباد الدكن، وقد رَثَيْتُهُ عن وجدَانٍ صحيح، وودّ صادق، بقصيدة توجد بمكانها من الديوان، ورثاه شيخنا العلامة ابن شِهاب بأبيات منها:

جَـــاءَ تَـــارِيْـــخُ مَـــوْتِـــهِ عَـــظَّـــمَ الله أَجْـــرَكُـــمْ (١)

وما سمعنا بسلطان بَكَتْهُ رعاياه بدموعٍ حارة، وأحزانٍ متواصلة مِثْلَهُ، ولا جَرَمَ فقد قال أبو الطيِّب:

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسىً بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوْب

وقال يزيد المهلبي:

أَشْرَكْتُمونَا جَمِيعاً في سُرُوْرِكُمُ فَلَهْوُنَا إِذْ حَزِنْتُمْ غَيْرُ إِنْصَافِ

وَخَلَفَهُ أخوه السلطان عمر بن عوض، وكان ثقة حازماً شجاعاً غيوراً، وله وفادات مكررة إلى مكة المعظمة والمدينة المشرفة، يتواتر فيها ما يدل على صحة الإيمان، وقوة الدين، ولئن اتُّهِمَ بتقصير في العبادة، وانحرافٍ في السيرة، فالندم إمارة صدق التوبة. وبقي على وزارته السيد حسين بن حامد المحضار، إلاَّ أنه لم يكن في أيامه وافر الحرمة ولا نافذ الكلمة، ولا واسع الجاه، كما كان في أيام السلطان غالب، الذي لا يعترضه في أي أمرٍ كان، بل يفوض إليه الأمور تفويضاً أعمَى، أما السلطان عمر فقد أَسمَعَهُ مَا يَكْرَه حتى لقد أخبرني السيد محمد بن عبد الله بن هارون بن أحمد المحضار أن السيد حسين بن حامد قال لولده أبو بكر وهو على فراش الموت: إنني قتيل عمر بن عوض. ولمّا مات في آخر سنة ١٣٤٥ أبقى السلطان عمر ولده أبا بكر ثم عزله، ولم يُؤَدِّبْ عليه، ولم يُؤْذِه في حال ولا مال، واستَوْزَر بعده المكرم سالم بن أحمد القعيطي، وجعله موضع ثقته وأمانته. توفي السلطان عمر بن عوض أواخر سنة ١٣٥٤، وخلفه العلامة الجليل السلطان صالح بن غالب، وكان غزير المادة في العلم، كما تشهد له بذلك مؤلفاته المنقطعة النظير، وقد سبق في المُكلاَّ شغفه بالعلم وانكبابه على المدارس

---

(١) بحساب الجمل: ع ظ م الـــلـــه ا ج ر ك م
٧٠ + ٩٠٠ + ٤٠ + ١ + ٣٠ + ٣٠ + ٥ + ١ + ٣ + ٢٠٠ + ٢٠ + ٤٠ = ١٣٤٠.

ما يوازي خُمس حاصل فرضة المكلا بالتقريب، وقد تجددت بينه وبين الحكومة البريطانية معاهدة في الأخير لعلها في سنة ١٣٥٨ قَبِلَ فيها: أن يكوْن له مستشار إنجليزي، وعذره ـ فيما يظهر ـ أنّ بعض آل حضرموت أكثروا الزراية على وزارته، وتمضغوها في الجرائد بحق وبغير حق، وأغدقوا العرائض في ذلك على دار الاعتماد بعدن، وعندما أحس بالإصغاء إليها مع تردد رجال الحكومة الانقليزية إلى حضرموت، ونزولهم على الرحب والسعة بأكثر مما يوافق هواهم ويملأ رضاهم ويوطىء لهم المناكب، ويفتح لهم الأبواب، لم يَسَعْهُ ما عرفه من الأحابيل المنصوبة له، ولولده من بعده مع حرصه على توثيق الأمر له إلاّ أن يقول بلسانٍ خالص: إذا سعيتم في موالاة الحكومة الإنجليزية بِرِجْلٍ طِرتُ فيها بجناح، فكان ما كان، إلاَّ أنه تنازل لهم عن أكثر مما التزمه. ولقد كان السلطان الكثيري مع نزول درجته عنه، وصغر مملكته بتفاوت عظيم، لا يزال ينازعهم، وقلّما يشتد في أمرٍ إلاَّ وافقوا عليه، والسلطان صالح محبوب عند الناس، مفديٌّ بالأرواح من سائر الأجناس:

هُوَ الْمَلِكُ الَّذِيْ جُمِعَتْ عَلَيْهِ ... عَلَى قَدَرٍ مَحَبّاتُ الْعِبَادِ

تَوَلَّتْهُ الْقُلُوبُ وبَايَعَتْهُ ... بِإِخْلاَصِ النَّصِيْحَةِ وَالْوِدَادِ

وهو كآبائه، محب للعدل، بعيد من الظلم، إلاّ أنه يُرْخِي الأَعِنَّة للحكام وللعمال، وبما عَرَفوا من إنبنائه على العفو الواسع، والحلْم الشامل، أخذوا يبسطون في المظالم، ونخاف أن يخلقوا له بأعمالهم ـ التي هو منها بَرِيْءٌ ـ بُغْضاً في القلوب من دون جناية فعليّه، ولا نجاةُ من ذلك الخطر إلاّ بأن يأخذ هو ووزيره بسيرة ابن الخطّاب في مراقبتهم، وبث الأرصاد عليهم، حتى أنه ليصبح وكأنما بات مع كل واحد في فراشه، تأتيه أخبارهم دون غش في كل ممسى ومصبح، ويقول: لو ضاعت ناقةٌ بشاطىء الفرات لكان المسؤل عنها آل الخطاب، وما يعني إلاَّ نفسه، وتلك هي سيرة أَرْدَشِيْر بن بابك، وقد تقيّلها معاوية بن أبي سفيان وزياد بن أُبيّه، فانتظمت الأمور واندفعت الشرور، وأنعدم الجور، وإنني لأتمنّى أن يتسمتها هذا السلطان ووزيره لتثلج الصدور، وتبرد الخواطر، وتبقى على انعقادها بمحبتهم القلوب، إذ لا أنصر للسلطان من أفئدة تَمْتَلِيءُ بوده، وألْسِنَةٌ تهتف بشكره. وفقنا الله وإياهم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

ولقد كانت الحكومة القعيطية في أيام السيد حسين بن حامد أحبّ من جهةٍ

إلى الناس منها اليوم، لا لأَمْنٍ ينبسط، وَلاَ لِعَدْلٍ ينتشر، ولا لخير يَعُمُّ ولا لشر يندفع، ولا لعطاء يُرْجَى ولا لسيوفٍ تُخْشَى، ولكن لخصلةٍ واحدة وهي جبر القلوب، وأخذ الخواطر، وحلاوة اللسان، والمقابلة بالترحيب والمعانقة، وإن زاد على ذلك شيئاً فما هو إلاَّ كرم الضيافة، حسبما قلت له في القصيدة الآتي خبرها في أحوال سيون السياسية:

مَلَكْتَ قَسْراً قُلُوْبَ النَّاسِ قَاطِبَةً ... بِخِفَّةِ الرُّوْحِ والأَخْلاقِ والْحِيَلِ

وَبِالكَلامِ الَّذِيْ نِيْطَ الْقَبُولُ بِهِ ... مَعَ العِنَاقِ لَدَى التَّوْدِيعِ والْقُبَلِ

إنما قلت من جهة لأن الجور في بعض الأماكن كوادي لَيْسَر (الأيسر) لعهده تكاد تنشق الأرض منه وتخر الجبال هداً؛ ومفاسد الاستبداد إذ ذاك فوق التصور فإنكاري على عُمَّال الحكومة القعيطية[1] جِدُّ شدِيْدٍ في جورهم، وتنكُّرهم للمناصب[2] ولرؤساء يافع وآل تميم وآل كثير، وغيرهم من حلفاء السلطان القعيطي وأشياعه، وقد كان السبب الأكبر في سقوط دولة آل مروان إِدْنَاءُ الأَعْدَاءِ، وإِبْعادُ الأولياء، إذ صار الوليُّ عَدُواً بالإقصاء، ولم يعد العدوُّ وَلِيًّا بالتقريب، وقد اتفق أن بعض العمال في حدود سنة ١٣٦٦ أَخَذَ أهل دَوْعَن بالشدّة والعنف، وحاولَ أن يضغط على سَيْبَان وآل العمودي والسّادة، ولم يدر أَنَّ الضغط يُورِث الإنفجار، فكانت النتيجة أن تحالفت بطون سَيْبَان من نُوَّح والحَالِكه والخَامعه والمراشده والقَشَم وآل باخِشْوين وآل باعمروش وآل نهيم، ودَخَلت معهم الدِيَّن وناس من الحَمُوم، على إعلان الثورة عندما يقصد أحدهم عُمّال الحكومة بالظلم، وتعاهدوا أن لا يجيبوا باغي هضيمتهم إلاّ بألسنة البنادق، وقالوا بلسان حالهم:

إِذَا الـمَـلِـكُ الْـجَـبَّـارُ صَـعَّـرَ خَـدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيهِ بالسُّيوْفِ نُخَاطِبُهْ

وعقدوا بينهم عهداً وثيقاً، وحِلْفاً أكيداً، من قواعده: أن لا وفاء ولا بياض وَجْه لمن تأخر عنه أو خاس به إلاَّ بدفع ألف ريال، وقَتْل أحد أقربائه على عوائدهم الجاهلية، وكان ذلك ببضه [3] أواخر سنة ١٣٦٦، وشهده الفاضل السيد

---

(١) عُمّال الحكومه: موظفيها.

(٢) المناصب: كبار العلماء والأعيان من العلويين.

(٣) بِضَه: مدينة كبيرة في وادي دوعن ـ انظرها في مكانها، وللتوسع راجع المعجم.

علوي بن محمد بن أحمد المحضار، وأبو بكر بن حسن المحضار، وأحد السادة من آل البار. فلم يكن من الحكومة إلاَّ أن عزلت ذلك العامل وأخذَت بسياسة معاوية بن أبي سفيان، إذ يقول (لو كانت بيني وبين الناس شَعرَةً ما انقطعت، لأنهم إن شَدُّوْا أَرْخَيْتُ، وإنْ أَرْخَوْا قَبَضْتُ). ونعمّا فَعَلت الحكومة بذلك لأنه:

إذا التَقَى السيفان بطل الخيار ولكن الصيف ضيّعت اللبن

إذْ لم يكن إلاَّ بعد أنْ خسرت من سقوط الهيبة وفُقْدان الأُهْبَة ما لا يمكن تلافيه إلاَّ بتحمل مِنَّة تتفسخ منها القوائم لحكومة عدن، مع أنها كانت في غنى عن ذلك لانعقاد القلوب على محبة السلطان لعفته عن أموال الناس فلا يحتاج إلى العنف إلاَّ اللئام الذين لا يصلحهم غَيْره:

وَوَضْعَ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بالْعُلَى مُضِرٌّ كوضع السيف في موضعِ النَّدَى

ولو أن عُمَّال القعيطي سايسوا الكرام من سَيْبَان وآل العَمُودِي والسادة وغيرهم بالرفق لاستقام الحال، وانحلّ الإشكال، إذ الكرام كما قال الأول:

قَوْمٌ إِذَا شُوْمِسُوا لَجَّ الشَّمَاسُ بِهِمْ
ذَاتَ الْعِنَادِ وَإِنْ يَاسَرْتَهُمْ يَسُرُوا

وقال سعيد بن ناشب:

ومالي علىٰ مَنْ لان لي من فظاظة ولكنني فظ أبيّ على القسر

هذا ما يحسن أن يعامل به الكرام أما الرذال فلا يصلحهم إلا ضرب القِذال وبمثل ذلك جاء القرآن العظيم وسار عليه الشارع الكريم ومعاذ الله أن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها. ولا معرفة لي تكفي اليوم للحكم بحال القوم ولكن من يردني من آل العمودي وآل العطاس يحدثني عن شهامتهم ونخوتهم بما يبعد معه أن تذلل معاطسهم الخطم وقد قال بعض شعرائهم المتأخرين واسمه سعيد بن سالم بانهيم المرشدي:

لا حق بامده ولا منقود و شريعة عند قاضي
لما يغلق كسبي الموجود هفوه لهم والقلب راضي

ولا أشنوعة عليه بالتمدح بالامتناع عن استدعاء القضاة لأنهم لصوص فله من جورهم مخرج عن هذا، وفيه شبه من قول بعض الأوائل:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغميم القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون نيله فنقبل ضيما أو نحكم قاضيا
ولكن حكم السيف فينا مسلط فنرضي إذا ما أصبح السيف راضيا

ولا أذكر قائلها الآن ولكنني أعرف أن موسى بن المهدي تمثل بها لمّا جيء براس الحسين بن علي بن الحسن المثنى وجعل يوبخ من أسر من أصحابه ويقتلهم، والحسين هذا هو الفخي نسبة إلى محل واقعته وهو بمكة أو قريب منها أو هو وادي الزاهر، فكل ذلك قيل وهي أقوال متقاربة..

ولطالما حدثني الواردون عن شهامة أولئك غير أنّ قياس المشاهدة على من نعرف من قبائل بلادنا يجعل السعي مهلاً والصعب سهلاً والعسر إلى المياسرة.

وبعد أن فرغت من هذا الكتاب بشهور أخبرني غير واحد بان أحد رؤساء آل ماضي [1] كان يحطب في حبل الحكومة ابتز امرأة رجل غائب بالهند ولما حضر امتلاءَ غيظاً وفيما دون هذا يُحمي أنف الكريم فلم يبخل بالمال في سبيل غسل العار فقُتِل ذلك الباغي في بلاده واتهم بقتله اثنان من آل باصليب [2]، فجهزت عليهم الحكومة نحو سبعمائة جندي بدباباتهم فما دونها من الآلات والأسلحة والعتاد فصبر لهم رئيس آل باصليب وكان شهماً وأبلى فيهم أحسن البلاء ثم قُتل وأشبل عليه أخوه وابنه فأصيبا ولكنهم احتملوه، رحمة الله عليه لقد مات شهيداً وأبقى ذكراً مجيداً:

فتى مات بين الطعن والظرب ميتةً تقوم مقام النصر إن فاته النصر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده إليه الحفاظ المُرّ والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنما هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

وكان كل ذلك حسبما يقال بخيانة من بعض آل باصليب أنفسهم ثم لم يكن من الحكومة إلا إهانتهم وأخذ أسلحتهم. وبأثر هذه الحادثة تراخى أمر ذلك الحلف إذ تقنعت الأحلاف، ولم يلب صوت المقدم سعيد باصليب إلا المشاجرة جاؤوا من يبعُث ونواحيها في نحو سبعمائة رامي يتقدمهم باشقير ولكن بعد ما سبق

(١) آل ماضي: من قبائل بني هلال، منازلهم بوادي عِمِد وهم أصلًا من جُرْدَان ـ انظر المعجم.
(٢) آل باصليب: قبيلة من المشاجرة بوادي يبعث، يقطنون في الوقت الحاضر أعالي وادي عِمِد.

السيف العذل، وفرغوا من سعيد باصليب فعادوا أدراجهم. وكان عند آل العمودي بعض مأجوري الحكومة يشاغلونهم بالكلام حتى قضي الأمر وما أظنه إلا يتساوى الناس ويصح القياس.

وقال الطيّب بامخرمه في التعريف **بالشِّحْر**: سُمّيت **الشِّحْر** بهذا الاسم لأن سكانها كانوا جيلاً من المَهْرَه يُسَمَّون الشَحْرَات ـ بالفتح وسكون الحاء المهمله وفتح الراء ثم ألف ـ فحذفوا الألف وكسروا الشين، ومنهم من لم يكسرها، والكسر أكثر، وتُسمَّى الأشحار أيضاً كالجمع وتسمى الأشفاء، لأنه كان بها وادٍ يُسمى الأشفا، كان كثير **الشجر**، وكان فيه آبار ونخيل، وكانت البلاد حوله من الجانب الشرقي، والمقبرة القديمة في جانبه الغربي. وتسمى أيضاً سَمْعُون، لأن بها وادٍ يُسمى بذلك، والمدينة حوله من الشرق والغرب، وَشِرْب أهلها من آبارٍ في سمعون، وتُسمى الأحقاف أيضاً. وقد ذَكَر هذه الأسماء النقيب أبو حنيفة واسمه أحمد، كان من أولاد أحد تجار عدن، ثم صار نقيباً لفقراء زاوية الشيخ جوهر، ثم عزم إلى **الشِّحر** وامتدح سلطانها عبد الرحمٰن بن راشد بأشعار كثيرة معظمها على البال بال[1].

وخَرَج من الشحر جماعةٌ من العلماء الفضلاء كآل أبي شكيل وآل السبتي وآل بن حاتم وغيرهم. وإليها يُنْسَب خلق كثير منهم محمد بن معاذ الشحري سمع من أبي عبد الله الفزاري، والجمال محمد بن عمر بن الأصغر الشحري، سمع منه القواصي بماردين سنة ٢٨٠، ومن **شحر** عُمَان: عمرو بن أبي عمر الشحري، أنشد له الثعالبي شعراً في «اليتيمه» اهـ.

وقد أطلت القول على الأشحار بالأصل، ومتى عرفنا أنه من أسماء **الشحر** أنحل المشكل عليَّ فيه، فهذا مما يُستدرك على ما هناك.

وطالما استشكلْت قولهم: إن المُظَفَّر هو الذي جعل الشِّحر مدينةً مع عاديّ عمرانها، وتقادم أخبارها، والمفهوم أنها كانت مدينةً عامرةً ثم اندثرت حتى عَمَّرها المظفر فهذا الجمع مُتَعَيَّن. ومن أوائل المُسْوَدّة عن ياقوت ذَكَر محمد بن لحوى بن معاذ، ولكن الطيب بامخرمة نسبه إلى جده، ولم يذكر أباه، وقال الطيب أيضاً في مادة دُبْحَان: أن الشيخ محمد بن سعيد بن أحمد الذبحاني تَفقَّه

(١) أضاف المؤلف بالهامش: وهو الذي يسميّه أهل حضرموت الدان دان.

حتى ترشَّح للفتوى ثم سلكَ طريق التصوف، واجتهد في الخلوة والعبادة، ودخل الأربعينية مراراً، وسارَ إلى الشحر، وإلى دَوْعَن وحضرموت، وزار الصالحين بها، ثم رجع إلى عدن واستوطنها، وله مصنفات في الحقيقة تدل على فضله واتساع علمه، وكان يحضر السماع ويتواجد، توفي لسبع خلت من ربيع الآخر سنة ٨٨٥ بعدن قَبْل أبيه بقليل. وللغواة فيه اعتقاد خصوصاً يافع والهنود وربما تخلّف عن الجمعه، والظاهر من حاله أن لا يتخلف عنها إلاّ لعذر شرعي، وله أشعار جيّدة، وقد أفتى وهو ابن اثني عشر سنة .أهـ.

ولا يُحصى كثرة من أنجبته الشِّحر من رجالات الفضل والعلم، وقد أُلِّفَت لذلك الكُتب، ككتاب «نشر المحاسن المسكية في أخبار فضلاء الشحر المحميّه» للسيد باحسن، وفي الأصل: أن والد الشيخ عبد الله القديم عبّاد وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن مولَى الساس، سارَ إلى الشحر ودُفن بمقبرة الخور عند الشيخ أبي فاره وكان ذلك أوائل القرن السابع .أهـ. وفي سنة ٧٦٠ توفي بها القاضي أبو شكيل، وفي سنة ٨٠٥ توفي بها الشيخ فضل بن عبد الله بن فضل بن محمد بافضل، وهو من أقران الشيخ السقاف، طلب العلم هو وأياه بشبام عند الشيخ محمد بن أبي بكر عبّاد، قال الطيب بامخرمه: إن الشيخ جمال الدين محمد بن سعيد بن علي بن محمد كبن الطَبري، الجامع لأشتات العلوم، كان يعاني التجارة حتى قال له الشيخ فضل ـ المذكور ـ ما معناه: إرجع يا قاضي عدن، فَوَقع ذلك في قلبه، واشتغلَ بالعلم، وقرأ بالشحر على الشيخ عبد الله بن علي بن أبي حاتم «التنبيه» كله، وبعضاً من «المهذب». توفي سنة ٨٤٢ بعدن وقد نَيَّف على السبعين [١]. أهـ. وفي سنة ٩٠٧ توفي بها ـ أعني الشحر ـ العلامة محمد بن عبد الله بلحاج بافضل. وفي تلك السنة توفي ـ بها أيضاً ـ العلامة الجليل عبد الله بن محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عبسين، وهو الذي كان السبب في مجيء الفقيه عبد الله بلحاج إلى الشحر، وكان ابن عبسين حسن الخط، كَتَب نحو خمسين مصحفاً بيده، ترجمه الطيب بافقيه ترجمة جميلة[٢].

---

(١) في الهامش: انتهى بمعناه من عقود اللآل لسيدي الأستاذ الأكبر، وهو يقصد استاذه وشيخه عيدروس بن عمر الحِبشي ـ انظر ترجمته في مادة: الغرفة.

(٢) كتاب الطيب بافقيه هو «تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر» المطبوع بتحقيق الأستاذ عبد الله الحبشي.

وبالشِّحر توفي الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بافضل صاحب «المختصر اللطيف» الذي شرحه الرملي «والمختصر الكبير» الذي شرحه ابن حَجَر، وكانت وفاته بها سنة ٩١٨، وفي مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس: أنه كان يحث على «مختصر بافضل» فذهب وَهْمِي أولاً إلى أنه هذا وأكثرت من التعجب، إذْ لم يكن الشيخ عبد الله بلحاج بافضل يوم توفي الشيخ العيدروس إلاَّ وهو في أوان البلوغ فكنت استخرج به الاعتبار من الإخوان، ولكن تبيّن لي بعد ذلك أن المراد إنما هو مختصر للعلامة الفقيه عبد الله بن فضل بن محمد الحاج المتوفي حوالى سنة ٨٣٤، وبالشحر أُستشهد الشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بلحاج - ابن السابق - وكان ذلك في سنة ٩٢٩.

وتولّى القضاء **بالشحر** جماعات من أهل الفضل، منهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن باكثير المتوفي في حدود سنة ٩٢٠، ومنهم الشيخ محمد بن عمر بن امبارك بن عبد الله بن علي بحرق الحميري الحضرمي صاحب المؤلفات الكثيرة، **توفي سنة ٩٣٠**، وكان اختلف هو وابن عبسين في مسألةٍ استطار فيها النزاع واشتهرت بين الناس، فجاء ابن عبسين ومعه كتاب «الروضة» للنووي، فأوقف بَحْرقاً على النص، فلم يكن منه إلاَّ أن صعد المنبر وخطبَ وقال: إن المسألة التي اختلفت فيها أنا وابن عبسين كان الحقّ فيها معه، فسجَّل لنفسه بذلك ثناءً عاطراً، واستخرج من الناس له تَرَحّماً وافراً، فرحمة الله على أهل الإنصاف.

ومن أجلاء علماء **الشحر** وقضاتها الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الله بامخرمه، وقد استوفينا ترجمته وأخباره مع بدر بُوطويرق بالشِّحر في الأصل. ومن أهل **الشحر** الشيخ عبد الله بن أحمد بافلاح، نشأ بها ثم أبحر إلى الهند زماناً في خدمة السيد الجليل شيخ بن عبد الله العيدروس، ثم صحب بعده ولده العلامة السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس، وذكره في مواضع كثيرة من «النور السافر».

ومن كبار أهل الفضل **بالشحر**، تاج العارفين الشيخ سعد بن علي الظفاري، نَجَحَ إليها من ظفار، واستوطنها، وتوفي بها في سنة ٦٠٩هـ[1]، وله ذُرِيَّة ومَنْصب بالشحر يقوم به الآن الشيخ سعد بن سعيد الظفاري، رجل خفيف الروح

(١) جاء في هامش الأصل: (ونسبه يرجع إلى الجحافل، وهم من مَذْحِج، بنو جحفل ابن حارث بن حرب، من بني عِلَه من مذحج، كما في «روضة الألباب» للشريف محمد أبي علامة. ولا يزال بالدثينة مثرى عِلَة إلى اليوم).

له نوادر أشهى إلى النفوس من نوادر أبي دُلاَمة، ولذلك أحبه السيد حسين بن حامد المحضار [1]، وله رد على «نحلة الوطن» للسيد حسن بن علوي بن شهاب أعانه عليه ـ فيما يقال ـ شيخه العلامة الجليل السيد علوي بن عبد الرحمٰن المشهور، في خبر طويل مستوفى بالأصل.

وبالشحر جماعةٌ من العلويين منهم (آل باحسن)، جدهم السيد علوي بن عبد الله بن محمد باحسن، كان من المتفننين في العلم، شغوفاً بتحصيل الكتب ومطالعتها، ولا سيما كتب الجلال السيوطي، دَخَل الهند في مقتبل شبابه، وأقام بها مدة، حصَّل فيها عِلْم الحديث، ثم خرجَ إلى حضرموت، وأقام ببور، وكان يتردد إلى تَرِيْم، ويجتمع بالشيخ عبد الرحيم بن محمد باكثير على مطالعة الكتب الفقهية، ثم حَجَّ وزار، وأخذَ عمن بالحرمين من العلماء، وعادَ إلى حضرموت، فطلب منه السلطان علي بن بدر أن يتولّى القضاء بالشحر فأقام بها على القضاء والتدريس بالجامع إلى أن مات، وكانت إليه الإمامة والخطابة أيضاً، وهو من تلاميذ القطب الحداد، وخَلَفَهُ على الخطابة والإمامة ولده عبد الرحمٰن، وما زال أعقابه بالشحر، منهم الفاضل السيد عبد الله بن محمد باحسن مؤلف «تاريخ الشحر» وصاحب الأشعار الرقيقة التي لا يزال يتغنى بها أهل المُكَلاَّ والغيل والشِّحْر في مجالس أُنْسِهم وأفراحهم، ولا أدري هل جمعها ديوان أم لا توجد إلاَّ في صدور الأشخاص. وقد أعانه على الإجادة في شعره أنه قلّما سمع قصيدة أعجبته إلاَّ عارضها ونسج على منوالها. ومن فضلاء العلويين **بالشحر السيد** أحمد بن ناصر بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وكان أَزْهَدَ أولاد الشيخ أبي بكر، توطن الشحر وتوفي بها في سنة ١٠٢٠، وله إبنان: ناصر (والد السيد أحمد شيخ القطب الحداد، وقد عَقَدا بينهما عقد الصحبة، وبحثت عن تاريخ وفاته في «شرح العينيه» و«عقد» [2] سيدنا الأستاذ الأَبَرّ فلم أظفر به ولكن قال في «شمس الظهيرة»: أنه توفي سنة ١٠٨٣)، والثاني: شيخ (ومن أعقابه مناصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم بالشحر، ومنهم الآن الولد الفاضل عبد الله بن

---

(١) جاء في النسخة (ب) ما نصه: فمن نوادره انه شكى لبعض أهل الثروة موت حماره وطلب منه أن يساعده على شراء البدل ولمّا تله له إذا ضجة من رعاع الناس فقالوا ماذا؟ قالوا: حمار الشيخ سعد هرب فردوه وها هم أولاء يزفون به، فاسترد المثري ما أعطى فقال: لو أحياه الله قبل أن أقبض الدراهم لكان لك سعة في استرجاعها أما الآن فلا.

(٢) يقصد «عقد اليواقيت» لأستاذه عيدروس عمر الحبشي.

محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد، القائم بمدرسة الشحر أحسن القيام). ومن العلويين **بالشحر**: السيد عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس، ترجمَ له في «المشرع» وأطال، وذكر أنه أَلْقَى عَصَى التِّرْحَال آخر مرة بالشحر، وبها كانت وفاته سنة ١٠٧٣، وفي «شمس الظهيرة»: أنها كانت في سنة ١٠٧٦، وهو جَدَّ آل محمد بن جعفر برملة تَرِيم، وجَدَّ آل عيدروس بالشحر، ومنهم الآن المُنَصَّب الفاضل حسين بن عبد الله بن حسين العيدروس، والفاضل النبيل السيد زين بن شيخ عمر العيدروس، والفاضل النبيل السيد زين بن شيخ بن عمر العيدروس.

ومن العلويين **بالشحر** (آل بافقيه) يرجعون إلى عبد الرحمٰن بافقيه بن محمد عِيْدِيْد، منهم الصالح الفاضل شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن علي بافقيه المتوفي بها سنة ١١٨٦، ومنهم حفيده أحمد بن عبد الله بن شيخ، ومنهم ابنه شيخ بن أحمد ولد بالشحر ثم رحل في طلب العلم إلى الحجاز ومصر، ثم طوّحت به الأسفار إلى سُرْبَايا، من أرض جاوا، وهناك كان له ظهور عظيم وشهرة هائلة، وجرت على يديه خوارق وظهر منه تخريق. قاله بمعناه شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة» وكانت وفاته بسربايا ١٢٨٩، وفي **الشحر** أناس من (آل عيديد) ذَكَر منهم شيخنا المشهور: السيدين الفاضلين عبد الله ومحمد ابني سالم بن عبد الله عيديد، وفيها جماعة من ذرية السيد أحمد (البِيْض) بن عبد الرحمٰن بن حسين بن علي بن محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم، قال في «شمس الظهيرة»: منهم السيد الفاضل علي بن الحسين المتوفي سنة ١٢٨٦، وحسين بن أبي بكر بن سعيد، ذكي نبيه توفي سنة ١٢٨٥. ومن فضلاء العلويين **بالشحر** السيد حسين بن عبد الرحمٰن (بن سهل)، وكان شهماً كريماً طويل الباع، مشبوح الذراع، له مكارم جسيمه، وأخبار عظيمه، من محاسنه الموجودة إلى اليوم عمارته لجامع الشحر، وذلك أنه حدث به شيء من الخراب يحتاج إلى الترميم، فاتفق أعيانُ الشحر على الاكتتاب لترميمه، وعرضوا القائمة على **السيد** حسين بن سهل فقال: حتى أَرَى، ولما رأى المسجد قال لهم: لا بُدَّ من تجديد عمارته **كلها**، وتَكَفَّل بجميعها، وجلب له المهندسين والأَكَرَة من تَرِيم حتى أتمه على أحسن ما يكون، وكان مرتب من تريم وتريم حصلت عليه من أعوان السلطان الكثيري، فسافر إلى **الشحر** بجوار صديقه الأمير عبد القوي بن عبد الله عوض غرامه البعسي اليافعي، ولم يزل بها حتى مات سنة ١٢٧٤، وأخباره عجيبة

لا يتسع لها المجال وفي الأصل منها الكثير الطيب. ومن متأخري فضلاء العلويين بالشحر: السيد الجليل علوي بن علي بن علوي (الجَنِيْد) كانَ من الآخذين عن والدي، والمتعلقين به توفي بها يوم الاثنين ٢٧ شوال من سنة ١٣٤٩هـ. وكان بالشحر ناس من (آل السقّاف). منهم السيد عيدروس بن حسين بن سالم بن علوي بن شيخ بن محمد بن شيخ السقاف، كان جده علوي بن شيخ بسيوون فَنَجَع في سنة ١٢١٥ إلى موشح ووادي بن علي[١]، وكانت مدة إقامته وإقامة ولده سالم بها نحواً من سبع وتسعين ربيعاً، ثم هاجر السيد سالم ـ المُلَقَّب سالم سبول ـ بن علوي بن شيخ إلى المكلا **والشحر**، وذلك في سنة ١٣١٢ وهو من أهل الصفا وله تذكير مواعظ، ثم ركب إلى زنجبار وبها كانت وفاته، وترك ولداً يُقال له حسين توفي حوالي سنة ١٣٢٩ وترك ولداً اسمه عيدروس ركب إلى ممباسه في سنة ١٣٢٢ وهو ابن تسع سنين، وما بَرَح يُقاسي المتاعب والمشاق في طلب المعيشة حتى فتح الله عليه بالأموال والأولاد، فله ـ بها ـ خمسة من الذكور وتأثل الأموال والعقار بممباسا والشحر، وله بحارة (عقل باعوين) عدة دِيار بجوار مسجد الشيخ عبد الله بلحاج بافضل، وكان يصدر جريدة تُسمَّى، الإصلاح» في ممباسا جَلَب لها مطبعة على نفقته الخاصه، ولمّا كان الأكثر من المشتركين حضارمةً ـ لا بال عندهم لا مثال الجرائد ـ وتأخروا عند دفع الاشتراك، لزم تأخرها.

وأول مدرسة علمتها **بالشحر** هي المدرسة التي بناها بدر بُوطُويرق سنة ٩٥٩، وجلب لها ولده عبد الله بن بدر أستاذاً من بروم في سنة ٩٨٣، هو العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحيم باجابر، فدرَّس بها، وانتفع به الأنام، واسفرت به الليالي والأيام، وفي يوم افتتاحها انشأ السيد عبد الرحمٰن بن أحمد البِيْض قصيدةً أوردها صاحب «النور السافر» وفيها مدح للأستاذ والسلطان[٢]، ولكنها ليست بجيدة. أمّا المُدَرِّس بها في حياة بدر فهو الشيخ علي بن علي بايزيد الدوعني ثم الشحري، توفي بها سنة ٩٧٥، وقد انتفع به كثير من أهل **الشحر** وغيرهم، منهم العلامة المؤرخ عبد الله بن محمد باسخله المتوفي بالشحر. وممن هاجر لطلب

---

(١) مَوْشَح: قرية جنوبي مدينة شِبَام، كما أن (وادي بن علي) يقع جنوبي شبام وينهر ماؤه إلى وادي سر فيلتقيان قريباً من شبام.

(٢) تاريخ «النور السافر» ص ٣١٩.

العلم بها ـ أي **الشحر** ـ الشيخ محمد بن عبد الله بن سراج، صاحب المؤلفات المشهورة التي منها نظمه للإرشاد وشرحه، وقد استحق من تخرجه بتلك المدرسة أن تولّى قضاء حضرموت من وادي عَمَد غرباً إلى يبحر شرقاً[1]، ترجم له في «خلاصة الأثر» وَذَكَر أنه اعتراه ذهول في آخر عمره إلى أن توفي بالغرفه سنة ١٠١٩، وممن تخرج منها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن العمودي. وفي ترجمة الشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بلحاج أن الإفرنج ـ خذلهم الله ـ لمّا هاجموا الشحر واقتربوا من مدرسة الشيخ أحمد للهجوم عليها نهضَ كأنه الأسد واستنهض همم الفتية بخطبةٍ مؤثرة، فاقتلعوا أبواب المدرسة واقتسموها عُوْداً عُوْداً وحاربوهم. وكان الشيخ أحمد ممن رُزق الشهادة سنة ٩٥٩، ولمّا انتهى البريد إلى حضرموت جمعوا عسكراً يبلغ نحو خمسة آلاف، فوصلوا **الشحر** على خمسة أيام. أهـ. وما أدري أهذه المدرسة هي التي بناها بدر والشهيد يُدَرِّس فيها عقبان بنائها أم غيرها. ولِعَليَّ بايزيد ـ هذا ـ ذِكْرٌ كثير في مجموع الجدّ طه بن عمر، وقد زار حضرموت واجتمع بالسيد عمر بن أبي بكر باشيبان، وأثنى كل منهما على الآخر، وتوجه لزيارة بني الله هود، ثم عاد إلى حضرموت مرةً أخرى بعد ثلاثين عاماً من المقدمة الأولى، ذَكَرَهُ الشلّي في ترجمة باشيبان من «مَشْرعه».

وقد استوفينا بالأصل حوادث الأفرنج البرتغال، مع بدر بُوطُويرق **بالشحر** فلا حاجة إلى الإطالة، وذكرنا ما أنكره عليه صاحب «القلائد» من غدرهِ بهم، مع أنه لم يفعل إلاَّ ما استباحوا أكبر منه من الغدر بالمسلمين.

ولكن قال قتادة إن الله أكد الوفاء بالعهد في بضع وعشرين آية ويروى أن أهل قبرس احدثوا حدثاً في ولاية عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس فاستغنى العلماء في نقض صلحهم فأما **الليث** بن سعد فأجابه بأن أهل قبرس لم يزالوا يتهمون بخيانة الإسلام وقد قال تعالى ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ وإني أرى أن تنبذ إليهم وتنظرهم سنةً. وأما مالك ابن أنس فقال له أرى أن لا تعجل عليهم بنقض عهدهم حتى تتجه الحجة عليهم فإن الله تعالى يقول: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ فإن هم لم يدعوا غشهم ولم

(١) عَمَد: بالتحريك، وادٍ في غربي دَوْعَن. كذلك (يَبْحُر): وادٍ في منطقة السُوَم، جنوب بلدة فُعْمَه.

يستقيموا فاعذر إليهم ثم أوقع بهم ترزق النصر أو ما يقرب من هذا. ويروى أن صالحاً هذا أجلى أهل الذمة من لبنان من غير من مالاءَ عليه فانكر عليه القاسم ابن سلاّم وقال له كيف تأخذ عامة بذنوب خاصةٍ فتخرجهم من ديارهم وأموالهم وحكم الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وهو أحق ما قتدي به وقد قال ﷺ: «من ظلم معاهداً فأنا حجيجه» اهـ.

وفي الجزء الثاني من الأصل كلام نفيس يتعلق بالمسألة [1].

وكانت للحضارمة تجارة واسعة **بالشحر**، وكانوا يتيامنون بما يجلبون منها، ويجربون فيه البركة، ولا يزال العلويون يترددون إليها ولا سيما المحضار والعيدروس، لأنهم يجدون فيها من الإنشراح ما لا يوجد في سواها إلاّ أن طرقها ملتوية، وشوارعها متسخة، [وأهلها لا يتعهدون أخليتهم وميازيبهم، ويسرع الخراب إلى ديارهم من هذه الناحية] [2]. وقد وردتها عدة مرات، أنزل في أُخرياتها ضيفاً على وافر المروءة الحر الشهم، المشارك في العلم الشيخ صالح بن بكار باشراحيل، وآل باشراحيل، منتشرون في حضرموت، ومرجعهم في النَسَب ـ كما سيأتي في وادي بِنْ علي ـ إلى عَبَاهِلَة حِمْيَر. ويأتي في سَيُوْن ذَرْوُ مِنْ بدعة الشيخ محمد بن سعيد باطريح ـ التي لا تزال تؤج **بالشحر** الآن ـ وآل باطريح من بيوت العلم، وكان الشيخ عمر بن أبي بكر طريح ممن تولّى القضاء **بالشحر**، ذكره ابن سراج في مناقب الشيخ معروف، وسمعت بعض أهل العلم يذكُرُ أنهم من ذرية العلامة الشيخ محمد باطحن، وهو من أوعية العلم، غير أن غُلْوَّهُ في شيخه سعد بن علي الظفاري أوقعهُ في إساءة الأدب على الفقيه المقدم، فكرهه العلويون.

وسكان **الشحر** الآن أربعة عشر ألفاً وثمانمائة وبضع وستون نفساً، ويدخل في ذلك قُرَاها، وفيها أكثر من ستين مسجداً. وفي ضواحي **الشحر** قُرىً كثيرةً أرادوا أن يجمعوا فيها ـ أواخر القرن التاسع ـ فأفتى العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد بامخرمه بالمنع، لأنها لم تُخَطَّ قُرَىً من الأصل، وإنما يبني الواحد ثم الثاني وهلم جرا، فهي من أعمال **الشحر** لا قرى مستقلة. ولي في ذلك بحث لو أفضت فيه لخرجت عَمّا نحنُ بسبيله.

---

(١) زيادة في النسخة ب.

(٢) زيادة في النسخة ب.

غياض الشحر

في شمال الشِّحْرِ إلى جهة الشرق غَيْضَةٌ يخترف فيها السادة آل العيدروس. فيها جامع وآبار للسِنَاوة، تُسمَّى (**دِفَيْقه**) ومن ورائها إلى الشمال (**تباله**) فيها جامع وأموال لأهل الشِّحْرِ، وسبعة معايين، يخرج منها ماءٌ شديدُ الحرارة، قال الطيّبُ با مَخْرَمَة: وتباله قرية قُرب الشحر على طريق الخارج إلى حضرموت، وفيها عدة عيون حارّة، في أكمة واحدة، يُسْقَى بها زرعٌ ونارجيل، وعيونها مختلفة منها حارّة كثيرة الماء، ومنها قليلة الحرارة قليلة الماء، وهي أعجوبة. أهـ. والناس يقصدون ذلك الماء الشديد الحرارة من جهات بعيدة للاستشفاء بالاغتسال فيه من بعض الأمراض. وفي «دائرة المعارف» لفريد وجدي ما نصه: وربما رأى بعض قراء هذا الكتاب في أوروبا عيوناً نابعةً من الأرض على درجة حرارةٍ مرتفعة تقرب من الغليان، وهي لم تصل إلى هذه الدرجة من الحرارة إلاّ لكونها آتية من أبعادٍ عميقة. أهـ. وهذا الوصف ينطبق على بعض عيون تبالة إذْ البَيْض ينضج فيها على بضع دقائق. وكان من سكان تبالة الشيخ محمد بن أبي بكر الشحري ممدوح عبد الصمد باكثير بقوله:

لِـيْ فـي تَـبَـالَـةَ إخْـوَانٌ وأَخْـدَانُ ... أَكْـرِمْ بِـهِـمْ فِـتْـيَـةً فـي الْـحَـيّ جِـيْـرَانُ

وَنَـحْـنُ فـي رَوْضَـةٍ خُـضْـرَاً مَـزَخْـرَفَـةٍ ... تُـدَارُ فـيـهـا مِـنَ الـصَّـهْـبَـاءِ أَلْـوَانُ

فـي حَـضْـرَةِ ابْـن أَبِـي بَـكْـرٍ مُـحَـمَّـدِ مَـنْ ... فـي الـمُـشْـكِـلاَتِ لَـهُ حَـلٌّ وَتِـبْـيَـانُ

صَـدْرُ الـمَـراتِـبِ قُـطْـبُ الْـمَـجْـدِ لاَ بَـرِحَـت ... تَـسْـعَـى إلـيـه جَـمَـاعـاتٌ وَوِحْـدَانُ

مُـحَـدِّقِـيْـنَ إِلَـيْـهِ مُـحْـدِقِـيْـنَ بِـهِ ... فِـي رَوْضَـةٍ حَـوْلَـهـا بـالـزَّهْـرِ أَلْـوَانُ

وهذه مِنْ مُنْحَطَّ شِعر عبد الصمد، وإلاَّ فقد كان له من الإجادة نَصِيْبٌ وافٍ. وقال ياقوت: تَبَالَةُ: قيل هي الذي جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحَجَّاج ببلاد اليمن، وأظنها غير تبالة الحَجَّاج، التي يُقال فيها (أَهْوَنُ من تَبالَة على الحَجَّاج) لأنَّ هذه بلدة مشهورة بتهامه في طريق اليمن[1]. أهـ. وكلاهما غير التي نحن في ذكرها.

ووراء تَبَالة ـ متشائلةً عنها ـ بلدة (**الواسط**) وهي قرية فيها جامع، وثلاثة

(١) تَبَالَه المذكورة هي بلده عامره في غرب بِيْشه من بلاد عَسِيْر.

مَعَايِيْن، باردة الماء، عليها أموالٌ لأهل الشحر. وفي غربي الواسط بحذائه (شِعْب النور) أكثره للسادة آل أحمد بن صالح بن الشيخ أبي بكر بن سالم. وفي جنوبه (الجرادف) فيه مِعْيَانٌ واحد، بارد الماء، عليه أموال لأهل الشِّحْر، وفيه آبار كثيرة. وفي شماله (الفجاعين) وهي قرية فيها نخيل لآل العيدروس. ومن ورائها (البرح) سكانه من الحموم، وفيه ناس من الحاضرة، وله جامع. ومن ورائه (الرمضاء)، ومن بعدها (عرف) وهي قرية فيها بساتين نخيل ونارجيل، وعيون ماء، كان الشيخ المحضار بن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف يكثر السكون فيها والتردد عليها، وله بها أموال كثيرة. وفي غربي الجرادف قرية (الحيس) فيها معيانان، وأموال للدولة القُعيطية. وفي جنوب الحيس (شكلنزه) قرية فيها مزارع، ومِعْيَانان، وآبار، وكان بها يخترف كثير من أهل الشحر، ولكنه استولى عليها الخراب. وفي غربيها مِعْيَان (المساجده) يُنْسَب لآل المسجدي من المشايخ آل باوزير، وهي قرية فيها ثلاثة معايين، وفيها آبار كثيرة، وأموال لأهل الشحر، وفي غربي المساجده (صداع) العوالق وحزمهم - أي الحَزْم - وفي غربيه قريةً يُقال لها (حباير)، وفي غربي حباير (قارة ابن محكره). وفي جنوب هذه القارة (غيل باوزير) وفي غربيّه (النقعة) و(القاره)، وقد سبق التعريف بتلك البقاع. وفي شمال النقعة قرية تُسمَّى (السُوَط) فيها معيان، وجامع، ولهذه الغِيَاض - ولا سيما شكلنزه ودفيقه والحزم وصداع - ذِكْرٌ كثيرٌ في الحروب الواقعة بين الكسادي والقعيطي والعولقي والكثيري، حسبما فُصِّلَ بالأصل، ومَرَّ بعضُه في الحزم وصداع. ومما يستحق الإعجاب ويشنف الأسماع وينفخ الأنوف أن آل كثير والعوالق والكسادي حاولوا الهجوم على الشِّحْر في سنة ١٢٩٠ بنحو ثلاثة آلاف مقاتل ونزلوا شكلنزه، وفي الليلة ٢٣ من شوال من تلك السنة اجتمع مَلأَهُمُ في دفيقه، فنازلهم ثلة من عسكر الشحر، لا تزيد عن أربعمائة مقاتل، فانسحب جند العولقي والكسادي والكثيري إلى المشراف، وهنالك التحم الحرب، واستمر القتل، وجاءت الأمداد اليافعية من الشحر، ولم يبق بيد العولقي والكسادي والكثيري إلاَّ دَارَانِ في دفيقة، ولما دارت الدائرة عليهم وانهزم آل كثير هزيمة منكرة انحصر من بقي منهم بِدَارَيْ دفيقه، ثم انهزم أحد الدارَيْنِ، وأخذته يافع عنوةً، وكان في أسفله كميّة من البارود ففتَح أوعيتَها أحد عبيدُ العوالق، وربط بها حبلاً من الفتيل، واشعل فيه النار، مع هربه، فلما انتهت إليه انفجر فسقط الدار على من دخله من عسكر القعيطي ويافع، وقويت نفوس آل كثير ومن معهم

المحصورين في الدار الثاني، وجدّوا في الدفاع والاستماتة، حتى تواضعوا مع القعيطي على أن يخرجوا بالشرف العسكري، في وجه سالم بن يحيى بن عبد الحبيب بن علي جابر، أو علي بن يحيى إلى آخر النسب، ولمّا خرجوا إذا هم أفلاذ كَبِد حضرموت، وأعيان الدولة آل عبد الله وآل كثير والعوامر وآل جابر، الذين لا يمكن أن تقوم لهم قائمة بعدها لو استأصلوهم أبداً. عند ذلك حاول القعيطي إرضاء سالم أو علي بن يحيى بما يتمنى، على أن يخيس بعهده، ويتركهم له فقال: والله لو أعطيتني جبلاً من الذهب، لم أخرم ذمتي، ولم أُسَوِّدْ وجهي، فبلَّغَهُم المأمنَ كِرَاماً، وهو رافع الرأس، فمثل هذه الأكرومة ينبغي تكريرها في المدارس القعيطية لِمَا فيها من الشرف المُخلَّد، والمجد المتلد، الذي يسوغ لآل علي جابر أن يتمثّلوا بقول حَبيب:

لَـوْلاَ أَحَـادِيْـثُ سَـنَّـتَـهـا أَوَائِـلُـنَـا مِنَ العُلَى وَالوَفَا لَمْ يُعْرَفِ السَّمَرُ

وإنما ينحجز الناس عن الملاوم، ويتدفقوا على المكارم بإكبار أعمال الأبطال، وازدراء أفعال الأنذال، فأوجب ما يكون على الدول الراغبة في الرقيّ أن تمجد صنائع اللّهاميم، وتحقّر معايب المذاميم، فعلى مثل ذلك يقوم عماد الشرف، ويتسنم مدارج الغرف، وقد ورد: أُمِرْنَا أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ منازِلَهُمْ، وجاء الحثُّ على دراسة التاريخ حتى في أم الكتاب كما يؤخذ من قوله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. وما أحسن قول أبي الطيب:

وَأَكْـثَـرُ فـي مَـجَـالِـسِـهِ اسْـتِـمَـاعـاً فُـلاَنٌ دَقَّ رُمْـحـاً فـي فُـلاَن

وتأتي بعد ذلك من الأماكن؛ قرية (ثوبان). قال الطيب بامخرمه: ثوبان موضع شرقي الشحر، على مرحلتين منها، فيه عينان كبريتيتان، يُنتَفعُ بهما من عدة أدواء، ذكرها القاضي مسعود.

مراسي بحر الشحر

أول ما يلي الشِّحْر إلى الجهة الشرقية: (العيص) تبعد عن الشحر ساعةً ونصفاً بسير الأثقال، في بُعْدٍ قليل من الساحل، عبارة عن أكواخ قليلة، محفوفة بزراعات أكثرها من التبغ. ثم (جمعوض) قريةٌ صغيرة لا يزيد سكانها ـ من العمال والبادية آل بحسن ـ عن مائتي نفسٍ، وفيها مِعْيَانان وعدة أبؤُر. ثم (الحامي)، بينه وبين العيص أربع ساعات، وفيه شَبَه من الشِّحْر من بعض

النواحي، لولا ما يتخلله من أشجار النارجيل، ويقال: إن أهلها أحسن أخلاقاً من أهل الشحر، ولمّا سمع هذا بعض أهل الشحر، قال: إن الأمر بالعكس، وإنهم ليظنون حتى بالماء، ويقولون لِمَنْ طلب شربة ماء؛ أنه حامي لا يصلح للشرب، ويتأكد هذا بما قيل انهم الذين امتنعوا من ضيافة الخضر وموسىٰ، وأن الجدار الذي أقامه الخضر كان بالحامي لِمَا تحته من كنز الغلامين اللذين كان أبوهما صالحاً[1]. وفي سيف الحامي عين ماء عذب كان الناس يستقون منها للشرب حال ما يجزر عنها البحر. وفي الحامي مدرسة سلطانية، وبها عين ماء حاره، إلاّ أنها أقل حرارة من عيون تباله، يزعم الأهالي أَنَّ الاغتسال فيه شفاء من أنواع البثور ولذا يقصدونه من الأماكن البعيده، وأهل البلاد يغتسلون فيه كل صباح. وفي «شمس الظهيرة»: أنّ به ناساً من ذرية الحبيب سالم بن عبد الله بن علوي الحداد، وآخرين من ذرية الحبيب علي بن محمد جمل الليل باحسن. ثم (المقدّ) قرية لا بأس بها فيها السادة آل المقدي، وناس من آل الشيخ أبي بكر، وآل بن عويضان، وآل بن سيول، وآل بامحيمود، وآل بحسن من الحموم. ثم (القرن) وهي مرفأ الدَيْس. ومن ورائها متشاملاً (الدَيْس) بينه وبين الحامي نحو خمس ساعات بسير الأثقال، يبعد عن سيف البحر بنحو ساعة ونصف للماشي، وقد مَرَّ في أخبار الشحر أن علي بن حِبْرِيش استولى عليها واستباحها في حدود سنة ١٣٤٤هـ.

ويرجع (الحموم) في النسب ـ على ما نقله الشريف عبد الله بن مصطفى بن زين العابدين علي بن عبد الله بن شيخ، من خط الفقير الصالح أحمد بامريم ـ إلى حِمْيَر، ومثله منقول عن خط الشيخ علي باصَبْرين[2]، وحاصل ما وُجِدَ بخطه أن المناهيل والحَمُوم ويافع من حِمْيَر بن سَبَأ، قال باصبرين: وهو منقول عن الشيخ عمر العمودي عن الحبيب عبد الله العيدروس: والحموم قِسْمَان: بيت القرزات، ومقدمهم اليوم بْنْ شليان، لا يزيد عددهم ـ الذي أسْأَرَتْهُ المجاعة والحروب ـ اليوم عن مئتين وخمسين رامياً، والقِسْم الثاني: بيت عليّ وألفافه، وهو بيت رئاسة حِبْرِيش وبنيه، ومقدمهم اليوم أحمد بن حبريش، ولا يزيد عدد بيت على الآن عن تسعمائة رامٍ، وينضمّ إليهم: بيت غراب وعددهم نحو خمس مائة،

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٢) انظر ترجمته في المعجم.

وبيت عجيل وعددهم نحو ألفين، وبيت شنيني وعددهم نحو الألف، وبيت يُمَيْني وعددهم نحو مائة وخمسين، وبيت عبيد وعددهم مائة، وبيت سعيد نحو مائة، وبيت بحسنى التامبول نحو مائة وخمسين، وينضم إليهم ـ من بادية العلويين ـ آل قطبان، وبيت حموده وهم نحو مئتين وخمسين. والمُعْتَبر في هذه الأَعْدَاد هم الرُمْيَان، وخيامهم ضاربةً بين الشِّحْر والمِشْقَاص وحضرموت، ولهم ذِكْر كثير في الأصل [1].

وبالدَيْس جماعةٌ من ذرية السيد عمر بن عبد الرحمٰن شريم بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم، قال شيخنا في «شمس الظهيرة»: وقد كان مكتوباً على عمر هذا أنه أنقرض، ولكن وَرَدَ إلى تَرِيْم ـ في سنة ١٢٧١ـ السيد عمر بن عبد الله وهو من ذريته، وأَثْبَتَّ نسبه ونسب بني عمه ـ بِحُجَّة واضحة ـ إلى عُمَر المذكور، فَأَثْبَتَهُ سيدي عبد الله بن حسين بن طاهر، والوالد أحمد بن علي الجِنَيْد، فليُعْلَم ذلك، والسادة المذكورون بالمقدي والدَيْس.

(شَرْمه):

قد سبق أوائل التعريف بالشحر عن «نخبة الدهر» أن لحضرموت فرضتين على ساحل البحر يقال لإحداهما **شرمه** وللأخرى الشحر. وشرمه ـ هذه ـ هي في شرقي الدَيْس إلى جنوبه، على مسافةٍ قصيرة جداً، وبها رَسَى أسطول الأتراك في حادثة مرير السابق ذكرها، وفي «معجم ياقوت» أن شرمه اسم جبل يقول فيه أوسْ بن حجر:

تَثوب عليهم من أَبَانٍ وشُرْمَةٍ ... وَتَركَبُ مِنْ أهْلِ العنانِ وتَفْزَعُ

ويقول تَميم بن مَقْبل:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ دُوْنَهُ ... رضَامٌ وهَضْبٌ دُوْنَ رمّانَ أَفْيَحْ

بِحَزْنٍ شَأم كُلُّ مَا قُلْتُ قَدْوَنَي ... سَناً والقواري الخُضْرُ في اللَّيْلِ جُنَحُ

فَأَضْحى لَهُ وَبْلٌ بِأَكْنَافِ شُرْمَةٍ ... أَجَشُّ سِمَاكِيٌّ مِنَ الْوَبْلِ افضحْ

---

(١) للتوسع راجع المعجم.

وأَبَانُ مذكورٌ في قول امرىء القيس:

كَـأَنَّ أَبـانـاً فـي عَـرَانِـيْـنِ وَبْـلِـهِ كَـبِـيْـرُ أُنـاسٍ فـي بِـجَـادٍ مُـزَمَّـلِ

فيظهر أن شرمة المذكورة في هذين الشِّعْرَيْنِ هي هذه، لأنَّ امرأ القيس حَضْرَمِي، وقد ذَكَر «أَبَاناً» وهو إلى جانب شرمه، وأبانان جبلان لبني تميم بن دارم بن مُرَّ في شرقيّ شرمة، قَارَتَانِ متقابلتان[1] تقرب منهما عين عذبه بينهما خَوْر صغير، يُقال له خور (يضغط) تَرْسُو به السفن التي تُهَرِّبُ المسافرين من المُكَلاً والشِّحْر الذين لم يسمح لهم بركوب البحر من سواحل القعيطي إلى سيحوت والسواحل الأفريقية، وعمال القعيطي بتلك النواحي يَغُضُّون الطَرْف عنهم مساعدَةً للإنسانيّة.

ومن وراء ذلك (**قِصَيْعر**) وهي قرية لا بأس بها، كانت تحت حكم آل عبد الودود، وآخر امرائهم بها جعفر بن علي ومثلها الريدة التي تليها. وفي قصيعر كثير من المشايخ «آل باعبّاد»، من أواخرهم الشيخ عبد الله بن خالد أحد تلاميذ سيدنا الأَبَرّ عيدروس بن عمر توفي بها، وقد سألت المكرم الأمير محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الودود عن كيفيّة خروج الريدة **وقصيعر** عن حكمهم فقال: في سنة ١٢٩٤ جهز القعيطي سبع سفائن في كل سفينة مائة عسكري، بِعتَادِهم، ولم يكن مِنَّا أحد بقصيعر، فأخذوها صفوا، ولمّا سمعنا بعزمهم إلى الريدة تحملنا إلى بلاد المَهْرَه بكل ما نقدر عليه، إذ لا نزيد مع عبيدنا على ثلاثين مقاتلاً، وكنا عَزَمْنَا على الرحيل إلى السواحل الأفريقيّة مثل ما فعل النقيب، غير أن سالمين بن حسن بن قحطان العليّي الحَمُومي رَدَّنَا إلى بلادهم، وأسكننا في «عِسِد الجبل» فاتصلنا بأموالنا، وكانت في ضواحي **قصيعر** والريدة، ومع قوة الحموم إذْ ذاك لم يقدر القُعَيْطي عليها وكانوا لا يعقدون صلحاً مع القعيطي إلاّ كان أماننا أول شرطٍ فيه، وعرض علينا السلطان منصور بن غالب «غَيْل بن يُمَيْن» فلم يعجبنا، لبعده عن أموالنا، وكانت أُمُّ السلطان منصور

---

(١) أشار الأستاذ حمد الجاسر إلى أن شُرْمَة الوارد في هذه الأشعار في نَجْد غرب بلاد القصيم بقرب أبانين الجبلين اللذين لا يزالان معروفين هناك، ولا صلة لهما بالقارتين اللتين قال عنهما أنهما لبني تميم بن دارم بن مر، وهنا خطأ، فتميم هو ابن مُرٍ، ودارم من فروع بني تميم، والقول أنَّ اباناً الوارد في شعر امرىء القيس هو في حضرموت لأن امرأ القيس حضرمي. هذا القول غير صحيح، فامرؤ القيس عاش في نجد وأكثر المواضع التي يذكرها في هذه البلاد لا في حضرموت.

الكثيري عَمَّتِي ولها اختان إحداهما كيميا تحت عمر بن حفظ الله والأخرى سَلْمَى تحت أحمد بن محمد فَطَلبت أم السلطان وصولنا، فَوَصَلْت أنا وأبي وعَمتايّ وزَوْجَاهُمَا وأقمنا بسيون نحواً من عشرين عاماً ثم عدنا إلى عسد الجبل، ولمّا تمت المعاهدة بين الكثيري والقعيطي عدنا إلى الريدة، واجتمعنا بالسلطان غالب بن عوض، وهو رجل لا يعرف الحقد، فرأينا من لطفه ما لا يفي به الكلام، وأعفانا من جميع الرسوم، ومن ذلك اليوم ونحن في غاية الراحة. هذا كلامه بمعناه. وكان سلطان آل عبد الودود يوم نازلهم القعيطي هو جعفر بن علي السابق ذكره.

وفي شمال **قصيعر** ـ على نصف ساعة بسير الأثقال ـ قرية قديمة يُقال لها (مهينم)، ومن ورائها شمالاً على ساعتين غيضه يقال لها (معبِر) من قدامى البلدان، وعلى ثمان ساعات في شمالها (عِسِد الجبل) السابق ذكره، به ناس من الحموم الجامحة وبني عَجِيْل، وسَادَة من بيت حموده وغيرهم.

الريدة:

هي في شرقي قصيعر، وكانت تُسمَّى **رَيْدَة** بِنْ حمدات، وتُسمى الغيضة، كانت لآل كثير، وكانوا على نوع من القَرْصَنة. جاء في الحكاية ٤٥ من «الجوهر الشفاف» عن السيد محمد بن الفقيه المقدم أنه قال: سافرت من ظفار مع بعض الهنود، فلما وصلنا الغيضة بلاد آل كثير نشبت سفينتنا بجبل في البحر، فأقبل آل كثير بسنابيقهم لينهبونا، لأن من عادتهم أن ينهبوا جميع ما في المراكب التي تعطب هناك، ولكن انبعثت سفينتنا قبل أن يصلونا فَفُتْنَاهُمُ، وكان هذا أثناء القرن السابع. وفي يوم الخميس من جمادي الأولى من سنة ١٢٧٢ رَسَى بها السلطان غالب بن محسن الكثيري، مخرجه من الهند إلى حضرموت، **بعدما تَمهَّدت له** إمَارَتا سيون وتَرِيْم على يد أخيه عبد الله وابن أخته عبود بن سالم، ولم يكن القعيطي بغافلٍ عن استمرار المواصلات بين الريدة وحضرموت، ولكنه خشي الانفجار من الضغط، فانتظر الفرصة المناسبة ولمّا أَنْبَتت أقران آل كثير بأثر هزائمهم في الحزم وصداع نهض لها ولقصيعر فكان ما كان. وفي **الريدة** جماعة من السادة آل العيدروس وآل الجفري وآل الشيخ أبي بكر بن سالم، وجماعة من المشايخ آل باحميد، منهم الآن الشيخ النبيه المشارك في الفقه طه بن علي بن محمد باحميد.

ومن وراء **الرَّيْدة** إلى الشرق (دِمِخ حِسَاج) ودمخ اسم للجبل [1]، وحاج إسم للمكان الذي حواليه، وبه دَلَّلْت على وجود قبر حنظله بن صفوان عليه السلام بِحَضْرَمَوْت كما يأتي في موضعه، عند ذِكْر بور، ولعل دمخاً هذا هو المشار إليه بِقول ياقوت: [برقة دمخ]: ودِمخ إسم جبل قال سعيد بن البراء الْخَثْعَمِيُّ:

وَفَـرَّتْ فَـلَـمَّـا انْـتَـهـى فَـرُّهَـا ... بِـبُـرْقَـةِ دَمْـخٍ فَـأَوْطَـانِـهَـا [2]

وقال طفيل الغنوي:

فـلـمّـا بـدا دمـخ واعـرض دونـه ... غـوارب مـن رمـل تـلـوح شـواكـلـه

وقال طهمان ابن عمرو الكلابي:

كـفـى حـزنـاً أنـي تـطـالـلـت كـي أرى ... ذرى قـلـتـي دمـخ فـمـا تـريـان

وهناك آثار قديمة، تدل على ضخامة مُلْكٍ وتقدم حضارةٍ، وهذا المكان هو الحد الفاصل بين القُعيطي والمَهْره، ومن ورائه إلى جهة الشرق (ذِرْفَات) وهي قرية فيها مسجدان، ثم (حيريج) ولها ذِكْر كثير في التاريخ، قال الطيب بامخرمه: وهي أُم المشقاص، وفيها محمد الحشريت، وشيوخهم الأشعثيون من ذرية الأشعث بن قيس الكندي، وفيها بندر يقصده أهل الهند ومَقْدشوه، ويتوسمه أهل الشحر وحضرموت، ويُحْمَل منه الكندَر والصيفه إلى عدن وبربره وإلى كل محل ذكرها للقاضي مسعود. اهـ. وقد دثرت حيريج ولم يبق منها إلاّ القليل وفيها مسجد للشيخ عبد الله القديم عبّاد.

(سَيْحُوت):

هي من وراء حيريج على مسافة ثلاثة أيام، بالريح المعتدل في السفن الشراعيّة من يضغط [3] وهي البلاد الحرة التي لم يَطْمِثْها الأجنبيُّ، ولولا حريتها ما انفتحت للحضارمة طريقُ الهجرة لمَّا اقشعرَّتْ بهم البلاد من المجاعة التي ابتدأت في سنة ١٣٦٠هـ، ولا تزال ضاربةً بجرانها إلى اليوم، بسبب انقطاع

---

(١) اللَّمْخ: بفتح فسكون، جبل في وادي المسيله من مديرية سيحوت وأعمال محافظة المهرة.

(٢) عَلّق الاستاذ حَمَد الجاسر على هذا الكلام بقوله: دَمْخٌ الوارد في شعر الخثعمي جبل مشهور من جبال نجد، لا يزال معروفاً، وفيه برقة هي التي ذكرها ياقوت في معجمه، ولا يدلُّ وجود مكان باسم دَمْخ في حضرموت بأنه المقصود في الأقوال القديمة التي ذكرها ياقوت وغيره.

(٣) يضغط: مَرْسَى بين الدَيْس وقصيعر.

المواصلات من جَاوا، التي هي الْمَنِيْحَةُ الدَّارَّةُ للحضارمة، ومصدر السعادة، خصوصاً لمن نزل عنّ شِبَام من أهل حضرموت، أمّا ما وراء شِبَام فإنهم لم يتأثَّروا بالأزمةِ تأثُرَ هؤلاء لاتِّصالهم بالحجاز والحبشة وأريتريا وغيرها من البلاد التي لم تَنْسَدَّ في أيام الحرب العظمى. ولولا ما سمح به نواب سلطان **سَيْحُوت** (المَهْرَه) من بذل الجواز لمنكوبي حضرموت إلى السواحل الإفريقية لمات منهم بالجوع ضِعْفُ ما قد مات، لكنهم فعلو معهم جميلاً لا يضيع، وطَوَّقُوهُم بمعروفٍ لا ينساه إلاّ أَبْنَاءُ الزنا، بينما ضُرِبَ عليهم الحَصْرُ من كل ناحية، وسُدَّتْ في وجوههم الأبوابُ من كل سبيل، وسلاطينُ هذه البلاد على حالتهم البدويّة، وطبيعتهم الفطريّة، يمشون حفاةً، ولا شُرطةَ ولا حُجَّابَ، ولا فَرْقَ بينهم وبين السُوْقَةِ إلاّ بما على وجوههم من الشهامة:

مُتَصَعْلِكِيْنِ على ضخامة ملكهم متواضعين على علو الشأن

وعلى قريبٍ منها كانت أحوالُ أُمراءِ بلادنا إلى ما قبل اليوم بنحو ثلاثين عاماً فقط، إذْ لم يَنْخَرْ في عظامهم شوْش الْمَدَنيَّة الشومىٰ إلاّ من عهد جديد، وسلطان الْمَهْرَةِ اليوم في نحو الخمسين من عمره، واسمه أحمد بن عبد الله بن محمد، ومقرّه سُقُطْرَى ولكن أبناء عمه بسيحوت استقلوا ببعض الأمور مع اعترافهم له بالسيادة العامة ورجوعهم إليه في المهمات. وقد ذكرت في الأصل صاحب سُقْطَرى السلطان عمر بمناسبة أن الضابط الانقليزي المُسمَّى (هينز) زاره في سُقُطْرَى، وحاول أن يرضيه عنها لوفائها بما تعضده حكومته لاستيداع الفحم بالبحر الهندي، فقال: إنها هبةٌ من الله للمَهرِيِّين، يتلقاها الأحفاد عن الأجداد، ومعاذ الله أن أكوْنَ أنا السبب في تضييعها عليهم، ولكنهم تمكنوا في ٢٣ إبريل سنة ١٨٨٦م من إدخالها تحت الحماية، بمعاهدةٍ جاء في المادة الأولى منها: **أن الحكومة البريطانية تتعهد بوضع جزيرة سُقُطْرَى وملحقاتها تحت سلطة السلطان** عبد الله بن سالم بن سعد بن عِفْرِير، وداخل حدوده تحت حماية جلالة الملكة الامبراطورة، وفي المادة الثانية مثل ما في أخواتها وهو: يتعهد السلطان عن نفسه وعن أقاربه وورثائه بالامتناع من الدخول في أَيَّةِ مراسلةٍ أو اتفاقيّة، مع أي دولة إلاَّ بعد اطلاع الحكومة البريطانية، وعليها إمضاء السلطان عبد الله بن سالم المذكور، وشهودها: محمد بن صالح جعفر، وسالم بن أحمد بن سعد بن **عفرير، وسعد بن مبارك قاضي قَشَن، ومحمد بن سعد ـ قاضي قلنسيه وسقطره.**

والسلطان عبد الله هذا هو والد السلطان الحالي أحمد بن عبد الله بن سالم بن سعد، وأبناء عمه الذين **بسيحوت** وأعمالها هم (بنو عامر) يجاذبونه الحبال بإغْرَاءِ الأنكليز ولكنهم لم يجدو مَغْمَزا في قنانه، ولا مَكْسَراً في عُوْد السلطان وأَبَى أن يجدد تلك المعاهدة بأضرّ منها عليه وأصرّ على ابتعاده عنهم، غير أنه اضطُرَّ أَنْ يُعْطِيْهم مطاراتٍ في سُقُطْرَى وقَشَن أيام الحرب العظمى، بعد أخذ التعهدات عليهم بالجلاء إثر انتهاء هذه الحرب.

ومن سلاطين المَهْرَه: طوعري بن عفرار ثم ولده سالم بن طوعري، ثم ولده سعيد بن سالم، ثم أحمد بن سعيد، ثم الحكمان بن أحمد، ثم ابنه الحكم بن الحكمان، ثم ولده محمد بن الحكم، ثم سالم بن محمد، ثم ولده ناصر بن سالم، ولعل ناصر هذا أخاً لعبد الله بن سالم المُوَقِّع على المعاهدة السابق ذِكْرَها، والله أعلم. والضرائب لَدَى المَهْرَه خفيفةٌ جداً، مع أنهم لا يأخذون رسوماً إلاَّ من الغريب، وأما من الأهالي فلا، وغاية ما يأخذونه من الغرباء خمسة في المائة إسماً وبالحقيقة أقل من ذلك لفرط التسامح في التثمين، وكثيراً ما يُعْفُوْنَ من استعفاهم جملةً، وأكثر تجارة آل قَشَن والغيظة **وسَيْحُوت** في: العَنْبَر والصِيفة والصَيْد والوَزِيْف والأَنْعَام وما أشبه ذلك. وقد بلغني أن الله أراح السلطان أحمد بن عبد الله من ابن أخيه، الذي كان يؤذِيه، وهو حبريش بن سعد فمات في سنة ١٣٦٤ ودفنوه بتربة **سيحوت** المُسَمَّاة تربة محمد بن سعيد باكريت، وهي تربة جميلة، يظلّها كثير من شجر الأراك وهي في وسط البلاد على مقربةٍ من الجامع. والشيخ محمد بن عبد الله باكريت هذا من أخص تلاميذ الشيخ عبد الله القديم عبّاد، وله في مناقبه ذِكْر كثير، منه أنه قَدِم عليه بستة آلاف دينار وبمثلها من الْبُرَّ والطعام فأمره بأن يدفع ذلك للخادم، فوضع الدنانير بخزانة تحاذِيْ مُتعبّد الشيخ، ولمّا أكثر من الدخول والخروج للأخذ منها في سبيل الحاجات تَشَوَّشَ فِكْرُ الشيخ، فقال له: اقلع هذا المال قلعه الله فقد شَوَّشَ عليّ، أو ما يقرب من هذا المعنى والعُهدَه على الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله باشميله باعَبّاد فهو الذي أخبرني بالقصه مع أنني كنت أحفظها بدون هذا القدر كثيراً. والذي يتحدث به كثير من شيوخ آل باعَبّاد أن محمد بن عبد الله باكريت هذا هو الذي اختط **سيحوت**، بإشارة شيخه القديم، وكان خراجُها خالصاً له إلاَّ أنه يُهْدي لمطبخ الشيخ القديم ما تسمح به نفسه، وبعضهم يكتب باكريد ـ بالدال ـ وآخرون يكتبونه بالتاء. وفي حوادث سنة ٦٦٧ من «تاريخ شنبل»: توفي الأديب

الصالح الفقيه عفيف الدين عبد الله بن أحمد باكريت والد الشيخ المقبور **بسيحوت**. أهـ. ولم يَذْكُر أنه أول من اختطها، ولكن دفنه في غير المكان الذي دُفن فيه أبوه قد يشير إلى ذلك. ولا يزال آل باعَبّاد يتقاضون رسوماً وأوقافاً من بلاد المَهْرَةِ حوالي سيحوت، ومنه تَعْرِفُ امتدادَ جاهِ باعباد، وما أدري أهو الذي تأطدت به الدولة الكثيرية البائدة أم هو الذي أتسع بها، والْمَظْنُون أَنَّ كُلاًّ استفاد من الآخر، وفي «بستان العجائب» للسيد محمد بن سقاف بن الشيخ أبي بكر بن سالم ما يُصَرِّحُ بأن السادة آل عمر بن أحمد من آل الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم صاروا يشاركون آل باكريت في حاصلات **سيحوت**.

ومن وراء **سَيْحُوت** (**عتاب**) فيها قبيلتان من الْمَهْرَةِ: آل بن عقيد وآل بن محامد. ثم (**قِشَن**) وهي مدينة لا بأس بها، يسكنها آل عفرار، بيت سلطنة الْمَهْرَةِ، وهي قاعدة ملكهم في البلاد العربيّة، ولا يزيد عددهم عن ثلاثين رجلاً، وفي قشن ناس من آل باعبده، منسوبون إلى العلم، يتوارثون القضاء هناك، والقاضي فيهم لهذا العهد هو الشيخ مبارك بن سعيد باعبده ـ علّه ابن السابق ذكر مشهده على المعاهدة ـ وهو كسلفه لا يحتاج في تنفيذ أحكامه إلى أوامر سلطانية، بل يتلقاها الناسُ بالقبول، ويخضعون لها بهيبة الدين وسلطانه على النفوس، وأكثر أحكامه للإصلاح، وبهذا ذكرتُ ما كان في أيام الأجداد وما ان يمثله من أحوالهم في القضاء: شيخنا الوالد علوي بن عبد الرحمٰن السقاف، فإنه لم يكن يستمد نفوذه من السلطان، وإنما يستمده من صولة الحق، ومهابة الديانة.

ومن وراء قَشَن (**صِقر**) ثم (**حصويل**) ثم (**رأس فرتك**) ثم (**خيصيت**) ثم (**نشطون**) ثم (**خلفوت**) ثم (**ضبوت**) ثم (**هروت**) ثم (**محيفيف**) وهي مَرْسَى الغيظة التي كان بها مدفن المنصب السيد سالم بن أحمد [1]. وسيأتي في عينات ذِكْر سبب نجوعه إليها، وما يتعلق بذلك، ولا يزال بها جماعة من أعقابه منهم منصبها الآن السيد علي بن أحمد، ومنهم المعمر السيد عيدروس بن محسن توفي بشعبان في سنة ١٣٦٦هـ عن نحو من تسعين عاماً، ومنهم ولده عمر، شاب نشيط، يخوض غمرات البحور، وقد جرت له فيه أمورٌ هائلة في هذه الحرب المشؤومة. وفي محيفيف سادة من آل باعبود، منهم قاضيها الآن السيد سالم بن علي بن

---

(١) ورد في النسخة ب: هو جدّ منصب عينات الحالي.

زين بن عبود، وفيها ناس من بيت كلشات، وبيت كدّه، كلاهما من المَهْرَةِ.

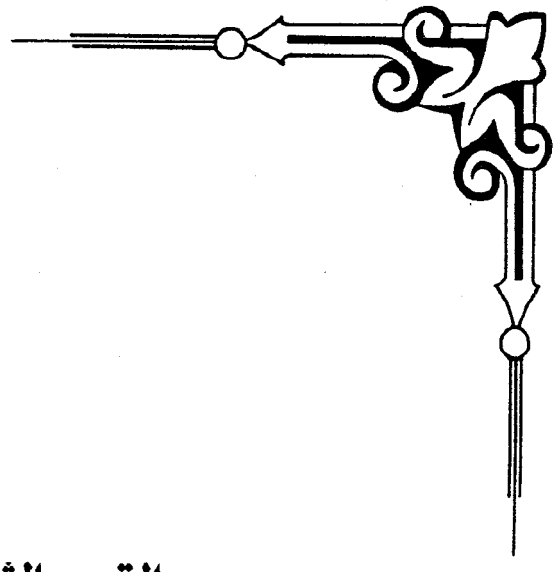
ومن وراء محيفيف إلى المشرق (أيروب)، ثم الفيدمي، ثم الحصن، ثم من ورائه ـ متشاملاً مكان الشيخ محمد بن عبد الله الجوهري ـ وهو جبل ساحل البحر، ثم الفتك، ثم دمقوت، ثم جَاذِب، ثم حُوْف. وهذه كلها ابتداء من درفات: بلاد المَهْرَةِ.

ثم تبتدىء أعمال ظفار، وأولها رخيوت ثم رسيوت السابق ذِكْرَها عند حصن الغراب، وكلاهما مراسي، ثم ظفار. وقد ذَكَر ابن الحائك بعض هذه المراسي بأسماء تُغاير ما هي عليه الآن، فأما أنْ تكوْن تبدّلت الأسماء، وإما أن تكون دثرت تلك وتجدّد غيرها قال في «صفة جزيرة العرب»: وأول إحاطة البحر باليمن من ناحية دَمَا فطنوى فالجُمْجَمة فرأس الفِرْتَك، فأطراف جبال اليُحْمِد، فما سقط وانقاد منها إلى ناحية الشِّحْر، فغُب القَمَر، فغب الحيس، فغب العبب بطن من مَهْرَةَ، فالحرّيج فالأشفار. أهـ. وفي «القاموس»: غب القمر موضع بين الشِّحْر وظَفَارَ، قال بامخرمه: وهو المعروف اليوم بعثة القمر، وهو موضع خطر، إذا سقطت إليه السفن قَلَّ أن تَسْلَم. أهـ. وقد سَبَق أكثر هذا في حصن الغراب، وفي «معجم البلدان»: الأشفار كأنه جمع شَفْرٍ، وهو الحد، بلد بالنَّجْدِ من أَرْض مَهْرة، قريب حضرموت بأقصى اليمن، له ذِكْر في أخبار الردة. أهـ. وكثير ما تشبه الأشفار بالأشحار السابق ذكرها عن بامخرمه في الشحر فليتنبه لذلك.

ولظَفَار ذِكْر كثير بالأصل، وفيه إمارة السيد محمد بن عقيل السقاف، ثم أمارة السيد فضل بن علوي مَوْلَى خيله. ونزيد هنا: أن الذي قام في توثيق الأمر للسيد فضل هو عوض بن عبد الله الشَنْفري المُلَقَّب: عوض الموت، ثم كان أكبر الساعين لإبعاده. وسلطانها اليوم سعيد بن تيمور بن فيصل بن تركي، وهو داخل تحت الحماية الأنقليزية من أيام جده، إلاَّ أنه متمسك بسائر حقوقه، ولا يظفروا منه بغير مَطَار في موضع يُقال له (صَلاَلَه) على مقربةٍ من ظَفَار، وهو لا يُمَكِّن الأفرنج من الاختلاط برعاياه، ولا بد لمن أراد حاجةً من سوق ظفار أن يأخذ عسكرياً معه ذهاباً وجيئةً، ويأخذ منهم العشور في كل ما يصلهم في الطيارات وغيرها، ولا يبيح لهم التدخل في شيء من أحوال بلاده، ورَفضَ أن يقبل عملتهم بالورق ولا تزال عملة بلاده بالريال الفرانصة إلى اليوم، إلاّ أنه لا يبيح لامرأة من رعاياه أن تتزوج بغيرهم، وعنده قاضيان: قاضٍ للأباضيّة ومنهم

السلطان والعائلة المالكة، وقاضٍ شافعي هو السيد أحمد بن محمد البيتي من آل محمدة بحجر. وقد عَوَّد الله أهل ظفار هطول الأمطار من نجم الشول إلى تمام ثلاثة أشهر بلياليها، لا يتخلف عنهم هذا الموسم أبداً، وقد تأتيها الأمطار في غير ذلك الوقت. وخيراتها دارّة، وبركاتها كثيرةً، ويتحدث الناس أن بها عود الإكسير. وفي ظَفَار ناس من السادة آل عمر باعمر، وآل الحدّاد، وآل باعبود، وبيت واحد من آل الشيخ أبي بكر، وقبائل ضواحيها من آل كثير، فمنهم المراهين يبلغون ثلاثين رجلاً، وآل فاضل يبلغون عشرين، والشنافر يبلغون خمسين، وبيت رواس خمسون، وآل علي بن كثير نحو ستمائة رجل، ومما يجب أن يُلفت النظر إليه أن الشنافر بيت من بيوت آل كثير لا يعمهم، فضلاً أن يُطلَق على من سواهم.

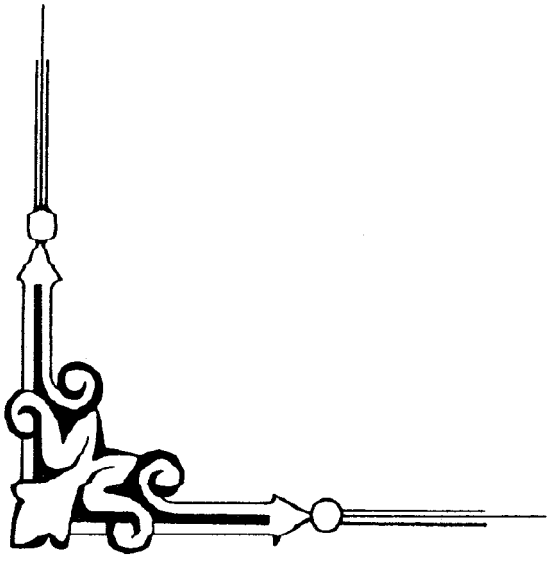
و(قبائل المَهْرَه) كثيرة يبلغ مجموعها اثني عشر ألف رجل، منهم آل اليزيدي لا ينقصون عن ثمانمائة رجل وهم بسيحوت، وآل بن كلشات بالغيظة وحصويل نحوهم في العدد، وآل الجدحي بِقَشْنْ نحو سبعمائة رجل، وآل بن عوبثان ببادية الغيظة نحو سبعمائة، وآل عفرار بيت السلطنة لا يزيدون ـ كما مَرَّ ـ عن ثلاثين، وهم بقشن، ويترددون إلى سيحوت، وأبناء عمهم في سقطرا، ولا يوجد بسقطرا من المَهْرَة إلاَّ القليل، لأنهم يستوبئونها، ولا يعيش من ذهب إليها من مَهْرَة سيحوت وقشن وعتاب أكثر من سنة ثم يغامصه الحمام، ومتى أراد أهل سقطرا مَدَداً لنائبةٍ أتاهم في أسرع وقت من سيحوت وأعمالها. وفي «بستان العجائب» للسيد محمد بن سقاف: أن للمَهْرَة محافظة على الصلوات، ولهم لغة غير العربية، يقال إنها لغة عادٍ، وأرضهم طيبة، ذات زرعٍ ونخل وغياض، وأكثرهم بوادي في الجبال. أهـ. وفي الأصل عن الجرو ما يُصدق هذا، مما يدل على أنهم كانوا منتشرين بجبال حضرموت، ولكنهم أخلوها بالآخرة للمناهيل فهم منتشرون فيها اليوم.



القسم الثاني

في أواسـط حضرمـوت

من أعلاها إلى أدناها



أواسط حضرموت

لمّا انتهى الكلام على شِقَّ حضرموت الجنوبي وما يقرب منه صرنا إلى هذا. قد سَبَقَ أَنّ حَدَّ **حضرموت الغربي** هو جُرْدَان، وعلى إزائه بشيء من التفاوت شَبْوه، وهي في شماله، وكثير من المؤرخين يوسعون هذا الحد إلى جبال مأرب، بل منهم من يُدخلها فيه كما بالأصل. وتنشعب الطُرق من جردان، فمن الجهة الغربية إلى عَمَقِيْن وَبِتَشَامُلٍ إلى عقبة شوحط ثم إلى شرج باوهّال، ومنه تخرج طريق إلى (ضباب) وهو أسفل جردان، وأخرى شرقية تخرج على آل بايوسف، واسم مكانهم (الشوف)، وماؤه يدفع إلى جردان. وآل جردان يُقال لهم النماره، وهم وآل خليفه ـ أصحاب الحاضنه ـ والنِسِيُّون أهل مرخه من بني هلال. وتذهب طريق أخرى إلى الشرق الجنوبي من **جردان** إلى السوط ومنه رَيْدَة الدِيَّن.

أمّا (**جُرْدان**): فقد جاء في «التاج» **وأصله أنه وادٍ بين عَمَاقِين ووادي حَبّان**، ولكن أخبرني جماعةٌ من أهل تلك النواحي بأنّ الأمر ليس كذلك، وإنما عَمَقِيْن في غربي جردان، فهو ـ أعني عَمَقِيْن ـ بين **جردان** وحبّان، فَكأنَّ الأمر انعكس عليهما. وقد تبعهما الطيب بامخرمه على الغلط فقال: **جردان** بين عَمَقِيْن ووادي حبّان يشتمل على قُرَى خرج منها جماعة من العلماء، منهم الفقيه عبد القادر الجرداني، قرأ على مشائخنا: الفقيه محمد بافضل والوالد، وكان فقيهاً متأهلاً للفتوى، وكثيراً ما يتولى قسم الصدقات السلطانيّة التي كان يتصدق بها الشيخ علي بن طاهر، وأرسل السلطان عبد الوهاب بن داود ـ معه ـ مرّةً بخيل مُعدّةً للمجاهد ابن سعد الدين، وصَحِبَهُ الفقيه أحمد بلعس. توفي المذكور بعدن. أهـ. وقد تشككت أولاً من موافقة الطيب على أن **جردان** بين عَمَقِيْن ووادي حبّان لأنه حضرميّ الأصل، ثم ذكرت ما سبق في ميفعه ومنه أن ماء عَمَقِين ينهر إليها، وما في الجزء الثاني من الأصل عن الطيب نفسه أن عَمَقِيْن وادٍ بين **جردان** وحبّان، وتأكدت من ذلك بسؤال من سلك تلك الأودية وشاهدها، فعرفت أن ما في «التاج» وغيره وَهمٌ ظاهر.

وجردان مشهور بِحُسْنِ عسله، فله شرف قول الطائي:

يَرَى الْعَلْقَمَ المأْدُوْمَ بِالْعِزِّ أَرْيَةً يَمَانِيةً والأَرْيُ بالضَّيْم عَلْقَما

إذ عسل حضرموت خَيْر عسل اليمن، وعسل **جردان** خير عسل حضرموت لأنه يجرسُ زَهْر السِدر، وهو السبب الذي يمتاز به عسل **جردان** وحضرموت، فإنه لا يطيب إلاَّ متى جرس نحلُه ذلك الزهر، أمّا الذي لا يجرسه كالذي يعسل في أيام الصيف، فإنه لا يكون إلاَّ رديئاً للغاية ولو من جردان.

[فَتَحصَّلَ أنَّ العسل لا يتفاوت إلاَّ من هذه الناحية] (١). [ويسمّونه المريّة] (٢).

وبلاد **جردان** من أقدم بلاد حضرموت، ومنها كان قيس بن سلمة المرادي الجُعفي، له صُحبة ووفادة على رسول الله ﷺ، وقد ولاّه على بني مُرَّان بن جُعْفي **بجردان** وأعمالها، وعلى حريم بن جُعْفِي، وكتب له: «**من محمد رسول الله لقيس ابن سلمه بن شراحيل، إني أستعملك على مرّان ومواليها وحريم ومواليها من أقام الصلاة وآتي الزكاة وصدَّق ماله وصفَّاه**». ومران وحريم أخوان أبوهما جُعْفيٌّ ضاربين في **جردان** ووادي **عمد**، قال في «التاج»: وهم من الصَّدِف، وقد دخل حريم في نسب حضرموت على ما صرح به الدارقطني وغيره من أئمة النَّسب، وذكروا لدخولهم أسباباً ليس هذا محل ذِكْرَها.

وفي ذِكْر الضليعه عن ابن الحائك(٣) أن رَيْدَةُ العبادِ وريْدَة الحَرمِيَّة للأحروم من بني الصَّدِف، والأحروم هو حريم الصدفي، قال في «القاموس»: وولد الصدف حريماً ويُدْعَى بالأحروم، وجذاما ويدعى بالأجذوم. أهـ. وهما بالضم. ومن ولد لَحْرُوم بن جُعْفِي - هذا - محمد بن حمران الجعفي، أحد السبعة المُحَمَّدِيْن، الذين تَسَمَّوا في الجاهلية بمحمد، وكان بينه وبين امرىء القيس محاجاةً ومنافسات معروفةً اقتضتها المزاحمة مع قرب الدِيَار، إذْ هذا في عمد وذاك بالكَسْر والهَجْرَيْن، وكثيراً ما يَشْهَدَانِ مجامعَ الأفراح والحروب، فيتساجلان القريض.

ومن أهل جردان: سَلَمه بن يزيد الجُعْفي من بني حَريم بن جعفي أيضاً،

---

(١) النسخة أ.

(٢) النسخة ب.

(٣) «صفة جزيرة العرب» ص ١٧٠.

وله صحبة ووفادة، وكان بجردان جماعة من أهل الفضل والصلاح ذَكَر الشِلِّيّ في ص ٦٦ج ٢ من «مشرعه»: الشيخ عبد الحق الذي كان موجوداً في أوائل القرن التاسع، وقال: إنه زار هوداً عليه السلام، وجاء في ص ٣٠٢ من «شرح العينيه» ذِكْر ولده عبد الصمد. وفي «شمس الظهيرة» أن للسيد عمر بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم عَقِباً **بجردان**، وقال ابن الحائك في «صفة جزيرة العرب»[1] وأمّا مياه السرو الشرقية فتصب في **جُردان** ومرخَه قريب منها، وهي موضع الأيزون، وينتهي **جردان** إلى قريب من حضرموت، أهـ. وقوله: إلى قريب من حضرموت، إن أَرَاد به أواسطها فَنَعَمْ، وإلاَّ فهو غلط، لأن **جردان** من حضرموت كما تقرر، وبين **جردان** ووادي عِمِد ثلاثة أيام بسير الأثقال، ونحو ذلك ما بينها وبين سهوة رِخْيَه. ومن علماء **جردان** الشيخ إسماعيل الجرداني، تخرج بالفقيه محمد بن أحمد بافضل صاحب عدن المتوفي سنة ٩٠٣، فهو من أقران الشيخ عبد القادر السابق ذكره في كلام الطيب.

شبوه:

هي كما ذكرنا من **حدود حضرموت الغربية** وبه قال صاحب «مفتاح السعادة والخير» حسبما يأتي في الكسر وقيل ليست منها[2]، قال في «التاج» وأَصْلِهِ: هو واد بين مأرب وحضرموت، وقال نصر: على الجادة من حضرموت إلى مكة، وقال ابن الأثير: ناحية من حضرموت، ومنه حديث وائل بن حُجْرٍ أنه ﷺ كتب لأَقْوَالِ شَبْوَه بما كان لهم فيها من مُلْك، وأخطأ الفيروز آبادي في قوله: إنها قريب من لحج.

أمّا الطريق من أثناء حضرموت إلى صنعاء، فسبع مراحل: الأولى من هَيْنَن وعروض آل عامر إلى دُهُر، الثانية من دُهُر إلى رملة **شبوه**، الثالثة منه إلى صَافِر رهو موضع الملح المشهور، الرابعة إلى مأرب، الخامسة إلى صرواح، السادسة إلى الحمرة ـ قرية من قُرى خولان ـ السابعة إلى صنعاء، وأهل زماننا ومن قبلهم

---

(١) ص ١٥١ ط مكتبة الإرشاد، صنعاء.

(٢) جاء في هامش الأصل: (شبوه: هي في غربي عرما في منتهى واديه، والباقي منها دويرات لآل بَريك وعبيدهم، في قارة خارجة عن الجبال الجنوبية، تشرف على رملة صيهد الواقعة في شمالها، وهي في مناعة الهَجْرَيْن أو هي أَمْنع، وفي وسط الجانب الغربي منها مطرح «رماد» لا يتخلّص من يقع فيه ولا يدري ما أصله. واسم شَبْوَه يُطْلَق على الناحية بأسرها).

بردح لا يستطيعون هذا السير وإنما كان الأولون أهل نشاط وعزم ولذا كثرت بينهم المواصلات لأن الجزيرة قريبة من بعضها في أنظارهم. وزعم قوم بأن **شبوه** ليست بحدِّ حضرموت الغربي، بل إنه يتجاوزها فيشمل مأرب كما في الأصل، ويتأكد ذلك بظهور أثر دعائهم بتباعد الأسفار على أهل حضرموت، فتفرقوا عباديد، وقال ابن الحائك في «صفة جزيرة العرب»[1]: وفيما بين بَيْحَان وحضرموت شبوه، مدينة لِحِمْيَر، بها أحد جَبَلي الملح، والجبل الثاني لأهل مأرب، فلما احتربت حِمْيَر ومَذْحِجُ خرج أهلُ شبوة منها، وسكنوا حضرموت، وبهم سميت شبام، وكان الأصل في ذلك شِباه، فأُبْدِلت الهاء ميماً. أهـ. وهو مخالف لِمَا اشتهر أن تريماً وتريساً وشِبَاماً كانوا ثلاثة إخوة سُمِّيت هذه البلاد بأسمائهم.

وقد خَلَف على **شبوه** - بعد حِمْيَر - كِنْده، وكان الأعشى ينتابها لِمَدْح قيس بن معدي كرب الكِندي، وهو القائل:

أَلَمْ تَرَنِي جَوّلْتُ ما بين مَأرِبٍ ... إلى عَدَنٍ فَالشَّام والشَّامِّ عَانِدُ
وَذَا فَائِشٍ قَدْ زُرْتُ في مُتَمَنِّعٍ ... مِنَ النِيْقِ فيهِ للوعولِ مَوَارِدُ
وَنَادمْتُ فهداً بالمَعَافِرِ حِقْبَةً ... وفَهْدُ سماحٌ لم تَشِنْهُ المَواعِدُ
وقَيْساً بِأَعْلى حضرموتَ انتجعتُهُ ... فَنِعْمَ أبو الأَضْيَافِ والليلُ رَاكِدُ

وقوله: بأعلى حضرموت ربما يريد به **شبوه**، لأنها من أعاليها، وهي قاعدتهم لذلك العهد، ولا تزال بشبوة وما تأخمها وما ارتفع إلى الغرب عنها آثار صُرُوحٍ ضخمةٍ، وسدودٍ متقنة، تدل على حضارة واسعة، وهندسة عجيبة، ومُلْكٍ واسع، وسلطانٍ نافذ وكثيراً ما تظهر التحف القديمة وقطع الذهب والخواتم بأثر ممر السيول في رمالها حتى لقد وجد بعض الفقراء الصالحين كوزاً فيه سِكة من الذهب لا أدري على اسم من باعها في مارب بنحو ثلاثة ألف ريال [2]، وقد سبق في ميفعه أن «الهجر» ثاني مدينة عمرانية كانت بحضرموت، وفي موضع من «صفة جزيرة العرب»[3] لابن الحائك: أن مخلاف **شبوه**، يسكنه الأشباء والأيزون ثم صداء ورُهاء. أهـ. وفي موضع آخر منها[4]: مرخَة قريب من **جُردن**، وهي

---

(١) ص ١٧١ ط ١ مكتبة الإرشاد، صنعاء.
(٢) النسخة ب.
(٣) ص ١٩٣.
(٤) ص ١٥١.

موضع الأيزون[1]. أهـ. وعندما عضّت الرحا بثِفالِها في الحرب الهائلة الأخيرة انقضّ الشيخ علي ناصر القردعي المرادي فاحتلها، قيل: بأشارةٍ من الإمام يحيى، وقيل: مَنْ قِبَل نفسه.

وفي **شبوه** جماعة من (آل بريك)، وهم مشايخ يحملون السلاح، ولهم احترام بين قبائل تلك الجهات، وقد تفرقوا في وادي **جردان** ودُهُر وعَرْما ووادي حول، وهم: آل عبد الرحيم، وآل سالم بن عمر، وآل عبد القوي، وآل باسيف. وقد أعطاني المنصب المرحوم السيد حسن بن سالم العطاس، المتوفى بالمكلا سنة ١٣٦٠، محاضرة ذكر أنه ألقاها بالسواحل الأفريقيّة، جاء فيها: أن آل بريك انهزموا من إخوانهم آل ناعب بجبل يافع فنزلوا سواحل حضرموت، ونزل بعضهم الحسا والقَطِيف وعُمان، ولمّا كثر عددهم نجع منهم نحو خمسة وثلاثين ألفاً فنزلوا **شبوة** وأعتقوا بها عبدهم الولي الصالح محمد بن بريك الذي ينتسب إليه المشايخ آل بريك، وله قُبّة وزاوية ومسجد ومطبخ وخزينة كتب، وكنت أردت إيراد تلك المحاضرة بنصها في الأصل لِمَا لها من التعلق بدولة آل بريك غير أن فيها تجازيف كثيرة ثَنَتْني عنها فاكتفيت بالأشارة إليها. وفي «فتح الرحيم الرحمٰن» لصاحب الحمراء: أن سيدنا الحسين بن العيدروس سار مع أمه بنت آل بامدرك إلى **شبوه** وغمره ثلاث سنوات أي سنة ٨٦٤ قبل موت والده بسنة، وفيه: أن آل بامدرك قوم صالحون، زُهّاد كرماء، واضحون.

وعلى مقربةٍ من شبوة ومن العَبْر مضارب (الكَرَب) [2]، ومرجعهم في النسب إلى بلّعبيد، وعددهم نحو المئتين رامياً، ولكنهم أولوا بأسٍ شديد.

عَرْمَا:

وادٍ واسع في شرقي شبوه، قيل لي: إن ماءه ينهر إليها، وفي أعلا عرما (حِرْة باعبد الله) فيها آل بادخن من آل بِلّعبيد، وبينهم وبين آل عمرو ـ سكان الكويره والمافود وحبيظ ـ حروب لا يسكن أوارها، وكلهم من آل بِلُّعبيد، وعندهم ثروة، وأسلحتهم من العتاد الألماني يجلبونها من حوالي صنعاء. وآل بادخن يبلغون مئتين وخمسين رامياً، وآل عمرو لا يبلغون الخمسين.

---

(١) الأيزون: قبيلة من حِمْيَر ثم من ذي يَزَن. راجع الإكليل ٢/ ٢٥٤.

(٢) أضاف في هامش النسخة ب قوله: ومن وجهاء الكرب بشبره رجل رحّاله يُقال له ناصر بن صالح بن حزيق.

وفي **عرما** جماعة من (آل باكثير) من ذرية الشيخ طاهر بن عيسى بن سلمة بن عيسى بن سلمة باكثير، وناس من ذرية الشيخ عبد القادر بن إبراهيم باكثير. ومنها (آل سنكر) منهم الشيخ عوض بن سنكر، رجل سليم الصدر، طيب النفس، محب للخير، استقر بالصولو من أرض جاوا وأثرى بعد أن كان فقيراً، سَارَ معي من الصولو إلى جقجا تلبيةً لدعوة «الجمعية المحمديّة» لاحتفالها السنوي في عام ١٣٤٦، وحملني معه إلى يمينه في سيارته، وهناك ساوم في أخرى على أن يزيد عشرة آلاف روبية، ثم أطال في حمد الله وشكره، فسألته فقال: أول ما قَدَرت عليه في **عَرْمَا** ناقةً اشتريتها فذهب نومي من الفرح عدة ليالٍ، حتى لا أجد جزءاً من مئة من ذلك السرور لشراء هذه السيارة الضخمة، فقلت له: حسبك منها، إنها تبعث لك تلك الذكريات الجميلة.

وللشيخ عوض بن سنكر أولاد أذكياء، منهم الآن علي له شهامة ومحبة لمعالي الأمور:

فتى تم فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الاعاديا

ولهم ابن عم يشركهم في التجارة هو والي عقود الانكحة بالصولو وعليه زي الصلاح. وأخوه سالمين هو الذي نهض بثروتهم لمّا كبت بها حوادث اليابان حتى أعادها سيرتها الأولى بل أحسن وعنده اطلاع وله رحلات جويّة إلى أنحاء العالم فيأتي فيه قول الأعشى لهودة الحنفي:

فتى يحمل الأعباء لو كان غيره ... من الناس لم ينهض بها متماسكا
وفي كل عام أنت جاشم رحلة ... تشد لأقصاها عظيم عرائكا
مورثه مالاف وفي مال رفعة ... لما ضاع فيها من قرؤ سنائكا

وقال مزاحم بن الحارث العقيلي:

وننعم ولا ينعم علينا ومَنْ يقِسْ ... ندانا باندى من تكلم يفضل
وبالخيل من أيامهن وشبوة ... ودهر ومن وقع الصفيح المصقل

ومعناه أننا نفضل بالخيل وأيامها كما قال طفيل:

وللخيل أيام فمن يصطبر لها ... ويعرف لها أيامها الخير تعقب

وكان في دهر وشبوه وقائع لبني عقيل على بني تميم وهما بين داريهما، ذكره البكري في معجم ما استعجم وضبطه بالفتح وقال أنه على لفظ الزمان

وقد سبق في **شبوه** أن في **عرما** جماعة من آل بريك.

دُهْر:

هو من وراء عرما إلى جهة الشرق[1]، قال ياقوت: وادٍ دون حضرموت ولم يزد عليه «القاموس» وأنشد شارحه قول لَبيد بن ربيعه:

وَأَصْبَحَ راسِياً بِرُضَامِ دَهْرٍ ... وَسَالَ بِهِ الْخَمَائِلُ في الرَّهَام

وقال مزاحم ابن الحارث العقيلي:

وننعم ولا ينعم علينا ومَنْ يقِسْ ... ندانا باندي من تكلم يفضل

وبالخيل من أيامهن وشبوة ... ودهر ومن وقع الصفيح المصقل

ومعناه أننا نفضل بالخيل وأيامها كما قال طفيل:

وللخيل أيام فمن يصطبر لها ... ويعرف لها أيامها الخير تعقب

وكان في دهر وشبوه وقائع لبني عقيل على بني تميم وهما بين داريهما ذكره البكري في معجم ما استعجم وضبطه بالفتح وقال أنه على لفظ الزمان.

وقد سبق عن ابن الأثير أن شبوة من حضرموت، فدهر من باب أولَى لأنه أسفل عنها بكثير، وله ذِكْر في «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك يأتي في رِخْيَه. وفي دهر أكثر من ثلاثمائة رامٍ من آل بِلَّعبيد.

رَخْيَه:

وادٍ واسع في شماله « المخارم » وفي جنوبه «سهوة»[2]. قال الهمداني[3]: «من قَصَد حضرموت من بَيْحان والسَّرو ودَثينه فمخْرجُه من بلد مَذْحِج، حتى يصل إلى دُهْر، وهو أول حضرموت من ذلك الجانب، وهو لِكِنْده وساكنه تُجيب، ثم إلى وادي رخيْه، وفيه قُرَى منها صَمع وسور بني حارِثة».

---

(١) دُهْر: بضم فسكون، وادٍ في غربي حضرموت يُشَكِّل في أعماله مركزاً إدارياً من مديرية عَرْمَا، محافظة شَبْوَه. وهو يسيل إلى الشمال الشرقي وينتهي في الرملة.

(٢) رَخْيَه: وادٍ مشهور فيما بين وادي عمد شرقاً ووادي دُهر غرباً، وهو يسيل من الجنوب إلى الشمال ويفضي إلى رمل الحزار الواقع جنوب ربدة الصيعر. وتشكل بلدان رخيه مركزاً إدارياً من مديرية الشِّحْن وأعمال محافظة حضرموت. ومن بلدانه: المخارم وسِهوه. وتُعد الأخيرة من أكبر قُرَى الوادي. وكانت طريق القوافل القادمة من شبوه إلى شبام تمر بجوار بلدة المخارم.

(٣) «صفة جزيرة العرب» ص ١٦٥.

وقال الهمداني في موضع آخر[1]: وفي رَخْيه درب يُقال له «سور بني نعيم» من تُجيب، ولهم قرى كثيرةً بوادٍ غير ذلك، وإباضَتهُم قليلة، وأكثر ذلك في الصَّدِف لأنهم دخلوا في حِمْيَر، وتجيب من ولد الأشرس بن كِنْده. أهـ. ولرخيه ذكر كثير في أخبار بدر بوطويرق وغيره من الأصل.

ومن أكبر قُرى رخيه (صَنَا) فيها جامع، وسكانها آل عيدروس بن عمر من آل الشيخ أبي بكر وآل باعباد وآل حيدرة يُقال إنهم من بني ظِنَّه، يزيد عدد رجالهم عن أربعمائة، وقيل: لا يزيدون عن مائتين. وهم فصيلتان: آل سالم وآل غانم، ترجعان إلى روح - وهو جدّ آل تميم - فهم وإياهم على رجل واحد، وفي رخيه من آل بِلّيث نحو ثمانين رامياً.

وما أظن امرء القيس إلا جمع إلى رخية وما حولها حيث يقول:

خرجنا نريع الوحش بين ثفالةٍ ... وبين رخيّات إلى فج أخرب

وقد وهم الأخفش في قوله إن جبيهاء الأشجعي جَمَعُ رَخيّة على رخيات في قوله:

جنوب رخيّاتٍ فجزع تناصب ... مزاحف جرار من الغيث باكّر

قال البكري وإنما تستقيم لو كان الواحد رخوة أو رخيّة ومنه يتبين أن امرء القيس لا يريد إلا هذه كما لا يريد باخرب إلا ضربة القمازين من نهد فإن بينها وبين رخية بالتقريب مقدار أربع ساعات.

المخارم:

هي في شمال رخيه، وكانت تحت فارس بن عبد الله بن علي النهدي، فأخذها منه السلطان بدر بُوطُويرق في سنة ٩٤٥ ورَدَّها لأهلها آل شحبل، وعددهم نحو الأربعين. وفي أخبار سنة ٩٥٢ أن السلطان بدر بُوطُويرق تُجَهِّز لحرب المشقاص في ست خيل إلى الريدة، ثم تلاحقت بعده العساكر والفرسان، فمن آل شحبل أربعة عشر فارساً، إلى آخره. وآل شحبل ثلاث فصائل: آل مظفر ومسكنهم المخارم والجحازره ومسكنهم الزباره وآل عجيان ومسكنهم حسره

(١) نفسه ص ١٧٢.

والمخارم، وآل مطعم ويُقال لهم آل مساعد، منهم آل حسين غربي نباع وغربي المخارم، وآل علي بن أحمد حصنهم بين المخارم ونباع، وآل عبد الله ومسكنهم بنباع، وفيهم كانت رئاسة آل شحبل العامّة. وآل شحبل من سكون كِنْده، ومقدم الشحابلة الآن سالم بن يسلم، ومنهم الشيخ عوض بن عبد الله بن شحبل

نِعْم الفتى في سواد الليل نَصْرَته لبائسٍ أو لملهوف ومحتاج

كان رئيس العرب بالصولو من بلاد جاوا، وكان مثال الإنصاف لم يَشْكُ حيفَهُ عدوٌّ ولا صديق، يحب الإصلاح، ويتمنى رقي العرب وتقدمهم، ولم يزل باذل الجهد في ذلك بلا معين، لأنّ جُلَّ - أو كل - العرب حضرميين نَفْعيون مُغرضون، لا يتخذون الجمعيات وأشباهها، مما ظاهره الخير، إلاّ طريقاً إلى المصالح والأغراض والتشفي، وقد قال الأول:

إذَا أَلْفُ بَانٍ خَلْفَهُمُ هَادِمٌ كَفَى
فَكَيْفَ بِبَانٍ خَلْفَهُ أَلْفُ هَادِم

ومنهم الشيخ عمر بن عبد الله بن سالم بن شحبل له شهامه ومحَبّه للخير، وهو الآن في ممباسه من السواحل الأفريقية، وبلغني أن جد آل شحبل كان بمريمة[1] فضاقت به لمّا كَثُرت ثاغيته[2] فَنَجَع إلى وادي عِمِد، لكثرة ما بهِ من المراعي، واستقر بالرحب منه، ولا تزال به بير تُدْعَى «شحبله» إلى اليوم. ثم نجع بعضهم إلى نباع[3] وأثرّا بها إلاّ أنه كان بها ثلاثة أخوة، وهم: مظفر وجحدر ومطعم في حالة إملاق، وكان على المخارم وآل كثيري من آل العجلانيه يأخذ منهم الرُبْع ويسومُهم فوق ذلك سوء العذاب، فجاء جماعة من الرعايا إلى مظفر وأخويه وجعلوا لمن يقتل أميرهم ما كانوا يعطونه، فكَمَنوا له وقَتَله مظفر، فدفعوا له ما كان يأخذه منهم ذلك الأمير مدّة ثم منعوه.

وفي أعلا رخيه مكان يُقال له (لَعْمَق) فيه آل عفي وهم من الجهمة يرجعون إلى آل بِلْعبيد لا يزيد رجالهم عن أربعين، ومكان آخر يُقال له (البديعه) على

---

(١) مَرْيَمه: مدينة قديمة بالشرق من سيئون بمسافة وقد إمتد عمران المدينة إليها فصارت حياً من أحيائها - راجع موضعها من المعجم.

(٢) كَثُرَت أغنامه (ثاغيه: شاة).

(٣) نِبَاع: قرية في وادي رخيه من مديرية القطن.

مقربةٍ من «**سهوه**» فيه آل لحول عدد رجالهم أربعون من الجهمة آل بلعبيد أيضاً. وفي أعلا وادي رخيه مكان يقال له قرن باشريح فيه عين ماء عليها نخل وبساتين وسكانه القراميش وفيه آل سميدع وإلى جنوبه مكان يقال له سلمون فيه آل سميدع أيضاً وعدة رجال، المكانين من آل سميدع نحو الخمسين.

سِهوه:

هي أرض بلعبيد[1]، وفيها جامع ومشايخ من آل العمودي، ومشايخ من آل بفلح منهم الشهم الحر الكريم أحمد بن عبد الرحمٰن بفلح، له رتبة في العسكرية بحيدر آباد الدكن، أتصل بي إتصالاً أكيداً، وخدمني خدمة صادقة.

ولمّا اشتد الأذَى بالعموديين من عسكر الكسادي بدوعن حوالى سنة ١٢٨٦هـ اجتمع مَلَؤُهُمْ بالشعبة عند الشيخ أحمد بن عبد الله بن بدوي، وحضَر رؤساء المشاجرة وأتباعهم من مقادمة الدِيَّن وآل بِلَّعُبيد، وأصفقوا على تسليم القيادة العامّة للشيخ صالح بن عبد الله صاحب بضه ـ جدّ المنصب الحالي الشيخ حسين ـ فتحمّل المُكْلِف، وباعَ أرضاً له واسعةً **بسهوة** ـ هذه ـ على الشيخ ابن **عبد الرب**، وهو من آل صالح العموديين، بطريق العهدة الجارية بحضرموت، ولا يزال الاختلاف قائماً بينهم من أجل الفكاك، وكان عاقبة تلك الحادثة انتصار آل العمودي على الكسادي فطردوه من دوعن، وأخذوا مدفعه الذي لا يزال موجوداً بدار المنصب في بِضَه[2].

علوجه:

ومن بلاد رخيه علوجه، فيها جامع ومنزل للضيفان صدقاته من آثار الحبوظي. وفي (**رخيه**) جماعات من آل الشيخ أبي بكر بن **سالم من أعقاب** السيد علي بن عبد الله بن الشيخ أبي بكر بن سالم ومن أعقاب السيد علي بن محمد بن عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم، ومن أعقاب السيد عبد الله بن الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، **ومن أعقاب أخويه أبي بكر** وعمر ابني الحامد، وفيها مشايخ كثيرون من آل العمودي، وقد مَرَّ في حَجْر أن

---

(١) سهوه: أكبر قرية في وادي رخيه.

(٢) بضه: قرية كبيرة في وادي دوعن انظرها في موضعها.

بلاد (مدورة) الواقعة بين لازم والسور كانت معمورة إلى آخر ما سقناه هناك. وفيها بقيه من آل أبي نعيم وجماعة من آل حيدره يبلغ عدد رجالهم المائة. وبين رخية ووادي عمد جبل يقطعونه صعوداً ونزولاً في نحو ست ساعات.

سِدّة باتيس:

بين رخيه ووادي عمد، فيها خمسة عشر حصناً مبنياً من الحجارة وكل حصن على سبع طبقات، سكانها آل باتيس، وهم فيها وفي نواحيها وفي وادي عمد يقدرون بأكثر من ثلاثمائة رامي، يخدمونهم مواليهم، لأن فيهم كثرةً ورؤساهم اليوم: محمد بن خميس بن منصور بن أحمد، وأحمد بن سالم بن منصور بن أحمد، وهم أهل نجده وضيافه ودِيْن ومرؤه.

سوط آل سميدع:

هو في جنوب سدة آل باتيس، وهم من آل نُعمان، يرجعون مع آل باتيس على رجلٍ واحد، ويبلغ عدد رجالهم المائتين، باقون على ما كانت العرب عليه من المروءة والشهامة والوفاء وَكَرَم الضيافة وأمان الجار. وفي جنوبهم **(سوط آل بلعبيد)** عدد رُماتهم ألفاً، على رأسهم سالم بن ثابت باهيصمي. وهم قبائل شتى، ولكل قبيلة منهم رئيس غير أن سالم بن ثابت هو رئيسهم العام.

وادي عَمْد:

قال الشيخ زملي بن عمرو بن عبد الله الفهمي باحلوان في كتابه «رشيدة الأخوان» أن بني القين التغلبيين - بطن من قُضاعه - سكنوا بوادي عمد من حضرموت فقيل له وادي قضاعة، وهو أول من سكن ذلك الوادي **فَسُمّي باسمه.** أهـ. وقد مَرَّ في جردان أن **بينه وبين وادي عمد مسيرة ثلاثة أيام،** وبعضهم يقول أربع، والأمر يسير لأن السير والمراحل على اختلاف. ويُطْلَق على **وادي عمد،** إلى اليوم **(وادي قُضَاعه)** وهو لقب عمرو بن مالك بن مُرّه بن زيد بن مالك بن حِمْيَر، وتزعم نُسّابُ مُضَرَ أن قُضَاعَة هو ابن مَعْد بن عدنان، وقال الهمداني في الجزء الأول من الأكليل يمتنع ذلك لخصال منها أن حمير كانت أعز العرب جميعها وانهم كانوا الملوك الذين يدينون البلاد ويقهرون العباد فلم يكونوا ليتركوا قضاعة بهذه الحالة وهم من غير عبيدهم تسكن مأرب وصرواح وتوطنها وهي

بيضة العز ودار المملكة وبقعه الجنتين، وذكر قحطان ووسط الإقليم وكل من ملك من حمير يرى العالم عبيده والعرب جميعا خدمه إلى آخر ما ذكر فتعيّن أن الصواب أنهم من حمير وفي حديث أخرجه الطبراني عن عُقبه بن عامر: أنتم من قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر، وفي آخر أخرجه أحمد بن عَمْرو بن مرة: أنتم معشر قضاعة من حِمْيَر. ويأتي في «الضليعة» أن سائر قبائل السوط من حِمْيَر، وهو مناسب لِمَا هنا، وبه يتبين كذب أَعْشَى ثعلبه في قوله:

قَالَتْ قُضَاعَةُ: إنّا مِنْ ذَوِي يَمَنٍ

وَاللَّه يَعْلَمُ ما بَرُّوا وَلاَ صَدَقُوا

ورأيت في ص ١١٠ من «الشهاب الراصد» أن قضاعة كان مالكاً لبلاد الشِّحْرِ، وأن قبره موجود بجبلها، ومن المعلوم أن قضاعة كانت بمأرب فتفرقت عنها بعد تفرق الأزد، فَنُجُوْعُها منها إلى هذا الوادي ـ وما والاه ـ من أقرب القريب، وقال العلامة السيد أحمد بن حسن العطّاس إنما كان نجوع قضاعة إلى وادي عمد أواخر القرن السادس حينما مَاجَت حضرموت بالأيوبيين ومواليهم الغِزّ والقبائل الناقلة إليها، وَلاَ إختلاف لاحْتَمال تعدد النجوع كما ذكرنا عن كِنْده، والأثبت ما سبق عن باحلوان، وذَكَر أبو علي أن ثلاثة بطون من قُضاعة وهم: بنو ناعب وبنو داهن وبنو رئام كانوا متجاورين بالشِّحْر وحضرموت، وكان الشرُّ يَتَّقِدُ بين بني رئام وأَخَويْهم، فبينا هم غارُوْنَ في بعض أفراحهم إذ أنذرتهم كاهنة لهم يُقال لها خويلَة الرياميّة، فَحَذِرَ من كلامها أربعون فَتَحصَّنوا بشعف الجبال، وسَخِرَ بها الباقون فصبحهم بنو ناعب وبنو داهن فألقوا فيهم السلاحَ حتى أبادوهم، وكانوا ثلاثين كما يُعْرَفُ من شعر خويلة الآتي، فلم يكن منها إلاَّ أن قطعت خناصرهم وانتظمتها قلادةٌ في جيدها، وركبت إلى إبن أُختها مرضاوي بن سعوة المَهْري تَسْتَنجد به، وما كادت تصل بين يديه حتى مثلت تنشد:

يَا خَيْرَ مُعْتَمَدٍ وأمنعَ مَلْجَاءِ ... وأعزُّ منتقمٍ وأدرك طالب

جاءتْكَ وافدةُ الثَّكَالى تَغتَلي ... بسوادها فرق الفضاء النَّاضب

هذي خناصر أسرتي مسرودة ... في الّجيد مِنّي مثل سِمْط الكاعب

عشرون مُقْتَبلاً وشَطْرُ عَدِيدهم ... صَيَّابَةً في القوم غَيرُ أشائِبِ

طَرَقْتِهِمُ أُمُّ الدُّهَيْمِ فأصْبَحُوا ... تَسْتَنُّ فوقهم ذُيُولُ حَوَاصِبِ

جَزْراً لِعَافِيَةِ الخوامِعِ بعدما ... كَانُوا الغِيَاثَ مِنَ الزَّمان اللاَّحِب

فَابْرِدْ غليلَ خويلةِ الثكْلى التي ... رُمِيَتْ بأَثْقَلَ من صخور الصَّاقِب

فحمى أَنْفُه وقال:

أَخَالَتِنَا سِرُّ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ ... عَلَيْنَا وَتَشْهَادُ النَّدَامَى عَلَى الْخَمْرِ

لَئِنْ لم أُصْبِّحُ دَاهِناً وَلِفِيْفَها ... وَنَاعِبَهَا جَهْراً بِرَاغِيَةِ الْبَكْرِ

ثم لم يزل يضرب آباطَ الإبل حتى هجم برجاله على بني ناعب وبني داهن، ولم يَنْحَجِزْ عنهم حتى أَرْدَى ثلاثين قياض أولئك. إنتهى باختصار.

وما حَرِصتُ على هذه القصة إلاّ لأنها تشمل بقضاعة كثيراً من حضرموت، ولا شك أنّ المَهْرَة منهم، وقد مرّ في الدَيْس أن المناهيل والحموم ويافع من حِمْيَر بن سَبَأ، فالأمر متقارب بعضه من بعض. وفي «رشيدة الأخوان» لباحلوان أن عوبث وناعب ورئام سكنوا بين حضرموت والشِّحْر وحالفوا قبائل المناهيل وصاهروهم. أهـ. وجاء في «صفة جزيرة العرب» للهمداني[1]: أن لبني رئام حصناً منيعاً لا يرام بِعُمَان، وقال ياقوت في «معجمه»: رئام موضع يُنْسَجُ فيه الوشْيُ، وقيل: رئام مدينة لأوْد، قال الأفوه الأوديّ:

إِنَّا بَنُو أَوْدٍ الَّذِي بِلِوَائِهِ ... مُنِعَتْ رِئَامُ وَقَدْ غَزَاهَا الأَجْدَعُ

وفي «القاموس»: ورئام ككتاب بلدٍ لحِمير، وقال الهمداني في الجزء الثامن من «الإكليل»[2]: أمّا رئام فإنه كان مَنْسَكاً في رأس جبل من بلد همدان، يُنْسَب إلى رئام بن نهفان بن بتع بن زيد بن عمرو بن همدان، وحوله مواضع كانت الوفود تحلُّ منها حرمةً. وبعد أن أطالَ في وصفها قال: ولا أدري أرئام هذه يعني الأفوه الأودي بقوله ـ يعني البيت السابق ـ أم غيرها من أرض اليمن، فإن يكن رئام لِهَمْدَان فالبيت لِكَهْلاَن، يحجُونَهُ، فسار إليه الأجرع ملك من ملوك

(١) ص ٩٢ ـ ط الأولى مكتبة الإرشاد، صنعاء.

(٢) ص ١٢٨ ـ ط الأولى، منشورات المدينة، بيروت. وقوله هو الصواب، فأن رئام حصن يقع شمال أثْوَه من مديرية أرحب في شمال صنعاء، كان به بيت في الجاهلية يحج إليه.

حِمْيَر، وهو تبع الأخير، وأجرع بن سوران من ملوك همدان أيضاً، وفيه يقول علقمة:

وَذَا رِئَـــامِ وَبَـــنِـــي فَـــارِسٍ وأَجْـرَعِ الـقَـيْـلِ أَخَـا يَـسْـحَـمـا

ورئام قبيلة من مَهْرَة من قُضَاعَة، ويمكن أن يكون عناها. انتهى بلفظه، وموضع الشاهد هو الجزء الأخير.

ووادي عمد بين جبلين غربيّ وشرقي، وتتشعب منه طرق تأخذ واحدة في الغرب متشاملةً فتنتهي إلى رخية، وأخرى إلى حيلة باصليب، ثم تذهب إلى جردان.

وأول وادي عمد، من أعلاه: **(الخميله)**: سكانها آل بايزيد وهم مشايخ، كان منهم علماء وصلحاء في سابق الزمان، وقال **الطيب** بامخرمة: هي قرية على وادي عمد بها فقراء صالحون، يُطعمون الطعام، يُعْرَفون بآل بايزيد، تتصل خرقتهم إلى أبي مدين المغربي، ذَكَر ذلك القاضي مسعود. أهـ. وقوله: تتصل خرقتهم إلخ. لن يكون ذلك الإتصال بواسطة السادة العلويين أو العموديين. وفيها سَوَقه، وفيها جامع وبيت للضيفان من صدقات الحبوظي.

ثم **(حيلة باصليب)** وهم قبائل مشاجرة يحملون السلاح، وأغلب الظن أن الشيخ علي بن سعيد باصليب المُلَقَّب بالرخيلة منهم وقد تدثر تريماً. وللشيخ عبد الرحمٰن السقَّاف أَخْذٌ عنه، ومع ذلك بقي له اتّصَاله الأكيد بالشيخ الإمام أبي بكر بن عيسى بايزيد الساكن في وادي عمد، الذي كان موجوداً بالقرن الثامن، وكان هو والمشايخ الاجلاء: عمر بن سعيد باجابر، ومزاحم بن أحمد باجابر، وعبد الله بن طاهر الدوعني المتوفي بالأيسر، على مقربة من بلاد الدُوْفَه، كل هؤلاء من أَقْرَان الشيخ عبد الرحمٰن السقاف. وفي حيلة باصليب جماعات من السَوَقه والأَكَرَة.

ثم **(رباط باكوبل)** وسكانه من القرار المعروف شأنهم بحضرموت، وفيه جامع، ولم أَدْرِ مَنْ هُوَ باكوبل هذا غير أنه جاء في الحكاية (١٤٥) من «الجوهر الشفاف» ذِكْر يحيى بن أبي كُوبل، وهو من خدام الشيخ عبد الله باعلوي كما جاء في الحكاية (١٥٤) ذكر باكنبل، وهذه الألقاب متقاربة.

ثم **(قرن باظبي)** ثم **(مخيه)** و**(الشرقي)** لآل باتيس نحو مائة رامي، وعندهم نحل كثير جيد العسل، وهم على اتصال بقبيلتهم أهل السدة، السابق ذكرها.

ثم **(خربة باكرمان)** فيها جامع وسكانها من أتلاد يافع المتوالدين بها، وَسَادَةً من آل الكاف، منها أو من عمد الفاضل السيد أحمد بن عبد الله بن سالم، أَثْنَى عليه شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة» بالفقه والنباهة والورع، وقد زار سيدي الوالد بمكاننا المُسمَّى حُوْطَة عَلَم بدر، في يوم الاثنين ٢٠ شعبان سنة ١٣٠٨ وحصلت منه الإجازة والإلباس لوالدي ولي وللشيخ محمد بن شيخ الدثني، وكانت مذاكرات علميّة شهية في ذلك المجلس الشريف. هكذا وجدته بخط الدثني المذكور. وفي «المواهب والمنن» للسيد علوي بن أحمد بن حسن الحداد أن السيد علوي بن محمد الكاف ساكن وادي عمد وادي قُضاعة بحضرموت كان مع سيدي الوالد في المركب الذي انكسر بهم قريباً من القنفذه في سنة ١١٥٧. وفي الخربة المذكورة جماعات من آل باكرمان، وهم مشايخ وعندهم أوشاب[1] من الرعايا.

ثم **(الشعبة)** وهي بالوادي الشرقي، وسكانها آل العمودي، مشهورون بكرم الضيافة، وفيها خزانة كتب للشيخ العلامة عمر بن أحمد العمودي المقبور بالقنفذة، وفيها أوشاب من الرعايا.

ثم **(الوجر)** فيه نحو أربعون رامياً من آل ماضي.

ثم **(طمحان)** فيها جامع وبيت للضيفان، أوقافه منسوبة للحبوظي، وفيها جماعة من آل ماضي، ومنها حسبما يُقال أبو الطُّمَحَانِ القِيني، وقد ذَكَرت ما أخرجه صاحب «الأغاني» من خبره مع قيسيه بن كلثوم السكوني في الأصل؛ ويتأكد بما سبق أن بني القيني أول من سكن وادي عَمْد، من قضاعة، وقد ترجَم له في «رشيدة الأخوان» وصرّحَ بولادته في حضرموت بوادي قُضاعة مسكن بني القيني، وذَكَر أنه أصاب دَمَاً في قومه فهرَبَ إلى دِيار فزاره [2] مستجيراً بمالك بن سعد الفزاري فأجاره وأكرم مثواه إلى أن توفي سنة ٣٠ من الهجرة[3]. **وفي طمحان** أو في جَاحِز الآن: شيخ شهم من آل العمودي يُقال له أحمد الأشرم، تزوج بمخلفة السيد عيدروس بن حسن بن أحمد بن إبراهيم بلفقيه، وقد جرت لها قصة حاصلها أن السيد عيدروس هذا كان غائباً فَفُقِدَ وانقطع خبره ففسخَتْ

---

(١) أوشاب: أخلاط.

(٢) فَزاره: قبيلة عربية شماليّة من غَطفان.

(٣) انظر «تاريخ الشعراء الحضرميين»: ١/ ٣٧.

نكاحَها منه لتعذر النفقة فسخاً صحيحاً أمضاه قاضيهم السيد العلامة عبد الله بن محمد المساوَى، المتوفي بشقرة، واقترنت بأحد آل عمر بن جعفر الكثيريين بقية الدولة البائدة، ولمّا بَنى بها هجم عليهم آل شملان وانتزعوها منه عنوةً بغير مبرر شرعي، سوى أنهم قالوا: إنَّ كثيراً من أبنائنا غائبون ولا يُنْفِقون على زوجاتهم، وبانفتاح هذا الباب ينجم شرٌ كبير. وأنا كثيراً ما أنْعَى على المتعصبين من الفقهاء تشدُّدَهُم في منع الفَسْخ، لأن الدين يُسْرٌ، لا حرج فيه، ولَنْ يشادَّهُ أحدٌ إلاَّ غلبه، وقد جاء في «الغنية» لسيدي الإمام العارف بالله شيخ الشيوخ السيد عبد القادر الجيلاني: أنَّ للمرأة الْفَسْخَ بعدَ مضي ستة أشهر لغيبة زوجها، وهو قريب من مذهب سيدنا عمر بن الخطّاب.

وإلى جانب **طمحان** المكان المُسمّى (جاحز) وفيه يسكن آل عمر بن جعفر المذكورون، وآل جِنَيْد من المشايخ آل باوزير.

ثم **(حبرة)**: قرية صغيرة لآل ماضي لا مسجد بها. ثم بلد (عَمد) وفيها آل العطَّاس منهم الإمام الكبير صالح بن عبد الله المتوفي بها في سنة ١٢٧٩ ووالداه الكريمان الصالحان عمر بن صالح **ومحمد** بن صالح، وابن أخيه محمد بن أحمد بن عبد الله، وفيها جماعة من آل الشيخ أبي بكر بن سالم، منهم السيد العظيم الشأن صالح بن عبد الله الحامد، ومنهم الصالح السليم البال حسين بن محمد المتوفي بها سنة ١٣٠١، وله أخبار عجيبة منها أنه أعلم والي عدن - في طريقه إلى الحج - بأنه واصل وطلب منه أن يلاقيه، فلاقاه إلى أثناء الطريق على عادة الحضارمة مع المناصب وأهدى له طِرفاً وكميّة من الربيات. وهم من ذرية السيد عيدروس بن سالم بن عمر بن الحامد بن الشيخ أبي بكر. وممن يسكن عمداً السادة آل مساوَى ومنهم القاضي السيد عبد الله بن محمد السابق ذكره، ومنهم السيدان عمر وأحمد ابنا هاشم المساوَى، لطيفان ظريفان راويتان لأشعار القبائل وزواملهم، توفي أولهما بِعمد في حدود سنة ١٣٤٨هـ والثاني بعده بسنه. وعلى مقربة من عمد - إلى شماله - قرية يقال لها **(جب)** يسكنها آل شملان، والمقدم فيهم عوض بن سعيد بن شملان، وفيها لفيف من السوقه، وبها جامع ومنزل للضيفان من آثار الحبوظي.

ثم **(النعير)**: فيه ساده من آل الشيخ أبي بكر وآل العطاس، ومشايخ يُقال لهم آل باحسين، وقبائل يُقال لهم آل لجذم من الجعده، وفيها جامع.

ثم **(عنق)**: فيها ساده من آل العطّاس منهم الآن السيد محمد بن عبد الله الهادي، له يَدٌ في إصلاح ذاتِ البين، وفيها ناس من آل الشيخ أبي بكر منهم السيد الصالح محمد بن محسن المتوفي بها في سنة ١٣٠٢، وفيه حَرَّاثُون، ولها ذِكْر في التاريخ.

ثم **(منخوب)**: قريه صغيره في فم الوادي وهو مرعَى خصيب للبهائم وإليه كان يرسل الحسين بن الشيخ أبي بكر بخيله للرعي، والقرية المذكورة لآل باسيت، وفيها نحو ثلاثين رامي من آل عامر بن علي الجعيديين.

ثم **(الرِحب)** بكسر الراء، وسكانه من القرار وفيه جامع، وبيت للضيفان من أوقاف الحبوظي، وفيه مشايخ من آل باسق وآل حاجب وسَوَقه.

ثم **(خنفر)**: وفيه سادة من آل الحِبْشِي، منهم الإمام العظيم العلاّمة عيسى بن محمد بن أحمد الحِبْشِي المتوفي بها، له عَقِب منتشر بالرِحب والرَّيْدة وعنق والغرفة. وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أن جلوسه في وادي عمد، كان بأشارة شيخه عمر بن عبد الرحمٰن العطاس. وفي «شمس الظهيرة» أن بِخَنْفَرَ جماعة من ذرية الشيخ عمر ابن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف، ومن صلحاء خنفر الشيخ الفقيه الأجل الورع الفاضل محمد بن عبد الله باحارث توفي بها سنة ٨٨٤، وذَكَر الطيب بامخرمه **خنفراً** باليمن من أرض أَبْيَن، قال: وهي قاعدتها، وبها جامع حسن البناء جيّد العمارة، ومأذنته طويلة، وهي أعجوبة، وكان بها فقهاء صالحون منهم الشحبلي، وفيهم قوم متصوفة يُسمَّون البركانيين، يدهُمْ للشيخ مور بن عمر بن الزغب، وكانوا يسافرون بركب اليمن من الشِّحْرِ وأَحْوَر وأَبْيَن والجبل جميعه، وتهامة جميعها، ويزورون قبر النبي ﷺ صحبة الصوفي البركاني، ويعود بالزائر والواقف قفولاً، كما يخرج عن بلده، ذكر ذلك القاضي مسعود على ما كان عليه في زمنه، أمّا اليوم فأنها خراب استولى عليها البدو من الهياثم والعوالق وآل أيوب، وغيرهم من داعية الفساد، وانتقل البركانيون الذين كانوا بها إلى وادي لحج، وفي عصرنا هذا ـ وهو سنة ٩٢٨ـ تطرق فساد البَدْوِ إلى وادي لحج، وخرب أكثرها، وغالب قراها بسبب التفات الدولة إلى جمع الحِطَام الفاني وعدم اعتنائهم بصالح المسلمين، فالله يختم بخير. أهـ.

ومن موضع آخر من كتابه يقول: إنّ الهياثم سلاطين دَثِينه، والمُقدَّم فيهم لعهده: حيدره بن مسعود و[illegible] لا أسعدهم الله أهـ. وأخبرني جماعة من

اليافعيين أن خنفر هذه كانت ملكاً للسلطان عيدروس اليافعي فاستأجرتها حكومة عدن لمدة أربع سنين، ولمّا مضت طَلَب ارتفاعهم فطلبوا ما أنفقوا، وقَدَّروه بسبعين ألف روبيه هندية، فدفعها، ثم عادوا بعد سنتين محاربين وقُتِل ضابط انكليزي وأربعة من يافع واستولوا على الأرض إلى اليوم.

ثم **(الجدفره)**: فيها ناس من آل العطاس وثلاثة بيوت من الجعده. ثم **(سراواه)** وفيها ناس من الجعده يُقال لهم آل عِلى ـ بكسر العين ـ وكانت لهم قبوله حاره لا يزالون يتناشبون الشَّر مع جيرانهم آل الجدفره وآل هلابي، وفي أَشْهَر لقياتهم قُتل بُطْلاً من الطرفين أكثر من ثمانية بمكان يُقال له «باوردان» من ضواحي الرِحب، فصار مضرب المَثَل في التهلكة فيقال فلان وقع في حفرة باوردان.

ثم **(لفحون)** وسكانها آل هلابي من الجعدة، وفيها جامع ومنزل للضيفان من آثار الحبوظي.

ثم **(زاهر باقيس)**: وفيها جامع ومنزل للضيفان من آثار الحبوظي، وفيه آل باقيس، منصبهم الشيخ عمر بن أحمد باقيس، وكان بناء زاهر هذه في سنة ٧٣٦.

ثم **(قرن ابن عدوان)**: فيه مشايخ من آل باوزير، منصبهم الشيخ عبد الله بن سعيد، وفيه جامع ومنزل للضيفان من جملة صدقات الحبوظي، وفيه آل أحمد بن علي من قبائل الجعده، ويُقال للجعدة «مُرَّة» إمّا نسبةً إلى مُرَّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر وهو ـ كما سبق ـ جدّ قُضاعة، وإمّا إلى أحدٍ من ذُرِيّة قضاعة يُقال له مُرّة. وقيل إنهم من مُرَّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عمرو بن زيد بن كهلان، ومُرَّة هذا أخو الأشعر وطيء ومذحج، وهو جدّ كِنْده الثالث، لأن كِنْده هو إبن عفير بن عدي بن الحارث بن مُرّة بن أدد. وفي الجزء الأول من «الأكليل» للهمداني[1]: أن مُرّة بن حِمْيَر، بطن منهم ربيعة ذو مَرْحَب بن معدي كَرِب بن النعمان، القَيْل بحضرموت، وهو الذي أنجد الحارث بن معاوية بن مالك بن معاوية بن عوف بن حريم الجُعفي ـ الملقب بالأسعر ـ على قتله أبيه، وأعطاه فرساً من رباطه ورأشه بالسلاح، وله خبر طويل، قال أبو نصر: فأولد ربيعة ذو مرحب بن معدي كرب ابن النَّضر: حليلاً وذا المسوح، وقال غيره من علماء اليمن: أولد مُرّة بن حمير:

---

(١) ص ١٢٩ ـ ط ٢ دار التنوير، بيروت.

عمراً وربيعة، فأولد ربيعة الأحلول وذا المسوح، والكِلبيون وأهل السِجِّل يقولون أنه مسروح. وأولد عمرو بن مره: قبائل بحضرموت منها بحنن، دخلت في مَهْرَة بن حيدان، ومنهم العجلان، وإليه تُنْسَب العجلانية بحضرموت، وذو صبح، وذو النعرين. أهـ.

والجعدة قبائل كثيرة، منهم آل هلابي وآل غانم والمراضح وآل شملان وآل لجذم والروامضه آل الشبه وآل عامر بن عل وآل سليمان بن علي وآل أحمد بن علي والصقرة، ومساكنهم: نفحون والسيله والجدفره وسريواه وحد عنق والبطيح والنعير وتبرعه وعمد ونواحيها.

حريضه:

ومن أعمال وادي عمد: حريضة، قال الطَّيّبُ بَامَخْرمه في كتابه «نِسْبَة البلدان»: سُمِّيت **حريضه** باسم قبيلة من حِمْيَر، ويسكنها السُّكُوْنُ من كِنْده، كذا نقلته من «سفينة الحبيب أحمد بن حسن العطاس» ولمّا اطلعت على كتاب الطيب لم أجد فيه إلاّ قوله: **حريضه**: بالكسر، كضِدِّ الجبر، أَسْفل من وادي عمد، مقابلة لِعَنْدَل .أهـ. وقوله: بالكسر يعني الصقع الآتي ذكره وفيه تسامح لأن الأكثر يعد حريضه في عمد لا في الكسر، وقد يفهم بعضهم من قوله بالكسر إنما أراد به كسر الحاء من حريضه وليس الكَسْر الصقع الآتي ذكره، ومن كتاب باشكيل[1]: أن آل علي بن سالم آل حريضة من بني يزيد بن معاوية ابن كِنْده. وقال بعضهم: **حريضه** مصحفة عن قريضة، ودَلّل على ذلك بأنها كانت مسكن اليهود قبل البعثة بأربعمائة سنة، ومن دَشْتَةٍ وُجِدَتْ بزاهر باقيس: وحريضة كانت تُسمّى قريضة، ترد إليها القوافل من صنعاء ومأرب، وكانت بها أسواق، وهي من بلاد عادٍ القديمة. وفي بعض مذكرات الحبيب أحمد بن حسن العطاس أن **حريضة** كانت ذات جاهلية صَمَّاء، وطاغوتية عمياء، وكانت لليهود قبل النبوة، فأسلموا بكتابه ﷺ، ثم ارتدّوا إلى اليهودية، وبقوا عليها إلى زمان المهاجر أحمد بن عيسى، فأسلموا على يده، وحَسُن إسلامهم وإنما بَقِيَتْ لهم نزغاتٌ يحييها الجهل ويطفيها العلم، نقله العلامه السيد علي بن حسن العطاس، والشيخ

---

(١) باشكيل: هو الفقيه محمد بن مسعود بن سعد باشكيل المتوفى سنة ٨٧١هـ. وكتابه المقصود هو الذي يحمل عنوان «تراجم الأولياء والصالحين من أهل اليمن» مخطوط.

محمد بن أحمد بامشموس، من مناقب الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس. أهـ. وجاء في كلام الحبيب عمر بن حسن الحداد أن الحبيب عمر العطاس كان كآبائه في اللَّسَك[1]، فأشار عليه شيخه الحبيب حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم أن يرحل إلى حريضة، لِيُعلِّم أهلها، علَّهُمْ يُفِيقون مما هم عليه من الجهل والغلظة، وقال له: لو أعلم أحداً أَجْفَى منهم لبعثتك إليهم، فسار إلى هناك وأَلفاهم على جاهليّةٍ جهلاء، يبيتون مختلطين رجالاً ونساء على ما يسمونه الظاهري، فلم يسعه إلاَّ أن دخل فيهم وجعل يُلقي عليهم الأراجيز في ألعابهم، ثم أشار عليهم بعزل النساء عن الرجال، وما زال يتدرج في نصحهم وإرشادهم، كمؤمن آل فرعون في ترتيب دعوته لقومه، حتى انكفّوا عن العادات السيئة، وأقبلوا على الدِيْن والصلاة بفعل هذه السياسة والرفق. أهـ بمعناه.

وقد تكرر هذا في كلام الحبيب عمر بن حسن الحدّاد، ولاَحَظَ عليه سيدي أحمد بن حسن العطاس أن الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن لا يقول الشعر، فلعله الحبيب علي بن حسن، لأنه الشاعر الذي لا يُدَافَعُ، ولكنه يلتئم لتأخر زمان الحبيب علي بن حسن، ولئن لم يكن الحبيب عمر شاعراً فلعله كان راوية، ولم يزل ناشراً الدعوة إلى الله بحريضة، صابراً على المشقات الهائلة، حتى لقد استقلّ القطب الحداد شأن نفسه لمَّا رأى ما كان عليه الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس من المجاهدات والكلف والمشقّات. توفي الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس **بحريضة** سنة ١٠٧٢، قال في «شمس الظهيرة»: له تسعة بنون: مشيخ وشيخ وشيّخ ومحسن وعلي إنقرضوا، وعبد الله له عَقِب بعنق والجدفرة ولحروم وجَاوَه وبهان، وعبد الرحمٰن عَقِبهُ **بحريضة** وجاوة والهند ولَحْروم،، وسالم عَقِبَهُ بالصيق قرب حريضه وسَدَبه وكيرعان وبالجبيل وموشح والهند، وحسين بن عمر وله ثمانية بنون؛ منهم محسن عَقِبهُ بحريضه، ومنهم السيد الفائق على أهل زمانه في العلوم الحريص على تقييد الفوائد وسيرة السلف أحمد البصير بن حسن، ومناصبهم الآن ـ أي في سنة ١٣٠٧ـ حسن بن عبد الله والد أحمد المذكور، وزين بن محمد، شريفان كريمان قائمان بعادات سلفهم، ومنهم طالب عَقِبَهُ بحريضه، ومنهم الإمام الخليفة أبو بكر بن عبد الله بن طالب المتوفي بها سنة

---

(١) اللَّسَك: بلده في وادي حضرموت بالقرب من مدينة تَرِيم، تُعْرَف اليوم باسم القرية ـ انظرها في موضعها من الكتاب.

١٢٨١هـ. انتهى باختصار. وقد أخذت أنا عن السيد أحمد بن حسن وامتدحته ورثيته بقصيدتين توجدان بمحلهما من الديوان، وكثيراً ما حدثنا الشيخ الجليل حسن بن زين بن عوض مخدَّم عن شيخه العلامه الجليل أبي بكر بن عبد الله بأمور عجيبة عن مشاهدةٍ، ولم يذكر شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة» صاحب الجاه العظيم والفضل الجسيم السيد عبد الله بن علوي بن حسن العطّاس، مع أنه لا يجهل قدره، لأن ظهوره إنما كان بعد الفراغ من ذلك الكتاب. توفي **بحريضة** في سنة ١٣٣٤هـ. وكذلك كان شأن شيخنا المشهور مع الصالح المشهور السيد عبد الله بن محسن العطّاس المتوفى ببوقور من أرض جَاوا في سنة ١٣٥٢ عن عمر ينيف على الثمانين، فأنه لم يذكره. ولمّا توفي العلامة السيد أحمد بن حسن العطّاس بحريضة في سنة ١٣٣٤ وَقَع لواؤه على حفيده حسن بن سالم بن أحمد العطّاس، وكان شهماً كريماً ظريفاً، توفي بالمكلا في سنة ١٣٦٠ وخلفه على المنصبة عمه علي بن أحمد بن حسن العطاس، وهو ولد نبيه، مفتوح الأبواب، مُوْطأ الأكتاف. ولمّا توفي السيد زين بن محمد خلفه على المنصبة ولده عمر بن زين المنصب الحالي لأنه لا يزال بحريضه منصبان.

ومن أعيان **حريضة** اليوم، السيد أبو بكر بن عبد الله بن أحمد العطّاس، رجل شهم يقوم بتسهيل الطريق لكل من يرد جَاوه من الحضارم، ومنهم السيد محمد الحَيل، ومنهم السيد عبد الرحمٰن بن عبد الله بن علوي، والسيد على بن سالم بن أحمد، [والأخير له شعر وأدب وحرص على الفوائد وهو على قضاء **حريضة** الآن] (١).

وفي غربي **حريضه** كثير من الآثار القديمة، وقد أسفر الحفر في الوقت الأخير عن بيوت مطمورة تحت الأرض فيها معابد للقمر لا تخلو من آثار قيمه، ربما كان للحافر عنها غرض في الإخفاء. وحول معبد إلٰه القمر الذي ظهر هناك كثير من المباخر، وعلى بعض الحجارة كتابات قديمة ترجع إلى أكثر من ألفي سنة وفي بعضها ما ترجمته «يالبان ياكوكبان بلّغ الألة السلام» والجزء الأول من هذه الجملة مشهور بكثرة على الْسِنَة العامّة بحضرموت وبه يعرف أن لمثله اتصالاً بأديان الحضارم القديمة، وكثير من آل حضرموت كانوا يعبدون الشمس ويسمونها

(١) وَرَدَ في هامش النسخة «ب».

الالاهة وفيها يقول الأعشى.

فلم أذكر الرهب حتى انفتلت قبيل الالاهة منها قريبا

ويريد بالالاهة الشمس، وكان بعض القُراء يقرأ: لتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك والاهتك.

وفي شمال **حريضه** إلى شرق: بير عميقه يُنزل إليها بِدَرَج طويله، كل درجةٍ منها في طول قامة الإنسان، مشهورة ببير غمدان، يتعالم الخلف عن السلف بكثرة كنوزها وذُهْبَانها، ولهم عنها أخبار كثيرة يقصدها السواح، غير أنهم متى نصفوها انطفأت عليهم النار التي يُجرِّبُون بها فينثنون لأن ما تنطفىء به النار تنطفىء به الروح. وتلك البير في قارةٍ إلى جانب الجبل المُسمَّى بغمدان وهو في شرقيها إلى جهة الشمال، وفيه آثار حصن باليه.

ومن أعمال عمد **(لَحْرُوم)**، وقد مَرّ في جردان عن «القاموس» أن الصَّدِف ولد حريماً وأنّه يُدْعَى بالأحروم، فلا شك أن هذه البلاد على اسمه، وفيها جامع وسكانها من آل العطاس، ومنهم الآن صالح بن محمد العطاس رجل شهم جزل الرأي كبير الهمة كثير الإقدام، وهو الآن بجاوا، وفيها ناس من آل باعشر وغيرهم.

وبعدها **(عندل)** قال ابن الحائك في «صفة جزيرة العرب»[1]: هي مدينة عظيمة للصَّدِف، وكان امرؤ القيس بن حُجْر زارهم إليها، وفيها يقول:

كأني لم أَلْهُو بِدَمُّونَ لَيْلَةً ولم أشهد الغارات يوماً بعندل [2]

أقول: وفيها جامع ومنزل للضيف على صدقات الحبوظي، وسكانها آل باجابر، ومنصبهم الآن الشيخ أحمد بن عمر باجابر، ومن كتاب «نهاية الأنساب» بخط الشيخ علي باصبرين عن الشيخ عمر العمودي عن الحبيب عبد الله العيدروس، أن آل باجابر والشيخ مزاحم صاحب بروم من ذُرِّية عقيل بن أبي طالب، ومثله منقول عن العلامة القاضي عبد الله بن أبي بكر القدري باشعيب الأنصاري، وعن العلامة عبد الرحمٰن بن قاضي باكثير الذي تولّى القضاء بتريم.

---

(١) ص ١٦٧ ط مكتبة الإرشاد، صنعاء.

(٢) وورد الشطر في نسخه أخرى: ولم أشهد الغارات في بطن عندل.

وقال الحبيب علي بن حسن العطاس في «سفينة البضائع»: يُقال أن آل إسحاق من نسل العباس بن عبد المطلب، وقد أشار إليه أحد شعرائهم في شعره، وما أظنه يصح، وكذلك يُقال: أن آل جابر من نسل عقيل بن أبي طالب، وقد سُئِل الحبيب عبد الله بن علوي الحداد فلم يوافق عليه. أهـ. ولكن السيد عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر أكده. وفي النصف الثاني من «المواهب والمنن» للحبيب علوي بن أحمد الحداد في ترجمة جده الحسن: أن الشيخ عبد الجبار بن مزاحم قائم بمنصب أجداده آل بلحفار بِأَحْوَر، وهو من تلاميذ الحسن بن القطب الحداد، وكذلك ابنه الشيخ محمد بن عبد الجبار، وأولاد عمه الشيخ أبي بكر، وفيه أيضاً أن الشيخ الحالي لآل بلحفار انتفع بالقطب العيدروس عبد الله بن أبي بكر.

ومن آل باجابر الشيخ الصوفي أحمد بن عمر صاحب «جوهرة عقد الرؤس» وله أماديح في السادة آل العيدروس منها قوله في رثاء السيد عبد القادر بن شيخ:

لم يزل منهم لنا عَلَمُ ... قائم للحق ينتصر

فلئن وَلّىٰ لنا خَلَفٌ ... كلهم من بعده اشتهروا

ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحيم باجابر، كان علامةً فقيهاً وله أدب غض، وتكرر ذكره في «النور السافر» وذكَرَ له ـ في ص ٢٩٢ منه ـ أبياتاً يمدح بها العلامة ابن حجر الثاني وهي:

قد قيل من حَجَرٍ أصم تفجّرت ... للخلق بالنص الجلي أنهارُ

وتفجرت يا معشر العلماء من ... حجر العلوم فبحرها زخار

أكرم به قطباً محيطاً بالعُلى ... ورحاؤه حقاً عليه تدار

والمعنى قوي، وإن كان اللفظ ضعيفاً متكلفاً.

ومن آل باجابر الشيخ المفتي أحمد بن محمد باجابر، ترجمه السيد باحسن في تاريخه للشِّحر لأنه سكنها، ومن شعره في عثمان رفعه للشيخ عبد الصمد باكثير فحلّه [1].

---

(١) إضافة في هامش النسخه ب.

يبعث [1]:

قد سبق في أول الكتاب ذِكْر حوطة الفقيه علي، ومنها شرقاً إلى محيد - وهي أرض باقطمى - نصف يوم، ومنه شرقاً أيضاً إلى **يبعث** يومان. وهو وادٍ بين جبلين، فيه كثير من المشايخ آل العمودي، وناس من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم، وفيه بلد يُقال لها (مِشَاط) يسكنها ناس من آل نعمان، وبلد يُقال لها (الحمام) فيها نحو مئة من المشاجرة، وبلد يُقال لها (قرن المشايخ) آل العمودي. وبين هذه البلدان غيل يخرج منه ماء كثير يسقى نخيلاً ومزارع كثيرة.

ووادي **يبعث** أضيق من وادي دوعن، وقد هَبَطت عليه في سنة ١٣٤٩ فاستغرق نزولنا عليه من العقبة نحو ساعتين، وبتنا بجانبه الجنوبي، ولمّا أصبحنا لم نَمْشِ إلاّ غلوة سهم ثم تسنمنا الجبل الذي يُفضى إلى السوط في جنوبه. والناس ينطقون (**يبعث**) بموحدة بعد الياء، والذي عند الهمداني و«القاموس» و«معجم ياقوت» و«غريب الحديث» إنما هما ياءان، ولأهله كتاب من رسول الله ﷺ، هذه صورته: بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد رسول الله إلى المهاجرين من أبناء معشر وأبناء ضمعج بما كان لهم فيها من مُلْكٍ وعُمْرَان، ومزَاهِرَ وعِزْمَان، وسِلَح ومَحْجَر، وما كان لهم من مال أثرناه بِيَبْعَثَ والأنابير، وما كان لهم من مال «بحضرموت»... إلخ، وأنشد ياقوت في برقة حارب للتنوخي قوله:

لعمري لنعم الحيّ من آل ضجعم ... ثوى بين احجار ببرقة حارب

وضجعم قريب من ضمعج، فإما أن يكون هو بتصحيف وإمّا أن يكون غيره، وفي «التاج» وأصله: وضجعم كقنفذ وجوهر، أبو بطن من العرب، وهو ضجعم بن سعد الملقب سليح بن حلوان بن عمران، وهم الضجاعم والضجاعمه، كانوا ملوكاً بالشام قبل غسان. فشدد رجل منهم على أحد بني غسان واسمه جذع فاشتمل على سيفه وقتل الضجعمي فقيل خذ من جذع ما أعطاك، ثم إن غسان رأست أحدهم فانتزع بهم الملك من الضجاعم وكانت

---

(١) يبعث: وادٍ، تشكل أعماله مركزاً إدارياً من مديرية حَجْر، محافظة حضرموت من بلدانه: مِشَاط، الحمام، القرن، الباردة، جول باموسى، قارة آل عُبيد، الحصون، الجربوب، الشروج، قارة باصم، سرفوف، حصن بامظفر، حصن باشقير، قارة باربيد، وغير ذلك.

لذلك الرئيس بنت تُدعى حليمه من أجمل النساء أعطاها طيباً تضمخ به كل من يمر بها من قومه فمر بها شاب فلما طيبته قبّلها فصاحت واشتكت إلى أبيها فقال لها اسكتي فما تجرأ عليك إلا من فضل شجاعه وإن عاد فهو زوجك وإن قُتِل فذاك أشد عليه مما تريدين به؛ فاستمات الفتى وأبلىٰ ثم عاد فزوجه أبوها منه. وإليها يُنْسَب أشهر أيام العرب كذلك ذكر صاحب خزانه الأدب في ج ٣، وقيل إن يوم حليمه المعروف غير هذا. وقال في «سبائك الذهب»: ضجعم هو ابن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعه. اهـ.

ويأتي في تريم عن بامخرمة ما يُفْهم منه وجود ناس من آل ضمعج بتريم، وفي القسم الثالث من هذا الكتاب كلام يتعلق بما هنا فَلْيُكْشَف منه. وما يزيد من سيول جبال يبعث عنه يفيض إلى وادي حَجْر. وفي غربي وادي يبعث ـ بالنجد الذي يعلوه ـ مكان يُقال له (حول) فيه قبيلة من المشاجرة يُقال لهم آل باشقير ويبلغون مئة رامياً، وهم أهل حماس ونجده، وبلادهم خصبة وفيها عيون ماء نضّاخه. وقال الشيخ عمر بن صالح بن هرهره يصف مخرجه من جبل يافع إلى حضرموت سنة ١١١٧: وكان مرورنا في وادي المشاجرة وهو كثير الأشجار والأنهار وحواليه الحصون باليمين واليسار، وقد اعترضونا وقالوا: لا نمكّن دولةً من العبور من وادينا، فطلبنا عقلاءهم ومشايخهم فارضيناهم، وخلعنا عليهم، فأذنوا لنا بالمرور، وكان خروجنا إلى الضليعه. اهـ. ووادي المشاجره هو وادي يبعث، فأياه يعني الشيخ عمر بن صالح وإليه يُشير [وقد سلكه سيدي العلامة الجليل الحسن بن عبد الله الحدّاد سنة ١١٤٨ ونزل به على محبيه آل بُحيث] (١).

الضِلَيْعة (٢):

هي قاعدة رَيْدَة الدِيِّن، بينها وبين يبعث الواقع في غربيها مسيرة يوم، وكان يُقال لها (رَيْدَة أَرْضِيْن)، ثم قيل (رَيْدة الدِيِّن) نِسْبَةً إلى سكانها المتأخرين. وفي «القاموس»: إن بحضرموت ريدتان، يعني هذه وريدة الصَيْعَر، والواقع أن

---

(١) اضافه في هامش النسخة «أ»

(٢) الضِلَيْعة: بلده في أعلا وادي دَوْعَن، تُشَكِّل في أعمالها مركزاً إدارياً من مديرية دَوْعَن. وهي مركز قاعدة قبائل الدِيِّن، الحِلْف القبلي الذي يتألف من ثلاثة أصول: كِنده، وحِمْيَر، وأجارده، ومن وقت ما كانت تربطهم أواصر قُرْبَى بالمشاجرة.

بحضرموت رِيَداً كثيرة للجوهيِّين والمَعَارة وغيرهم وإنما خصت الأوليان بالذكر لشهرتهما وقدمهما. وسيأتي في «رَيْدَة الصَيْعَر» عن الهمداني: أن إليها الإشارة بقول طَرفة بن العبد.

وبالسفح آيات كأن رُسومُها يمانٍ وشتْه ريّدة وسحُول

وقال أبو طالب عم رسول ﷺ في رثائه لأبي أُمية بن المغيرة:

فيصبح أهل الله بيضاً كأنما كستهم حبيراً ريدةٌ ومَعَافِرُ

والمعافر من أرض اليمن، وأمّا الريدة فهذه أو ريدة الصيعر، وإن كان في اليمن رِيَدٌ مشهورةٌ [1]. ولمّا وَصَلت جيوش المتوكل على الله إسماعيل بقيادة الإمام أحمد بن الحسن إلى هذه الريدة سنة ١٠٦٩ لاقاه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن العمودي وساعده بكل أطاعه، وكان الشيخ إذ ذاك والياً على أكثر بلاد دوعن، وبهم انهزم بدر بن عبد الله الكثيري اشنع إنهزام حسبما فُصِّلَ بمواضعهِ في الأصل. والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن العمودي هذا هو غير سَمِيِّه العلامة الشهير المُعَمَّر، وإنما هما من قِسْم المُتَّفق المُفْتَرق فيما أظن، لأن هذا علامة صوفي وذاك أمير يقود الجيوش ويُذْكِي الحروب وإنما اتفقا في أسمائهما وأسماء آبائهما. وقد جاء في «عقد» سيدي الأستاذ الأبر عندما ذكَرَ مشايخ الحبيب عبد الله بن أحمد بلفقيه: أن العلامة الصوفي توفي يوم السبت ٢٤ جمادي الأولى سنة ١٠٧٢، وفي الأصل أن الشيخين حسين بن مطهر ومحمد بن مطهر آل العمودي لاقوا الشيخ عمر بن صالح بن هرهره ـ السابق ذكره ـ إلى الضليعة وحالفوه على سلطان حضرموت عمر بن جعفر، ثم حالفوا عمر بن جعفر على الزيديّة وكان لهم كل حين لون. وفي «صفة جزيرة العرب»[2] لابن الحائك الهمداني أن رَيْدَةُ العبادِ وريْدَة الحَرمِيَّة للأحروم من الصَّدِف، وأن مسكن بني معاوية الأكرمين كان بقبضين ويستشفى بدمائهم الكلبي. أهـ. وكلما ذكر ابن الحائك رَيْدَة أرضين فالظاهر أنه إنما يعني ريدة الدِيّن هذه، وقد قال فيها: ومن الهَجْرَيْن إلى رَيْدَة أرضين، وادٍ فيه قرى كثيرة ونخل للعباد من كِنْدة. أهـ. وهذا الوصف ينطبق على دوعن ووادي عمد، إلاَّ أنه يُشْكِل على إرادة دوعن بأن ذِكْر

(١) راجع كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٢) ص ١٧٠.

دوعن موجود بالصريح في غير موضع من كتاب ابن الحائك، فلو عناه لذكَرَ اسمه بالصريح، ويُشْكِل على إرادة عمد قوله للعباد من كِنْده، مع ما تقرر أن وادي عمد لقضاعة من حِمْيَر، وقد يجاب عن هذا بأن كِنْده اختلطت بحمير وخَلَفتها على كثير من منازلها، ويتأكد هذا بأن وادي عَمْد كان أخصب مرعى في حضرموت، ولذا كانت الأعيان تُرسل مواشيها من أسفل حضرموت لترعى منه، وقد ذَكَر غير واحد أن للحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم عدداً كثيراً من الخيل يرسلها إليه للرعي. ومن خط الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن قاضي، عن خط الفقيه عبد الله بن علي بن عبد العليم بانافع، أن قبائل السوط من حمير أهـ. وقبائل السوط ـ كما سبق ـ هم: آل باتيس، وآل سميدع، وآل بلعبيد وهم آل هميم وآل باهيصمي ـ وهو الرأس ـ وباسباع وباكرش وباحيان وآل باعنس وآل باسمير وآل باوهّال وغيرهم، وقد سبق أنهم يناهزون ألف رام، ويأتي آخر الكتاب ما يشير إلى أن آل بِلَّعُبيد من قُضَاعة، وهو موافق لما جاء عن بانافع، لأن قضاعة من حِمْيَر.

وهي تمتد من رؤوس وادي جردان إلى رؤوس وادي رخيه، ومن خط الشيخ أحمد بن محمد مؤذن باجَمّال عن كتاب «الفرج بعد الشدة في أنساب فروع كِنْده» لعوض بن أحمد الجرو: أن ريدة الحرميّة للأحروم من الصَّدِف، ومن آل لحروم: آل مروان وآل أبي سهل وبنو يمامه بنجران، والصَّدِف الذين برَيْدَة الدِيَّن من ولده. أهـ. فيتحصل أن سكان الريدة ـ وهي من السوط ـ أخلاط من حِمْيَر ومن الصَّدِف وغيرهم.

ومن أخبارهم الأخيرة أن آل باصليب الضاربين بـ (الحيلة) [1] من وادي عمد كان لهم ثأر عند آل بامَسْدُوس، فلم يقدروا عليه لمناعة أرضهم، حتى صاروا ضحكة بين السماسرة يؤذونهم بالكلام القارص:

والـحـار مـضـاضٌ لـيـس بـخـائـفٍ مـن حـتـفـه مـن خـاف مـمـا قِـيْـلَ

فلم يكن منهم إلاّ أن انتخبوا سبعةً من رجالهم فركبوا متن الليل حتى وصلوا إلى حُصنٍ لهم بالضليعه، بلغهم خُلُوّهُ من الرُمَاة، وكانوا استعدّوا بكثير من الماء والزاد والعتاد، فَتسوّروا الحصن، ولمّا بَدَر لهم المطلوب أطلقوا عليه

(١) الحَيْلة: قرية أعلا وادي عمد، يقال لها (حيلة باصليب) نسبة إلى ساكنيها من قبائل المشاجرة.

الرصاص فخر صريعاً لليدين وللفم، ولكنهم لم يقدروا على الهرب، وتضرّر كِلاَ الطرفين: آل باصليب بالانحصار في الحصن، والدِيَّن بانكشاف مواضع تصرفهم لبنادق آل باصليب، حتى توسط بعض المناصب. وبعد أن طالت المراجعة في الارتجاز الذي لم يرض آل صليب الخروج صلحاً بدونه، سمحوا لهم به، فقال شاعرهم:

سبعه سَرَوا من حيلة أحمد بن علي ... باروتهم عند السما متحلّق

والدِيَّنِي غافل ولا ظن الوفا ... جيته من الجو والفناء متغلق

ومن أخبارهم أن السيد محمد بن عمر بن علوي باعقيل اسْتَجَار بالدِيَّن هارباً من السيد حسين بن حامد المحضار، فبذلوا له الأمان وهم: آل بامسدوس وآل الهميم والمشاجره، ولمّا جدّ الجِدْ قال له الأخيرون: لاَ نُجِيْرَكَ من الدولة، وأما ممن دونهم فَنَعم، وأما آل بامسدوس ورئيسهم سالم بن علي باغثمي فَنَبت مع باعقيل، فلم يكن من السيد حسين بن حامد إلاَّ أن زحف عليهم بعسكرٍ من جند القُعيطي يتألف من الفين وأربعمائة، على رأسهم أخوه السيد عبد الرحمٰن بن حامد ومحمد بن عمر بن أحمد باصره، فتقدمت العساكر إلى مكانٍ يُقال له (الأبيضين) وإلى مكانٍ آخر يُقال له (وليجات) ودام الحرب نحواً من شهر حَمَلت فيه العساكر القعيطية على آل بامسدوس مرتين، في كلتيهما يَصْلَوْنَهُم ناراً حامية فيتراجعون بعد أن قُتِل منهم - في الهجمتين - أكثر من العشرين؛ بدون أن تُرَاق من آل بامسدوس محجمةٍ من الدم. فما زالوا بحامية قارةٍ صغيرةٍ هناك حتى أرضوهم بما شائوا من الدراهم، فسلَّموها لهم، فانكشف بطاح آل بامسدوس حينئذٍ لمدافع العسكر القعيطي، فطلبوا مساعدةً ماليةً من محمد بن عمر باعقيل لشراء الذخيرة حتى يتمكنوا من مواصلة الحرب، وكان مثرياً إلاَّ أنه لئيم فلم يعطيهم قليلاً ولا كثيراً، فتوسط السيد عمر بن طاهر بن عمر الحداد والشيخ محمد بن بو بكر باسودان، وذمر إليهم باعقيل وزينوا لهم تسليمه ومحالفة القعيطي إزاء ما يرضيهم من النقود، ففعلوا، وعندها وصلوا بباعقيل مصفوداً في القيود إلى مصنعة (عوره)، قال السيد حسين بن حامد المحضار:

سلام مني على المناصب والدول ... خص المقدم والمسمى باعقيل

من يومه مطرد من جبل لمّا جبل ... ما قَايَسْ أنّا بانردّه بالصميل

فأجابه أحد الدِيَّن بما لا أذكره، ثم قال السيد حسين بن حامد:

حيا بكم ياللي قضيتوا شفكَم بالسيف والقوّه وصرّات الخزين
ما الدِيَّني شَلّ الحمولة مثقله كَنِّه طَرَحْهَا بعد ذلك ياهوين

فأجابه أحمد بن عبيد بن مسلم بن ماضي بقوله:

لولا فروشك لي معك قدمتها جيشك رجع مكسور ياسيد حسين
ولاّ الوعول الربيعة شفتها عيال يافع في المقابر من ثنين

أما الحِلْف فقد تم بين الدِيَّن والقعيطي بواسطة الدراهم والسيد حسين، وسَلَّمت لهم الدِيَّن رهائن الرِضا، وما زالت رهائنهم تحت المراقبة في مصنعة عوره حتى جاء نحو ستة نفر من آل بامسدوس ذات يوم ـ في حدود سنة ١٣٥٨ـ فأخذوا رهائنهم وهربوا ضحوة النهار، ولم تحبق في ذلك ضَأنة. وأمّا عقيل فبقي مقيداً بسجن القعيطي بالمُكَلاَّ، وظفروا بولدٍ له بعد ذلك ـ أوان البلوغ ـ فزجُّوه معه في السجن، وآلوا أن لا يُطلقوه إلاَّ بغرامة الحرب المُقَدَّرة بمئتي ألف روبيه، حتى وَرَدْت المكلا في سنة ١٣٤٦ فتوسَّطت في إطلاقه بخمسين ألف روبيه فقط، فَتمَّ ذلك في قصة طويلةٍ مستوفاة في الأصل. وكنت اجتمعت بالسيد حسين بن حامد بعد إلقائه القبض على باعقيل، فأنشدني كثيراً من المساجلات التي دارت بينه وبين الدِيَّن، ولمّا أنشدني الزامل الأول انتقَدْتُهُ، وقلت له: لا يليق زج باعقيل في السجن والقيد بعد أن خصصته بالسلام، ولو أنك استثنيته لكان لك بعض العذر، أمّا الآن فَلاَ، فسقط في يده وما أحَسّ بها إلاَّ تلك الساعة، وكان يهاب المَلاَم ويعرف مقادير الكلام، وكانت شهامته تقتضي اطلاقه، ولكن ولده أبا بكر لم يكن ليساعده على ذلك، لأن العداوة إنما تأصلت بين باعقيل وبينه.

ومن الضليعة إلى دوعن يوم واحد تنزل الطرق من أعلى جبل السوط الشاهق إلى أكثر بلاد دوعن كالخَرَيْبه والقويره وبِضَه وقَيْدُون، فمنه إلى كل واحدة منها طريق، وكلها عِقَاب كأداء، إلاَّ أن أقلها وعورةً ـ بالنسبة فيما يقال ـ طريق بِضَه.

وبالنجيدين من رَيْدَة الدِيَّن كثير من المشايخ آل العمودي، منهم الشيخ عثمان بن محمد بن عمر العمودي، ذهب ولده هذا العام ـ أعني عام ١٣٦٦ـ تاجراً يحمل ألف ريال إلى الحاضنه، وكان معه أحد آل باقطمي، وفي أثناء

الطريق صَوَّبَ الرصاص إلى جوفه وهو يغط في نومه فأرداهُ قتيلاً واستلَب سلاحه وماله، إلاَّ أن المشايخ آل العمودي اجتمعوا من كل صوب، واحتجّوا على آل باقطمي القاطنين (مَحْيِد)[1] الواقع في شرقيّ حوطة الفقيه علي[2]، بينه وبينها ـ كما مَرّ في يبعث ـ نصف يوم، ولا ندري ماذا صار بعد. وفي شمال النجيدين حوض عاديّ بديع الإصلاح والنَقْب، يحفظ الماء طوال سنين الجَدْب لا ينتهي أحد إلى قعره أبداً، ولا يَذْكُر أحد نفاد مائه بأسره قط، والشائع بينهم أنه من عمارة عَادْ، كذا أخبرني الشيخ محمد بن سالم باسودان خطيب جامع الخريبة، والمكان الذي هو به يُسَمَّى: شويحطين. وعلى مقربةٍ من الضليعة آثار قريةٍ قديمة على أنقاضها كتابات كثيرة بالمُسْنَد، يُقال لها: عكرمه.

دَوْعَن

وأمّا **دوعن**: فأنه **إسم أعجمي فارسي** كما يأتي في حوفه، ومنه **تعرف** انتجاع الأعجام بكثرة لبلاد حضرموت من عهد استيلاء الفُرس على اليمن، حسبما سبق في حصن الغراب، ولم تزل بها وباليمن ـ من أعقابهم ـ الكثير، إلاَّ أنهم اندمجوا فيهم مع مرور الأيام. **ودوعن** يُطْلَق على واديين بأعلى حضرموت، يُقال لأحدهما (الأيمن) وهو مسيل مغروس بالنخيل الثمينة، وعلى حفافيه بُلدانه وقُراه، فإمّا شِقّه الغربي فأول بلاده (قرحة باحميش) وهي على رأس الوادي الأيمن، بين واديين يقال لأحدهما (وادي النبي) وهو الغربي، ويقال للآخر (وادي حموضه) في شرقيّه، ووادٍ آخر يُقال له (مَنْوه). وآل باحميش من حملة السلاح وأهل النجدة، ومن متأخري علمائهم الشيخ علي بن أحمد بن سعيد باصبرين، كان جبلاً من جبال العلم، قال والدي: زرت دوعن في شوال من سنة ١٢٩٠ـ وهي السنة التي توفي بها والدي ـ فطفنا بلاد دوعن ووجدنا أكثر أهلها يقرؤون القرآن لروح والدي، لأن ذلك كان حدثان موته في رمضان منها، ولمّا انتهينا إلى «قرحة آل باحميش» أوان المغرب أدركنا صلاتها في مسجدها، خلف إمام حسن الأداء شجيّ الصوت، محافظ على السِنن والهيئات، وبعد أن فرغ من

---

(١) مَحْيد: من الأودية التي تأتي من جبال آل بابَحَر ويصب في وادي حبَّان، من مديرية الصَعِيد وأعمال محافظة شبوه.

(٢) حوطة الفقيه علي: مدينة كبيرة من مديرية مَيْفَعه، محافظة شبوه.

الأدعية والراتبة جلس للتدريس في «شرح المقدمة الحضرميّة» وكان يكتب عليه حاشيةً، فسمعنا أحسن تدريس، وأتقن تحقيق، وابلغ إلقاء، وأوضح تفهيم، ثم صلّى بنا العِشاء بسورتين من أوساط المفصل بصوت عذب أخذ بقلوبنا وبقي طنينه بأسماعنا، وخيل لنا أننا لم نسمع تلك السُوَر ولم تنزل إلاَّ تلك الساعة، وما كاد يخرج من المسجد وبندقيته على كتده، إلاَّ وأشعل النار في فتيلتها، فقلنا له: ما شأنك. قال: بيننا وبين قوم قتل ولم نأخذ صلحاً فتمثلت لنا رسوم الصحابة والسلف الطيب حيث اجتمعت العبادة والشجاعة والعلم في ذلك الهيكل الشريف، وهو شخص الشيخ علي بن أحمد باصبرين:

جمع الشجاعة والعلوم فأصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

هذا ما يحدثني بمعناه والدي ذات المرات، فيبني في نفسي العلالي والقصور من الشغف بالمجد، والطموح إلى الشرف، وقال السيد عمر بن حسن الحداد: قرأت على الشيخ علي باصبرين وهو إمام في كل العلوم حاد الطبع مثل الشيخ علي بن قاضي باكثير.أهـ. وفي مجموع كلام العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس أن بعض العلماء المصريين قال له: نعرف من الحضارم حدة الطبع، وأنت بعيد عنها، قال له: من عرفت من الحضارم؟ قال له: عرفت الشيخ علي باصبرين وجلست معه في الحرمين سنين فرأيت من حدته ما لا مَزِيد عليه، فقال السيد أحمد: ذاك رجل من أهل البادية، وتلقَّى شيئاً من العلم، وقد حجر سلفنا وأشياخنا على المتعلقين بهم الأخذ عنه لأنه ليس بأهل للألقاء ولا للتلقي، ولا يُخفى عليكم ما في طباع البادية من الغِلْظَة والجفاء. أهـ. وفي هذا غض من مقام الشيخ علي لا يليق بالأنصاف[1]، وقد علمت أن السيد عمر بن حسن الحدّاد قرأ عليه وهو من مراجيح العلويين، وحدّثني الشيخ عبد الله باحشوان أحد

(١) في حاشية الأصل ما نصه: (وبإشارته كان تحويط الجمرتين بِمَنىً، فسلِم الناس ولا سيما الضعفاء من كثيرٍ من أضرار الزحام، فلقد كان رأيه مُوَفَّقاً ولهذا بادر الشريف بتنفيذه، وطلبَ منه أن يُكْثِر التردد عليه كما أخبرني الوجيه النبيل الشيخ محمد بن حسين بن عمر نَصيف عن جدِّهِ، فأبَى لأنه كان شريف النفس عليّ الهِمّة رحمة الله عليه. وحدّثني الوجيه محمد نصيف أيضاً أن أحد الدلاّلين باع له بُناً من يهوديّ فدلّس عليه في مائتي رطل، فأخبر الشيخ ممتناً عليه بهذا الصنيع، فقالَ له الشيخ: لا أرضَى ولا أحب أن يطلبني اليهودي بحقه في الدار الآخرة، وردّ عليه ما اختانهُ الدلاّل. ومنه تعرف أن له تجارةً بِجِدّه وكانت دار هجرته ونَشْرِ علمه، وله بها تلاميذ كثيرون.

قُضاة المُكَلاَّ السابقين، قال: كنت مع الشيخ علي باصبرين وأنا صغير، فسمع مزماراً فسدّ أذنيه بأصبعه، وجعل يقول لي: هل تسمع شيئاً. فأقول: نعم. حتى قلت: لا، فأبعدهما يتسمّت بذلك ما فعل عبد الله بن عمر مع مولاه نافع ينقل ما صنع رسول الله ﷺ عندما سمع مزمار الراعي.

وجرت بينه وبين علماء تَرِيْم منازعات في عدة مسائل، منها التوسل والاستغاثة، ومنها ثبوت النّسب بمشجرات العلويين المحررة وكان الشيخ يبالغ في إنكار ذلك، وأُلِّفَت رسائل من الطرفين. ففي سنة ١٢٩٨ فرغ الشيخ علي باصبرين من رسالته التي سمّاها «حدائق البواسق المثمرة في بيان صواب أحكام الشجرة» وقد علّق عليها السيد سالم بن محمد الحِبشي بما يُشبه الرد، وبعد اطلاع باصبرين عليه كَتَب: أمّا التهاميش فَأَمْعَنَّا النظر في جميعها فما وجدنا فيها زيادة فائدةٍ عَمّا في الأصل، فما زاد إلاّ إتلاف ورق لم يُؤذن له في إتلافه بتسويده بما لا يجدي فائدة جديدة. وللحبيب أحمد بن محمد المحضار شِبه رد على باصبرين في «الحدائق» المذكوره، قال فيه: وبعض الناس قوله وبوله سواء. ثم إن الشيخ باصبرين كتب رسالةً أُخرى في نقض تعليقات السيد سالم الحِبشي سمّاها «إنسان العين» فكتب عليها الإمام المحضار كتابةً طويلةً جاء فيها: وما أوضحه الشيخ علي في هذه الجملة فذاك شفاء الصدور تَبرأ به العله وهو مُجَرِّبٌ في تجربته، وحريص في أجوبته، وبالله الذي فرض الصلاة والوضوء ما أردته بسوء. ثم إن الشيخ علي سيّر كتاباً للسيد محمد بن علي، والسيد صافي بن شيخ آل السقاف، وسيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر، والسيد علي بن محمد، والسيد شيخان بن محمد آل الحبشي، فأمّا الأولان فصرّحا بمخالفة باصبرين وأمّا الآخرون فلم أر لهم كلاماً بخلاف ولا وفاق. وكان كتابه هذا إليهم في سنة ١٢٩٩هـ.

وكثيراً ما ينشب الخلاف بين الشيخ علي باصبرين وبين علماء العلويين كآل يحيى بالمسيله وغيرهم، وتؤلّف الرسائل من الجانبين وتُعرض على سيدنا الإمام أحمد بن محمد المحضار، صاحب القويره، فيقرض عليها بأسلوبه العجيب، وترسله العذب، وعارضته القويه، وسيره بسوق الطبيعة، وبتخلص من المآزق بما يذكرني بما كان من ابن الجوزي فلقد تواضع الشيعة وأهل السُنه على ما يقوله في المفاضلة بين الوصيّ والصديق، وسألوه وهو على المنبر عن علي وأبي بكرٍ أيهما الأفضل، فأجاب بما لو رُؤي فيه عالم دهراً لم يُوَفّق إليه، إذ قال: أفضلهما

وأحبهما إلى رسول الله ﷺ من بِنْتهُ في بَيْتِهِ، أو ما هذا معناه. فحملها كُلٍ على ما يريد. وقال الإمام المحضار في بعض كتاباته بتلك المناسبة: والاعتماد على ما قاله الجمهور لا ما قاله عبد الرحمٰن مشهور، يعني مفتي حضرموت لذلك العهد، صاحب «بغية المسترشدين» فأخذتْ من نفس المفتي مع أن المحضار لا يتعمده ولا يقصد خلافه ولا إدخال المساءة عليه، ولكنه قام في طريق الفاصله وهو لا يبالي بشيء من أجلها إذ كان يمر مع خاطره بدون تكلف ولا تنطع. وعندما زار المحضار حضرموت وذهبَ لزيارة هود عليه السلام أتفق حلول الجمعة بِفُغْمَه[1] فجمع بها المحضار وتبعه كثير من الناس، ولكن السيد المشهور لم يوافق بل انخزل بآل تريم وكثير من غيرهم، لا أدري لشيء من أمثال ذلك أم للتشدد بما قال الشافعيّه من شروط الجُمعة. وفي مكاتبات للشيخ علي باصبرين للمحضار ما يدل على أن له أولاداً يُهدى سلامهم إليه، ومنهم حسن بن علي باصبرين قتله أحد آل باضروس غيلةً بالقُرْحَه[2] في رمضان، ولا يزال بها أحفاده وعشائره آل باحميش إلى الآن، ومن وجهائهم أحمد بن يسلم باحميش وأخوانه.

الْحَسُوْسَه

هي التي إليها الإشارة بقول الشيخ عمر بن عبد الله بامَخْرَمَةَ يمدح الشيخ يوسف بإناجه الآتي ذكره:

حَيِّ وآدِي النَّبِي يا أَحَمْد، وَطَاه أَوْ وُعُوْرُهْ
وحَيِّ مَا بَيْنَ بادِرْ **والْحَسُوْسَهْ** وَعُوَرهْ
فِيه يُوسف كَمَا في أَطْلاَلْ دُوْرُهْ
ريتنا حلّ وَسْطهُ واخْتَلَفْ في ذُبُورهْ

ولولا أن المشَبَّهَ لا يكون مثل المُشَبَّهِ به من سائر النواحي لاَشْتَدَّتِ المؤاخذةُ على الشيخ عمر بامَخْرَمه في تشبيهه الشيخ يوسف باناجه بالعبد الصالح يوسف بن يعقوب عليهما السلام. فلقد كَفَرَ المعري بقول: هو مثله في الفضل إلاّ أنه لم يأتهِ برسالةٍ جبريل. وقالوا كفَرَ الفرزدق أو كاد إذ يقول في يزيد بن عبد الملك.

---

(١) فُغْمَه: بلده في الجانب الشرقي من وادي حضرموت، على مقربةٍ من السوم ـ انظرها في محلها.

(٢) القُرْحَة: بلده في رأس الوادي الأيمن من دَوْعَن ـ انظرها في محلها من الكتاب.

لـو لـم يـبـشـر بـه عـيـسـى وبـيـنـه كـنـت الـنـبـي الـذي يـدعـو إلـى الـنـور

وكان الشيخ عبد الرحمٰن بن عبود بن حسن بن عبد القادر ـ والي الرباط ـ من سكان **الحسوسه**. وبِعَقِب استيلاء القُعيطي على الوادي الأيمن في سنة ١٣١٧ أسند العِمَالة إلى المقدم أحمد بن عمر بَاصُرَّة، وكان يحمل في صدره ضغناً في قلبه على هذا الشيخ فصادر جميع أمواله، مع أنه لم يشترك في الحرب ولم يَسْعَ فيها بِخُفٍّ ولا قَدَمٍ، ولولا أنه أقام سوراً حديدياً من الحُجَّاب يمنعونه الوصول إلى السلطان غالبَ بن عوض لأدركه عَفْوُهُ، فقد كان واسعاً شاملاً لا يضيق عَمّا هو أكبر من هذا فضلاً عنه.

قرن باحَكِيم:

فيه آل باحكيم، وكانت لهم ثروة طائلة، وتجارة واسعةً، ولهم عقارات بمصر وغيرها، وكانت إليهم دولة بلادهم حتى نَجَمت بينهم وبين القُعَيْطي فتنة في حدود سنة ١٣٢٦، وكان رؤساؤهم إِذْ ذَاك: سالم بن عمر وأحمد بن يسلم بحضرموت، ورئيسهم الأكبر الذي يَمدُّهُمْ بالآراء والأموال من مصر هو: سالم بن أحمد باحكيم، وانتهى أَمْر تلك الحرب ـ التي أَبْلَى فيها آلّ باحكيم أحسن البلاء ـ بمعاهدةٍ خلاصتها: أن الرئاسة العامة للقُعيطي ولهم الاستقلال الداخلي في بلادهم وعليهم أن يُسَلِّموا غرامة الحرب المُقَدَّرة بثلاثين ألف ريال، ثم حصل التنازل من السلطان غالب لِمَا جَبَلَهُ الله عليه من السماح ولِيْنِ الْعَرِيكَةِ عن أكثرها، وكان عُرِض عليهم صلحٌ أشرفَ من هذا فأبوه، ولكن عسكر القعيطي اقتحموا حصناً لهم بالجبل، فلانت أعصابهم، واضطروا إلى قبوله. وفي الأصل: أن باحكيم بنى حصن القزة فجأةَ في سنة ٩٣٩هـ فنهضَ إليه آل علي بن فارس النهديُّونَ من السور، وكتبو للسلطان بدر بُوطُويرق، واتهمو الشيخ العمودي بمساعدة باحكيم، وجرى بينهم كلام وتهديد. ولا يزال باحكيم على جانب من الشرف والمروءة، ومكارم الأخلاق، بالقَرْن والمُكَلاَّ ومصر، وأشهر من بمصر منهم الآن ـ يعني سنة ١٣٦٦ـ الشيخ عمر بن محمد بن عمر باحكيم.

الخُرَيْبَةَ:

من كبريات بلاد دَوْعَن، وقُدامَاها على اسم مكانٍ بالبصرة، كان عنده واقعة الْجَمَل، ولهذا قال بعضهم:

إِنِّـي أَدِيْـنُ بِـمَـا دَانَ الْـوَصِـيُّ بِـهِ يَـوْمَ الْـخُـرَيْـبَـةِ مِـنْ قَـتْـلِ الـمُـحِـلِّـيْـنَـا

ذكرهُ ياقوت في غير موضع من معجمه، وما زالت خريبه دَوْعَن محطَّ رجال العلم من قديم الزمان، وكان بها ناس من (آل باحويرث) الذين يجتمعون في النسب مع آل سيوون المشهورين بالعبادة، وحب الصلاة، ومنهم عالم الخريبة وقاضيها ـ في القرن الحادي عشر ـ الشيخ سليمان باحويرث، له ولولده العلاّمة محمد بن سليمان ذِكْرٌ كثيرٌ في مجموع الجدَّيْنِ طه بن عمر وعلي بن عمر، فعن العلامة الجليل أحمد مؤذن باجَمَّال قال: أخبرني السيد العارف بقيّة المحققين الورعين المتضلعين أبو بكر بن محمد بافقيه علوي بِقَيْدُوْنَ قال: إن الفقيه سليمان باحُويرث زَوَّجَ امرأةَ ـ وهو نائب **الخريبة** ـ وُلِيُّها غَائِبٌ، برجل ظنه كفؤاً، فلما قَدِمَ وَلِيُّها رفعَ الأمر إلى قاضي الشِّحْر عبد الله باعمر، وظهر عدم الكفاءة ولكن قاضي الشحر قرر النكاح عملاً بالمرجوع، قال السيد: وحيث وقع عقْدٌ قال به إمامٌ ولو مرجوحاً فلا نقضَ في حق العوام، وإنما محل المنع قبل العقد. هذا ما ذكره أحمد مؤذن، وزاد: إن مذهب مالك عدم اعتبار الكفاءة إلاَّ بالدِيْن، وقد عمل به بعض مشايخنا لمصلحةٍ اقتضت ذلك. أهـ. وهي مسألة نفيسة مبنيةً على أن العاميَّ لا مذهبَ له، وهما قولان قريبان من التكافؤ، وقد حررت مافي ذلك بموضعه من كتابي «صوب الركام» وإنما سقت المسألة مُنَاسَبَة أنه وردني بالأمس سؤال حاصله: إن المكرم الشيخ عبد الله بن أحمد الزّبيدي كانت له ابنة عم، لها أخ شقيق في السادسة من عمره، يتصرّف عنه وصيُّه وهو أخوه، وأخو البنت من الأب، فأشار عليه أن يعقد بها فأنكر عليه بعض العلويين وقالوا له: ما دليلك؟ فقال: لا دليل إلاَّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الآية الخامسة من «النساء»]، فلم يقنعوا منه بذلك وقالوا: إن النكاح باطل لا وجه له إلاَّ مقابل الأَظْهَر في قول «المنهاج» ويقدم أخ لأبوين على أخ لأبٍ في الأظْهَرِ، فأعجبني استدلاله، وقَرَّرت النكاح. وبفرض تسليم رشد الشقيق يأتي ما نقله أحمد مؤذن عن باحويرث فالعقد صحيح على كل تقدير إلاّ أن للشيخ أحمد مؤذن كلاماً آخر في مجموع الجدين، وحاصله: أن وَقَّع عقد في قَيْدُون بغير كفؤ مع غيبة الولي وفَرَّق بينهم نائب الهجرين، وسأل أحمد مؤذن فأجابه بصواب ما فعل. وقاضي **الخريبة** الآن هو الشيخ عمر بن أبي بكر، من آل باحويرث المذكورين.

ومن علماء **الخريبة**: الشيخ الجليل المقدار علي بن عبد الله باراس الكِنْدي المتوفي بها في سنة ١٠٩٤ وأولاده أحمد ومحمد وعبد الرحمٰن، وكل هؤلاء الثلاثة من مشائخ السيد الشهير علي بن حسن بن حسين العطّاس، ولهم ذِكْر كثير في مؤلفاته وديوانه، وكان الشيخ علي بَارَاس وَرَدَ حريضَة على الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس، وهو على أجلف ما يكون من أزياء البادية وهيئتهم، فتأدب بالحبيب عمر، وحصل له الفتوح في أسرع وقت، مع أنه ـ كما قال العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس ـ لم يقرأ عليه إلاّ بعض خطبة «بداية الهداية» للغزالي، ثم إنه استأذنه للحج فلم يأذن له، ثم استأذنه أخرى فَأَذِنَ له. ولمّا كان بمكة ذهبَ إلى السوق لِحَاجَةٍ فألفاها مع امرأة مصريّة فأعجبته، وأخذ يتأمل في محاسنها، فلم يشعر إلاّ بضربَةِ عصاً على جنبه، فعرف أن هذا تنبيه له من الله تعالى، فثبت قدمُهُ على طريق الحق، ذَكَرها غير واحد منهم الحبيب عمر بن حسن الحداد في مجموع كلامه.

ومن علماء **الخريبه** الشيخ العظيم المقدار عبد الله بن أحمد باسودان [1]، وهو الشيخ الثامن عشر من مشايخ سيدي الأَبَرّ عيدروس بن عمر، وقد توفي بها في سنة ١٢٦٦ وكان من العلم بالمكانة العالية

تُنميه اعراق صدق حين تنسبه ... ذي نجدة وعن المكروب فرّاج

ساي النواظر من قوم لهم كرم ... تضيء سنته في الحالك الداجي

وقد ذكرت في الأصل من مناقبه ومناسبه ما يغني عن الاعادة هنا. حتى لقد قال السيد عمر بن حسن الحداد: كنت أَقْرَأ على السيد محمد بن حسين الحِبشي أيام كان يُعَلِّم بتاربه تحت إشارة سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر، فلم يكن من الحبيب عبد الله إلاّ أن قال لعمي محمد بن حسين ذات يوم: نُحِبُّ أن

---

(١) يتسلسل نسبه إلى المقداد بن الأسْوَد الكندي الصحابي، أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وفي الحديث: (إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغِفَاري، وسلمان الفارسي). وقد كان وقع بين المقداد في صباه وابن شمر بن حُجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب من حضرموت إلى مكة، فتبنّاه الأسود بن عبد يغوث، فصار يُقال له (المقداد بن الأسود) إلى أن نزلت الآية ﴿أدعوهم لآبائهم﴾ فعاد يُسَمّى المقداد بن عمر. توفي بالقرب من المدينة المنورة سنة ٣٣ هـ.

يقرأ عمر بن حسن على الشيخ عبد الله باسودان لأنه أوسع عِلْماً منك، فانقبض عمي محمد من قوله هذا له لا سيما وانه أمامي وأمام أولاده، إذْ كنت أقرأ عليه أنا وإياهم، فلم تمر الثامنة إلاّ وجاء الشيخ محمد بن عبد الله باسودان لزيارة تَرِيْم، فسرت معه إلى دوعن وقرأت على الشيخ عبد الله وعلى ولده الشيخ محمد وعلى الشيخ سعيد باعشن وعلى الشيخ أحمد بن باحنشَل، وهو في سن الشيخ عبد الله وقد كفّ بصره، وكان قرأ في زَبِيدٍ على سليمان الأهدل وولده عبد الرحمٰن بن سليمان، وأدرك الشيخ الكردي، وله حافظه قويه. أهـ كلام الحداد. وفي قول الحبيب عبد الله بن حسين للحبيب محمد بن حسين: أن الشيخ عبد الله باسودان أوسع منك علماً فوائد، الأولى: عَلُوُّ مرتبة الشيخ باسودان، لأن السيد محمد من أكابر علماء الحجاز وهو مفتي الشافعية بمكة والشيخ السادس عشر للأستاذ الأَبر فانحطاطه مع هذا على درجة الشيخ باسودان شَاهِدْ لباسودان لهذا بشأن جليل ومقام عظيم. الثانية: أن الحبيب عبد الله بن حسين يقول الحق فلا يحابي ولا يوارب. الثالثة: أن انقباض الحبيب محمد بن حسين جارٍ على ما يقتضيه الطبع البشري عند مثله فهو غير ملوم عليه مع الاستكانة والاعتراف بالحق وعدم المكابرة فيه. الرابعة: لولا تهذيب الحبيب عبد الله بن حسين لتلاميذه بهذا التهذيب المقتضى لإخراج الرئاسة من نفوسهم لما انتهى العلامة محمد بن حسين وأمثاله منهم إلى ما انتهى إليه من العلم والفضل. الخامسة: أن الحق رائد القوم، والانصاف قطب رحاهم ونقطة بيكارهم رضوان الله عليهم، وقد سمعت من والدي وغيره من الأجلاء الثقات أن الشيخ محمد باسودان كان أوسع من أبيه في الفقه، وفتاويه شاهد عدل على ذلك وأخبرني الشيخ محمد بن سالم باسودان أن بعض العلويين وردوا على الشيخ عبد الله وسألوه عن ابنه محمد فقال لهم وهو يسمع من حيث لا يرونه لا بأس به، فاستثقلها ونذر الاعتكاف سبع سنين لدرس العلم في جامع الخريبة ورقىٰ بذلك، فبحق يجيء فيه ما قاله الشريف الرضي في تسمته لأبيه:

جرى ما جرى قبلي وها أنا خلفه ... أغد لإدراك المعالي وأوجف

ولولا مراعاة الأبوة جزته ... ولكن لغير العجز ما أتوقف

ولكن هذا لم يتوقف عنه بل جازه ولم يبق له من علم إلا حازه، توفي بالخريبة في سنة ١٢٨١ وبيتهم بيت عِلْم وشرف وقد وزر الشيخ أبو بكر بن

عبد الله باسودان وأخوه الشيخ سالم بن عبد الله للسلطان عوض بن عمر القُعيطي. ومن آل باسودان الآن: الفاضل الشيخ عمر بن أحمد بن عمر بن أحمد بن العلامة الجليل عبد الله بن أحمد باسودان يسكن الآن ـ يقصد سنة ١٣٦٦ـ بالحُدَيْدة وهو من أعيانها ومن المعتبرين فيها. ومنهم الشيخ محمد بن سالم بن بو بكر بن عبد الله باسودان خطيب جامع الخريبة الآن. وللشيخ أحمد حنشل ـ السابق ذكره ـ ولدٌ إسمهُ محمد كان من أعيان العلماء، وله ولد عالم اسمه محمد، وله حفيد إسمه محمد أيضاً من أهل العلم، كان محمد المثلث هذا موجوداً بالمُكَلاَّ سنة ١٣٣٣.

وبالخريبة جماعة من آل باعبيد، منهم الشيخان: أحمد بن عبد الله باعبيد وأخوه سعيد بن عبد الله باعبيد، كانوا أهل عِلْم وصلاح وتجارة، ولهم بوالدي اتصال عظيم وتعلُّق تام، توفي الأول بالمُكَلاّ حوالى سنة ١٣١٧، والثاني بالمدينة في حدود سنة ١٣٢٣، وللأول ولد إسمه عبد الله كان على القضاء بِمِيدِي[1] في أيام الأتراك والأدريسي ثم أصبح رئيس البلدية بها من جهة الإمام.

وفي المكان المُسَمَّى (ذي يجور) في شمال **الخريبة** منازل آل بصعر وهم عمر وبو بكر وسعيد ومحمد وهو أكبرهم، أبناء عبد الله بن سعيد بن علي بصعر، كانت لهم تجارة واسعة بحضرموت والشِّحْر وظفار والحديده وغيرها، وكانت لهم مراكب شراعيّة تُضرب بها الأمثال بين العامة تمخر البحار وقد تفرقوا وتلاشت ثروتهم الهائلة، ولم يبق لهم إلاّ بعض أراضٍ بوادي سِهَام وأعمال المَرَاوِعَه فأنها لا تزال تدر عليهم. ومن أحفادهم ناس بالحُدَيْده، ومنهم الشيخ عبد القادر بن سالم بن علي بن سعيد بصعر رجل صالح بالمُكَلاَّ، قد ذرّف على المائة زرته مراراً وطلبت دعاءه.

ومن علماء **الخريبة** القاضي عمر بن أبي بكر باجِنَيْد، أخبرني السيد عبد الهادي بن محمد بن عمر الجيلاني عن أبيه عن جده قال: أرسلني الحبيب أحمد بن محمد المحضار بنسخةٍ خطيّة من «التحفة» إلى قاضي الخِرَيْبة الشيخ عمر بن أبي بكر باجِنيد في أيام عسرةٍ وشَفَعها بقصيدةٍ منها قوله:

إنَّ الْـعِـمَـارَةَ بـالـعَـشِـيَّـةِ والـبُـكَـرْ بِـالْـعِـلْـمَ وَالـطَّـاعَـاتِ والْـفِـعْـلِ الأَغَـرْ

---

(١) مِيدِي: مدينة ساحلية على البحر الحمر، تقع غرب مدينة حَجَّه ومن أعمالها.

أمْسَى بِهـا مُتَحَقِقا مُتَخَلِّقَا قَاضي الأَنَامِ الْحَبْر قَيْدُومُ الزُّمَرْ
أَعْني بِهِ لِلأَسَدَ الْغِضَنْفَر شَيْخَنَا حَاوِي الْمَلاَحَةِ والتَسَلْسُلِ مِنْ مُضَرْ
صَدَرَ الْكِتَابُ إِلَيْكَ يَا الشَّهْمَ الَّذِي يَقْضِي الديُوْنَ إِذَا مُطَالِبُهَا زَجَرْ

إلى أن قال الجَيْلاني: فَسِرْتُ بالتحفة والقصيدة، فتقبَّلها الشيخ بأحسن القبول، ثم أرجعني بـ «التحفة» وقال: هو أحرى بها وأعطاني له مئة ريال. ولمّا سلّمت ذلك للحبيب المحضار أعطاني منها عشرين ريالاً فاستكثرتها وامْتَنَعت من قبولها حتى عَزَم عليَّ بأخذها فَأَخَذْتَها، وأخبرني عبد الهادي ـ المذكور ـ أن أهل الرِباط[1] ترافعوا إلى الشيخ عمر باجنيد هذا في قَضِيّةٍ، ولمّا صدر الحكم امتنع المحكوم عليه من الامتثال، فأصيبوا بالعاهات، فأقبلوا لترضية الشيخ في جملةٍ من جيرانهم، فلاقاهم الإمام المحضار وقال:

يا بخت من عَزَّ الشريعهْ واستَمَعْ قول الشريعة لي بها زَانْ الوجودْ
قاضيكم المشهورْ مابينَ العربْ من حَجْرِ ابنْ دَغَّار لمّا قَبْر هُوْدْ

فارتجزوا به بين دَوِيّ البنادق وَرَجْعِها الذي يهزُّ الجبال، ولمّا قاربوا دار القاضي خرج للقائهم فقال الإمام المحضار بالنيابة عنه:

حَيَّا بِكُم يالِّلي وصَلْتُوا كلكم بَاسِنْدوه والبَاعِشِنْ زين الجدود
يا باحِنَيْد إبْشر فسعدك قد بَدَرْ يَابُو محمد فَالكُمُ فالَ السعود[2]

وعلى قول المحضار: من حَجْر دَغّار لمّا قبر هود، ذكَرَت أن ولدي الأديب حسن قال في رحلته التي قدمها للنادي العلمي عن حضوره ـ بالنيابة عنه ـ تأبين المرحوم السيد أحمد بن عمر بن عوض الشاطري، ثم أنشدت قصيدة أديب ولم أذكر منها سوى عجز بيت هو: من نواحي هود إلى حبّان.

وكان معنَى صدره: فَقِدَت حضرموت منه أديباً، فبقي بذهني ذلك الشطر

---

(١) رِبَاط بَاعَشْن: بلده في جانب وادي دَوْعَن الأيمن الشرقي.

(٢) جاء في هامش الأصل ما نصه: (توفي قبل الثلاث مائة، وخلفه على القضاء ولده محمد، ويأتي في جحي الخنابشة بقية كلام عن آل باجنيد كان هذا المكان أولى به، ولكن تأخر عن نسيان وعن غير واحد أن آل باجنيد يتحملون ثلث نفقة عمارة ساقية الخريبة وهو آية كثرة أموالهم بها).

لسببين؛ أحدهما أن جماعةً تغامزوا عليه استقلالاً للمدح واستصغاراً للبقعة التي حددها، والثاني: أنه يكاد أن يكون نفس قول شوقي:

مـــن فـــلـــســـطـــيـــنـــه إلـــى بَـــغْـــدَانِـــهْ

هذا كلام حسن وشد ما لاحظت عليه إكباره لشعر شوقي ولا سيما بعد أن تقدم إليَّ بالسؤال عن أربعة أبيات منه، وأجبته عنها بالرسالة الموسومة بـ «النقد العلمي الذوقي في الجواب عن أبيات شوقي»، وكثيراً ما أَثْنَى على شعر الحضارم الحُميني، وهذا من المواضع التي يتأكد بها ما أقول، إذِ الشطرانِ اللذان ذكرهما حسن لا يعدان شيئاً في جنبِ قول المحضار (من حَجْرِ بن دغّار لمّا قبر هود) وكذلك يظهر هزالهما حتى لا يسومهما أي مفلس عند قول العاميّ الحضرمي في رثاء عائظ بن سالمين بن عبد الله بن سعيد بن طالب الكثيري: (جبال تِرْقِل من القبلة إلَّا هود). وللإمام المحضار فضيلة التقدم ولا غرو أن يتقدم شعر الحضارم العامي الخالي عن التكلّف ولا سيما في الغزل إذ كانوا يرجعون في ذلك إلى أصل أصيل وركن ركين حتى قالوا إن عمر ابن أبي ربيعة لم يكتسب الغزل إلا من جهة أمّه الحضرمية المسماة مجد.

وللسيد عبد الهادي الجيلاني المُشار إليه ولد يُقال له حامد، طلَبَ العلم بتريم وله نباهة وذكاء إلى تواضع وسيماء صلاح، وقد انتفع به أهل **الخَرِيْبَة** انتفاعاً كثيراً، وفي ترجمة السيد أحمد بن حسن بروم أنه ورد الخريبه هو والسيد علي بن أحمد الجفري وجَرَت لهما قصة.

وممن توفي **بالخريبة** من العلويين: السيد عبد الله بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله مَوْلَى عِيْدِيْد، ومن عَقِبه السيد حسين بن أحمد بن زين بن علي بن زين بن علي بن حسين بن عبد الله المذكور، كان إماماً فاضلاً مشهوراً بالفضل والولاية، توفي بالقنفذة سنة ١٢٦٥، ومنهم السيد علي بن محمد بن علي أخو عبد الله المذكور **مات بالخريبة**، وعَقِبُهُ بها وبِشِبَام وبجاوا. وفي **الخريبة** ناس من ذُرِّيّة الحبيب عبد الله بن علوي بن أحمد بن محمد الكاف المتوفي بها سنة ١٠٣٤، وناس من ذُرِّيَّة الحبيب عبد الرحمٰن بن علوي الخواص الجفري التريسي، منهم السيد الدائم الذِكْر، الكثير الصمت، محمد بن أبي بكر بن محمد الجفري، كان موجوداً بها في سنة ١٣٢٠، وفيها من آل الجفري: آل باصادق، منهم الآن عبد الله وعبد الرحمٰن إبنا حسن بن طالب بن محسن بن محمد بن

صادق بن حسن بن صادق، نجعا إلى مكة وجِدّه، ولهم تجارة واسعة وثروةٍ لم ينسوا حق الله فيها، مع تواضع وأخلاق كريمه ومحافظه على العبادة ومواظبة على الصلوات في الحرم الشريف، ولهم ابن عم يُقال له عبد الله بن محسن بن طالب بن محسن نجع إلى الحبشة فهو رأس العرب ببعض بلادها. وفي **الخريبة** ـ أيضاً ـ من العلويين السادة آل علوي البار، محمد وعبد الله وحامد، وقد رأيت محمداً هذا بعدن في سنة ١٣٢٢ وهو صدر من صدورها وكان بها مَكْرَعُ رِيَّ ومَشْرَعُ إحسان ومستودع حُسْن ظن بالأخيار من دون تعصب ولا تفريق بينهم. ولهم ذُرِيَّةً منتشرة بالخريبة وعدن والحبشه وغيرها، وكانت لهم ثروة وأموال وعقارات تلاشى بعضها وتحول البعض إلى السيد حامد بن علوي فهو من الوجهاء وله أولاد نُبَهَاء.

والخريبه أكثر بلاد دوعن عمارة ورفاهة، حتى لقد جاء في كلام السيد عمر بن حسن الحداد المتوفي في سنة ١٣٠٨ وكان أقام بها كثيراً أنه يُذْبَحُ في سوقها كل ليلة عشرون رأساً من الغنم، مع أنه لاَ يُذْبَح لذلك العهد في سيون وتريم أكثر من رأسين في كل ليله، فانظر إلى هذا التفاوت العظيم، ثم رأيتُ الطيب بامخرمه يقول: **والخريبه** مدينة بوادي دوعان الأيمن، ولمّا استولى الفقيه الصالح الورع، الزاهد العالم عفيف الدين عبد الله بن محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان العمودي النُوَّحِي[1] على وادي دوعان سكن رأس **الخريبة**، وأقام لهم الشريعة وأحيا السنه، وأطفأ البدعة، لكن لم يوافق هواهم، فحاربوه وأخرجوه، فانتقل إلى ذمار وتوفي بها سنة ٨٤٠، كذا وُجِد بخط بعض الفضلاء. هذا آخر كلام الطيب، وفيه جزم بأن آل العمودي من نُوَّح، وقد فَصَّلت الخلاف في نسبهم بالأصل.

الرشيد:

بلدة صغيرة فيها جامع، كانت تحت ولاية ابن دَغَّار الكِنْدي إلى أواخر القرن الثامن كما سبق في حَجْر، ولمّا جار وطغَى أصابته سهام الليل التي لا تبطي ولا تُخطي، فزالَ عنها، وخَلَفَهُ عليها وعلى غيرها **آل بالحمان**، ويظهر أنهم من الأباضيّة، وبهم يتحقق قول ابن خلدون ـ المتوفي سنة ٨٠٨هـ ـ في ج ٣ من

(١) نِسْبَةً إلى نُوَّح، التي تُعدّ من كبريات قبائل بادية حضرموت، ويتصل نسبها بِحِمْيَر.

«تاريخه»: إن لهم دعوةً باقية بحضرموت إلى الآن. أهـ. ثم أهلك الله آل بالحمان بعقب الظلم والجَوْر، ولم يَسْلَم منهم إلاَّ واحد لُقِّبَ بحفظ الله، لا يزال جماعةً من ذريته إلى اليوم بِحَيّ الخَنَابِشَه، وسيأتي فيه أن للشيخ سعيد باحفظ الله تاريخاً عن حضرموت استعاره ـ فيما قيل لي ـ باصره، ولم يرده.

ومن أهل **الرشيد** الشيخ الصالح المشهور يوسف بن أحمد **باناجه** المتوفي سنة ٧٨٣، وقد سبق في الحسوسة بعض ما كان من أماديح الشيخ عمر بامخرمة فيه، وقد ترجمه سيدي الإمام أحمد بن محمد المحضار ترجمة مطولة تدخل في كراسين، سماها «شرح الصدور» ولم أطلع عليها. ومن آل باناجه الشيخان عبد الله وعبد الرحمٰن كانت لهم ثروة وتجارة واسعة بالحجاز والهند ومصر، وكانت لهم رُتب شريفة بمكة أيام الأتراك إلاَّ أن أسبابهم انقطعت من حضرموت، ولا تزال لهم بقايا في أفريقيا وغيرها.

وبالرشيد جماعة من ذرية السيد طالب بن حسين بن عمر **العطاس**، وهي موطن **آل بازرعه** وفيهم كثير من العلماء، أولهم الشيخ أبو بكر بازرعة كان ظهوره بدوعن ـ كما يُرْوَى عن الحبيب أحمد بن محمد المحضار ـ قبل الشيخ سعيد العمودي بمائة عام، وما كان ظهور الشيخ يوسف باناجه ـ السابق ذكره ـ إلاّ بعد الشيخ سعيد العمودي بمائة سنة، وعليه فيكون الشيخ أبو بكر بازرعه ممن عاصر الشيخ سالم بن فضل الذي أحيا العلم بتريم بعد دروسه، المتوفي سنة ٥٨١، ومن مشهوريهم في القرن الحادي عشر الشيخ عبد الله بن أحمد بازرعه له ذِكْر كثيرٌ في «مجموع الأجداد» وله فتاوَى مشهورة يُرْجَع إليها في الاعتماد، وكثيراً ما يختلف هو وباحويرث وبابجير فيترجح ما ذهب إليه، وهو الذي اختصر فتاوى العلامة ابن حجر الْهَيْتَمي. ومن وجهائهم في الزمن الأخير الشيخ محمد بن عمر بازرعه هاجر في بَدْءِ أمره إلى مُصَوَّع وأسس بها مركز تجارة، وأقام برهة بالمُكَلاَّ، وله فيها آثار وعقار وكان جم الثناء على الايطاليين بالوفاء وبسط الأمن والعدل ومساعدة الرعايا والصدق وذكر الجميل لصاحبه ولو بعد الاستغناء عنه واتفاق السر والعلانية وحفظ الذمام وقد عرفت صدق بعضهم عنهم وقتما كنت بالحديدة وفي سفري منها إلى مصوّع سنة ١٣٥٤ إلا إنني مع حنقنا عليهم مما جرى في طرابلس لم أتأثر بشيء من ذلك وإلا فلهم أكثر بشارة الحديث الذي أخرجه مسلم عن السمتورد القرشي حسبما في «العود الهندي» فليس الشيخ بمتهم

فيما يقول، ثم إنه ـ أعني الشيخ ـ استوطن عدن، وله خيرات ومحاسن منها مدرسة كبيرة بناها بعدن، لا تزال معمورة على نفقته السابغه إلى اليوم، وكانت عدن مزدانةً به وبأمثاله من مراجيح الحضارم، وتوفي بعدن سنة ١٣٤٩هـ. وقد ترك أولاداً منهم الوجيه علي وهو الناظر على مدرسته والقائم في محله، ومنهم عبد الرحمٰن صالح متواضع عليه سيماء الخير بادٍ في جبهته أثر السجود، ضابط لنفسه ولأولاده ومربيهم على الاعتناء بشعائر الدين والمحافظة عليها مع بذل المعروف وإغاثة الملهوف بارك الله فيه وفي بنيه [1].

ومن أهل **الرشيد** السيد شيخ بن عبد الرحمٰن بن شيخ **الحبشي**، تلميذ السيد عمر بن عبد الرحمٰن البار، والعلامة السيد سالم بن محمد الحبشي السابق ذكره إلى جنب الشيخ علي باصبرين، وأخوه السيد عبد الرحمٰن بن محمد الحبشي، وقد انتقل ولده عبد الله بن عبد الرحمٰن إلى رحاب، وله ولدان: علوي بن عبد الله ـ صاحبنا المتكرر ذكره ـ وأخوه أحمد بن عبد الله من أهل الصلاح، وعندما عزم عبد الله على الانتقال من **الرشيد** إلى رحاب ذهب يستشير الإمام الجليل أحمد بن محمد المحضار، فقال له:

إِنَّما أنت سحاب مُمْطِر ... حيثما صرفه الله انصرف

ولا يزال ولده علوى صاحب النوادر في رحاب وله ذكر متكرر في هذا.

ومن أهل **الرشيد** السيد عمر بن حسين الحبشي، كان عالماً فاضلاً صادحاً بالحق لا يخاف فيه، قُتِل بمسجد بحر النور وهو في درسه، قتله ولد أحمد بامحمد وهو ابن أخي المقدم عمر بن أحمد باصره لِخللٍ قيلَ في عقله.

القُوَيْرَه:

هو من قُدامى بلدان دَوْعَنٌ، وكان السيد الجليل حامد بن أحمد المحضار يذكر سبعين قبيلة بها فبادَت ولم يبق إلاّ القليل كآل باحسين، فقد كان فيهم قضاة وعلماء منهم الشيخ أحمد بن عبد الله باحسين وَلاَّه الملك الظافر قضاء لحج سنة

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن عمر بازرعه هو الذي طبع على نفقته ديواناً شعرياً للمؤلف يحتوي مديحه في النبي ﷺ وكذا منظومة رحلته إلى وادي دوعن سنة ١٣٦٠ التي يتكرر الاستشهاد بأبيات منها في حديثه عن وادي دوعن، وكانت هذه الطباعة سنة ١٣٦٧ بمطابع فتاة الجزيرة بعد الفراغ من تأليف هذا المعجم بسنه.

٩٠٦، **والقويره** واقعه في حضن الجبل الغربي، سكنها السيد الشريف محمد بن علوي بن محمد بن طالب بن علي بن جعفر بن أبي بكر بن عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم وانتهى به إليها القرار، وابتنى بها الدار. وبها وجد سيدنا الإمام الرباني أحمد بن محمد المحضار وكان آيةً في العبادة وتلاوة القرآن، وسلامة الصدر، وعدم المبالاة بالدنيا وصِدْقِ التوكل على الله، وكمال الاعتماد عليه، واستواء السر والعلانيه:

عَلَيْهِ مِنْ التَّقْوَى رِدَاءُ سَكِيْنَةٍ وَلِلْحَقِّ نُوْرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعُ

وفي مبحث ذُرِّيَّة الشيخ عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم من «شمس الظهيره» يقول: ومنهم السيد الولي أحمد بن محمد بالقويره، المتوفي بها سنة ١٣٠٤هـ له ذريه مباركة هناك، منهم الآن خليفته ابنه حامد له خُلُق حسن. أهـ. وحال المحضار عجيب، وأمره غريب، وصيته شهير، وفضله غزير، وقد ترجمه سيدنا الأستاذ الأَبَرّ عيدروس بن عمر ترجمة مختصرةً، وله كلام أعذب من السَّلسال، وأشبه بالماء في الحُدُور إذا سال ما بين نثر ونظام أحلى من المدام وأزكى من المسك الختام ينطبق عليه قول أبي تمام:

عذارىٰ قواف كان غير مدافع أبا عدرها لا ظلم منه ولا غصبُ
مفصلة باللؤلؤ المنتقى لها من الشعر إلا أنه اللؤلؤ الرطبُ

وذكرت في الأصل أنه أعد لنفسه قبراً يخرج إليه في كل يوم يقرأ فيه القرآن وأشرت إلى من حضرني ساعتئذٍ عمّن أعد لنفسه، مثله ثم رائيت الذهبي يقول في ترجمة الحافظ المحدث الخطيب عن إسماعيل بن أبي سعد الصوفي كان أبو بكر بن الزهراء أعد لنفسه قبراً إلى جنب بشر الحافي يمضي إليه في كل أسبوع يقرأ فيه القرآن كل يوم وينام فلما مات الخطيب وكان أوصى أن يدفن إلى جانب بشر بن الحارث جاء المحدثون إلى ابن زهراء يسألونه أن يؤثر به الخطيب فامتنع فجاؤا إلى أبي فاحضره وقال له: أنا لا أقول لك اعطه القرب ولكن لو كنت في الحياة إلى جانب بشر فجاء الخطيب ليقعد دونك أكان يحسن بك أن تقعد أعلا منه؟ قال: لا بل كنت أقوم له وأجلسه في مكاني، قال فهكذا ينبغي أن يكون الساعة فطاب قلبه وأذن لهم اهـ.

ولكنّ فقهاؤنا مصرحون بكراهة الإيثار في القُرب فلا إيثار بماء الطهاره

ولا بستر العورة ولا بالصف الأول فإن أدّى إلى ترك واجب فحرام أو إلى ترك سنه أو ارتكاب مكروه فمكروه.

ولشيخنا العلامة أبي بكر بن شهاب قصيدة غراء في مدح المحضار وقد بلغني عنه أنه يقول: لولا أنني رأيت ثلاثةً وهم محسن بن علوي، وأحمد بن محمد المحضار، وعيدروس بن عمر، لما صدقت ما يُروَى من مقامات الأسلاف، وما لهم من فرط المجاهدات في صنوف العبادات. وكان ابنه حامد على طرف من العلم ومع ذلك فهو صدر الصدور، وفحل الفحول، لا يحور في جواب، وليس لأحد معه كلام مع بُعْدٍ عن التكلف، وسير بِسَوْق الطبيعة، وجُوْد بالموجود، وبياض سريرة، وصراحةٍ تامة، وشهامة ظاهرة، وهو الذي يقوم بأمور أبيه، توفي **بالقويرة** في سنة ١٣١٨هـ عن عدة أولاد، منهم الفاضل الماجد حسين بن حامد وهو أشهر من أن يُذْكَر، وله في هذا وفي الأصل ذِكْرٌ كثير، توفي بِالمُكَلاَّ آخر سنة ١٣٤٥هـ. وكان يعاونه في أيام وزارته أخوه عبد الرحمٰن وهو رجل متين الدين، شريف النفس مأمون الغائلة، مستوى السر والعلانية، مشكور السعي. وكثيراً ما كان يعاونه ابن أخيه السيد علي بن حسن بن حامد المحضار وهو رجل فاضل سليم الصدر رقيق القلب، غزير الدمع، كثير الخشوع. ومن أولاد الإمام المحضار: الفاضل الجليل الحبيب محمد كان آية في علوّ الهمّة، وكبر النفس، وبسطة الكف، وغزارة العلم، وكثرة العباده.

متهجد يُخفي الصلاةَ وقد أبَى ... إخفاءها إثر السجود البادي
سمح اليديْنِ إذا احْتَبَى في مجلس ... كان النَّدى صفة لذاك النادي
أَفْضى إليه الطالبون فصادَفُوا ... أَدْنَى البرية من تُقَى وسداد
بفضيلة في النفس تُوصَلُ عنده ... بفضائل الآباءِ والأَجداد

توفي بجاوا في سنة ١٣٤٤ عن عدة أولاد، أكبرهم عبد الله وهو معدود من الفقهاء وأهل العلم، ثم عَلَوِي وهو الذي خَلَفَ أباه فأبقى مناره وتسمَّتَ آثاره:

لا يَحْتَذِي خُلُقَ القَصيَّ ولا يُرَى ... مُتَشَبِّهَا في شُؤْدُدٍ بغريبِ
شرفٌ تتابع كابِراً عَنْ كابِرٍ ... كَالرُّمْحِ أَنْبُوباً عَلَى أَنْبُوبِ

له خُلُقٍ كالنسيم، وشمائل أحلى من التَّسنيم

صَفَتْ مثلَ ما تَصْفُو المُدَامُ خِلالُهُ وَرَقَّتْ كما رَقَّ النسيمُ شمائِلُهْ

إلى جُوْد في الفاقة، وسماحه فوق الطاقة، وبر بوالديه عظيم، ومحاسن خلال أغلا من الدر النظيم وألذ في الأجفان من سنة الكرىٰ. وبيني وبينه ود صميم وطارف إخاء مني على قديم يأتي فيه قول الخطابي للثعالبي:

رهين بنيسابور عند أخٍ ما مثله حين تستقري البلاد أخ

له صحائف أخلاف مهذبة منها التقى والنهى والحلم ينتسخ

ومن أولاد الإمام المحضار: بقية السلف وزينة الخَلَف، كهف اليتامى وموئل الأَيَامي، الذي امتزج الجُود بلحمه ودمه ولم يَسْعَ أحَدٌ في الزمن الأخير بقدمه، الحبيب مصطفى، فَحَدِّثْ عن سماحته ولا حرج، وحسبك بما كان منه في الزمن الذي هرج ومرج، فلقد مرت أيام الأزمة وداره ملأى بالجفان المحفوفه بالضيفان:

فما جازَه جُوْدٌ ولاَ حَلَّ دونَه ولكن يسير الْجُوْدُ حيث يسيرُ

لقد بلغني أنه باع من صلُب ما له بعشرة آلاف ريال ذهبت مع الأكباد الحَرّى والبطون الغَرْثَى:

وللجود حسنٌ أي وقتٍ بذلته وأحسنه ما كان في زمن الْمَحلِ

انتهى به الحال إلى أن رجلاً استماحه إزاره فقال له: سأضعه على الجدار عند دخولي الميضأة، فاذهب به، ومتى أحسستُ بُعْدَك زعمت لأولادي أنه سُرِقَ حتى يدبروا لي سواه من دون عتاب ولا تثريب:

تعوَّد بَسْطَ الكفِّ حتى لَو أنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُه

وما كان ولده حامد ليعاتبه على مثل ذلك إذْ لم يكن إلاَّ قُرَّةَ عينٍ وسرورَ فؤادٍ. وله شعر بديع. أحب من بسمات الرضيع، وتَرَسُّلٌ عَذْبٌ كأنما هو سقيط الطَّل واللؤلؤ الرَّطْبِ. وقد رثيته في حياته سنة ١٣٥٢ ليسمع بإذنه ما يقال عنه بعد الموت، بقصيدةٍ توجد بمحلها من الديوان ومستهلها هذا:

مَهْلاً عدِمْتُكَ مِنْ نَعِيٍّ جَارِحِ فَلَقَدْ مَلأَتَ مَحاجِرِيْ وَجَوانِحِي

وهو اليوم يخنق التسعين أطال الله بقاه ورزقنا في عافية لقاه [1]. ومن

(١) توفي المُتَرْجَم له سنة ١٣٧٦هـ بعد وفاة المؤلف بسنه.

ذُرِّيته: القانت الأَوَّاب عبد الله بن هادون بن أحمد المحضار، طلب العلم بمصر وكان من أراكين التقوى وإليه يرجع أهل ذلك الطرف في الفتوى، توفي **بالقويرة** في سنة ١٣٥٨، وله أولاد كرام، منهم صالح يتفق مع اسمه مُسَمّاه، ومحمد وهو شهم بصدقه نبيل ملأ ثوبه، يُزَيِّن حظه من الإحسان حلاوةٌ في اللسان. وطه وهو رجل فاضل مستوى السِّر والعَلَن، كريم الأخلاق، خفيف الروح، عظمت الرزيَّة بموته في عدن سنة ١٣٦٤هـ. وعلى الجملة فحالة المحاضير **بالقويرة** مشكورة، ومجالسهم معمورة، وعلّهم على وئام في المعنى كما هم في الصورة، وأول من نجع من حبّان إلى دَوْعَن السيد محمد بن طالب، فتصوّف على يد الإمام عمر بن عبد الرحمٰن البار وسكن الرشيد، ثم سار إلى عينات وابتنى بها داراً ومسجداً، ثم جاء أيضاً ولده علوي وتزوج بالرشيد.

وكان أهل **القويرة** في قرن الحمار من قلة الماء، ولآل القُرَيْن من آل البَار وغيرهم عيون ماء في الجبل الذي بجنوب القويره، فساومهم وأغلى السيد حسين بن حامد في بعضها ولمّا امتنعوا أجراها إلى القويرة بقوة السلطان، ثم سار إلى عند آل البار بالقُرَيْن للترضيه وأرضَى جُلَّ المُلاَّك بمثل القيمة أو بأكثر، فرضى أغلبهم وبقيت خمسة أجزاء من أربعةٍ وعشرين أَصَرَّ أهلها على الامتناع إلى اليوم، وبلغني أن السيد عبد الله بن هادون بن أحمد المحضار كان يتنزه عن ذلك الماء لقوّة ورعه، وإلاَّ فأن للفاضل السيد حسين بن حامد مندوحةً فيما صنع، فلقد بَنَى ابن الخطّاب المسجد الحرام بمكة في سنة ١٧ وهدّم على قوم أبو أن يبيعوا ووضعَ أثمان دُوْرهم في بيت المال حتى أخذوها، وزاد عثمان في المسجد الحرام نفسه في سنة ٢٦ وابتاع دُوْراً من قومٍ وأبى آخرون فَهدَّم بيوتهم وأدخلها في المسجد ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان، فحبسهم وقال: قد فعل عُمَر بِكُم مثله فَلِمَ تصيحوا، فَكَلَّمَهُ فيهم عبد الله بن خالد بن أُسيدٍ فأطلقهم. ومصلحة الشرب ولاَزِمه أَظْهَر عن مصلحة المسجد إذ الماء لا يُمنع ومهما أَوّلوه فبعيد أن يكون شرب بقية السلف الوالد مصطفى بن أحمد حراماً ولكن الأمر إذا ضاق اتسع، إلا أنه قد يغبر عليه أن لابن الخطاب شأناً بالمدينة تخالف ما جرى عليه بمكة وذلك أنه أراد توسعة المسجد النبوي بدور منها دار العباس فلم يرض وحاكم عمر، وللفرق مجال بين الحرمين فكثير إذ قيل إن دور مكة لا تُباع ولا تُؤهب ولم يقل أحد بمثل ذلك في المدينة والله أعلم. وفي القويرة ناس من آل شريه يغلب الظن أن جدهم أحد الأربعة القادمين مع المهاجر حسبما يأتي في سيون.

حلبون:

هي قرية في الحضيض النازل عن القويرة، ويزعم بعضهم أنها كانت متصلةً بها، وكثيراً ما يقال: قويرة **حلبون**، ولو صح ذلك لم يكن إلى تعدد الجمعه سبيل ـ حسبما في فتوى بامخرمة السابقة في قُرَى الشِّحْر ـ لكن الجمعة متعددة في القريتين فَدَلَّ على استقلال كلٍ من الأصل. وسكان حلبون **آل باقيس** وغيرهم، ومنهم الصالح الشهير والرباني الكبير الشيخ فارس باقيس ممدوح الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة، ومنهم خاتمة الصوفيّة المسلكين الشيخ محمد بن يس باقيس المتوفى سنة ١١٨٣هـ أحد تلاميذ القطب الحدّاد وشيخ جدنا الثالث سقاف بن محمد بن عمر السقاف المتوفي بسيون سنة ١١٩٥، ومنهم الشيخ عبد الله بن أحمد بافارس باقيس أحد مشايخ الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، قال في ترجمته: ولزم بيته آخر عمره مع شغل الوقت بنوافل الطاعات وقراءة الكتب النافعة من الحديث والفقه والتفسير والدقائق، قرأتُ عليه أُمّهات الكتب كـ «الإحياء» و«الرسالة» و«العوارف» وغيرها ولازمته إلى أن توفي. أهـ. له ذِكْر كثير في «عقد» سيدنا الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر. ومرجع آل باقيس في النسب إلى كِنْده كما في «المواهب والمنن» للسيد علوي بن أحمد في ترجمة جده الحسن، ومنها أن الشيخ فارس بن محمد باقيس والشيخ محمد بن عبد الله باقيس من تلاميذ الحسن بن القطب الحداد.

الجبيل:

بلدة صغيرة يُرْوَى أن المهاجر أحمد بن عيسى أول ما نزل بها[1] وأنه مات له ولد صغير فيها، فَدُفن في أعلاها، وبذلك كان يجزم الحبيب أحمد بن محمد المحضار، ولمّا لم يطب له المقام بها لكثرة أباضيتها إذْ ذَاك نَقَل منها إلى الهَجْرَيْن. وفي «شمس الظهيرة» أن بها جماعةً من أعقاب السيد عقيل بن الرحمٰن العطّاس أخي السيد عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس، وبها يسكن جماعة من آل

(١) هو جدّ العلويين الحضارمة، وكان قد وصل إلى حضرموت مهاجراً من البصرة، وذلك سنة ٣١٨هـ أو السنة التي بعدها. وهو الأمام أحمد بن عيسى بن محمد النقيب بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين ابن الأمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء إبنة سيدنا المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

باقيس منهم حسين بن محمد وأولاده سالم وعبد الله وأحمد ومحمد، وإخوانه علي وأبو بكر إبنا محمد باقيس، لهم محاسن ومبرّات وأخلاق فاضلة، وفي رحلتي الأخيرة إلى دوعن ـ سنة ١٣٦٠ـ بِتّ عند الأخير على أحسن حال، وحضر معي السيد حسين بن حامد وأحمد بن حسين آل العطّاس، وكانت من أسعد الليالي أعاد الله أمثالها في خير. ومنهم ابن عمهم وهو الشيخ محمد بن عبد الله باقيس يسكن الآن برابخ وله بها تجارة، وهو لا يقصر في إيواء النزيل وكسب الجميل.

بِضَه:

هي من كبريات بلاد دوعن، قال العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس: أنها مأخوذة من بضيض الماء، يقال بَضَّ الماء إذا نزل قليلاً قليلاً. وعلى مقربة من حصن المنصب بها عين ماء قليل لعلها سُميَّت بذلك من أجله. أهـ. وهي مقر مناصب آل مطهر العمودي، وحال الشيخ سعيد بن عيسى العمودي أشهر من أن يُعَرَّف به، وقد توفي سنة ٦٧١ وخَلَفَهُ على منصبه ولده محمد بن سعيد، ثم لم يزل منصبه يتوارث بين أولاده حتى تحوّل ـ بِسِعَة الجاه وكثرة الأَتْبَاع ونفوذ الدعوة ـ إلى سلطنةٍ، ثم اختلفوا وانقسموا فكان لآل محمد بن سعيد بن عبد الله العمودي قَيْدُون وما نزَلَ منها إلى الهَجْرَيْن، وَلآل مطهر بِضَه وما حاذاها وما ارتفع عنها، وفيهم عدة رؤساء منهم آل صالح بن عبد الله. في بضه. وكان رئاستهم للشيخ الجليل عبد الله بن صالح بعد أبيه، وقد لاقيته مراراً ورأيت له من محاسن الأخلاق ولطف الشمائل ما تقر به العين.

لَهُ خُلُقٌ سَهْلٌ ونفسٌ طِبَاعُها ... لَيَانٌ وَلكِنْ عَزْمُهُ مِنْ صَفاً صَلْدِ

توفي سنة ١٣٦٤هـ عن عمر ينيف على الثمانين قضاه في إكرام الضيوف، وغوث الملهوف، ورَفْع الخروق، ورَتْق الفُتوق. وخَلَفَهُ ولده النبيل حسين والناس يأملون أن ينتهج ذلك السبيل ويتحمل عبء والده الثقيل حتى يصح أن نقول في التمثيل:

ففي الحُسَيْن لهمْ من بعدِهِ خَلَفٌ ... ما مثلُه خَلَفٌ في النَّاسِ مُنْتَخَبُ

باقٍ به لِبني الأَشْيَاخِ أسرته ... حَمْدُ الفَعَالِ وفَضْلُ الْعِزِّ والْحَسَبُ

يرعَى المكارِمَ منه وارِثٌ شرفاً ... بِتَاجِ وَالِدِهِ في الناسِ مُعْتَصِبُ

وفي بِضَه مثرى آل العمودي، ولمّا سألتهم عن عددهم بها أجابوا بأنهم لا يقلُّون عن خمسمائة رام يحملون الموازر الألمانية[1] لم يُفَرِّطوا فيها بخلاف آل حضرموت [2] فقد باعوا في أيام المجاعة ما اشتروه بالألف الروبيّة منها بأقل من المائة، فأقرّ الله عيون العروبة باجتماعهم واتحادهم، ولقد أعجبني ما عليه أكثرهم من الوسام وبسطة الأجسام، حتى قلت أصف الشيخ عبد الله بن صالح ومَنْ على شاكلته منهم في رحلتي التي نظمتها سنة ١٣٦٠هـ:

وذكّرني في قومه العَرَبَ الآلي ... وَسَاماً وأجْسَاماً رَبُوعاً وَأَذْرُعَا

ومن مناصبهم أو سلاطينهم في القرن التاسع الشيخ عبد الله بن عثمان بن سعيد العمودي، فلقد استولى سنة ٨٣٧ على الوادي الأيمن كُله. ومنهم في القرن العاشر الشيخ عثمان بن أحمد العمودي ممدوح الشيخ عُمر بامَخْرَمه بمثل يقوله:

يا عَوَضْ قُلْ لمن كَفّهْ غياثَ المساكين ... قل لعُثمان وافِي الذّرْع شَمْسَ البراهين

والذي في جبينه سِرّ طه ويَسين ... زادك الله على مر الجديد من تمكين

إذكر العهد يا ابن أحمد وحَصِّنه تحصين

والشيخ عثمان هذا هو الذي تلقّى الشيخ معروف باجَمّال بالصدر الرحب، لمّا هرب من شبام في سنة ٩٤٩ وآواه على أحسن تأهيلٍ إلى أن ماتَ.

وَلآل العمودي أخبار طويلة مع بدر بُوطُويرق ونَهْدٍ وغيرهم من القبائل، يوجد منها بالأصل ما يكفي للتعريف. وعن الحبيب أحمد بن حسن العطّاس أنه كان بدوعن جماعات من الأمراء كُلٍ ينفرد بناحيةٍ، فباقَتَاده بالقُرَيْن، وباعبد الله بِرحَاب، وابن حِمْيَر بِصِيف، وباعُوَيْدَيْن كان متولياً على الأغلب من الوادي الأيسر، وكانت القويره ونواحيها للكثيري، وليس للعمودي إلاَّ الرباط وبِضَه والجَزْع والعِرْسِمه وقَيْدُون. أهـ.

وفي سنة ٩٤٩هـ نزل الشيخ عبد الله بن أحمد العمودي على فُوَّه، ومعه سيبان وباهبري، وأقاموا ثلاثة أيام، وأتلفوا أكثر من مئة عود من النخيل، ثم صالحهم أهل فُوّه على مالٍ دفعوه لهم، فانصرفوا إلى دوعن، بعد أن مَلَؤا قلوبَ

---

(١) المَوازر، جمع مَوْزَر، وهي نوع من البنادق.

(٢) هنا ترد الإشارة إلى التعريف المحدود لحضرموت بما هو أسفل شبام.

أهل الشِّحْر والغَيْل خوفاً. أهـ. وهذا من الأدلة على عدم وجود المُكَلاَّ شيئاً يستحق الذِكْر إِذْ ذَاك.

ومنهم صاحب «المرعى الأخضر» وهو أجوبه من العلامة الجليل السيد محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد البكري الصديقي ومن تلميذه العلاّمة الشهير أحمد بن حجر الهيتمي. وفي ذكر السيد الجليل عيسى بن محمد بن أحمد الحبشي المتوفي محرم سنة ١١٢٥ من عقد شيخنا الأبري يقول: وانتفع به وأخذ عنه كثير من الأعيان منهم السيد الامام أحمد بن زين الحبشي والشيخ الكبير عمر بن عبد القادر العمودي أشار على والده أن يتركه لله تعالى وأن يُعْذَرَ من كد الخلاء وتعب الحراثة فَقَبِلَ الشيخ عبد القادر رأيه، ثم إن ابنه عمر سلك وجاهد وصحب بعد ذلك سيدنا قطب الإرشاد عبد الله الحداد وكان من أمره ما كان اهـ.

• ومنهم الشيخ عبد الرحمٰن بن عمر العمودي أحد تلاميذ ابن حجر وهو صاحب «حُسَن النَجوىٰ فيما وقع لأهل اليمن من الفتوى». ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد العمودي قال في «المواهب والمنن» أنه كثيراً ما يقول «الهمة والعزم يأتيان يرسل التوفيقُ خير من كثير من العقل» وهي حكمة عالية ما كنت أحسبها إلا لبعض الفلاسفة أو لأحد رجال الرسالة القشيرية حتى رأيت هذا ولم آمن معه أن يكون العمودي متمثلاً لا منشئاً.

وفي ١١ محرم من سنة ٩٦٥هـ توفي الشيخ الكبير أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن عمر بن عثمان العمودي، المُتَرْجَم له أصلاً - ولأبيه ضِمْناً - في «النور السافر»[١]. وفي ترجمةٍ منه يقول: وبنو العمودي أهل صلاح وولاية، اشتهر منهم جماعة بالعلوم الظاهرة، ومقامات الولاية الفاخرة، ويقال: إن نسبهم يرجع إلى أبي بكر الصديق. اهـ. وقد أطلت القول عن ذلك بالأصل، وتَرْجَم في «النور السافر»[٢] أيضاً للشيخ عبد الرحمٰن بن عمر بن أحمد بن محمد باعثمان المتوفي سنة ٩٦٧هـ.

ومن غرائب الصدف أنّ بدر بُوطُويرق جَهَّز على العمودي بجيش يرأسه يوسف التركي فهزمهم العمودي، وأخذ مدفعاً معهم كانوا يطلقونه على عسكره، وورد به إلى صِيَف في سنة ٩٥٥هـ.

---

(١) ص ٢٣٣.

(٢) ص ٢٣٧.

وفي حدود سنة ١٢٨٦ استولى النقيب الكسادي على أكثر بلاد دوعن، وهزم العموديين، ولكنهم أعادوا الكرَّة عليه فهزموه، وأخذوا مدفعه، وانحدروا به إلى بِضَه حيث يوجد بها إلى اليوم.

وفي سنة ٩٧٠هـ كانت غارة الجرادف من أصحاب العمودي ونهبوا بيت السيد محمد بن عبد الله عِيْدِيْد، وقد مَرّ ذِكْر الجرادف في غياض الشِّحْر.

وأخبار آل العمودي كثيرة وقد سُقنا ما وجدنا بالأصل.

وفي بضة كَريف كبير يجتمع فيه ماء السيل فيكفيهم تسعة أشهر أو أكثر، والشائع بين آل العمودي من قديم الزمان إلى الآن أن أول عمارةٍ له كانت على يد سيد بتريم، فعرفنا أنه باساكوته لأنه الذي عمّر جامع تَرِيْم وضمير ثِبي وكَريف قَيْدُون على نفقة السلطان عامر بن عبد الوهاب صاحب اليمن وعدن، وإن لم يوجد ذكره بين مآثره في «النور السافر» وغيره من المظان التي بين يدي. ثم حصل فيه خلل فعمره الشيخ عبد الله بن صالح العمودي منصب بضه، ثم عمره الشيخ عبد القادر بايسين ساكن بضه، ثم أوصَى له السيد علي بن جعفر بن محمد العطّاس بما يعمره فعمره أخوانه، ثم عمره أولاد الشيخين عبد الرحمٰن وسعيد ابني عبد الله بن صالح، وكان سريع التغير لأنه قريب من النخل تدب عروقه إليه فتفسده بخلاف غيره.

وفي شرقي بضه مقبرة الشيخ معروف باجَمَّال، المتوفي بها في منفاه من بدر بُوطُويرق، حسبما تكرر ذكره. وعند مقبرته حوض دون الأول جددوا عمارته في الوقت الأخير تجديداً أكيداً، تَصُبُّ فيه عيون ماء فيكفي لضرورات آل بضه عند نفاد الأولّ.

ومن علماء بضه في القرن الحادي عشر عمر بن [illegible] سبيران له ذِكْر في «مجموع الأجداد» يأتي بعضه في سيوون. وفي بضه كثير من السادة آل العطّاس، منهم الصالح العظيم المقدار جعفر بن محمد بن علي بن حسين العطّاس، وقد اجتمعت به مراراً آخرها بالشِّحْر سنة ١٣٢٢ لمّا وردتها في طريقي إلى الحجاز لأداء حجة الإسلام، وقد أحضرني عليه والدي بمكاننا «علم بدر» سنة ١٣٠٦ فدعا لي وألبسني كوفيّته وقال لوالدي: هذ رأس العِلْم. فَسُرّ بذلك كثيراً وعلّق كبريات الآمال على هذه الكلمة نسأل الله قبول الدعاء وتحقيق الرجاء.

ومن فضلاء بِضّه اليوم السيد حسين بن حامد بن عمر العطّاس [1]، كان صحيح التقوى، صادق الإخلاص، كثير العبادة، نقي الجيب، وقور الركن، جم التواضع، نُكِبَ في حدود سنة ١٣٣٧ بِقُرَّتَيْ عينٍ من أولاده فاحتسبهم عند الله بِجَأشٍ ثابت ورضا تام وبال صابر، ثَافَنَ الرِجال، وصحب أهل الكمال، وكان يتفتح عن ثَبَجَ بَحْرٍ إذا سُئِل عن بَحْرِ الجُود المرحوم السيد محمد بن طاهر الحداد، إذْ كان معه في سفره إلى الهند وفي كثير من أحواله.

بلاد إلما:

فيها السادة آل بروم، من ذُرِّية السيد محمد بن علوي ـ المشهور بالشيبه ـ بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم، ومن آخرهم السيد محمد بروم، طويل القامه، عريض الجسم، كبير العمامه، كثيراً مايستصحبه السيد حسين بن حامد المحضار للمداعبة والمباسطة. وبها يسكن أولاد الشيخ عبود بن محمد القحوم، ورئيس عائلتهم بها هو الشيخ سعيد بن عبود بن محمد. وفيها ناس من آل كحلان يُقال أن مرجعهم إلى العائلة القعيطية. و«بلاد إلما» و«خديش» و«قرن ماجد» باقية تحت أولاد القحوم إلى اليوم لا يتعرض لهم القعيطي بسوءٍ.

خدَيْش:

في أسفل وادي دَوْعَن، على مسافة ساعة ونصف من قَيْدُون، وهي بحذاء العَرْسِمه إلى الجهة الغربيّة، على يمين الداخل إلى بلاد دوعن، وفيها ناس من آل العمودي، ومن آل بروم، وواحد من آل خرد، وقبائل من سيبان الحالكه وهم أهل حرث، وفيها مزارع.

كوكه:

هي بمفترق الواديين الأيمن والأيسر، في الجبل الغربي، تبعد عن صِيَف بنحو نصف ساعة، يسكنها الحالكه من سَيْبَان، وناس يُقال لهم البلاغيث من شَرّ قبائل الحالكة، ولهم أموال في القرح يشتجرون بسببها مع أهل العرسمه، حتى قال بعضهم لقد بغضنا الغيث بسبب البلاغيث. وبين كوكه وخديش والعرسمه ـ في

---

(١) أضاف المؤلف على هامش النسخة «ب»: توفي السيد حسين بن حامد في هذا العام لكن بعد نجاز هذا الكتاب، وبقي سنة ١٣٦٦هـ.

الجانب الشرقي ـ بلدة يُقال لها الصَّدِف باسم سكانها الأقدمين، باقية آثار مبانيها وسواقيها. وبالجانب الشمالي بين «العرسمه» و«فيل» قارَّةً يُقال لها دخان، تدل آثارها على قوة أهلها ومنعتهم، وكان سكانها أشرس القبائل فيما يُقال. وحَوْل كوكه محارث كثيرة، وفي الجانب الشرقي منها قرية صغيرة يُقال لها الريضة على مسافة ثلث ساعة منها.

قبر تُبَّع:

وعلى يسار الداخل إلى الوادي الأيمن قبر طويل، في سفح الجبل الذي يكوْن الوادي الأيسر في جنوبه، يُقال إنه لأحد التبابعه، وهو غير بعيد، لأن حضرموت من ممالكهم، ولا يُقال للواحد تُبَّع إلاَّ إذا استولى على حضرموت كما هو مُفَصَّل بالأصل. وقد جاء في الجزء الثامن من «الأكليل» للهمداني[1] أنَّ قبر «ذي أكم» بحضرموت وهو من التبابعة ذكَرَهُ علقمه في قوله:

وذي نُـوَاس قَـد وَهَـى مُـلـكُـه ... رَبّ غُـمْـدَان وذَا أَكَـم

ثم ساق خبراً طويلاً عن هشام بن محمد عن أبيه وأبي يحيى السجستاني عن يوسف بن سعيد الأيلي قال: استثارت حمير مدفناً لملوكها بحضرموت، وذكَرَ خبراً طويلاً منه: أن أبا مالك عميكرب بن ملكيكرب مدفون بذلك المدفن وفيه من الأدلة ما يُغني ويُقنى.

الجانب الشرقي لوادي الأيمن من دوعن

أما جانب وادي الأيمن الشرقي فأوله **(رباط باعشن)**: وآل باعشن بيت علم، ومغرس فضل، ومنبت صلاح، منهم الشيخ الكبير أحمد بن عبد القادر باعشن، كان من أقران السيد عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس، أخذ هو وإياه عن جملة من المشايخ، منهم الشيخ عمر بن عيسى باركوة السمرقندي ثم المغربي، الآتي ذكره في بلد الغرفة، لأنه مات بها، وقد أخذ عن الشيخ أحمد بن عبد القادر هذا جماعة من الأكابر، منهم السيد عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن المعلم باعلوي ـ الشهير جده عبد الله بلقب وَطَب ـ بن محمد

(١) ص ٢٠٢.

المنفر، جاء في ترجمته من «المشرع الروى» أنه رحل إلى الواديين المشهورين: وادي دوعن ووادي عمد، وأخذ بهما عن علماء أكابر ذوي محابر ومفاخر، منهم الشيخ العارف أحمد بن عبد القادر الشهير بباعَشَن، وجماعة من العموديين. توفي السيد عبد الرحمٰن بن إبراهيم المذكور سنة ١٠٥٧، وقال في ترجمة السيد علي بن عمر بن علي بن محمد فقيه بن عبد الرحمٰن بن الشيخ علي المتوفي سنة ١٠٣٨هـ؛ ورحل إلى وادي دوعن ووادي عمد، ووجد بهذين الواديين من العلماء العارفين ما يعجز عنهم وصف الواصف.

ومن آل باعَشَن الشيخ سعيد بن عبد الله باعشن، أحد مشايخ السيد الجليل علي بن حسن العطّاس، صاحب المشهد، وقد أكثر من ذكره في ديوانه ومؤلفاته. ومن أواخرهم الشيخ سعيد بن محمد باعَشَن، وهو من مشايخ سيدنا الأستاذ الأَبَرّ عيدروس بن عمر، قال في «عقده»: وكذا أجازني الشيخ المحقق المتفنن المدقق الشيخ سعيد بن محمد باعَشَنْ في جميع مصنفاته ومرويّاته، وقال الشيخ علي باصبرين في مقدمة كتابه «إثْمد العينين» كان يختلج في صدري جمع ما تيسر من الخلاف بين الرملي وابن حَجَر حتى توجهت من الحجاز إلى الديار المصريه في سنة ١٢٦٠ فوجدت مع بعض الإخوان مؤلف شيخنا العلامة المحقق الورع الزاهد الشيخ سعيد بن محمد باعشن المسمى «بُشرى الكريم» فطالعته إلاّ كُرَّاسَيْنِ وجردت مافيه من الخلاف. أهـ باختصار.

ومن آل باعشن الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد القادر باطويل، نجع من الرباط إلى جده وتحمّل بعائلته منها إليها، وله الآن أعمال بجده تزينها الشهامة، وتحوّطها المروءة، وتخالطها الدماثة، ويكللها التواضع، نزلت عليه في حَجّي سنة ١٣٥٤ فأحمدت أثره، واستسفيت خبره، ولم تقع عيني ولا أذني منه إلاّ على أحسن مما يُرْجَى وأفضل مما يرام، بارك الله له في نفسه وآله وماله، وعُمْرِه وإيّانا آمين.

وفي ذِكْر خَيْوَان من «صفة جزيرة العرب» للهمداني[1] أنه كان يسكنها بنو نَعيم وآل أبي عِشْن وآل أبي حجر من أشراف حاشد. فلعل باعشن كانوا منهم فنجعوا إلى دَوْعَن.

---

(١) ص ١١٥.

وبالرباط **آل الصّافي** الجفري وهم من أقرب الناس لوحيد حضرموت ومجدد مجدها وشرفها ـ في القرن الثالث عشر ـ سيدي الحبيب حسن بن صالح البحر، يرجعون هم وإيّاه إلى السيد شيخان بن علوي بن عبد الله التِرَيْسِي، وقد نَقل منهم جماعةً إلى عدن وهم السيد طه وأخواه محسن وحامد، ولهم ذُرِّيَّة هناك. وكان السيد عبد الله بن حامد عين عدن الباصرة في سنة ١٣٢٩ عِلْماً وجُوداً وشهامةً، وجَمال شاره، وطِيْب رائحة، ونفَاسَة ملبس. ومنهم السيد محمد بن محسن له ثروة طائله، ومنهم عُمر بن طه كريم شمائل إلاّ أنه أُصيب في الأخير بعدة نوائب، فَجَبر الله كسره، وعَوّض عليه ما فاته.

وبالرباط جماعةٌ من ذُرِّيَّة السيد عمر بن عبد الرحمٰن الجفري التَرَيْسِي، مَوْلَى العِرْشة، المتوفي بِتَرِيْس سنة ١٠٣٧، وناس من آل **البَيْتي**، منهم السيد عبد الله صاحب القُبَّة، وناس من آل **بابقي**، وناس من آل **بَاسِنْدُوه** منهم الشيخ عبد الرحيم، ومنهم الشيخ عبد القادر بن عبد الرحمٰن باسندوه من أهل العلم والعبادة، أحد تلاميذ الشيخ عبد الله بن أحمد بن فارس باقيس، له أعقاب بها وبالحديده وعدن.

وبالرباط جماعه من **آل العطّاس**، منهم نزيل الحُديده الآن ـ يقصد سنة ١٣٦٦ـ السيد أبو بكر بن حسن بن محمد صاحب الغيل بن محمد بن جعفر صاحب صُبَيْخ، تاجر صادق، وغزير إحسان، وحليف وفاء، وأبيض قلب، ونقي جيب، يُكْرِم الضيف، ويحمل الكَلَّ ويُكْسِبُ المعدوم، ويُعِيْن على نوائب الحق. وله جملة أولاد منهم: حسين أقام يطلب العلم عندنا مدةً ليست بالقصيرة، له طبع كريم وخُلُق دميث وتواضع كثير. ثم موضع ثقته ومدير أموره، حسن، له أدب وظُرف، ونيقة في الملبوس وشهامة.

وبالرباط أيضاً جماعة من **آل الحامد** بن الشيخ أبي بكر بن سالم، منهم السيد محمد بن أحمد الحامد، له ولد نبيه يُقال له سالم، طيب الأخلاق، أظنه بمكة المشرفة الآن.

ومن أصل الرباط **آل بلاَدِن**[1] هجرا إليها من تَرْشَه منهم اليوم: محمد بن عوض بلاَدِن، له أعمال كبيرة بالحجاز وتجارة واسعه، ومساعٍ مشكورة،

(١) هم المعروفون اليوم بآل بن لاَدِنْ.

ومحاسن مشهوره، فكم كَشَف عن منكوبي حضرموت من غمم، وطَوّق أعناق الكرام بالنِّعم، وله أخ إسمه عبد الله يساعده على إغاثة الملهوف، واصطناع المعروف، وكسب المعدوم، وإغاثة المنكوب، فشكرَ الله سعيهما، وأدام رعيهما، آمين.

عوره:

هي مَصْنَعة دَوْعَن وقلعتها الحربيه، ومسكن أمرائها، وقد مَرّ في ميفعه أن الشيخ الصالح المغربي اجتاز بها، وألبس صاحبها الخِرقه. وجاء في «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك الهمداني[1] ـ الذي كتبهُ أوائل القرن الرابع للهجرة ـ أن موضع الإمام الذي يأمر الإباضيَّة ويَنْهَى كان في مدينة دَوْعَن. وبما أن **عوره** حصنُ دوعن، فالظاهر أنها كانت هي موضع إقامته، ويتأكد بما سيأتي في القرين. ولمّا زرت دوعن في سنة ١٣٤٠ أَلَحَّ عليّ أَمِيْرُها المقدم عمر بن أحمد باصرة في المجيء إليها، فاعتذرت، ولمّا زرتها زيارتي الأخيرة سنة ١٣٦٠ كلّف عليَّ الفاضل الأخ علوي بن محمد المِحضار إجابة دعوة أبناء باصره، ففعلت، ولكنني ندمت ندامة شديدةً إذ لقيت فيها ما لا أقدر على وصفه من المتاعب في طريقها: إنْ ركبت خفت السقوط، وإنْ ترجَّلْت لقيت الجهد. وكان بها مسكن المقدم عمر بن أحمد باصره وهو رجل شهم، وهَّابٌ نَهَّابٌ، يجور على الرعايا، ويبسط جوده لأهل العلم والفضل، فيتغلب إطراؤهم له لدى السلطان غالب بن عوض القُعيطي فلا يؤثِّر عليه ما يصل إليه معه من تظلّم الرعية منه، فتأطر مركزه، وتم له ما يريد. أخبرني غير واحد ممن يوثق بهم أن أحد آل بارضوان كان بالقويره، وكان منحرفاً عن شيخنا الشهير أحمد بن حسن العطاس لأنه كان من أهل حريضه، فزال عنها إلى القويره، وكان يتحرج أن يذهب إلى عند باصره، وفي إحدى قَدْمَاتِ العلامة السيد أحمد بن حسن إلى القويرة، ودعاهم باصره كعادته للضيافة، فذهبوا وعزم الفاضل الجليل السيد مصطفى بن أحمد المحضار على بارضوان أن يجيء معهم، فامتنع أولاً، حتى أَلَحَّ عليه، فصحبهم، ولما انتهوا إلى باصره، قالوا له: حَرِّك بارضوان. فقال له: اليوم جئتَ لَمَّا سَمِعْتَ بِالْهَرِيْس؟. فقال له: أَمَّا هريسك التي جاء لها هؤلاء فحرامٌ عليَّ، ولمّا قَرّبوا

(١) ص ١٧٠.

الغداء وَثَبَ إلى مكانٍ مرتفع عن الناس يوضع فيه فضول الفِراش، فقال له السيد مصطفى: ترتفع على الناس أما تخاف من المقدم؟ قال له: أي مُقَدَّم؟ إن المقدم هو الذي عمد بتربة تَريم، أمّا هذا فما هو إلاّ مقدم الظلم قدّمته أنتَ وأحمد بن حسن لأجل قروشه وهريسه. أو ما هذا معناه أو قريب منه. ولمّا مات المقدم عمر بن أحمد باصرة في سنة ١٣٥٠ أَبقَى القُعيطي العَمَالَة في أولاده، فكثرت منهم الشكاوَى فعزلهم السلطان صالح ابن غالب، ثم رَدّ العمالة إلى عبود بن عوض بن عمر بن أحمد باصره وعَمَّيْهِ أحمد ومحمد، فقال: إنهم ارعووا عمّا كانوا عليه، واستقام حالهم، ولم يجد السلطان من يسدّ مسدّهم سواهم. وقد بنوا في عوره قصوراً فخمة، أجروا إليها الماء من عينٍ أنبطوها بأعلى الجبل، فأرغد عيشهم، ونَعِم بالهم إذ كانوا في قرن الحمار من نقل الماء إلى تلك القارّة التي قُلْت في وصفها من رحلة دَوْعَن:

وَسِـــرْتُ لِـــدَاعـــي عَـــوْرَةٍ فـــي وُعُـــوْرَةٍ
وَعُـدْتُ كَـأَنّـي جِـئْـتُ مـنْ سَـاحَـةِ الْـوَغَـا

وفي عوره جماعة من **آل باشنفر**، لهم تجارة بدوعن وعدن ومصر، وأصلهم فيما يُقال من الشنافر، نجعوا إلى دوعن بأثر حروبٍ تواقعوا فيها مع بعض أصحابهم، وإسمهم ناطق بذلك، وإنما دخل عليه التصحيف ـ الذي يدخل بالأغلب بين الحضارمه ـ على الأسماء والألقاب. ويأتي في قُرَى تاربه بإشتقاق الشنفري.

القرين:

بلد دون الخِرَيْبة وبِضه، ولكنها أكبر من غيرهما، وكان بها مثرىٰ الإباضيّة كما يعلم من كلام الإمام أحمد بن محمد المحضار وغيره، وهي مقر السادة الأبرار **آل البّار**، ومنهم الفاضل العلامة الجليل المقدار عمر بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عمر بن حسين بن علي البار بن علوي شروي بن أحمد باحداق بن **محمد بن عبد الله بن علوي** بن أحمد بن الفقيه المقدم، أخذ عن والده وعن الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، وعن الشيخ العارف محمد بن أحمد بامشموس، توفي سنة ١١٥٧ عن ثمانية عشر إبناً وست بنات، انقرض منهم ستة عن غير عقب، وأعقب خمسة عقباً قليلاً، قد انقرض أيضاً. ومن أولاد عمر: طه وشيخ وعبد الرحمٰن عقبهم بالقرين، ومنهم العلامة عمر بن عبد الرحمٰن الثاني

المتوفي بجلاجل ـ مَرْسى بالحجاز على مقربةٍ من جده ـ في سنة ١٢١٢، إلاّ أنه جاء في موضع من «عقد» سيّدي الأبرّ أن وفاته كانت بالقرين في سنة ١٢١١، وكان معه يوم توفي تلميذاه الجليلان: السيد عبد الله بن علي بن شهاب الدين المتوفى سنة ١٢٦٥، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان.

ومن آل البّار السيد الشريف العلامه أحمد بن عبد الله بن عيدروس، عالم عامل لطيف عفيف، توفي بالقرين سنة ١٣١١، ومنهم أحمد بن عبد الله بن محمد شريف ناسك، ذكرهما شيخنا في «شمس الظهيرة» لأنهما كانا موجودين في سنة ١٣٠٧. ومنهم العلامه السيد حسين بن محمد البّار المتوفي بالقرين آخر الحجّة من سنة ١٣٣١، أخبرني الشيخ عمر بن أحمد باسودان ـ السابق ذكره في الخريبة ـ وكان ضابطاً متيقظاً، قال: عملوا ختماً وطعاماً بأثر وفاة الحبيب حسين بن محمد البّار، وَبَيْنَا المجلس غاصٍ بأعيان العلويين بدوعن ـ لذلك العهد ـ كالسيد مصطفى بن أحمد المحضار وأصحابه، ومحمد وعبد الله وحامد آل علوي البار، والمقدم عمر بن أحمد باصره يُكثر شرب الدُخان، وأنا حاضر، إذْ قيلَ: أَقْبَلَ السيد عمر بن أحمد بن عبد الله البّار، العالم التقي، فتشمَّرَ المقدم واهتمّ، وجمع خاطرهُ، وأبعدَ مداعته، ومسح يده وفمه بثوبه، وتأدب بين يديه، لكنه كان لا يدخل داره، ولا يقبل هديته التي طالما حاوله على قبولها، فصحّ قول الجرجاني:

أَرَى النـاس مَـنْ دَانَـاهـم هَـانَ عـنـدهـمُ
وَمَـنْ أَكْـرَمَـتْـهُ عِـزّةُ الـنـفـسِ أُكْـرِمَـا

توفي السيد عمر ـ المذكور ـ بالقرين في رجب سنة ١٣٣٩، ومن آل البّار ـ أيضاً ـ أخونا العلاّمة الجليل بقية أَرَاكِيْنِ الشرف السيد عيدروس بن سالم بن عيدروس بن سالم بن عيدروس البار، لقد كان عِدَّ جُوْدٍ خِسِيْف، وطَوْدُ عِلْمٍ منيف:

فَـمَـا دَبَّ إلاَّ فـي أَنَـامِـلِـهِ الـنَّـدَى ولَـمْ يَـرْبُ إلا فـي مَـجَـالِـسِـهِ الْـعِـلْـمُ

إلى خُلُقٍ كأنه الروض ظلّهُ الغَمام، أو الزهر بارحه الكمام:

لَـنْ تَـلْـقَ مِـثْـلَ مَـسَـاعِـيْـهِ الَّـتِـي اتَّـصَـلـتْ بـالـصَّـالِـحِـيْـنَ وكَـانَـتْ عَـنْ أبٍ فَـأبِ

له ورع حاجز، وزُهد ناجز، وخوف من الله يحفيه، وجهد في العبادة يُخفيه، إلى نفسٍ سليمة، وسِيَر قويمه، وتواضع يدل لارتفاع القيمة، مع جاه عظيم يبذلهُ لكل كريم، فكم قُضِيَت به مغارم، وبُنِيَت منه مكارم:

وإذَا امُـرؤٌ أَسْـدَى إِلَـيْـكَ صَـنِـيْـعَـةً مِـنْ جَـاهِـهِ فَـكَـأَنَّـهـا مِـنْ مَـالِـهِ

توفي بمكة المُشرّفَة في المُحرّم من سنة ١٣٦٧ فاشتد الرنين، وانْجَدع العرنين، وعظم المصاب، وأظلمت الخصاب:

يَـا دَهْـرُ أَيَّـةُ زَهْـرَةٍ لِـلْـمَـجْـدِ لَـمْ تَـقْـطِـفْ وَأَيَّـةُ أَيْـكَـةٍ لَـمْ تَـخْـضِـدِ

وَكَـذَا الـمَـنَـايَـا لا يَـطَـأَنَ بِـمَـنْـسِـمٍ إِلاَّ عَـلَـى أَعْـنَـاقِ أَهْـلِ الـسُّـؤدُدِ

وله أَخَوَان على قدم الصلاح والعِبَادة والتواضع، وهما أبو بكرٍ وعبد القادر، لم تزل مجالسه معمورةً بهم وبأولاده؛ وهم حسن وعلي وفضل وسالم وعمر ومحمد، وأولاد عمهم حسين وهاشم إبني عبد القادر، ومحمد بن أبي بكر، نسأل الله تحقيق الآمال وإصلاح الأعمال. ومنهم السيد أحمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد البّار وولداه عمر وعبد الله يسكنون الآن برابغ.

وفي القرن جماعات من آل **بامشموس**، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بامشموس، كان من رجال العلم والفضل، والتقوى والعبادة والنور، وكان الشيخ محمد بن ياسين باقيس يقول إن الشيخ محمد بامشموس نظيف الظاهر والباطن فكأنه ملك روحاني، كما أن في القرن جماعات من آل باعامر وآل باجِنيد آل السيد، وآل بامقابل وآل باحمدون وآل بامنيف ولعل هؤلاء من نَهْد.

رحاب:

أخبرني الأخ الأديب علويُّ بن عبد الله الْحِبْشِيُّ وهو من سكانها أَنَّ ولاية رِحَاب كانت لآل عبد الله، ومنهم الأمير «جميل» الذي يخاطبهُ القُطب الحداد بقوله:

يـا جـمـيـل إنَّ سِـتْـرَ الله عـلـى الـخـلـقِ بـاقـي

ولمَّا ظَهَر بدر بن عبد الله بُوطُويرق صالحه آل عبد الله على استقلال داخلي لهم في بلادهم، مع اعترافهم بسلطنته ورئاسته عليهم، وقد شَخُص «جميل» ـ هذا ـ إلى اليمن، ومَثُلَ بين يَدي إمام ذلك العصر: المهدي، فأقطعَهُ رِحَاب وجبالها وأصقاعها، وجعلَ لهم رسوماً على مصانع بِضَه وعوْره. وبيدهم وثيقتان من الأئمة، إحداهما من المهدي، والأخرى ممن بعده، قال السيد علوي: وقد أمروني بنقلهما لمَّا ظَهَرت عليهما آثارُ الأَندثار، فنقلتهما بالحرف. قال: وكان

يركب منهم أربعون فارساً، ولمّا استولى القُعيطي على الوادي الأيمن في سنة ١٣١٧ ياسَرَهُمْ وأعفاهم من الرسوم، وأبقَى لهم بعض الحق في إقطاع السفوح، لمن أرادوا. ومنهم أبو عامر الشاعر المشهور، هذا ما يقوله السيد علوي والعُهْدَةُ عليه، وقد بسطناه مع جملةٍ من أشعار أبي عامر في الأصل.

ويزعم **آل عبد الله** أنهم من بني هلال، فمرجعهم وآل خليفه وآل مَرْخَه ـ السابق ذكرهم قبيل جردان ـ إلى قبيلة واحده. وقد أنكر بعضهم ما اشتهر على الألسنة من هجرة بني هلال من حضرموت إلى المغرب، وليس في محله، ولا سبب له إلاَّ عدم الاطلاع، وإلاَّ فقد كانت خيامهم ضاربةً من الْكَسْر إلى العَبْرِ إلى الدهناء إلى نَجْد، ويتأكد ذلك بما بين أشعارهم وأشعار الحضرميين من التشابه، وكثيراً ما يوجد في شِعر العامّة بحضرموت أنهم غزوا بَرْقَةَ وقابس، والشِعر هو ديوان العرب. وكذلك يوجد تشابه في أسماء الأشخاص ولا سيما النساء والبلدان والبِقاع. ومن أبطال بني هلال المعروفين: حسان بن سرحان، وسلامة بن رزق وهو أبو زيد الهلالي، بطل القصة التي يزعم بعضهم أنها خرافة، وأنه إنما كان السبب في تأليفها رِيْبةٌ حصلت في بيت الخليفة الْعُبَيْدِي بمصر، فأرادوا أن يشغلوا عنها الناس، والحق أن لها أصلاً صحيحاً حققهُ العلامة ابن خلدون، وقال لي بعضهم: إنه اطّلع على رحلة كتبها ماركوبول الإيطالي، ذكَرَ فيها أنه رأى سفن البرتغال راسيةً في الخليج الفارسي تنتظر سكون هيجان البحر، فخالط أهلها، وهم لفيف من عرب شبه الجزيره، فتفرّس أن التشابه بين أشعار عرب الجزيره وأهل المغرب الأقصى ناشىء عن تردد النُوَتِيَّة والتجار من تلك الجهات. أهـ بمعناه ونحن نوافقه في التشابه ونقول أن السبب الأصلي إتحاد العنصر. وسيأتي ما يتعلق به في «وَبَارْ» آخر هذا الكتاب.

وفي رسالةٍ موجودةٍ بخزانة الشيخ عبد الله باعفيف ـ السابق ذكرها في كنينه ـ أن آل باعُوَيْدَيْن وآل باحكم وآل ماضي كلهم من بني هلال، وفيه تأييد لبعض ما أخبرني به السيد علوي بن عبد الله الحِبْشِي.

هدون:

قرية كبيره لها جامع كبير، في شرقيه قبر طويل يُقال إنه قبر هادون بن هود عليه السلام، ولا ذِكْر له في السيرة والتاريخ، ولكن نَقَل صاحب «الإبريز» عن الشيخ عبد العزيز الدَبّاغ أن نبي الله هُوَيد مُرْسَل لأهل الأحقاف، فَذَكَر الحبيب

أحمد بن حسن العطّاس أنه يعني هادون بن هود، وأهل دوعن مُصفقون على ذلك، ولا غرابة فيه مع كثرة الأنبياء بحضرموت، إذْ هي كما قررنا ـ في مواضعه من الأصل ـ مقر الأُمم الكبيره البائدة: عَادْ وثَمُود وأميم وَعبِيْل ووَبَارْ وطسم وجديس وغيرهم، فلا مجال للإنكار، كما لا معول إلاَّ على النص. والذي عند الهمداني[1] أن خَوْدُون ودَمُّون **وهَدُون** قُرىً للصَّدِف بحضرموت، ذكره البكري وضبط هدون مثل دمّون.

وفي هدون جماعة من ذرية السيد عقيل بن عبد الرحمٰن العطَّاس، أخي السيد عمر بن عبد الرحمٰن العطَّاس. وجماعة من آل باعثمان، منهم العلامة الشيخ عمر باعثمان الذي كان موجوداً في سنة ١٣٢٠ وقد استقدمه السلطان عوض سنتئذٍ محمولاً على الأعناق لشيخوخته، وكان الغرض من استقدامه أن تكون فتواه الفاصلة فيما بين السلطان عوض وأبناء أخيه عبد الله، وكل ذلك مُفَصَّل بالأصل. وقد سبق في الرشيد أن السيد عبد الله بن عبد الرحمٰن الحبشي انتقل منها إلى رحاب وبها توفي سنة ١٣٣٠، وهو والد الأخ علوي ـ السابق ذكره ـ وهو أديب كثير النكات والنوادر ومنها أن رجلاً أوصى بثلاثمائة دينار في سبيل الخير فتأثم ولده أن يفرقها خشيه أن يضعها في غير موضعها واشكل عليه الأمر حتى دفعها لبعض القضاة بشرط أن يوصلها محلها فلم يكن من القاضي إلا أن أعطى بِنْتَهُ مائة وزوجته مثلها وبقيت مائة؛ فلما حضر عشاؤه أدنى وعاؤه للهرة فاختطفت قطعة اللحم فقبض عليها وقال لها أَمّا لَحْمي فَلاَ سبيل إليه ولكن عندي مائة دينار للصدقة وأنتِ من مستحقيها فإن أردتِ أن تشتري بها اللحم كان لك ذلك؛ ثم ضغط على أذنها فمأوت بشدة، فقال لها وأنا بعت عليك، فذهبت باللحم وذهب هو ببقيّة الدنانير.

ومن سكان **هدون** آل باشيخ، ومنهم العلامة الجليل التقي الورع عبد الرحمٰن بن أحمد باشيخ، تولى القضاء بالمكلا ودَوْعَن، ومات حوالى سنة ١٣٤٢، وفي حوادث سنة ٦٠٥ من «تاريخ باشراحيل» أن آل عندل هجموا على آل باشيخ فقتلوا عبد الله بن أحمد وأخرجوا باقيهم إلى شِبَام، وكان عبد الملك بن أحمد في شبام. وسيأتي في سيوون عن الشيخ علي باصبرين أن آل باشيخ

(١) «صفة جزيرة العرب» ص ١٦٧.

بسيوون يرجعون في النسب إلى بني العبّاس، والعجب أنه لم يذكر آل باشيخ بدوعن مع قربهم إليه، والظّاهر أنهم قبيلة واحده والله أعلم.

غيل بلْخَيْر:

قرية صغيرة فيها عين قليلة الماء، وفيها المشايخ آل بلْخَيْر المسنوبة إليهم تلك القرية وغيلها، ومرجعهم في النسب إلى أبي الخير ـ أحد ملوك بني عمرو بن معاوية ـ الآتي ذكرهُ في تَرِيْم، وقد نجعوا من تريم إلى الغرفة، وبها منهم بقايا، ثم نجع هؤلاء إلى دوعن. ومنهم الفاضل الشيخ محمد بن محمد بلخير، وردَ إلى سيوون من دوعن وهو في نحو العاشرة من عمره فأواه والدي وتربّى في دارنا، وعنه تَعلّمتَ القراءة والكتابة والدتي الشريفة الجليلة العفيفة نور بنت محمد بن سقّاف مَوْلَى خيله، المتوفية سنة ١٣٤٠، وعليه قَرَأت القرآن، وقد لبث زمناً طويلاً يتعلم الفقه والنحو والعلوم الشرعية على والدي وعلىٰ تلميذه وخادمه الشيخ محمد بن علي الدثني في دارنا، على نفقة والدنا، وكان الشيخ محمد بَلْخَير كثير التوجه والإقبال على التعلم حتى لقد التزم بطريق النذر الشرعي أن لا ينام في كل ليلةٍ حتى يحفظ صفحة من «تحفة العلامة ابن حَجَر» وكنا نتعجب من هذا النذر الغريب في بابه، حتى رأينا ما جاء في ص ٣٤ ج ٢ من «المشرع» عن السيد الجليل أبي بكر العدني ابن سيدنا عبد الله العيدروس من التزامه بطريق النَذْر الشرعي مطالعة شيء من «الإحياء» للغزالي في كل يوم. وكان الشيخ محمد بلخير ـ هذا ـ يتناوب السفر مع إخوانه إلى سنغافورا، ولهم هناك سَدَنة مشهد السيد الصالح نوح بن محمد بن أحمد الحِبْشِي المتوفي سنة ١٢٨٧، وعلى الجملة فآل بَلْخَير بيت علم وعباده، وتقوى وصلاح، وضيافة وشهامه حسبما يليق نسبهم الصميم. ومنهم الآن الشهم النجيب عبد الله بن عمر بَلْخَير، ثقف لقف، شاعر كاتب، أمين شريف النفس، طاهر النحيزة

على خير ما كان الرجال خلاله ... وما الخير إلاّ قسمة ونصيب

أما عوده فأدب وفضل وأما عرقه فشرف ونبل وأما ثماره فعلم وعقل وحسبك من نبله أن من باكورة ثمار أدبه ومخائل نؤ فضله كتاب وحي الصحراء الذي لا بد أن يرتفع عن مستواه بعد ذلك إذا بقي على ممارسة العلم والأدب. وهو الذي اقترح عليّ تأليف هذا.

قرن ماجد:

هو قرية صغيره كانت ولايتها للشيخ عبود أو عبد الله القحوم أحد آل الشيخ عبد الله بن سعيد العمودي، له أخبار عجيبه، وأشعار على لسان العامّه، جزله طريفه منها قوله:

عيني وَجِيْعَه يا هل ليات الظرف وأنكر وجع عيني وقع من يديّ
وان القبيلي قرش لما يصطرف إذا اصطرف ضاعت عليه العدّى

وقد وازنت في الأصل بين هذا وشِعْر لسيد أهل الوبر قيس بن عاصم المنقري فرجح هذا. ومن محاسن شعره وبعضهم يرويه لغيره:

الهرج له شوكه وله ميزان قدام ما يخرج من الحلقوم
وَلي خَرَجْ شاهد على الإنسان مثل الظرف لي قابل التبشوم

والتبشوم هو البارود يكون في أسفل البندق، والظرف ناب الفتيلة المشتعلة إذا لاقت البارود اندفع وصاحت البندقيه ومنه قوله في وصيته لأبنه:

يا الله يا رباه باجزل العطاء عبدك دعاك
خائف رهين الذنب راجي من قبل جودك فكاك

إلى أن قال:

الشده الشده بها طول المدى عامل عداك
ولا يروعك فسل في الوقت العصب يهدم بناك
وان باتخوض الماء تَوَحْ الغَوْط [1] قِدِّمْ لَه عَصْاك
وإدفع بميسورَك ولا تِكْرَهْ إذا الطارِش [2] ضَوْاك

وأهل قرن ماجد يغضبون إذا قيل «اتقوا الله» وسبب ذلك أنه كان لواحدٍ عِلْب «وهو شجرة السدر» في جربة أحدهم فعرض عليه فيه أكثر من قيمته فامتنع فلم يكن إلا أن سرى بأهل قريته فاجتثوه من أصله واحتملوه ولم يتركوا له أثراً

(١) تَوَحْ الغَوط: توح: تحسس، الغَوط: العمق.
(٢) الطارش: الضيف القادم من بعيد.

ـ لا ورقة ولا غيرها ـ ثم أثاروا الأرض من ليلتهم، ولمّا جاء صاحبه تحير في أمره واندهش في نفسه واختلج في عقله وظن أن بصره كذبه ثم صاح: «اتقوا الله يا أهل قرن ماجد أين علبي!». فصاروا يغضبون من ذلك.

الوادي الأيسر من دَوْعَن

وأمّا الوادي الأيسر فأوله على يمين الداخل إليه من أسفل حضرموت، بلدة العرسمه.

العرسمه:

وهي من كبريات قُرى الوادي الأيسر، كان بها ناس من (آل مقيبل) منهم السيد الفاضل المجذوب عبد الله بن أبي بكر مقيبل المتوفي بها سنة ١٢٩٥، ومنها (آل باشِميل) كانوا مشهورين بالعلم والصلاح، ومنهم القاضي المشهور أحمد بن محمد شميل له فتاوى مفيدة جامعه يُقال أنها عند الشيخ عبد الله بن سعيد باجنيد، ومنهم ابنه عبد الله بن أحمد بن محمد باشميل له «رسالة في الحراثة» ذات فصول ممتعه، توفي سنة ١٣٠١، ومنهم ـ الآن ـ سعيد ابن عبد الله شميل، طلب العلم بتريم، وهو الآن مُعَلِّم مسجد العرسمه والمُدَرِّس بها. وفيها (آل باخشب) منهم المكرم محمد بن بو بكر باخشب، له تجارة واسعة بأفريقيا وأوروبا وأميركا ومصر والحجاز، وتصرّف في فنون الأعمال، واتصال بأعاظم الرجال، ووجاهة ظاهرة لدىٰ الملوك فمن دونهم، وشمم يبسط كفه في معالي الأمور إلى حسن طريقه، وصفاء طبيعه، وسعة صدر، وكرم نفس، وصحة دِيْن، وصلة أرحام، وإعانة على نوائب الحق. إلاّ أنني أخاف عليه اندفاعه مع المرؤه مع انتشار اللُوّم، وتراذل الزمان، والناس ما ركبوا ظهراً إلا أدبروه، ولا جواداً إلاّ عقروه، وأكبر مؤرقيه وأعوانه على جلائل أعماله بلديَّهُ الشيخ سالم عبود بلعمش، وهو شاب نشيط له يقظة حاضرة، وذكاء غالب، وتبصّر في الآراء، ونسيم خفيف، وكفايه تامه تزيّنها بسطة في الجسم، وشِدّة في الأسر، وحُسن في البيان. وفي العرسمه جماعه من آل بلّعمش.

جحي الخنابشه:

وهو قريه للخنابشه الآتي ذرو من أخبارهم في آخر قيدون، منهم الآن

الشيخ عبد الله بن سعيد بن سالم الخنبشي، مضياف، وله مرؤه، وفيها ناس من السادة آل مقيبل، منهم السيد الغريب الحال، الطاهر البال، عبد الله مقيبل، الملقب بالنوّام لكثرة نومه، حتى أنه لينام على حماره ويسقط ولا يشعر؛ وله أحوال شريفه منها: أنه تذوكر إشراق النور عند تلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ فقال: وهل ينكر ذلك أحد؟ فقال الحاضرون: هل تقدر أن ترينا ذلك؟ قال نعم، فتوضأ وصلّى ركعتين، ثم أمرهم بأطفاء السُرُج وكان الوقت ليلاً مظلماً، وشَرَع يقرأ: محمد رسول الله والذين معه، فأشرق المنزل بمثل ضياء الشمس، فَبُهِت الحاضرون، ولمّا انتهى الخبر إلى العلامة السيد عبد الله بن هادون بن أحمد المحضار قال لآل مقيبل: لا تلومو صاحبكم على شرب الدخان وإلاّ أوشك أن يطير عنكم. وله مراءي صادقة منها أنه انتبه مرةً منزعجاً يقول: قتلوه قتلوه، فجاء الخبر في تلك الساعة بمقتل يسلم بن عبيان بالقوينص السابق ذكر خبره في الكسر.

ومن آل مقيبل بالجحي الآن السيد حسين بن علوي مقيبل، ومنها الشيخ باحفظ الله السابق ذكره في الرشيد، وكان يحب الخير، وعلى نفقته كان بناء جامعها، وله إتقان تام في القراءات ومعرفة جيّدة بها، وهو صاحب التاريخ الذي قيل ان باصره أخذه ولم يرده، توفي بعْد الثلاث المائة والألف. ومنها صاحبنا الفاضل الشيخ عبد الله بن سعيد باجنيد، طلب العلم بمكة، ووُلّي قضاء دَوْعَن والمُكَلاّ عدة مرات، ودَرَّس مُدةً طويلة بمسيلة آل شيخ، وكان في سنة ١٣٢٥ بحوطة آل أحمد بن زين الحِبْشي يُدَرِّس بها، وله إتساع في الفقه، وبضاعته مُزجاة في النحو، وكان لين العريكة، سهل الجانب، عذب الروح، دمث الأخلاق، واسع الصدر، توفي بالجحي سنة ١٣٥٩ وله ولد إسمه محمد تولّى القضاء بالمُكَلاّ وكان طلب العلم بمصر، ثم فُصل عن قضاء المكلا وجُعِلَ من أعضاء الاستئناف فيها. وآل بَاجِنَيْد منتشرون في رحاب وعدون والجحي والمُكَلاّ وعدن والحجاز، ومثراهم بالخريبه حتى لقد رُوِيَ عن الحبيب حامد بن أحمد المحضار أنه قال: دخلت الخريبة فإذا عالمها بَاجِنَيْد، وقاضيها باجنيد، وتاجرها باجنيد، ودلاّلها باجنيد، وقصابها باجنيد، ونجارها باجنيد، وسائر أعمالها بأيدي آل باجنيد. وكانت الخريبة أَوْلَى بأخبارهم ولكنها تدحرجت علينا إلى هنا، ومنهم اليوم بعدن الشاب الغيور عبد الله بن سعيد بن بو بكر بن عبد الباسط، له دِيْن متين واهتمامٌ بأمر المسلمين، وأخوه المُكَرَّم محمد، وابن عمهم الشيخ

عبد القادر، والشيخ جنيد بن محمد، وكلهم طيبون مشكورون. ومنهم العلامة الجليل الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد وهو أحد أكابر علماء مكة المُشَرَّفة، بل إليه انتهت رئاسة الشافعية بها بعد شيخه العلامة الشيخ محمد سعيد بَابُصيل، وقد أخذنا عن الاثنين. توفي الشيخ عمر بمكة المكرمة سنة ١٣٥٤، وقد سَبَق في الخريبة عن الحبيب أحمد بن محمد المحضار ما يصرح برجوع نسبهم إلى مُضَرْ. ومن النوادر أن الشيخ سعيد بن بو بكر باجنيد عمل للفاضل السيد حسين بن حامد المحضار ضيافةً بداره في الخريبة سنة ١٣٣٧ وما كاد يستقر به المجلس حتى قال له: خَبِّرونا عن نسبكم إلى من يرجع يا آل باجنيد إلى الحبوش أو السواحليّة؟ فلم يزد الشيخ سعيد على أن قال له: هذا جزاؤنا لمّا زوجناك وضَيّفناك. هكذا أخبرني الشيخ عمر بن أحمد باسودان وكان حاضراً، ولو أن الشيخ سعيد بن أبي بكر حفظ شعر الحبيب أحمد المحضار السابق في الخريبه لرماه بحجره.

ثم يأتي من قرى الوادي الأيسر: **(عرض باقار)** ثم **(عرض باهيثم)** ثم **(الجديدة)** ثم **(جِرِيْف)**، وهي قُرى صغيرة كما يُعْرَف من الأحصاء الآتي. ومن جريف السيد محمد بن شيخ باصُرَّه وولده علوي، فاضلان جليلان. وفيها آل باهبرى من الحالكة.

ثم **(صُبَيْخ)** وهي قرية واسعه ـ كما يُعْرَف من الكشف ـ ومنها السيد الجليل جعفر بن محمد العطّاس تلميذ العلامة السيد علي بن حسن العطاس وزوج إحدى بناته، وقد سبق ذِكْر ولده محمد بن جعفر بغيل باوزير. وكانت صبيخ مهد عِلْم ومغرس معارف حتى لقد اجتمع فيها أربعون عذراء يحفظن «إرشاد ابن المُقرى»، وأكثر سكانها من آل **العمودي**، ومنهم الشيخ الوقور محمد بن أحمد **المخشب**، له مساع مشكوره في إصلاح ذات البين، وقد تزعَّم حركة الإصلاح في وادي الأيسر لَمّا اشتد عليهم الجور من أيام الوزارة المحضاريّه، وكان الشيخ سالم عبود **بلعمش** يساعده، وهو لسانه وقلمه، وصلاَ معاً إلى سيون وأقاما بها نحواً من ١٨ يوماً للمفاوضة مع المستشار. وكانت صبيخ تحت سلطة ابن خالد العمودي، وكان مضرب المثل في الجور والظلم حسبما في الأصل، وفي ذلك يقول شاعرهم:

يَا نُوب زنحي عامد الحيد البرق عامد في الغرفه وهي محميّه

لا شيء عسل منه ولاهو ذي فرق يرعى علوب الناس بالغصبيّة

فأجابه بادحدح بقوله:

الدبر والعِثّة يجيبه بالمدا والطير لَخْضَر بايجبيه بالدوام

لا عذر ما تمسي جُبوحه خاليه البُطُل ماله تاليه هو والحرام

والدبر معروف والعِثّة والطير الأخضر آفات النِوْب [النحل]. ثم قُرَى صغيره.

ثم **(تولبه)**: وهي قرية متوسطة، بينها وبين ضريح الشيخ عمر نحو ساعة[1]. وفي رأس الوادي قرية على قلّة جبل مقطوع الرأس من الجهات كلها لا طريق له إلاّ من الجهة الغربيّة في غاية الوعورة، تتراءىَ ديارها الغبراء القليلة كما تتراءىَ طيور القطا، يُقال لها **(حَيْد الجزيل)** مشهورة بزيادة حُسْن عسلها، وهي على مقربةٍ من ضريح الشيخ عمر مَوْلَى خضم ابن الشيخ محمد بن سعيد العمودي الذي يُنْسَب إليه وادي الأيسر كله فيقال وادي عمر، يعنونه.

وأول ما يكوْن على يسار الداخل إلى وادي الأيسر **(حصن الخَنَابِشَه)** ثم بلدة **(الدوفه)** وفيها السادة آل مقيبل، يرأسهم الآن السيد محمد بن أبي بكر وأخوه عبد الله. وفيها آل العمودي، ومنهم الشيخ عبد الله بن عثمان، كان الحبيب عبد الله بن علوي الحداد يُكثر الثناء عليه ويقول: ما نحن مستأمنين بأهل الوِديان إلاّ على السيد حسين بن عمر العطّاس، والشيخ عبد الله بن عثمان صاحب الدوفة. وهو من مشائخ الحبيب علي بن حسن العطّاس صاحب المشهد، ومنهم العلامة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم العمودي. وفي حدود سنة ١٣٦٢ كان النزاع قائماً بين الخنابشة وآل باظفاري من آل العمودي على جريب من الأرض، مِلْكَهُ لآل باظفاري، ونشره للخنابشه، فخرج آل العمودي لحرثه فمنعهم أحد

---

(١) تَوْلَبه: قرية في رأس وادي دوعن الأيسر، تقع في سفح جبل يحيط بها من الجانب الجنوبي والغربي، وبجانبها أرض زراعية تُسْقى من غَيْلٍ هناك، ويغرسون فيها بعض البقول. ومن ساكني البلدة: آل باعقيل السقّاف، وولاتها المشائخ آل محمد بن سعيد، وكذا آل باقادر وآل باقروان وآل بايونس وآل بايزيد وآل باحيدان وغيرهم. وإليها يُنْسَب العلامة الفقيه الشيخ علي بايزيد التَوْلبي الدوعني المتوفي سنة ٩٧٥هـ وهو أول من تولّى التدريس في مدرسة الشِّحر التي أنشأها السلطان بدر بوطويرق، واستمر مُعلماً ومديراً بها إلى أن توفي.

الخنابشة، فلم يبالوا به، فأقبل ثلاثة من الخنابشة لاَقَاهُم إثنان من آل العمودي فاجتلدوا بالعِصيّ ساعة، ثم لم يشعر الناس إلاّ بواحد يمكن خنجره من خاصرة عبود بن محمد بن العسكر العمودي، فكانت القاضية، واختلفت الرواية فقيل: إن عبود هذا من المشتركين في المخاصمة والملاكمة، وقيل: إنما كان من النظّارة فقط، وقد ظل دمه إذ لم يتعين القاتل بالحُجة الشرعية، والتهمة تحوم حول الخنابشة واللوث الشرعي ظاهر، ولكنهم إمّا لا يعرفون القسامة، وإمّا لأنهم لا يرون الأخذ بها تشفيّاً، وإمّا لأنهم لا يرونها كمنفذ. ثم انحطت التهمة على سعيد بن سالم الخضر فأودع السجن ثلاثة أعوام، ثم أطلق سراحه ولكن بعدما تغير مزاجه وانحرفت صحته فلم يعش بعد تخليه سبيله إلاّ مدةً يسيره. وكما اختلفت الرواية في مقتل عبود اختلفت في مبدائه، فقيل: إنه على رأي الإرشاديين كأخيه الشيخ عثمان، وأن لذلك دخلاً في قتله، وقيل: أنه إنما كان يجامل أخاه بالتظاهر بالإرشاد لأنه ولي نعمته، وليس بالجادّ فيه.

ثم (**خيله**) وهي حصون قليله لآل بقشان، ومنهم أحمد وعبد الله بن سعيد بن سليمان بقشان، من الحالكه، لهم أشغال مهمه بالحجاز واتصال أكيد بحكومة الملك الجليل ابن سعود، وعليهم يعتمد في كثير من الأمور، وهم عرضه ذلك أمانةً وكفاية، ثم إنهم لا يُقصّرون في حمل الكل، وإعانة المنقطع، وبذل المعروف، ومساعدة المحتاج.

ثم (حصن باخطيب) ثم

ضْرِي:

زِنَة جْرِيْ، وهو مصدر جرى. وهي من أكبر قُرَى الوادي الأيسر، وفيها آل علوي بن ناصر، سادة من آل شيخان، وفيها ناس من آل باوزير وآل بالبيد وآل باسلم، وناس من السَوَقه، وقد بتنا بها ليلةً في سنة ١٣٦٠ بمنزل المكرم الشهم محمد بن عوض اليافعي في دار جميلة مؤثث بالآثاث الطيب في دار قوراء جديدة العمارة على أحسن طراز، وهو الذي إليه الإشارة في الرحلة الدوعنيه بقولي:

وَبِتْنَا بِضَرِيٍّ عِنْدَ حُرٍّ مُهَذَّبٍ ... يِتَاجِرُ لَكِنْ قَيْلَ لِي: مَاتَوَرَّعَا

حوفه:

فيها جماعة من ذُرِّيَّة السيد عبد الله بن عبد الرحمٰن الجِفْري، قال شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة»: ومنهم الآن ـ يعني سنة ١٣٠٧ـ أحمد بن محمد بن أحمد الجفري، شريف متواضع. اهـ. وهو جدّ السيد أحمد بن محمد الجفري الذي يعمل الآن في «بيرامبارك» بسيوون لِلْمُكَرَّم سالم باحبيشي، وهو سيد لطيف نشيط متواضع مطرب الحداء جميل الصوت يحفظ كثيراً من القصائد النبوية والصوفية. ومنهم السيد صافي بن عبد الرحمٰن بن صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن عبد الله بن عبد الرحمٰن مَوْلَى العرشه، ذكره في «شمس الظهيره» وقال: إنه ذو جاه وحشمه وثروه. اهـ. وقد نجعَ من **حوفه** إلى المدينة المُشَرفة ولم يكن له عمل إلاّ الإنشاد على ضرب الطار، حتى ضمه حفل مع شيخ السادة بها، وهو السيد الجليل عبد الرحيم بن سالم ـ الآتي ذكره في اللَّسك ـ فلم يرقه أن يكوْن علويّ قوّالاً فأخذه إلى بيته وعاتبه فاعتذر بالحاجة، فقال له: إلزم بيتي وأنا أكفيك المؤنة، ففعل وخدم بنشاط، فأحبه وزوجه من بنته آمنه، ولم يزل معه في حال طيب حتى جاء الأمر من السلطان عبد المجيد باستقدام شيخ السادة هذا ـ أو السيد المُجْمَع على صلاحه وولايته ـ عمر بن عبد الله الجفري للتبرك بأحدهما والصلاة خلفه، فلم يرغبا في ذلك، ولم يكن بُدّ من إجابة الطلب فبعث ـ شيخ السادة ـ بختنه السيد صافي، فكان له هناك جاه واسع حتى أن السلطان أطلقَ يده في تحف القصر، فكان في جملة ما أخذ: سِتَّةَ صحونٍ من الذهب مرصعةً بالجواهر، قُوِّمَت في تَرِكَتِهِ باثني عشر ألف جنيه. وبأثر رجوعه إلى المدينة أَمَر السلطان عبد المجيد بزيادته المعروفة في الحرم الشريف، فكانت النفقه على يد السيد صافي، فابتنَى له عدة قصور شاهقه، وتأثّل أموالاً طائلة كان بها أغنى أهل المدينه، إلاّ أنّ الأيام تُذَكِّرُهُ بما كان فيه أولاً فلم تنبسط يده في معروف، ثم لم يُحْمَد المآل بينه وبين وليّ نعمته السيد عبد الرحيم، فأبعده السلطان عبد الحميد عن المدينة، ثم لم يقدر على الرجوع إلاّ بعد انحلال دولة السلطان عبد الحميد بعد أن خَرّف وذهب أكثر شعوره، وبها مات عن مائة وعشرين عاماً.

وفي **حوفه** جماعة من أعقاب السيد عقيل بن سيدنا عبد الرحمٰن السقّاف،

منهم عقيل بن أبي بكر. ومن **حوفه** (آل باحبيشي) نجعوا إلى أسمره، ومن ذريتهم بها الآن ـ يعني ١٣٦٦ـ أحمد وعمر وسعيد وسالم بنو عبيد باحبيشي، لهم تجارة واسعة، وثروة طائلة، ومآثر كريمه منها مكتبةً بنوها إلى جانب جامع أسمره، جمعوا لها نفائس الكتب وأعز دواوين الإسلام، ومن محاسنهم إجراء عين ماء إلى حوفه، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق وجلائل الأعمال، ولكبيرهم أحمد شجاعه وصرامه وشهامه، وبُعد عن الذل، واحتمال الضَيْم، ولسالم تعلق بالصحف والأخبار إلى تواضع عند الجميع.

وفي **حوفه** جماعة من (آل باضريس) يتفقون في النَّسَب مع أهل الغرفه منهم الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الله بن علي باضريس، كريم الخيم، نقي الأديم، طاهر السيره، أبيض السريره، نجعَ إلى مكة المشرفة من نحو سبع وأربعين عاماً، يحترف بالتجارة، ومع ذلك فقلَّما فاتته فريضه في المسجد الحرام أو تخلُّف عن الحج، مع مشاركة في العلم، بارك الله فيه وفي أولاده وبلغنا وإياهم الآمال، في خيراتٍ والطاف وعافيه. وعليه كان نزولي في سنة ١٣٥٤ فبالغَ في راحتي وسهر على خدمتي حتى كأنني في أهلي، فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجازيه عني بأفضل الجزاء وأن يتقبّل ذلك منه بفضله وجوده

وفي **حوفة** كثير من (آل باعيسى) العموديين، وهي مقر (آل بلّحمر) ومنهم المقدم الحالي سعيد بن عمر بلّحمر، صاحب الرئاسة العامّة على جميع سَيْبَان، وقد فصّلنا أخباره في الأصل ويأتي شيء منها في قيدون.

وقد سبق في دوعن أن أحلنا على ما هنا في تسمية (دَوْعَن) بهذا الإسم، قال الطيِّب بامَخْرَمه: ودوعان مركّب فـ (دو) بكلام فارس عدد اثنين و(عان) المعد المرتفع من الأودية وهذان العانان أحدهما يمنه والآخر يسره، فالأيمن مدينة «الخِرَيْبة» وقد تقدم ذكرها في حرف الخاء، والأيسر مدينة «الدوفه» وسيأتي ذكرها في هذا الحرف. وقد أغفلنا كثيراً من القرى الصغيرة في الواديين لِقِلَّة الأهميّة، ولكني كَلَّفت الولد الفاضل محمد بن سالم بن حفيظ بن عبد الله بن الشيخ أبي بكر بن سالم مع زيارته الأخيرة إلى دَوْعَن أن يسأل أهل الخبره ويكتب لي ما يتلقّاه عنهم، ففعل كما تراه في الكشف الذي يلي:

اسم البلد	عدد السكان بالتقريب	القبائل الساكنة من سادة ومشايخ وغيرهم السُكّان
كوكه	٣٠	قبائل من الحالكة يقال لهم البلاغيث
خديش	٥٠٠	آل بروم سادة، وآل العمودي، وناس من الحالكة، وسوقه
بلاد الماء	٧٠٠	آل بروم، وآل خرد، وآل العمودي، وحالكه، وغيرهم
بصنه	٣٠٠٠	آل العطاس وآل خرد وآل الجفري، وآل العمودي وغيرهم.
حصن عبد الصمد	١٥٠	آل خرد، وآل العمودي، وغيرهم.
الجبيل وقرن باجندوح	٥٠٠	آل الشيخ بو بكر بن سالم، وآل باقيس، وقثم، ونوّح، وغيره.
مطروح	٦٠٠	آل باجمّال، وقثم، ونوّح
عرض باسويد	١٠٠	نوّح
ظاهر	٢٠٠	نوّح
حزم آل خالد	٢٠	آل العمودي
حويبه	٢٠	أخدام آل المحضار
حلبون	٥٠٠	آل باقيس، وآل باجبع، وحضَر وعبيد
القويرة	٩٠٠	آل المحضار، وآل باحسين، وآل باجبع وغيرهم
الرشيد	١٠٠٠	آل الحبشي، وآل باناجه، وآل بازرعه، والخامعه
باشعيب	١٥	الخامعه
حصن باعُوم	٧	آل باعُوم
ذي يجور	١٠٠	مشائخ يقال لهم آل محسن
الخريبه	٣٨٠٠	آل البّار، وآل العطّاس، وآل الجفري، والباهارون.
عرض آل منصر	٦٠	آل العمودي، وحَضَر
حصن خشامر	١	ليس فيه إلاّ امرأة واحده من آل العمودي
قرن باحكيم	٨٠٠	آل باحكيم، وآل باحشوان، ودار من آل العطاس، وسَوقه
الحسوسه	٤٠	آل باشحبل، وآل بامعلم، وسوقه
حصن تنسبه	١١	فارغ

قرحه آل باحميش	٢٠٠	آل باحميش، وغيرهم من الحضَر والعمّال
غيل باحكوم	٦٠	آل باحكوم
قرن ماجد	١٧٠	آل العمودي، وسَوقه
غيل بلخير	٢٠٠	آل بلخير، وآل باطرفي
قارة الخزب	٥٠	آل بافنع
خسوفر	١٧٠	آل بَغْلف وسَوَقه
حصن الجبوب	٣٠	قثم
هدّون	٦٠٠	آل باشيخ، وآل باخشوين من سيبان، وحَضَر
رِحَاب	١١٠٠	آل الجفري، وآل الحبشي، وآل باعبد الله، وآل شماخ، وغيرهم.
القُرين	١٧٠٠	آل البّار، وآل بلفقيه، وآل بامشموس، وسوقه
عوره	٦٠٠	آل باصره، وآل باشنفر، وسَوقه
الشق الشرقي	٧٠	الخامعة من سيبان
باجاس	٥	من سيبان
شويطه	٥٠	من سيبان
حصن باقعر	٣٥٠	آل باسودان، وذيابنه، وآل باقعر، وآل بن زيد
حصن باحكيم	٠٠	فارغ
حصن المكعمه	١	جندي واحد
حصن باصم	٢٠٠	آل باصم من نوّح
مَنْوَه	٤٠	أخلاط
رباط باعشن	٢٥٠٠	آل العطاس، وآل الحامد، وآل الصافي، وآل باعشن، وآل باسندوه، وغيرهم.
جحي الخنابشه	٤٥٠	آل مقيبل ساده، وآل باجنيد، والخنابشه من سيبان
عرض باقار	٦٠	آل باقار من قبائل بني حسن
عرض باهيثم	١٠٠	آل باهيثم
الجديده	٢٢٠	الخنابشه
جريف	٠٠	ساده من آل باصرّه، وآل باهبري، وغيرهم
صبيخ	١٠٠٠	آل العطاس، وآل العمودي، والحالكه والخنابشه، وغيرهم.
حصن بقشان	٧٠	آل بقشان من الحالكه
المشقعه	١٥٠	آل باوزير

حصن بعسر	٤٠	آل بعسر من سيبان
حصون ابن العمر	٥٠	آل باسعد من الحالكه
توليه	٥٠٠	آل باعقيل، وآل العمودي، وغيرهم.
حيد الجزيل	١٥٠	آل العمودي
حصن الخنابشه	٦٠٠	الخنابشه من سيبان
الدوفه	٩٠٠	آل مقيبل، وآل جمل الليل، وآل العمودي، والخنابشه، وحالكه
خيله	١٥٠	الحالكه من سيبان
ضري	٧٠٠	آل علوي بن ناصر، وآل باوزير، وغيرهم
حوفه وعرض الحمران	١٥٠٠	آل الجفري، وآل السقاف، وآل المحضار، وآل باصره، وآل العطاس، وآل العمودي، وحالكه من سيبان، وغيرهم
خليف آل باعبود	٥٠	آل العمودي

صيف:

هي بلدة عجيبة يُقال إنها **سُمّيت باسم قبيلة من حمير يُقال لها صيف كانت** تسكنها في سالف الأيام، لها جامع لا يوجد له نظير بوادي دَوْعَن في حُسن عمارته. ولها ـ أعني صيفاً ـ ذِكْر في كلام الجدّاد وثناء عليها حتى أنه هَمّ بالانتقال إليها. ولها قلعة صعبة المُرتقَى يسكنها الشيخ باعلي من ذرية الشيخ علي بن سعيد بن عيسى العمودي، وهو شيخ شهم رحب الجناب، واسع الصدر. وفيها كثير من **آل العمودي**، وناس من آل **جمل الليل**، وجماعة من السَّادة **آل البلخي** نجع جدهم ـ وهو السيد عمر بن حسين ـ من بلخ إلى حضرموت وأقام في وادي بن علي، وبه توفي، ثم تفرق أولاده فمنهم من سقط إلى غرفة آل باعبّاد، ومنهم من ذهب إلى صيف، ثم تفرقوا في بلاد الله، ومنهم الآن جماعة بمكة المُشرّفة وفيها جماعة من **آل باناعمه** أصلهم من سيوون، وأول من سقط منهم إلى صيف: **الشيخ سالم باناعمه**، نجع إليها بإشارة الشيخ عبد الله بن عمر الطيار العمودي، ومن اللطائف أن أحكام العادة والأعراف ترجع في سيوون إلى آل باناعمه، ومن آخرهم بها الشيخ بو بكر بن أحمد باناعمه، وقد انتهت في صيف إلى الشيخ أحمد بن سالم باناعمه فأطلق عليه لفظ العَادة، ومن أعقابه اليوم عبد الله وسالم إبنا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سالم، يسكنون مكة

المُشرَّفة، ولهم بها تجارة ومَبرَّات وصِلات، وحظ عبد الله من الصلاح أوفىٰ وهو مستويّ السر والعلانيّة، وسالم على جانب من الخير إلاَّ إن فيه مافي الناس، وآل باناعمه ينتسبون بالخدمة إلى آل الحداد، وقد جاء في رحلة الحبيب حسن بن عبد الله الحداد إلى الحجاز قوله: وقدمنا من الحسيسة الخادم عوض بن شعيب إلى سيوون يُعْلِم الأخدام المباركين آل باناعمه بأنا واصلون إليهم.

وسكان **صيف** لا يزيدون الآن عن ألف وثمانمئة، وهي قفل دوعن ولها ذِكْر كثير في التاريخ، وقد رُويَ عن الشيخ عمر بامَخْرَمه أنه قال لبدر بُوْطُويرق: [حاذر على صيف؛ شِف مادوعن إلا **بصيف**]. في حديث طويل مستوفى بالأصل عليه أثر الانتحال. وكانت في القرن العاشر ككثير من بلاد دوعن تحت حكم **ثابت** بن علي النهدي وفي سنة ٩٤٥هـ خرجَ أهل صيف عن طاعته وعدَّلوا صيفاً للسلطان بدر بُوْطُويرق فأهداها بدر للشيخ عثمان العمودي، ثم ما زالت الحرب سجالاً بينهم حسبما في الأصل. ومن وراء صيف إلى جهة المغرب على نصف ساعة بلاد (**قيدون**). ويحيط بصيف كثير من حصون الحالكه، كالمشرقي وحصن بوحش وحصن بن الزِنُو وفيه الشيخ سالم بن أحمد بن عبود وولده، ولهما شهامة واعتناء بإكرام الضيف وبُعْد النظر، وإلى سالم هذا يرجع الحالكة في كثير من شؤونهم.

وفي شرقي **صيف** مسيل الواديين الأيمن والأيسر، ثم (فيل) وهي قرية صغيره يسكنها آل العمودي، ومنهم العلامه الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الله باجمّاح المتوفى سنة ١٣٥٤، له مؤلفات كثيرة، وأكثر أخذه في سروايا عن العلامة السيد أحمد بن طه بن علويّ السقاف المتوفى بسيوون سنة ١٣٢٥.

قيدون:

هي من قدامَى البلاد، وهي موطن الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، وهو والفقيه المقدم أول من سلك طريق التصوف بحضرموت، وقد ترجمه غير واحدٍ من أهل العلم كالشرجي في «طبقاته» واليافعي في «تاريخه» وصاحب «المشرع» وعبد الله بازرعة، وممن ألّف في مناقبه الشيخ علي بن عبد الله باعكابه الهيننى والشيخ عبد الله باسودان، وكان صادعاً بالحق لا يخاف فيه لومة لائم، وكان كثير التردد على حضرموت حتى لقد قال السيد علي بن حسن العطاس في كتابه «القرطاس»: لا إله إلاّ الله عَدَد خروج الشيخ سعيد بن عيسى العمودي إلى

حضرموت، ولم يزل يُسَلِّك الطالبين ويُوْصِل الراغبين إلى أن توفي بقيدون سنة ٦٧١هـ[1]، وخَلَفَهُ على منصبه ولده الشيخ محمد بن سعيد، وما زال أبناؤه يتوارثون منصبه حتى انتهى إلى دولةٍ ورئاسةٍ دنيويّه، فاختلفوا وانقسموا ـ كما سبق في بِضَة ـ وَجَرت بينهم وبين آل فارس النَّهْدِيِّيْنَ وبينهم وبين السلطان بدر بُوْطُويرق الكثيري حروب، وتقلّبت بقيدون الأحوال حتى لقد خُربت حوالي سنة ٩٤٨ من كثرة ما أخذ بدر بُوْطُويرق الكثيري من أهلها من الضرائب، ولم يبق فيها إلاَّ ستة ديار وهرب الباقون من أهلها إلى صيف، وهنا شاهد على أن صيف لم تكن إذ ذاك في حوزته، وجرت بين آل العمودي وأعقاب بدر إلى أيام السلطان عمر بن جعفر الكثيري ـ المتوفي بِعُمَان أوائل القرن الثاني عشر ـ أحوال كثيرة ذكرنا بالأصل نتفاً منها كافيةً للتعريف.

وفي **قيدون** صهريج واسع يحفظ لأهلها ماء السيل مدّةً طويلةً، والوثائق التي بأيديهم عن أوقافه ناطقةً بأنه من عمارة السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري، السابق ذكره في بضه، والآتي في ثبي وغيرها.

وقد أنجبت **قيدون** كثيراً من العلماء والفضلاء، وكان السيد يوسف بن عابد الحسني ـ أحد تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم ـ يُدَرِّس بها علم التوحيد أوائل القرن الحادي عشر. ومن علمائها في القرن العاشر الشيخ محمد بن عمر مُعَلِّم، له ذِكْر في مجموع الأجداد، ومنهم الشيخ عبد الله بن سعيد العمودي في أيام القطب الحدّاد، وقد امتحنه بشرح خطبةٍ معقدة فشرحها شرحاً جميلاً قَضى له فيه القطب الحداد بالنجاح. وفيها من ذُرِّيَّة السيد محمد بن عبد الله بن علوي الحداد: الفاضل الصالح الحسن الخط عمر بن أبي بكر المتوفي بها، وخلفه إبنه الناسك الكريم طاهر بن عمر الحدّاد المتوفي بها سنة ١٣١٩، كان آيةً في حفظ القرآن، وكانت في لسانه حَبْسة شددة، حتى لقد أراد أن يعقد لإحدى بناته فلم ينطلق لسانه إلاَّ بعد الفراغ من الطعام وكانت العادة والسُنَّة تقديم العقد عليه، فلم يؤخره إلاَّ إضطراراً، ولكنه متَى شرع في القراءة في الصلاة أو خارجها اندفع بسرعة السهام المُرْسَلة. ولمّا مات ولده محمد تحاشَى الناس عن إخباره لأنهْ الأمر العظيم، لكنه لم يَظْهَرْ ـ بعدما أخبروه ـ إلاَّ بأكمل ما يكون من مظاهر

---

(١) في هامش الأصل ما نصه: (وقصته مع الشيخ أحمد بن الجعد مع وصوله إلى حضرموت، مشهوره، وقد ابتلى أثرها بالجذام إلى أن وافاه الحمام).

الرضا التام فلم ينزعج، ولم يتغير، ولم يحل حَبْوَتَهُ وما زاد على الاسترجاع والاستغفار للفقيد والترحم عليه فذكرت ما رواه أبو نعيم وغير أنه لما مات عمر بن ذر جاء أهله يبكون إلى أبيه فقال لهم: مالكم أنا والله ما ظُلمنا ولا قُهرنا ولا ذُهب لنا بحق ولا أخطىء بنا ولا أريد غيرنا وما لنا على معتب، فلمّا وضعه في قبره قال: رحمك الله يا بنيّ لقد كنتَ بي باراً وكنت عليك شفيقاً وما بي من وحشه ولا إلى أحد بعد الله فاقه ولا ذَهبْت لنا بعز ولا أبْقَيْت علينا من ذُل ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك.. يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرتَ إليه ليت شعري يا ذر ماذا قيل لك وماذا قلت.

وكذلك الحبيب طاهر لم يزل على الترحم على ولده ولااستغفار له. أمّا ولده محمد بن طاهر الحداد فقد كان طود المجد الراسخ، وركن الشرف الشامخ، تتحير الفُصحاء في أخباره وتندقّ أعناق الجياد في مضماره:

منتقل من سؤدد في سؤدد مثل الهلال جرى إلى استكماله

ولم يزل يتوقل إلى العُلَى ويتسنم معارج الغرف:

ويبيت يحمل بالمكارم والعُلى حتى يكون المجدُ جُلَّ منامه

لا يَصْعَد قُلَّةً إلاَّ أرتَقَى ذراها ثم اندفع إلى ما وراءها

ما زال يسبق حتى قال حاسده له طريق إلى العلياء مختصر

ينقطع دونه الكلام وتتحير في وصفه الأقلام:

لام أَجْرِ غايةَ فكري منه في صفةٍ إلاَّ وجدتُ مداها غاية الأبد

له هِمَمٌ تَنْفَسِخُ منها الجبال فضلاً عن قوائم الرجال:

همة تنطح النجوم بِرَوْقَيْـ ـها وعِزٌّ يقلقل الأَجْبَالا

وقد بلغ من شهامته وكِبَر همته أنَّه كان يحاول إغناء العلويين بحضرموت من أدناها إلى أقصاها مع ما تحمّلَهُ من الديون التي أثقلت كاهله، أشار عليه أبوه ـ من أجلها ـ أن يتوجه إلى حيدرآباد، وكان له بها قدر عظيم، وشأن فخيم، وأسلم على يده كثير من الناس، إلاّ أنه كان بين جنبيه نفس عظيمه غالَى بها عن الكرام حتى لم يكن الطغرائي إلاّ كالسُّوقَة في جنب الملوك، حيث يقول:

غالي بنفسي عرفاني بقيمتها صنتها عن رخيص القدر مبتذل

فوقع بذلك وبموافقته للعلامتين: أبي بكر بن شهاب ومحمد بن عقيل في الإعراض عن السلطان عوض بن عمر القعيطي، بعد أن لاقاه واستعد لإنزاله في قصره، وعمل لقدومه ضيافةً عظيمة، فتركها، وكان في ذلك تمهيد السبيل لمن كان يحسده من العلويين، ففتلوا في الذرَى والغوارب لفشله، فلم يقع له ما يروم من أمله، ولم يتيسر قضاء دَيْنِه إلاّ بعد انقضاء أجله. ومنهم ـ حسبما يتعالم الناس ـ حسين وحسين وأبو حسين. ولا أدري كم كان عدد العلويين يومئذٍ بحضرموت؟. أمّا في زمان القطب الحدّاد فقد ذكر ابن حميد في «تاريخه» أنها وصلت دراهم من الهند للعلويين فأمر الحداد بأحصائهم في سنة ١١١٨هـ فبلغوا نحواً من ألفين بِعَدِّ الصغار والكبار والذكور والإناث، من السوم شرقاً إلى هينن غرباً، والعجب أنهم لم يُدْخِلوا دَوْعَن مع أنها من حضرموت، فلعلّ الدراهم مخصوصةٌ بأهل هذه الناحية وإلاّ أشكل الأمر. وأمّا في سنة ١٢٠٢ فقد بلغ عددهم عشرة آلاف، إذ جاءت صِلَة صاحب المغرب ودفعوا لمن بدوعن ومن بالشحر ومن بأسفل حضرموت حسبما فصّلناه بالجزء الأول من الأصل[1]. وفي حدود سنة ١٣١١ أصفق العلويون، ومنهم سيدنا الأستاذ الأبرّ فمن دونه، على

---

(١) جاء في هامش المسودة ما نصه: (ولا إشكال لأن الاعتبار إنما هو بما أنحط عليه اعتمادهم باجماعهم آخراً، وقد أُحضرت الأنفس الشُحَّ في صلة المغربي، وهي متأخرة عن تلك، والعلماء في أيامها أكثر، ولا شك أنهم مطّلعون على ما كان أيام القطب الحداد من مثل ذلك، فلا مجال للشك لاسيما وأن القطب الحداد من أهل الاجتهاد لا يتقيد بمنقول المذهب، بخلافهم، ومن كتاب «سيرة السيد علي ابن شيخ بن محمد بن شهاب» للشريف سرور بن مساعد بن حسن صاحب مكة ـ بتاريخ ١١٩٩ـ يقول: وصلَت الدراهم وقدرها ثمانون ألف ريال فَفُرقت على جميع السادة القاطنين بحضرموت من ثمانية ريال إلاّ ربع، وتحديد حضرموت من «عين بامعبد» إلى «ظفار». وقد اتفق العلويون إذ ذاك على تفويض الأمر في قبض الدراهم وتحرير مشجر للعلويين ـ على حسابها ـ إلى السيد علي بن شيخ بن شهاب، وأمضى في أعلى المسطور السادة: سالم بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر سالم، وأحمد بن عبد الله بن محمد بن علي العيدروس، وصادق بن شيخ العيدروس، وسالم بن صالح العطاس، وحسين بن علوي هاشم، وحسين وعبد الله إبني أحمد وحسين وزين وأحمد بنو حسين بن أبي بكر، وأحمد وعلي ابني محسن، وأبو بكر بن علي وكافة آل حسين بن علي العيدروس. وفي أسفله: حسين بن أحمد بن سهل جمل الليل، وأحمد بن حسن بن عبد الله الحداد، وعمر بن أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد، ومحمد بن حسن بن محمد مولَى خيله، ومحمد بن أبي بكر العيدروس، وإسماعيل بن عيدروس بن علي بن عمر بن حسين، وعلي بن شيخ بن شهاب، وطالب بن حسين بن عمر العطاس، وعبد الرحمٰن بن حسين العطاس، وعمر بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه، وهارون بو علي الجنيد، وأحمد بن جعفر=

تقديم صاحب الترجمه السيد محمد بن طاهر الحداد، فوضعوا في كفه لواء نقابتهم وعلى رأسه عصابة شرفهم، وعلى منكبه رداء زعامتهم، واسجلوا له بذلك على أنفسهم، وكتبوا بذلك عهداً وثيقاً، فكان كما قال ذو الرمَّة:

وما زِلْتَ تَسْمُو للمعالي وتجتني ... جنى المجد مُذْ شُدَّتْ عليك المآزِر

إلى أن بلغتَ الأربعين فأسندت ... إليكَ جماهير الأمور الأكابر

فأحكمتها، لا أنت في الحُكْمِ عاجزٌ ... ولا أنت فيها عنْ هُدَى الحق جارُ

وقد كتب إليه السيد الشهير علي بن محمد الحبشي بأنه من تلاميذه وأنه داخل تحت دائرته، وإن لم يشعر، فبالغ في إنكار ذلك والتنصل منه، وجرت بينهما في ذلك مكاتبات. وجرت بينه وبين علاّمة جاوا السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل بن يحيى مناقضات في الأوتار لأن الحداد كان يحضرها والسيد عثمان يتشدد في منعها، وقد بَسَطت القول في «بلابل التغريد» عن هذه المسأله بما لا يوجد في سواه، وكان يتواضع أشد التواضع بين يدي استاذنا وأستاذه الأبرّ عيدروس بن عمر، وتقدّم إليه بأسئلة جزله تدل على صدق حال وغزارة ماده، فأجابه الأستاذ بأفضل جواب. وقد كان ما اشتهر من محاسن هذا الحبيب وملأ سمع الأرض وبصرها يملؤ قلبي حسرةً إذ لم يُقَدَّر لي الاجتماع به، مع قدومهِ ذات مرةٍ إلى سيون وأنا موجود، وقلّ من زارها من أهل الفضل إلاّ عاج على والدي في مكانه «علم بدر» الذي انجمع فيه بالآخرة عن الناس، بل لا يوجد من يتخلف عنه إلاّ من يتودد إلى طائفة باطريح الذي يصدون البسطاء من الناس عن سبيل سيدنا الأستاذ الأبرّ ووالدي ومن على شاكلتهم، خشية أن لا يروا عند أحدٍ منهم ما يزيد على فضل السيد علي بن محمد الحِبشي، الذي يحاولون حصر فائدة الجاه وفضل التفرد عليه، ومعاذ الله أن يكون سيدي محمد بن طاهر هناك وهو الفحل لا يقرم أنفه، ولكني لا أتصوَّر زيارته لوالدي مع أني لم أفارقه إلا للحج سنة ١٣٢٢ وما كنت لأنسى زيارته لو كانت، وأنا أحفظ كل من زاره من

= ابن أحمد بن زين الحبشي، وعبد القادر بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، وخادم الشّرع بتريم عمر بن إبراهيم المؤذن بافضل، وطالب بن عوض بن يحيى، والمكتوب إليهم من أمين الدراهم عبد الله بن حسين بن سهل، وسالم بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر، ومحمد بن أبي بكر بن محمد بن عبد الرحمٰن العيدروس، ومحمد بن عبد الرحمٰن العيدروس، وأحمد بن حسن بن عبد الله الحداد، وحامد بن عمر بن حامد، وعلي بن شيخ بن شهاب).

أهل العلم والصلاح منذ الرابعة من عمري، لأنه يقدمني إليهم ليبركوا عليّ ويُلبسوني لأقرأ عليهم شيئاً من القرآن أو حديث معاذ في العالم. وعَلَّ وصوله حضرموت صادفَ مَرَضِي الشديد في سنة ١٣١٣، فإن كان كذلك فقد إنحلّ الإشكال. وبعد انصرافه من الهند انحدر إلى جاوا وأدركته المنيّة بإحدى مدنها في سنة ١٣١٦ عن اثنين وأربعين ربيعاً، فكان كما قال حبيب:

فتىً يبسط حب المكرمات بلحمه ... وخامره حق السماح وباطله

فتى جاءه مقداره واثنتا العلى ... يداه وعشر المكرمات أنامله

فتى ينفح الأيام من طيب ذكره ... ثناء كان العبال الورد شامله

وعلى قبره من المهابة والجلالة ما يُذَكِّر بقول الأول:

على قبره بين القبور مهابةً ... كما قبله كانت على صاحب القبر

وقد تقيّض فريقه، وانتهجَ طريقه، ولده الفاضل علوي فلقد أحيى قدته وأعاد جدته، وأطال مدته وأبقى جوده ونجدته، إذ لم يزل طويل العماد كثير الرماد، قريب البيت من الناد:

ينميه في قلل المكارم والعلى ... زهرٌ لزهر أبوّة وجدود

فرع من النبع الشريف إذا همو ... نسبوا وفلقة ذلك الجلمود

ويُذْكَر أخوه الحسين بجودٍ غزير وفضل كبير، يأتي فيه بحق قول الشريف الرَّضي:

لو أن عين أبيه إليه ناظرةٌ ... تعجَّب الأصل مما أثمر الطرف

أعاننا الله وإياهم على المروءة والجود بمنه وكرمه، ومن الأسف أن تستأثر «جاوا» بأمثالهم مع فقر حضرموت إليهم، ولكن الأمر كما قال حافظ:

كم غادةٍ في ظلام الليل باكيةٍ ... على أليف لها يُهوى به الطلبُ

لولا طلاب العُلى لم يبتغوا بدلاً ... عن طيب ريَّاكِ لكن العلى تعبُ

وكان السيد عبد الله بن طه بن عبد الله بن طه بن عمر بن علوي بن محمد **الحداد**[1] يتردد من الحاوي إلى **قيدون**، ولهذا السيد أحوال غريبة ودعاء

(١) انظر ترجمته في «لوامع النور» ١/ ٢٧٣.

مستجاب، يأخذه عند ذِكر الموت حال عظيم يخرجه عن حسه ويذهب به هائماً على وجهه. وعلى قريب من حاله كان ولده الدّاعي إلى الله محمد المتوفي بسيوون أوائل سنة ١٣٢٤ وكان عيشه على قدم التوكل، ولا تخلو عصمته عن أربع زوجات، وله نوادر منها أنه تعشَّى عند أمه في «حوطة آل أحمد بن زين» فقال لها: أريد السمر عند بعض الأخوان، فقالت له: خذ معك مفتاح الدار حتى لا توقظني بقرع الباب، فعنَّ له أن يذهب إلى الفَجِيْر ـ على نحو تسعة أميال من الحوطه ودون الميل من سيوون ـ ولمّا وصلها كره أن يزعج أهلها بالقرع والنداء، فعمد لجذعٍ طويل ألفاه هناك، فتسلق عليه منزل زوجته إبنة السيد شيخ بن أبي بكر مَوْلى خيلهً، ولمّا قَضى وطراً منها اشتاق إلى سيوون فحمل الجذع وتسوّر به على بيت امرأته الأخرى بها، وهي أم السيدين إبراهيم وموسى آل الحبشي، ولمّا أخذ منها مأربه عاد أدراجه يرد الجذع إلى مكانه بالفجير، ثم سرى ولمّا كان بالغرفة دخل جامعها فاغتسل وصلى ركعتين ثم أَدْلَج إلى الحوطه، ولمّا وصلها عرف أنه نسي المفتاح بجابية جامع الغرفه فرجع له وأخذه من الميضأة وكَرّ راجعاً إلى الحوطة وما وصلها إلاّ ومؤذن الفجر على المأذنة. ومن نوادره أن زوجته التي بسيون هي بنت عمه وأمها شيخه بنت أحمد الحداد، وكان كلما زارها وجد عندها إبنيها إبراهيم وموسى إبني عمر بن شيخ بن هاشم بن محمد بن أحمد الحبشي فلم يتمكن من الخلوة بها، حتى جاشت نفسه ذات يوم، فقال:

خيره في العشق لا فيه النكد والنغَص حلّيت في حصن لكن فيه جمله لصص

خِلي خِلي ولكنه شرد وافتحص جفل كما الصيد لا قد شاف همزة مقص

ولو معي قرش باقنص مثل من قد قنص

وكان وجد منها فرصة، ولمّا جلس بين شِعبها أحسّت بقدومهما فنهضت من تحته فقال الأبيات، فأجابته من حينها بقولها:

قال ابن هاشم من المولى هي إلاّ حصص

لو حد قَسَم غير ربّي قُلت قَسْمِي نقص

لو كنت عاشق دهنت السير وارميت خص

لا جبت لي شرك في قادم ولا جبت قص

من يطعم الخيل وَكَبْ به إذا شَا ورص كأنك بُغيته على ذا الشَوْر ولا خلص

وذكَرَت عند هذا أنه ﷺ كلما دخل على أم سلمه بأثر بنائه عليها بكت بنتها فأخذت تعللها بالرضاعة حتى أخذها عمار بن ياسر وكان لها مَحْرَماً وقال: لقد حرمت هذه المقبوحة المشقومة رسول الله ﷺ مما يريد.

ومن ذُرِّية السيد عبد الله بن طه **بقيدون**، السيدان الجليلان: العابد الصالح الواعظ عبد الله بن طاهر، والعلامة الجليل علوي بن طاهر عَلَم علوم ونبراس فُهُوم، وآثاره ناطقة، ومؤلفاته شاهدة[1]، ولم أعرف مبلغ معرفته بالفقه إلاَّ أنه اختلف ـ من نحو ثلاثين عاماً ـ هو والقاضي الشيخ عبد الله سعيد باجنيد في مسئلة في الشفعه، وكتب في ذلك رساله أسهب فيها حتى انتهى إلى الثناء على السيد الفاضل حسن بن عبد الله الكاف، ولمّا رُفِع إليَّ كلام الاثنين للنّظر أظنني ـ والعهد بعيد ـ رَجَّحت كلام القاضي، فرأيت منه جفوه من حينئذٍ ما كان له أن يتحملها إذْ لم يزل العلماء بين رادٍ ومردود عليه، لكن الإنصاف عزيز، ولهذا لم أعامله بمثلها كما يعرف الناس. وإن انضم إلى ذلك اختلاف الآراء بشأن الرابطه حسبما فُصِّلَ بالأصل، وكان على الأفتاء في بلاد جهور من ناحية الملايا ثم انفصل في أيام الحرب المشؤومة اليابانية. وسبب كونهم **بقيدون**، ما أخبرني به قاضي الحوطة الأسبق الفاضل السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله الحبشي، أن جده لأمه «شفا» وهو السيد عبد الله بن طه بن عبد الله بن طه بن عمر بن علوي الحداد السابق ذِكْر تردده إلى هناك حمال معه ابنه طاهر، فتزوج على الشريفة شفا بنت عيسى أخت الحبيب عبد الرحمٰن بن عيسى الحبشي، وأولدها عبد الله في سنة ١٢٩٦ وعلوي في سنة ١٣٠١، وفي نفاسها به مرّ عليه في **قيدون** عمه جعفر بن طه ـ الآتي ذكره في الحاوي ـ وقال له: ماذا تجلس **بقيدون** تضع من الأولاد فتعالَ معي إلى جاوا، ففعل، ومات بعد وصوله بشهر ونصف شهر، فعاشا في كنف أمهما وأبيها، وكانت أم أعمامهم: محمد وحسن وعلي، وهي سعديه بنت الحبيب محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، تبعث لهم بالمواساة، ولمّا يفع عبد الله نجع إليها بحوطه آل أحمد بن زين، فكفلته، وكان يتردد إلى الغرفه للأخذ عن الأستاذ الأبرّ الحبيب عيدروس بن عمر، ولمّا

---

(١) انظر مؤلفاته في كتاب «لوامع النور» ٢/ ١٣٣. ومنها كتاب «الشامل في تاريخ حضرموت».

استغلظ علوي قَدِمَ عليها أيضاً فآوته؛ إلاَّ إنها شغلته بالخدمة حتى إنها لا تمكنه من حضور **الروحه** [1] **بالحوطة**. هذا آخر كلام القاضي الفاضل عبد الله بن حسين، وأشهر أولاد عبد الله بن طه حالاً، وأعلاهم كعباً، وأكثرهم جمالاً، هو شيخنا، صاحب النفس الأبية، والهمم العليّة، والأريحية، كثير العبادة والتلاوة والإذكار، ظاهر السيادة والسعادة والأنوار، صالح بن عبد الله، زُرتَهُ بداره في نِصَاب[2] آخر سنة ١٣٤٩ فأجلّني وأكرمني وألبسني وأجازني ودعى لي بدعوات عظيمة.

وممن **بقيدون** من العلويين **آل بافقيه**، وقد مَرّ في الخريبه ذِكْر السيد أبي بكر بن محمد بافقيه وأثنى عليه شيخنا المشهور في «**شمس الظهيرة**» وقال إنه توفي **بقيدون** في سنة ١٠٥٣، وترجم له الشلّي في «مشرعه» وأطنب في الثناء عليه وذكرَ له علماً جمّاً وفضلاً كثيراً. **وبقيدون** جماعة من ذُرّيَّة السيد عمر بن عبد الرحمٰن بن عقيل بن عبد الرحمٰن السقاف وهم **آل باعقيل**، منهم السيد الصالح عبد الرحمٰن صاحب المشهد المعروف بـ«صِيَف»، توفي منقرضاً بـ«بِضَه». ومنهم السيد عمر بن علوي باعقيل جَمَع ثروةً طائلةً بِسُرْبَايَا من أرض جَاوَا ولم يمس حق الله فيها من إعانة الضعيف وإغاثة اللهيف، وبقي مع كثرة أمواله على حاله من التواضع، توفي بسربايا لعله في سنة ١٣٢٨ وخلّف أولاداً منهم: محمد السابق خبره في الضِلَيعه، ومنهم أحمد قتله السيد محمد بن عبد الله بن عمر البّار ظهر النهار علناً وهو راكب سيارته في الطريق العامّة بسربايا، ومنهم محسن وحسين، وقد قامت بينهم منازعات تلفت فيها أكثر أموالهم. وسَبَق في خبر محمد أن أخوانه دفعوا عنه بأمره خمسين ألف روبيه للقعيطي، وهي التي توقَّفَ إطلاقه من السجن على دَفْعَها، وقد تعهد بتسليم مقابلها وأعطاهم وثيقةً بذلك في حال اختيار وَرِضاً، وعلّق طلاق نسائه بالثلاث إن تأخر عن دفعها لهم مدةً معينةً بعد القدره، وقد مضت المده وهو رخيّ الخناق، وبقي مع نسائه من دون عذر في المطل، ولمَّا وَصَلْت سُرْبَايَا في سنة ١٣٤٩ سألني أصهاره من بني عمه فأفتيتهم بنفوذ الطلاق. ومنهم السيد النزهة النديم، الخفيف النسيم، صاحب النوادر اللطيفة، والحالات الشريفه، عبد القادر بن محمد السقاف وهو من

---

(١) الروحه: حَلقات الدرس التي تُعْقَد في العصريات.

(٢) نِصَاب: مدينة كبيرة في غربي «عتق» عاصمة محافظة شَبْوَه.

المعمرين، عاش في أكناف الأكابر وحظي باعتنائهم، وصحة ولائهم، وله دالَّة عظيمة عليهم، وكثيراً ما يمَثِّل هيآتهم وأصواتهم وقراءاتهم، وكيفيات مشيهم وحركاتهم، فيخفف من حسرتنا على عدم الاجتماع بكثيرٍ منهم كسيدي طاهر بن عمر الحداد وابنه محمد، وسادتي عمر بن هادون، ومحمد بن صالح، وعمر بن صالح، وأمثالهم. وفي ذلك التمثيل نوع من الوصال ليس بالقليل، وهو الآن بمكة المُشرَّفة على ضيافة صاحب المروءة الشيخ عبد الله سرور الصَبّان أحسن الله جزاءه[1].

وفي **قيدون** جماعة من السَّادة **آل الحبشي**، من آخرهم الفاضل العلامة الجليل السيد عبد الرحمٰن بن عيسى الحبشي، كان على قضائها في سنة ١٣٢٩ وعنده عِلْم غزير، إلى تواضع كثير، ونزاهةٍ تامّة، وصدر واسع، وجانب سهل. وكان في **قيدون** الشيخ أحمد بن سعيد **باداهية** يتعالم الناس بأخبار كثيرة عن نجاحه في علاج الأمراض بطبه العربي، لولا انتهاؤها إلى التواتر المعنوي لكَذَّبناها لأنها مما تدهش العقول. وفي قيدون عدد ليس بالقليل من حُفَّاظ كتاب الله تعالى، وبينما أنا مرّة عند السيد حسين بن حامد المحضار بالمكلا وَرَد شيخ من آل العمودي يُقال له: باحسن، عليه زي البادية فإذا به يحفظ كتاب الله تعالى ويجيد قراءته، ولمّا اشتد إعجابي به قال لي العم حسين: لكنه سارق، فسألته فقال: نعم أني لأحد جماعةٍ من الحفاظ إذا كان من أول الليل سرقنا رأس غنم على أحد أهل **قيدون** واشتويناه ثم إذا كان من آخر الليل سرنا إلى الجامع نتدارس آيات القرآن بظهر الغيب. وما أدري أقال ذلك عن حقيقة أم مازحاً ليوافق هوَى الوالد حسين، وقد تذكَّرت عند هذا ثلاثة أمور: (الأول) ما جاء في مُسند الإمام أحمد ونصه: حدثني عبد الله حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا الأعمش قال: انبأَنَا أبو صالح عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، قال: «إنه سينهاه ما تقول» وهذا السَنَد جيّد. (الثاني): لمّا كنت بسربايا في سنة ١٣٤٩ حضر مجلسنا مقرىء أصله من مكة يُقال له محمود، فقرأ لنا حصةً من الكتاب العزيز بصوت جميل كاد يقتلع قلبي من مكانه، فطربت لذلك وأمرتهم بالاكتتاب له، فقالوا: أنه يشرب الخمر، فقلت

---

(١) في هامش الأصل ما نصه: (توفي السيد عبد القادر في هذا العام، بعد الفراغ من الكتاب). وكان انتهى من تأليف الكتاب في نحو عام ١٣٦٦هـ.

لهم: من أدرجَ كتاب الله بين جنبيه وحبّره هذا التحبير لجدير أن لا يموت إلاَّ على حُسن الختام، وذكرت الحديث، فاكتتبوا له على قدر هممهم بنحو ثلاثمئة ربيه فقط. (والثالث): قول النجاشي يهجو أهل الكوفة:

إذا سقى الله قوماً صوب غاديةٍ ... فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهر نساءهم ... والناكحين بشطيّ دجلة البقرا

والسارقين إذا ماجَنَّ ليلهمُ ... والدارسين إذا ما أصبحوا السُوَرا

الق العداوة والبغضاء بينهمُ ... حتى يكونوا لمن عاداهمُ جزرا

وما أخاله في ذلك باراً ولا راشداً، وكيف يصدق وقد بلغ به الفسوق إلى انتهاك حرمة رمضان بالسُكر في أول يوم منه، فحدّهُ مولانا علي بن أبي طالب وزاده عشرين في خبر طويل ذكره شارح النهج. وقد قال سفيان بن عيينه: خذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفه.

ومن النوادر ما أخبرني به منصب المشهد السيد أحمد بن حسين أن العبيد بدوعن ـ وفيهم كثرة لذلك العهد ـ يجتمعون ويتبعهم العتقاء لزيارة الشيخ سعيد بن عيسى في آخر جمعةٍ من رجب، ويدخلون والخطيب في خطبته بطبولهم ومزاميرهم، فقام لهم مرةً أحد آل العمودي فكسرها عليهم، وهمُّوا بقتله لكنهم احترموه لأن خاله الشيخ عمر بن عبد القادر العلاّمة المشهور الشبيه الحال بالشيخ عمر بامخرمه، ولكنهم أجمعوا على الجلاء واجتمعوا بالسويدا ـ وهي نخيل قيدون ـ فقال بعضهم أن بالسويداء رجالاً. وبينا هم معسكرون هناك للرحيل بقضهم وقضيضهم ـ وقد عجز أهل دوعن عن صدهم، مع أن أكثر أعمالهم وخدمتهم متوقفه عليهم ـ إذْ جاء العلامة السيد علي بن حسن العطاس فسار إليهم ـ ومعه الشيخ محمد بن عبد القادر العمودي ـ وأعطاهم البُنْ ليطبخوا القهوة، وسألهم عن شأنهم فأخبروه، فقال لهم: ونحن لا تطيب لنا الأرض من بعدكم فسنرحل معاً، فقالوا أما أنهم فلا يمكن يسير بهم، فقال: لا بد من السفر معاً أو الإقامة معاً. وما زال يلاينهم حتى تم الأمر على أن تبقى زيارتهم بحالها وعلى أن تحبسوا الشيخ الذي كسر طبولهم شهراً، وسُوّيت القضية. ثم ان الشيخ عمر بن عبد القادر أحد تلاميذ الأستاذ الحداد وقد قيل له ان الشيخ عمر بن عبد القادر يريد أن يكوّن مثل بامَخْرَمه، فقال الأستاذ الحداد: إنه لأعظم حالاً منه، وكان يستعمل السماع

إذا وصل كحلان وجاوزها إلى أعلا؛ أمَّا في تريم فَلاَ، أدباً. وقد ترجمه السيد علي بن حسن العطّاس وبالغ في الثناء عليه، وترجمه أيضاً الشيخ محمد بن ياسين باقيس، وكانت وفاته سنة ١١٤٧ وهو من أهل التحزب، وذكره الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في مواضع من كتبه كـ«جواهر الأنفاس» وغيره.

(عَودٌ إلى أخبار العموديين ورئاستهم بعد انقسامهم): قد مَرّ في بضه أن الكسادي استولى على أكثر دوعن في حدود سنة ١٢٨٦ غير أن العموديين بعقب اغتيال الكسادي للشيخ محمد بن شيخ العمودي في سنة ١٢٨٨ نجعوا بالرئاسة العامّة للشيخ صالح بن عبد الله العمودي، فتحمّل أثقالاً فادحةً عَهِدَ من أجلها أموالاً له طائلةً بِسَهْوَه - السابق ذكرها في مَرْخة - وساعدهم جميع قبائلهم من القثم وسيبان والمراشده والجعده وغيرهم، فأيدهم الله على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، ولكن لم تأتِ سنة ١٣٠٠ إلاَّ ووادي دَوْعَن كما قال الفاضل الجليل السيد أحمد بن محمد المحضار:

أنظر إلى الوادي فقد ... حلّت به السبع الشداد
اللّخمعي[1] والمرشدي ... هم والقثم بئس المَهاد
والدِّيَّني والمشجري ... هم والعبيدي لا يُعاد
وبِنْ مطهر سابغ الغلـ ... ـمة وهو رأس الفساد
الله يهديهم ويهدي ... نا إلى طريق الرشاد
وإلاّ ينظّفهم من الوا ... دي ويجعلهم بِعَاد

وقد سبق في بضه أنهم منقسمون إلى قسمين: آل محمد بن سعيد ولهم قيدون وما نزل منها إلى الهَجْرَيْن، وآل مطهر ولهم بضه وما إليها وكان فيهم عدة مناصب: آل صالح بن عبد الله بِبضَه، والشيخ عبد الرحمٰن بن علي بن عبد الكريم صاحب شرق، والشيخ سعيد بن محمد بن منصر صاحب العرض، والشيخ محمد باعمر صاحب البَرَاز (قريب من القُرَيْن)، وبينهم من المنافسات ما لا تبرك عليه الإبل، وكل منهم يوضع في سبيل الجور والظلم، فلم يكن من أحد آل باسودان وأحد آل باعبيد إلاّ رفعوا شكوى إلى القعيطي بالمُكَلاّ على الشيخ عبد الرحمٰن بن

(١) الخامعة: إحدى قبائل سَيْبَان.

علي بن عبد الكريم، فاستدعاه القعيطي، فركب إليه مجللاً محترماً، ولم يزل في مفاوضة معه حتى تم الكلام على أن تكوْن الرئاسة العامّة للقعيطي ولإبن عبد الكريم استقلال داخلي في الخِريبة وأعمالها ضمن دائرة العدل، وعلى أن ليس يأخذ شيئاً من الرسوم سوى مئتي ريال شهرياً، وقبض إزاء ذلك الصلح من يد القعيطي ما لا يُسْتَهان به من الدراهم. وما كاد يصل إلى الخريبه حتى حبس باسودان وباعبيد، فاغتاظ السلطان غالب بن عوض القعيطي ورأى أن شرفه مُسَّ وأن المعاهدة انخرمت بحبس ذينك، وكره أن يتعجل بعقوبة ابن عبد الكريم قَبْل الاعذار وَرَدْ العهد فأشار على الشيخ صالح بن عبد الله أن يُعْذِر إليه فأرسل بأخيه عبد الرحمٰن وبالسَّادة حامد بن أحمد المحضار وحسين بن محمد البّار وحسين بن عمر بن هادون صاحب المشهد، فلم يَقْبَل ابن عبد الكريم لهم كلاماً، واتفق أن وصل الشيخ علي بن محمد بن منصر إلى المكلا يتذمر من محالفة القعيطي لابن عبدَ الكريم، فصادف سخطه القعيطي على الثاني فحالف ابن منصر بشرط أن يساعده على ابن عبد الكريم، وما كاد يرجع إلى مكانه (العرض) حتى أذكَى نار الحرب على ابن عبد الكريم وجاءته نجدة القعيطي ـ بقيادة عبد الله بن مبارك القعيطي فلم يثبت ابن عبد الكريم إلاَّ نحواً من أربعين يوماً ثم هرب إلى جهة القبلة فصادف أحد زعماء العموديين وهو الشيخ محمد بن عبد الرب فجمع له عسكراً كثيفاً هاجم به (الخريبه) فاستولى عليها، ودارت المفاوضات بينه وبين ابن منصر صاحب العرض فانضمّ إليه، وعند ذلك تراجعت عساكر القعيطي إلى الهجرين. وغضب السلطان غالب لذلك وأرسلَ عسكراً مَجْراً بقيادة عبد الخالق بن الماس عُمَر ـ مولاهم ـ ولاقاه صلاح بن محمد القُعيطي من القَطْن مدداً له بمن كان معه وبفلول العسكر التي بالهجرين، وعند ذلك قالوا لآل العمودي: اهبطوا منها جميعاً، فانهزموا، ولم يجدوا ملجأ ولا مّدخراً إلاَّ الشيخ صالح بن عبد الله العمودي المحافظ على محايدته، فنزلوا عليه، فآواهم، وكان ذلك في سنة ١٣١٧ وكان من رأي الأمير صلاح بن محمد وعبد الخالق أن يطاردوهم وينتزعوهم من بضه لكن السلطان غالب بن عوض كان كريماً، يُجلِّ الكرام، فنهاهم عن ذلك احتراماً للشيخ صالح بن عبد الله، وبإثر ذلك انتحر عبد الخالق الماس في القويره، ولم تطل أيام الأمير صلاح بل ماتَ وشيكاً في سنة ١٣١٨ وبالأصل تفصيل تلك الحوادث. وأسند القعيطي عمالة وادي الأيمن للمقدم عمر بن أحمد باصره وكان ما قد أسلفنا في عوره.

وبعد أن استولى القعيطي على الوادي الأيمن حمل المقدم باصره كل أسلحة الدهاء لحمل القعيطي على التهام الوادي الأيسر ولم يزل يتحين الفرص للوثوب عليه لِمّا في قلبه من البغضة للحالكة، وكانت رئاسة الوادي الأيسر لآل الشيخ محمد بن سعيد ولقبائلهم الحالكة، ومن مناصبهم: الشيخ عبود بن محمد القحوم ـ السابق ذكره في قرن ماجد ـ وله: بلاد إلما، وخديش، وقرن ماجد (وهي من الوادي الأيمن) وله: العرسمه، ونصف صبيخ (وهي من الأيسر)، ومنهم الشيخ حسن بن بدر وله صيف وفِيَل، ومنهم الشيخ أحمد بن حسين بن عبد الله وله حوفه وضري وتولبه، ومنهم الشيخ عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن محمد وله العرض ونصف صبيخ شرك القحوم، ومنهم الشيخ حسين بن محسن وعمر بن عبد الله ولهم حيد الجزيل.

وأول ما انفتح الباب لباصره إلى الوادي الأيسر حدث شرّ بين الخنابشه وآل باهبري، سببه أن أحمد بن سالم باشجيرة الخنبشي تزوج إمرأة من آل باهبري، يقال لها قمر، بدون رضى من بني عمها فبينما امرأة من الخنابشة تستقي من غيل (جريف) إذْ عمد لها بعض باهبري فأراق ماءها، فخفّت إلى أهلها فكانت بينهم وقعتان قُتِل في الأولى عمر بن سالم الخنبشي، وفي الثانية أَخُوْه عبد الله بن سالم الخنبشي، وكان ذلك أوائل سنة ١٣٢٢، فخاف آل باهبري من الخنابشه، وكان شيخ قبائل الحالكة كلها المقدم عمر بن أحمد بلحمر فلجأ إليه آل باهبري فأعطاهم بعض رجاله بصفة الخفارة، فسقط في يد الخنابشه، وأيقنوا بتعذر الثأر فاستعانوا بالمقدم عمر بن أحمد باصره، وكان ينظر إلى واديهم نظر الجزّار إلى التَّيس وتحالفوا معه سراً حِلْفاً هجومياً دفاعياً، آثروا التكتم به لئلا ينتبه آل باهبري فيأخذوا حذرهم، ولما ظهر لهم قاتل أحد إخوانهم أطلقوا عليه الرصاص فنضخ دمه في ثياب بلحمر فاستشاط المقدم عمر بن أحمد بلّحمر وأحاط بـ(جحي الخنابشه)، ولمَّا اشتد الأمر أمدَّهم باصره بأربع مئه مقاتل فأبلعوهم الريق. وفي سنة ١٣٢٥ سار بلَّحمر وأهل لَيْسَر ومنهم آل بَقْشان ورؤساء الحالكه والشيخ أحمد بن حسين الحمودي إلى المُكَلاَّ وحالفوا القعيطي، وأعطوه الوادي وأعلنوا ذلك بالأسواق ففت بذلك في أعضاد الخنابشة، إذ لا يستطيعون مقاومة بلّحمر إلاَّ بالقعيطي، ومتى حالفه ماذا يفعلون، فبقوا ساكتين حتى نزغ الشيطان بينهم ونشبت الحرب مرة أخرى وسرعان ما انعقد الصلح بين الخنابشة وبلّحمر على أن لا تكوْن مساعدة من

القعيطي للخنبشي في مدة الصلح، ولمّا انتهى حصلت مساعدة قليلة استمر بها الخنبشي على الحرب عشرة أشهر، ولمّا اشتد الحصر على الخنابشة بالجِحِي جاءت نجدة المُكَلاَّ وتقدم باصره من الوادي الأيمن وأحاطوا بالعِرْسِمة فسلَّمت في سنة ١٣٢٨ ثم سلمت الجديده ثم صبيخ ثم جريف ثم الدوفه، ثم انعقد الصلح بين القعيطي والحالكه على بقائهم بمساكنهم وأموالهم في الوادي الأيسر مجللين محترمين، إلاَّ أنّ المقدم عمر بلَّحمر لم يطب له المقام مكتوف اليد فذهب إلى سيوون ثم إلى وادي العين ثم إلى رَيْدة الجوهيين ثم إلى لَبَنة بارَشيد عند نُوّح، فلم يعثر بطائل فعادَ إلى بلاده وأجرَى له السلطان غالب بن عوض ما يكفيه، وتفصيل هذه الأخبار في الأصل.

ومن وراء **قيدون** عدة قرى وشِراج، ومنها:

مِسِهْ:

وهي قريه صغيره على يسار الذاهب إلى دوعن يسكنها ناس قليل من آل **بامحرز**، وفيها غيل جارٍ عليه نخيل لآل بامحرز ولآل العمودي، وعليه تُزرع الخضراوات، وحواليها كانت وقعة مِسِهْ، وحاصلها أن السلطان عيسى بن بدر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر بُوْطُويرق أغرى ولده جعفراً على الشيخ محمد بن مطهر العمودي في ألف وثمانمائة، فلاقاه العمودي في عددٍ قليل ولمّا رأى عسكر جعفراً تراجع، فتبعه عسكر جعفر ثم لم يشعروا إلاّ بِكَمِيْن من العمودي يركب أكتافهم ويفعل بهم الأفاعيل، وفَرّ الأمير جعفر بمن بقي معه إلى الهَجْرَين، وفي ذلك يقول شاعرهم: (سبعة وستين غلبوا سبعة عشر مائة)، وكان ذلك في حدود سنة ١١١٥ كما فُصِّل بالأصل. ومنها:

نسره:

قريه قديمه فيها بقايا آثار ديار باليه، وقد بُني فيها مسجد ومدرسة بالأخير على نفقة الشيخ أحمد **بامساعد** الموجود الآن بالحديده، وكنت رجوت أن يحصل من هذه المدرسة ما كنت أؤمله من خروج الأولاد منها على الطهارة الفطرية، إذ لا يُرْجَى الخير من مدرسة يختلط ابناؤها بالأوساط الفاسدة وإنما يُرجَى من مدرسةٍ داخليّة يُنتخب لها مُعلِّمون صالحون على أبلغ ما يكون من التقوى والنزاهة فيأتي التلاميذ على غرارهم في الديانة والأخلاق الفاضلة حسبما اقترحته على السلطان

صالح القعيطي في أواخر ذِكْر المُكَلاَّ، لأن الخلطة الداء، والتلميذ إنما هو ظل المُعَلِّم ينحو نحوه ويقتص أثره، ولكن بلغني ـ ويا للأسف ـ أن تلك المدرسة أُقفلت وطاحت تلك العبارات وفنيت تلك الإشارات، وما ذلك إلاّ لإدبار الزمان وتراذل الأيام ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الهَجْرَيْن:

هي واقعة في حضن جبلٍ فارد جاثم على الأرض كالجمل البارك من غير عنق، تحفُّ بسفوحه النخيل من كل جانب، متجانف طرفه الغربي إلى جهة الجنوب وطرفه الشرقي إلى جهة الشمال، وموقع الهجرين في جنبه الأيسر، تشرف على سفوحه الجنوبية ديار آل **مساعد** الكِنْديِّيْن، وفي يسار سنامه ديار آل **يزيد** اليَافِعيِّيْن، ومن فوق ديار آل يزيد حصن يُقال له (إبن ميمون). وفي ضواحي الهجرين ثلاث حرار يُقال لإحداها **حرة بن ميمون**، وللأخرى **حرة بدر بن ميمون**، وللثالثة **حرة مرشد بن ميمون**. وعلى حارك ذلك الجبل بليده صغيره يُقال لها (**المِنَيْظرة**) يُشرف قليل منها على جهة الجنوب والأكثر على جهتي الشرق والشمال. وفيها مسجد قديم كثير الأوقاف، لأن مساجداً إندثرت هناك فتحوّلت صدقاتها إليه، لأنه أقرب ما يكون إليها. وفي جنب ذلك الجبل ـ الشبيه بالجمل ـ من جهة الشمال آثار (**دَمُّون**) المذكورة في قول امرؤ القيس:

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّوْنَ • دَمُّوْنُ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُوْنَ
وأَنَّنَا لأَهْلِنَا مُحِبُّوْن

وهي المذكورة أيضاً في قوله السابق بعندل:

كَأَنِّي لَمْ أَلْهُوا بِدَمُّونَ لَيْلَةً وَلَمْ أَشْهَدِ الغَارَاتِ يوْماً بِعَنْدَلِ

ومتَى عَرَفْتَ هذا يَقْرُب لك قول «القاموس»: **والهجران** قريتانِ متقابلتان في رأس جبلٍ حصين قرب حضرموت يُقال لأحدهما خَيْدُون وللأخرى دَمُّوْن. قال ابن الحائك[1]: وساكن خَوْدُون الصَّدِف وساكن دَمُّون بنو الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار. أهـ. والظاهر أنه لم يأخذ سكنَى بني الحارث عن نصّ وإنما استنتجه من شعر امرىء القيس ولا دليل فيه لأنه إنما لجأ إلى دَمُّوْن بعدما طرده أبوه من أجل الشعر كما في شرح (اليوم خَمْرٌ وَغَداً أَمْرٌ) مِنْ أمثال الميداني ما لم

(١) «صفة جزيرة العرب» ص ١٦٧.

يكن ابن الحائك يعني أعقاباً لامرىء القيس في هذه البلاد لم ينته خبرهم إلينا. وقول «القاموس»: قريتان متقابلتان صحيح، لأن إحداهما في حضن الجبل الأيمن والأخرى في حضنه الأيسر، فهما متقابلتان في الموقع، أمّا في النظر فيحول بينهما سنامُ الجبل، ومنه يتبين لك وهمه إذ قال: في رأس الجبل وإنما هما في جَنْبَيْه، هذه حالتهما اليوم أمّا فيما مضى فلا يبعد التناظر لاحتمال اتصال العمارة إذ ذاك، أمّا قوله: قريب من حضرموت فمن أخطائه في حدودها، وقد إضطرب كلامه وكلام شرحه في ذلك ففي دَوْعَن منه يقول: ودَوْعَن كَجَوْهَرٍ وادٍ بحضرموت وهو أبعد من الهَجْرَيْن، وفي مادة مأرب يُوَسِّع حضرموت جداً فيقول: إن مأرِب في آخر جبال حضرموت، وفي شَبْوَه يُضَيِّق حدّها ويقول إنها بلد بين مأرِبَ وحضرموت، وجَزَم في وادي عَمَدٍ بأنه من حضرموت، وذكَرَ في مِرْبَاط أنها من أعمال حضرموت وهو الذي جزم به صاحب «الخريدة». وفي رحلة السيد يوسف بن عابد الفاسي المغربي ثم الحضرمي ما يُصَرِّح بأنَّ مأرِبَ من حضرموت إذَنْ فما مُنُوا بِهِ من فرط الهجرة ليس إلا نَتِيْجَة قولهم: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[1] كما هو موضّح بالأصل. وفي الجزء الثامن من «الأكليل»[2] أن دمون من حصون حمير بحضرموت[3]. وفي غربي جبل **الهجرين** ساقية دَمُّوْن يأتيها السيل من أودية دَوْعَن، وفي غربيها سيل وادٍ عظيم يقال له **(وادي الغبر)** ينهر إلى الكَسْر، وفي غربي ذلك السيل بلدة **(نحولة)** لآل عمر بن محفوظ، وهي في سفح جبل في حضنه إلى جهة الجنوب **قَزَّةُ آل البُطاطي** وهم من بني قاصد ورئيسهم بيافع بلعفيف، وآل يزيد وهم قبيله واحده، ولآل البطاطي نجدة وشجاعة، ومنهم ناصر بن علي كان يحترف بالربا فأثرى، وهو خال الأمير صلاح بن محمد بن عمر القعيطي، فَزَيَّنت له نفسه أن يستأثر بالقَزَّة ونخيلها وعيونها فناشب آل البطاطي الحرب، واستعان عليهم بأعدائهم آل محفوظ، وضمّ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٩.

(٢) ص ١٥٧.

(٣) جاء في هامش الأصل ما نصه: (وهنا فائدة نفيسة وهي أن كل من ذكر طرده «حجر» لولده امرء القيس ممن رأيته يقول أن السبب في ذلك هو قوله الشعر، وليس بمعقول لأن الشعر عندهم من الفضائل التي يتنافسون فيها سَوَقة وملوكاً، لكن السبب الصحيح أنه كان يُشَبِّبُ بِهِرٍّ وحيتها أم الحويرث وكانت زوجة والده، فلذلك طرده وهمّ بقتله من أجلها كما في صفحة ١٨١ ج ١ من خزانة الأدب والصفحة ٥٣٩ من الجزء الأول منها).

إليهم صعاليكاً وذوباناً من الصَيْعَر ونَهْد، فلم يقدر عليهم واجتمعوا على حصاره، فزالَ من القزة إلى خريخر عند صهوره آل عجران، ولمّا كثروه أستعان عليهم بابن أخته الأمير صلاح فأعطاه جماعةً من عبيده يخفرونه، وقتلوا ولده قاسم بن ناصر بن علي البطاطي في داره، وذلك في ثأر لهم عنده، فغضب الأمير صلاح وجمع يافع لحربهم، فوافقوه على ذلك إلاّ بني أرض، وضيّق عليهم الحصار وفي ذلك يقول شاعرهم الشيخ ناصر بن جبران البطاطي:

بركات طرب من قتلني باقتله ومن لقى فيّ صوب، بالقي فيه صوب
والله ما أنسى شروع القبوله لو باتحن في الدار هذا ميّة طوب

ولمّا اشتد الحصر عليهم تداخل الحبيب حامد بن أحمد المحضار في آخر حياة أبيه فسار بهم إلى الريِّضة عند الأمير صلاح على أن يحكم عليهم بما شاء بعد أن تواضع هو وإياه على أن يكوْن الحكم بمسامحة آل البطاطي في قتيل لهم عند ناصر علي، وعلى أن يدفعوا خمسمائة ريال أيضاً، ولمّا وصلو «فرط بني أرض» والحبيب حامد أمامهم قال شاعرهم ابن جبران:

يالفرط ما تستاهل التفريط لأن حبّك مادخله السوس
وأما الجماعه حبّوا التخليط لكننا باكيّس القنبوس

ولمّا وصلوا الريضه قال:

يا راد ياعوّاد هذي الريضة قد ذكّرتني جمل في وادي حنين
والدرع والبيضه مع مولى بضه شلّ الثقيله يوم ضاقت بو حسين

وأبو حسين هو الأمير عبد الله بن عمر القعيطي، يُشير بذلك إلى نجدته التي أعان بها آل البطاطي حتى خلّصوهم من حصار آل كثير، كما فصلناها بالأصل وأشرنا إليها فيما يأتي.

ومن آل البطاطي اليوم أحمد بن ناصر بالمكلا، وهو أدهى يافع الساكنين بالمكلا لهذا العهد وأرجحهم عقلاً إلاّ أنه يُؤثِر مصلحة ذاته على منفعة حكومته، وربما كان له عذر بإعراض موظفي الحكومة بالآخرة عن إشارته وعدم اعتبارهم لنصحه، وهو من أبطال بني مالك وشجعانها حتى لقد أغضبه حال من أحمد بن محمد بن ريس العجراني ـ وهو خال الأمير علي بن صلاح وله منه وجه وكفالة ـ

فقتله أحمد بن ناصر غير حاسب لذلك حساباً، فتميّز الأمير علي بن صلاح من الغيظ، ولم يكن إلاّ أن أرسل السيد حسين بن حامد بأحمد بن ناصر مع ولده أبي بكر بن حسين إلى الرِيْضه للترضية، فَسُوّيت المسئلة.

وفي جنوب **الهجرين** أنف ممتد من جبل ذاهب طولاً إلى دَوْعَن وعليه بلدة لأناسٍ من آل أحمد بن محفوظ يُقال لها (**صَيْلَع**) وهي المذكورة في قول امرىء القيس:

أَتَاني وأَصْحَابي عَلَى رَأْسِ صَيْلَعٍ ... حديثٌ أطارَ النَّومَ عَنِّي وأفْحَمَا

أَقُولُ لِعِجْلِيَّ بُعَيْدَ إِيَابِهِ ... تَبَيَّنَ وَبَيِّنَ لِي الحَدِيثَ المُجَمْجَما

فَقَالَ: أَبَيْتَ اللّعْنَ عَمْروٌ وكَاهِلٌ ... أَبَاحُوْا حِمِى حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلِمَا

وقد ظَفَرت منها بضالّة منشودةٍ لأنها مقطع النزاع في حَضْرمية امرىء القيس، ولذا كررتها بالأصل اغتباطاً واعتداداً بها إذْ لم يذكر ياقوت ولا صاحب «التاج» ولا شارح «الأمثال» أنها بحضرموت، فلله الحمد. غير أنني رأيت البكري بعد يقول في ص ٤٣٦ من «معجم ما استعجم»: حَرَّةُ الرَّجْلاء: مذكور في رسم صَيْلَع، ولكن الجزء الذي هو مظنة صَيْلَع منه ليس عندي، وفي ص ٤٠٥ منه أن الجوف أيضاً: موضع في ديار عاد وهو منسوب إلى حمار بن مُوَيْلع من بقايا عاد، أشرك بالله وتمرّد، فأرسل الله عليه ناراً فأحرقته. وقال ابن قُتَيْبَة هو جوفُ مُرَاد اليوم وإيّاه عَنَى امرُؤ القيْسِ بقوله:

ووادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُه ... به الذِّئْبُ يَعْوِي كَالخَلِيعِ المُعَيَّلِ

أراد جَوْفَ حِمَار، فلم يستقم له الشعر، فقال كَجَوْف العَيْر. اهـ. وهو لا يعدم تدليلاً على حضرمية امرىء القيس، لأن كلام البكري صريح في أنهما جوفان لِعَادٍ ولن يكوْن إلاّ بحضرموت، فَعَادٍ وهو المشهور وليس ببعيدٍ عن حضرموت، ولن يسلك امرىء القيس إلاّ وارداً أو صادراً عنها، وعمّا قليل تأتي الإشارة إلى مراحل ما بين هذا الجَوْف وحضرموت. وفي «معجم ما استعجم» أيضاً أن دَارَةُ جُلْجُل المذكورة في شعر امرىء القيس هي في دِيَار كِنْدَة عند

عَيْنها[1].

وفي أخبار بدر بُوْطُويرق الكثيري أنّه بنى صيلعاً هذه في سنة ٩٤١هـ وأسكن فيها **آل محفوظ** وآل باداس المطرودين من **الهَجْرَيْن**، ولا يُحصى من أنبتته **الهجرين** من الرجال إذْ كانت فيهم ثالثة شِبَام وتَرِيْم، ومنه **آل عفيف** الكِنْديّون، منهم الصوفي الجليل الشيخ أحمد بن سعيد بن علي بالوعار، والشيخ عمر بن ميمون الكندي من معاصري الشيخ عبد الرحمٰن السقاف والشيخ فضل بن عبد الله بافضل، والشيخ محمدٌ بن علي العفيف الهجراني وكان يعرف الاسم الأعظم وهو من تلاميذ الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس المتوفي سنة ٨٦٥هـ. ومن كتاب سيّره العلامة علي بن حسن العطاس ما نصه: «إلى حضرة سيدي الولد الأمجد الأرشد الصادق الأود الأَنْجَد الشيخ الأكرم الفاضل المحترم عفيف الدين وسلالة الصالحين وبركة المسلمين عبد الله بن سيدي الشيخ العفيف ابن الشيخ عمر بن الشيخ عبد الله ابن الشيخ العفيف ابن القطب الشيخ عبد الله ابن أحمد بن محمد العفيف عفى الله عنه». وفي هذه الممادح ما يدل على أثيل مجد وعظيم فضل. وفي آل عفيف كثير من حُفَّاظ القرآن والإرشاد ومنهم الشيخ علي بن عمر باعفيف جاء في مجموع الأجداد أنه بعث بأسئلة إلى قاضي مكة محمد بن عبد الله بن ظهيره فأجابه عنها. ومنها (**آل بابصيل**) وفيهم علماء أجلاء من أواخرهم مفتي الشافعيّة بمكة الشيخ محمد بن سعيد بابصيل.

ومن **الهجرين آل بامَخْرَمه** وقد هاجروا منها إلى عدن وإلى غيرها، وأطال «النور السافر»[2] في ترجمة الشيخ عبد الله بن أحمد بامخرمه ثم استطرد إلى ترجمة ولده الصوفي عمر بن عبد الله بامخرمة ولم يفرده بالترجمة لأنه لم يعرف وقت وفاته وسيأتي في سيوون أنها سنة ٩٥٢، وقد أفرد ولده العلامة عبد الله بن عمر المتوفي سنة ٩٧٢ بالترجمة[3] وذكر فيها عمه الطيب ابن عبد الله بامخرمه، ومن الهجرين كان الشيخ محمد بن عمر باقضام بامخرمة يجتمع مع الشيخ عبد الله بن أحمد في الأب السادس، ولد ببلدة الهجرين ثم ارتحل إلى عدن

---

(١) قال امرىء القيس:

ألا رُبَّ يـومٍ لـكَ منـهُـنَّ صـالـحٍ ... ولا سـيّـمـا يـومٌ بِـدَارَةِ جُـلْـجُـلِ

(٢) ص ٢٠٤.

(٣) نفسه ص ٢٥٠.

وأخذ عن إمامَيْها عبد الله بن أحمد بامخرمه ومحمد بن أحمد بافضل ثم سار إلى زبيد ثم عاد إلى عدن ولازم الإمام عبد الله بن أحمد بامخرمه وولده أحمد وإليه انتهت رئاسة العلم بعدن بعد الشيخين عبد الله بن أحمد بامخرمة ومحمد بن أحمد بافضل إلاَّ أنه كان يتساهل آخر عمره في الفتاوى ويراعي أغراض السلطان وذلك مما عِيْبَ عليه، توفي بعدن سنة ٩٥٢هـ.

وفي «شمس الظهيرة» أن للسيد محمد بن أحمد **الكاف** عَقِباً **بِالْهَجْرَيْن**، منهم السيد الفاضل علي بن محمد بن علوي المتوفي سنة ١٢٦٧، وأبناء أخيه الآن عبد الرحمٰن وعلوي فقيهان فاضلان، وابن ابنه أحمد بن حسن بن علي ذكي نبيه متفقه. أهـ. وما بقي اليوم أحد ممن ذكر في «شمس الظهيرة» غير السيد أحمد بن حسن هذا، وقد اغتبطت بوجوده مع ثناء شيخنا عليه في سنة ١٣٠٧ إلى يومنا هذا ممتعاً بالقوة والعلم والحواس، يخرج بمكتله صباح كل يوم إلى حقله فيؤدي ما تعهد به من الخدمة والتنقية وإثارة الأرض على الثيران، ثم يرجع ويتنظف ويجلس في مجلس القضاء لأنه عليه **بالهَجْرَيْن** وما قاربها منذ زمن بعيد.

وفي **الهجرين** جماعات من آل العطّاس وآل الحامد وآل باسلامه وكثير من السَوَقة، ولا يزيد سكانها عن ألفين وخمسمائة بالتقريب، وفي تربتها من لا يُحصى من العلماء والصالحين، وكانت ولاية **الهجرين** لآل محفوظ الكِنْدِيِّين وهم من ذُرِّيَّة **آل** جعفر الذين امتدحهم الشيخ علي بن عُقْبَة الخولاني ـ أثناء القرن السابع ـ بقصيدته السائرة التي تُعَدَّ ولا سيما أبياتها الستة غُرَّةٌ في جبين الشعر العربي وهي:

أَصَبَرْتِ نَفْسَ السُّوءِ أَمْ لَمْ تَصْبَرِي ... بَيْنِي وَمَنْ تَهْوِيْن يَوْمَ المَحْشَرِ
إنِّي امْرُؤٌ عَفُّ الإزَارِ عَنِ الخَنَا ... لَمْ أَغْشَ مِنْدُ نَشَأْتُ بَابَ المُنْكَرِ
واللَّه مَا صَافَحْتُ كَفَّ بَغِيَّةٍ ... كَلاَّ وَلاَ نَادَمْتُ شَارِبَ مُسْكِرِ
لَكِنْ عَلَى كَسْبِ الْعُلُومِ مُخَيِّمٌ ... وَبُكَايَ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَتَحَسُّرِي
وَقَسَمْتُ حَالاَتِي ثَلاَثاً مِثْلَمَا ... قَدْ كَانَ قَسَّمَهَا أَبِي الشَّهْمُ السَّرِي
كَرَمٌ تَدِيْنُ لَهُ الأَنَامُ وَحَالَةٌ ... ظَهْرُ الحِصَانِ وَحَالَةٌ لِلْمِنْبَرِ
وَتَخِذْتُ أَصْحَاباً إذَا نَادَمْتُهُمْ ... لَمْ أَخْشَ مِنْهُمْ مَنْ يَنُمُّ وَيَفْتَرِي

عِلْمِي وَحِلْمِي وَالحِصَانُ وَصَارِمِي وَنَدَا يَمِينِي وَالْعِنَانُ وَدَفْتَرِي

كذا هي في حفظي ولئن خالفت بعض ما هي عليه فإلى أحسن منه إن شاء الله، ومن هذه القصيدة قوله:

أَعَدَدْتُكُمْ عَوْناً لِكُلِّ مُكَسَّرٍ عِرْضِيْ فَكُنْتُمْ عَوْنَ كُلِّ مُكَسَّر
وَتَخِذْتُكُمْ لي مَحْجَراً فَكَأَنَّمَا خَتَلَ العَدُوُّ مَخَاتِلِي مِنْ مِحْجَرِي
فَلاَنْفُضَنَّ الْكَفَّ يَأساً مِنْكُمُ نَفْضَ الأَنَامِلِ مِنْ تُرَابِ الْمُقْبَرِ

وهي مأخوذة من قول الشريف الرّضي:

أَعْدَدْتُكُمْ لِدفَاعِ كل مُلِمَّةٍ عَنّي فَكُنْتُمْ عَوْنَ كُلّ مُلِمّةِ
وَتَخَذْتُكُمْ لِيَ جُنّةً فكَأنّمَا نَظَرَ العَدُوُّ مَقَاتِلي مِنْ جُنّتي
فَلأنْفَضَنَّ يَدَيّ يَأساً مِنْكُمُ نَفْضَ الأَنَامِلِ مِنْ تُرَابِ المَيّتِ

وقد رأيت هذه الأبيات الثلاثة في «معاهد التخصيص» معزوة لابن سناء المُلك، وما هو إلاّ وهم ظاهر لأن قصيدة الرضى التي منها الأبيات مشهورة ومنها:

قُلْ لِلّذينَ بَلَوْتُهُمْ، فَوَجَدْتُهُمُ آلاً، وَغيرُ الآلِ يَنْقَحُ غُلّتي
تَأبَى ثِمَارٌ أنْ تَكُونَ كَرِيمَةً، وَفُرُوعُ دَوْحَتِها لِغَامُ المَنْبِتِ
لَمّا رَمَيْتُ إلَيْكُمُ بِمَطَامِعي، كَثُرَ الخِلاجُ مُقَلِّباً لِرَوِيّتي
وَوَقَفْتُ دُوْنَكُمُ وَقُوفَ مُقَسَّمٍ حَذَرَ المَنِيَّةِ رَاجِيَ الأُمنِيّةِ
فَلأرحَلَنّ رَحِيلَ لا مُتَلَهِّفٍ لِفِرَاقِكُمْ، أبَداً، وَلا مُتَلَفِّتِ
يا ضَيعَةَ الأمَلِ الّذِي وِجْهَتُهُ طَمَعاً إلى الأَقْوَامِ بَلْ يا ضَيعَتي

وقد جاء في قصيدة ابن عُقبة ذِكْر المَراحِل من الجوف إلى **الهَجْرَيْن** وبينها ذِكْر منصح، ولعلها التي يقول امرىء القيس بن عانس السكوني في ذِكْر **روضتها**:

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى الْوَرْدَ مَرَّةً يُطَالِبُ سِرْباً مُوكَلاً بِغِرَارِ
أَمَامَ رَعِيلٍ أَوْ بِرَوْضَةِ مَنْصَحٍ أُبَادِرُ أَنْعَاماً وَأَجْلَ صُوَارِ

وَهَـلْ أَشْـرَبَـنْ كَـأساً بِـلَـذَّةِ شَـارِبٍ مُـشَـعْـشَـعَـةٍ أَوْ مِـنْ صَـرِيْـحِ عُـقَـارِ
إِذَا مَـا جَرَتْ فِي الْعَظْمِ خِلْت دَبِيْبَهَا دَبِـيْـبَ صِـغَـارِ الـنَّـمْـلِ وَهْـيَ سَـوَارِي

وربما تكوْن هذه الروضة في داخل حضرموت بأمَارة أنها لبني وكيعة الكِنْدِيِّين وهم من وسط حضرموت وابن عانس من أسفلها فتكون غير التي ذكرها إبن عُقبة إذن، ملِك آل محفوظ لذلك العهد يُقال له (محفوظ) عرفناه من قصته مع الشيخ عبد الرحمٰن جد الشيخ عبد الله بن محمد القديم عبّاد الآتي في الغرفه، ومن اسمه نفهم أن (آل جعفر) ممدوحي ابن عُقبة بتلك القصيدة هم آل محفوظ، ثم خَلَفَهُم على الهَجْرَيْن (آل فارس) النهديّون، وقد ذكرنا بالأصل من أخبارهم مع آل كثير وآل يماني وآل سعد وغيرهم ما شاء الله أن نذكر. ثم تغلبت عليها يافع كسائر بلاد حضرموت في سنة ١١١٧، وفي **آل عُقْبَة** الخولانيين كثير من العلماء والشعراء، منهم الشيخ أحمد بن عُقبة الزيادي الخولاني الهجراني أحد مشائخ الإمام محمد بن مسعود باشكيل. وفي حدود سنة ١٢٧٦ قَدِمَ الشيخ عمر بن سالم بن **مساعد** ـ وهو من بقايا **آل محفوظ** الكِنْديين وقيل أنه من آل بامطرف ـ بدراهم كثيرة فحدثته نفسه بِمُلْكِ آبائه وتمنى أن يُخْضِع آل يزيد اليافعيين، وقد ورده الشيخ صالح باوزير في جملة الوفود التي تتابعت لتهنئته فأكرم مثواه وأطال معه السمر، ولم يزل يتسقطه الكلام ليرى ما وقع في صدره من قدره مع ثروته فقال له: إنكَ لفوق القبيلي ودون السلطان، فلم يقنع بذلك وجفاه ولم يقابله بعدها، فغضب الشيخ صالح ومَرّ في خروجه بجماعةٍ يتراجزون في شبواني لهم فقال:

يـا بـن مـسـاعـد قـال صـالـح نَـعْـنَـبُـوكْ يـالله مـتـى الـهـواك فـي دارك يـهـوك
ولـعـاد بـاتـنـفـع مـيـاتـك والـلـكـوك بـاتـصـبـح إلا عـنـد بَـامَـهْـلَـسْ تـحـوك
وإلاّ بِـــعَـــوْرِهِ عـــنـــد صـــالـــح بـــادكـــوك

ثم إن الشيخ عمر بن مساعد بقي يسادر الأحلام والآمال حتى لجأ إلى آل عبد الله الكثيريين بسيون، فنهضوا معه، ولم يزالوا يوالون التجهيزات على **الهَجْرَيْن** حتى استولوا عليها في سنة ١٢٨٥، ومعلوم أن **الهجرين** مفتاح دَوْعَن بأسره، ثم حطوا على قزة آل البطاطي فانكسروا دونها لِنَجْدةٍ جاءت لأهلها من الأمير عبد الله بن عمر القُعيطي بالشِّحْر، فطردوا مَنْ حواليها مِنْ أصحاب الدولة

الكثيرية وتراجعت فلولهم إلى الهجرين، ثم لم يُحْسِن المآل بين الشيخ عمر بن سالم بن مساعد والدولة الكثيرية لأنه استنفد أكثر ما في يده، وعَرَف أن الدولة لن تعطيه ما يتمناه، وعَرَف من نيتهم الإستبداد عند رسوخ أقدامهم فاتفق مع القعيطي وفَتَح له الطريق، فاقتحمها عسكره وحصروا بها الأمير الكثيري - وهو صالح بن مُطْلق - حتى سَلَّمَ بشرط أن يتحمل بما معه مما تقدر عليه الجمال، ولهذا بقي بها مدفع الدولة إلى اليوم لأنه لم يدخل تحت الشرط، وقد وَفَّى السلطان القعيطي للشيخ عمر بن سالم بن مساعد بما اشترطه عليه. والأخبار في ذلك طويلة شيّقه وهي مستوفاة بالأصل، وفيه أن (آل محفوظ) عدة قبائل منهم: آل عمر بن محفوظ أهل نحوله، وآل أحمد بن محفوظ أهل صيلع، وآل عجران منهم آل مرشد وآل ريس وآل الشيبه ومنهم آل عبد الله بن محفوظ رهط الشيخ عمر بن مساعد السالف الذِكْر.

المشهد:

قريه صغيره تبعد عن الهَجْرَيْن في شمالها بمسافة ساعتين وكان موضعه يُسمَّى (الغيوار) يكمن به اللصوص فيخيفون السابلة ويقطعون السبيل ويأتون في ذلك المكان المنكر، وكان الحسد قد تكسرت نصاله في الحبيب علي بن حسن بن عبد الرحمٰن بن حسين بن عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس من عشيرته لتفضله عليهم بعلو شأنه وغزارة علمه وقوة عارضته، وكان يتنقل في البلدان لنشر الدعوة إلى الله تعالى، وكانت أمه من آل إسحاق الساكنين بهينن فبدا له أن يختط بذلك المكان داراً ويبني مسجداً ورغب الناس في البناء بجواره، وعندما رأوا عموم الأمان بنيت الديار حوالي مسجده، فكان بناؤه واختطاطه ذلك المكان حصاة صادت عدة عصافير إذ قد استراح هو من مناوأة الحساد وأَمِنَ به الناس وزال البأس، وكان يحتفل بمولد النبي ﷺ في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول في كل عام[1] يتقاطر له الوفود من كل ناحية، وتكثر الفوائد وتُبْسَط الموائد وتهتز الأبشار وتحِنُّ العشار وينظم الإنتشار وتتشر الأبدان لحضور الأرواح من بَشَار:

هنالك يهتز الشعور إذا التقى ... من الملاء الأعلى كرام وطيّب

(١) راجع كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين» ٢/١٥٨.

وثَـمَّ يـطـيـب الاتـصـال إذا انـبـرى نسيم الرضا وانهل بالفضل صيب

ولا تزال تلك العادة مُتَّبعةً إلى اليوم، وهذا المولد من أقل الموالد بدعاً ومفاسد إلاَّ ما قد يقع من كثرة النساء فيه ولكن لم يشتهر عنه فساد، ولا مانع أن يكون ذلك ببركة إخلاص مؤسسهِ وحُسن نيته. ولو رأيت ما يقع من فرح الوفود، وزَجَل الأراجيز، ودويِ المدافع، وزمجرة الميازر:

والـخـيـل تـصـهـل والـفـوارس تـدَّعـى والـبِـيـض تـلـمـع والأسـنـة تـزهـر

والأرض خـاشـعـة تـمـيـد بـثـقـلـهـا والـجـو مـعـتـكـر الـجـوانـب اغـبـر

والـشـمس طـالـعـة تـوقَّـدْ فـي الـضـحى طـوراً ويُـطَـفِّـئُـهـا الـعـجـاج الأكـدر

لرأيت ما يملأ عينيك نوراً وقلبك سروراً، وتقوم هناك سوق من أسواق العرب تدوم ثلاثة أيام وتأتيها القوافل حتى من نحو صنعاء. وكان الحبيب علي بن حسن العطّاس ـ صاحب المشهد هذا ـ صدراً من صدور الرجال وله مؤلفات كثيرة منها كتاب «القرطاس» في ثلاثة مجلدات كبار، ومنها «سفينة البضائع» وله ديوان عذب كأنه اللؤلؤ الرَّطْب، وهو يَمُرُّ في منظومه ومنثوره مع خاطره لا يتكلّف ولا يتنطّع ولا يدع شيئاً يمر بباله إلاّ نَفَث به لسانه وعسل به قلمه، من ذلك أن جماعةً من قرار شبام أتوا عنده فأكرمهم واسبغ قراهم ومعهم جَمَّالٌ من آل مهرى سأل عنه الحبيب علي عند حضور العشاء فقالوا له: إنه عند المراكيب، فأخَّر عشاءه حتى تَفرَّغ، قال: معاذ الله أن نأكل إلاّ ويده مع أيدينا. ثم اتفق أن وصل الحبيب إلى شِبَام بعد أُمَّةٍ من الزمان واجتمع بكل أولئك في الجامع ولم يقل له أحد تفضّل إلى منزلي، وأبوا بلسان الحال أن يضيفوه فاضطر إلى مغادرة شبام قريب المغرب فلاقاه ابن مهري خارجاً من سدة شبام فعزمَ عليه وألحّ وذبح له منيحة ولده، فأنشأ الحبيب قصيدته التي يقول فيها:

عـلـي بـن حـسـن حـوّط الـغـيـوار وأمْـسـى مـزار

وامـسـيـت يـا الـجِـحـي جـنـه بـعـدمـا كُـنْـت نـار

يا القروي القار ياعرق المَدَجّ يالْحَمار حَبّ القبيلي وقيراط القبيلي بهار

وان جـيـت صَـرّ الـقـبـيـلـي مـا لـطـف فـي الـصَـرّار

وسيأتي في شبام أن لأهلها مكارم غزيرة ومحاسن كثيرة إلاّ أنهم لا يَقْرُوْنَ الضيف لِضِيْق منازلهم وكثرة أشغالهم. وكلام الحبيب في ديوانه وإن خرج عن

قواعد الإعراب فأنه عذب اللّهجة، حلو السياق، خفيف الروح، أخذ عن كثير من المشايخ مَرّ ذِكْر جملةٍ منهم، ومنهم جدُّ أبيه الحبيب حسين بن عمر العطّاس، ومنهم جدّه عبد الله وأخوه أحمد، والسيد عمر بن عبد الرحمٰن البّار الأول، والسيد عبد الله بن جعفر مدهر، والسيد أحمد بن زين الحبشي، وغيرهم. توفي بالمشهد سنة ١١٧٢هـ ولم يزل أولاده يتوارثون منصبه على البِرْ والتقوى وإكرام الضيف وإعانة المنكوب وتأمين الخائف والإصلاح بين الناس والحجز بين المتحاربين. والقائم بمنصبهم الآن ـ يقصد عام ١٣٦٦ـ هو أخونا الفاضل المنصب أحمد بن حسين بن عمر بن هارون العطّاس[1] سخي الكف سليم الصدر، خفيف الروح قليل الغضب، لا يُشِيْنُه عبوس ولا يُبْطِره غِنّي ولا يُذِلُّهُ بؤس:

لا مُترفاً إنْ رخاء العيش ساعده ... وليس إن عضّ مكروهُ به خَشَعا

وفيه أقول من «الرحلة الدوعَنِيَّة»:

وَعَجْنا إلى الغيوار صبحاً فأطلقوا ... كذا وكذا عند التحية مدفعا
وزرنا البعيد الصيت حامي الحمى الذي ... به صار من عِرّيْسَة الليث أمنعا
وكان زعيم المشهد الشهم غائباً ... مضى هو والسلطان في رحلة معا
وكان مَكِيْناً عنده حيث أنه ... بأخلاقهِ لم يُبْقِ للظُرف موضعا
سوى لحيةٍ فيها يسير زيادةٍ ... أريد على تقصيرها فتمنعا
وفي جيده بالليل أبصرت سبحةً ... من الرقش خفنا أن تدب وتلسعا

وقولي: أبصرت سبحة.. إلخ، لاَ يَشْكل مع قولي أنه كان غائباً لإنّا اجتمعنا وإياه مع السلطان، قبل ذلك وبعده، فكان ما قلت في البيت الأخير. ولقد أخبرني أن السلطان صالح بن غالب القُعيطي أراده على حلق لحيته أيام كان معه بمصر، لأن أهل مصر لا يحبون اللِّحا، وبذل له مئة دينار مصري فامتنع إلاّ أنه ندم بعد ذلك وأنشد بلسانُ حاله قول كُثَيّر عزّه:

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها ... وأمكنني مثها إذن لا أقيلها

(١) انظر ترجمته في كتاب «لوامع النور» ٢/ ٧٠.

ولا سيما بعدما أخبرته أن الذي اتفقَ عليه الرافعي والنووي كراهة حلق اللِّحْيَة لا الحُرْمة، وأن السخاوي ذَكَر في «الضوء اللامع» أن عبد الحق بن هاشم الجزي المغربي كان يحلق لحيته وشاربه وكان صالحاً مُعْتَقداً، وأصلهُ من الينبوع فيما يُذْكَر، وقد تولّى مشيخة رباط السيد حسن بن عجلان بمكة وبها توفي سنة ٨٤٥هـ.

وفي حوالى **المشهد** كثير من الأطلال القديمه والآثار العاديه، أكثرها في مكانٍ يقرب منه يُقال له **(ريبون)** [1] يزعمون أن به آثاراً كثيرةً مطمورة بالتراب كمثل الآثار التي أُكْتُشِفت بناحية حِرَيْضَه أو أكثر.

ميخ:

وفي جنوب المشهد على نصف ساعةٍ منه بالأقدام، **قريةٍ يُقال لها (ميخ)** فيها جماعة من ذُرّيَّة الشيخ محمد بن عبد الله مَوْلَى الغيل بن عبد الله بن أحمد المشهور باستجابة الدعاء، يرجعون إلى **عفيف الكِنْدي**، ومنهم **الشيخ سعيد بن محمد المُلَقَّب الصوفي الكِنْدي** وهو منصبهم. وفيها **آل باسمح** ولهم من اسمهم نصيب، منهم سالم وأحمد وعمر وسعيد بن محمد باعمر باسمح، لهم ثروة وخير وسماحة. وفي غربي ميخ غيل أجراه الشيخ محمد بن عبد الله العفيفي الكندي، وأعانه عليه الشيخ عبد الله بن محمد القديم عبّاد بخمسمائة ريال. ومنها **الشاعر** المشهور **غانم الحكيمي** وهو القائل ينسب نفسه:

من نسل عذره بن سبا بن سام ... ونُنسب لا نوح بن شيليخ
ما نكسب إلا من علوق الشام ... مسرح مضوى والمحله ميخ

ومن شعره في موسم المشهد:

اليوم صبحناك يا علي بن حسن ... يا مُعطى الزوار كل لي بغاه
من ليس له نِيّة في السّادة وظن ... لو الرِّزق ذامه رجع لمّا قفاه

وقال أيضاً:

---

(١) حُفِرَت في هذا الموقع حفريات أثرية في السنوات ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤، أظهرت تاريخ هذه المدينة، وقد حُفظت تلك المكتشفات بمتحف مدينة سيؤن.

اليوم صبحناك ياعلي بن حسن يومك كما ياسين سلطان القُران
طالِب كرامه من بحورك ياعلي يا الطير لأخضر يالشقر يا الضيمزان

وقال:

يا الرعد حنيّ وحن دقم الحِسي وإذا قام وادي العين ترغي من رغاش
في شهر لول تلتقي زوّارها وبعد في الأمراض تسعى للمعاش

والحسي جبل كبير في شمال المشهد بطرف وادي العين. وقد ذَكَّرني قوله: (ترغي من رغاش)، بقول ناصر ابن أبي المكارم الخوارزمي:

فأن تنكروا فضلي فإن رغاءاه كفى لذوي الأسماع منكم منادياً

وادي العين:

هو وادٍ واسع في شرقي المشهد ووادي الأيسر، تفصل بينه وبين الثاني الجبال، فيه كثير من القُرى والحصون، ونحن نذكر منها ما يُجَمَّعُ فيه، وأكثر سكانه من المشائخ آل باوزير والعوابثه، وقد مَرّ في غيل باوزير مايُفهم منه أن الرئاسة الدينية كانت لآل باوزير، وأن العوابثه المَذْحِجيِّيْن كانوا ينتسبون إليهم بالخدمة والموالاة كأكثر قبائل حضرموت مع مناصبها، وكان شيخ العوابثه ـ حوالي سنة ٨٥٨ـ رجلاً يُقال له عمر بن أبي قديم له ذِكْر في الحكاية ٣٩٩ من «الجوهر الشفاف» للخطيب، وقد مَرّ في وادي عمد ذِكْر: عَوْبَث ونَاعِب ورِيَام.

وأعلى وادي العين قريةٍ يُقال لها **(شرج الشريف)** فيها قرار أعنى سوْقةً وعوابثه، وبعدها **(غورب)** مكان آل باذياب، وبعده **(الهشم)** فيه عوابثه ومشائخ من آل باوزير، وبعده**(الباطنة)** للمشائخ آل باوزير منصبهم الشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد باوزير، وبعده **(البويرقات)** فيها مشائخ من آل باوزير وقرار وغيرهم، وبعدها **(السفيل)** فيها مشائخ من آل باوزير وسَوَقه، والمنصب بها الشيخ أحمد بن صالح باوزير. وبين البويرقات وغَوْرَب مكان لا جُمعة فيه يُقال له **(الرَّابيه)** كانت تقيم فيه العرب سوقاً، قال اليعقوبي: يقومُ سوق صحار في أول يوم من رجب ثم يرتحلون إلى دما وهي من بلاد عُمان كما في الصفحة ٥٢٣ من آخر أجزاء «معجم البلدان» وغيرها، ثم سوق مهره وهو سوق الشِّحْر يقوم تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السَّلام، ولم تكن بها خفاره، كانت المَهْرَه

تقوم بحفظها، ثم سوق عدن أول يوم من رمضان، ثم سوق صنعاء في النصف من رمضان، ثم سوق الرّابية بحضرموت ولا وصول إليها إلاّ بخفارةٍ لأنها لم تكن أرض مَمْلَكه، بل كُلٌّ مَنْ عَزَّ بها بَزَّ، وكانت كِنْده تخفر فيها، ثم يقوم بعدها سوق عكاظ. اهـ. وقد ذكرته مع ما يتعلق به في الأصل. وأبسط ما رأيت الكلام عن أسواق حضرموت بكتاب «الأمكنة والأزمنة» لأبي علي المرزوقي وهو مطبوع بدائرة (المعارف الدكنيه) وقد ذَكَر سوق الرابية هذا، ثم ذكرت قول صاحب «قبائل العرب» سوق دومة الجندل أول يوم من ربيع الأول إلى النصف منه، وتقوم سوق المشقر من أول يوم من جمادي الآخرة، ثم تقوم سوق صَحَار خمسه أيام لعشر يمضين من رجب، ثم سوق الشِّحر في النصف من شعبان، ثم سوق صنعاء في النصف من شهر رمضان إلى آخره، ثم سوق حضرموت في النصف من ذي القعدة، وتقوم سوق عكاظ بأعلى نَجْد قريب من عَرَفات في نصف القعده أيضاً إلى آخرها وهو أعظم أسواق العرب تأتيها قريش وهوازن وغطفان وسليم والاحابيش وعقيل والمصطلق وطوائف من العرب يبقون بها إلى هلال الحجة فيأتون ذا المجاز ـ وهو قريب من عكاظ ـ فيقوم سوقه إلى الترويه فيصيرون إلى منى وتقوم سوق نطاه بخيبر وسوق حَجْر ـ بفتح المهملة وسكون الجيم ـ يوم عاشوراء إلى آخر المحرم اهـ. وقريب منه في ص ٢٧٥ج ٢ من «خزانة الأدب» وفي التي قبلها منها أن أول ما ترك من أسواق العرب سوق عكاظ ترك في زمن الخوارج وآخر ما ترك منها سوق جاشه في زمن عيسىٰ بن موسى العباسي سنة ١٩٧. ومما يتأكد به عدم النَّصَف والأمان في حضرموت إذ ذاك، ما أخرجه البخاري وأحمد والترمذي وأبو داؤد عن خَبَّاب بن الأرَت مرفوعاً: «ليتَّمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاَّ الله والذئب على غنمه» لأن القوافل كانت تسير من صنعاء إلى سوق الرّابية ـ هذا ـ فتلاقي عناءً من الخوف وخسارة من الخَفاره ولو لم تكن أشد الطرق خوفاً لما كان أمنها إعجازاً.

وحوالى قعوضه مكان يُقال له (الرّابيه) أيضاً، قيل: إن السوق إنما كان فيه وإنما بُنِيَتْ قعوضة من أجله والله أعلم.

ووادي العين من أطول أودية حضرموت، فمن أعلاه ـ وهو شرج الشريف ـ إلى السفيل مسافة يوم للماشي، ومن شرق الشريف إلى أقصاه الجنوبي مسافة يوم

كذلك للراحل، إلاَّ أنه يضيق وتنتهي المحارث، وفي أعلاه عين ماء نَضَّاخه عليها نخيل تسقيها إلى مسافة ستة أميال تقريباً، ثم تفور في الأرض، ولكن متى جاءت السيول مدت بالليل إلى مسافة طويلة وتَجْزُر بالنهار، ومن انحط عن مائها الدائم المعتاد يحمي نخله عن مائها لأنه يضره فيما يقولون، وإنما ينتفع به الذي يألفه. وحيثما يجري ذلك الماء يكوْن الجو رديئاً موبؤاً، يغلب على أهله الضعف وانتفاخ البطون وقصر الأعمار، وقَلَّ من يبيت به ليلتين من غير أهله إلاّ أصابته الحُمَّى ثم منهم من يَسْلَم ومنهم من يذهب لِمَا به. وأهل النخل به من غيره يبادرون بجذّ خريفهم وتحميله تفادياً عن البَيَات، خوفاً من أُمِّ مِلْدَم[1].

ومن أخبار العوابثه الظريفه أن رجلاً منهم أخفرت ذمته، فلم يقدر على غسل العار عن وجهه، وكان بينهم شاعر من الحالكة جريء اللِّسان لا يشهد حفلاً إلاّ غمزه بشيء من الكلام، حتى لقد توعدوه بقطع لسانه إنْ عاد إلى تعييره، ولكنه لم يصبر ففي احتفالٍ بفرح عندهم قال:

لا الحَوْل حولي ولا لي منْ قَدَا الحول حول
لـو شِـفْـت غـربَـانٍ سَـوْدَا قـلـت ذَوْلاَكْ عَـوْل

ومعناه إنني لا أقدر على تعيير صاحب الوجه الأسود، بل أقول إنه أبيض، فأعادوا عليه الوعيد والتهديد وكادوا يسطون به، فعاد مرَّةً أخرى في حفلٍ بعد ذلك يقول:

والله لا ثـوّر الـنـائـم الـمّـا الـمـقـيـل وإن لاكفت فوقه النشقة طرحنا المكيل

وأهل بلادنا يعرفون مغزى هذا الكلام فلا حاجة إلى الشرح، فلم يكن من العوابثة إلاَّ أنْ عيَّروا صاحبهم وكان مثرياً، فحمل ولده على ركوب الليل، واستأجر معه جماعة من أهل النجدة فذهبوا إلى مكان المطلوب، وكان آمناً لبعدهم ولِمَا يعرفه من حال طالبه، وأنه كما قال جرير:

زعـم الـفـرزدق أن سـيـقـتـل مـربـعـاً إبـشـر بـطـول سـلامـةٍ يـامـربـع

فلم يكن من الجماعة إلاَّ أنْ أمسكوه وكلَّفوا الولد أن يطعنه، فما كاد يفعل إلاَّ بعد أمرٍ مَّا، وعندما انتهى من العمل خرق وعقر، فاحتملوه حتى أوصلوه إلى

---

(١) أُمّ مِلْدَم: الحُمَّى.

أبيه في زفَّ كبير حضره ذلك الشاعر فألقى عليهم ما يمحوا بوادره السابقة.

ومن أخبارهم أنه كان بين عبد الله باذياب ـ صاحب غَوْرَب ـ وبين عبد الله بن عوض بن فاجع ـ صاحب الهَشْم ـ منافساتٍ، فبينا أحمد بن عبد الله باذياب ـ ذات يومٍ ـ مع اثنين من أصحابه على مقربة من الهشم، خَرَج عليهم عبد الله بن عوضٍ صاحب الهشم في سبعةٍ من أصحابه فأطلقوا الرصاص على أحمد بن عبد الله فخرّ صريعاً يتشحّط في دمه، وهَرَب صاحباه، فاحترق لذلك فؤاد والده عبد الله باذياب وأخذه من الأسف عليه ما كاد يغلق فؤاده، لا سيما وقد أعياه الثأر لأن عبد الله بن عوض بن فاجع أخذ بشدة حزمه في التحفظ، فقلَّما خرجَ من داره إلاّ بعد الاستبراء، ولمّا اشتد الأسف بباذياب خاطر ولده الباقي الوحيد «مانع» بنفسه، واقتعد الليل وكمن في خربةٍ بالهشم، ولمّا خرج عوض بن عبد الله بن عوض بافاجع قَدَرَ عليه، ولكنه تركه رجاء أن يخرج أبوه ليشفي غيظه وغيظ أبيه من نفس القاتل الذي اقتطف ثمار قلوبهم، فلم يكن من أحمد بن عبد الله إلاَّ نادى أباه وقال له: لاقني بمزجاةٍ ومكتل، فقال له: سآمر أحد العبيد يأتيك بها، فلمَّا أَيِسَ من الأب أطلق بندقيته على عوض فخرَّ صريعاً لليدين وللفم، وانْساب مانع ابن ذياب إنسياب أَيْم الرمل، ولمّا دنَا من دار أبيه أطلق الرصاص إشارةً إلى الظفر فاستقبله أبوه في حفل كبير وذبح الذبائح وعمل ضيافة للناس:

وساغَ له الشَّرابُ وكانَ قَبْلاً ... يكاد يغصُّ بالماءِ الزُّلاَلِ

والناس يعدون صنيع مانع بن ذياب من المعجزات، ولا بدع فأنه من سِرِّ قوله جلّ ذكره ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾. ولم يتعمّر بعدها عبد الله بن عوض بافاجع، بل مات غبناً عندما أيس من آل باذئاب. وذلك أولُ شَرٍّ نَجَم بين العوابثه وإلاَّ فقد كانوا قبلها يتناصفون ويقتلون القاتل، ولهم قوانين عادله يحرسها في كل قريةٍ رئيسها ثم يكوّن الأستيناف لمن لم يقتنع عند المنصب العام. وكان لعبد الله بن أحمد باذياب ـ هذا ـ بِنْتٌ مشهورة تُسمَّى عبوده، تَنافَس عليها الخُطَّاب وكان منهم محمد بن عمر باعقيل ـ السابق خبره في الضِلَيْعة ـ وأعطاهم ألفَ ريال، وشرطوا عليه معه هدايا طائله جاء بها على ميعادٍ عَيَّنُوْه كان الإملاك والبناء وإلا انفسخت الخطبه وضاع الألف، فتأخر عن وعده فتركوه، ويقال: إنهم رفعوا أمره إلى

السيد حسين بن حامد المحضار فقضى عليه وكلّفه مع ذلك غرامة الدعوى مقدارها مئتاريال، وقيل إنه بنى بها وإنما كان النزاع بعد الزواج والله أعلم. ومن غرائب الصدفة أن «عبوده» هذه تزوجت من الشيخ حسن بن أحمد القحوم العمودي، وَحملها إلى خديش وأولدها بنتاً، قضى إليه أن تكون تلك البنت زوجةً لأحد أولاد محمد بن عمر باعقيل، لا تزال تحته إلى اليوم.

سدبه:

أول ضمير من وادي العين هو الذي يسقي سدبه، **وهي عدة قُرى**، منها **(كيرعان)** ومنها (عرض بوزيد) وفيها شراج ونخيل، وهي من قدامى البلدان لها ذِكْر عند ابن الحائك الهمداني، منه قوله[1]: وهي قرية محمد يوسف التُّجيبِي. أهـ. وفيها جماعةٌ من أعقاب السيد سالم بن عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس، وعلى قارةٍ منها حصن **(الرِّكَهْ)** كان لمحس بن علي الملكي وقد قَتَلَتْهُ مَذْحِج بفنائه. وفي سنة ٨٢١ هجم آل الملكي - الآتي ذِكْرهم آخر حوره - على صاحبهم في حوره، وأعانهم عليه آل عامر. وفي سدبه كثير من **آل رباع** يرجعون في نسبهم إلى مَذْحج. ومن خصائص سدبه فيما يقال أن لا تدخلها الغِرْبَان، كما أن من خصائص قارة الشناهز أن لا يأكل مزارعها الطير، وأن من خصائص اللَّسك أن لا يُسلّط عليها الجراد، ورُوُي أن الأفاعي لا تضر في ثلاثة مواضع من اليمن وهي: صنعاء وناعط وظفار لتحصينها من أيام حمير بالطلاسم!

حُوْرَه:

قال ابن الحائك الهمداني في موضع من «صفة جزيرة العرب»: **هي مدينة عظيمة** لبني حارثة من كِنْدة، وقال في آخر: **وَلِبَدَّا** قرية أخرى يُقال لها حوره فيها بطنان يُقال لهما بنو حارثة وبنو محرِّيه من تُجيب ورأسهم اليوم حارثة بن نُعَيْم ومحمد ومحريه أبناء الأعجم. أهـ. وقوله قريه لا يخالف قوله مدينة عظيمة لأن القرية قد تطلق عليها وقد سَمَّى الله تعالى مكة قريةً بل هي أم القُرى. وفي الجزء الثامن من «الأكليل» أن حوره من حصون حمير بحضرموت فيها اليوم كِنْده. أهـ. وكانت حوره في الأزمنة المتأخرة تحت حكم النقيب بركات بن معوضه اليافعي،

(١) «صفة جزيرة العرب» ص ١٦٨.

وله مكاتبات من الحبيب علي بن حسن العطّاس، ثم استولت عليها عساكر السلطان عبد العزيز بن محمد بن سعود أو ولده سعود المتوفي سنة ١٢٢٩هـ - حسبما سبق في الشِّحْر - وطردوا النقباء اليَافِعيِّين، وكانوا وصلوا إلى حضرموت في سنة ١٢١٩ ولكنهم كانوا قليلاً إذْ ذاك فصدهم السلطان جعفر بن علي الكثيري من شبام. فإما أن يكوْنوا انحازوا من عامهم ذلك إلى حوره وطَرَدوا النقباء اليافعيين منها أو صالحوهم لاتفاق في المبادىء، فكلّ ذلك سمعت من أفواه المُعَمَّرين. وإمّا أن يكوْنوا عادوا أدراجهم واستأنفوا التجهيز على حضرموت في سنة ١٢٢٣هـ واستولوا به عليها وأقاموا بها ردْحاً من الزمن، يبعثون البعوث بقيادة الأمير علي بن قملا وأخيه ناجي، ففي سنة ١٢٢٤ استولوا على حضرموت وهدّموا القِباب بها إلاّ قُبَّة السيد أحمد بن زين الحِبْشِي فإنهم لم يُعَرِّجُوا عليها مراعاة لخواطر آل كثير الذين فتحوا لهم الطريق ولم يعارضوهم في شيء. وكذلك هاجموا حضرموت في سنة ١٢٢٦ واختلفت الأقوال فقيل: إنهم انكسروا دون شبام بقيادة الحبيب حسن بن صالح البحر، وقيل: إنهم استولوا عليها كما في سنة ١٢٢٤ ولم يكن سيدنا الحسن البحر من المتعصبين على الوهابية ولا من المتشردين في إنكار مذهبهم كما يُعْرَف من مواضع من هذا الكتاب، منها ما يأتي في تَرِيْس فلا يبعد أن يقود الجيوش لمحاربتهم لأنه ينكر على غلاتهم تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم. وفي الأصل أن النجد علوي بن سقاف كتب للسيد عمر بن أحمد الحداد جاء فيه أن المكرمي خرج إلى حضرموت سنة ١٢١٨ ولا يمكن أن يكون سيد الوادي الحبيب حسن بن صالح تساند هو والسلطان جعفر بن علي في دحرهم لأن ظهور جعفر هذا إنما كان في سنة ١٢١٩. وفي أشعار الحضارمة ومكاتباتهم - الموجود شيء منها بالأصل - ما يدل على طول زمان الوهابيّة بحوره، وأنهم لبثوا بها مدةً ليست بالقصيرة يتجاذبون الحبال مع قبائل حضرموت مصالحةً ومحاربةً، وكان أكثر من يتولاهم من يافع، وأكثر من ينازعهم ناس من آل كثير، وللحديث عنهم بقية تأتي في تَرِيْم وعينات. وبعد ارتفاع أصحاب ابن قملا عن حورة استولى عليها عمر بن جعفر بن صالح بن مطلق من آل عمر بن جعفر آل عمد ثم ولده جعفر ثم ولده صالح ثم ولده مقبل بن صالح، ثم أخذ القُعَيْطي يسايسهم حتى أدخلوه إليها وبقي نائبه - هو وإياهم - بحصنها يديرون أمرها معاً، حتى استولى القعيطي على شبام، فحينئذٍ قال نائبه بحوره لصالح بن مقبل: لا مقام لك بعد اليوم فإن شئت الخروج بالأمان وإلا

ناجزتك، فخرجَ إلى النقعه عند المشايخ آل باوزير، فأوصلوه ومن معه إلى العجلانيه حيث يقيم بها أعقابه إلى اليوم. وكان استيلاء القُعَيْطي على حوره كلها في سنة ١٢٧٢ وكانت هي وشبام أحب بلاده إليه، وقد خَصَّها الأمير الحاج عمر بن عوض القعيطي ـ وكذلك ابنه السلطان عوض بن عمر ـ بحصةٍ وافرة من البر والإحسان في وصيتيهما، وقد أوردنا وصية الأول بالأصل، أمّا وصية الثاني فإنها مطبوعة منشوره وهي ـ مع ذلك ـ لا تخرج عن معنى وصية أبيه، ثم رأيت معاهده بين السلطان أحمد بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن عمر عنه وعن السلطان مقبل بن صالح بن مطلق بن جعفر بن عمر عنه وعن أولاده من جهة، ومن الأخرى الجمعدار محمد بن عمر عوض القُعَيْطي بتاريخ صفر من سنة ١٢٧٢هـ وفيها أنهم تناصفوا في بلد حوره ومصنعتها وجميع مايتعلق بها: فلأحمد ومقبل ناصفه ولمحمد بن عمر ناصفه في الحصن والبلاد والمراتب وكل ما يعتادونه في البلاد وخليانها وسدبه، ومنها أن الدولة يشلّون أنفسهم وحاشيتهم عشر سنين وإن بدرت فتنه في العشر السنين فعلى محمد بن عمر ثقلها، وبعد العشر السنين هم إخوة مُتَّحدين في فائدة وخساره. والشهود على ذلك الخط: علي بن سعيد بن علي، وأحمد حسين بن عامر آل عمر نقيب القعطة، وعبد الله بن عمر بن عوض القعيطي، ومحمد وسعيد بن محمد بن سالم بن جنيد، وعبد الله بن علي بن عبود بن طاهر، ومحمد بن سالم بن محمد بن سالم بن علي بن جنيد.

وفي القرن العاشر عمّر الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عمر باوزير ضميراً لسقي أطيان حوره ونخيلها، فمانعه بنو معاذ وأهل غنيمه والسحاري والحِظَة والمِخَيْنِيق وحريز والعَدَان، وقاموا عليه وساعدهم علي بن ظفر ـ وَالِي المخينيق ـ وبنو ظِنَّه أهل السور وبنو قيس والمقاريم والظلفان من نهد، وأمدّهم التجار بالمال وهم: أبو منذر وبُوْعِيران وبُوْعسكر، وحصل منهم ضرر عظيم على أهل حوره وعلى أهل عرض مخاشن. وقام مع الشيخ عمر باوزير: آل عامر وآل بدر وآل بِشْر وآل فارس المجلفّ، وامتد أَمَد الحرب، وقُتل خلق كثير من مذحج، وانتهى الأمر بفوز الشيخ عمر وانهزم أصحاب المخينيق والسور، وجاء من السَيْل ما يكفي لحوره والنقعه وعرض آل مخاشن، مع أن آل مخاشن لم يشتركوا في الحرب ولم يساعدوا بحارّة ولا باردة ولهذا استحقوا الهجاء اللاّذع من الشيخ عمر في قصيدةٍ مذكورة بالأصل. وبما أن وادي العين هو وادي المشائخ آل باوزير وقبائلهم العوابثه فقد تَدَيَّر كثير منهم بحوره، وأظن السابق

منهم إليها هو الشيخ أبو بكر - مَوْلَى **حوره** - بن محمد - مَوْلَى عرف - بن سالم بن عبد الرحمٰن بن عمر بن الشيخ يعقوب بن يوسف. وأبو بكر هذا مقبور **بحوره**، وأخوه سعيد صاحب المجش مقبور عند رجليه.

قال البكري[1]: حَوْرَه موضع في ديار بني مُرَّة وقد شكَّ أبو عُبَيْده في هذا الاسم وقال نُصَيْب:

عَفَا مَنْقَلٌ من أهله فَنَقِيبُ ... فَسَرْحُ اللِّوى من ساهرٍ فَمُرِيْبُ

فذو المَرْخِ أَقْوَى فَالبِرَاقُ كأنّها ... بِحَوْرَةَ لم يَحْلُلْ بهنَّ عَرِيبُ

وقالَ في مادة رَضْوَى من حديث واقد بن عبد الله الجُهَنِيّ عن عمه عن جَدِّه قال: نزل طَلْحَةَ بن عُبيد الله وسعيد بن زيد عليَّ بالتَّجْبَار، وهو موضع بين حَوْرَة السُّفْلَى وبين مَنْحُوس، على طريق التِّجَار إلى الشام، حين بعثهما رسول الله ﷺ يترقّبان عِيَرَ قُرَيْش، وذكَرَ حديثاً طويلاً يؤكد أنها ليست بالتي نحن في سبيلها. ورأيت الطيِّب با مخرمه يقول: قال القاضي مسعود باشكيل: **حوره** اسم لقريتين باليمن إحداهما قريه كبيره لها قلعه حصينه من أرض حضرموت تُسقَى من وادي العين، وسكان تلك القلعه آل الملكي وسكان أسفل القلعه آل باوزير المتصوّفة وبها قبور جماعة منهم أشهرهم وأقدمهم بوبكر وسعيد إبنا محمد بن سالم والباقون أسباطهم، نفع الله بهم أجمعين. والثانية قرية كبيرة شرقي أحور سكانها قوم من حِمْيرَ وبها قوم صالحون يُسمَّون الشهداء يطعمون القادم عليهم وهي على ساحل بحر يصطادون السمك ويحرثون على البقر. انتهى ما ذكره القاضي مسعود وبه انتهى نقلنا عن بامخرمه. وقوله تُسْقَى من وادي العين يدل على أن الشيخ عمر باوزير لم يبتدي ذلك الضمير لأن القاضي مسعود أقدم منه، وقال الطيب بامخرمه في موضع آخر من كتابه «نِسْبَة البلدان»: **وآل الملكي** بفتحتين وكاف جماعة من مسلمي الروم النَصَارى أهـ. وقد أَنْبَهَم عليَّ أمرهم في الأصل ووقَعَت في إشكالات لم تُحَلّ بهذا ولكنها تنكشف بما سيأتي في مَرْيَمه، ومنه يُعرف كثرة من نجع إلى حضرموت من العجم وقد سمعت بمؤلَّف في خصوص ذلك، وفي حضرموت أسماء عجميّة لكثير من البلدان كما سبق: أن درعن مَؤَلَّفٌ من (در) وهو الإثنان و(عان) وهو المكان المرتفع، يعني واديين مرتفعين. وفي «صفة

(١) «معجم ما استعجم» ١/ ٤٧٥.

جزيرة العرب» للهمداني[1]: يبرين في شرقيّ اليمامة وهي على محجة عُمان إلى مكة وبينها وبين حضرموت العجم بلد واسع. وبما أن اسم دوعن فارسي فالظاهر أن كثرة أعاجمها منهم بأمارة: أن صعبة أم طلحة بن عبيد الله من بنات فارس، وهي حضرمية أُخت العلاء بن الحضرمي، وكانت تحت أبي سُفيان بن حرب فلم تزل به هند حتى طلقها وتبعتها نفسه فقال:

إِنَّـا وصَـعْـبَـةَ فـيـمـا تـرى ... بِـعِـيْـدَانِ والـودُّ وِدٌّ قـريـبُ

فـإلاَّ يَـكُـنْ نَـسَـبٌ ثَـاقِـبُ ... فَـعِـنـدَ الـفـتـاةِ جَـمَـالٌ وطِـيْـبُ

لَـهَـا عِـنْـدَ سِـرِّي بـهـا نَـخْـوَةٌ ... يـزول بـهـا يَـذْبُـلٌ أَوْ عَـسِـيْـبُ

ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» وذكره أيضاً غيره، والبيت الأول منها مخروم، وفي ص ٣٨٨ ج ٢ من «الخزانة» عن السهيلي أن ماخر بن أبي عمرو مات في حب صعبة بنت الحضرمي، وعن «الأغاني» أنه مات في حب هند بنت عُتبه وبَسَط القصه. وفي «غرر البهاء الضوى» للعلامة المحدث محمد بن علي خرد ما يفيد أن حورة هي **(الحوطة)** في عُرْف أهل اليمن، وقد مَرّ في **(النقعة)** أنها مرادفة **(للحوطة)** أيضاً عند أهل اليمن[2].

النقعه:

هي[3] **قريه واسعه** لآل جنيد من المشائخ آل باوزير، وظني أن أول من سكنها منهم هو الشيخ عمر بن علي بن أحمد بن **سعيد صاحب المجش المقبور** بحوره. وعمر بن علي هذا هو جدّ **آل جِنَيْد** وهم مشائخ كرام يغلب عليهم بياض الصدر وصفاء السريرة، ومنصبهم الآن الشيخ محمد بن بُوبَكر باوزير، طويل النجاد، كثير الرماد، قريب البيت من الناد (توفي المنصب من سنتنا لكن بعد الفراغ من هذا الكتاب)[4]. وله أخ يسمى علياً توفي من قريب، كان باذلاً

---

(١) ص ٩٠.

(٢) في تقديري أنها مجرد اجتهادات، لأن المرادف للحوطة هي: الهِجْرة، وجمعها: هِجَر؛ ولهذا جاءت تسمية كتاب القاضي إسماعيل الأكوع (هِجَر العلم ومعاقلة في اليمن). وما يحمل اسم (حوره) من بُلدان في اليمن، هي كثيرة، انظرها في كتابنا معجم البلدان والقبائل اليمنية ـ ط ٤.

(٣) النقعة: قرية جوار حوره، عدادها من مسيرية القطن.

(٤) إضافة في هامش النسخة «أ».

للطعام، وصولاً للأرحام، كثير الخيرات، مبسوط اليدين في المَبَرّات. وقد صهرَ إليهم منصب المشهد السابق السيد حسين بن عمر بن هادون فهم أخوال، ولده المنصب الحالي أحمد بن حسين، وصهرَ إليهم أيضاً الشهم الكريم الفاضل السيد علي بن حسن بن محمد بن إبراهيم بَلْفَقِيْه المنغص الشباب المتوفي سنة ١٣٤٥ فهم أخوال ولده الوجيه النبيل الصفي الوفيّ عبد الرحمٰن بن علي بَلْفَقِيْه.

عرض آل مخاشن:

هو من وراء النقعة في شرقيها، وهم من مَذحِج من أعقاب عَمْرو بن مَعْدِ يَكْرِبْ الزُّبَيْدي، ولهم شارات حسنه وقامات مديده، إلاّ أنهم لم يَسْلَمُوا مما وصلَ إليه قبائل حضرموت عامّةً من التراذل والتخاذل لأنّ الشَرَّ عَمَّ والبلاءَ قد طم، وعلى من كان جده سعد العشيره أن ينتبه لنفسه وأن يعتبر بماضيه. وفي الأصل أن الشيخ عمر بن عبد الله باوزير عَاتِب عليهم إذْ لم يساعدوه بنقير ولا قطمير في ضمير حوره مع أنه ينفعهم إذ لم يحرمهم الشيخ من سقياه. وقد كان أصل الحرب الأخيرة التي التهمت الأخضر واليابس لِنَهْدٍ، أنَّ خميس بن عبد الله بن عمر أحد آل ثابت قَتَل إثنين من آل البقري في بحران، ومعهما واحد من آل عجّاج، وواحد من **آل مخاشن**، فأما آل عجاج فحميت أنوفهم، وأذكوا نار الحرب حتى غسلوا العار بالدماء، وأمّا آل مخاشن فلم يشتركوا في الحرب لأن السعيد من كُفي بغيره، ولأن أكبر العار في أعرافهم إنما يتناول الأقرب كما سيأتي في القاره وابن عجّاج هو الأدنَى في النَّسب إلى آل ثابت. ولا يزال جماعة من **آل مخاشن** على النخوة العربيّة والأنفة المَذْحَجِيَّة، منهم اليوم عبد الله بن سعيد بن مخاشن ومحمد عمرو بن مخاشن، وأظنهما الآن في مقدشوه، ومن أُولَى نجدتهم الشيخ عمر بن عمرو وهو شيخ شهم نجذته الحروب، وحَنَّكَتهُ التجارب، وعَرَك إذن الزمان، وتَعمَّرَ حتى نَيَّف على الثمانين ممتعاً بالقوة والحواس ولم يمت إلاّ في سنة ١٣٦١ وكان كَدُرَيْد بن الصَّمَّةِ الجشمي إذ تركه قومه وانصرفوا عن رأيه إلى رأي مالك بن عوف النَّصْري، فكانت الدائرة عليهم في يوم حنين. وكانت لعمرو والد عمر هذا قَبوْلَةٌ جاره إلاّ أنها ملأى بالعادات الجاهلية الجهلاء، من ذلك أن أحد آل مخاشن واسمه قعاص قَدِم بأموال طائلة من الهند وليس له إلاّ ولد صغير، فخاف على نفسه من قومه أن يقتلوه طمعاً في ماله، فطلب من نهدٍ خفيراً يأمن به عادية أصحابه، فأعطوه واحداً من آل شرشر

[الشراشرة] عن رأيهم بأجمعهم، ونادوا في الأسواق بأنه في جوارهم وذمتهم، فلم يكن من عمرو إلاّ أن اقتحم داره في جماعة من بني عمه فقتلوه وقتلوا معه ولده وخفيره، فهاجت نهد وحاصرت عُمَراً، فثبت، وانسلّ عنه أكثر قومه إذ كانت فعلته شنيعةً، وما زالت نَهْد مُجِدَّةٌ في حصاره حتى قُتِلَ أحد أُسرته المرابطين معه، فرأَتْ نَهْد أن العار انمحَى وانصرفت. وفي تلك الحادثة يقول أحد نَهْد:

يا العرض عَرْبِنْ لي ومُدَّ القاديَه وإلاّ دَخَلْنا لك بِدَحْنات الرجالْ
تمسى بك الفتنة وتصبح غَادِيهْ مثل المسقّى في المَطِيرهْ مَايزالْ

فأجابه عمرو بقوله:

العرْض عاصي ما يمدَّ الْقَادِيَهْ قُلْ للحكم نُعْطِيك شَنْظُوب الْجبالْ
ما انْتَهْ منَ القوم القروم الْعَادِيهْ إبْلِيسْ غَوَّزْ لك ويفحس لك حبال

وفي **عرض آل مخاشن** كانت روضتهم التي يقول فيها الأخطل:

لها مَرْبعٌ بالرَّوْضِ رَوْضِ مُخَلِّقٍ وَمَنْزِلةٍ لَمْ يَبْقَ إلاَّ طُلُوْلُها

وقد حصل بالأصل انتقالُ فِكْرٍ فَذَكرنا هذه الروضة في مَنْوب، وإنما التي فيها روضة هطيف، فهي مما يُستدرك من رياض العرب على ياقوت. ومن أيام العرب (يوم مخاشن) وفيه يقول جرير:

لَوَ أنَّ جمْعَهُمُ غداةَ مُخَاشِنٍ يُرْمَى بِهِ جَبَلٌ لكَادَ يَزُوْلُ

وكان عمرو بن معدَ يكرب يُقيم بالكسر كثيراً، وذلك لا يُنافي قول الهمداني في «الصفة» أن له بتثليث حصناً ونخلاً. أهـ. لأنه كان كثير التنقل والغزو على عادة العرب، وكانت المواصلات كثيرة. وسيأتي قُبيل هيْن ـ قرب تثليث ـ ولا سيما بمراحل الأقدمين.

وعمرو بن معد يكرب فارس اليمن، وهو القائل عن نفسه: لو سرت بظعينةٍ وحدي على مياه معدّ كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقني حرّاها أو عَبْدَاها، يعني بالحرّين: عامر بن الطفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب، والعبدين: السليك وأَسْوَد بني عبس. وبه ضَرب أبو تَمّام المَثل في قوله:

أقدام عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم احنف في ذكاء إياس

وأبو عبادة في قوله:

يـهـديـهـم الأسـد الـمُـطـاع كـأنـه ... يـوم ازدحـام الـجـحـفـل الـمـتـألـف

عـمـرو الـقـنـا فـي مَـذْحِـجٍ أو حـاتـمٍ ... فـي طـيء أو عـامـر فـي خـنـدف

ومع ذلك فقد كانت له هنّاة، منها ما ذكره الهمداني في الجزء العاشر من «الأكليل»[1] أن بني الأصيد ـ وهم قبيلة قليلة من سفيان بن أرحب ـ لقوه فسلبوه وأخذوا فرسه، فلم يستح أن كتب لهم يقول:

يـا بـنـي الأصـيـد ردوا فـرسـي ... إنـمـا يُـفـعـلُ هـذا بـالـذلـيـل

عـوّدوه مـثـل مـا عـوّدتـه ... مـقـحـم الـصـف وإيـطـاء الـقـتـيـل

وفي «مروج الذهب» أن عمر بن الخطّاب آنس عُمراً ذات يوم وذاكره الحروب في الجاهلية، وقال له: هل انصرفت عن فارسٍ قط في الجاهلية؟. فذَكَرَ له مرةً فَرّها عن ربيعة بن مكدم في حديثٍ طويل، قال: ثم إن عمراً أغار بعد ذلك بزمان على كنانة في صناديد قومه وأخذ الغنائم ومنها امرأة ربيعة بن مكرم، فشعر بهم وكان غير بعيد فاستردّها وهزمهم. وقد ذكرنا في الأصل أنه انهزم من علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد بِكَسْر قشاقش، ولكنه لم يذكر ذلك لعمر بن الخطّاب لأنه لا يحب الاثنين، ولأن عُمراً لم يحص فرَّاته، وهو وإن تمدح بالصدق مشهورٌ بسواه. وهو أحد من أوفدهم النعمان بن المُنذر على كَسرى وهو مشهور بالكذب، وله وفادة على رسول الله ﷺ قيل مع الأشعث كما في الأصل، وقيل لنفسه، ثم رجع إلى قومه. ولمّا مُصِّرت الكوفة أقام بها وكان له نبأٌ مذكورٌ في حرب القادسية، وأخباره مشهوره.

الكَسْر:

هو صقع واسع[2] من أحسن بلاد حضرموت تُرْبَةً، بل هو أحسنها على

---

(١) ص ١٨٣.

(٢) الكَسْر: هو المنطقة الواقعة في ملتقى الوديان في مثلث بين هينن والعجلانيه وقعوضه، قيل أنها عُرِفت بالكسر لوقوعها بين سلسلتي جبال من جانبيه الشرقي والغربي، ولأنها تكسر السيول عن مدينة شبام. وقد يُقال لها (كسر قشاقش) نِسبةً إلى القبيلة الكِنْديّة القديمة (قشاقش) لأنها كانت من مساكنها. كما قد تُعرف بديار نَهْد أو عروض آل عامر، حيث تنزل الآن في أواسطه قبيلة نَهْد.

الإطلاق، بشهادة ما جاء بالأصل من فضول صدقات تُجَيْب وكثرتها. وسيأتي في قارة الشناهز ما يُفهم منه أن ناساً من قبيلة حضرموت يسكنونه في سنة ٦٠٥هـ، قال ابن الحائك: ويسكن **الكسر** ـ في وسط حضرموت ـ تُجَيْب، منهم اليوم بها أربع مئة فارس وإحدى عشر مئة راجل، ويُعْرَف الكسر بكسر قُشَاقِش، وفيه يقول أبو سليمان بن يزيد بن أبي الحسن الطائي:

وأوطَنَ مِنا في قُصورِ بَراقِش ... فمأوَدِ وادي الكسرْ كَسْرِ قُشَاقِش

انتهى. وفي براقش يقول عمرو بن معد يكرب الزُبَيْدي وكان مِمَّنْ يسكن الكسر:

يُنَادِي من بَرَاقِشَ أَوْ مَعِين ... فَأَسْمَعَ فَاتْلأبَّ بنا مَلِيْعُ

وقال الطائي أيضاً:

تَسْتَنُّ بالضرو مِنْ بَراقِشَ أَوْ ... هَيْلاَنَ أَوْ يَانِعٍ من الْقَتَمِ

يصف بقراً تستن بالضرو وهو شجر يستاك به، وقال فروة بن مُسَيْك المراديُّ:

أحلّ بحاجرٍ جَدّيْ غُطَيْف ... مَعِيْنِ المُلْكِ مِنْ بَيْنِ البنينا

وَمَلَكْنَا بَرَاقِشَ دُوْنَ أَعْلَى ... وأَنْعَمَ إِخْوتي وبَنِي أَبِيْنَا

وقال علقمة:

وقد أسّوا براقش حين أسّوا ... بِبَلْقَعَةٍ ومُنْبَسِطٍ أنيقِ

وحَلُّوا من مَعِيْنٍ يوم حَلُّوْا ... لِعَزِّهِمُ لَدى الْفجِّ الْعَمِيْقِ

ومَعِينٌ بلد بالجوف من بلاد حِمْيَر باقية آثارها، وعلى كثير من أحجارها المنجورة كتابات بالمسند، وهو لسان عربي يعرفه كثير من أهل صنعاء، كالشيخ الفاضل محمد بن أحمد بن علي الحَجْرِي، منها ما وُجِدَ على مردم ضخم جداً مستند إلى إسطوانتين عظيمتين في معبد قريب من مدينة معين. إلاّ أنّ فيه كلماتٍ لم تُعْرَف وحاصله: خال كرب صادق ابن أبيدع ملك معين بنىٰ واحدث رصيف بيت عثتر الذي قبض ورثته بيوتهم، وعثتر (بعين ثم ثاء مثلثة ثم تاء مثناة من فوق) صنم مشهور باقية من آثاره اصطوانات على ارتفاع خمسة أذرع على رأسها مرادم ضخمة في غاية من الجمال الهندسي. وبلغني أن بعض الأجانب استخرج أسماء

اثنين وثلاثين ملكاً من الآثار التي بالجوف لكن بدون ترتيب والأجانب يخادعون أهل اليمن في مفاد تلك النقوش ولكن قد انكشفت خلابتهم بما يعرفه منها أهل اليمن إلا أنهم مقصّرون والافرنخ يزعمون أن مملكة معين ظهرت في الألف الثاني قبل الإسلام وأنها أقوى وأغنى من مملكة سباء وأن ملكها بلغ غَزَّة وان سلطانها انتقل إلى سباء والتي بدأت قوتها في الظهور أواخر أيام مملكة معين، وهو كلام متناقض لأن مملكه سباء أقدم من ذلك بكثير وكلاهما من فروع الممالك القحطانية وقحطان هو ابن هود على ما يأتي في نسبه عند ذكره وهود عليه السلام نبي عاد وقد نص القرآن على أن ملك عاد عقب نوح وذلك حيث يقول في سورة الأعراف ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فزعم أن عاداً وثموداً تفرعوا من الحمورابيين غلط لأنهم أقدم من ذلك وفي التيجان لابن هشام أن عمرو بن القيس بن بابليون كان ملكاً على مصرفي أيام إبراهيم عليه السلام وعمرو هذا من أهل سبأ.

قال الهمداني في الإكليل ما أعلم أحداً أستوفي ما ذكره أبو علكم المراني أحد رجال همدان. في شعره من المواضع ومنه

نحن المقاول والأملاك قد علمت ... أهل المواشي بأنا أهل غمدانا
وانا رب بينون واضرعة ... والشيد من هَكر ناهيك بنيانا
براقش ومعين نحن عامرها ... ونحن أرباب صرواح وريشانا
وناعط نحن شيدنا معاقلها ... وماذنا أو علا نشقاً ونوفانا
وقصر بينون علاّه وشيّده ... ذو الفخر عمرو وسوى قصر غمدانا
وقصر أحور رأس القيل ذو يزنٍ ... وقصر فياش في إرياب قد كانا

والشعر في هذه المواضع أكثر ولكن لا حاجة إلى الإطالة وما أكثر ما يأتي فكر بينون وغيره من هذه الحصون في أشعار العرب قال النابغة الجعدي:

يا أيها الناس هل ترون إلى ... فارس بادت وحر من دعما
أمسوا عبيداً يرعون شاءكم ... كأنما كان ملكهم حلما
مرادُ سبا الحاضرين مأرب إذ ... بينون من دون سيله العرما

وفي الجوف عدّة مدن خاوية منها معين هذه ومنها براقش ودغوان الدخنا والبيضاء وهي غير البيضاء الواقعة بأرض الظاهر واسم البيضاء القديمة نَشَق (بفتحات) ثم أن معيناً معدود في محافد اليمن المشهوره. وقد دللت في الأصل على وصول سيدنا علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ إلى **الكَسْرِ** بقصةٍ أصلها في الصحيح، ولها تتمة من «السيرة الحلبية» وبَسَطها في «شرح ابن أبي الحديد» على «النهج». قال الهمداني: **والكسر** قُرَى كثيرة منها قريةٍ يقال لها (هَيْنَن) فيها بطنان من تُجيب يُقال لهما بنو سهل وبنو بدَّا، فيهما مئتا فارس يخرج من درب واحد، ورأسهم اليوم محمد بن الحصين التجيبي. أهـ. وعن أحمد بن محمد مؤذن باجَمَّال عن عوض بن أحمد الجرو أن يوسف[1] بن عبد الأعلى الصَّدِفي توفي سنة ٢٦٤ وكان ممن يسكن الكسر. أهـ. وقد ترجمه ابن خلكان وأطال، وكذلك الحافظ ابن حَجَر في «تهذيب التهذيب» والخزرجي في خلاصته، وهو من كبار الفقهاء، أخرج له النسائي ومسلم وابن ماجه، وكانت ولادته في سنة ١٧٠هـ وأقام شاهداً بمصر ستين سنه، ومع ذلك فلا يُستبعد كونه من حضرموت، لاحتمال خروجه منها وسِنه فوق العشرين، فالأمر جِدُّ قريب، لأنه كان من المعمرين[2].

وفي «مفتاح السعادة والخير» لصاحب «القلائد»: ومن حضرموت أودية دَوْعَن ووادي عمد، وشَبْوَه وما حواليها، ومنها الكَسْر، وهو ما يفيض إليه ماء هذه الأودية إذا زادَ وانكسر ما يمنعه. أهـ. والواقع الآن أن سوم الأودية الواقع شرقي «قعوضه» الممتد من الشمال إلى الجنوب يسمى بالعشرقه ترجع عنه سيول الأودية إلى هينن وعرض آل حويل ومكان آل جذنان ورملة آل العيدروس. ثم إلى الفوهة والخشعة. وتخاف نهد من زيادة المياه على قعوضة والظاهرة وشريوف ولكن الغالب انهيار ذلك السد لأنه لا يُبنى إلاّ من الطين وإذا انهار إلى جانب هينن وما لفَّها صارت المياه إلى الباطنة والقطن ثم المسحرة وأسفل حضرموت، وكثيراً ما تُتهم نهد بكسره إذا جاءت السيول ليلاً فيقوم النزاع

---

(١) أورده مؤلف «الجامع» باسم: يُونس.

(٢) أضاف المؤلف بهامش النسخة (ب) إلا أنه يشكل عليه ما قيل إن ولادته بمصر ولا أشكال حتى بغرض صحته لاحتمال مجيئه إلى حضرموت وهو صغير كما هي العادة عند المهاجرين بإرسال أولادهم إلى مرابع أناسهم صغاراً، وسكناه بها كملة لأن الجرو من الثقات.

بين الطائفتين[1]. وسمعت عن غير واحد من الثقات عن شيخنا الحبيب أحمد بن حسن العطّاس، أنه كان يقول: إن المياه في أيام سدِّ (سنَا) كانت تنكسر منه إلى الكسر أي ترجع منه إليه، ولذلك سُمِّي بهذا الإسم، وكنت استشكله جداً لأن تَريماً وغيرها من البلدان كانت موجودة لذلك العهد، ولو كان ماء سَنَا يرجع إلى **الكسر** لأغرقَ شباماً فضلاً عمّا وراءها، وما زال هذا الإشكال أثقل عليَّ من الجبل حتى انكشف بما سيأتي في الحُسَيِّسة وفي سَنَا، فليكْشُف ذلك الجواب من هناك. ثم اعلم أن **(العَبْر)** على قريب من محاذاة شَبْوَه في الجهة الغربية وهو في شمال شَبّوَه.

ومن ورائه إلى الشرق **(ركبان)** وفي شمال ركبان إلى الغرب **(وادي الجابيه)**، ومن وراء ركبان إلى شرق **(عكبان)** ثم **(السور)** وسكانه من نهد، وعن شماله واديه، وعن جنوبه أرض واسعةٌ يُقال لها **(الفوهه)** وفيها بيرحمد، تَرِدُها القوافل من القبله، وسكان الفوهه آل بدر من نَهْد، وفي شرقيها الأرض التي يصلح فيها زرع البر صلاحاً طيباً وهي المُسَمَّاة **(الخشعه)** وهي أرض واسعة طيبة التربه قريبة المياه لا يزيد عمق البير عن سبع قامات، مع أن الآبار في قعوظه وحواليها يبلغ سبعة عشر قامه، وإليها ينحدر ما يزيد من مياه الأودية عن قعوظه ونواحيها، ولو زادت مياه رِخْيَه لوصلتها لأنها منخفضة عنها.

ومن وراء الخشعه إلى الشرق **(رهطان)**، ومن ورائه متشاملة بلد **(هينن)**، ومن شمالها: واديها. هكذا أخبرني جماعة من ذلك الطرف جاؤوا يستفتوني في قضيّةٍ لهم، فالعهدة عليهم. والمراحل بسير الأثقال الآن من قعوظه إلى الخشعه خمس ساعات، ومنها صحراء واسعة اثنا عشر ساعة، ومن تلك الصحراء إلى السور أربع ساعات، ومنه إلى مرعى ست ساعات، ومن المرعى إلى الصحراء التي وقعت فيها الواقعة بين (نَهْد) و(دِهم) إثنا عشر ساعه، ومن هذه الصحراء إلى قرن الذئاب اثنا عشر ساعة، ومنه إلى العَبْر سبع ساعات.

وفي الأعراف القديمه أن مبتدأ **(العَبْر)** من الجهة الغربيّة الشمالية هي رملة

---

(١) مادة مضافة في هامش النسخة (ب) والواقع أن المشكلة ما زالت قائمة إلى اليوم حيث تفيض مياه السيول مما يؤدي إلى الإضرار بالقرى والمزارع وتعمل على تعديل وتحويل المجاري المعتادة، ولذلك تعمل الدولة جاهدة من أجل إقامة عدد من السدود والحواجز لحفظ المياه والاستفادة منها في الري ومنع الضرر الذي تلحقه بالناس وبالأرض.

وَبَار إلى الفوهه والخشعه وفيه رمل الحزار الذي جاء ذِكْره في قصيدة ابن عُقْبة المشهورة[1] حيث يقول:

من شط ميثاء الرديف ترحلت ... سحراً وكان الفجر لمّا يسفر
قطعت ضحى رمل الكديف ومنصحاً ... والقرى جازت فيه لم تتحير
وبمذنبي انصاص ثم بحروة ... نفرت نفور الخشف خوف المنسر
وردت قبيل الظهر علقم شبوة ... والآل يمكر بالصدى ويغترى
وتروحت عصراً وأمست ترتعي ... وسطى مطار في الفلاة وتجترى
حتى إذا ما الليل أدبر شطره ... وسرت على الوجناء أم حبوكر
بادرتها بالرحل ثم نسأتها ... فجرت كجري الأجدل المتحدر
وبدهر مَرَّت ثم رَخْيَة بعدها ... وعلى المزاد كمثل برق مغور
ومدورة جاوت ولم تلبث بها ... إلاّ قام مُسَلِّمٍ ومُخَبِّرِ
وبدىَ الصباح فصبحت من كِنْدة ... بقرار عرصتها سلالة جعفر

وفي «صفة جزيرة العرب» للهمداني أن محجَّة حضرموت من العَبْر إلى الجوف ثم صعده، ويدخل معهم في هذه الطريق أهل مأرب وبَيْحَان والسَرْوَيْن ومَرْخَه. فهذه مَحجَّة حضرموت العليا، وأمّا السُفْلى فمن العين في شئز صَيْهَدَ إلى نجران شبه من ثمانية أيّام، وهي التي وصفها الأشعث الجنبي في شعره الآتي آخر الكتاب، ثم من نجران: حبونن، وبأعلاه قُتِل عبد الله بن الصمة، قتله بنو الحارث بن كعب. ثم الملحات ثم لوزه ثم عباله ثم مريع ثم الهجيره ثم تثليث ثم جاش ثم المصامه ثم مجمعة ترج من ديار تميم بالدهناء. أهـ. و(العين): هو في غربي عكبان وسُكّانه الكَرَب وآل عبد الله بن عون من الصَيْعَر، وكانت العين مجتمع مياه الأودية. وفي غربي العين الأرض المُسَمَّاة المنفلقة وهي ذات عيون ونخيل غير مغروسة وإنما تنبت مما تُلقيه الركبان من النَوى بحافات العيون، وقلّ من ينتفع بها لأنها مخوفه إذْ هي مأوَى الغزاة الباقين على عوائد الجاهليه، إلاّ أنها أُمِّنَت الآن بعد تداخل الحكومة الأنقليزية، وهي تحت يد المسادسة من

(١) راجع كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين» ١/٦٧.

الصَيْعَر، ولو وَفَّق الله المهاجرين من الحضارم لعمارتها لكان لهم فيها ما يغنيهم مما سِوَاها، ولأنها من أخصب بلاد الله. فإذا صدق ما يتعالم به الناس من وجود منابع للبترول بِشَبْوَه ـ وهي على مقربة منها ـ ستكون من جنات الدنيا.

أمّا **(وادي هَيْنَن)**: فيسكنه آل شرمان، كبيرهم فرج بن علي، وله ولأخيه عمر بن علي، شِمم وهِمم، وهُما الآن في ممباسه. وفيه آل سعدون من الصَيْعَر ثم دخلوا في نَهْد، وفيه آل عزون وآل تيربان كلهم من نهد.

وأما **هَيْنَن** فتنقسم إلى قسمين؛ أحدهما **(الجثم)** المتكرر ذكره في ديوان الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة، وفيها آل إسحاق ومنصبهم الآن عبد الرزاق. والثاني **(الحزم)** وفيه آل إسحاق أيضاً ومنصبهم شيبان بن صالح. وأول من اختطه الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن مرتع في القرن الحادي عشر، ومرجع **آل مرتَع** إلى ثور بن مرتع بن عفير الكِنْدي، ولا يزال بهِ ناس منهم، ويرأسهم يسلم بن سعيد بِجَاوَا، ومحمد بن سعيد في مقدشوه وهو الذي رَوَى لي عن سلسلة ذوي الأنساب: أن آل مفتاح والعنابره الموجودين بِهَيْنَن هم عبيد لعبد يلهم بن مرتع الكِنْدِي صاحب صوْمعة دَمُّون. أهـ. وقال أن أعقابهم لا يزالون مُستخدمين لآل مرتع إلى اليوم.

وكان في هينن كثير من الاباضيّة كما يُعرف من التجاء الإمام إبراهيم بن قيس إلى بني سهل فيها بشهادة قوله:

فَيَال بَنِي سَهْل أَضَعْتُمْ جماعتي ... وآوَيتُمُوني يوم خُرِّبَ موطني
وصرت مليكاً فيكمُ متمكناً ... كَنِيْناً حَصِيْناً مُكْرَماً غَير هيِّنِ
سِوَى أَنَّنِي يَاقوم لَمْ أُقْض حاجة ... لَدَيْكُمْ ولا عَايَنْتُ أمراً يَسرُّني
فَإِنْ تَنْصُروْني فالرَّجِيَّةُ مِنْكُمُ ... وَإِنْ تَعْجَزُوا قَابَلْتُ أَرضاً تُعِزُّني

وسيأتي في شِبَام ما يصرح بكثرة علماء الإباضيه في هينن إذْ ذاك. ومن **آل إسحاق بِهَيْنَن** العلامه الشهير شيبان بن أحمد اليتيم تلميذ الشيخ أبي بكر بن سالم، والشيخ أحمد اليتيم هو ابن الشيخ سهل بن عبد الله بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عامر بن إسحاق. وقد سبقَ في عَنْدَل عن الحبيب علي بن حسن

العطاس أنه يُقال: أن آل إسحاق من ولد العباس بن عبد المطلب، ولكنه لم يوافق عليه مع أنهم أخواله لأن أمه هي فاطمة بنت الشيخ شيبان السابق ذكره.

ومن أهل هينن: العلامة الكبير صاحب الأحوال الغريبة، الشيخ عبد الرحمٰن الأخضر بن عمر بن محمد **(باهرمز)**، الصوفي الشبامي، ولد بشبام وأخذ العلم عن مشائخها، ورحلَ إلى الشِّحْر وأخذَ عمّن فيها، ثم ارتحل إلى **هينن**، ولم يزل بها إلى أن مات فيها سنة ٩١٤ وممن أخذ عنه: الشيخ معروف باجَمَّال، وكان يكثر التردد إلى هينن للأخذ عنه ماشياً مع البعد، حتى أحاله على إبن أخيه الشيخ إبراهيم، لأنه كان هو وإيّاه بشبام. وممن أخذَ عنه الشيخ عمر بن عبد الله بَامَخْرَمه، جاء من الهَجْرَيْن للإنكار عليه، فعاد أخصَّ تلاميذه، وجرَى له قريب من ذلك مع الشيخ باقيس صاحب حلبون. وذَكَر المؤرخون أن الشيخ عمر بامخرمة وصل إلى تَرِيْم، في جمع من أتباعه، والسماع بين يديه، فانتهى خبره ذلك إلى الشيخ الفقيه حسين بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بَلْحَاج المشهور فقام من مدرسته في جمع من تلاميذه للإنكار عليه في ضرب السماع والشبابات، فحين لاقاه طرب وغابَ عن حسِّه، وصار يصفق بيديه، فأنشأ الشيخ عمر على البديهة قصيدة يقول في أولها:

حسين هَبَّتْ نسيمُ القرب بعد المدا سَرَتْ من النجد نا للنجد وأهله فدا [1]

ونظيره ما يُحكى أن معاوية بن أبي سُفيان ذهب إلى منزل عبد الله بن جعفر، للإنكار عليه، فلما استقر بمنزله أطلع له جواريه يُغنّينّ، فطرب حتى ضرب برجله الأرض ولم يثرب، فلما خرج ومعه عمرو بن العاص قال له: إنك لشرٌّ ممن جئت للإنكار عليه. فقال له: إن الكريم طروب. وتحقيق هذه المسألة في كتابي «بلابل التغريد».

وممن أخذَ عن الشيخ عبد الرحمٰن الأخضر باهرمز: إبن أخيه ـ السابق ذكره ـ إبراهيم بن عبد الله بن عمر باهرمز. وآل باهرمز منتشرون بالكسر، وشبام، والقبله، والمكلا منهم الآن بها الشيخ عبد الرحمٰن بن عوض باهرمز، تاجر محب للخير كثير الصلاح، وإبنه عبد الله مشارك في طلب العِلْم وله نباهة وتقوَى وديانة وفرع حاجز

(١) نا ـ هي آنا، ذلك أن بعض اللهجات الدارجة بحضرموت يُستغنى فيها عن حرف الألف من آنا.

ومن أهل هينن الشيخ سعيد بن سالم **الشوّاف**، صاحب القصيدة المشهورة بـ «قصعة العسل» لحلاوتها وعذوبتها، وهو كما في «المشرع» من تلاميذ الحبيب أحمد بن حسين بن عبد الله العيدروس المتوفي سنة ٩٦٨ نشأ ابن الشواف في بلاده، ثم ارتحل إلى تريم، للكسب وطلب العلم، ثم طوَّحت به الغربة إلى وردة مصبّح، قرية في المِشقاص، يُضرب بها المَثَل في البُعد، وكان من أهل الأحوال، وكان يُقابل كل من يلقاه من أبناء العلماء والصالحين بإجلال عظيم، حتى نهاه الشيخ إبراهيم بن عبد الله هرمز، وقال له: يا سالم إن كَتْم الحُرْمة لمثل هؤلاء أَصْلَح لهم، وأسلم من الفتنة والإغترار، وأَسْلَم لك من الوقوع في النهي. أهـ.

وقوله: يا سالم، موافق لما في «مقال الناصحين» تأليف الشيخ محمد بن عمر باجمّال، لكن الذي في ص ٥٨ ج ٢ من «المشرع» أن اسمه سعيد بن سالم كما قدمنا، ويحتمل أن باهرمز قال له ياابن سالم فسقطت (إبن). وفي سنة ٩٠٩ حدثت معارك بين السلطان عبد الله بن جعفر والد بدر بُوْطُويرق، وبين والي **هينن**، وهو من الظلفان النهديين، فتوسط الشيخ عبد الرحمٰن الأخضر للإصلاح، فلم يقبل له السلطان كلاماً لأن ذنب الظلفان إليه كان كبيراً، إذ كانوا هم الذين قتلوا أبيه في بور سنة ٩٠٥ ولم تطل بعدها مدة السلطان، فعدّها هُواة الكرامات من جملة ما كان منها للشيخ الأخضر. أما الشيخ الأخضر فقد أظهر المساءة لمّا انتهى إليه موت السلطان وقال يرثيه:

رحمةُ الله على عن مات في حصن سمعون

رحمة واسعة فالعفو مرجو ومسهون

و(**سَمْعُون**) هي الشِّحْر كما سبقَ فيها، وما أدري أكان رثاؤه له عن صحيح محبة، أم أراد أن يبرئ الموقف عن الشماته ليحفظ خط الرجعة مع أسرته؟.

وفي سنة ٧٩٥ بُنيَ جامع هينن جميعه، ولا شك أن هذه العمارة كانت تجديداً وإلا فهي ذات جمعةٍ من قديم الزمان. وفي «سفينة البضائع» للحبيب علي بن حسن العطّاس ما يفيد أن آل طاهر بن راجح خَلَفُوا آل كثير على هينن، وأن يافعاً طردتهم من مصنعتها لتسع خَلَت من ربيع ثاني سنة ١١٤٣ وكانوا جَارُوا في هينن، حتى لقد نهبوا بيت الشيخ سهل بن أبي بكر بن إسحاق، فزالَ ولم يرجع إلاّ بعد أن طردتهم يافع، وساروا بعد جلائهم من هينن إلى صنعاء.

ولا يزال بِهَيْنَن كثير من الآثار والكتابة بالمُسند على الأحجار، وفيها حصن كِنْده القديم الذي كان يسكنه الأشعث بن قيس، وكان يخرج منه ألف وخمسمائة فارس بِشَكّتهم، ويُطلق عليه اليوم حصن فرحه.

قعوضه:

هي في جنوب هَيْنَن في حضن جبل، وهي سوق عظيم تردها القوافل من صنعاء والجَوْف وبَيْحَان ومَرْخَه ونِصَاب ونَجْران وغيرها، وفيها آل عجاج ورئيسهم الشيخ اسبارك بن محمد، شيخ مُجَرِّبٌ خبير ثابت العقيدة في الدين، حلب الدهر أَشْطُرَه، له شهامة ومروءة وشمائل عربيه. وأمّا نسبهم فقد قال الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول المتوفي سنة ٦٩٦ في كتابه «طُرفة الأصحاب في معرفة الأنساب»: مشائخ حضرموت يرجعون إلى بطنين هما نَهْد ومَذْحِج، ثم قَسَّم نهداً بالإطلاق الأول إلى عدة قبائل، ولكن لم يبق إسم نهدٍ في الأخير إلاَّ خاصاً بقبائل الكسر. وفي «التاج»: وأصله إطلاق نهد على قبيلة من قُضَاعة، وعلى أخرى من همدان، وقد استقربنا أن تكوّن هذه من نَهْد قُضاعة لاتّصالها بوادي عمد، وهو وادي قُضاعة، ولولا أن الملك الأشرف جعل نَهْد حضرموت من قبيلة واحدةٍ لقلنا إنَّ نَهْد الكَسْر من قُضاعه، ونَهْدَ هَمْدان من همدان، وهذا الأقرب، كما يُعرف مما يأتي في القارة وشِبَام.

وللأشراف أغلاط كثيرة لا نتعقّبها، ومنها هنا إغفالهُ لِكِنْدة وحضرموت وغيرهما من القبائل التي لا تزال حضرموت ملأى بأعقابهم، وفيهم المشائخ البارزون. ومرجع نَهْد الكَسْر إلى عمر بن عامر بن شمّاخ بن عبد الله بن عمر الروضاني النهدي وهو المُراد من المَثَل الحضرمي السائر: (ما كأنَّ عامر تسوّق)، وذلك أن الجهمة قتلته سنة ٨٨٢ وهو خارج من السوق، وقبره في شرقي الجامع القديم بحثم هينن. ورَوْضَان يجمع آل ثابت، وآل عَجّاج، وآل مقيزح، وآل نفير، وآل عبد الله، وآل بدر. وبقية نهد ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: المقاريم، والظلفان، وبنو يزيد مجلّف.

وقد مرّ ذِكْر سَدَبه وحَوْره وأعمالهما، وكلها من الكَسْر، وإنما ذكرناها هناك لاتصالها بوادي العين وشربها من مياهه، وسيأتي في القاره عن نهد ما له اتصال بما هُنا، وقال باحلوان في «رشيدة الإخوان»: بنو نهد بن زيد بن ربيعه بن أسلم بن الحاف بن قُضَاعة، هاجروا من اليمن إلى حضرموت وسكنوا العروض،

ووالي حضرموت لذلك العهد: عبد الرحمٰن بن راشد الحميري، وكانت بلادهم من العجلانية إلى العروض، ومن لَحْمَاس إلى أعلى سَدَبه، وكانت فيها حدائق وزروع ونخل وعنب وسدر، وكانت ولاية حضرموت الوسطى: شِبَام وتَرِيْم وما بينهما لآل راشد الحميريين، ولمّا ضعف سلطانها استنجد الأهالي بنهد، فجاءت نهد وطردت بني راشد، وظلّت نهد تحكم حضرموت إلى تريم، ثم جاءت سيول هائلة أضرّت بالديار والأشجار، وتلف الكثير من الناس في العروض، فاضطرت نهد إلى مغادرة تريم وشبام والعودة إلى بلادها، وتركوا أمر حضرموت الوسطى لعلي بن عمر بن مسعود، فاغتنمت الفرصه بنو راشد. وكان ابن مسعود لا يقدر على مقاومة بني سعد وبني راشد، فسلّم شبام لبني سعد وتوجه بعسكره إلى الهجرين، وتخلّت نهد عن تريم وشبام ـ ذات الثروة ـ وقنعت بقعوضه وما إليها. أهـ بنوع اختصار، وفي الأصل تفاصيل ما جرى بين القبائل المذكورة والخِزّ، وغيره.

الظاهره [1]:

هي في شرقي قعوضه إلى جهة الجنوب، وفيها يقول السيد حسين بن حامد المِحْضَار لمّا زارها في أيام الحرب للإصلاح بين نَهْد فلم ينجح:

يَالظَّاهرَه حِيْنَاش للمقدار ... والبعد قربنا ميوحه

والقبولَهْ ما طعمها إلاّ قار ... ماشي مصلح من جبوحه

وقد ذَكَرْت في «النجم المضي لنقد عبقرية الرضي» أن هذا مثل قول حبيب

والحمدُ شَهْدٌ لا ترى مُشتَارَهُ ... يَجْنِيهِ إلاّ من نَقِيْعِ الحَنْظَل

مع يقيني أن العم حسين لم يطّلع على بيت حبيب قط وإنما هو دليل لما أقررهُ من فحولة الشعر العامي الحضرمي، وقوة متنه، وشدة أسره، ولقد كانت القبائل تربط آباط الإبل من نواحي حضرموت المترامية إلى حُكّام نَهْد في قعوضه والظاهره والقاره، ثم لا يدخل من كان كبيراً في نفسه إلاّ في خِفْل وزِقافٌ، فتقابله نَهْد بمثله للترحيب، ويتبادلون الأشعار الطبيعيه، ويشرحون فيها ما يختلج بصدورهم، وما يهجس على خواطرهم، بين طلقات البنادق الداويه. فمن ذلك

---

(١) عِدَادها من مديرية حوره.

أن جماعةً من يافع ترافعوا إلى ابن عجّاج في مهمةٍ كبرى، فقال شاعرهم:

مَـاشِـي بُـقَـشْ مَـاشِـي بُـقَـشْ مـن لِـي يَـهِـزُّوْنَ الـنِّـمَـشْ
يَـافِـعْ كَـمَـا نَـابَ الـحَـنَـشْ مَـقْـبـوُصُـهُـم مَـالـهْ طِـبِـيْـب

فلم يبلع النهدي ريقه حتى قال:

مَـافِـي قَـعُـوْضَـه شَـيْ وَحَـشْ أَوْعَـالْ فـي رُوْس الـحِـمَـشْ
لـو تـغـدَّى الإِعـظـام طـش قـوّس عـلـى الـحُـكـم الـصَّـلـيـب

وربما نظم المُدَّعى دعواه في تلك الأراجيز وأجاب خصمه على غِرار قوله، أتيا على أطراف الجَرْح والتزكيه في أشعارهم، فصبّ الحاكم النَهْدِي حكمه في ذلك القالب. ولم ينتهوا إلى دار الحاكم ـ حيث تُمدّ الأنطاع وتُبْسَط الموائد ـ إلاّ وقد انفصلت القضيّة بالقضاء المبرم الذي لا يَنْفَذ إليه استئناف، ولا يَرْقَى إليه طعن، ولا تعلَقُ بِذَيْلِهِ غميصة، تلك هي حال نَهْد فيما غَبر، أمَّا الآن فلا أدري ما الخبر، ولقد كان صنيعهم أيام الوجوه البيضاء، والهِمم العُليا، حريّاً بقول البُحتري:

وإذَا خِطَابُ القَوْمِ في الخَطْبِ اعْتَلى فَـصَـلَ الـقَـضِـيَّـةَ فـي ثَـلاَثَـةِ أَحْـرُفِ

وقد ذَكَرْنا في «العود الهندي» بعض حديث هَدَبة بن الخشرم، وأنه لمّا حُمِلَ إلى معاوية، قال له: قُلْ يا هَدَبه. قال: أكلاماً أم شعراً تريد؟ قال معاويه: بل شعراً، فارتجل هدبة قصيدة يقول منها:

رمـيـنـا مـرامـيـنـا فـصـادف رمـيـنـا مـنـايـا رجـالٍ فـي كـتـاب وفـي قـدر

فقال له معاوية: أراك أقررت يا هدبه، إلى آخر القصة المناسبة لِمَا نحن فيه، بما جاءت به من وصف الأمر في الشعر. وقد اختصم حيان من العرب في ماء من مياههم إلى والي المدينة من قِبل يزيد بن عبد الملك، وهو عبد الرحمٰن بن الضحاك الفهري وكان مصاهراً لأحد الحَيَّين، فبرك بين يديه شيخ من الحيّ الآخر وهو سنان بن الفحل الطائي فقال:

إلـى الـرحـمٰـن ثـم إلـى أمـيـري تـعـسـفـت الـمـفـاوز واشـتـكـيـتُ
رجـالاً طـالـبـونـي ثـم لَـجّـوا ولـو أنـي ظـلـمـتـهـم انـتـهـيـت
رَجـوا فـي صـهـرهـم أن يـغـلـبـونـي وبـالـرحـمٰـن صـدق مـا ادعـيـتُ

وقالوا قد جننت، فقلت كلا ... وربي ماجننت ولا انتشيتُ
ولكني ظُلِمتُ فكدت أبكي ... من الظُلْم المُبِيْن أو بكيتُ
فأن الماء ماء أبي وجدّي ... وبِيْرِي قد حفرت وقد طَوَيْتُ

وقد خرج بخضوعهِ عن عادة العرب من التمدح بالقَسْوة والجلادة، وهي تُعَيِّر الرجال بمثل ذلك، أمّا النساء فلا، ولهذا استحسنوا من فاطمة بنت الأحجم أن قالت بعدما لان جانبها، وغابَ ناصرها:

لقد كنت لي جبلاً ألوذُ بِظلِّهِ ... فتركتني أمشي بأجرد ضاحي
قد كنت ذات حميةٍ ماعشت لي ... أمشي البَراحَ وكنت أنتَ جناحي
فاليوم أخضعُ للذليل وأتَّقِي ... منهُ وأدفَع ظالمي بالرَّاحِ

وبها تمثَّلت سيدتنا فاطمة ـ رضوان الله عليها ـ بعد وفاة أبيها ﷺ. فميل بين ما يكوْن من أحكام العصور الأولى وما سمعت عن نَهْدٍ، وما بالعهد من قِدَم وبين ما يكوْن من قُضاة المحاكم اليوم ينكسر ذرعك، ويتبادر دمعك، إذْ يكونَ غُدو الدَعْوَى شهراً، ورواحها مثله، بلا دليل من فقهٍ، ولا مبرر من شرع، ولكنها الأغراض المُخِلَّةُ والجهالة المُضِلَّه. ولا ينكر اندفاع النقض عن أحكام نَهْدٍ لذلك العهد، مع عدم الرويّه، لأن الحقَّ مثلُ الصدق أَبْلَجُ، والصادق لا يحتاج إلى تفكر ولا إلى تذكر، وكذلك العادل لا يطيف بحكمه إلاّ التمحل الذي لاَ يَنْفَق عند أهل الإنصاف. ولقد كانت الأحكام مثلما قال الأعشى:

تَعَالَوْا فَإِنَّ الحُكْمَ عِنْدَ ذَوِي النُّهَى ... مِنَ النَّاس كَالبَلْقَاءِ بَادٍ حُجُولُهَا

ولقد شَهِدت اجتماع الحَمُوم بالشِّحْر في سنة ١٣٣٣ متنازعين لدىٰ السيد حسين بن حامد المِحْضَار، في كُثْرٍ من القضايا المهمه، ولمّا بَعَلَ بها وتحيَّر في فصلها، قال له حبريش[1]: رُدَّها إليَّ وأنا أحكم فيها على شرطين: أحدهما أنْ تجعل لي أَلْفَ ريَال، والثاني أَنْ أَضَعَ أنا أَلْفَ ريَال فإن نَقَض حُكمي شَرْعٌ أو عُرْفٌ كُنتَ في حِلٍّ من أَلْفِي. فامتد عنقي لذلك البدويُّ الأغبر الذي لم أعرفْهُ من قبل، وأكبرت تحديه للشّرع، وقلت له: هَبْكَ أَمِنْتَ النقْضَ منْ جهة العُرف والعاده، لإتْقَانِكَ لهما، فمن لك بالأمان من جهة الشرع أفتعرفه؟ فقال: لا،

(١) آل حبريش: هم زعماء قبائل الحمُوم.

ولكِنّي سأحكم بالعدل والعدل لا يتغير، ولا يمكن نقضه بحال. فأكبرت ما في طَيِّ تلك الأسْمَال البالية، وتحت تلك اللِّحْيَة الشعثة من الحكمة التي ابتعدت عن مجالس القضاة اليوم، وزادني ذلك تصديقاً لِمَا يُرْوَى عن الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ من قوله: العلم نُقْطَةٌ وإنما وسعته آراءُ الجُهَّال. أو ما هذا معناه، وقد كان ابن الخطّاب يتعجب من معرفة زُهير بمقاطع الحقوق حيث يقول

فَإِنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاَثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلاَءُ

فلا غرو إذن أن أتعجب من كلام حِبْريش. وقد قيل للقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي: أَلاَ تؤلِّف كتاباً في آداب القضاء؟ فقال: وهل للقضاء من أدب غير العدل، إعْدِل ومُدَّ رجليك في مجلس القضاء. أو ما هذا معناه. ويُؤْثَر عن بعض ملوك الهند ما يشبهه، وقال سعيد بن شريك في خطبته: أيها الناس إنَّ الإسلام حائطٌ منيعٌ، وباب وثيقٌ، فحائطه الحق، وبابه العدل. ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان، وليس شِدّته القتل بالسيف والضرب بالسوط، لكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل. وفي عهد علي للأشْتَر ما نصه: ثم اختر لِلحُكْم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخُصوم، ولا يتمادَى في الزلّة، ولا يحصر من الفَيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فَهْم دون أَقْصَاه، وأوقفهم في الشُبهات، وآخذهُم بالحُجَج، وأقلّهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تَكَشُّف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحُكم. أهـ. ورَوَى الشيخ أحمد بن سهل، وكان جاراً لقاضي مصر بكَّارِ بن قُتَيبة، أنه مَرَّ ببيت بكار أول الليل، وهو يتلو هذه الآية: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾. قال: ثم انتبهت من آخر الليل فسمعته يكررها، وقد كان بكَّاراً هذا من أعدل القضاة حُكْماً، وأشرفهم موقفاً، ولمّا حبسه أحمد بن طولون استردَّ منه ما أعطاه وقدره عشرة آلاف دينار، فألفاها بِخَتْمِهَا، لَمْ يَمَسَّهَا زُهْداً وورعاً، وما كان حَبْسُه وإن كان له سبب معروفاً إلاّ ناشِئاً عن الحسد، بإمَارة أنه قال له: غَرَّكَ قولُ الناس: ما في الدنيا مثل بكَّار.

فبالله إلاّ ما قارنت بين هذا وما سبَق عن القضاء بـ (المُكَلاَّ) ثم إعْلَم بعد أن في كل ربع بنو سعد، إذ لا يمكن للعدل وجود مع مَامُنيت به المحاكم من

الرَيْث الذي اتخذه الحكام والمحامون سبيلاً للعيث.

وسكان **الظاهرة** آل مقيزح النهديون، وفي جنوبها إلى المشرق قارة آل ثابت..

القاره:

هي قارة آل ثابت، وإلى جانبها قارة كان عليها حصن قشاقش. وآل ثابت ليوث خفيّة وكان رئيسهم الشيخ صالح بن عبد الله بن ثابت، توفي سنة ١٣٢٨، وخَلَفه ولده الشيخ صالح بن عبد الله بن ثابت بن سلطان بن عبد الله بن ثابت بن علي بن فارس بن عقيل بن عيسى بن محمد بُوْعَامر بن فضاله، أحد فحول الرجال، وحُكَّام العرب، وأُلِيْ رأيها قُتِل في الحرب التي جرت بينهم وبين آل عَجَّاج، وذلك أنه سمع أصوات عَبِيْد آل عجاج في ليلة مظلمة، فخرج عليهم بنفسه فأبصروه قبل أن يراهم، فأطلقوا عليه الرصاص سنة ١٣٥١ وَخَلَفهُ وَلَدَه علي بن صالح، شاب نشيط ظاهر الشهامة جزل الرأي كثير الرماد.

ومن قرى الكسر أيضاً: **(شريوف)** لآل محمد بن عبد الله، و(غنيمة آل عِبري) منهم أحمد بن سالمين بن علي بن عامر. ثم **(جوة الخناق)** وسكانها آل صائل من نَهْد، وفي جنوبها **(باحسان)** سكانها آل طاهر، منهم الشيخ عامر بن نهيد بن طاهر في ممباسه الآن يحب العلماء والمتعلمين، ولا يُقَصِّر في إعانة المنكوبين، وإكرام الواردين، ويساعده أخوه عبد الله بن نهيد، وصهره فرج بن محمد بن طاهر وهو شاب متحرك، ومنهم رجل يُقال له يسلم بن عديان له أخبار هائلة منها: أنَّ آل حويل بنو كوتا على مقربة من أموال آل طاهر، فلمّا سقيت من السيل أرادوا حرثها فمنعهم آل حويل، وتوسط بعض المشائخ آل إسحاق فلم يقبلوا له كلاماً، فلم يكن من يسلم إلاّ أن خرجَ في نحر الظهيره معتمداً على معنقه وقَيْنَه، حتى وصل باب الكوت فنادى الذي يُرَتِّبُهُ وإسمه كريد، فلمَّا أشرف من النافذة أطلق عليه الرصاص فوقع ما بين عينيه، فسقط يتشحَّط، فكسر باب الكوت واستولى عليه، وأطلق ثلاث طلقات إلى نحو آل حويل فظنوه صاحبهم يريد ماء، فَسيَّروه مع ثلاث من نسائهم، فلما اقتربن منه قال لهن: قُلْنَ لأصحابكم تعالوا لِميَتِّكم وأمّا الكوت فقد استولاه عدوكم. ولو سَكَت لتمكَّن منهم. ومنها أنه أصاب دماً في آل قوينص، فلم يقدروا على الثأر منه لأنه كان شجاعاً لا يطاق، وحازماً لا يُخدع، فلم يكن منهم إلاَّ أنْ أرضوا بعض الخونه من أصحاب النفوذ بما شاء من المال فأكمنهم في داره، ثم استدعاه مخفوراً

بِعَبْدَيْه، وبمجرد دخوله الدِهْليز أطلقوا عليه الرصاص، فوقع ميتاً في حدود سنة ١٣٤٢هـ.

وفي جنوب القاره **(القفل)** وهو لآل منيف، ثم **(شراح)** لهم، ثم **(لَخْمَاس)** لهم أيضاً وقد مَرَّت هذه في عمد لأنها كما تُعَدُّ منه تُعدُّ من الكَسْر أيضاً. وفي جنوبها: حُوْطَة السيد شيخ بن عبد الله العيدروس، وهي مفرق الطُرق إلى عمد ودَوْعَن والكَسْر ووادي العين. وفي جنوبها **(بحران)** لآل ثابت، وهو فلاة واسعة لا حَجَر فيها ولا شجر، وبها كان انهزام السلطان بدر بن عبد الله الكثيري من جيش الصفي أحمد بن الحسن سنة ١٠٧٠هـ، وفيها كان انهزام السلطان عمر بن جعفر الكثيري من يافع أواخر سنة ١١١٧، ولهذا كانت مضرب المَثل فقيل: (أَيْن بكْ يا شارد بحران)، وفي الحجاز مكان على اسمها فيه معادن، قال ابن هشام: قال ابن إسحاق ثم غزا حتى بلغ بحران معدناً بالحجاز من ناحية الفرع فأقام بها شهرين، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كَيْداً، ونقله ياقوت في معجمه وزاد عليه. ولهذا المَعْدِن ذكر في «مجموع النووي» وأصله.

وفي جنوب بحران **(دار بن صريمان)** من آل ثابت، فوق المضلعه التي من وادي دوعن إلى الكسر.

صوران:

هو وادٍ في شرقي القاره وقعوضه، وعلى بعض حجاره كتابات كثيرة بالمُسْنَد، وله ذِكْر كثير في التاريخ، كما جاء ذكره في شعر أبي تَمّام حيث يقول في هجاء عياش بن لُهَيْعه الحضرميّ:

والْـمـدّعِـي صَـوْرَانَ مَـنْـزِلَ جَـدِّهِ قُـلْ لِـي: لِـمَـنْ أَهْـنَـاسُ والـفَـيّـومُ؟

وكانت بها نار تظهر يعبدها كثير من الحضرميين. وقال ياقوت: صوران قريه للحضارمة باليمن بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلاً، خَرَجت منها نار فثارت الحجارة وحُرق الشجر، حتى احترقت الجنّة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾. وإليها يُنْسَب زياد بن ربيعة بن نعيم الحضرمي الصوراني، مات سنة ٢١٦ وابنه، ويحيى بن غوث بن سليمان وُلّي قضاء مصر، وأبو زمعه عرابي بن معاوية وابنه زمعه رَوَى عن أبيه، وغيره. أهـ. وقد ترجم الحافِظُ لِسُلَيْمان بن زياد في «تهذيب التهذيب» وأخرجَ له ابن ماجه والترمذي في

«الشمائل» ووثقه يحيى بن معين. وفي كلام ياقوت خبط كثير، منه أنه جعل جبل صُوْرَان - بالصاد - وضَرَوَان - بالضاد - شيئاً واحداً بينما تلك حضرميه وهذه يمنيه[1]، وتوهَّم صاحب «التاج» أن صوران في كلامه مُحرَّفه عن ضوران. وهو وهم فاسدٌ وقعَ في مثله جماعة من المفسرين، ولكن العلامة ابن كثير أصاب كبد الحقيقة في ضَرَوَان إذ قال في تفسير (نون) إن أهل الجنتين كانوا من أهل اليمن، قال سعيد بن جبير: كانوا من قريةٍ يُقال لها ضَرَوان على ستة أميال من صنعاء، ثم نَقل عن مجاهد أَنَّ حرثهم كان عِنَباً أهـ. فأنه موافق لقول الهمداني في الجزء الثامن من «الأكليل» ومَخْرَج النار من آخر ضَرَوان على ما يقول علماء اليمن، والجنّة التي اقتص الله خبرها في سورة نون. أهـ. وقد أخبرني من شاهد ضَرَوان - هذه - أنها على ثلاث ساعات ونصف تقريباً من صنعاء، وأن من أثر احتراقها بالنار الباقي ظهوره إلى اليوم. أما البغوي فقد قارب إلاَّ في قوله أنها على فرسخين من صنعاء وقوله أن حرثهم كان نخلاً وليست بأرض ذات نخل. وأما ضُوْرَان الذي انتقل فكر صاحب «التاج» إليه فغير ضَرَوان وإنما هو كما قال الهمداني: جبل آنِس بن أَلْهَان بن مالك بن ربيعه أخي همدان، وهو جبل منيف فوق بكيل. والظاهر أن نار ضروان الصنعانيه لم تظهر إلاّ مرةً لإحراق الجنتين، أمّا نار صوران الحضرميه فمتكررة تُعْبَدُ حسبما يتعالم الحضارم، ومنهم العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس، والله أعلم بحقيقة الحال.

ومن قرى الكسر: **(حرة العين)** لآل البَقْرى أهل شهامة ومروّه، لهم ثروه بجاوا. ومن شراج الكسر **(الرمله)** للسادة آل العيدروس وآل جذنان وآل بايعشوت. ومن قُراه **(المنبعث)** وإليها انتقل كثير ممن كان يسكن المخينيق - بعد خرابه - كآل بُوْ عَسْكَر وآل بُوْ عيران، ومنهم الشاب الأديب عبد اللطيف بن منصور بن خميس بو عيران، أحد أمناء القصر السلطاني بالمُكَلاَّ منذ ثلاث وعشرين سنة، ومثله في صدق إخلاصه للسلطان لا بد أن يكون عرضة مرامي أهل الغش ليخلو لهم وجهه.

وفي غربي العجلانية إلى الجنوب آثار قرية **(المخينيق)** الباليه، و**(العجلانيه)** لآل عمر بن جعفر الكثيري موصوفين بشدة البُخل لا يَقْرُون ضيفاً، ولا يأوون طارقاً،

---

(١) صوران المذكورة هي من مديرية القَطْن بحضرموت، بينما ضُوْرَان جبل في شمال غرب مدينة صنعاء، على خط الطريق إلى عَمْرَان، وهو المقصود في الآية الكريمة من سورة نون.

وهي بسفح الجبل الذاهب إلى جهة الجنوب. وقد مَرّ في (قرن بن عدوان) من قُرى وادي عمد، عن الهمداني أنه قال: إن عمرو بن مرة أَوْلَد قبايل بحضرموت منهم العجلان، وإليه تُنسب العجلانية بحضرموت. أهـ. فلعل هذه على اسمهم.

وفي شرقي قعوضه وشمال الطريق المارّة في الكسر **(حصن آل كُوَيْر)** رئيسهم الآن بمقدشوه محمد بن عبد الله بن كُوَيْر، وإبناه علي وسعيد، لهم يد في إيواء الغريب وعندهم أعمال تجارية بمقدشوه، ولهم مركز في المُكَلاّ إلاّ انني نصحت سعيداً عمَّا يحاوله من احتكار الأسماك إذا كان فيه إضرار بالصيادين ومضايقة لأهل الساحل في حضرموت، فقال: ليس فيه إلاّ خصبهم ومصلحتهم، والله أعلم بحقيقة الحال. وفي حصنهم بحضرموت جماعة يرأسهم سعيد بن أحمد بن كُوَيْر. ثم **(الوجيب)** وفيه الشراشره من نهد. ثم **(الخديد)** لآل محمد بن عامر وهم من الشراشره. وعلى شمال الخديد **(جُوَةُ آل مهنّا)** من نَهْد رئيسهم امبارك بن يسلم وعامر بن سالم. وفي شرقي الجُوَه المذكوره **(شِعْب آل نَهِيْد)** ومَقْدَمهم امبارك بن أحمد، ثم (عنيبده) لآل محمد بن عامر من نهد، مقدمهم سعيد بن عبد الله من الشراشره، ثم **(زكيكه)** للشراشرة أيضاً، ثم **(غصيص)** لآل محمد بن عامر وآل بني شبيب.

الباطنه:

هي في وسط الكسر، وكانت للدولة المراهين، فاشتراها الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بَلْفَقيه، وأحسن حرثها وكان يتردد إليها من تَرِيْم، وخَلَفَهُ ولده عيدروس قاضي تريم، ثم أولاده وهم خسمه: أحمد وحسين وإبراهيم وسالم وعمر، وخَلَفَهُم الحبيب محمد بن إبراهيم المتوفي بتريم سنة ١٣٠٧ وهو رجل عظيم الشأن، كثيراً ما يذكره شيخنا العلاّمة أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب بالثناء العاطر، وله ذِكْر في بعض قصائده، وقد استجاز منه والدي لنفسه ولي في مؤلفات أجداده بعد قراءته لبعضها عليه، وخَلَفَهُ ولده الحسن كان رجلاً صالحاً، أبيض القلب، مشبوح الذراع، معمور الفناء، توفي آخر سنة ١٣٤٥ وكان ولده الشهم المقدام علي توفي قبله في رمضان من تلك السنة فأوصى بنصيبه لأولاده، ومنهم قُرَّة العين الولد عبد الرحمٰن بن علي بلفقيه[1]. وما اشتد حزني

(١) هو الناشر المعروف وصاحب دار مكتبة تريم، ويُعدَّ من أنشط الناشرين المهتمين بالتراث الحضرمي.

على أحدٍ مات بتريم ـ بعد مشائخي فيها ـ مِثْلَهُ على السيد الجليل عمر بن عيدروس، والأخ الفاضل عبد الله بن عمر الشاطري، والشهم الأريحيّ الحسن بن عبد الله الكاف المتوفي بها سنة ١٣٤٦.

فقدتهم مثل فَقْد العين ناظرها يبكي عليها بها يا طول ذاك بُكا

ثم تجددت الأحزان لِفَقْد الأخ علي بن حسن هذا:

فقدناه فقدان الشباب وليتنا فديناه من شبابنا بألوف

إلاَّ أنه تسلَّى عن مصابه نجابة ولده عبد الرحمٰن المذكور، وقيامه بمثل ما قام أبوه. ومنهم الأخ زين بن حسن بن محمد بلفقيه، حسن المحاضره مليح المحاوره، جميل الشاره، لطيف الإشارة، وقد وردَ السواحل الأفريقيّة في سنة ١٣٦٤ فانطلقت لسانه بالتذكير، وكان له هناك جاه كبير.

ومن قرى الكسر **(العَدَان)** وهو في شرقي قعوضه، كان السكن العام لآل عامر الروضانيين أجمعين ثم تفرقوا في قُرَى الكسر واختط بعضهم المنازل، وكان الشيخ سعد السويني أشار بفراسته إلى بعض أحوالهم من قصيدة يقول فيها:

بين آل عامر كل يوم بلوَى حول العدان أو منّه وعلوَى

وقد جاء ذكره في شعر عمران بن حِطّان حيث يقول:

نَزَلْنَا في بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ وَفي عك وعامِر عوبثان

وفي لَخَم وفي أُدَدِ بْن عَمْرِو وفي بَكْرِ بِحَيّ ابْنِ العِدَان

وما أظنه إلاّ هذا بأمَارة ذِكْر عَوْبَثان، وكان عمران كثير التنقل في القبائل بعدما طرده الحجاج. وقال يزيد بن الصفتي:

جلبنا الخيل من تثليث حتّى وَرَدْنَ على أوارة فالعِدَان

ومنها **(العادية)** لآل عيفان، ومنها **(السلهبي)** لعبد الله بن أحمد بن عبود بن الطيير، رجل شجاع حتى لقد خطب امرأة فَمُنِعَهَا، وفي ليلة البِناء بها على الخطيب الآخر، حضَر السمر وفي أثنائه أثار ضجّة قَتَلَ في أثنائها العريس وجماعةً معه كانوا في حوش مُغْلَق، ثم تسوّر جداره وهرب ولم يُصبه كَلْمٌ، وهو حي يُرزق إلى الآن.

ثم **(عرض آل حويل)** من قبائل نَهْد، ثم **(فريشه)** لصالح بن كليب بالهفلا،

ثم **(فنده)** لآل حويل أيضاً، ثم **(السفوله)** كذلك لآل حويل، ثم **(المتنه)** لآل عبري ومنهم الشيخ عامر بن عبد الله بن عبري بن عامر بن عبد الله بن عامر. وكل هذه القرى: المتنة فما قبلها، واقعةً في غربي الباطنة، فكان من حقها أن تُقَدَّم عليها في الذِكْر.

وادي منوب:

له ذِكْر في «صفة جزيرة العرب» للهمداني، **وهو في جنوب الباطنه**، وأَدْنَى قُراه إلى الطريق التي تمر في وسط الكسر: (المِدْهر) وسكانه آل نِهَيد وهم من المقاريم، ورئيس المقاريم جميعاً ـ لهذا العهد ـ هو الشيخ امبارك بن عامر بن نهيد. وفي جنوب المدهر **(ظاهرة آل نهيد)** ثم **(ظاهرة آل كليب)** ثم قريةٍ صغيرة يُقال لها **(الخرابه)** سكانها من الأَكَرَه[1]، ثم **(بلاب مَنْوب)** وسكانها سادة من آل السقاف وسُوَقَةٌ، ثم **(طُهيف)** وبه روضه لم يذكرها ياقوت، وقال البكري في «معجم ما استعجم» تَفِيش ـ بفتح أوله وكسر ثانيه ـ قرية من قُرَى حضرموت، وهي **ومَنْوَب** ينزلهما بنو مَوْصِل ـ بفتح الميم ـ ابن جمّان بن غَسَّان بن جُذَام بن **الصَّدِف** بن مرتِّع بن معاوية بن كِنْدة. وحدّ علمي أنه لا توجد هناك قرية باسم تفيش وإنما هناك قريتان يُقال لكلٍ منها **(الفشله)** إحداهما في عرض آل مخاشن والثانية في وادي منوب، شرقي وادي منوب. فيظهر أن إحداهما **(المُراده)** ثم سألت الخبراء من أهل ذلك الطرف فقالوا: ينهر إلى منوب خمسة أوديه؛ أحدها الرئيس وهو الأوسط: وادي منوب، وفي غربيّة واديان يُقال لأحدهما (العلب) وللثاني (عيفر)، وفي شرقيه واديان يُقال لأحدهما تريم ولعله مُصحَّف عن تفشين، فيكوْن هو المقصود، والثاني يُقال له: الدليك.

ومن وراء الباطنه إلى شرق: **(ضِبعان)** ثم **(الفرط)** كلاهما لبني أرض يُقال أنهم من أصحاب الرصَّاصي صاحب مَسْوَره الذين يُقال لهم بنير فتصحَّف الإسم على أهل حضرموت فقالوا: بني أرض، ولكن رأيت الشيخ عمر بن صالح بن هرهره ـ سلطان يافع الذي استولى على حضرموت في سنة ١١١٧ـ يذكر في بعض أخباره مع الإمام: أن السلطان أحمد بن علي الرّصَّاصي أرسلَ بولده ناصر بن أحمد ومعه مقدر ستمائة مسلحين مني أرض. أهـ. فدلّ على أنهم يُقال

(١) أي الأجرة أو العُمّال.

لهم بنير وبنو أرض من يوم كانوا أو أنهم قبيلتان.

ثم ديار (بني بكر) ويسمونها: بابكر، ومنهم الشيخ صلاح البكري صاحب التاريخ الذي لم أطّلع إلاّ على الجزء الأول منه، ساعةً من نهار، فلم أعرف ماذا له وماذا عليه، وبلغني الآن أنه بالمُكَلاً وما أظنه إلاّ يحرص على زيارتي، كما أني أشتاق إلى مثله، وبي شغف لاستطلاع أخبار النهضة الحضرميّة التي تألّفت أخيراً بمصر، فقد وردني من رئيسها الشيخ الأديب علي بن أحمد باكثير كتاب بدرجة منشور عن مقاصدها فإذا هي ضخمة جداً شبيهه بمقاصد (الرابطة العلويّة) التي عسر بها الوِلاَد لأنها ثقيلة لا يرجى من المهديّ المنتظر إلاّ بعضها. وقد جاوبت هذه النهضة ـ عن كتابها لي ـ بما أكثره التحذير من عواقب (الرابطه) ومآل (جمعية الدفاع عن العلويين) التي تألّفت بمصر، وأملّتْ أن يُرفرف لواؤها على جميع الشرفاء بشرق الأرض وغربها، ولمّا سألنا عنها بعض من وصل حضرموت من أعضائها قال: إنها لا تزيد عن أربعة نفر، رابعهم رئيسهم، ثم انقسموا بعد ذلك ولم يبق إلاّ الرئيس ومعه واحد فقط، فَذكَرت أن عبد الملك بن مروان سأل النميري عن ركبه الذي يقول فيه ـ والضمير عائدٌ إلى زينب بنت يوسف أُخت الحجّاج ـ:

ولـمّـا رَأَتْ رَكْبَ النُـمَيْرِي أَعْرَضتْ ... وَكُـنَّ مِـنَ آنْ يَـلْـقَـيْـنَـهُ حَـذَراتِ

وقال له: مِمَّ يتألف ركبك؟ قال: ماهو إلا أنا ودابتي. وربما لم تكن دابةً كاملةً وإنما كانت ثلاثة أرباع أتانٍ، إذ قيل أنها تمشي على ثلاث، وأَنَّ ليلى بنت عروة بن زيد الخيل قالت لأبيها: أرأيت قول أبيك:

بَـنـي عـامِـر هَـلْ تَـعْـرِفُـونَ إذَا غَـدَا ... أَبـو مِـكْـنَـفٍ قَـدْ شَـدَّ عَـقْـدَ الـدَّوَابِـرِ

بِـجَـيْـشٍ تَـظَـلُّ الـبُـلْـقُ فـي حَـجَـزاتِـهِ ... تَـرَى الأُكْـمَ مِـنْـهُ مَـسْـحَـباً لـلـحَـوافِـرِ

وَجَـمْـعٍ كَـمِـثْـلِ الـلَّـيْـلِ مُـرْتَـجِـسِ الـوَغـا ... كَـثِـيْـرٍ تَـوَالِـيْـهِ سَـرِيْـعِ الـبَـوَادِرِ

فهل حضرت هذه الواقعه؟ قال: نعم، قال: كم كانت خيلكم؟ قال: ثلاثة لا غير لي ولعمك ولجدك، وقال الخثعمي: قتلت خثعم رجلاً من بني سُلَيْم بن منصور فقالت أخته ترثيه:

لَـعَـمْـرِي وَمَـا عَـمْـرِي عَـلَـيَّ بِـهَـيِّـنِ ... لَـنِـعْـم الـفَـتَـى غَـادَرْتُـمـو آل خَـثْـعَـمَـا

وكَـانَ إذا مـا أُوْرِدَ الـخَـيـلُ بَـيْـتَـهُ ... إلـى جَـنْـبِ أَشْـرَاجٍ أَنَـاخَ فَـأَلْـجُـمَـا

فَأَرْسَلَها رَهْوَا رِعَالاً كَأَنَّها جرادٌ زَهَتْهُ رِيْحُ نَجْدٍ فَأَتهما

فقيل لها: كم خيل أخيك؟ فقالت: والله لا أعرف فرسه!! فعسى أن لا تكون نهضتهم من هذا القبيل، على أن لا مناسبة بين ما يُكبّرونه من مقاصد تلك الجمعيات عن غير حقيقةٍ، إذ لا غِش في هذه، بخلاف تلك فالتنويه بشأنها لا يكوْن إلاّ غشاً في استجلاب المساعدات لظنون ضائعة وآمال خائبه. وسأحفى الشيخ صلاح السؤال عنها إن زارني، وهل يمكن أن تُربط بها الآمال أم قد أصابها ما أصابَ أختها فاختنقت في المَشيمَه.

وكان بنو بكر أمراء مَرْيَمه إلى أن أجلاهم عنها السلطان الكثيري في سنة ١٢٨٤هـ واستولَى على أموالهم، وفيها كثرة، وقد أسكنهم القُعَيْطي في (عرض مسرور)، وكأنها لَمْ تَرْقَ لهم فابتنوا لهم دياراً في هذا المكان بين الخبة والفرط. وسمعت كثيراً من الثقات يقولون أن بني بكر وبني أرض ليسوا من يافع وإنما هم من آل الرّصَّاص.

القَطْن:

هو صقع لا بأس به، من أوائله (ديار بني بكر) السابق ذكرها، **وعاصمته (الريضه)** وهي المُسَمَّاة **(حوطة القعيطي)** وكان اشترى أرضاً واسعة هناك من السادة آل عبد الله بن علوي العيدروس بثمن بخس بوساطة أحدهم كانت دِلاَلَتُهُ وافرةً جدّاً من القعيطي، فبَنى حوطته هذه في جانبها الجنوبي إلى بقايا قرية كانت هناك قديمة، وهي طيّبة الهواء نقية التربه، يختلف هواؤها بتفاوت كثير عَنْ هواء شِبَام، في الصحة والصفاء. ومرت فيها أيام الأمير صلاح بن محمد القُعيطي، وكان شهماً محنَّكاً، وقور الركن، غزير الحلم، مشاركاً في العلم والتاريخ، مقصوداً، رحب الجانب، ينصف المظلوم من الظالم، وكان له اشتغال بالحرث، يحصل منه على إيراد عظيم يُنْفِقُهُ بأسره في فعل المكارم وقِرَى الضِيْفَان، وهو الذي فَتَلَ في الغوارب والذرَى، حتى حَمَّل ابن عمه منصر بن عبد الله، ما حمّله من الحقد والمنافسة لعمه السلطان عوض بن عمر، وأوقعهم في الثوره، ولكنه لم يجن من ثمرة سياسته إلاّ خلو حضرموت له من وجه منصّر بن عبد الله الذي كان يضايقه ويتفضل عليه، وإلاّ فقد مات وشيكاً في سنة ١٣١٨ـ حسبما قدمنا في قيدون ـ عن ولدين: أحدهما الأمير محمد بن صلاح مَرَّت أيامه في خدمة الجيش

الآصفي بحيدر آباد الدكن، إلى أنّ توفي وهو رجل مشكور. والثاني علي بن صلاح رجل نبيه، تكررت ولايته على شبام، وعَزَلَهُ عنها لأن السيد حسين بن حامد كان منحرفاً عنه في باطن الأمر، كلما ولاّه مُديدةً أبعده. وصلح حاله أولاً مع الأمير سالم أحمد القعيطي نائب السلطان عمر بن عوض، ثم تغير، وناب في الأخير مديدة ـ أقصر من ظماء الحمار ـ بالمُكَلاَّ عن السلطان صالح بن غالب، ثم أُقيل، واشترك بعدها مع الأمير عبيد صالح بن عَبَدات في حركاته، ووجدوا عنده مكاتيب له منه، تُصَرِّح بالتمرد على الحكومة القُعيطيّة. والناس يعلمون أنْ ذلك لم يكن عن عقد ضمير، ولا عن عزيمة صادقه، وجدٍّ في الخلاف، ولكن ليقضي حاجةً في نفسه من الأمير عبيد صالح، فحوكم ونُفِيَ إلى المُكَلاَّ، ثم شفع له المرض فسمح له بالرجوع إلى مسقط رأسه، لكن لا إلى حصنه الذي استولت عليه حكومته بل إلى دار آخر لأنهم صادروه. وكل ذلك دون ما فعله بمربيه الشيخ عوض بن سعيد بافضل، وقصة ذلك أَنَّ علي بن محمد التوي أرضَى علي بن صلاح، على أن يخطب له بنت الشيخ عوض، ولمّا قال له أنها مخطوبة للسيد علي بن حسن بلفقيه، استعر غضباً وصادر أموال الشيخ عوض، صامتها وناطقها، وأمرَ عبيده بقتله، فَكَبُرَ عليهم، فأنذروه، فهرب إلى سيون وولده الشيخ سالم إلى عدن، ولم يرجعوا إلى **القَطْن** أبداً. ولأُم علي بن صلاح حديث طريف، ذلك أَنَّ أَحَد أقاربها من آل محفوظ خطبها فَردّوه، ثم تزوجت آخر، فما زال الأول يترقب الفُرص حتى هجم عليه ـ مع اثنين من أصحابه ـ وأطلقوا عليه الرصاص، وكانت المرأة خارج الدار فأسرعت إليه، فلاقاها القتلة فقالوا: إبكي محمد، فقالت: سالف القبوله، وكان معها خنجر فَبَعجت به بطن الأول ثم الثاني ثم الثالث، ثم خَفَّت إلى والدها تخبره بالحال. وهذا خبر عظيم لولا أن الذي أخبرني به ثقة ضابط لَمَا كتبته، أَلاَ وهو الشيخ سالم بن عوض بافضل، وذكَرَ أن هذا هو رغّب الأمير صلاح بن محمد فيها، ولم تك تصلح إلاّ له، ولم يك يصلح إلاّ لها. واسم هذه المرأة: شيخه، وقَارِنْ بينها وبين فطوم الآتي خَبَرها في وادي الذهب.

وبالرَّيْضَة ـ من **القَطْن** ـ جماعةٌ من ذُرّيَّة السيد الصالح أحمد **الهدّار** بن هادي بن علي بن محسن بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وناس من **آل باهرمز**، وناس من **آل بافضل** منهم الرجل السياسي المُحَنَّك الذي له الضلع الأَقْوَى في إقامة الدولة القعيطيه: الشيخ عبد الله بن سعيد بافضل، وكان السلطان

عوض يَعِدَّهُ أحد أولاده بل يعتمد عليه أكثر منهم ولا يسمع فيه لأحدٍ كلاماً، وهو أهلٌ لذلك فحولةً وذكاءً وحُسْن رأي، وصدق فراسه، إلى تواضع ودماثة أخلاق، فلم تُغَيِّر فخفخة الدولة شيئاً من أخلاقه، بل بقي على زي أهله وأصحابه وعاداتهم، وله أخبار جزله كثيرة. ومن هذا البيت: نائب الأَهِلّةِ والعقود بالريضه: الشيخ علي بن أحمد بافضل. وفيها جماعة من **آل بَامَطْرَف الكِنْديّين**، خلعوا السلاح كأصحابهم السابق ذكرهم في الغيل، منهم اليوم محمد عُبيد وإخوانه، لهم تجارة واسعة بالمُكَلاّ والقَطْن وغيرها بواسطة الوكلاء، وقد بلغني أنهم بقوا ينفقون على عملائهم الذين انقطعت صلاتهم من جاوا، مع تفارط الأيام وطول المدة، بنصف ما كانوا يعتادون في أيام السعة، وينسونهم حتى يأتي الله بالفَرَج من عنده، وإن هذه لَحَسنةٌ مذكورةٌ لهم لا سيّما إذا مثلت بينها وبين ما عليه تجار سيون، فأنا أعرف أحد الساده لا يكوْن عنده اثنان إلاّ كان الثالث وكيله التي تصل دراهمه من جَاوَا وسنغفورا عن طريقه، يخصم عليه منها خدمةً وافرة، وينتفع ببقائها تحت يده يصرفها بالأرباح لنفسه، لأن صاحبها لا يأخذ منها إلاّ تدريجاً حسب الحاجة، ثم لا يحاسبه في شيء قط بل يدع له حَبّله على غاربه يفعل ما يريد. وبمجرد ما انقطعت الأسباب تنكّر له تَنكُّراً فاحشاً كادَ ينقطع معه الكلام والسَّلام، فلعنة الله تَتْرى ثم تَترى على اللئام.

وبعضهم يزعم أنّ **قَطْناً** هو هذا المذكور في قول امرىء القيس:

أصاحِ تَرى برقاً أَرِيْكَ وميضهُ ... كلمع اليدين في حبّي مكللِ
يضيء سناه أو مصابيح لاهبٍ ... أهان السّليط بالذِبَال المُفَتَّلِ
قعدت وأصحابي له بين خارج ... وبين العذيب بعدما متأمل
على قطن بالشيم أيمن صوبه ... وأيسره فوق الستار ويذبل

وقول سُحيم بن وثيل الرِيَاحي

متى أحلل إلى قطن وزيد ... وسلمى تكثر الأصوات دونيَ

ومن قُرى **القَطْن**: (دار آل رشيد) و(دار آل النقيب) و(ساحة الحضارمة) و(حصن آل الزوع) وهم من نَهْد ولهم مرؤه وهم مثل آل شبيب أصحاب غصيص بن يزيد المجلف من نَهْد عَرْمَا ودُهُر حسبما يُقال، ومنها (ساحة آل علي الحاج) و(ساحة الجَهَاوره) ومنهم الشيخ يحيى بن قاسم الجَهْوَري اليافعي، رجل

شهم جزل لا يتقنع من سؤة، وله شعر جميل منه قوله:

بُولِحِمْ قال كسَّاب الجبل ... إذا النوائب فتح لي بابها
ننفق على العِزّ من كُثر أو قليل ... ومحنة الوقت ماندري بها
ان الكرم يفتح أبواب السبيل ... ويمحي أوصال بعد اكتابها
والبخل قائد إلى الذِلّة دليل ... مولى الكَرمْ هِمَّته يعلَى بها
والله ما قط يتحمّل بخيل ... وان قام في حجة ما أوشى بها
قومي بني مالك الحب النصيل ... جهاوره من فروع أنسابها
يسمع لهم في عَلَى الوادي صهيل ... كَمْ من بلد زَوّعوا أبوابها
لِي يحكمُوا على الركب طي الفتيل ... إذا النفوس أكثرت جلابها
قولي ونا مَسْكَنِي حصن الدُوَيْل ... في قرية العِزّ ذِي نَزْهِي بها

وفي كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس أن الحبيب أبا بكر بن عبد الله العطّاس كان يحب أن يتمثّل بأبيات من هذه القصيدة. وما أَخذَ قوله فيها: ليّ يحكُمُوا على الركب طيّ الفتيل، إلاّ من فعل العِنَاس أيام الفِجَار إذْ قيَّدوا أنفسهم خشية الهرب، وهم حرب وأبو سفيان أبناء أميّة وأبو سفيان بن حرب، وكذلك كانت تفعل العرب، قال البحتري:

وكأن الإلَه قال لهم في الحرب كونوا حجارةً أو حديْداً

ولِحِمْ، بكسر اللام والحاء وسكون الميم، وكان يكثر الكون في (قَزّة آل البُطاطي) أخبرني المنصب أحمد بن حسين العطّاس، قال: أَنَّ جماعةً من الصَيْعَر سرقوا عِجلاً للعبس من رعيّة العوابثه في وادي العين وذبحوه وحملوا به إلى عند آل باربّاع في سدبه، وأخبروهم بالحال فقالوا لهم: لا ترضون علينا فأننا نخاف العوابثه، فساروا إلى القَزّه ونزلوا على: يحيى بن قاسم، هذا وأخبروه فآواهم، ثم إن العوابثة قَدَّموا دَعْوَى عند الحاكم النهدي على أولئك الصيعر فأنكروا، فقال لهم النهدي: شهودكم؟ فأتوا بآل ربّاع، فقال لهم: ما عندكم؟ قالوا: ما عندنا إلاّ إننا سمعنا الكلب ينبح ثم جاء هؤلاء الصيعر ومعهم شيء يحملونه لا ندري ماهو، فقال لهم النهدي: ليست هذه بشهادة، فاستدعوا يحيى بن قاسم وأرسلوا له مطيّه، فقال: مطيّتي أسرع، وعندما وصل سأله الحاكم

عمّا عنده بعد شرح الحال فقال له: أشهد بالله أن هؤلاء أقرّوا بأنهم سرقوا جحش العبس الأخضر وذبحوه، وأروني جلده ورأسه، وأعطوني ربعه مع الكبد، ورجلي في القيد وبندقيتي عداله إن أنكروا. فاستجهر الصَيْعَر هذا الكلام الصريح وهالهم فقالوا: له شهادتك مقبوله من الأرض إلى السماء، ودفعوا الثمن. ولمّا عزم الجهوري على النهوض قال له الحاكم: والله لا تخرج إلاّ بعد أن تتغدّا فلقد ذبحت لك كبشاً أنت به في شهامتك جدير، وقال لآل باربّاع: أخرجوا من داري يامفخطة النخل كتمتوا شهادتكم خوفاً من الصيعر.

وأخبرني بعض ثقاة يافع: أنّ يحيى بن قاسم المُكنَّى بُوْلِحِمْ ـ هذا كان في سيون ولمّا زالوا سكن بنخر عمر، قبلي شِبَام، ثم سار إلى هينن وطرَد آل طاهر بن راجح، فلمّا عاد إلى مَصْنَعة خرْبَة باكَرْمَان في وادي عمد، وهي مَصْنَعه منيعة لا تزال معهم إلى الآن، ثم أن آل سدبه اشتكوا إليه من ظلم البكري، فحاربه، واستولى على سدبه وذهب البَكْري إلى عندل، ولا تزال مصنعتها بأيديهم إلى الآن ولكنهم لا يسكنونها ولا يأتون عَنْدَل إلاّ وقت حصاد زروعهم وثمار أموالهم بها، وإنما يسكنون بالقطن، وقد مَرّ قبيل القطن أن آل البكري وبني أرض ليسوا من يافع، وإنما هم من قبائل الرَصَّاص. أهـ. وقوله أنه طَرَد آل طاهر بن راجح بعد جلائه من سيون لا يتفق مع ما سبق قبيل قعوظه: أن آل طاهر بن راجح خَلَفُوا آل كثير على هَيْنن، وأن يافعاً طردتهم سنة ١١٤٣ لأن جلاء يافع عن سيوون إنما كان سنة ١٢٦٤، والتعدد بعيد، وكلام الحبيب علي بن حسن هو الأثبت، لأن ما يُتلقى من الأفواه يزيد وينقص.

ومن الجهاوره: جابر بن قاسم بن صالح الجَهْوَري، كان من رُماة الحدق، متفوقاً في الرماية، يُضرب المثل فيها حتى أنه ليضع البيضة على رأس عَبْدَه ثم يُطلق الرصاص عليها من بُعْد فلا يُخطىء المكان الذي يرسمه منها. وسمعت سيدي العلامة حسين بن محمد الحبشي يُخْبِر والدي بنظير ذلك عن بعض العلويين بالمدينة، حتى لقد عزم أحد الأشراف على تأديبهم لأمر جرى منهم، فخيَّمَ بعسكره في العُريض ولمّا تناولَ فنجان القهوة قال العلوي لأصحابه: سأرميه، قالوا: لا تُصيب الشريف فتعرضنا للبلاء، فقال لهم: لا تخافوا، ثم التقط الفنجان ببندقيته من بين أصابع الشريف من غير أن يمسَّها بسوء، فأكبرَ الشريف هذه المروءة والمهارة، فانصرف بالقوم. أمّا قول يحيى: مسكني حصن

الدُوَيْل، فمحتمل لأن يكوْن المُراد حصن سيون أو حصن شِبَام، إذ كل منهما يُقال له: حصن الدويل.

ومن قرى **القَطْن**: **(حصن المداشلة)**، و**(حُوْطَة النور)** للسيد الجليل محمد بن سقاف بن الشيخ أبي بكر، وهي عبارة عن دار ومسجد وبساتين نخل له هناك، وقد ألَّف بشأنها رسالةً سمّاها «جالب السرور في تاريخ حوطة النور». وخَلَفَهُ عليها ولده عبد الله، وهو رجل شهم غيور، وله أولاد مباركون. وفي شرقي حوطة النور بوادي الحبظ دِيَار **آل بالحامض** لا يزال بها منهم اليوم نحو الأربعين رجلاً، وهم من نهد.

ومن قُرَى **القطن**: **(ديار آل أحمد)** ومنهم صاحبنا الشيخ صلاح أحمد الأحمدي، رجلٍ كريم الطبع، شريف النفس، طويل القامه جميل الصوره، فاضل الأخلاق قوي العارضه، له شعر جزل بالطريقة الدارجة، حتى أن بعضهم ليتّهم ـ كما سيأتي في عرض مسرور ـ أنه هو الفرزدق الشاعر المجهول الذي دوّخ الهند بأهاجيه وملأ البلاد دويّاً وضجيجاً، وهو الآن يخنق المائة، مُمتعاً بالعقل والحواس، لاحرمنا الله لقاءه في خير، فإني كثير الحنين إلى مثله من قدامى الأصحاب والمعارف كما قال أبو الطيب:

خُلِقْتُ ألوفاً لو رُدِدْتُ إلى الصِبَا ... لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وهو من أصحاب شيخنا العلامة أبي بكر بن شهاب.

العنين:

ومن قُرى القطن العنين، وهو من قُدامى بلاد القَطْن، ثم (عقدة آل المصلّى) و(الشاووش) ثم (دِيَار آل سعد)، ثم **(عرض آل بِالْعَلا)** وسمعت أنهم من آل بالحارث أهل بَيْجان، وهم من المنتسبين ـ كآل الزوع ـ بالخدمة والولاء للسادة **آل خيله**، وكانوا يأتون إليهم في كل سنة فيكرمونهم حتى جاءوا مرّة ـ وفي العيش يُبْسٌ ـ فأرادوا مداعبتهم فتلقّوهم، وبعد أن صافحوهم واتّجهوا بهم إلى منازلهم عزموا على الارتجاز فقال شاعرهم:

حيّا بذي الساده ومن جَاء سعفهم ... يا داخلين العرض في أيام الصيوف

المام قد جيتو وجيتو ذِي السنه ... ماشِي على العدان بقعا إلاَّ حفوف

فغضب آل خيله وصرفوا أَعِنَّة الدّواب، فأقبلَ عليهم آل بالعْلاَ يعتذرون إليهم ويترضونهم، حتى رضوا وساروا بهم إلى عرضهم وزادوا ـ على العادة ـ في إكرامهم. وآل بالعَلا من كرام القبائل يتصل طارفهم بتليدهم، وكان فيهم علماء وشعراء، أمّا العِلْم فقد انقرض وأمّا الشِعر فلا يزال، وفي عرض آل بلْعَلا ناس من آل السقّاف، منهم السيد صالح بن عبد الله بن عبد الرحمٰن.

ثم **(نقق)** فيه ساده من آل الحِبشي وناس من آل جابر، ولقد مررت ـ ذات سنة في طريقي إلى المشهد ـ بتلك المنازل فإذا أكثر حصون يافع خالية عن الرجال فتذكرت قول أبي عليّ البصري:

فكأنما تلك الشوارع بعض ما ... أخلت أياد من البلاد وجُرْهِم
كانت معاداً للعيون فأصبحت ... عظةً ومعتبراً لمن يتوسم
تبكي بظاهر وحشةٍ وكأنها ... ربع أحال، ومنزل مترسم
وترى الذراري والنساء بضيعة ... خَلفٌ أقام وغاب عنه القيّم

نسأل الله أن يرد المياه إلى مجاريها ويُسْكِن الديار بانيها.

المسحره:

هي أرض واسعة خصبة، يحدها قِبْليّاً ذبر الباطنه، ونجديّاً الجبال ومفتك وادي سر، وجنوباً القَطْن وقُرَاه، وشرقياً الموزع يندفع فيها ما يزيد من مياه «عَمْد» و«دَوْعَن» و«وادي العين» ومتى سقيت يخصب الناس، ويرغد العيش. وفي طرفها الجنوبي **(دار الراك)** وهي ديار خَرِبَه للحكومة القعيطيه، ومن ورائها إلى الجنوب **(وادي عقران)**، وفي شرقيه **(الموزع)** وهو ضمير في عرض مِسْيَال سِرْ، يردع المياه إلى شبام، ومنه تُسْقَى، وكثيراً ما تضره السيول فيتكبد آل شبام الخسائر الباهظه لإعادته، ولكن عمارته الأخيرة كانت قويةً مُحْكَمةً فلم يجرفها تيار السيول، وأَعَان على ذلك أنهم لم يعلّوها كثيراً، فَخفَّ عنها فُرط الصدام. ومن وراء الموزع.

خشامر:

وهي قرية آل علي جابر اليافعيين، وكانوا قبيلة خشنةً:

تـنـمـيـهـم مـن ذِي رُعَـيْـنٍ أسـرة بيض الوجوه إلى المكارم تنتمي
مـن كـل أَغْـلـب ودُّهُ أنّ ابـنـه يوم الحِفاظ يموت إن لم يَكْرُم

ولو لم يكن لهم إلاّ سالم بن يحيى بن عبد الحبيب بن علي جابر ـ السابقُ ذِكْر أكْرومته في غِياض الشِّحْر ـ لا بقي لهم مجداً مخلّداً. ولهم مع الدولة القعيطيه حروب ومواقف لم تضرع فيها خدودهم، ولم تعثر منها جدودهم. من ذلك أن الحدادیین أفسدوا بعض نَخْل آل علي جابر بالقَاز، ومن عادتهم أنَّ مَنْ فعل هذا الفساد لا يُخْفِرهُ أحد، ولكن ناصر محمد الدهري ـ وقت ما كانَ على شِبَام من جهة القُعَيْطي ـ أعطى ثلاثة من الحدادیین خِفَارَةً بِعَبْد، فَتعرَّضهم آل علي جابر وقتلوا الثلاثة وهَرَبَ العَبْد، فَحطّ عليهم ناصر بالمدافع، ولكن السيد أبو بكر بن عبد الله المِحْضَار وأخيه محمد كانوا وِدّاً لآل علي جابر، فكلّموا السلطان غالب بن عوض فيهم فأمر برفع المحطّه. ومنها: أنَّ لآل علي جابر كوتاً في أرض تُسَمَّى الصباح، غربي خمور قبيل خمير، بعضها عامر وأكثرها غامر، فَادَّعاها علي بن صلاح في أيامه للقعيطي، ولمّا جاء الخريف قال لأَكَرَتْه[1]: اذهبوا فَعَرِّشُوا فيها، فطردهم آل علي جابر، فأرسل بجماعةٍ من آل الدهري وطائفةً من العبيد ليفعلوا ما قَدروا عليه في آل علي جابر، ولكن آل علي جابر أطلقوا عليهم الرصاص بمجرد ما وصلوا، فسقط خمسةً من العبيد مع الباروت وهرب الباقون، فحطّ عليهم علي بن صلاح بالمدافع ثلاثة أشهر بدون نتيجه، فأشار على بعض آل كثير بالتوسّط، فتواضعوا على الهدنه وتفويض الأمر للسلطان عمر بن عوض، فأرضَى آل علي جابر عن الأرض بثلاثة آلاف ريال وتحمَّل عنهم النفقات البالغه نحواً من ستة آلاف ريالاً، وأَجْزَلَ لهم الهدايا وَرَضِي عنهم وَرَضوا عنه، وخَرج وإيّاهم خرجته التي زار بها داخل حضرموت. وشيخ آل علي جابر ـ الآن ـ يحيى بن عبد الحميد، قد خنقَ من عمره التسعين وهو من بقايا الكرام.

خَمُور:

هي للسادة آل الْمِحْضار وآل الحسن من آل الشيخ أبي بكر بن سالم،

(١) لِعُمَّاله.

وكانت لآل هظيل الكثيريين فَصَهر إليهم أحد السَّادة **آل المحضار** ورُزِقَ ولداً، ولمّا مات خَلَفَهُ على امرأته أحد **آل الحسن** بن الشيخ وَرُزِقَ ابناً أيضاً، فَوهبَ لهما آل هظيل خَمُوْراً. وقد مَرَّ للسيد بُوْ بَكْر بن عبد الله المحضار وولده صالح ذِكْر في المُكَلاّ.

وفي شمال خمور مكان يُقال له (**جوجه**) من ديار بني سعد، كان يُصيِّف به سيدنا الإمام أحمد بن عمر بن سميط، ويخترف في بستان نخلٍ لَهُ به. وفيهِ جماعةٌ من السَّادة آل مرزوق، ثم (**السعدية**) وهي عبارة عن كوت واحد في طرف سِحَيْل آل مَهْرِي الغربي.

وادي سِرْ، وقبر صالح عليه السلام:

في شمال الكسر وادي سِرّ، يفصل بينهما جبل ليس له كثير عرض، والظاهر أنه مُحَرّف عن الرّس، ومثل ذلك التحريف واقع بكثرةٍ عند الحضارم وغيرهم، وهو وادٍ واسع تصب إليه أودية وجبال كثيره. وفي سفح الجبل الذي بأعلاه مكان يُقال له (عَسْنب) فيه قبر بني الله صالح ـ عليه السلام ـ والأدلة عل وجوده بحضرموت كثيرة، منها قوله جلّ ذِكْرُه ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾، ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخر الآية [٧٤ من سورة الأعراف]، إذ الخلافة صريحة في وجودهم بديار عاد وهي حضرموت. وقال غير واحد من المؤرخين منهم اليعقوبي: إنّه لمّا هلكت عاد صارَ في ديارهم ثمود. وفي صفحة ٥٩٠ مجلد، من شرح «النهج» قال المفسرون: إنّ عاداً لمّا هَلكت عَمَّرت ثمودُ بلادَها وخلفوهم في الأرض، وفي «التّاج» أن العرب العاربة وهم عَادْ وثَمُود وأُميم وعَبِيْل ووَبَار كلهم نزلوا الأَحْقَاف وما جاورها. وقال ياقوت: رُوي أنَّ الرَّسَّ دِيَارْ لطائفةٍ من ثمود، وقال البغويُّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ رَوَى عن الضحاك أن هذه البير كانت بحضرموت. ويتأكد هذا بما سيأتي في بُوْر وحنظلة بن صفوان عليهما السلام ولا يَغْبُرُ على شيء ما صَحَّ أن ثمود بِالْحِجْرِ، لأَنَّ الموجودين بحضرموت إمّا أن يكونوا نجعوا إليها بعد نجاتهم من العذاب، كما فُصِّلَ بالأصل، وإمّا أن يكونوا ضاربين من هناك إلى حضرموت، إذ لا يستنكر ذلك من أمةٍ عظيمة مَلأَت سمعَ

الأرض وبصرها بخبرها. وقد سبقَ في أخبار حَجْر القول بأن فيها الواد المشار إليه في قوله جَلَّ ذِكْرُه: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾، وأخبرني غير واحد من أهل تلك الناحيه أنهم لا يقدرون أن يقبروا أحداً في موضع يُرَى من مكان قبر نبي الله صالح عليه السلام، فإن قَبَرُوا أحداً من الجهلة أو تَرَكَة الصلاة، بحيث يترآءى من موضع قبره عليه السلام: لَفَظْتُه الأرض. وإنما يقبرون من وراء جبل يسترهم من مكان ضريحه ﷺ وعلى نبينا وآله وسلم.

وأكثر **وادي سِرّ** لآل كثير، فهم بغاية الحاجة إلى التردد إليه، وفي حدود سنة ١٣٠٧بدَا لعبد الحميد بن علي جابر أن يبني كوتاً في موضع يُقال له (قلات) على طريقهم، فاشتد عليهم الأمر وجاء محمد بن بدر إلى لحمان بن عبد العزيز فقال له: سِر واخبر عائظ بن سالمين، فسار إلى (بابكر) وأخبر آل عبدات فكاتبوا السلطان وآل كثير فلم يجيبهم أحد فعاد على غبيراء الظهر فلاقاه لحمان إلى بعض الطريق ولما أخبره بالجليّة سبَّه وأخذ جَمَله وركب عليه وهو أرمد إلى عائض فكتب للسلطان وآل كثير من الليلة الثانية: أن وَافَوا إلى القارة، فجاؤا بقضهم وقضيضهم، وشعر بهم عبد الحميد فجاء إلى منصر بن عبد الله يطلب النجدة فلم يساعده، وقال له: نحن نحب إخماد الشَّر وأنت تثيره، وهجم عايظ بمن معه على الكوت وأحرقوه، وكان فيه تسعةً؛ إثنان من الطراشمه رَمَى بهم البارود إلى مكان بعيد فَسلِموا؛ وسبعةَ من العبيد سقطَ عليهم الكوت فَهلكوا. هذه رواية امبارك بن جعفر القحوم الذي مر في أصل غيرها، والله أعلم.

وادي يبهوض:

وهو وادٍ واسع عن يمين الداخل من الشرق إلى وادي سَرْ إلاّ أَنَّ الجبال التي تدفع إلى وادي سر أكثر منه، وفيه قُرَى صغيرة، وبعد أن تسقى الشِراج التي فيه يفيض ماؤه على شِرَاج (الجوادة) وهي قرية يسكنها ناس من **آل حريز** قبائل يحملون السلاح منتسبون بالخدمة للقطب الحدّاد، ولهم فيه اعتقاد جميل، وظن حسن، ومن النوادر أن أحد متأخريهم كان متصلاً بواحد من الساده آل سِمَيْط وآخر من السادة آل العيدروس، وكان يحبهما ويواسيهما فَتَنافَسَاه، وأراد العيدروس أن يستأثر به فقال له: إن صاحبك السميطي ليس بكامل السيادة، لأنه لم يكن من ذُرِّيَّة الفقيه المقدم، فعظمت على ابن حريز ورأى انها منقصه عظيمه،

فانقطع عنه، فَعرفَ دَخْلَة الأمر، فَتَصَيَّده ولمّا اجتمع به قال له: ما أخَرَّك عني؟ فقال له: ما أحبك إلاّ على ظن كمالِ سيادتك، ثم تبيّن لي أنك لست من ذُرّيَّة الفقيه المقدم، فقال له: اسمع أما أنا والقطب الحدّاد فعلَى رجل واحد وهو عم الفقيه، وأما العيدروس فإنما هو والجِفْري على رجل واحد. وكان الساده آل الجفري منحطين في أنظار العامّة لاحترافهم بجلب الأبقار والحمير، فانعكست نتيجة التدبير، وكانت الفيصولة بين الحريزي والعيدروس.

وَلآل شِبَام وغيرهم أموال كثيره بـ **(يبهوض)** وما يزيد من سيله عن (الجوادة) وما إليها يجتمع مع مياه وادي سر، وفي حوادث سنة ٧٩٤ أن آل سويد بن عسال هم الذين بنو قرن بالميص بوادي يبهوض.

عرض مسرور:

هو أرض واسعة في جنوب الجبل الشمالي عن شبام، في غربيها مفتك وادي سِرّ. وكانت لآل سالم بن زيمة الكثيريين، ولمّا استولى السلطان الكثيري على أموال بني بكر بـ (مَرْيَمه) بعد إبعادهم عنها في سنة ١٢٨٤ ـ حسبما تقدم في ذِكْرهم ـ حصلَ من السلطان القُعَيْطي رَدُّ فعلٍ، فطُرِّد آلَ سالم بن زيمه من عَرْض مسرور. وإلى جانبه الغربي **(حويله)** وفيها آل نهيم من المشائخ آل باوزير، لا يزيد رجالهم بها ـ اليوم ـ عن خمسة عشر، وآل حويل من آل كثير، ومن بقاياهم بها ـ الآن ـ نحو خمسة رجال بعائلاتهم. وفي شرقي حويله: مَصْنَعة آل سالم بن علي وآل عبد الله بن علي.

وفي جانبه الشرقي ـ أعني **عرض مسرور** ـ حصون آل أحمد بن علي، ولا تزال بينهم خماشات. وأمّا آل سالم بن حسين بن يحيى بن عمر بن هرهره، فكانت ديارهم في وسط سيوون، وكانت لهم رئاسة (شهاره) بسيوون والسوق، وكان سكن رئيسهم بل رئيس آل الظِبي بسيوون الشيخ صالح بن سالم الشرفي: حصن الدُوَيْل بسيوون. ولمّا زالوا عنها تَنَقَّلوا أوّلاً، ثم ابتنوا لهم حصوناً بالقَطْن بين آل الفضلي وآل المصلي، وما بها منهم ـ الآن ـ غير الأطفال والنساء، وأمّا الرجال فبِجَاوا. وآل الشيخ علي كلهم مساعير حربٍ، وأُبَاةَ ذُلٍّ، وحُماة حقائق، ينطبق على جدهم قول أبي تمام:

اكفاؤهم تَلِدُ الرجالَ وإنما ... ولد الحتوف أَساوداً وأُسُوْدا

وهذا البيت من البدائع، وقد تحرّش به الرضي فيما يأتي عنه في حصن العِزّ. ولهم ـ أي آل الشيخ علي ـ أخبار كثيرة بالأصل، وكان بين صالح بن سالم الشرفي وبين جدنا العلاّمة الإمام محسن عِداء وسوء تفاهم، أراد الماس عمر ـ مَوْلَى القُعَيْطي ـ بدهائه أَنْ يُزيله فلم يقدر، ولو نجح لَما قامت لآل كثير قائمة قط، وعدد آل الشيخ ـ هؤلاء ـ لا يزال قليلاً إلاَّ أنهم كما قال أبو تمّام من القصيدة الأخرى:

قَلُّوا ولكنهم طابوا فأنجدهم ... جيشٌ من الصبر، لا يُحْصَى له عددُ

إذَا رأوا للمنايا عَارِضاً لَبِسوا ... من اليقين دروعاً ما لها زَرَدُ

ناؤوا عن المصرخ الأدنى فليس لهم ... إلا السيوف على أعدائهم مَدَدُ

ومن أخبار آل سالم بن علي (وهم صالح بن سالم حسين بن سالم، وعلي بن سالم): أَنَّ أحد آل جوفان في حدود سنة ١٣٣٠ كان يمشي بِحِملٍ من الحطب، ومعه عبد صغير لآل الشيخ المُشار إليهم، فلقيه بعض الغرباء من يافع وكان يطلبُه بثأر، فأرداهُ فسار العبد يقود بعير الجوفاني، وأخبر مولاه الشيخ حسين بن سالم بن علي، فجمعَ أَولاده وقال لهم: أُمَّكُم طالق بالثلاث إنْ لم تبيِّضوا وجهي اليوم، ولم أقتل أحداً منكم غداً، فَخفُّوا إلى شبام وعليها الشيخ يحيى بن عبد الحميد بن علي جابر نائباً من جهة السلطان غالب بن عوض، وحالاً طلعوا إلى الحصن، وأغلقوا الأبواب وقالوا للشيخ إمّا أن تُسَلِّم لنا القاتل وإلا تقاسمنا الموت في هذا المنزل حتى لا يَسْلَم إلاَّ من عصمهُ الأجل. ولمّا عرف أن الأمر جِدٌّ تخلص من فناء النفوس الكثيرة بتسليمه، وما كادوا ينفصلون به عن شِبَام حتى ذبحوه، غير أن السلطان غالب بن عوض تميّز من الغيظ على الشيخ يحيى ولم يوله عملاً بعدها، ولولا أنه جُبِلَ على العفو وكلّمه فيه الناس لَقَطَّعه إرباً إرباً.

وأما آل أحمد بن علي فيرأسهم الشيخ علي بن أحمد، صاحب الدار التي كانت بجانب سدّة سيوون القبليّة، وكان موجوداً في سنة ١٣٢٨ ثم أصابته رصاصة غرب من آل سالم بن علي، كان فيها حتفه. واتفق أن كان عندهم يوم قتله رجل شرير من آل علي جابر يثير لأصحابه الفتن فزعم أن قتله وهو عندهم يخفر ذمته؛ فأشار الشيخ يحيى بن عبد الحميد بقتله، وكان له ابن غائب فَقَدِمَ حتى ختل يوماً عبد الله بن عبد الحميد فأطلق عليه الرصاص مع خروجه لصلاة الصبح، ولكن آل علي جابر قتلوه في الحال، وما شيعوهما إلاَّ معاً. ولعبد الله بن

عبد الحميد هذا شذوذ حتى أنه نزل مرةً على الشيخ محمد بن علي بن عبود في باندوم (باندونغ: مدينة في أندنوسيا بجاوا) ولمّا شرعوا في راتب الحدَّاد قال الشيح عبد الله بن عبد الحميد هذا بدعه فقال الشيخ محمد بن علي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. إلخ. بدعه وطرده الشيخ علي بن أحمد. وهو والد الشيخ عبد القادر بن علي الذي أقام دهراً طويلاً على إمَارة شبام بالنيابة عن السلطان غالب بن عوض، وكان حسن الأخلاق، موطأ الأكتاف، محبوباً عند الناس.

نخر عمرو:

هو مكان في غربي شِبَام يسكنه الجَهاوره من يَافِع، أصحاب الشيخ يحيى بن قاسم السابق ذكره، وهم خَوَّاضُوْا غمراتٍ، وحتوف أقران، وكان على رئاستهم علي بن عبد الكريم الجهوري، وكانت لآل النقيب دولة شبام فضرب أحدهم مسكيناً من مساكين نخر عمرو، فاشتكى إلى علي عبد الكريم فأكنها في نفسه، حتى سمع بعض التعيير من الشعراء والسماسره، فحمل أصحابه على أن يتسوَّروا سُوْر شِبَام ليلاً، فكمنوا تحت الجامع، حتى أقبل عليهم إثنان من آل النقيب فقتلوهما، ثم التحم الحرب، وقتل اثنان من الجهاوره وآخران من آل النقيب، ثم خفَّ الجيران لإيقاف الحرب، وأول من وصل صالح بن عبد الحبيب بن علي جابر في حشدٍ من أصحابه، فحجز بين الفريقين، وعقد بينهم هدنة لمدة ما يجهزون قتلاهم، وفي أثنائها وَصلت الذبائح من النقيب للجهاورة بالدار التي هم بها في شبام، وهكذا كانت بنو مالك على نحو قول أبي عباده:

إذا افترقوا عن وقعةٍ جَمَعَتْهُم ... لأُخْرَى دماءٌ ما يُطَلُّ نجيعها

تذم الفتاة الرودُ شيمةَ بعلها ... إذَا بات دون الثأر وهو ضجيعها

تُقَتَّلُ مِنْ وِتْرٍ أعزّ نفوسها ... عليها بايدٍ ما تكادُ تطيعها

إذَا احتربتْ يوماً ففاضت دماؤها ... تذكرت القربَى ففاضت دموعها

ولاعيب إلا أنَّ حلم حليمها ... يسفّه في شرٍّ جناه خليعها

لقد كانت يافع على أحسن ما كانت العرب عليه من الوفاء بالذمم، وصدق الكلم، وبُعْدِ الهِمم، إلاّ أنهم بِالأُخَرَةِ بَغَوْا وتكبّروا، وكثر من سفهائهم الظلم والجَوْر والفساد، وما أحسن قول أبي تمام:

لا تجعلوا البغيَ ظَهْراً إنه جمل ... من القطيعة يرعَى وادِي النقم
نظرت في السِّيَرِ اللاتي خَلَتْ فإذَا ... أيامه أَكَلتْ باكورةَ الأمم
أفنى جَدِيْسَاً وطَسْما كلها وسطى ... بالأنجم الزهر من عادٍ ومن إرَمِ
أردى كليباً وهمَّاما وهاج به ... يوم الذَّنَائِب والتَّخْلاق لِلِّمَمِ
يا عثرةً ما وُقِيتُمْ شَرَّ مصرَعِها ... وزلَّةُ الرأس تُنْسِي زلَّةَ القدم

شِبَام:

قال ياقوت: **وشِبام** حضرموت إحدى مدينتيها والأخرى تَرِيم، قال عُماره اليمني: وكان حسين بن سلامه وهو عبد نوبيَ وَزَر لأبي الجيش بن زياد، صاحب اليمن، أنشأ الجوامع الكبار والمنائر الطوال من حضرموت إلى مكه، وطول المسافة التي بَنَى فيها ستون يوماً، وحفر الآبار الرويّة والقُلب العاديّة، فأولها شِبَام وتَرِيم مدينتي حضرموت، واتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن عشرون مرحلةً في كل مرحلة جامع ومئذنة وبِيْر. أهـ. وقد سبق في شبوه ما لاحظناه على ابن الحائك في تسميتها، وفي «روضة الألباب» للشريف أبي علامة اليماني أن **تريماً وشباماً وسَنَا**، هم بنو السكون بن الأشرس بن كِنْده، وفيها أيضاً أن تَرِيما والأسنى بحضرموت. وأكثر الناس على أن شِبَاماً لَقَب: عبد الله بن أسعد بن جُشَم بن حَاشِد بن جُشَم بن خيران بن نوف بن همدان، وبهذه القبيلة سُمِّيَت المدينة اليمانية الواقعة في قضاء كَوْكَبان، وبها أيضاً سُمِّيَت القلعة الواقعة بقمة الجبل الخشام المُسَمَّى كذلك بإسمها وهو واقع في قضاء حَرَاز ما بين الحُدَيْدة وصنعاء، وقد نزلَ بعض تلك القبيلة بحضرموت وسكنوا **شباماً فَسُمِّيت بهم** أيضاً، وبه يتأكد أن أهل شبام وأهل قارة عبد العزيز من (**نَهْد همدان**) لاَ مِنْ (نَهْد قُضاعه). أمّا حنظلة بن عبد الله الشبامي الذي قُتل مع الحسين ـ عليه السلام ـ فيحتمل أنه من شِبَام حضرموت ويحتمل أنه من شبام اليمن. ومن العجب أن صاحب «التاج» قال في مادة (كثر): وآل باكثير كَأَمِيْر قبيلة بحضرموت فيهم مُحَدِّثُون منهم الإمام المُحَدِّث المُعَمَّر عبد المعطي بن حسن بن عبد الله باكثير الحضرمي، المتوفي بأحمد آباد، ولد سنة ٩٠٥ وتوفي سنة ٩٨٩ وأجازه شيخ الإسلام زكريا، وعنه أخذ عبد القادر بن شيخ العيدروس بالإجازة. ومنهم عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر باكثير الشبامي ممن أخذ عن البخاري. أهـ. ووجود إسم عمر في

عمود هذا النَّسب مما يتأكد به ما قررته في قول شيخنا المشهور وشيخه أحمد الجنيد أن العلويين كانوا يجتنبون إسم أبي بكر وعمر، لأن أهل حضرموت شيعة من تخصيص التشيع بالعلويين ومن على شاكلتهم، وإنِّي بتمعني العموم وأكثر أهل حضرموت إذ ذاك إباضيّة، وقد راجعت «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر فلم أر لعبد الله بن أحمد هذا ذِكراً، ولكنّ من حَفِظَ حُجَّةٌ على من لم يحفظ. ولكني تبينت بعد كما يأتي في تريس أن البخاري في «التاج» ليس إلاّ مُحَرَّفاً تحريفاً مطبعياً عن السخاوي، فقد جاء في «الضوء اللامع» له ذِكْر: عبد الله بن أحمد هذا وأنه أخذ عنه، ويتأكد بنا خبر «التاج» له عن عبد المعطى ولو كان قديماً لقدَّمه عليه.

أمّا عبد الجبار بن العبّاس الشبامي الهمداني المحتمل النسبة إلى شبام هذه وغيرها، فقد أخرجَ له الترمذي وأبو داؤد في «القدر» والبخاري في «الأدب المفرد». وفي شبام جماعة كثيرة من (آل باكثير) منهم الشيخ عبد الله بن صالح بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن سلمة باكثير، ترجم له السيد محمد بن زين بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد» وكان من خواص القطب الحدّاد، وله منه مكاتبات كثيره توجد في مجموعها، توفي بشبام. ومن تاريخ باشراحيل أنه وقع وباء شديد في سنة ٧٨٤ مات منه خلق كثير بشبام، كان منهم الشيخ محمد بن عبد الله باجَمَّال، والشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله عبّاد، والشيخ عبد الله بن الفقيه محمد بن أبي بكر عبّاد، والفقيه عمر بن عبد الله بامهره، والفقيه أحمد بن أبي بكر حفص، والفقيه ابن مزروع، ودام ذلك الوباء نحواً من أربعة أشهر ثم زال. أهـ. ومن هذه السياقه تعرف ما كانت عليه شبام من الثروة العلمية. فقهائها وعلمائها: الشيخ محمد بن أبي بكر عبّاد، كان الشيخ عبد الرحمٰن السقّاف يقصده من تَريم إلى شبام للقراءة عليه، وفي الحكاية ٣٠٨ من «الجوهر» عن محمد بن أبي سَلَمة باكثير قال: صعدت مع بعض آل وزير إلى شِبَام فبينما نحن عند العارف بالله محمد بن أبي بكر عبّاد ـ وهو في آخر عمره ـ إذ جاء الشيخ عبد الرحمٰن السقاف فأجلّه واحترمه، وأخذا يتذاكران من الضُحى إلى الإصفرار، لا يرفعان مجلسهما إلاّ للضروريات، وكان الفقيه باعباد شيخ السقّاف ولكنه يحترمه. أهـ بمعناه.

وفي سنة ٧٥٢ قَدِمَ الشيخ يحيى بن أبي بكر بن عبد القوي التونسي إلى

شِبَام في رجب، وسافر في رمضان من تلك السنة، وقد ترجمه الطيب بامخرمه، وذَكَرت في الأصل أن قدومه إلى حضرموت كان في سنة ٧٧٢ بناء على ما وُجِد بخط سيدنا الأستاذ الأبَرّ لكن الذي في «سفينة البضائع» للحبيب علي بن حسن العطاس و«عقود اللآل» لسيدي الأستاذ الأبر أن قدومه لم يكن إلاّ سنة ٧٥٢ وتكرر عنه أخذ الشيخ محمد بن أبي بكر عبّاد، ونَقل الطيب بافقيه أنه وقعَ موت كثير بحضرموت أوائل سنة ٩٣٠ وفيها توفي الفقيه شجاع الدين عمر بن عقيل بَلْرَبيعه، وعبد الله بن عمر باعُقْبَه، وأخوه أحمد بن عمر بَاعُقْبَه، وعمر بن أبي بكر بَاذِيْب في نحو أربعمائة جنازة من شبام وحدها.

وكان الشيخ أبو بكر بن سالم يتردد إلى شبام للأخذ عن الشيخ معروف باجمّال، وكذلك كان السيد أحمد بن حسين بن عبد الله العيدروس المتوفي سنة ٩٦٨ يتردد على الشيخ معروف أيضاً، والسيد أحمد بن حسين هذا من كُمَّل الرجال، قال الشيخ عمر بن زيد الدوعني: خرجت من بلدي أطلب مربيّاً فلما دخلت تريم دَلُّوني على الشيخ أحمد بن حسين، فخدمتهُ ولازمته وفتحَ عليَّ من الفضل والخير ما لم يُبقِّ فِيَّ اتساعاً للغير. والشيخ معروف أحد صوفيّة شبام في زمانه ولَقِيَتْهُ محنٌ شديدة، فزال عن شبام ثلاث مرات الأولى سنة ٩٤٤ إلى (السور) وكان معه في هذه المرّة عشرة من تلاميذه وفقرائه، منهم محمد بن عمر جمّال، وعمر بن محمد جمّال، ومحمد بن شعيب، وأحمد معدان، وأحمد مصفر، وحيدرة بن عمر، ومحمد باكَحِيل، وعمر قعيطي، وامبارك بازياد، وأقام بالسور نحو سنة ثم عاد إلى شبام سنة ٩٤٥ ثم خرجَ إلى (عَنْدَل) بالكسر أواخر عَمْد، سنة ٩٤٥ وعاد بعد سنة، ولمّا استولى بَدْر بُوْطُويرق على شبام أهانهُ إهانةً بالغةً حتى لقد طافوا به شوارع شبام، وفي جيده حبل من مَسَدْ، فخرجَ إلى (بِضَه) سنة ٩٥٧ وبقي بها على ضيافة أمير دوعن الشيخ الجليل عثمان بن أحمد العمودي إلى أن توفي بها في سنة ٩٦٩ عن ست وسبعين عاماً. وكان محل دعوة الشيخ معروف بشبام هو مسجد الخوقه، ثم في سنة ٩٣٢ أَمَرَ بعمارة مسجدة المقدشي، وكان بناؤه في سنة ٦٣٦ ولكنه اندثر، ولم يبق له أثر، حتى جدده الشيخ معروف.

وكان الحبيب أحمد بن زين الحِبْشي يذهب إلى شبام كل خميس وكل اثنين ماشياً، للقراءة على الشيخ الأنور أحمد بن عبد الله باشراحيل، وكان يُثني عليه،

ويسند كثيراً من مروياته إليه. والشيخ أحمد ـ هذا ـ من الآخذين عن الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس، ثم عن تلميذه القطب الحدّاد، وله أَخْذٌ أيضاً عن الحبيب عبد الله بن أحمد بلفقيه.

ومن الصالحين المشار إليهم بالولاية في شِبَام: الشيخ بو بكر بن عبد الله باصِهَيّ، والشيخ المجذوب أحمد بن جبير شَرَاحِيْل. ومن أكابر علماء شبام: العلامة الفقيه عمر بن عبد الله الشبامي مؤلف كتاب «قوارع القلوب» وهو إمام جليل من أكابر أعيان القرن العاشر، معاصر للفقيه عبد الله بلحاج. وابن مزورع، قاله أحمد مؤذن ونقله عنه جدنا طه بن عمر في مجموعه. ومن علماء شبام: الشيخ عمر بن سالم باذيب، والشيخ سالم بن علي عبّاد، والشيخ عمر باشراحيل له ذِكْر في مجموع الأجداد. ونَقل المناوي في طبقاته عن الشيخ أحمد بن عُقبة الشبامي الحضرمي أنه قال: ارتفعت التربيه بالاصطلاح من سنة ٨٢٤ ولم يبق إلاّ الإفادة.

وآل عُقْبه الشباميون من كِنْدة، وهم غير آل عُقبه الخولانيين السابق ذِكْر شاعرهم بالهَجْرَيْن ومنهم العلامة الفقيه علي بن عمر عُقبة تلميذ الشيخ محمد بن أبي بكر عباده. ومن رحلة السيد يوسف بن عابد الحسني: أن الشيخ أحمد بن عبد القادر بن عُقبة انتفع بالشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وهو الذي أشار عليه بالسفر من شبام إلى الحجاز، ثم جاء إلى مصر واستوطنها وفيها اتفق بالشيخ زرّوق، وكان من أمرهما ما اشتهر في رسائل ابن زروق ومناقب الشيخ أحمد عقبه.

وكان في شبام جماعةً من آل بامَهْرَه، منهم العلماء والقضاة، وجماعة من آل شُعيب مشهورون بالعلم، منهم الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله شعيب، والشيخ أبو بكر بن شعيب له شرح على «المنهاج» ولا اتصال لهؤلاء بآل شُعيب الآتي ذكرهم في الواسط.

وذكر الطيب بامخرمه في «تاريخ عدن» أن العلماء آل الشمّاخ أصل جدهم من حضرموت، تفقه بزبيد ولمّا أراد الرجوع رغّبه السلطان عمر بن المظفر فأقام هناك إلى أن مات، فآل الشَمّاخ من ذريته. أهـ. وقريب جداً أن يكون آل شَمّاخ ـ الموجودين بشبام إلى اليوم ـ متفرعين عن ذلك الأصل، نجع منه جدّ آل شماخ إلى زَبِيْد. ولمّا ذَكَر علاّمة اليمن السيد عبد الرحمٰن بن سليمان الأهدل عادة آل

زبيد في قراءة البخاري بشهر رجب فقال: إنها ـ فيما أحسب ـ من أيام الشيخين: أحمد بن أبي الخير منصور الشماخي، ووالده أبي الخير منصور الشماخي السعدي نسباً، الحضرمي أصلاً، الزبيدي مهاجراً، الآخذ عن جماعةٍ من أصحاب الحافظ السلفي، توفي بمدينة زيد سنة ٦٨٠هـ.

وكان مسجد الخوقه بشبام هو مسجد **الإباضيّة** إلى أَنْ غلبهم عليه الأشاعره في سنة ٥٩١ أمّا مسجدهم الباقي بين منازلهم الخاصة في جانب خبَّة شِبام الغربي، المُسمَّى (مسجد الطيب) فقد بقي بأيديهم، والظاهر أنه وقع فيما اجتاحه سَيْل سنة ٦٩٩ الآتي ذِكْره، وإلاّ لمَا طمع السيد عقيل ـ حسبما يأتي ـ في التجميع بمسجده الذي بناه بجانب خبّة شبام الشرقي، إلاّ أن يكوْن إختلاف المذاهب داخلاً تحت عُسر الاجتماع المُسَوِّغ للتّعدد، فللبحث مجال، وبين العلماء اختلاف حتى بين المتأخرين من الحضارمة كأبن يحيى بلفقيه السيد عثمان بن يحيى وبعض علماء الحجاز، وهو معمور إلى الآن. ومن «الأكليل الوَقَّاد ـ لعله ـ في مناقب آل عبّاد»: أن بير مسجد الخوقه بشبام خُرِبَت في سنة ٧٦٣ وأنفق الشيخ محمد بن عمر عبّاد على عمارتها في نفس السنه، ومات في التي بعدها. ومن أشعار إمام الإباضيّة بحضرموت في القرن الخامس إبراهيم بن قيس قوله:

فَقُلْت ومايبكيكِ ياخَوْدُ لا بَكَتْ ... لَكِ العينُ ماهبَّتْ رياحٌ زعازعُ
فقالت بكيتُ الدِينَ إذْ رَثَّ حَبْلُهُ ... وللعلماء لَمَا حَوَتْهُمْ بلاقعُ
فَأَيْنَ الأُلَى إنْ خُوْطِبُوا عن دقائق ... مِنَ الْعِلْمِ أَفْتُوا سائِلِيْهِمْ وسَارَعوا
فقلت لها: هُمْ في (شِبَامٍ) ومِنْهُمْ ... بـ (مَيْفَعةٍ) قوم حَوَتْهم (مَيَافِعُ)
وفي (هَيْنَنٍ) منهم أناسٌ ومنهم ... بـ (ذِي أَصْبَحٍ) حيث الرضا والصمادع
ومنهم بوادي حضرموتَ جماعة ... وَأَرْضُ (عُمانٍ) سَيْلُهُم ثَمَّ دَافِع

وفي أوائل القرن التاسع كان قضاء **شبام** للشيخ عبد الرحمٰن باصهي وله قصة مع علي بن سعيد باصليب المُلَقَّب بـ(الرخيله) مذكوره في الحكاية ٤٩٧ من «الجوهر الشَّفاف». ومن قُضاة شبام في القرن الثاني عشر السيد علي بن علوي عِيْدِيْد.

وممن سكن **شباماً**. السَّادة (آل سميط) وأولهم العلامة الجليل، محمد بن

زين بن سميط وصلها لغرض السفر منها إلى القبله فأبطأت عليه القوافل، فأشار عليه الحبيب أحمد بن زين الحبشي أن يتديرها للإرشاد والتعليم، وقال له: إن آل شبام أهل اعتقاد وانتقاد، فامتثل وبقي بها إلى أن توفي بها سنة ١١٧٤ وقد ترجمه الشيخ معروف بن محمد باجمّال بكتاب سمّاه «مجمع البحرين»، وكان الشيخ علي بن محمد لَعْجَم يسير إلى (حِذْيه) عند الشيخ عمر باهرمز فإذا أنشد قول القائل:

سألت الناس عن خِلٍّ وَفِي ... فقالوا ما إلى هذا سبيلُ

نمتك إن ظفرت بِودٍّ، حُرٍ ... فأن الحُرّ في الدُنيا قليلُ

يقول باهرمز: تدري عن الحُرّ اليوم يا علي؟ فيقول باهرمز: إنه محمد بن زين بن سميط. وخَلَّف ولدين: أحدهما عبد الرحمٰن وقد تزوج بأبنة سيدنا علي بن عبد الله السقاف وأخذ عنه وانتفع به، والثاني زَيْن وكان من الصالحين. وأعقبه بها ـ يقصد محمد بن زين ـ أخوه الفاضل البدل عمر بن زين المتوفي بها سنة ١٢٠٧ عن ستين عاماً قضاها في الخير والدعوة إلى الله، وممن أثنى عليه العلامة السيد عبد الله بن حسين بن طاهر من آل سميط: الفاضل الجليل عبد الرحمٰن بن محمد بن سميط وابنه العبادة الإمام علي بن عبد الرحمٰن. وقد كانت سكنى الحبيب عمر بشبام لمّا توفي أخوه محمد، وترك ـ أعني الحبيب عمر ـ ستة أولاد ذكوراً وهم: علي وعبد الرحمٰن وحسين وأبو بكر وأحمد ومحمد، ومن كلامه كما يرويه ابنه العلامة أحمد بن عمران: تسعة أعشار أهل حضرموت كانوا لا يُصلّون والعُشر الذي يُصلّي لا أدري ما صَلاَته، قال سيدي الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر إن الحبيب عمر بن زين مكث سبعة عشر عاماً لا يضع جنبه على الأرض اجتهاداً في العلم وكان ولده أحمد بن عمر أكثر من يقراء عليه الكتب وإذا غلبه النوم أعطاه شيئاً من اللوز والزّبيب ليطرد به النعاس وينشط للقراءة.

ومن آل سميط: القُطب المجدد الداعي إلى الله الإمام أحمد بن عمر بن زين بن سميط[1]، لقد كان عَلَم هدَى، ونبراس دُجَى، ونور الإسلام، وفَرْد

(١) للتوسع عن آل سميط وسبب تلقيبهم، راجع كتاب: المعجم اللطيف لأسباب الألقاب والكنى ص ١٠٤.

أعلام، أردت أن أتمثّل له بما يناسب ولكن رأيت مقاماً عظيم الشأن حيّرني فلم يحضرني إلاّ قول الشريف الرضي:

إرْثُ آبـاءٍ عَـلَـوْا، فـاقـتـعَـدُوا ... عَـجُـزَ الـمَـجـدِ، وَأعـطَـوْكَ الـسّـنَـامَـا
شَـغـلُـوا قِـدْمـاً عَـنِ الـنّـاسِ الـعُـلَـى، ... وَرَمَـوْا عَـنْ ثُـغَـرِ الـمَـجـدِ الأنَـامَـا
لـمْ يَـعِـشْ مَـنْ عـاشَ مَـذْمُـومـاً وَلا ... مَـاتَ أقـوَامٌ، إذا مَـاتـوا كَـرَامَـا
يَـعـظُـمُ الـنّـاسُ، فَـإنْ جِـئْـنـا بِـكُـمْ ... كُـنْـتُـمُ الـرّاعِـيـنَ، وَالـنّـاسُ سَـوَامَـا

وقد اهتم بإقامة دولة لحضرموت، واشتد أسفه لذلك، ولئن مات بحسرة على ذلك فقد كَلّل الله أعمالُه بالنجاح في نشر الدعوة إلى الله حتى انقشعت الجهاله، واندفعت الضلاله، وانتبه الجماء من النوم، وتقيل آثاره أراكين القوم. ولقد مَرّ بعض مراجيح أهل الفضل وإحدى بنات آل هَمّام بحصن تريم تقول: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ، وتكرر حديث الدِيْن فقال: ما كان جبريل ليدخل دار آل هَمّام لولا أحمد بن عمر، توفي بشبام سنة ١٢٥٧هـ. وخلفه على منهاجه العلامة الجليل الصادع بالحق الناطق بالصدق عمر بن محمد بن سميط، القائل الحق فيه ما يضر به، والواحد الحالَتَيْن: السِّر والعلن، فكان يغلظ القول للسلطان عوض بن عمر وهو إلى جانب منبر شبام ويقول من قصيدة:

نـرمـيـه بـأسـهـمـنـا ولا يـرانـا ... ونـحـن نـرميـه بـأسـهـمـنـا وهـو يـرانـا

والسلطان عوض يحتمل ذاك، لأنه يُعَظِّم أهل الدين، والعلماء إذْ ذاك يُكَرِّمون أنفسهم ويصونون العلم، ومقامه كبير في العيون، ولم يزل ناشر الدعوة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حتى توفي بشبام سنة ١٢٨٥ وَوَقع رداؤه على ابنه الخليفة القانت الأوّاب، الذي لاَ يَدْهِن ولا يهاب، عبد الله بن عمر، المتوفي بها سنة ١٣١٣هـ.

ومنهم السمح الكريم، الراويه لأخبار السلف الطيب، حسن بن أحمد بن زين بن سميط المتوفي بها سنة ١٣٢٣ وقد رثيته بقصيدةٍ توجد بموضعها من الديوان. ومنهم السيد الواعظ الفقيه طاهر بن عبد الله بن عبد الرحمٰن المتوفي بها سنة ١٣٣١ ومنهم السيد الجليل المقدار أحمد بن حامد بن عمرو بن زين، المتوفي بها سنة ١٢٣١، ومنهم:

عـلامّـةُ الـعـلـمـاءِ والـلُّـجُّ الـذي ... لا يـنـتـهـي ولـكـلِّ لُـجٍّ سـاحِـلُ

الفاضل العلامه المحقق المتفنن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن زين، ولد بـ (أنزيجه) من السواحل الأفريقيه، وبها تعلم وأخذ العلوم عن أبيه وعن غيره، وقَدِمَ حضرموت مراراً عديده منها سنة ١٢٩٨ ومنها سنة ١٣١٦ وآخر مرة قَدَمها سنة ١٣٢٥ وشهد زيارة هود ـ عليه السلام ـ وكان له بوالدي إتصال عظيم، وارتباط وثيق، وأَخْذ تام، وله مؤلفات كثيرة وأشعار جزله:

من كل قافيةٍ فيها إذا اجْتُنِيت ... من كل ما يشتهيه المدنف الوصب

حسيبة في صميم المدح منصبها ... إذْ أكثر الشعر مُلْقَى ماله حسب

توفي في زنجبار سنة ١٣٤٣: ومن اللطائف انني عملت احتفالاً لتأبينه والتعزية به في مسجد طٰه وأعددت كلمة في نفسي وإذا بموّبر نخلي يكرّر ويتغنى بقوله لا حِلّ للموت فقط، فبقيت على أحر من الجمر في انتظار الباقي حتى قال:

لا حِلّ للموت ... ما خلّى كبد ساليه

شل الوجيه الرضيه ... واللحاء الغاليه

فذهب مافي نفسي وأخذني شأن عظيم درّ به كلام أحسن وأبلغ وأنجع مما كنت أعددته لأن ذلك الوصف منطبق عليه:

ولم يَنْسَ سَعْ العِلْمِ خَلْفَ سَرِيْرِهِ ... بأكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِيْمُ وَيَظْلَعُ

وتكبيره خمساً عليه مُعَالِناً ... عَلَى أَنَّ تكبيرَ المُصَلِّيْنَ أَرْبَعُ

تَجَلَّتْ بموته الرزيه ولكن كان ولده عمر بقيه:

فإنه نَحْوه في حُسْنِ سيرته ... منذ الشبيبة وهو الآن مكتهلُ

أَضْحَى لَنَا بدَلاً عَنْ فَقْدِ والِدِهِ ... والشِّبْلُ من لَيْثه إِمَّا مَضَى بَدَلُ

فخلاه اللوم إذ سد مسد القوم لم ينقطع رشاه، ولا قالوا فلان رشاه.

وما رأيت أَحَداً بعدَ أستاذي الأَبرِّ عيدروس بن عمر، وسيدي عبد الله بن حسن البحر، يستجهر الناس بفرط الوسام، وبسطة الأجسام كالسادة آل سميط لا يَراهُمُ الناظر إلاَّ تذكَّر قول جَرير:

تَعَالُوا فَعَاثُونا فَفِي الْحَقِّ مَقْنَعٌ ... إِلى الْغُرِّ مِن أَهْلِ البِطَاحِ الأَكَارِمِ

فإنِّيَ أَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ ومَا قَضَتْ وَأَرْضَي الطِّوَالَ الْبِيْضَ مِنْ آلِ هَاشِمِ

فأولئك البيض الطوال، وَثَمَّةُ الهِمم العوال:

رُوَاؤُهُمْ ووجوهُهُمْ وعلومهمْ فِي الحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُوْمُ

فِيْهَا معالِمُ لِلهدَى ومصابحٌ تعجْلُو الدُّجَى والأُخْرَيَاتُ رُجُوْمُ

وأحوالهم جليله، وأخلاقهم جميله، وأخبارهم عريضة طويلة، ينطبق عليهم قول المسيَّب بن عَلَسٍ:

وكَالشَّهْدِ بِالرَّاح أَخْلاَقُهُمْ وَأَحْلاَمُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ

وكَالْمِسْكِ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ وتُرْبُ قُبُوْرِهِمُ أَطْيَبُ

ومن متأخري علماء شبام: الشيخ سالم بن عبد الرحمٰن **بَاصِهي**، أحد تلاميذ والدي، وشيخ العلامه الجليل الأمير محمد بن علي الإدريسي، وكَانَ هو همزة الوصل بينه وبيني في المعرفة، التي كان أولها تعزية منه لي بواسطته عن والدي، ثم استمرت المواصلات والمراسلات، بما آثارها من القصائد موجودة في «الديوان».

ومن علماء شبام ـ فيما رأينا بأبصارنا ـ أربعة إخوان كلهم علماء فضلاء، وهم أحمد ومحمد وعمر وعبد الرحمٰن أبناء أبي بكر **بَاذِيْب**. ومن كبار علمائهم ومصاقع شعرائهم العلامة الشيخ أحمد بن عمر باذيب، المتوفي بسنقفورا في حدود سنة ١٢٧٩ وعن الشيخ سالم بن عبد الرحمٰن باسودان وغيره، أن سبب سفره من شبام هو أن خطيب الجمعة تأخَّرَ مرَّةً فأشار عليه الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أن يقوم بأداء الواجب من أركان الخطبه، فارتجلَ ما ملأَ الأسماع إعجاباً والنفوس إطراباً، فخشي عليه العين فأمره بمغادرة البلاد، وكان آخر العهد به. وكان أهل شبام معروفين بالإصابة بالعين.

ومن عيون علمائها وفضلائها الشيخ عوض بن محمد باذيب، وأولاده علي وأحمد ومحمد، لهم مرؤه حيّة، واعتبار تام، ودين ثابت، وكانت الأعيان تزور الشيخ عوض وتتبرك برؤيته ودعائه. ومن أدبائهم وعقلائهم وأكابر أولي المرؤه عندهم الشيخ سالم بن عبد الرحمٰن **باسويدان**. ومن متأخري علمائها الشيخ عبد الرحمٰن **حِمَيْد** وولده عبد الله.

ومن آل **شبام**: آل جبر، وآل **التُوي**، وآل باعبيد وهم أربعة أخوة محمد وعمر وعوض وأحمد بنو سالم باعبيد، إليهم الآن زِمام التجارة بشبام ولهم مراكز

في عدن وغيرها، وقد مات ـ عَمّا قريب ـ أحبهم إليَّ وهو أحمد فرحمه الله وأخلفه بِخَلَف صالح.

وفي صلاة الجمعة من «مجموع الأجداد» أن **شبام** من كراسيّ حضرموت، بل لا مدينة في حضرموت إلاّ هي وتَرِيم، هاتان المدينتان المذكورتان في التواريخ فقط، ويكاد أن يكوْن ما يتعلق بشبام. ومن سكنها من المشائخ والعلماء ومن له أثر فيها من مجد وغيره من دائم النفع يكون نبذةً صالحة. أهـ.

ولأهلها مناقب كثيره، ومحاسن شهيره، ولا سيما في الورع وصدق المعامله مع الله، وحمل الْكَلّ، وفِعْل المعروف، والإعانة على نوائب الحق. أخبرني المُكَرَّم الشيخ كرامة بن أحمد بن عبد الله بركات قال: كنت بمقديشو في سنة ١٣٣٤ فأرسلت بثلاثمائة وخسمين ربيه برعماً ـ وهو نوَى القِطن ـ إلى عدن عند الشيخ أحمد بن عمر بلفقيه، فباعه لي وأربحني النصف وأبرقَ إليَّ: أن خُذ ما تقدر عليه، هذا وحوّل لي بالثمن، فاشتريت أولاً بنحو من ألف رُبيّه، وثانياً بمثله وقَدّمت له حساباً في ثمنه وسائر مصاريفه، وخدمته ولم يبق لي عنده بحسب ما قررته في دفتري إلاَّ أربعون رُبيّه فقط، ولمّا وصلت عدن بعد خمس سنوات أعطاني كاتبه ـ وهو الشيخ محمد بن سالم باعبيد ـ تحويلاً إلى **شبام** في ألفين ونحو خمسمائة رُبيّه، فَشَككت فيها وتوهمته غالطاً، ولمّا قِدِمْت شِبَاماً أخبرت الوالد أحمد بن عمر بلفقيه فأُخذَ بأذني وقال: إذا لم نربكم نحن فمن يربيكم وقد رَبّانا ناس على مثل هذا، فنحن مدينون به. وإذا به قَيّدَ لي أرباح البرعم بأسرها، فرحمة الله على هذا الإنسان وعلى جميع أهل الإحسان. وبلغني أن الشيخ عوض بن عبد الله باذيب اشترى خَرَابه من الأمير علي بن صلاح قيل أن بعض أهلها معروف في غيبته الطويله، وأنفقَ على بنائها سبعة آلاف ريال، ولمّا احتاج ورثته لبيعها لم تُنْفِق إلاَّ على واحد من آل باهرمز بألفين من الريالات فقط، لأن آل شِبَام ـ بما بقي في قلوبهم من هَيْبة الدِيْن والوَرَعْ ـ تحاموها وإلى الآن وهم يتحامون عن شراء التمر الذي يجمعه من المكس صاحب السِدّة؛ مع أنه أرخص من غيره بثلث القيمة. وبلغني أنَّ لبعضهم رسائل في سِيَر آل شِبَام وأخبارهم الشاهدة بالتقوىَ والورع هي من أنفع ما يكوْن لهم لو تدارسوها على عادتهم في درس يوم الثلاثاء الذي رَتَّبه الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، إذ هي خير حافز للأحفاد على تَرَسُّم آثار الأجداد، ومن كلامه المنثور: أنَّ **شبام** كانت بلاد المنقود، وأن أحد أهل

شبام أخذَ دراهماً من أحمد ناصر اليافعي فهجروه حتى رِدَّها، وأنَّ ثمانين حملاً من الحوير وَرَدَت شبام وفيها حِمْل لأحد آل كثير بن سلامة، فاشتروها بأسرها إلاَّ ذلك الحِمْل لم يأخذه أحد وعادَ به صاحبه. وفي كلامه ثناء كثير على محمد بن عوض بَاذِيْب، وعلى أخيه عبّود، وأنه حصل عليهما خلل فشاور الحبيب عبد الله الحدّاد فقال لهما: بِيْعَا جميع ما معكما ولو لم يخلف لكم إلاّ حُلَيّ نسائكم، فباعاه وقضيا ما عليهما من الديون وبقيت ثلاثمائة ريال، فذهبا إلى الحاوي ولمّا وصلا قال محمد لِعَبُّود: إنْ وافقتني إعْطَيْنَا الحبيب عبد الله مائة واقتنعنا بالمائتين، فوافقه، فقبلها الحبيب وأشار على محمد بالسفر إلى الشَّحْر، وبقي يتردد إليها ويُقيم بها شهرين أيام الموسم، ويمر في ذهابه وإيابه بالحاوي، ولمّا عَلِمَ الحبيب عمر البَّار بقصة المائه قال لمن حضره: أيصح أن أحداً يتصدق بثلث ماله، وكان عنده دَلاّل من آل باخيضر فقال: إن كان مِنْ آل شبام فَنَعَمْ. ومنه أنَّ محمد لَعْجَم من السابقين لأنه سَبَق سلفه، ومنه أنه لمَّا توفي أحمد بكار لعجم قال والدي: توفي وهو خَيْر من بالبلد. ولمّا توفي عبد الله بن عمر لَعْجَم قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط: إنه من الأخْيَار الذين يدفع الله بهم البلاء ومن الذين يُحْيِيهم ويميتهم الله في عافيه، وكانت وفاته بسبب الوباء الذي وقع بشبام وسيوون وبُور في سنة ١٢٥٠، ومنه أن الحبيب محمد بن زين بن سميط قال: ما تحققت أن أحداً يحب للمسلمين ما يحب لنفسه إلاَّ عبد الله بن زين الحِبْشِي صاحب ثبي، وبَكّار بن عوض لَعْجَم. ومنه أن الشيخ أحمد صلعان ممن ترجم له الحبيب محمد بن سميط، وأن محمد صلعان كثيراً ما يستشهد بِحِكْم ابن عطاء الله يكاد يحفظها، وأن القرآن معجون بمحمد بن عُقبه سُدَيْس، ومنه أن المرحوم محمد بن أحمد بايوسف ـ جَدُّ آل بايوسف ـ من الصالحين، وكذلك ولده أحمد. ومنه أخبرني عبد الله بالسعود عن الحبيب جعفر بن أحمد بن زين قال: أدركنا أهل شبام ثلاث طبقات، أول طبقه لباسهم كوافي بيض وأرديه شمال، وثاني طبقه كوافي سوسي ومَلاَحِف بيض، وثالث طبقه كوافي صنعانيه من نُص ريال وملاحف سود. قال: ومن بعد توسّعوا مصانف وكوافي صنعانيات من ريالين. ومنه أنه لمّا توفي عمر بن أحمد معاشر قال أنه من الذين يمشون على الأرض هَونا، وقال مثل ذلك لمّا مات أحمد بن محمد جابر. ونقل الشيخ علي بن عبد الرحيم بن قاضي في ترجمته لنفسه: إن والدي تولّى القضاء بشبام أكثر من سنتين وأنه يثني على أهلها بالتناصف والتعاون على الحق وأنه كان يزورهم ويأتي إليهم من تريم لِحُسن حالهم. انتهى.

ولو أرسلنا القلم مِلْءَ فُرْوْجه في مكارم الشيخ عبد الرحمٰن **باصِهِيّ** المُلقَّب بالطويل، لاَنْدَقَّتَ عنقه، قبل أن نبلغ منه ما نريد، وهي مشهورة وآخرها وصيته بأن تَبْقَى يده مكشوفةً مع تشييعه في الجنازة، لاستخراج الاعتبار بأنه مع ما كان من ثروته الطائلة لم يخرج من الدنيا إلاَّ صفر اليد، وقد نَفَّذها على ما فيها من الاختلاف بين الرملي وابن حجر، لِمَا في ذلك من المصلحة والعِظَة البالغة. وكان سيدي حسن بن أحمد بن سميط يتفتح عن لج بحر عندما يتكلم فيها، إلاَّ أَنَّ أكثر تلك المكارم انطوَى نشرها ولم يَبْقَ إلاَّ ذِكْرَها.

ونَذْكر تلك المكرماتِ وحُسْنَها وآخر ما يبقى من الذَّاهِبِ الذِّكْرُ

ولآل **شبام** عامه وآل باصِهي خاصه، نجوع إلى صنعاء وإلى البيضاء من أرض الظّاهر، وقد وقفت على وثيقة من الإمام المهدي لدين الله، هذا نصها: الخط الكريم والرسم العالي الفخيم الإمامي المَهْدَوي أعزّهُ الله وأعلاه، وأقرّ عين المتمسكين به وأرضاه، وأَنْفَذَهُ في جميع الأقطار الإمامية وأَسْمَاهُ، إنشاء الله، بيد الحاج الأكرم جمال الدين سالم بن عبد الله باصِهي وكافة أخوته وبني عمه، قاضٍ لهم بالإجلال والإكرام، والرعاية والاحترام، والإعزاز والإعظام، فَيُجْرَون على أجمل العوائد وأتم القواعد، ليس عليهم حالٍ يخشونه ولا أمرٍ يتوقَّوْنَه، وأنهم مِنّا وإلينا، وممن تحوطه شفقتنا، وأن واجباتهم الشرعية يسلمونها بالإمانة، ليس على أموالهم ـ حيث كانت ـ حرص ولا طباق ولا اعتراض بمحروس البيضاء وحضرموت، وأنهم يُخرجون ما دخلَ فيه غيرهم من الفِرق والمطالب والسوائب والنوائب، وليس عليهم إلاَّ الحق الواجب وزكاة الأموال وزكاة التجارة والفِطْرة، يسلمونها إلى العمال بالأمانة من غير واسطة، وليس عليهم مجباً أينَ ما توجّهوا في البلاد الإماميّة، في جميع الأسواق والمراسي والطرقات والبنادر، فلا يُعْتَرضوا بشيء من ذلك لِمَا هم عليه من المحبة والنصيحة لهم ولسلفهم، فيجرون على ذلك وتقر أعينهم بما هنالك، وعليهم التوقف على أمرنا، والكون عند رأينا، وموالاة الموالي، ومعاداة المعادي، فليثقوا بذلك، وبالله الثقه، وبه الحول والقوه، وهو حسبنا، وكفى، ونعم الوكيل، نَعْم المَوْلى ونِعْم النصير. حُرر في شهر محرم الحرام عام سبعة وثمانين وألف ١٠٨٧، وكان الشيخ عبد الرحمٰن باصِهي الطويل معاصراً للحبيب أحمد بن زين الحبشي وعرض عليه أن يحج هو ومن معه على نفقته فلم يقبل كما في كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط.

ولم يبق بأيدي آل **شبام** ـ اليوم ـ من المناقب الشريفه السابقة لأهلهم إلاّ حُسْن التأسّي فيما بينهم، ومساعده الضعيف، وقضاء الحاجة، وجبر المنكوب. وقلما تُرْفع من أولي مروّتهم دَعْوَى إلى القضاء، وإنما يُسَوون أمورهم فيما بينهم بالإصلاح. وهذا ليس بالقليل مع تراذل الزمان.

وذكَرَ ابن الحائك الهمداني أن مصب مياه الأودية الغربية كلها كان في شمال **شبام** بينها وبين القارّة، وهو في ذلك صادق لأنه الواقع فيما قَبْل، حتى كان السيل العظيم الهائل في سنة ٦٩٩ فأخرب الأحجار وأخذ كثيراً من البشر ومن المواشي، وانتقل بقوته من شمال **شبام** إلى جنوبها وخَدَّ له أخدوداً هناك إذْ قد اجتاج كثيراً من الخبّه التي كانت متصلة بشبام ثم عُمِّرَت شيئاً فشيئاً، وما زالت معمورةً حتى اكتسحها سيل الإكليل الجارف في سنة ١٠٤٩ ثم أحب آل شبام التنزه فعمروها واحداً واحداً حتى صارت قريةً، وعند ذلك إبْتَنى بها السيد عقيل بن علي **السقاف** مسجداً في حدود سنة ١٠٦٣ وأحب أن يجمع فيه فاختلفَ عليه العلماء ـ حسبما فصلناه بالأصل ـ **فامتنعت الجُمعه**.

وما يُفْهَم من قول ياقوت السابق أن الحسين بن سلامه ابتنى جامع **شبام**، محمول على التجديد أو الترميم وإلاّ **فقد كان** جامعها مبنياً قبل ذلك بزمان، ففي تاريخ القاضي محمد بن عبد الرحمٰن باشراحيل أنه بُني في **سنة** ٢١٥ وأنه كالقطب الذي تدور عليه غالب شعائر الدين بشبام، وله أوقاف تُنْسَب إلى هارون الرشيد وهو شَاهِد بأن بناءه كان متقدماً على هذا التاريخ الذي ذكره باشراحيل، لأن وفاة الرشيد كانت في سنة ١٩٣ ومما يدل لتقدمه ما نقله العلامه الشيخ عبد الله بلحاج عن العلامه الشيخ محمد بن سعيد باشكيل: أن آل بَاذِيْب من الأُزد، وأصلهم من البصرة ثم استوطنوا **شباماً**، خرجوا من البصره إلى حضرموت في أيام الحجّاج وبقيت طائفةٌ منهم بالبصره، ولهم حافة عظيمه بالبصره، يُقال لها حافه الأَسْد ـ بالسين لغة في الأَزد بالزاي ـ ولمّا وصلوا حضرموت آواهم أمير شبام وأجَلَّهم، وكان فيهم قُضاة الدين وقُضاة الدولة بشبام، وقد إجتمع منهم في زمن واحدٍ سبعةٌ مُفْتُون وقاضيان شافعي وحنفي. أهـ. وهذه فائدة نفيسة ونَقْل عزيز نحتاجه في كُثْر من المواضع، ونضرب عليه بنغمات متعدده، وبعيدٌ أنْ ينتشر فيها الإسلام والمسلمون ثم لا يُبْنَى بها جامع إلاّ في آخر القرن الثاني، هذا ما لا يتمعني بحالٍ لا سِيَّما وإنها كانت دار إقامة زياد بن أُبَيّد الصحابي

المشهور، كما في «مفتاح السعادة والخير» لمؤلف «القلائد» وغيره. وفي سنة ٥٣٣ عُمِّر مُقَدَّم جامع **شبام** وَجُدِّد منبره بأمر الملك المنصور الرسولي، وذلك المنبر هو الذي يُخْطَب عليه اليوم. وكانت هذه العمارة على يد عبد الرحمٰن بن راشد في ولاية نصار بن جميل السعدى، وفي موضع من «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك يقول: وأما شِبام فهي مدينة الجميع الكبيره، ويسكنها حضرموت، وبها ثلاثون مسجداً، ونصفها خراب، أخربته كِنْدَه، وهي أول بلد حِمْيَر ثَمّ. وساكن **شبام** بنو فهد من حِمْيَر. أهـ. وأقول: أمّا **فهد** فهو ابن القَيْل بن يعفر بن مره بن حضرموت بن أحمد بن قحطان بن العوم بن عبد الله بن محمد بن فهد بن القيل.. إلى آخر النسب، وسيأتي بيت **نشوان** مع ما يتعلق به عَمّا قليل، وأمّا كثرة المساجد فإنما كانت قبل أن تجتاح أطرافها السيول، ويكوْن مجراها في جنوبها.

ولِشبَام ذِكْر عند الطيب بامخرمه في كتابه «نسبة البلدان» ولكنه قليل إذ لم يزد على قوله: **شبام** مدينة عظيمة بحضرموت بينها وبين تريم سبعة فراسخ، إليها يُنْسَب جمع كثير، وخرج منها جماعةٌ من الفضلاء والعلماء والصالحين؛ منهم **الفقهاء**: بنو شراحيل، والفقيه أبو بكر بامهره، والفقيه الإمام محمد بن أبي بكر عبّاد، والفقيه الصالح برهان الدين إبراهيم بن محمد، الشباميون، ومنهم: الفقيه وجيه الدين عبد الرحمٰن بن مزروع، والفقيه الصالح محمد بن عبد الرحمٰن باصهي. أهـ.

ولآل **شبام** نوادر لو لم يكن منها إلاّ ما يُرْوَى بالآخرة عن السيد زين بن أحمد بن سميط لَكَفى، فمن ذلك أن لآل الشِّحْر اعتقاداً فيه حتى أنهم بسذاجتهم يُمكِّنون نساءهم من مصافحته، مع أنه لا يتورع ـ بعض الأحيان ـ من غمز إحداهنّ، فدخلَ عليه الشيخ أبو بكر بن سعيد الزبيدي، وعنده فتاة جميله، فعلقتها نفسه، وتبعها هواه فتوسل إليه أن يخطبها له فقال له: يمنعك عنها بُخلك! فقال له: أطلب لها ما تريد، فخرج ثم عاد وقال: إن أهلها يطلبون ثلاثمائة ريال، فبخع بها طيبة نفسه، فواعده أن يجيء إلى ذلك المكان من آخر ليلته، وعقد له بعجوز قد تغضن وجهها، وانتثرت أسنانها، وانطبق عليها قول أبي عباده:

والسِّنُّ قد بَيَّنَتْ فناءَكِ في ... شدق على الماضِغَيْنِ منخسفُ

ودفع لتلك العجوز عشرة ريالات أو أقل، وهرب هو بالباقي إلى **شبام**

حضرموت، وكانت سفرةً طيبة، ووقع الشيخ في الشبكه. ومنها أن الجِمِعْدَار عبد الله كان يأنس به، ويتسلّى بأحاديثه، عن أنكاد حوادث صداع، ومعه السيد حسين بن حامد المحضار، وكان لا يصبر لهم إلاّ إذا سلّموا له إمامة الصلاة، فأذعنوا له بها حتى جاءهم أحد العلماء فاستحيوا أن يُقَدِّموا عليه زَيْناً مع ما عُرف به من التهاون في الطهاره ونواقض الوضوء، فصلى بهم الشيخ العِشاء، وقرأ في الأولى (الضُّحى) فلم يجد زين إليه سبيلاً ولمّا قرأ في الثانيه بـ (الزلزله) سنحت له الفرصة فقطع الصلاة وقاله له: زلزل الله بوالديك يا شرَّ المشايخ، وهل للزلزله مكان بعدما نحن فيه، الجِمعدار مزلزل، والمِحضار مبهذل، وانا مُسفَّل، ثم تأتي لنا فوق ذلك بالزلزله. هكذا سمعتها، ولكن وجود السيد حسين بن حامد في ذلك العهد بصفة النديم أو نحوه للمجعدار عبد الله لا يخلو من البعد فلعل النظر انتقل عن أبيه أو غيره إليه. ومنها: أنه مَرَّ بِشِبَامِي ويهوديّ يتلاطمان في (عدن) فلما أراد أن يبطش بالذي هو عَدُوٌّ لهما انسل الشبامي وترك زيناً مع اليهودي حتى حجز بينهما الشُرطه وساقوهما إلى السجن، فسأل زين عن المقربين لدى الحكومه فقيل له: صالح جعفر، فأرسلَ إليه فوصل، فاستخف روحه، فضمن عليه، وأخذه إلى داره وأكرم مثواه، فرأى عنده من النعمة ما لا يعرفه في بيوت آل شِبَام بعدن، فانقطع عنهم، وما زالوا يبحثون عنه حتى ظفروا به، فسبَّهم وقال: لقد خرجت من النار إلى الجنّه، قالوا: لكنك لا تدري ما حال صالح جعفر؟ قال: وما حاله؟ قالوا: يبغض الشيخين أبا بكر وعمر، فاستعَظْمها وقال: إذا كان يبغض هَذَيْنِ فَأَيُّ دِيْنٍ له ومن يحب؟ قالوا: لا يحب إلاّ فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وزوجها وأولادها. فازدهر وجهه بعد العبوس، وقال: أما إذا كان يحب أهلي، فليبغض من شاء، وأنا كبدي محترقة من بو بكر لَعْجَم وعمر بن بو بكر باذيب فسألعنهما جبراً لخاطره ثم نهض من فوره، ودخل على صالح جعفر وأوهمه أنه عُثِر، فقال: لعنة الله على أبي بكر وعمر. وللشيخ أحمد بريكات من هذا القبيل ما ليس بالقليل، إلاّ أنه لم يكن كالسيد زين في خفة الظل، لأنَّ عنده شيئاً من الكلفه. من نوادره أنَّ العلامه السيد أحمد بن حسن العطّاس مَرَّ بداره فناداه وقال له: أعِنْدَكَ (رطوبة)؟ قال له: نعم ولكن بِلاَ (طاء) يعني عنده (روبه). ودخل أحد أهل شبام على صديق له بها وهو يتغدَّى فقال له: إما عندك ثمانية وسبعون يعني اللحم؟ قال: لا ولكن عندي مائة وخمسون، وأحضر له عكة السمن. وكل ذلك على الرويّة بدون تفكير.

وكان لهم ـ كما سبق عن الحبيب أحمد بن عمر ـ في نقد الرجال الفهم الوقّاد، وعندهم من الأزكان والتخمين ما لا يحصيه التعداد، من ذلك: أن امرأةً لأحدهم كثيراً ما تأكل اللحم وتعتذر بالهره، فلم يكن منه إلاّ أن وزن الهِره عند الساعة التي يتهمها فيها بأكل اللّحم، وخرج من الدار ثم عاد وقال لها: أين اللحم؟ قالت: أكلته الهِره، فَوَزنها ثانياً لم يزد وزنها شيءٌ، فانكشف الخيم، وانهتك الحريم.

وآل **شبام** يغضبون من وزن الهِرّه إلى اليوم لذلك السبب، بل يكرهون مِنْ غيرهم لفظ: الوزن، وإن لم يُذْكر معه الهِرّ. حَدَّثني المرحوم الوالد أحمد بن عمر بن يحيى قال: كتب إليَّ بعض أهل (التيمور) يطلب كميّة من البقر فأخذتها، وفي العشي كنت أنا والشيخ سالم بن عبد الرحمٰن باسويدان، بمنزل أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف بسنقافوره، فذكرت لهم شراء البقر، فقالوا: كيف كان شراؤك لها؟ فقلت: بالوزن، فغضب الشيخ سالم، وظن أن فيه تنكيتاً عليه، وأنا لم أتعمد شيئاً من ذلك وإنما أرسلتها بحسب السجيّة، وبقي على غضبه مدّةً ليست باليسيره.

ولِسَمَاسِرة **شِبام** اليد الطولَى في سَنْ الفاتر، وتعيير العائب، إلاَّ أنهم لا يَسْلَمون من التحريش بين الناس، بينما أحد شعرائهم بالسوق وإسمه علي، إذ ظهر قرنه الذي يهاجيه وهو بَازِيَاد، فاشلوه عليه، ففطن لها بَازِيَاد وقال:

يا علي خُذْ لك نصيحه ... من رفيقك بَازِيَاد

الشَّتْم بيني وبينك ... والضحك لأهْل البلاد

فارعوىَ علي، وكان ذلك سبب الصُلح بينهما.

أمّا أحوال شبام السياسيّه: فقد تقلّبت كسائر بلاد حضرموت، إذ كانت أولاً لِحِمْيَر، ثم تجاذبت فيها الحِبال قبيلتا كِنْده وحضرموت، وقد ذكرنا من ملوكهم بالأصل ما انتهى إليه العلم، على ما في تلك الأخبار من الاضطراب والتناقض، ونزيد هنا ما جاء في «النفحه الملوكيّه» ص (٨٤): أن مِدّة ملوك كِنْده بالحجاز كانت من سنة ٤٥٠ إلى سنة ٥٣٠ ميلادية، وأول من ملك منهم حُجْرُ بن عَمْرو آكل المُرار، وكانت كِنْدة قبل أن يملك عليهم: فوضى يأكل قويهم ضعيفهم، فلما تملك حُجْر عليهم سدد أمورهم، وانتزع ما كان بأيدي اللخميين من أرض بكر بن

وائل. وكان ابتداء ملكه ـ حسبما مرّ ـ من سنة ٤٥٠ ميلاديه، ولمّا مات تملّك بعده ابنه عَمْرُو بن حُجْر المُلَقَّب بالمقصور، لأنه أقتصر على مُلْك أبيه فلم يتجاوزه، وأقام ما شاء الله في المُلْك إلى أن قُتِل، ثم خَلَفَهُ ابنه الحارث بن عَمْرُو، وكان شديد البأس، كثير المغازي والغارات، فَمَلِكَ ابنه حُجْراً على بني أسدٍ وغَطَفان، وابنه شُرحبيل على بكر بن وائل، وابنه معديكُرب على بني تغلب، والنَّمر بني قاسط، وسعد بن زيد مناة وطوائف أخرى من بني دارم والصنائع، وابنه سَلَمه على بني قيس. ثم إن الحارث بن عمروٍ سارَ إلى وادي مُسْحُلاَن فقتله بنو كلب، وكان حُجْرُ بن الحارث أساء معاملة بني أسدٍ، وأهان سراتهم وقهرهم، فهجموا عليه بغته واغتالوه. اهـ. وزعم العيني في شرحه «لشواهد الالفيه» أن حجر بن الحارث هذا هو والد امرىء القيس أول ملوك كِنْده، وأخطأ في ذلك أو انتقل عنده الفكر من حُجْر بن عَمْرو إلى هذا. على أن ما سبق من بدء مُلْك حُجْر بن عَمْرُو إنما هو بالنسبة إلى الحجاز أمّا في حضرموت فقد كان لهم مُلْك قديم قامَ على انقاض مُلك حِمْيَر حسبما أسلفنا.

وسبب تمليك الحارث أولاده على العرب أنه كان في «الكامل» لمّا كان بالمَهْرَه أتاه رؤساء القبائل من نزار، وقالوا له: قد وقع بيننا من الشر ما تعلم، فنحن في طاعتك، فَوَجِّه معنا بنيك ينزلون فينا. فَفرَّق أولاده في قبائل العرب ملوكاً عليهم، وهذا وإن ذُكِر بعضه بالأصل، وليس مما يتعلق بحضرموت فإن فيه زياده، ولأن كِنْده كانت تسكن البحرين ثم انتقلت إلى حضرموت وزَهَت بها دولتها، وإنما نجعت إلى أرض معد حين كرهت محاربة حضرموت، ولاَنَت لها بسبب اختلافها على الرياسه بعض اللين، حسبما بيّناه في الأصل. وقد أقمت الحُجة فيه على من يريد أن يباعد ما بين امرىء القيس والأشعث بن قيس في المناسب، بما لا يحتاج إلى الإعادة، وفي «سبائك الذهب» أن مَعْدِ يكْرب جَدّ الأشعث من ولد حُجْرِ الْقَرِد بن الحارث بن عمرو بن معاويه بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع، والحارث بن عمرو بن معاويه هو الجد الثالث لامرىء القيس، والمُلك في قبائل العرب لآل الحارث ابن عمرو، إلاّ أن النعمان بن المُنْذِر ـ نائب أنوشروان ـ كان يبغض الحارث بن عمرو فله يد في قتله ثم في قتل ثلاثةً من أولاده، وإضعاف ملكهم حتى لم تبقَ لهم إلاّ مناطق محدوده بين الحجاز والشام والبحرين ونجران وغَمْر ذِي كِنْده.

وأما مُلْك كِنْده بحضرموت فللمتوّجين من بني معاويه الأكرمين، وآخرهم الأشعث بن قيس. وجاء الإسلام وكِنْدَه على مُلكها في بلاد حضرموت، وكان ما كان من أخبار الرده، وفي سنة ١١٩ نجمت الخوارج، وتفرعت عنها الإباضيّة التي بقيت منها ـ كما سبق في الرشيد ـ بقيةً مذكورةً في حضرموت حتى أواخر القرن الثامن كما قاله ابن خلدون في تاريخه. وأمّا في مسجدهم الذي بخبّة شبام فقد بقي بأيديهم إلى ما بعد ذلك بزمانٍ طويل. وما زالت نقاط محدوده من حضرموت تحت عُمَّال الملوك من بني أُميّه، ثم من بني العبّاس، مع الإضطراب الهائل بالخوارج والإباضيّه، وكانت تلك النقاط التي بأيدي الخلفاء ـ مع هذا الزحام ـ تنبسط تارةً وتنقبض أخرى، حتى كانت أيام المأمون فخرجت عنه تماماً فاستعان ببني يزيد الأمويين، فأخضعوها سنة ٢٠٦ واستمرت بها دولتهم إلى سنة ٤١٢ إلاّ أنه جاء في التاريخ أن المُعتمد بن المتوكل أَسْنَدَ ولاية اليمن لمحمد بن يُعْفِر، ففتح حضرموت في حدود سنة ٢٧٠ وولّي الهزيلي شباماً، فأشكلَ ذلك عليّ بما اتفقوا عليه من دوام مُلْك اليزيديين الأمويين إلى سنة ٤١٢ بالنيابة عن بني العبّاس، حتى رأيت في بعض تواريخ اليمن للكبسي: أن محمد بن يعفر كان لا يرَى مقاومة ابن زياد بل يهدي له، ويوهمه الإعراف له، وربما ذَكَره في الخُطبه، وكان مستقلاً بأمر التهائم. أهـ.

وكان محمد بن يُعْفَر بن عبد الرحيم ـ هذا ـ أَخذَ البيعة في حياة أبيه من أهل اليمن للمُعْتَمِد، بالله، فولاّه فَغَلَب على مخاليف اليمن، إلاّ التهائم فبقيت تحت آل زياد كما تقدم. وفي سنة ٢٦٧ حج محمد بن يُعْفِر ثم عاد وبنَى جامع صنعاء، وفي سنة ٢٦٩ أَمرَ يُعْفَر بن عبد الرحيم حفيده إبراهيم بن محمد بن يُعفر بقتل أبيه محمد بن يُعْفَر فقتله، فانتقضت الأمور عليه وعلى جَدّهُ، ثم وصل العهد من المُعْتَمد لِيُعْفِرَ بن إبراهيم بن محمد بن يُعْفِر، فَقُتِل بشبام سنة ٢٧٩، وقام بعده يُعْفِرٌ بن عبد القاهر بن أحمد بن يُعْفِر، ثم عاد المُلك لإبراهيم بن محمد بن يُعْفِر في سنة ٢٩٠ وقام بعده ابنه أسعد بن إبراهيم، وفي أيامه ظَهَر علي بن الفضل القَرْمَطي، فاستعمل أسعد هذا على صنعاء، ولمّا قُتِل القرمطي استولى أسعد على مُلْكِه وعلى بناته، وقَتل ولده، ثم توفي أسعد سنة ٣٣٢ وقام بعده ابنه يعفر، غير أنه مات بعد سبعة أشهر. وأمّا الهُزَيْلي الذي أُسندت إليه ولاية شبام فمن بني فهد، فالكلام مُتفق مع ما سبق عن ابن الحائك الهمداني، وقال نشوان بن سعيد:

وبَنُو الهُزَيْلِ وآل فَهْدٍ مِنْهُمُو مِنْ كُلِّ هَشٍّ لِلنَّدَى مُرْتَاحِ

وآل يُعْفَر بطن من حِمْيَرَ، يُقال لهم الأَوْزَاع، رَفع نسبهم صاحب «سبائك الذهب» إلى زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وايل بن الغوث بن قطن بن عُرَيْب بن زهير بن أَبْيَن بن حِمْيَر بن سَبَأ، وكانوا يسكنون بجبل **شبام** ولهم فيه حصون هائلة، وهو جبل أَشَمُّ صعب المُرْتَقى، ليس له إلاّ طريق واحده على خمس وعشرين ساعةً من صنعاء. أهـ. وقال في «الأكليل»[1]: **وشبام** مملكة آل يعفر الحواليين، وهي إحدى جنان اليمن. أهـ.

وبعد أن أنقرضت دولة آل زياد الأمويين نسباً، العباسيين دولةً، استولت **(بنو مَعْن)** على عَدَنْ ولَحْج وأَبْيَن وحضرموت، ثم جاءت دولة الصليحي في سنة ٤٥٥ وكانت شيعيّة تدعو وتخطب الأئمة الفاطميين بالمغرب ومصر، إلاّ أن إمام الإباضيّة بحضرموت إبراهيم بن قيس كان يراوغ أئمة عُمَان ويستدرُّ منهم المعونة والمؤونة، بزعم أنه يزاحف الصليحي، وهو غير بَارٍّ في قوله:

وأما نواحي حضرموت فإنها بِحَوْل إلآهِيْ طوعُ امرى وخاتمي

ولم يبق لي إلاّ الصليحي قائماً وها هو أيضاً سعدهُ غيرُ قائم

وقدْ نَزَعتْ عنه القبائلُ نَحْونا لما نظرت من رغمها في المآتم

وإنما كان الأمر بالعكس، وما نَجَّاه من براثن الصليحي إلاّ هربه، ولياذه بتَجيْبَ، وخضوعه لهم، وتملقه إليهم، بشهادة ما سبق في (هَيْنَن) وغيره من أَشْعَاره المذكورة بالأصل، فلقد جاءهم بجريقة الذقن فأجاروه، وأجاز الصليحي جوارهم إيّاه، . وبأَثَرِ مقتلِ الصليحي تقوّضَتْ دعائم مُلْكِهِ وشيكاً عن حضرموت، وبقيت الدولة بها لآل **قحطان** الحميريين بنفوذ محدود في نقاط لا تتجاوزها، لانطباع حضرموت على الفوضويه، ولهم مشاغبات كثيره مع بعضهم، ومع الأباضيّة وقبائل البلاد، حتى جاء الأيوبيون ومواليهم الْغُزُّ في سنة ٥٧٥ فعاثوا في البلاد، وفعلوا الأفاعيل، وماجَتْ حضرموت بالقبائل الناقلة إليها كما يموج البحر. وسبق في آخر مادة قعوضه أن نَهْداً لم تجيء من اليمن إلا لأن حضرموت استنجدت بها والله أعلم. وفي سنة ٥٩٠ ورد طغتكين بن أيوب إلى (تَرِيْم) وأخذ

(١) ج ٨ ص ١٥١.

شباماً، وعاد إلى اليمن ومات به، وطالت مدة الغُزِّ بحضرموت، والدولة الأسميّة في خلال ذلك لبني قحطان. تنازعهم شِقَّ الأُبْلُمَةِ فيها أمراء الطوائف ورؤساء القبائل، من بني حارثه الكِنْديين، وبني سعد، وبني حرام، وبني ظِنَّه وغيرهم، وسياسة الغُزِّ تتقلب تارةً مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء، حسبما فُصِّل بالأصل، وجرت بينهم حروب وخطوب. وآل يماني بن الأعلم وآل سعد يتناوبون على **شبام**، وعلى غيرها من بلاد حضرموت، لأن الحرب سِجَالٌ بينهم، وجرت لهم مع الحبوظي في تلك الأثناء أحوال مُفَصَّلة بالأصل. وفي سنة ٦٧٨ تم استيلاء الملك المُظَفَّر الرسولي على حضرموت، وفي سنة ٦٨٧ توفي السلطان محمد بن السلطان عبد الله بن راشد، وكان مشهوراً بالفقه، وبعقب انقضاء مُلْك آل قحطان وتلاشِي أَمْرِ الرسوليين بحضرموت آلَ مُلْكهم إلى آلِ أحمد بن يماني والصبرات، ثم إلى آل كثير، ثم إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل، ثم لِيَافِع، إلاّ أن يافعاً لم تَدَّعِ سلطنةً بل متى انتصب لهم سلطان من آل كثير بخعوا له بالاسم مع الاستبداد عليه بالعمل، وقد يستغنون عن السلطان بالكلية، إمّا برؤسائهم وإما بمنصب سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم. وفي أيام يَافِع كانت الدولة الكثيرية في شِبَام لآل عيسى بن بدر بن عمر بن بدر بُوطُويرق، أولهم عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر بن بدر بن عمر بن بدر، ثم أخوه عبد الله وهو الذي باع ليافع ناصفة **شبام**، ثم منصور بن عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر وكان شهماً شجاعاً حَميّ الأنف، أبيّ الضيم، وله تعلّق بجبل المجد ونَجْم الشّرف: السيد عمر بن محمد بن سميط، فكانت له عباده منها أن وِرْدَهُ في اليوم والليلة مائة ركعه. ومن أخباره أن السيد سالم بن صالح الحِبْشِي كان من أثرياء **شبام** فطلبَ منه منصور إعانةً، فشكى إلى الحبيب عمر بن محمد، فعاتبه فقال: أنا لا أحب الظلم وأكره أن أسيء أحداً من أهل البيت، ولكن السيد سالم عنده من جيف الدنيا، ولو وضعت جيفه عند المنبر في الجامع لأَسرعَت إليها الكلاب والضرورة تحوج، فقال الحبيب عمر للسيد سالم: إعطِهِ، وحجّ السلطان منصور مع الحبيب عمر بن محمد وأُشيع موتهما كذباً ثم عادا بالسلامه، أخبرني بجميع هذا الأخ الصالح المنصب علي بن عبد الرحمٰن الحِبشي. ثم أن منصوراً بقي كما كان عمه مع يافع على المناصفة بشبام، وجَرت بين كلٍ منهم وبين يافع وبين أصحابهم آل كثير مشاغبات ومحاربات، من أشهرها: أن منصور بن عمر سمع حمود بن سعيد بن عبد العزيز يتهدد رجلاً من أهل **شبام** بالجامع، فأمر عبيده أن يقتله بعد انفصاله

عن حريم **شبام** ففعلوا، فشقّ على آل كثير لأن حمود عظيم المكانة بينهم، فحصَروا **شبام** وأخربوا موزعها، حتى جمعهم سيِّد الوادي الإمام حسن بن صالح وأصلحَ بينهم وبين منصور بن عمر، إلاَّ أنهم بَقوا في نفرة عنهم، لأنه لا يقر على ظُلم أحد منهم ولاَ على تعديه، حتى وقعت (حادثة تَرِيْس) في حدود سنة ١٢٥١ وحاصلها أن آل كثير وحلفاءهم هجموا على تَرِيس واستولوا على جانبها الشرقي، فاستغاث صاحبها ابن النقيب بيافع فأسرعوا، وكانوا لا يسألون أخاهم ـ حين دعوتهم إلى القتال ـ على ما قال بُرْهَاناً، فحصروا آل كثير ولمّا خرجوا لاَقَتْهُم شرقي البلد وأثخنت فيهم قتلاً، وسلبت قتلاهم، فعادوا يتوددون إلى منصور بن عمر وهيّجوه على يافع، وكان يحرق عليهم الأُرَّم من الغيظ. ولمّا كانت ليلة الفطر من سنة ١٢٦٠ فعل منصور بن عمر فعلته التي فعل، وانتهز فرصة خروج أكثر من بشبام من يافع إلى منازلهم خارجها للعيد، فأعلن ثورته وقَتَل من بقي منهم **بشبام** وهم غارون في المساجد، واستقل بِمُلْك **شبام**. وقد أنكر العلويون صنيعه ذلك إلاّ الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، فأنه هنأه به في كتابه المُطوّل الذي سيّرهُ إليه بتاريخ عشر شوال من نفس السنه، وقد نَشرت ذلك الكتاب في الأصل مع ما تعاظمني من إشكال صنيع الحبيب عبد الله بن عمر. وفي آخر القعده من سنة ١٢٦٤ باعَ منصور بن عمر ناصفة **شبام** على غالب بن محسن الكثيري صاحب سيوون وتَرِيْم، وكان الواسطة في ذلك عبّود بن سالم، بدراهم معينه أعطوه قليلاً ولووه بالباقي، وعقدوا بينهم حِلفاً من شروطه أن تكون المالية إلى عبّود بن سالم، وأن يُنْفِق منها على حروبهم المُشتركة بينهم وبين القُعيطي ويافع، وعلى أن يكون الحُكم في **شبام** لمنصور بن عمر، وعلى أن يدفع له من جباية ناصفته الباقيه كل يوم سبعة ريال. وبقي الأمر بينهم على دخن حتى سفر بينهم الناس ففسخوا الصفقة وردّوا خط البيع، وبقيت المشاغبات بينه وبين آل كثير على أشد ما يكون، ومثلها كان بينه وبين يافع، فهو كما قال حبيب:

ماكعَّ عن حرب الزمان ورميه ... بالصبر إلاّ أنه لم يُنْصَرِ

ما إن يُزال بحد حزمٍ مُقْبِلٍ ... متوطناً أعقاب مُلْكٍ مُدْبِرِ

حتى ضاقت نفسه فباع ناصفة **شبام** الغربيّة للسلطان القعيطي، بعد أن حذّره الحبيب عمر بن محمد وقال له: إن في هذا هلاكك، قال له: لقد ضاق الناس،

وَوَاحِد وَلاَ جَماعَه. وبقي هو وعوض القعيطي على المصافاه في العلانيه، والمكايده في السر، ولكن ما كل مرّة تِسْلَم الجرّة، وفي الأثر بَشِّر القاتلينَ بالقتل، فَدَعوه للمشاورة في أمرٍ فضحّوا به، وتغدّوه قبل أنّ يتعشَّاهم. وتم مُلك شِبَام للقُعَيْطي من ذلك اليوم إلى الآن، والله وارث الأرض ومن عليها.

وأزياء آل شِبَام شبيهة بأزياء آل صنعاء، إلاّ في تطويل أكمام القمصان، غير أن المتأخرين من آل شبام غَيَّروا تلك الأزياء سَيْراً مع الظروف. وبيوت شبام ـ كذلك ـ على شَبَهٍ بِديار صنعاء، فهي متضايقه، وأزقّتها ضَيِّقه، وجوّها ليس بالنقي لكثرة مياه المراحيض، مع أن الشمس لا تتخللها لطول دِيَارها فلا تقصر ما بها من الجراثيم، وقد بلغني أن المتوفات بالسِّل من نسائها كثير، ومن كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط عن الحبيب جعفر بن أحمد الحبشي: أن جو شبام كان طيباً يُشبه جوّ قارة الصناهجة وإنما عَرَض لها الوَخَمْ من البواليع ومجاري القاذورات. وكان لهم تَشدُّد بليغ في الحجاب حتى أن أكثرهنّ لا تخرج إلاّ جنازتها من سِدة البلاد، وقد اتفق لي أن دخلت ساعةً من نهار منزل الشيخ أحمد كُوَيْرَان، فَحدَث لي اتِّعَاظٌ عظيم، واقشعر جلدِيْ وترطب خدِّي، وذَكَرت ضِيْق القبور، نسأل الله السلامه والعافيه. وكانت بنت الشيخ أحمد كويران هذا تحت الشيخ جمعان بشير، وقد ابنتى له ولعمه داراً في جنوبنا حيث الفضاء الرَّحْب، والهواء الطَلْق، والنّسيم النقي. ومع ذلك فلا بد أن تَحنَّ إلى دار أبيها ومسقط رأسها، وقد قال الأول:

وقد تُعْشَقُ الأرضُ التي لا هَوى بها ... وَلاَ ماؤها عَذَبٌ ولكنها الوطنُ

وكنت حريصاً على سؤال الشيخ جمعان عن ذلك، ولكنه كلما جاءني في الأعياد نسيت. أمّا ديار شبام التي تُشرف على الفضاء من أطرافها فمن أجمل ما يكوْن، لاتساع مرامي العين وجمال المناظر، ولا سيما في أيام الخِصب، وأثاث الزروع، وانتعاش النخيل. إلاّ أن الفضاء يقل في الجهة الجنوبية لقرب الجبل، بخلاف الثلاث فأنه فيها مَدّ النظر، ورأيت في صحيفةٍ تُسمَّى «المستمع» تصدر من عاصمة الجزائر البريطانية رسماً شائقاً لمدينة شبام، مكتوب تحته: ناطحات السحاب بحضرموت. ولا بدع فقد عَرَف ملوك حضرموت من الأمم العاربه كيف يبنون نواطح السحاب قبل أن يسمع الناس باسم أمريكا بألوف السنين، وإنما سُمِع اسمها في الأخير، وأول من ذكرها الصوفي الكبير ابن عربيّ

كما ذكرها بيرم في تاريخه ولكن الافرنج يريدون أن يستأثروا باكتشافها دونه غمطاً للحق ومعاذ الله يتلثّم.

نِعام:

هو وادٍ في شمال شِبَام يفصل بينهما جبل، تكوّن قارة آل عبد العزيز في سفحه الشرقي الجنوبي، ذاهب ذلك الوادي إلى الغرب، والجبال التي تنهر إليه متصلةٌ بالجبال التي تدفع إلى وادي سَرْ ويَبْهُوض، بينه وبين جعيمه جُبيل يسايرها في جهتها الغربيه إلى مفتك الدائره، وهو ممتد من الشرق إلى الغرب. وفي نعام قُرىً صغيرة، أولها من الشرق: **(بامشجع)** لآل بن سبعين، ثم **(المحجر)** وهو الآن لآل مرعي طائفة من الساكنين في **(بالليل)** وفيه أطلال قديمه تدل على أنه هو **(محجر الزرقان)** الذي فتكَ فيه المهاجر ابن أبي أُميّة المخزومي وزياد بن لُبَيْد بِكِنْدَه، وقد اقتصر «التاج» وأصله على قولهما: ومحجر الزرقان موضع بحضرموت أوقعَ فيه المهاجر بأهل الرِّده، وزاد ياقوت على هذا قولَ المهاجر:

كُنَّا بِزُرقان إذ نُشَرِّدُكُمْ ... بَحْراً يُزْجِي في موجه الحطبا

نحنُ قتلنا بمَحْجَرِكم ... حتى ركبْتُمْ من خوفنا السَّبَبَا

إلى حِصارٍ يكُوْن أَهْوَنَه ... سَبْيُ الذراري وسَوْقُها خَبَبَا

وفي الأصل: أن كِنْده انهزمت في واقعة محجرْ الزرقان ثم انحازت إلى (النُّجَيْر) فإما أن يكون في الجهة الغربية حصن يُقال له (النجير) وإما أن تكون كِنْده ذهبت بالهزيمة عريضةً وهذا هو الأقرب. أما (محجر الزرقان) فما أخاله إلاَّ هذا. ثم **(صهيبه)** للصقعان من آل عبد العزيز، ثم **(مريَخْ)** لآل عبد العزيز أيضاً، ثم **(الحريه)** لهم وللمسامير، ثم **(شِرج نعام)**.

جعيمه:

هي واديان يُقال لأحدهما (الخط)، وللثاني (الدائره) فوادي الدائره يذهب إلى الغرب طُولاً إلى جبال وادي سَرْ، ويذهب شمالاً إلى نجد آل كثير. والخط يذهب إلى جهة الشرق حتى ينتهي إلى الجبال التي تنهر إلى وادي الذهب.

وفي جعيمه قُرىً كثيرة غير أنها صغيرة جداً، أولها من الجهة الغربية **(الشاغي)** لآل بدر بن عبد الله وآل الشرعي من آل سعيد، ثم **(العقيقه)** لآل عوض بن علي من آل عبود بن عمر آل عبدات، ثم **(هشيمه)** لآل سعيد، ويقال

أن مرجع آل سعيد في النَّسب إلى سعيد بن علي بن عمر، وإسم جدهم: بدر بن سعيد، وله أَخَوَان وهما: مرعى جدّ (آل بِلَّيْل) وجعفر جد (الدحادحه). ولسعيد بن علي أَخَوَان وهما: يماني جدّ (آل يماني) وفلهوم جدّ (آل فلهوم)، هكذا يُقال. ولآل سعيد شهره بالفطنة، ومن حكامهم عبّود بن بدر بن سلامه بن سعيد، بلغَ من ذكائه أن رجلاً من آل شبام أَكلَ تمراً هو وامرأته، ثم قال لها: إن لم تُميِّزي نَواي من نواكِ فأنتِ طالق ثلاثاً، فأعيت على كثير من العلماء فَسُئِلَ عنها فقال: تُجْعَل كُل نواةٍ وحدها وتَنْحلّ اليمين. وهذه الفتوى هي عين ما يقوله الفقهاء في المسئلة، قالَ في «المنهاج»: ولو أَكَلا تَمراً وخلطا نواهما فقال: إن لم تُمَيِّزي نواكِ فأنت طالق، فَجَعلت كل نواه وحدها لم يقع. أهـ. وذَكَر شُرَّاحه لها تفصيلاً لا حاجة بنا إليه. ومن آل سعيد: الشيخ أمبارك ابن جعفر بن عمر بن بدر بن جعفر بن عمر بن عامر بن بدر بن سعيد بن علي بن عمر، أبيض القلب، مستوى السِرّ والعلانيّه. ومنهم صالح بن محمد بن بدر، رجل له فكر ثاقب ورأي صائب، توفي ببتاوي، ويأتي في حصن الحوارث ذِكْر محمد بن علي بن عبُّود، ولا يزال في آل سعيد بقيّة صالحة.

وهناك (**هشيمه**) أخرى للمشائخ آل باوزير، ومنصبهم الشيخ كرامه بن سعيد. ثم تأتي بعدها قرية (**الخندق**) لآل سعيد و(الخبارين)، ثم (**توخرى**) مساكن آل زيمه، ثم (**لصَفْ**) لآل منيباري، ثم مكان (**آل حصن**) ثم (**مطارح**) لآل جعفر بن بدر العوينيين، ومقدمهم: بقية العرب الصميم محمد بن سالمين. ثم (**جحورب**) لآل عامر بن محمد من آل سعيد، ثم (**الحوطه**) لآل باوزير ومنصبهم الشيخ سعيد بن علي باوزير، ثم (**الجحي**) لآل جعفر بن بدر، وآل سعيد بن عبد الله الوزيريين من أواخرهم الشيخ علي بن سعيد باوزير المتوفي سنة ١٣٢٤ كان رجلاً صالحاً، سليم الصدر، مُجاب الدعوة، وله نوادر منها: أنه كان راكباً مرجعه من عند الصَيْعَر، ومعه ولده صالح، ورجل من آل جوفان يشتكي من ألم العروق، فقال يخاطب صالح بن علي: يا شيخ صالح عسَى عندك دوا للعروق؟. فأجابه الشيخ علي بقوله: يخرجن منك ويلحقن الولد لي يسوق. فمن الله على ابن جوفان بالعافية وأُصيب ذلك الولد بالعروق في الحال. وكان مرةً بدار أحد آل فحيثا فقال: (الحمد لله ياساتر على كل حال). فصادق خروج السيد حسن بن عبد الله الحداد خارجاً من بيت الخلا فقال: (لا صدّت نجوه ولا حصلت ماء في الحِجال). فقال الشيخ علي: (اللّوم والله عليهن ما نلوم الرجال).

ثم مكان (**رِضَيْمه**) لآل علي بن سعيد، ثم (**شرج مدرك**) لآل جعفر بن بدر العوينيين، ثم حصن (**الركبه**) للشيخ محمد بن سالمين السابق ذكره، ثم (**القطّار**) لآل زيمه، ثم **شِرج** آل القحوم، ثم (**العرقوب**) لآل عبود بن عمر آل عبدات، ثم (**الجدفره**) فيها آل الشرعي، و(**المسامير**)، ثم (**الخُثّ**) مكان آل دحدوح، ثم (**بالسان**) مكان عوض بن سالم من آل علي آل سعيد، ثم (روضة آل مَهْرِي) و(**روضة آل باهديلة**)، ثم صنعنون ثم (باخبرة) و(**السحيل**) مكان آل سعيد [1].

سحيل آل مهري:

هو واقع في جنوب شبام، بسفح جبل الخبة، وفي أول سنة ١٢٨٢ أتفق رأي السلطان غالب بن محسن وآل كثير على غزو شبام، وجعلوا **سحيل آل مهري** مخزن التموين، وبعقب ذلك اشتغل الحرب وبقيت سِجالاً إلاّ أن جانب القُعيطي يَقْوَى، فانعقد الصلح في القعده من نفس السنه، وسلّم (**المعيقاب**) و(**حصون آل مهري**) للقعيطي، على عشرة آلاف ريال تسلّمها السلطان غالب، وتكدر لذلك رؤساء آل كثير، وكانت هذه العشرة الآلاف نفقة الجيش الذي فتح الشِّحْر في جمادي الأولى من سنة ١٢٨٣، وفي ٢٨ القعدة من السنة المذكورة كان انهزام السلطان غالب من الشِّحْر واستيلاء القعيطي عليها حسبما تقدم في أخبارها.

الحَزْم:

هو قرية بسفح جبل الخبّه الشرقي الشمالي، أصله أن الشيخ عون بن سعيد من آل روّاس بنى مسجداً في جانبه الشرقيّ الجنوبي، وبنى عنده سقايةً وسقيفة لِيُقَيِّل فيها من ينحدر عن شبام بعد قضاء حاجته، لأن أهل تلك الأطراف يمتارون من شبام وأهلها لا يعرفون قِرَاء الضيفَ فلا يجد هؤلاء من يفتح لهم داره، وكان أول من سكن الحزم وبنى به داراً هو الحبيب أحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن حسين بن عبد الله العيدروس، وكان ذلك في سنة ١١٢٧ وبقي يدعو إلى الله، ويرشد الحائر، ويُعلِّم الجاهل مع إيثاره للخمول، ثم ظهر ولده عمر بمظاهر المناصب فَنُسِب إليه الحَزْم، وقيل حزم

---

(١) ذكر المؤلف في النسخة (ب): وبعد أن فرغت من نعام وجعيمه استفصلت الشيخ امبارك بن جعفر السابق ذكره فذكر ما يخالف بعض مما سبق فأمرت ولدي حسن أن يكتب خريطه وكتبها كما تراها تحت رقم (١).

عمر بن أحمد، ومن ذريته شيخنا الفاضل الجليل عيدروس بن حسين، وصفه شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة» بالشّرف والفضل والصدارة، وهو من أعظم المناصب شأناً، وأثبتهم جناناً، وأبعدهم مسافة غَوْر عَقْل. وكانت له هيئة وهيبة تملآن الصدور، وتستلفتان الأنظار، وكان عالي الهمة أَبِيَّ النفس، حَمِيَّ الأنف، يتحمل الكُلَف الكثيرة في الإصلاح، حتى لزمته بذلك ديون كثيرة، سافرَ من أجلها إلى الهند، واتصل به كثير من المريدين، فبقي يتردد إليها، وفي إحدى قدماته إلى حضرموت وصلَ بأنابيب الحديد والآلات الأرتوازية، وشرعَ في حفر بِيْر لذلك تكبّدَ فيها الخسائر الباهظه، وانتهى الأمر فيها إلى الفشل. وفي سنة ١٣٢٦ ورَدَ إلى سيون فنزل عندي وأقام يومين لم يزر فيها شريفاً ولا مشروفاً، كنت فيها أنا وأولاده نجري الخيول من العشى وهو يتفرج، وبعقب ذلك أبحر إلى الهند، ولم يزل ناشراً الدعوة فيها إلى أن توفي سنة ١٣٤٦ وله أولاد منهم: حسين ومحمد وأحمد وأبو بكر وزين، ومن ذُرِّيَّة السيد عمر بن أحمد: السيد الفاضل الفقيه عمر بن عبد الرحمٰن بن علي العيدروس، له نكات ونوادر وتَعَلُّق بسيدي الأستاذ الأبرَّ عيدروس بن عمر، توفي **بالحزم** سنة ١٣٤٧.

الدحقة:

هي في جنوب الحَزْم وفيها آل سِنْد، كان منهم الشيخ محمد عامر بن سند حُرّ كريم وعربيّ صميم:

فتَى يَتَّقِي أَنْ يَخْدِشَ الذَمُّ عرضَه ولا يتّقى حَدَّ السيوفِ البواتر

ولكنه باصراره على مبدئه الكثيري لم يجن إلاّ خيبة الأمل إذْ ترفع عن مواساة القعيطي، ولم يظفر بشيء من الكثيري، حتى أن خَلَفَهُ جاء مرَّةً وافداً من الدحقة فلم يجد من يسقيه الماء بسيوون، فعاد أدراجه ينفض مذرويه من ساعته.

ومرجع آل سند في النسب إلى آل زياد الأمويين، فهم والزبيديون ـ فيما يزعمون ـ على رجلٍ واحد، ولكن آل سند دخلوا في عِدَاد الفخائذ من آل كثير، وجرت بينهم وبين آل مرعي بن طالب حروب لم يزلّ فيها نعلهم، ولم يَمِلّ رُكْنَهم.

السليل أو السرير:

لكل منهما ذِكْر لا يهمنا عند ياقوت، ونَقَل البكري عن ابن إسحاق أَنَّ **واديي خَيْبَر**: خَلْص والسرير. والذي نحن بسبيله على إسم موضع باليمن لا أذكر

محله الآن من الأصل، وقال ابن خلدون: السرير آخر أعمال تهامة من اليمن، وهي على البحر دون بَرّ وبيوتها أخصاص. أهـ.

والسليل أو السرير: فضاء واسع، في غربيه شبام، والجبل الذي يكون الحزم بسفحه، فالدحقة داخلة فيه، ويمتد إلى أسفل حضرموت ثم إلى سيحوت وبلاد المَهْرَه، وفي شماله الجبل النجدي الذي أوله (**فرط قبوسه**)، وحده من الجنوب الطريق السلطانيه، ومن ورائها (وادي بن علي). وأوله فيما يلي الطريق التي إلى جنوبها (حُوْطَة آل أحمد بن زين) فليست من **السليل** ولكنها قاعدة بلاد بني سعد من وادي بن علي. ويدخل في السليل كلما كان من قُرَى آل كثير وحصونهم، من الحَزْم إلى محاذاة سيون في عروضها الشماليه، بل إلى ما وراء ذلك.

ومن أوائل **السليل**: (**فرط قبوسه**) وهو مكان مشهور بكثرة الكنوز الحميرية المدفونة فيه، كان الشيخ عبد الله معروف باجَمَّال يَجْزِم بها وبكثرتها، وله شِعْر في ذلك أوردناه في الأصل. وَذكَرها أيضاً غيره، وقال الهمداني في الجزء الثامن من «الأكليل»[1]: ذَكَرَ بَعضُ حِمْيَر عن أسلافه عن كعب الأحبار أنه أدرك من لقيَ من عشيرته سُطيحاً، وخبّره أعقاب من لقي شِقّاً، أنهما سئلا عن كثير من أخبار اليمن فخبّرا بأحداث كثيره منها أنهما قالا: باليمن أربع بقاع مقدسة أو مرحومه، وأربع محرومه، وثمانية كنوز. ثم عَدّد جميع ذلك، وذكرَ أن الثامن من الكنوز بـ (الحمراء) من حضرموت، وساقَ خبراً طويلاً قال في آخره: وهذا حديث مُرْسَل لم يقع لنا بإسناد، فذكرناه على حاله. أهـ.

وأهل حضرموت يُسَمُّون ذلك المكان (فرط الحميرا) كما جاء في شعر الشيخ باجمال، فهو هو. ومن وراء قبوسه جنوباً: القاره.

القارة:

قال ابن الحائك الهمداني[2]: **هي قرية عظيمة** لِهَمْدَان وفيها حصن. أهـ. وسكانها من زمان قديم **آل عبد العزيز** في عِدَاد آل كثير من قبيلة آل عامر، والسيد أحمد بن عبد الله شنبل لا يُطلق لفظ **الشَنافِر** إلاَّ على آل عبد العزيز، لكن الأمر

---

(١) ص ١٩١.

(٢) «صفة جزيرة العرب» ص ١٦٩.

يتردد بين هؤلاء **والعَوَامِر** فإنه كما يُقال لأهل القاره آل عبد العزيز كذلك يُقال للعوامر آل عبد العزيز، وقد ذَكَر لهم أموراً جرت بينهم وبين آل محمد الكثيري في (مدوده) سنة ٩١٦، والعوامر أقرب بقليل إلى مدوده من أهل القاره، ويتأكد ذلك بما سيأتي في (تاربه).

ثم إن قرب القارة من شبام ـ وهما كما مرّ لهمدان ـ يرجح أن سكانها من آل عبد العزيز الآن هم من أعقاب الهمدانيين. كما أن آل كثير مصفقون على أنهم بأسرهم من همدان. والمؤرخون متفقون على أنهم ـ أعني آل كثير ـ من بني حرام، وبنو حرام كما قرره الملك الأشرف[1] من نَهْد، فتأكد أن: نَهْد شبام والقارّه ومن لَفَّهم يرجعون إلى نَهْد همدان، وأن أهل الكسر ومن لفَّهم يرجعون إلى نَهْد قضاعه، كما يظهر أن نهد قضاعه ناقلون إلى حضرموت، ونهد همدان من أتلاد البلاد. هذا ما تنتصب عليه القرائن، وتلتئم به أطراف الكلام، ويؤكده الاستصحاب المقلوب، وسيأتي في رَيْدَة الصَيْعَر ـ آخر الكتاب ـ عن ابن الحائك أن فرقةً من همدان يُقال لهم (المحائل) كانت مع كِنْده، فلعلهم أُصول آل كثير. أمّا المَهْرَه والمناهيل والحموم فإنهم وإن كانوا من قُضاعة الحميريين، فلا يمكننا الجزم بأنهم قضاعة دون نصٍ صريح أو قرائن تتأكد بها الظنون.

وآل عبد العزيز ثلاث فرق: آل سويد، والصقعان، وآل جعفر بن سويد، وآل عمر بن علي. يبلغ عدد رجالهم بالقاره سبعين رجلاً وكان من أواخر رؤسائهم: الشيخ لحمان بن علي، وكان آل عمر بن علي قتلوا أباه في حربٍ بينهم، ولمّا تراخت وكثر دونها عدد الأيام وجَرت بينهم الإصلاحات على عادتهم، حتى جاء في اليوم الثامن والعشرين من شعبان أحد آل عمر بن علي، إلى عند الشيخ لحمان في طلب الصلح لرمضان وما بعده فلم يسعفه، ولمّا خرجَ من عنده وكاد يصل إلى داره صَوَّبَ إليه بندقيته فأرداه، وأشاع من عشية يومه أن رمضان قد دخل، والعرب قد يتسامح بعضهم بالقتل في اليوم التاسع والعشرين من الشهر ويُسَمَّونهُ الفلته، كما بسطت الكلام عليه في الأصل. أما الثامن والعشرين فلا يستحله أحدٌ منهم، وفي حين دُفن المقتول من اليوم التاسع والعشرين أَسْتَسْقَى أحد آل مرعي ماءً، فشربه أمام الناس ليحرش به على الشيخ

(١) «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» ص ١٣٥.

لحمان. وما زال رئيساً على قومه إلى أن مات فَخَلَفَهُ ولده عبد الله بن لحمان.

ومن آل عبد العزيز الآن الشيخ ناصر بن عبد الله رجل شهم يسكن السواحل الأفريقية، وفي حضرموت: الشيخ سعيد بن محمد شاعر جزل بلسانهم، وهو الذي أشار إلى تعيير الشيخ عبيد صالح بن سالمين بن جعفر بن طالب، لمّا توارَى عن غسل العار الذي جرّهُ الشيخ علي بن سالم بن محمد بن يماني، عليه وعلى الدولة وعلى آل عَبْدات وجماعات سواهم من القبائل بقتله العاس، وهم يخفرونه جنباً لجنب في سنة ١٣١٩ بقوله:

الهيج لي بين العدل ما ثار ... سمين والذروه كبيره

يا ريت له بيعه على جزّار ... وألاّ على منصب عقيره

وإنما لصق العار بِعُبَيْد صالح أكثر من لصوقه بمن سُواه، وفيهم الدوله الكثيريه لأنه أقربهم إلى علي بن سالم ولأنه شيخ آل كثير إذْ ذاك، فشأنه فيهم أقوى من شأن السلطان.

وآل كثير ثلاث فصائل: **(آل عامر)** ومنهم آل عبد العزيز هؤلاء وآل عَبْدات وغيرهم، و(آل عمر) ومنهم آل طالب وآل العاس وآل الفاس وآل فلهوم وغيرهم، و(الفرقة الثالثه) الفخائذ وهم: آل عون وآل مِنِيْبَاري وآل زيمه وآل الصقير ومن لَفَّهُمْ. ولهم مشجّر يحفظ أنسابهم موجود عند الشيخ عبد الله بن سالمين بن مرعي الآتي ذكره في بَلَّيْل. وفي شرح البيت ٣٧ من الأصل ما يتعلق بآل كثير وأنهم من بني ظِنَّه من بني حرام، ولكن مما يُسْتَدرك عليه أن بالسَلَمات من بلاد الجَوْف ناساً من آل كثير يرجعون في النسب إلى همدان، يُقال لسلطانهم الموجود اليوم: مُنَصَّر قَوْزَان، وقال الهمداني في «الصفه»: وبلد حرام من كنانه هي وادي أثمد، وضَنْكَان، فالحَرَّة حرّة كنانة، والمعقَّد، وحلى وهو مخلاف وقصبته الصَّحَارية موضع رؤساء بني حرام، أهـ. وفي موضع آخر منها، بعد أن عَدّد مواضع، قال: يسكن هذه البلاد من قبائل نَهْد: مُعرَّف وحرام وهي أكثر نَهْد وبنو زهير وبنو دريد وبنو حزيمه وبنو مرمّص وبنو صحْر وبنو ظِنَّه، وظِنَّة من عذره وبنو يربوع وبنو قيس وبنو ظَبْيَان. أهـ.

وبالقارّه ناس من (آل الحامد) بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وكان فيهم الشيخ علي قيران، سائل مدفوع عن الأبواب، ولكنه من أهل السر،

والخصوصية، يسأله أرباب القلوب عن مشكلات صوفيه فيجيبهم عنها بما لا يخطر لأحد على بال. نَازَلَهُ حَالْ وهو يُلْقِم بقرةً بالإجرة، فاندهش عقله، وألقى على لسانه اسم البقرة المصفره، فبقي يلهج ويوشح بها كلامه. وفي كتاب «المعمرين» لأبي حاتم السجستاني: أن النمر بن تولب ـ رضي الله عنه ـ تعمَّر مائتي سنةٍ وخرف وألقى على لسانه: إنحروا للضيف، إعطوا السائل. أهـ. ولِعَلِي قَيْرَان غرائب وعجائب، ولمّا مات لم يشعر أحد بموته؛ إلاّ بعد ما شرعت الوحوش تأكله، لأنه أشعث أغبر، ساقط عن العيون ولكنه داخل تحت قوله: رُبَ أشعث أغبر مدفوع عن الأبواب لو أقسم على الله لأبرّه. وكان والدي رضوان الله عليه يبرّه ويطلب دعاؤه.

ومن وراء **القاره** إلى جهة الجنوب (حصن الهاجري) وهو أول حصون آل كثير في شرقي شِبَام، وفي شرقيه (حصن قسبل) لآل سويد وله ذِكْر في التاريخ، وفي شرقيه مسيال (وادي بن علي)، وعلى ملتقاه بمسيال سر؛ يكوْن:

حصن القروقر:

وهو لآل خالد بن عمر، **في شرقي القارّه إلى جهة الجنوب**، إبتناه آل خالد بن عمر في الوقت الأخير على أنقاض أطلال باليه. يحيط به فضاء واسع، لأن النظر يمتد منه جنوباً إلى أن ينقطع أمده دون أقصى وادي بن علي، وغرباً إلى أقصى وادي نِعام، وشرقاً إلى أقصى حضرموت، وشمالاً فرط قبوسه. وتحف به تربة طيبة، تدل على سابق عمران، وخصوبة جناب، فهو جدير أن يكوْن مُحَرَّفاً عن (قُرَاقر) الذي يقول في روضته عمرو بن بشاشٍ:

وأنت تحلُّ الروضَ روضَ قُرَاقِر كعيناء مرباع على جؤذر طفل

بحيره:

هي في شرقي القروقر، وهي قِسمان: جانبها القِبلي لآل محمد بن عمر من فصيلة (آل عامر) تَغْلب عليهم البساطة والسذاجة، فهم أَسْلَم آل كثير ـ اليوم ـ جانباً، لأنهم بِسَوْق الطبيعة، ولا يزيد عدد رجالهم اليوم عن عشرين. وجانبها الشرقي لـ(آل كَدَّه) من آل عامر أيضاً، ولا يزيد عدد رجالهم عن عشره. وكان فيها جماعةً من ذُرّيَّة السيد عيدروس بن سالم بن عمر بن الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، ولكن استأثرت بهم الغُرَبْ والمنايا، فلم يُبْقِ منهم باقية إلاّ

النساء. وكان ينتابها الشيخ عتيق باجبير، وهو رجل تقي نقي، صادع بالحق، آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، كثيراً ما يجابه الجائرين بقول الحق، لا يهاب ولا يداهن، وكان مع ذلك مضحاكاً مَزّاحاً، وله داله عظمى على الأكابر، وأصله من الحوطه[1] وله بها مسكن صغير؛ مَرّ الحبيب حسن بن صالح البحر تحته مرةً فناداه: يا حسن ألا تحب أن تزور الملك ـ يعني نفسه ـ في قصره؟ فقال له: بلى، ولمّا عزمَ على الدخول وكان الباب قصيراً قال له: طأطأى رأسك كما هي العادة في الدخول على الملوك، ففعل، ثم قدّم له طاسة من الفخّار تفهق بالماء وقال له: إشرب فإن هذا كأس الملك، وسيد الوادي يمتثل كل ما يقول بصدر مشروح وخاطر مبسوط. ولعتيق هذا نوادر منها: أنه أراد أن يختبر أهل بلاده (بحيره) وكان إمامهم وخطيبهم ومُعَلِّم أولادهم، فقال لهم: إن لي شغلاً يوم الجمعة في شبام، وأنتم بالخيار إمَّا أن تكْفُوْا أنفسكم بغيري يقوم بالواجب، وإمَّا أن تتركوها هذا الأسبوع، وإمَّا أَن نُقَدِّمَهَا يوم الخميس. فاختاروا هذه، فَجَمَّعَ لهم يوم الخميس، وقال في الدعاء: لكم الهجُّ والرجُّ والحصَا المُدَحْرَج. فقالوا: آمين. وقد ذَكَرَ غير واحد من المؤرخين أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يختبر طواعية أهل الشام بتقديم الجمعه، فَرَضوْا وصلاها بهم يوم الثلاثاء. ففيه قدوه ولكن ليست بالحَسنة لعتيق. ومن نوادره: أن أحد أعيان السادة آل أحمد بن زين الحِبْشِي، طلبَ منه أن يذهب معه إلى هَيْنَن، فرضي على شرط أن يعقبه على الفرس إذا تعب، وأن لا يأكل إلاّ ويدهُ معه، فلم يف السيد بالشرط، فركب فرسه على غفلةً منه وأقبَل على الحوطه، يصيح بنعيه فصلّوا عليه، واقتسموا تركته، ولبست ثياب الحِداد زوجته، ولمّا أقبل السيد يَقْضِمُ الأُرَّم عليه من الغيظ، عازماً على قتله لأخذه الفرس، وجد أَنْ الأَمْر أَدْهى وَأَمرّ، ولكن عتيقاً لاذَ بالمنصب فأدخله بين عِياله حتى سُوّيت المسئلة. ومرّةً دَعَا آل أحمد بن زين من الحوطة إلى سيون في رمضان للإفطار والعشاء عنده في أيام الخريف، ولمّا تتاموا في البيت ـ بعد أن نفخ القِرَب وأشعل النار في المطبخ ـ أغلق الدار عليهم وركب إحدى خيلهم إلى الحوطه حيث استجار بالمنصب. وقصة أُخرى، فقد كان أحدهم يتظاهر بالشجاعة، فتصوَّرَ له بصورةٍ مُنكرة يوهم أنه جنيٌّ، وتسور عليه الجابيه وصاح في وجهه، فخرج السيد عرياناً، فلاقاه مع جماعةٍ أَعَدَّهُم لَهُ، وقال

(١) حوطة آل أحمد بن زين.

له: أين الشجاعة التي تَدَّعيها؟. ومرة نادىٰ سيد الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر بصلح ما بين قبائل آل كثير بأسرها ولما فرغ المنادي من ذلك قام عتيق ينادي ويقول: حسن بن صالح عقد صلح بين القبائل على المساكين ليتفرغوا لهم ويفعلوا فيهم ما يشاؤن من التعدي والجسور، فأمر البحر المنادي أوّلا بأن يقول: ومن تعرض لمسكين فهو خارج عن الصلح. وكان الناس إذ ذاك يوفون الكلام ويبلغون الذمام، فمرّت الأيام بسلام. وله من الجُرأة على العلماء والكبراء في الممازح ما لا يُحْصَى.

فَلِلَّه من جانبٌ لا يضيعه ولِلّهو منه والبطالة جانبُ

هَدَّامه:

هي في شرقيّ بحيره لآل كَدَّه، لا يزيد عدد رجالهم اليوم عن ثمانيه. وحواليها كانت الحادثة الكبرى بين آل جعفر بن طالب من جهة وآل كَدَّه وآل محمد بن عمر من الأخرى، وفيها كان قتل عائظ بن سالمين بن عبد الله بن سعيد، في جماعةٍ من أصحابه. وإلى ذلك يشير باعطوه بقوله في رثائه:

جبل عرض له جبل من دون هدَّامه وتعاطبوا بالجِنابِي والرصاص السود

وسبب تلك الحادثه أَنَّ أَحَد آل كَدَّه أخذَ عِذْق خريف من نخل آل جعفر بن طالب، فقتلوا واحداً أو اثنين من آل كدّه، فغضب ابن عمر من قتل رجالهم في عِذْق، وأَصبَح برجاله على شِعْب آل جعفر بن طالب، فخرجوا عليهم فانسحب آل كده بانتظام وسقط منهم إثنان ولمّا بلغوا المِسْيَال أراد عائظ الرجوع لأنه قد ملك، فما أراد أن يسجح لا سيما وقد أصاب الغرض فأراد أن يُطفي، ولكن عَيَّرهُ بعض أصحابه وقال له: تريد القهوه عند غصون، وهي امرأته وكانت من آل عبدات، فتقدم بهم وكان آل كده تَمنَّعوا بكوتٍ لهم وبأكوام من الرمل، فحمل آل طالب بالسلاح الأبيض. وأراد سيدي عبد الله بن حسن بن صالح البحر أن يخرج بلوائه وطبوله ليحجز بينهم السيد عبد القادر بن حسن البحر فدعى عائض وما خرج إلا وقد جاءت الطامة، والخرائب إن أحد آل كدّه واسمه هويدي تماسك هو عائض بن صلح بن سالمين واثخن كل صاحبه وحُمِل هويدي إلى القارة بآخر رمق ولمّا دخل عليه الناس سأل عن عائض فقالوا: نحن نسألك عن نفسك وأنت تسأل عن عدوّك، قال: أما أنا فكم من بدويّة ستأتي بمثلي وأفضل

أما عائض فقد عقمت النساء أن تلد مثله، فقالوا له: هلك.

قال: طاب الموت لأن آل كثير سيموتون من بعده. ثم لم يلبث أن فاضت روحه.. فرحمة الله على أهل الانصاف فإنه عندي أكبر من قبولة عائض ولجدير بالنساء أن لا يعقُمن من مثل هويدي المذكور.

المحترقة:

هي في شرقي هدّامه، وهي المسماة في سابق الزمان بـ (أنف خطم) وفيها صدر الحُكم من رسول الله ﷺ بين المتنازعين في أرض منها، حسبما هو مُفصّل بالأصل. وفيها كان غدر (آل وَبْر) بولاة الحَوْل (آل الجَرْو) فلقد استأصلوهم قتلاً في سنة ٦٠٤ وما أفلت منهم إلاّ عشره، وآل وَبْر من هَمْدَان كانت مساكنهم بالجَوْف خَلْف صنعاء فنجع هؤلاء إلى حضرموت، وبه يتأكد ما نُقرر مِنَ الفَرْق بَيْن «نَهْد قُضاعه» و«نَهْد همدان» ووجود الفرقتين بحضرموت. وكان آل الجَرْو أمراء على (الحَوْل) ولهم خيل وحوَل وقوّة وشوكه، غير أن آل وَبْر أخذوهم بالحيله. وآل الجرو وآل باحلوان إخوه من أب وأُم، ونسبهم في كِنْدَه، ولا يزال منهم جماعة بحوطة آل أحمد بن زين من حضرموت، منهم صاحبنا الشيخ علي بن عمر الجرو، كان تاجراً ولكن عليه آثار الشهامه التي يُظهر بها سر انتسابه إلى الملوك، حتى في صوته الأجش، وكلامه الجزل، توفي بحوطة آل أحمد بن زين في حدود سنة ١٣٦٠ وكان أبوه من أهل الصدق الصالحين، وكذلك كان أخوه عبد الله بن عمر الجرو، ولعبد الله هذا ولد اسمه: صالح، ذكي أديب، وَفيُّ الذِمَام، صادق الكلام، مرضيّ الخلائق، محمود الشيم، له تجارةٌ بعدن.

وعلى مقربةٍ من هذا المكان كانت الواقعة الهائله المُسَمَّاة **(واقعة المحايل)** بين القُعيطي والكَسَادِي من جانب، وآل كثير وسلطانهم من الآخر، في سنة ١٢٨٥.

مسيلة آل كَدَّه:

هي واقعه في شرقي القروقر إلى الجنوب، فيها حصن الشيخ سعيد بن عوض بن كده، وهو حصن منيع رفيع إذا أُنِيْرَ أعلاه بالكهرباء ذكّرني بقول البحتري:

عالٍ على لحظ العيون كأنما ... ينظرن منه إلى بياض المشترى

وبما أن هذا من عيون الأشعار وفرائدها فقد تولّع الشريف الرضيّ باختلاسه، فقال:

عالٍ على نظر الأعداء يلحظهم لواحظ الصقر فوق المرءبا العالي

وقال من أخرى:

عالٍ على نظر الأعداء يلحظهم لواحظ الصقر فوق المرباء العلل

ثم كان الشيخ سعيد ليِّن الجانب، سهل الأخلاق، بعيداً من الشر، يحب قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، لا يرد مقترضاً قط، ثم إن أعاد له ما اقترضه وَثِقَ به، واستمر على قضاء حاجته عند كل طلب، وإن لم يَرُدَّ كانت الفيصولة بدون مطالبته فيما عنده. مات آخر سنة ١٣٦٠ وخلّف عدة أولاد غائبين، وما كان حاضراً عنده يوم توفي إلاَّ وَلَدان أحدهما صغير والآخر هو محمد بن سعيد، وكان من أَوْفَى الخلق ذِمَّة، وأصدقهم لهجةً، وأوفاهم عهداً ولكنها لم تطل مدته، بل مات وشيكاً بعد والده في سنة ١٣٦٢، فاستولىٰ على أموالهم رجل تواطأ مع قاضي سيوون ووزيرها، وأرضاهم حتى أثبتوا رُشْد ولد الشيخ سعيد الذي ذكرنا أنه صغير، والحال أن بينه وبين الرُشد مسافات فَيْح تلغب بينهن الريح، فناب ذلك الرجل عنه وعمل بوصية الحُطيئه، فتزوج مَخْلفة الشيخ سعيد عوض وأساء الصنيع، وخضم أموالهم خضمة الإبل نبتة الربيع، وليتهُ وقف عند ذلك الحد، بل ما كفاه حتى طرد ولد محمد بن سعيد عن حصن أبيه وجده، فأي مُحِبٍّ لا يشكو الألم، وقديماً كان يُقال من استرعَى الذئبَ ظلم.

عرصات عَزٍّ كان يذكر أهلها بالخير خَيَّم في رباها البوم

وقد أُتهم هذا الرجل بالمشاركة في قضية عُبيد صالح بن عَبَدات، فأصابه شؤبوب من البلاء الذي نزل به، فكسبوا حصن الشيخ سعيد من أجله وأخذوا شيئاً مما فيه، إلاَّ أنه استغل ذلك فاتهمهم بأكثر مما أخذوا ليبرر خيانته بذلك، ولكن الحقائق لا تخفَى عند البريء من الغرض.

ومافي مسيلة آل كَدّه الآن أكثر من خمسة عشر رجلاً. ومنها كان عامر بن كده قاتل عائظ بن سالمين وولده بشر بن عامر كان معمور الفناء، مفتوح الباب، ولمّا تراكمت عليه الديون وكان يُعطى لغرمائه عُهْدِة فوق عُهْدِه من حيث لا يشعر أحدهما بالآخر، ومَرَّ ذلك في سِتْر جُوْدِه وكَنَفِ سياسته حتى توفي في حدود سنة

١٣٦٢ فانكشف الأمر.

وفي جنوب **مسيلة آل كدّه** إلى جهة الغرب، مكان يُقال له (بارفعه) فيه شخص واحد من آل السقّاف، وجماعة من آل هذبول، ونحو عشرين رجلاً من آل عمر بن طالب. وإلى جنوبه مكان يُقال له (العادي) فيه نحو عشرة رجال من آل كدّه يرأسهم بدر بن محمد بن كده. وفي جنوبه إلى الشرق مكان (آل الوعل) فيه منهم نحو عشرة رجال، ثم مكان (آل فحيثا) فيه منهم نحو عشرين رجلاً.

الحاوي:

فيه جماعه من ذُرّيَّة السيد عمر بن علوي الحدَّاد، أخي القُطب الحداد. من أواخرهم الفاضل السيد جعفر بن طه الحدّاد وكان مضرب المثل في القوّة والأيد، حتى لقد اجتمع عليه أربعون من الصينيّين في (بتاوي) فهزمهم، وأثخن فيهم ضرباً ولَكْمَاً ولمّا رُفعت عليه الدعوَى قَضي له الحاكم الهولندي بالبراءه، وأنشد بلسان حاله قول المرأة:

تجمعتم من كل صوبٍ ووجهةٍ على واحدٍ لا زلتم قرن واحد

وكان يخرج بأثني عشر جملاً مُوْقِرَةً من عَدَن إلى مكانه **(الحاوي)** وحده لا يعينه أحد في حط ولا ترحال. وله أولاد كثيرون منهم السيد طه بن جعفر يكرم الضيوف ويفعل المعروف ويصل الأَرْحام ويواسي المنقطعين من الأَنام، وله محبة في الخيل ومهاره في ركوبها كسائر أسرته وأولاده، وهو الآن بجاوا في قرية تقرب من (بتاوي). ومنهم السيد طه بن علي، وصل الحاوي عمّا قريب، وهو رجل صالح مشارك في طرف من العلم، وقد سرّني لقاؤه في ربيع الأول من عامنا هذا بالحوطة، لأنه يناهز الثمانين، وقد أدرك الرجال وأخذ عنهم، فأطربني بأحاديثه الشهيه في أخبارهم حتى تذكَّرت قول العباس بن الأحنف:

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني شجوناً فزدني من حديثك ياسعدُ

ومما أفادني ذلك اليوم أنه قال: حضَرت ببتاوى مجلساً شهده كثير من أعيان العلويين ـ منهم الحبيبان محمد بن أحمد المِحْضَار ومحمد بن عيدروس الحبشي ـ فأنشد ولدي مشهور قصيدةً أثلجت خواطرهم، وملَكَت سرائرهم، واسْتَجْلَبت خشوعهم، واستمطَرت دموعهم، ولمّا سألوا عنها قال ولدي مشهور: إنها لك ـ يعنيني ـ قال: فأطنب الحبيب محمد المحضار في تفضيلك، والثناء

عليها وعليك حتى استغرق ذلك المجلس، وقد حضره جملةً من أصحابك، منهم السيد عبد الله بن أحمد بن طه بن علوي السقاف، وما أظن ذلك إلاّ قد بلغك من أحدهم؟ فقلت له: كلاّ، لقد تركّن في صدورهم من غربان الأحساد ما يمنعهم عن مثل ذلك، إذْ هم كما قال طريح بن إسماعيل الثقفي:

إن يسمعوا الخير أخفوه وإن سَمعوا شَراً أذَاعُوا وإن لم يسمعوا كَذَبوا

وكما قال الشريف الرضيّ:

إن عاينوا نعمةً ماتوا بها كمداً وإنْ رأوا غمة طاروا بها فرحاً

وهو الآن في ممباسا من السواحل الأفريقية، وقاضي الحاوي الآن هو السيد عبد الله بن طه الحدّاد، حسن السمت كثير التواضع.

وادي بن علي:

بما أننا ذكرنا بعض قُرَى وحصون السليل وكانت الحُوطة في جنوبه وهي آخر بلاد **وادي بن علي**، اقتضى الحال أن ننتقل إليه، ثم نعود لِما نزلَ عنه من باقي السليل. فوادي بن علي داخل في النجد الجنوبي كدَوْعَن ووادي العين وسَاه وما لفها، وهو أكبر أودية حضرموت حتى أنهم ليقولون: لا يضر بحضرموت جَدْب إذا أَخْصب كما لا ينفعها خصب إذا أجدب، وهو واسع الأَطْيَان والشِراج، **كثير القرى**، ونحن نذكرها على حسب مواقعها **متبدئين من أعلاه** الجنوبي، فأول قُراه (القيرح) دِيَار الزمالكه وآل **منيف**، ثم (عقدة الوهالين) ثم (البريكه) لآل ثابت، ثم (جروب البريكة). وهاته القُرَى والشِرَاج بين مَسِيْلَيْن للماء، أوسعهما الغربي وأمّا الشرقي فإنه ساقيتان بينهما العقبه ثم (الظاهره) ثم تلتقيان. وأما الغربي فمن ورائه قرى كثيرة من جنوبه إلى شماله: أولها (الخنم)، ثم (خموسه)، ثم (الظاهر)، ثم (ديار آل أمبارك)، ثم (عرض الريفة)، ثم (زهر الجنان) للسادة آل الحامد، منهم السيد الصالح الجليل صاحب المناقب الكثيره حامد بن حسن، ومنهم ولده محمد شهم نافذ في الأحكام فيصل فيها، ثم (باهزيل) ثم (ركبة محيصن) ثم (جروب آل جعفر) ثم (موشح) ثم (جد فرة الصيعر) ثم (السفوله) لآل سيف، ثم (بامحد) ثم (بامعدان) لآل عبد الله من آل مرعي بن طالب، كان منهم صديقي الوفي الشيخ طالب بن مرعي، رجل شهم مستوى السريره والعلانيه، إذَا وعد صدق، وإذا قال وَفى، ذهب مع ظلم

اليابانيين، وكان آخر العهد به ـ رحمة الله عليه ـ وله عدة أولاد نجباء، منهم محمد وعوض إلاّ أنْ الأول يتشدد في مبادي الإرشاديين[1] والثاني يتقيله، ثم (مسجد النور).

ومن وراء الساقيه الشرقيّه: (المصنعه)، ثم (ظلوم)، ثم (حبره)، ثم (النخش)، ثم (الروضه)، ثم (دِيَار الصُوَيْل)، ثم:

بلاد الغريب:

وقد كانت معمورةً، وفيها جامع وصدقات واسعه، وفيها الشيخ حارث باشراحيل جدّ (آل باشراحيل)، والشيخ عبد القادر باشراحيل وهو الذي بَشَّرَ بالحبيب أحمد بن زين وهو في بطن أمّه، ولموته قصة توجد في مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، وفيه أنه كان في شبابه على زي الجند حتى لقيه بعض السادة بتريم فقال له: إبن مَنْ أنت؟ فقال: إبن الشيخ محمد باشراحيل، فقال له السيد: حاشا محمد باشراحيل منك، فوقَعت من قلبه وجاء إلى «مسجد حارث» وآلى على نفسه أن لا يخرج منه إلاَّ بعد أن يختم القرآن، ثم كان من أمره ما كان. ومن بلاد الغريب ـ أيضاً ـ الفقيه أحمد بن عبد الله بن عمر باشراحيل من مشائخ الحبيب أحمد بن زيد الحبشي. وقد ذكَرت في الشحر أن آل باشراحيل يرجعون في النسب إلى عباهلة حضرموت، والدليل على ذلك قول العلامه المحقق الشيخ عمر بن عبد الرحمٰن صاحب الحمراء في مناقب شيخه العيدروس: وَجَدت بخط الشيخ أحمد بن محمد باشراحيل العبهلي الحضرمي، إلى آخر القصة التي رواها عن شيخه فضل بن عبد الله بن فضل التي لا يعنينا منها إلاّ قوله: العبهلي، والعباهلة هم المُشار إليهم بقول نشوان بن سعيد الحميري:

وعباهل من حضرموت من بني حمّاد والأَشْبَاءِ وآل صباح

قال في شرحه: العباهلة الذين أقروا على ملكهم لا يُزالون عنه، ومن ذلك كتاب رسول الله ﷺ إلى الأقيال والعباهله من آل حضرموت: وذو حمّاد وذو جَدْن بطنان من ولد الحارث ابن حضرموت بن سبأ الأصغر، وكذلك سبأ

(١) أعضاء جمعية الإرشاد في أندونسيا.

الحارث وهم الأشباء منهم محمد بن عمر بن عبد الله قاتل مَعْن بن زائده ببست. أهـ. وقد فصّلت مقتل مَعْن بالأصل. وفي سنة ٥٨٣ بُني مسجد الغريب وهو أول ما بُني في القريه.

ومن وراء **بلاد الغريب** إلى الشمال **(ديار آل عبود)**، ثم **(بلعقبه)**، ثم **(زبيد)** وهي دِيار وشِراج كانت لآل عبدات ثم غلبهم عليها آل مرعي بن طالب، وأخذوها منهم عنوةً بعقب قتال مُفَصَّل خبره بالأصل. ثم محل **(الصقعان)**، ثم **(جفل)** وهو مكان واسع فيه جملة قرى أولها من جهة الجنوب **(الجدفره)** لآل سلامه بن مرعي، ثم **(الجوه)** وهي حوطة الشريفة سلّوم بنت زين بن علوي بن أحمد بن هاشم المقبور بالحسيّسة، ثم **(سحيل الفُقرا)** فيه آل باشراحيل وغيرهم، ومن الإصطلاح أن من وضع السلاح يُقال له: تَفقَّر، وكان آل باشراحيل وضعوا السلاح ودخلوا في طريق التصوف فقيل لهم فقراء ونُسبت إليهم هذه القريه، وفيها أيضاً آل السقّاف منهم المرحوم السيد عبد الله بن أحمد بن سالم سبول السقّاف السابق ذِكره في الشِّحْر، وعبد الله هذا أحد صدور العلويين ووجهائهم بسنغافورا، توفي بها في أيام اليابان، وله ولد نشيط يُسمَّى عبد الرحمٰن وأكبر ما يُطلق (جفل) على هذه القريه مع أنها تُطْلَق أيضاً على الجهة عامةً، وفي تاريخ الطيب بافقيه[1] أن الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بلحاج والولي الصالح عبد الله بن عمر باهرمز توفيا فجاءة بيفل في سنة ٩٠٤، والناس ينطقونها بالياء (يِفل) حيث يبدلون الجيم ياءً. وقد بنَاها آل جميل السعديون بمساعدة آل يماني وآل أحمد والصبرات وآل ثَعْلب وصاحب مَرْيَمه وبعض آل كثير، وكان هؤلاء اتفقوا في سنة ٨٤٥ للقضاء على الدولة الكثيريه وحاصروا الحصن الذي بنته بالغرفة شهرين، فانتهز آل جميل تلك الفرصة وابتنوا قرية (جفل) بمساعدة أولئك، وكان ذلك في أيام السلطان عبد الله بن علي الكثيري المتوفي سنة ٨٥٠، وقال الشيخ محمد بن عمر باجمال في كتابه «مقال الناصحين»: حُكي أن السلطان عبد الله بن علي حاصر بني سعد بقرية (جفل) في رمضان، فناداه أحدهم وقال له: أهذه صدقتك! فارتحل عنهم. ويُحكي أنه أهدى فرساً لفاضل بالكروس السعدي، ولمّا أراد اللّحوق بأصحابه وهم حرب للسلطان ردَّ فرسه، وقال:

---

(١) مطبوع بتحقيق الأستاذ عبد الله محمد الحِبشي، ضمن منشورات مكتبة الإرشاد بعنوان «تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر».

حاشا لله أن أستعين بفرسه عليه. وقد ذكَرت لهذه أمثالاً كثيرةً في «بلابل التغريد» تستخرج الترحّم على أهل الوفاء من أعماق القلوب وصوادق الألسنه، وعلى ضدها ما جاء في الثورة العربيه أن الشريف فيصل بن الحسين تسلّم عشرات ألوف الدنانير من الأتراك في الليلة التي أعلن حربه عليهم من صبيحتها، وإني لأعجب ممن يُسمي الحسين المُنقذ بعدما شاع أنه أخذ المُسْلِمات من نساء الأتراك وهن متعلقات بأستار الكعبه وسلّمهن في جملة الأسرى للأنقليز مع أن الدولة العثمانية هي التي ربّت شحم كلاه. أقول هذا لا عن تعصب بل لو كانت بي محاباة لحابيته إذ لم يكتب لأحد بحضرموت غيري بنبأ تلك النهضة المشؤومه، ولكن الدين فوق كل عاطفه، ولئن صحّت الأخبار بأخذه نساء الأتراك القانتات المؤمنات على تلك الحال فما هو إلاّ أمر عظيم، فإنا لله وإنَّا إليه راجعون. وانظر فرق مابينه وما فعله الإمام يحيى فلقد أحسن وأفضل وأعان وأجمل ولم يخذل الدولة العثمانية عندما تقاصرت خُطاها بل ساعد بما أشرنا إلى قليل منه في الأصل مع ما بينهما من الأشلاء الممزقة والأرواح الذاهبة فلقد أخبرني العلامة الشيخ محمد بن علي بن طه الهتاري قال أخبرني خليل أفندي أمين صندوق الحديدة للأتراك في أيامهم أن الذين قتلوا في حرب اليمن من عساكر الدولة العثمانية يبلغون بالأحصاء الرسمي سبعمائة ألف وخمسين ألف قتيل، ولا بد بالطبع أن يقتل من اليمانيين ما يناسبهم، ولكن أطأرته الرحم الإسلامية، فحيّاه الله وبيّاه لقد أقتنى بذلك كمالاً وجمالاً وتأثّل به الشرف الخالد والأجر التالد وكانت له العاقبة الحسنه وبلغني أنه كان يثني على الشريف محمد بن علي الإدريسي بأنه لم يسلم أسيراً ولا شبراً من بلاده للأجانب على كثرة ما أبتز من خزائنهم من أموال.

ومن وراء جفل إلى الشمال (**حصن الرباكي**) وهو أطلال حصن داثر، بقلّة قاره شاهقة، فيها بير عميقه، وفي جانب تلك القاره غار يصل إلى البير كأنّ أحداً حاصر الحصن ولما أعياه حفر في جانب القارة حتى انتهى إلى البير فمنع أهله الماء. والقرائن منصوبة على أن هذه القاره هي (قارة الأشْبا)، ومنها بيت نشوان بن سعيد الآنف الذِكر. وقد جاء في تاريخ شنبل أن قاره الأشباء عند آل حسن، وهم من بني سعد كما سيأتي في الحوطه. وفي أخبار سنة ٨٠٨ أن آل جميل بنوا قارة الأشبا، وكأنّها خُربت سريعاً ففي «تاريخ شنبل» أن محمد بن علي بنَى قارة الأشبا في سنة ٨٢٧ وفي أخبار سنة ٨٤٠ أن الكثيري أخرب

(باهزيل) بجهة الغريّب والأشبا، وكانتا تحت يده يومئذٍ، فكل هذه الأخبار تُرَجِّح أنها هي هذه القاره، ولا يغبر عليه قول ابن الحائك الهمداني في «الصفة»[1]: ثم حَوْره وهي مدينه عظيمه لبني حارثه من كِنْدة ثم قارة الأشبا وهي لكِنْدَه. أهـ. فأنه قد يُفهم من هذا أن (قارة الأشبا) قريباً من حوره، ولكن يُجاب عنه بشيئين أحدهما أن الهمداني كثيراً ما يُخطىء في مواضع قُرى حضرموت وترتيبها كما فعل في النجير، والثاني: أن الأشبا منتشرون في وسط حضرموت وأسفلها وقد قال الهمداني نفسه في العجز ـ وهو أسفل حضرموت ـ إنه مقسوم بين الأشباء وبين حِمْيَر. وأخرى وهي أن الظاهر أن قرية الأشباء في أيامه كانت في أيدي أهلها الحضرميين نسباً، لا في أيدي كِنْدَه.

ثم **(رحابه)** وهي لآل عبيد بن مرعي، ثم **(سحيل غانم)**، ثم **(التبيقول)** وفيه حصن الشيخ سالم بن محمد بن **يماني** المثرِي الشهير، وقد أخبرني بسبب سفره من حضرموت وبما كان يؤمله يومئذٍ، أمّا سبب سفره فقال: مرّ ذات يوم جابري في ردائه قيد بعير يقعقع، فظنه والدي ريالات، وكان يهوَى الشر لقومه آل مرعي بن طالب الأقربين دِياراً من آل جابر فأطلق عليه الرصاص، ثم خفَّ هو وعمي عبد الله بن سالم فلما أكب الثاني عليه ليطعنه وبه رمق استل خنجره ومكنه من ثغرة عمي، وفاضت روحهما معاً. ولمّا عَرف أبي أن الذي طمعَ فيه إنما هو قيد بعير لم يحصل عليه إلاّ بثمنٍ غال وهو أخوه ندم وضاقت بي الدنيا، فسافرت وأنا أتمنى من الله أن أحصل في كل شهر على ثلاثين ريالاً فانثالت عليه الأموال ونَمَت، حتى بلغ إيراده الشهري من أجور عقاره بجاوا وسنقافورا ومصر ما يقارب ستين ألف ريال، وقد أخرجَ أبو نعيم في «الحليه» أَنْ قلَّ يوم إلاّ كان عمر بن الخطّاب يتمثّل بهذا:

وبـالـغ أمـرٍ كـان يـأمـل دونـه ومـخـتـلـج مـن دون مـا كـان يـأمـل

وهذا البيت منطبق برمته على الشيخ سالم، أما صدره فمما تقدم، وأما عجزه فقد عاش بحسرةٍ لقلّة الأمن بحضرموت وعندما بدأ ينبسط فيها مات. وحديثه معي عمّا ذَكَرْ كان أوائل سنة ١٣٣٠ ببتاوي. فربما يزيد أو ينقص لأن الحفظ يخون ولكنه لا يخرج عن ذلك المعنى (وقال الشيخ حسن بن ربيع لم

(١) ص ١٦٨.

يكن المقتول جابرياً وإنما هو ابن جوفان والصفواني من الجواده أطلق الرصاص عليهما محمد بن سالم وأخوه عبد الله فخر الصفواني قتيلاً ثم إن بن جوفان قتل عبد الله بن سالم ثم إن محمد بن سالم قتل ابن جوفان) [1] وكان للشيخ سالم ولد شهم شجاع هو الشيخ علي بن سالم بن محمد بن يماني له هِمّه عاليه، ورأيٌ جزل، وعنده مشاركة في بعض الفنون العلميه، لأنه أطال الإقامة في الحجاز، وثافن العلماء بمكة والمدينة، وقليل ما يحصل في تينك البلدتين خير من كثير ما يحصل في غيرهما، والنص في مضاعفة الصلاة ثابت وغيرها كمثلها، وكانت بيني وبين الشيخ علي بن سالم هذا صداقة متينه، ولمّا مات في سنة ١٣٣٧ اشتد بي الحزن عليه وكان من كتابي لوالده في التعزية به: إننا كنا نؤمل أن تموت ويعيش «علي» ليبني قصور المجد بما تأثلته من الأموال. فأجاب بما معناه إن الذي تتمناه كان نفس ما أتمناه أنا ولكنه لا خِيرة لأحد مع الله. ولمّا كانت ثروة الشيخ سالم لا تريد الشر وكان هو لا يتمناه حتى ولو أركب عليه، ولم يكن لاقفال الصناديق مفاتيح غير الحرب، أحب أخوه عبد الله أن يوقعه في الشبكه، وكان الشيخ علي بن سالم أراد أن يعود لمطلقته بنت ريس بن سعيد، فأبَوا أن يقبلوه فحمله عمه عبد الله أن يقتل الذي تزوجها في ليلة الزفاف سنة ١٣٢٠ فأخطأه وأصاب عبد الله بن عامر العاس، وكان في القوم جماعة من عبيد الدوله الكثيريه وجماعة من أصحاب عبيد صالح بن طالب وغيرهم من القبائل، نضح رشاش دمه في ثيابهم فظن عبد الله بن محمد والناس معه أن القيامة ستقوم، وأن الحرب ستنشب بين سالم بن محمد والقبائل الذين أخفر ولده ذمامهم، فلا تنغلق صناديقه أبداً، وكان سالم بن محمد يومئذٍ في طريقه إلى حضرموت فما هو إلاّ أن وصل واجتمع بالشيخ عُبيد صالح بن طالب، في دار مشعبي بالحُوطه، فَسُوِّيت المسئله، ولم تنتطح شَاتَان حسبما سَبَق طَرف من ذلك في القارة. ولمّا خاب أمل عبد الله بن محمد من هذه الناحية جاء ذات ليلةٍ إلى بيت أخيه سالم وقال له: إنني من جملة من لحقه العار بقتل العاس، فإمّا أن تُرْضِيني وإلاّ كان ما لا تُحْمَد عُقْبَاه، فلاينه الشيخ سالم وراوغه ثم ترك له الأرض من اليوم الثاني، وكان آخر العهد به، إذ توفي بعدن حوالي سنة ١٣٥٨ بعد أن ذرّف على التسعين. وللشيخ علي بن سالم ذِكْر كثير في الأصل.

---

(١) إضافة في النسخة رقم (ب).

وبحاجة الشيخ عبد الله بن سالم إلى طعن الجابري، ذَكَرت أن ابن المستوفي انتقد قول الشاعر:

ونطعنهم حيث الكلى بعد ضربهم ببيض المواضي حيث ليّ العمائم

وقال أنه مما لا يحسن الإفتخار بمثله لأنهم إذا لم يموتا بالضرب حيث ليّ العمائم، واحتاجوا إلى الضرب حيث الكِلَى أو حيث الحبا دل، ذلك على الضعف والخوف وعدم التمكن، وإنما الجيّد قول بلعاء بن قيس من بني ليث بن كنانه:

وفارسٍ في غمار الموت منغمس إذا تألّى على مكروهةٍ صَدَقَا

غشيّته وهو في جأواءِ باسلةٍ عضبا أصاب سواءَ الراس فانفلقَا

بضربةٍ لم تكن مني مخالسةً ولا تعجّلتها جُبنا ولا فرقا

وما أشبه ضربة بلعاء بقول قيس بن الخطيم الأوسي:

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ لها نقد لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

ومن وراء البريكه الواقعة بين المَسِيْلَيْن إلى جهة الشمال: (الحِذْبه)، ثم (القُوْز)، ثم (**العُقْدِه**) وهي سكن الشيخ جعفر بن سالم بن مرعي بن طالب، وله أشعار وأخبار بالأصل، وقد مات عن جماعة من الأولاد وهم: عمر وطالب ومرعي وسالم وصالح، أسنّهم عمر وكان مع السلطان عبّود بن سالم لمّا قُتل في (صيق العِجز) وهو مكان في غربي يبعث ينهر إلى حجر بن دغّار، وللشيخ عمر محاسن، ومن النوادر أنني وصلت وادي بن علي مرةً في شراء أخشاب فحملني ترجُّل النهار على أن مكثت عنده، فتلقّاني بالرحب وسألني عن مسائل في الطهارة والصلاة ثم قال: لقد رأيت البارحه أن جدك محسن بن علوي جاء إلى داري فجلس مجلسك، وسألته عمّا سألتك عنه فأجاب بنحو جوابك، ولمّا أراد الإنصراف دفعت له خمسة وعشرين ريالاً. وعلى الجمله فقد كان لي معه جميع ما جرى له في رؤياه مع جدي ماعدا الخمسه والعشرين الريال. وأما الشيخ طالب فقد كان أصدقهم لساناً وأبسطهم بناناً وأبيضهم جَنَاناً، وأملأهم جفاناً.

عَشِقَ المكَارمَ فَهوَ مُعتمِدٌ لها والمَكْرُمَاتُ قَلِيْلَةُ العُشَّاقِ

كلمة غالية، وهمم عالية، ووجه أبيض، وبنان مبسوط:

مجدٌ رعَى تلعات الدَّهْرِ وهو فتىً حتَّى غَدَا الدَّهْرُ يَمْشِي مَشْيَةَ الْهَرَمِ
بُنَاةُ بأسٍ وجُوْدٍ صَادِق ومتى تُبْنَى الْعُلَى مِنْ سِوَى هَذَيْنِ تَنْهَدِم

معمور الفِنَا، مفتوح الباب، مهزول الفصيل، يقصد بالآمال، وتُشَدُّ إليه الرِحَال. وَقُورُ الركْن، أصيل الرأي:

مَا تَمثّلْتُ مِثْلَ ذَاك الحِجَا المُعْر قِ في الحِلْمِ والسَّجَايَا العِتَاق
خالص الوُدِّ والتُّقَى فِي زمانٍ فَرَّخَتْ فَيه أُمَّهَاتُ النِّفَاق

لقد كان لآل كثير ركنَاً ركيناً وحصناً حصيناً، ولمّا مات في سنة ١٣٤١ افترق ملؤهم، واضطربَ حبلهم، فجاء موضع قول عَبَدة بن الطيب:

وما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ولكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وهو صاحب الضلع الأقوىَ في (حرب قَسْبل) المُفَصَّل خبرها في الأصل، وله جُملة أولاد أكبرهم: أحمد، لم يزل به أبوه حيَّ الذكر حاضر المعروف كما قال ابن مطير:

فتَى عِيْشَ في معروفِهِ بعْدَ مَوْتِهِ كما كان بعد السَّيْلِ مجراه مَرْتَعَا

وبما أن الكرام عرضة الإمتحان والبلاء، فقد أُصيب أحمد هذا بريح لا يزال منه أسير الفراش، ولكنه ممتّع بالعقل والحواس، وكل أَمْرٍ أهونُ من غيره، والله مع الصابرين.

حصن الشاووش:

هو رجل من آل مرعي بن طالب الكثيريين أقام زماناً بحيدر آباد الدكن من الهند، في خدمة النظام الآصفي وترقّى في المراتب العسكرية حتى انتهى إلى رتبة شاووش، فأفاد بها مالاً طائلاً. وأكثر ما يفيض الأموال على مثله هناك كالقُعَيْطي والعَوْلقي وغالب بن محسن، على حساب من تحت رئاستهم من العسكر، ولمّا وصل حضرموت أتجهت همته إلى الإصلاح بين آل كثير وتوحيد كلمتهم، وتأطيد الدولة الكثيريّه بهم، وبَذَل في ذلك الأموال الطائله بدون جدوى، إلاّ أنه استفاد شهرةً هائلة حتى أنه لمّا وصل إلى (سيوون) استقبله السلطان منصور بن غالب استقبالاً شائقاً، تزاحم فيه الأمراء على الإمساك بيديه في معرض استقباله حتى

اقتسموها، فكانت لأحدهما اليمين وللآخر الشمال، إلاَّ أن صاحب اليمين ندم، إذ مر أكثر الوقت وهي منتزعة منه لكثرة المصافحين. وبلغني أن الشيخ جعفر بن سالم والد الشيخ طالب بن جعفر وإخواه كان خازناً له [وكيلاً له] فأمره ذات يوم بأن يُكْثِر العطاء لمن لا يَؤُبَهُ من آل كثير فراجعه وقال له: إن هذا لا يُنِيخ ولا يثوّر، ولا يملك شيئاً من أمر الإصلاح، فعزله، وأضعف لذلك الصعلوك العطاء. وما زال كذلك حتى ضحك عليه آل كثير، وأتلفوا ماله بدون نتيجه. وفي أخبار الكسادي والعمودي من الأصل، أن آل عبد الله أمروا بنفوذ أربعمائة مقاتل في ٢٤ صفر سنة ١٢٨٨ لمساعدة العمودي وأكثر خرجهم من الشاووش بدر صاحب جفل، وفي أخبار الهَجْرَين أن الشاوش بدر وصل من الهند إلى عدن في سنة ١٢٨٥ وأنه متوجه إلى مكة بداعي من الشريف محمد بن عون والسيد فضل، وذلك لتدبير الحملة التركية التي سعى القُعَيْطي في فشلها بواسطة بعض العلماء من آل العطّاس فتم له ما يريد.

الحُوْطه:

هي مدينة وادي بن علي، وهي من قُدَامَى البلدان، وكانت قاعدة مُلك بني سعد، قال الملك الأشرف[1] المتوفي سنة ٦٩٦: وآل جميل ويُقال لهم بنو سعد، وليسوا من بني ضَنَّه، ومشائخهم عيسى بن جميل بن فاضل، وابن أخيه محمد بن نصّار بن جميل بن فاضل، ومن بني سعد: آل حسن ومشائخهم علي بن جميل بن حسن وابن عمّه عبد الله بن جميل بن حسن بن فاضل. أهـ. وكان نصّار بن جميل بن فاضل وهو أبو محمد السابق ذكره في كلام الأشرف، أحد كبار أمراء الطوائف بحضرموت، وكانت تحته (شِبَام)، وله غزوات إلى (دَوْعَن)، وإلى (تَرِيْم) وغيرها، وكان ظالماً إلاَّ أنه تاب على يد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وحجّ، ولم يتمكن من الزيارة، ولمّا وصل إلى (مأرب) مرجعه من الحج لاقاه أحد معارفه فلامه فعاد ليزور، فمات في أثناء الطريق.

ولبني سعد أخبار كثيرة في الأصل، ممزوجة بأخبار الغِزِّ ونَهْد وآل يماني وآل أحمد والصبرات وآل كثير، ثم لم يزل أمر آل كثير يَقْوَى وأمر بني سعد يضعف حتى صاروا سُوقَةً. وكان الحبيب أحمد بن زين الحِبشي داعياً إلى الله،

(١) «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» ص ١٣٥.

وجبلاً من جبال العلم، وركناً من أركان الإسلام:

عليه من النور الإلٰهي مسحة تكاد على أرجائه تتدفق

وكان بالغرفة[1] يصلي جماعةً في مسجد يُنْسَب لبعض الفقراء من أهل الغرفه، ويُدرِّس لهم العِلْم، فحصل من أولئك الفقراء المنسوب إليهم ذلك المسجد المُسمَّى بـ (الحَمَام) أذىً فتحمّله، وما زالوا يؤذونهُ حتى أخرجوه من المسجد، وأخرجوا كتبه، وتعرضوا لمن يتردد عليه، فلم ينزعج ولم يظهر منه إلاَّ الصبر والثبات، لكنه انتقل إلى الحوطة الغربيّه، وهو المكان المُسَمَّى بـ (البهاء) في غربي خَلْع راشد[2] وبنى بها مسجده وداره، ولم يزل يتردد إلى خَلْع راشد للتدريس في مسجد جدّه أحمد بن محمد صاحب الحسيّسه وهو أصل الجامع الموجود اليوم، وإلى شبام للأخذ عن علمائها. قال السيد علي بن حسن العطّاس في «سفينة البضائع»: جئت إلى شبام وأنا في نحو ١٤ سنه وقصدت عند الخال بكّار بن محمد بن أحمد بن عُقْبَه، وسرت أنا وهو إلى مسجد بن أحمد وفيه سيدي العلامه محمد بن زين بن سُمَيط، فبينما نحن جلوس وأنا بغاية الشوق للحبيب أحمد بن زين إِذْ دَخَل علينا كأنه البدر في تمامه، وعليه كساء فاخر أبيض: قميصان وعمامه وشال أبيض مُشجَّر بأسود. أهـ. توفي الحبيب أحمد بالحُوطه فجأةً في سنة ١١٤٤ ودُفِنَ بشرقي الحوطة الشرقية، وعُمِلَت عليه قبّة لم يتمكن الوهابيّة من هدمها لاستعجالهم مع نوع من المجاملة لآل كثير لأن بعضهم كان عَوْناً لهم على تنفيذ كثير من الأمور. وله عدة أولاد منهم: علوي وقد توفي بِشِبَام وكان أهلها يهابونه هيبةً عظيمةً، حتى لقد قال الحبيب عمر بن زين بن سُمَيط: لقد مات اليوم من يُسْتَحى منه، وآل شبام لا يُسَمَّوْنَ إلى اليوم باسم علوي إجلالاً له. ومنهم جعفر وهو الذي خَلَفَ أباه، له مظهر عظيم إلاَّ أنه من أهل الأحوال التي ينكرها الفقهاء بحق، وفي «المواهب والمنن» أن القطب الحداد ألبسه وألبس اخوانه مِراراً عديدةً، وكان الحبيب أحمد بن زين يزور القطب الحداد آخر عمره في كل سنةٍ فَيُلبِسَهُ ويُلْبِس أولاده، وكانوا كلهم أئمةً فحولاً علماء، سادة وقتهم ومكانهم ولمّا توفي جعفر بِخَلْع راشد خَلَفَهُ ابنه

---

(١) الغرفة: بلدة غربي سيؤن بنحو خمسة أكيال.

(٢) خَلْع راشد: بلدة في نواحي مدينة الغرفة وتوسعت من حولها الحوطه المنسوبة للإمام أحمد بن زين الحبشي فصارت المنطقة كلها تسمى الحوطه.

العلامة الجليل أحمد بن جعفر، فانتقل إلى خَلْع راشد، وكان له إثنا عشر إبناً:

بـنـو أَغَـرَّ مـن الأقـوام شـاد لـهـم ... مـجْـدَ الـحـيـاةِ وأقـنـاهـم إلـى الأبـد

يَـقُـفُـوْنَ مـنـه خِـلالاً كـلـهـا حـسـن ... إن عُـدِّدَتْ غـادرت فَـضْـلاً عـلـى الـعـدد

فابتنى لهم دِياراً في خلع راشد بعددهم، فتديروها[1]، ولم يبق من أعقاب الحبيب أحمد بن زين بالحوطة الغربيّة المُسمّاه بالبهاء إلاَّ القليل، ولمّا مات الإمام أحمد بن جعفر خَلَفَهُ ولده الفاضل: محمد بن أحمد المتوفي بخلع راشد سنة ١٢٥٣ وهو الشيخ الرابع من مشائخ سيدي الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر، وخلفه إبنه عبد الله بن محمد بن أحمد وكان فقيهاً نبيهاً على القيام بمنصبه، ثم نزل عنه لأخيه صالح بن محمد، وكان كإسمه صالحاً، وكان لا يتكلم إلاّ بالإعراب، ولذلك سَبَبٌ، وهو أنه وصل إلى بيت مفتي الشافعية بمكة السيد محمد بن حسين الحبشي أيام كان بالقنفذه، فسأل عنه باللغة الدارجه، فضحكت منه واستهزأت به بنته آمنه التي تزوجها بعد السيد علوي بن أحمد السقاف صاحب الحاشيه على «فتح المُعين»، فآلى على نفسه أن يتعلم النحو وأن لا يتكلم إلاّ بالإعراب، ولم يحنث، وكان أبيض القلب لا يعرف حِيَل آل كثير، حتى لقد ذهب مرّة للإصلاح بين آل عبدات وجيرانهم من آل عمر، فأجابوا على شرط أن لا يخرج أحد من داره إلا بخفير، فاقتنع بذلك ولمّا اجتمع بأخيه عبد الله قال له: أي مَعْنَى للصلح إذاً؟. وانتهى به بياض السريره إلى أن تفرَّسَ قُرْب أجله، فَسيَّرَ كُتباً للأعيان ـ منهم سيدنا الأستاذ الأبر ـ بيوم وفاته، وباتَ ليلتها يعظ الناس ويذكر أعيان زمانه بما فيهم، وممن فاز ببالغ ثنائه ليلتئذ الأستاذ الأبر وسيدي عبد الله بن حسن البحر، مع أن آل أحمد بن زين ينفسونهما ولا سيما الثاني، ثم مات من آخر تلك الليله، وعاد السيد عبد الله بن محمد إلى المنصبه. وكَانَ طَلَب العِلْم بمكة المشرفة. وكان يجعل الطلاق الثلاث باللفظ الواحد واحدةً فقط، وكنت أَسْتَشْكِل ذلك، لإجماع الفقهاء الأربعة على خلافه، حتى أمعنت النظر فيما قرره العلامتان: ابن تيميّه وتلميذه ابن القيم، فرأيت حُججاً تنقطع دونها ألسنة الإعتراض. ومع ذلك بقيت، لأن السَّادة الحنابله مع إعظامهم

(١) جاء في الأصل ما نصه: (كان بِناء الديار لا يكلف كثيراً حسبما يُعرف مما يأتي في حاوي تريم عن بِنَاء القُطب الحدّاد لأولاده).

لهذين الشيخين لم يوافقوهما على هذا القول، حتى رأيت ما ذكره الشوكاني في «نيل الأوطار» وقوْل الإمام الرازي في تفسير آية الطلاق من «سورة البقرة» إنهُ الأَقْيَس، فانشرح صدري لِذِكْرِي إياه لمن يسألني من العامه، وكذلك بلغني عن السيد عبد الله بن محمد أنه يُمنع طلاق الغضبان فقفَّ شَعَري أولاً، ثم رأيت ما ذكره ابن القيّم في «الزاد» وفي رسالةٍ أخرى مطبوعة إلى جانبها قصيده أنقتني لشاعر العراق معروف الرصافي، ومع ذلك فلم أجسر على تصويبه في ذلك، حتى صوبت النظر في قوله جلّ ذِكره: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقد رُوِيَ أن التوراة كانت سبعة ألواح، فلمّا ألقاها موسى تكسرت إلا واحدا فرفعت ستة أسباعها وفيها تفصيل كل شيء وبقي منها سُبعٌ واحد، فيه الرحمة والهدى. إلا أنه قد يغبر على هذه الرواية لو كان يقرّ بها حتى من رضاضها وقد قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ مع ما يوجد من الأحكام والقصص بكثرة في التوراة. ومهما يكن فلو كان الغضبان مواخذاً لِوَقَع موسى ـ عليه السلام ـ من ذلك في أمر عظيم لا يكفي للجواب عنه أن يُقال أن شرع من قَبْلَنا ليس لنا بشرع لأنه لا يُقال ذلك إلاّ فيما يتعلق بأصول الإيمان والدين، أمّا هذا فأنه مما يدخل تحتها، فالقائل بمؤاخذة الغضبان يلزمه من إساءة الأدب على موسى عليه السلام ما لا ينطلق به لساني، ولا يخلصه منهم قولهم: إنَّ لازم المذهب. والذي ينبغي أن يُقال به في طلاق الغضبان إجراؤه مَجْرى السُكْر فإن كان سببه مباحاً وانتهى بصاحبه إلى الحد الذي يُغطى على عقله أو يحوْل بينه وبين نيته لم يؤاخذ، وإلاّ أُوخِذَ وأمّا القول بالمؤاخذة على الإطلاق فجرأة على نبي الله موسى، وعثرةٌ لا ينبغي أن يُقال لصاحبها ـ لِمَا أقول قولي هذا ـ ببادي الرأي، مع وجوب إرجاع النظر واستئناف الغاية، لأن المسئلة كما قررنا: أصولية أو كالأصولية لا فروعية محضة، فلا ينبغي الاختلاف فيها. على أنه لا يزال في نفسي شيء من قول فقهائنا: أن شرع من قَبْلَنا ليس لنا بِشَرْع، وما كفاهم ذلك حتى زادوا الطنبور نغمةً بقولهم: وإن وردَ في شرعنا ما يقرره، لأن ذلك مع تقليله لكثير من فوائد قصص التنزيل وأخباره لا يتفق مع قول الله تعالى في «الأَنْعَام»: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ ومخالف لقول النبي ﷺ في كسر رباعيّة الرُّبَيِّع نبت معود «كتاب الله القصاص» ووجه المخالفه

أنه لم يرد القِصَاص بالسِنْ إلاَّ في الكلام عن غير هذه الأمّة حيث يقول جلّ وعزّ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ الآية. وكان السيد أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحِبْشي أحد العلماء المحققين، وكان على رأي ابن تيميّه في جعل الثلاث باللفظ الواحد واحدةً، وكان له إتصال أكيد بسيدنا الحسن بن صالح البحر، وقد أفتَى مرّة بتوحيد الطلاق ممن نطقَ بالثلاث في لفظ واحدٍ، فاشتد النكير عليه، حتى انعقد لذلك مجلس بدار الحبيب البحر تقاطر له العلماء من (دَوْعَن): ومن (تَرِيْم) وما بينهما، ولم ينفصل الأمر بأثر المناظرة مع السيد أحمد بن جعفر إلاَّ بتسليم ما قال. وكأنَّ ذلك حدثان وصول «نيل الأوطار» للشوكاني إلى حضرموت، ومع ذلك فلا أجزم بأن الإقتناع كان لذلك إذْ يُحتمل أَنْ يكون في صيغة الطلاق ما يعود عليه بالإبطال على المذهب الشافعيّ، والله أعلم.

وفي النفس شيء مما في شرح «الراتب» نقله الشيخ عبد الله باسودان عن السيد يوسف البطّاح الأَهْدَل، من حصول التثليث مثلاً بِقَوْل المُصلِّي في الركوع: سبحان ربي العظيم وبحمده، ثلاثاً وفي السجود مثله أَخذاً من حديث سبحان الله وبحمده عَدَد خلقه، والذي لا أشك فيه أنه كلام أجنبي تبطل به الصلاة فضلاً عن أنْ تحصل به السنّة. ثم رأيت العلاّمة السيد محمد بن عبد الرحمٰن الأهدل نقلَ عن شيخه محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل عن السيد عبد الله بن يحيى بن عمر الأهدل مثل ما ذكرته من بُطلان الصلاة بذلك، وكفَى بهؤلاء حُجَّةً، فللّه الحمد على التوفيق.

وكان السيد أحمد بن جعفر يقوم من مجالس أصحابه ومدارسهم إذا سمع بما لا يوافق مشارب الوهّابيّة، ثم صار يُنكر عليهم أحياناً بلسانه، ولكنه لم يصبر حين أنشدوا الإذكار في المسجد على نغمات الدُفوف، ولم يتمالك أن نهض لتكسيرها فلبجوه لبجاً شديداً، ذهب منه مغاضباً، إلى (خشامر) عند آل الشيخ علي جابر الوهابيين، وما أدري أبقي بخشامر إلى أن مات أم راجعه قومه، ولو كان ذلك في عهد سيد الوادي الإمام البحر لوصلَ إليه لينصره.

توفي الحبيب عبد الله بن محمد بن أحمد الحَبشي في محرم سنة ١٣١٤ وخَلَفَهُ على المنصبه: السيد صالح بن أبي بكر بن محمد الحبْشي، وكان شهماً

شجاعاً إلاَّ أنها لم تطل مدته كثيراً بل توفي في حدود سنة ١٣١٨ وله أخ إسمهُ علي توفي بالصَرْع على أثره في منتصف رمضان من تلك السنة، وأخ آخر اسمه محمد توفي سنة ١٣٢٩ وانقرض كلهم من الذكور. وبعد وفاة السيد صالح خلفه السيد سالم بن طه الحبشي، وكان فاضلاً مضيافاً إلاَّ أنه كان لَيِّن العريكه، وفي أصحابه شراسه فتهضّموه، وبقي على المنصبه حتى توفي سنة ١٣٣٤ وخلفه عليها السيد عبد الرحمٰن بن حسن بن شيخ إلى أن توفي سنة ١٣٣٦ ووقَع اختيار آل أحمد بن زين ومنصب الحدّاد على السيد عمر بن عبد الله بن محمد بن أحمد الحِبْشي، وكان فكهاً أديباً له نوادر وولع كثير بالأغاني والأوتار، وله تهجد واتصال بالسادة الأَخْيَار، ولهذا ذَكَرت في تأبينه ما جرَى بين معاوية وإحدى نسائه في عبد الله بن جعفر، فلقد سمعته في أغانيه بين جواره وأصحابه فقالت لمعاوية: تعال فهذا الذي أنزلته بين جلدك ولحمك كيف يفعل؟ فسكت، ولمّا كان من آخر الليل سمعه يرتل آيات القرآن فأنَّبَها وقال لها: تعالي فاسمعي مكان ما أسمعتيني. على أن لي في الأوتار كلاماً لم أسبق إليه، فصَّلته في الفائدة (٢٤) من «بلابل التغريد». وكانت وفاة السيد عمر بن عبد الله في آخر جمادي الآخرة من سنة ١٣٦١ وخلفه السيد علي بن عبد الرحمٰن الحِبْشي وهو رجل لطيف، شديد التواضع، جميل الأخلاق. وكانت منصبتهم ولا سيما في أيام السيد محمد بن أحمد وولده عبد الله، عبارةً عن دولة قاهرة وسلطان نافذٍ، إلاَّ أنها لم تخل من شيء من الاستطالة، أمّا الآن فقد تلاشى نفوذها بما كان من تداخل الأجانب بحضرموت.

وفي الحوطه بقايا من بني سعد، وآل وبر، وآل الجرو، وآل مشعبي، وآل باشراحيل، وآل باطاهر، وآل سُمير، وآل التوي، وآل بشير، وآل غانم، وآل باسيف، وآل جَوْبَح، وآل مَرْبَشْ، وآل الجريدي وغيرهم.

أرباض الحوطة:

وقد علم مما سبق أن الحوطة في آخر حدّ وادي بن علي الشمالي، فأرباضها من مثاوي آل كثير داخلةً في حدود السليل. أما (حاوي) آل الحدّاد، فبأزائها إلى الجنوب. وفي شرقيها إلى الشمال ديار لآل عمر بن سعيد، تتلوها ديار لأُناس من آل عمر بن سعيد أخرى إلى شمالها، وفي شرقي هذه قرية تُسمَّى بـ (الفغوه) للمشائخ آل باوزير، إلى جانبها ضريح السيد صالح بن

عيدروس البحر والد سيد الوادي الإمام حسن بن صالح. وحوالي الفغوة من الجهات: حصون لآل كثير ونخيل منتشر، وفي جنوبها حصون (آل سلامة) بن جعفر بن طالب، كانت لهم قبولة حادة مشوبة بكثير من التعدي والبغى، حتى لقد كان جعفر بن عبود بن عون ـ وهو من أواخرهم ـ يخطف صبيان المساكين ويبيعهم على بني أرض، وهم يبيعونهم على من يذهب إلى القبله والحجاز، وقد حاق به بغيه حتى مات في سجن الحكومة الكثيريه. وحصلت بينهم في الأخير مشاغبات وفتن داخلية فأثخنتهم، فقلُّوا وذَلُّوا، وما كاد أمر الأنقليز يستفحل إلاّ وقد انتهوا من الانحطاط إلى قراره.

ذي أصبح:

هي من قدامَى بلدان حضرموت، لها ذِكْر عند الهمداني وغيره، وكان بها كثير من الإباضيّة كما ينطق بذلك ما سبق في شبام من شِعر إمامهم إبراهيم بن قيس. أمّا الطيِّب بامَخْرَمة فلم يزد في كتابه «نسبة البلدان» على قوله: **وذي أصبح** قريه بحضرموت لآل باعبّاد. أهـ. وصَدق في قوله لآل باعبّاد فكل من أراد أن يبني بها لا بد وأن يأخذ إِجَارَه منهم، لأن أراضيها من جملة أوقافهم، ولكنها قد اندثرت وجُهِلت مقاديرها وكثير من بقاعها، والجامع الموجود الآن بها من بناء المكرم عون بن سعيد **بن رواس** السابق ذكره بالحزم. ومنها كان العلامه الجليل الشيخ عبد الله بن **سعد بن سمير** وهو الشيخ ١٩ من مشائخ سيدي الأستاذ الأبرّ، توفي سنة ١٢٦٢ وخَلَفَهُ عِلْماً وصلاحاً ولده العلاّمه سالم بن عبد الله، وكان السيد عبد الله بن عمر بن يحيى جعله وزيراً للسلطان عبد الله بن محسن بن أحمد حينما كان نائباً عن أخيه غالب في أوائل دولتهم، واشترط عليه أن لا يخرج عن رأيه وأن لا يخلو بأحدٍ إلاّ وهو معه، فبقي على ذلك مدةً يطالع السيد عبد الله بن عمر فيها بكل ما يجري، ويُنَفِّذ كل ما يُشير به عليه ولكن السلطان عبد الله لم يقدر على ذلك فنقضه. ثم إن الشيخ سالم بن عبد الله بن سمير توجه إلى حاوا ومات بتاوي في سنة ١٢٧٠.

وبذي أصبح سكن قُطب الجُود وكعبة الوفود: سيدنا الإمام حسن بن صالح البحر، وكان علَم هدى، ومصباح دُجَى، ومناط آمال، وحمّال أثقال، وغُرّة زمان، وحِرْز أمان، ومَعْقَل إيمان؛ عَقَل الدين عَقْل وعايةٍ ورعياة لا عقل تدريسٍ ورواية، أما العِبادة فيبيت صافّاً قدميه إذا استثقَلَت بالمؤمنين الوسائد.

يَبِيْتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَن فِراشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلتْ بالغَافِلينَ المضاجِعُ

فلو زُلزلت الأرض زلزالها لَمْ يشعر بشيء مع استغراقه بالتهجد، ولقد جرت له في ذلك أخبار لا نُطيل بها، من جنس ما وقع لابن الزُبير إِذْ صَبُّوا على رأسه الماء الشديد الحرارة وهو ساجد فما أحسَّ به. وكان عتيق باجُبير ـ السابق ذكره ـ ممن لا يجازف قيد شعرة في تصوير الرجال، فصلَّى مرةً خلف الحبيب حسن بن صالح ومعه المنصب السيد محمد بن أحمد الحِبْشِي وأخوه صالح، ولمّا فرغوا من الصلاة قال لهم عتيق: لقد قدّرت أن واحداً نثر أمامنا صُرَّةً من الريالات ونحن نصلي، وقلت في نفسي أما حسن فلن يشعر بها أصلاً، وأمّا صالح فَسَيُطَاعِن عليها، وأمّا محمد فسيجمَع بيديه ويقول سبحان الله سبحان الله. فبكى محمد وقال له لقد جعلتني شرَّهم إذ تلك سِمَة المنافقين، وما تَفَرَّسَهُ عتيق هو عين الحقيقه، أمّا الإمام البحر فقد زمّت التقوى أموره، وامتلك الإحسان شعوره، فما هو إلاَّ مَلَكٌ في المعنَى وإن بقي إنساناً في الصوره:

فمـا دهْـرهُ إلاّ جـهـادٌ يـقـوده لإخـقـاقِ حـقٍ أو صـلاةٍ يُـقِـيْـمَـهـا

كلما حَزَبه أمر فزع إلى الصلاة فيصير عندها الجبل الخشام كرمل الفلاه، وأَمَّا الشجاعة فقد رادىَ جبال الجور فأزالها، وكان لهاشمٍ في النجدة مثالها:

رسى جبلاً في الدين فهو بنصره إذا ما تراخَى الصادقون مُكلَّفِ
ترى مَلَكا في بردتيه وتارةً ترى الليث من أعطافه الموت ينطفِ
إذا سار هزّ الأرض بأساً وقلبه إذا قام في المحراب بالذكر يرجفِ
يلوح التُقَى في وجهه فكأنه سَنا قمرٍ أو بارقٌ يتكشفِ

فكثيراً ما قاد الكتائب للطعان، ونصب صدره للأَقْرَان، فلقد صد عادية قوم في غربي شِبَام جاؤوا ليجتاحوا حضرموت وأوقعَ بهم شرّ هزيمه، وقد أشكل عليّ أمر أولئك إِذْ لا يمكن أن يكوْن المكارمه الذين جاءوا في سنة ١٢١٨ والناس يقولون إنهم الوهابيّة، ولكن بعض أهل حضرموت يُطلقون على المكارمه الباطنيه لَقَب: الوهّابيه، لأنهم لا يفرقون بينهم على ما بينهم من البون، فالصواب كما يُعرف من بعض المسودّات أنهم المكارمه جاءوا هاجمين مرةً أخرى غير الأولى فَكَسَرهُم، ولكن الذي نقله والدي عن الأستاذ الأبرّ أن بعض آل كثير قاوموا الوهابيّه وساعدهم بعض السادة، وحملوا السلاح، وجُرح السيد شيخ بن عبد الله

الحِبْشِي جرحاً خطيراً فشفاه الله بدعاء سيدنا الحسن، ولم يفصح سيدي الوالد فيما كتبه بأن أمير القوم إذ ذاك هو سيد الوادي مولانا الحسن البحر، ولكنني سمعت من لسانه ذات المرّات أنه هو، وقد مرّت الإشارة إليه في حوره. وكان سيدنا الحسن البحر لا يقر على كَظّة ظالم، ولا على سغب مظلوم، ولقد جمع كلمة (الشَنَافِر) بعد جهدٍ جهيد، على رد الحقوق وإقامة الحدود، وأَخذَ منهم الرهائن والعهود حتى توجه على رئيسٍ منهم قِصَاصْ في قَتْل، ولمّا صمم على استيفائه احتال بعضهم على امرأة المقتول ـ وكانت أجنبيّة ـ فَعَفَتْ، فدخلَ الوَهَن على تلك الجمعيّة لأن أكثرهم بسطاء لا يفهمون، ولو أنه أَطّلع على قول بعضهم بِتَحَتُّم القِصَاص إذا التزم الكاملون من الورثه بنصيب القاصرين أو الذين يَعْفَوْن من الدِيَه، لأخذ به، لأنه مع قوة عزيمته كان من أهل الاجتهاد والترجيح، وكان لا يقوم لِغَضَبه أحدٌ إذا انتهكت حُرمةُ الله أو أُعتُدِي على من لا ناصر له سواه، وكان لا يخاطب عبد الله عوض غرامه ـ فمن دونَهُ من الرؤساء في المعتبة ـ إلاَّ باسمهِ مُجَرّداً عن كل صفة، يَسْكُت لِغَرامه على آرائه الوهابيّة ـ لأن بعضها يوافق ما عنده من تجريد التوحيد ـ ولكن لا هوادة له عنده متى انبسطت يده في ظُلْمٍ أو جَوْر، فهو ركن الإسلام وموءِل الأَنَام:

ترى الناس أفواجاً إلى باب داره ... كأنهم رِجْلاَ دَبيّ وَجَرادِ

قلّما تجد جذعاً من النخيل الحافة بداره إلاَّ مربوطاً بها ـ في أيامه ـ حصان أو حمار. ولقد رأى كثرة الوفود مرّةً ببابه فخرجَ بمنجله يحتطب ثم جاء أمامهم بحزمةٍ على رأسه وقال لبعض خاصته: لقد أعجبتني نفسي فعمَدت إلى وقذها، وما زال بها حتى أماتها كما فعل إبن الخطّاب. وإنْ كان ليقوم بالمصحف في الجامع فقال له السيد عقيل الجفري ـ وكان آيةً في الإخلاص والنصح ـ: نعم هذا لو كان في بيتك. فما أجابه إلاّ بقول ابن الفارض:

فابثثتها مابي ولم يَكُ حاضري ... رقيب بقا حظ بجلوة جلوتي

قاقتنع إذ كان لا يختلجه أدنى رَيْب في صدقه. وبحق يقول فيه الإمام أحمد بن محمد المِحْضَار:

ومن ذي صُبح أصبح ... وذِبَاح بها يَذْبح

وطباخ بها يطبخ ... وبو صالح بها ينطبخ

بلا عَجَبٍ ولا كِبرِ

وكان في الجود آيه، وفي الشفقة بالأَيَامَى واليتامَى والعفاف غايه، وإن كان جاهه الضخم ليدر عليه في أواخر أيامه بالأموال الطائله فلا يبيت عنده دينار ولا درهم، وكاد مع وِقَار ركُنه وهيبة جانبه يطير طرباً عندما تمثّل له جَدِّي المُحسن بقول جويبه بن النضر:

إنَّا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلَّت إلى طرق المعروف تستبق

لا يألَفُ الدِّرهم المضروب صُرّتنا لكنْ يَمُرُّ عليها وهو منطلق

لأن ذلك حاله رضوان الله عليه لا ينزل مكاناً إلاّ عَمَّهُ نوراً وملأ قلوب أهلهِ سروراً:

جودٌ يُحرِّك منه كلَّ عاطفة ورحمةٌ رفرفت منه على الأمَمِ

ومن أمثلة تحننه على الفقراء والمساكين أنَّ جدِّي المُحسن طلب يد بنته بَهِيَّه فعمل لهم ضيافةً حسب العاده، وبينا هو في انتظارهم اطلّ من النافذة فإذا الدار محفوف بالنظارة من المساكين فأمر بادخالهم وتقديم الطعام لهم؛ ثم لمّا أقبلَ جَدِّي بخيولهِ ومركبه وطبوله استأنفَ لهم الذبائح والطبخ. وله من هذا النوع أمثال كثيرة.

مناقِبُ يبديها العيانُ كما ترى وإنْ نحن حَدَّثْنا بها دفع العقلُ

يُعَظِّم أهل الدِيْن ويُكْرِم الفقراء والمساكين، وإن كان الأغنياء والأمراء في مجلسه لأَذَلَّ مَنْهُمْ في مجلس سفيان الثوري. وأخرج أبو نعيم بسنده إلى عيسى بن يونس قال: ما رأينا للأغنياء والسلاطين في مجلس قط أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم. ولئن صَحَّ هذا أَوْ لاَ فقد جاء العيان بسيد الوادي فأَلْوَى بالأسانيد، وقد اعترف السيد أحمد بن علي الجنيد بالعي عن وصف ما شاهده من أعماله واجتهاده في سفره، وهو بذلك جدير إِذْ الإمام البحر أكبر من قول أبي الطيب:

لم أجر غاية فكري منه في صفةٍ إلا وجدت مداها غاية الأبد

وكان جَدِّي المحسن كثيراً ما يقول: إننا لا نعني الجوارح إلاَّ بطريق المجاز عندما نقول: اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا، وأمّا على الحقيقة فلا نقصد إلاّ حسن بن صالح وأحمد بن عمر بن شَمَيْط وعبد الله بن حسين بن طاهر فهؤلاء الثلاثه هم أركان الإسلام والشّرف لذلك العهد، ولله در البحتري في قوله:

فأركانهم ركان رَضْوَى وَيذْبُل وأيديهم بأس الليالي وجودها

وقد كان بينهم من الودِّ والوئام ما يُشبه اختلاط الأرواح بالأجسام وكل واحدٍ منهم: أُمَّه، تنكشف به الغمه، كما قال أبو عبادة:

لعمرك ما كانوا ثلاثة إخوةٍ ولكنهم كانوا ثلاثَ قبائل

ولئن كانت المُفاضله بينهم من التسوُّر على الغيب، وهو قبيح، ومن إساءة الأدب. لأن من دون ذلك العقبات الْكَأدا والفلوات الفيح، فقد أدركنا مشائخنا يتحدثون من مناقبهم بما يملأ الصدور ويبهر العقول، غير أنهم لا يعدلون أحداً بسيد الوادي البحر لا في جُوده وشهامته، ولا في غيرته لله وقوة ثقته به وصدق توكله عليه، ولا في تعظيمه لأوامره وتفانيه في مواقع رِضاه. وذَكَرت عند هذا شيئين أحدهما ما رواه غير واحد أن الإمام أبا حنيفه سُئِلَ عن الأسود وعلقمه وعطاء أيُّهم أفضل؟ فقال: والله ما تدري إن أَذْكُرهم إلاَّ بالدُعاء والاستغفار إجلالاً لهم، فكيف أُفاضل بينهم؟. هذا ما يقوله أبو حنيفه عن هضم للنفس فيما تحال، وإذا نحن قلنا نحوه في أمثال هؤلاء فإنما نتحدث بالواقع ونُخبر عن الحقيقه، لأن الحُكم بالشيء فرع تصوره، والأمر كما قال البوصيري:

فورى السائرين وهو أمامي سبل وعره وأرض عراء

والثاني ما ذكره ابن السبكي في «طبقاته» وياقوت في مادة «الْمَقْدِس» من «معجمه» وغيرهما عن بعض أهل العلم قال: صحبت أبا المعالي الجويني بخراسان ثم قَدِمْت العراق فصحبت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة الجويني، ثم قَدِمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعاً. أهـ. وقد ميلت بين الجويني والشيرازي في «العُود الهندي» قبل اطلاعي على هذا بزمان طويل بما لا يبعد عنه، وما ظني بالراوي لو اطّلع على ثلاثتنا إلاَّ تفضيلهم إن لم يكن من جهة الغزارة في العِلْم فمن جهة التقوى وقوّة الدِيْن:

فما كان بين الهضب فرقٌ وبينهم سوى أنهم زالوا وما زالت الهضب

وكَلاّ والله لم يَزَالوا، ولكنهم انتقلوا فَمَوَّلوا، وقد جاء فيما يقولوا:

وإذا الكريمَ مضَى وولّى عمره كَفِلَ الثناءُ لَهُ بِعُمْرٍ ثاني

وما أحسن قول أبي القاسم ابن نافيسا في رثاءه لأبي إسحاق الشيرازي:

إن قيلَ مات فلم يمت مَنْ ذِكرهُ حيٌّ على مرّ الليالي باقي

والله أعلم بحقائق الأمور والمُطلع على ما خفي في الصدور، ولمّا توفي في سنة ١٢٧٣ بقرية (ذي أصبح) عن عدة أولاد لم يَرِثْ حاله منهم إلاّ ولده عَبْدِ الله، وكان يُسمّيه: قُرّة العين بسبب أنه وصل له مال دثر، فقال لأولاده: خذوا ما شئتم، فكلٍ أخذ من الريالات ما يقدر على حمله إلاّ عبد الله فأنه اقتصر على طلب الدعاء بالثبات على الإيمان فقال له: قَرَّتْ بكَ عيني يا ولدي، فأَطْلَق عليه ذلك اللّقب من يومئذٍ، فكان هو خليفته ووارث سِرّه.

أبقىَ لنا العباسُ غرة ابنه مرأى لنا وإلى القيامة مسمعَا

لقد كان رُكن إسلام، وطَوْد تقوى وعمود محراب، وثَمالِ أَيَامَى وموئِل يَتَامَى ومعاذ مظلوم وحامي حمىً وحارس حدود:

مزايد نفسٍ في تُقَى الله لم تدع له غايةً في جِدِّها واجتهادها
فما مالت الدنيا به حين أشرقت له في تناهي حسنها واحتشادها
لِسَجّادة السُجّاد أحسن منظراً من التاج في أحجاره واتقادها

لقد كان يستجهر الناس بوسامه، وما على جبينه من آثار القبول وارتسامه ولا سيما إذا قامَ في محفلٍ يُذَكِّرهم بالجلاله، بوجهٍ جميل عَالِيه جلاله وتغشاه من الأنوار هاله:

من البيض الوجوه بني علي لو أنك تستضيء بهم أضاؤا
هُمُ حلُّوا من الشّرف المُعلَّى ومن كَرم العشيرة حيث شادوا

تزيده تلك السجادة نوراً، فتمتلىء بمرآة القلوب سروراً، وما زال كأبيه عَلَم المهتدين، وأسوة المقتدين ومنهل الشاربين ومأمن الخائفين حتى دعاهُ الحمام وهو يردد كلمة الإسلام بقريته ذي أَصْبح في سنة ١٣١٩ عن غير أولاد ذكور، وكانت صُغْرَى بناته وموضع رعايته واحبّهنّ إليه هي زوجتي الْمُعِمَّةُ المُخْولة إذْ كانت أمها هي البرة التقيه رَقْوان بنت سيدنا الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر المتوفاة على أبلغ ما يكون من الثبات على الإيمان في الحجه من سنة ١٣٦٢:

تخيرتها من بنات الكرام ومن أشرف الناس عَمًّا وخالا

وهي أم أولادي حسن ومحمد وعيدروس وأحمد وعلوي وشقائقهم

الموجودون اليوم، وقد مات لي منها (بَصْري) واشتد حزني عليه ورثيته بعدة مراثٍ توجد بمواضعها من الديوان، و(عليٌّ) ورثيته بمرثاةٍ واحدة، وأكبر وَجْدي عليه لأنه جدّدَ الجروح التي لم تكن لتندمل على بصري:

فما سرّ قلبي منذ شطت به النَوى ... نعيمٌ ولا كأس ولا متصرّف
وما ذقت طعم الماء إلاّ وجدته ... سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات إلاّ تكلّفاً ... وأي نعيم يقتضيه التكلُّفُ

وقد أشرت في بعض مراثيه إلى تكذيب زهير بن جناب في قوله:

إذا ماشيت أن تنسَى حبيباً ... فأكثر دونه عدد الليالي

ومما صغَّر المعرّي في نفسي قوله:

فأني رأيت الحزن للحزن ماحياً ... كما خط في القرطاس رسم على رسم

فله اليوم منذ قضَى سبع وعشرون عاماً والجرح عاند والصبر يعاند. ولا أزال أتمثّل بقول البهاء زُهير:

فيا مَن غابَ عَنّي وهو رُوحي ... وكيفَ أطيقُ من رُوحي انفكاكا
يَعِزُّ عليَّ حين أُديرُ عَيني ... أُفتّشُ في مكانكَ لا أراكا
ضَممتُ على ودَادك في ضميري ... وليس يزال مختوماً هُناك
فوا أسفي لجسمِك كيف يبلى ... ويذهبُ بعدَ بهجته سَنَاكَ

ويعجبني قول ابن الرومي في رثائه ليحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن علي:

مضى ومضى الفراط من أهل بيته ... يؤم بهم ورد المنيّة منهج
فلا هو نَسَّاني أسايَ عليهم ... بلى هاجه والشجو للشجو أهيج

وقول المرار العدوي:

لم ينسني ذكركم مذ لم أُلاقِكُم ... عيش سلوت به عنكم ولا قدم

وقد مات لي منها أيضاً غير هذين، ومع فرط الحزن فلم نتدرع إلاّ الصبر، ولم نستشعر إلاّ الرضا، ونحتسبهم عند الله فرطاً وذخراً، ونرجو بهم مثل ما رآه

مالك بن دينار عن بنته في الدار الأخرى:

وهوّن بعض الوجد عني أنني أجاورهُ في دارة اليوم أو غدا

وقد أشرت في بعض المراثي إلى أن نصيبي من الرحمة كان أوفر، وأن حظها من الرضى بقضاء الله كان أكثر، وهي والله كما قال حسّان:

حَصانٌ رَزَان ما تُزَنُّ بريبة وتُصْبحُ غَرْثى من لحوم الغوافل

راضية بعيشها، قانعة برزقها، مصونة في قصرها، من اللاَّءِ يقول في مثلهن الفرزدق:

رَجُعٌ ولَسْنَ من اللواتي بالضحى لِذُيُولِهِنَّ على الطَّريق غُبَارُ

وكما يقول قيس بن الأسلت:

ويكرمنها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فَتَعْذِرُ

وليس بها أن تستهين بجارةٍ ولكنها من ذاك تحيي وتخفر

وقول عليّة بنت المهدي:

فما خرقت خفا ولم تبل جورباً وأما سراويلاتها فتمزق

أي لشدة لزامها من فرط الصون والعفاف. قائمة بحق ربها صالحه في دينها، على جانب واسع من المعرفة والأدب لا يعرض لها حال إلاَّ تمثَّلت ببعض بيت إذ كان عندها مئات الأطراف من الأبيات ولكنها بالأكثر لا تستوفي البيت حفظاً ولا تقيمه لحناً، غير أنها متى أنشدت بجملةٍ منه ذكَّرتني بباقيهِ فأنشدته إن حضرت. وكانت إحدى بناتها ـ وعندها شيء من العلم ـ لا تقتدي بها، تزعم أنها لا تُحسن الضاد بل تبدلها ظاء، ولكن أكثر أهل العلم كما ذكره ابن كثير في تفسيره على اغتفاره. وأنا وإياها ولله الحمد في عيش طيب وبال رضيّ وسكون تام ومودة ورحمة واسترسالٍ وموازره لا نختلف في شيء قط من أمر الدنيا، وإليها ـ مع أنها أميّة لا تكتب ولا تحسب ـ أمر البيت كما قضى رسول الله ﷺ بين عليّ وفاطمه، إلاَّ أن من شأنها بَطْءَ الحركة ومن طبيعتي الاستعجال، وهي مبتلاة بضياع المفاتيح ـ وكلها في يدها ـ فكثيراً ما أعدم حاجتي عند طلبها وقد تقصر عن فهم إشارتي، ولا تستوضحها اعتماداً على فهمها أو خشية أن تقطع عليَّ فكراً أو كتابة أو مطالعة، من أمثلة ذلك: أنه

وردني ضيف بعدما ترجل النهار فأشرت بذبح جَدْي لا تزيد قيمته عن أربع روبيات، فذهب وَهْمُهَا إلى شاة تزيد عن ثلاثين وأدخلوا اللحم على حاله لم تُؤَثِّر فيه النار؛ والرابعه أنها لا تلوم أحداً من أولادها إلاّ كنت معها عليه ومتى انعكست القضية كانت معه البلاّ عليّ مع اعتقادي أني مصيب في الحالين. أما من هذه المواضع فإن الشيطان يجد السبيل المهيج فيذكي جمرات الغضب ويثير معركة النزاع ويقف مع النظّارة ولا تسل عمّا يجري حينئذٍ، وربما يكون أول المعركة العتب الجميل لشيء صغير من أنواع ما تقدم فيحصل في الاعتذار لونٌ من التلبيس فعند ذلك يشتعل الوطيس ويبلغ ما يريده الشيخ إبليس. ومن سيآتها أنها لم تغرس لنفسها هيبةً في صدور أولادها تعينها على ما يجب على الأم من التأديب والتثقيف والتعليم والتهذيب. بل تُلقى لهم الحبل على الغوارب فلا تعاتب أحداً على تقصير ولا تزجره عن إساءة أدب ولا تكلف أحداً بعمل ينفعه عند الحاجه، فهي تسيء إليهم من حيث تريد الإحسان، غير أنه يَكِفُّ من ثورتي عليها لذلك قول الإمام مالك: الأدب أدب الله لا آداب الآباء والأمهات، وقول الشعرانيُّ: لقد كنت في عناء من تأديب ولدي عبد الرحمٰن حتى وكّلت أمره إلى الله فصلح أو ما يقرب من هذا. ومن جراء ذلك: إستهانة الخدم بأوامرها؛ ولطالما أشرت عليها أن تعزم عليهم بعصر الباذنجان الأحمر ـ لأني أكره قشره وبذره ـ فلم يفعلوا يوماً مّا، وإنه ليأتيني في كل وجبةٍ بقشره وبذره على ما لا أحب، فإما أن تكون مستخفة بعتبي على شدته في بعض الأحيان وإما أن يكون الطهاة غير مبالين بأمرها وإرشادها، ومهما يكن من الأمر فأن إفراطها في المياسرة مع رعيتها قد أتعبنا وإيّاها وأدى إلى حالة جسيمه لا تحتمل ولا سيما في تدبير أمر البيت، لأنني أجعل تبعة تقصيرهم عليها بحكم قوله ﷺ: والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها. ومتى عاتبتها وأجابت بما لم ترعو عنه من الأجوبة البارده أصعبت لها القول وناشبتها الشر، فزاد النكد واشتد التعب، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومن النوادر أنني لمّا ذاكرتها مرّة بقضية الشاة تنصّلت من الذنب وأحالته على شوم ناصية الضيف وقالت: قد جاءك مرّةً وبعثت في شراءِ لحم له فأنسى الرسول ثم استأنفت رسولاً فجاء به متأخراً واقتضى الوقت إدخاله عليه في مثل حال لحم الشاة، وأخرى: وهي أن سروات النساء يقصدنها للمشاورة في أمورهن فيحمدن عاقبة رأيها لهن، ولكني لست كذلك ولئن وُجِدَ عندي ضعف في مشاورة النساء عندما تكلّمت على انطلاق

خديجة برسول الله ﷺ إلى ورقة بن نوفل في كتابي «بلابل التغريد» فما هو إلاّ من هذه البابة. وأسأل الله أن ييسرني وإيَّاها وأولادنا لليُسرى، وأن يجنبنا وإياها العسرى، وأن يجمع لنا ولهم بين خيرات الدنيا والأخرى، وأن يحسن عاقبتنا وعاقبتهم في الأمور كلها، ويجيرنا وإياهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأن يبارك لي فيها وفي أولادي ولا يضرهم، وأن يجنبنا وإياهم الشيطان ويرزقنا بِرَّهُمْ، وأن يطيل لنا ولهم الأعمار في خير ولطف وعافية وثبات على الإيمان بمنه وجوده.

وأكثر سكان (ذي أصبح) من الحالكة، والأكره، وكانوا يبلغون أربعمائة نفس، ولكن الأزمة اجتاحتهم، فلن يبلغوا اليوم الأربعين، فهي خاوية على عروشها بعد تلك العهود وازدحام الوفود:

أَقْوَتْ فلم أذكر بها لمّا خلت ... إلاّ منىً لما تقضّى الموسمُ

ولقد أراها وهي عرس حقبةً ... فاليوم أضحتْ وهْيَ ثَكْلَى أَيِّمُ

نسأل الله أن يعمر الديار بأهلها، وأن يديل حَزْنَ الأيام بسهلها.

الشِعب:

هي قرية تحاذِي ذي أصبح في جنوبها؛ بسفح الجبل الواقع عن يسار الذاهب غرباً في الطريق السلطانيه[1]. فيها جماعة من آل كثير يُقال لهم (آل جعفر بن طالب) تنتهي إليهم زعامة آل كثير، منهم عبد الله بن سعيد، ثم ولده سَالِمِيْن بن عبد الله الذي يُضرب به المثل فيقال: (سَالِمِيْن في الخرابه) وشرحه أَنَّ آل كثير انهزموا في حربٍ بينهم وبين يافع، وركبت يافع أكتافهم، ولكنهم لم يقدروا على خرابةٍ كان فيها سالمين بن عبد الله هذا، وكلَّما هَمُّوا بالهجوم عليها وقيل لهم: سالمين في الخرابه، تراجعوا. وخَلَفَهُ ولده صالح بن سالمين، ثم أخوه عائظ بن سَالِمِيْن وكان جَمْرَةَ حربٍ، شجاعاً، وَهَّابَا نهَّابَا، لا يزال منه آل شِبَام على وجلٍ إذ كانت غاراته تَتْرَى على ضواحيها، وهو كما قال الشريف الرضيّ:

لا يأمن الناس من ممساه ومصبحه ... إن يغزُ يؤذي وإن لم يغز ينتظر

---

(١) الشِعب: من قُرى وادي بن علي، مديرية شِبام يقال لها (شِعب أحمد) نِسْبَةً إلى العلامة الكبير أحمد بن زين الحبشي، لأنها مجاورة لقرية (الحُرْمَة) المعروفة باسمه: موطن أحمد بن زين.

فلمّا مات جاء موضع قول الشريف الرضيّ:

فقل للعداء أمناً على كل جانب من الأرض أو نوماً على كل مرقد
فقد زال من كانت طلائع خوفه تعارضكم في كل مرعى ومورد

وبه تأطدت دولة (آل كثير) وانتشرت لها ـ به ـ دعايه قويّه جداً، حتى لقد كان ذِكْر الصُلح بين القُعَيْطي وآل كثير أكبر الغدر والعار في أيامه، وهكذ تفعل الدعايات في تكبير الأمر وتفخيمه. ونظيرَهُ ما انتشرت به الدعايات اليوم لفلسطين، مع أن غيرها من بلاد المسلمين لا يقل عنها أهميّه وخطراً، ولم يكن لها ولا مِعْشَار صدى فلسطين، كالمسلمين في الحبشه وجاوا وليبيا وغيرها. ومع أني لا آمَنُ أن يكوْن في الفلسطينيين من يُوْطِىءُ مناكبَ قومه لليهود، بل رأيت في العدد الصادر ١٣ رجب من هذا العام ـ أعنى ١٣٦٧ـ من «أخبار اليوم» أن عمدة سمخ ورئيس اللجنة القوميّه فيها حضر لدى المسؤولين وقال: أعطونا مالاً وذَخِيرة وبنادق، وإلاَّ فسنضطر إلى التسليم. ولمّا أعطوه باع الذخيره والبنادق لليهود، ومن ذلك العدد أيضاً أن سمخ ـ وهي قريه عربيّه ـ باعتها اللجنة القوميّة فحررتها الجيوش السوريه، على حين لم يبق إلاَّ أطلال. ولهذا فإني لا أخلو عن ظن سيء بمن تقدمَت في تاريخه مع المسلمين نقاط سوداء، وأرى أن لا أمل فيمن لا يستمد نفوذه أو إمارته إلاَّ من الأجانب، لأنهم من أعرف الخَلْق بشراء الضمائر، فلن يُنَصِّبُوا ولن يُرَشِّحُوا إلاَّ من يملأ هواهم ويتابع رضاهم، ويتفيأ حيثما مال ريحهم، ويدور حيثما دارت زجاجتهم، حتى لقد عَزَمْت أَنْ أَبْرِق إلى عزَّام باشا ـ لنوع تعارف بيننا ـ بما هذه صورته: إنِّي لأحذِّركم أن يكون جيشكم تمام العشرين ولكن:

تكنفني الوشاة فأزعجوني فيالله للواشي المُطاع

ولا سيما بعد أن فسَّرت لهم معناه، وما أُشير به إليه. ومهما يكن من الأمر فالمستقبل كشَّاف الحقائق، والفشل مأمون، والنصر بِشَرْطِهِ مضمون، ولكنه بيد الله يؤتيه من يشاء، وإنما الواجب على الزعماء والصحفيين وغيرهم أن يشرحوا الوقائع ناصعةً، ويُلزموا كل طائرٍ عنقه، ويذكروا المُحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وإلاَّ ساء الظن بهم أجمعين. ومن اللطائف: أنَّا كنا يومًا نتذاكر مساعدة فلسطين، فقال لنا بدوي من آل كثير اسمه محمد بن سالمين: ولم هذه

المساعده؟ قلنا له: إن اليهود يريدون الاستيلاء على بلاد العرب. فقال: أوليس النصارى مثل اليهود، وقد سعَى بعضكم أيها الساده في بيع حضرموت عليهم والثمن مع ذلك منهم لا من النصارى. فكان جواباً مسكتاً.

رجعنا إلى عائظ بن سالمين، كان القعيطي حريصاً على محالفته بما شاء، فلم يفعل. وكيف يفعل وللدعاية ذلك التأثير العظيم يومئذٍ؟ وكان على سنة العرب في إكرام الضِيْفَان، ونَقْل الجِفَان وإغلاء الكرام، وتوفية الذِّمَام، وبه كان صَدْعُ آل كثير مُنْشعباً، ووَهْيُهمْ منجبراً، وشَتُّهم مجتمعاً، يسعى بذمتهم أدناهم، ولا تزال مطيته مرحولة، لرتق فتوقهم، وإصلاح شؤونهم، وهم أتبع له من الظل، وأطوع من الخاتم. ولمّا كان الهاجريُّ أدناهم إلى شبام - مع قلة المال والرجال - جعلَ إليه الخَفارة، فكل من أخذ منه شفرة أو نحوها أَمِنَ بها، ومَرَّ على رؤوس العفاريت، قُتل في سنة ١٣٠٨ بعد أن:

مَلأَ الزمان حَوائجاً ومنائِحَا ... خبطاً بِبُؤسٍ في الرجال وأَنْعَمِ
فغدت عَرانِين العُلَى وأُكُفُّها ... من بين أَجْدَعِ بعدهُ أو أَجْذَمِ

وسَبَبُ قتله أن أحد آل كدَّه أخذ عِذْقَ خريف من نخيلهم فقتلوه، فكبر عليهم قتل ولدهم في عذق خريفٍ، ولا سيما بعدما عيَّرهم سماسرة شِبَام، فكمنوا ليلةً على مقربة من الشِعْبِ، وفي الصباح أطلقوا عليه البنادق، فخرج عليهم عائظ بأصحابه، وأردى منهم اثنين واستلبوهُما، ولمّا كادوا يصلون مِسْيَال (سَرْ) الفارق بين (بحيره) و(ذي أصبح) كفَّ عنهم، وكان الصواب فيما فعل، ولكن أحد أصحابه كان شريراً مع منافسته له فقال له: تريد القهوة عند غصون؟ (وهي امرأته من آل عامر أصحاب آل كدّه) فَحَمِي، وتقدم بهم، وقد تستر آل كدّة بأشجار الأراك، وأكوام الرمل، وجاءتهم نجدة آل محمد بن عمر، فأَصْلَوْهُم ناراً حاميةً، فعمد عائظ وأصحابه إلى السلاح الأبيض، وما زالوا يتناحرون حتى حجز بينهم السيدان عبد الله بن حسن البحر، وعيدروس بن حسين العيدروس، ولكن بعدما قتل من آل كدّه ومن لفّهم سبعة ومن آل جعفر بن طالب ثلاثة عشر قتيلاً، وثلاثون جريحاً، وكانت هذه الحادثه على مقربةٍ من (هدامه) كما مَرَّ فيها، وعظم المصاب على آل كثير بمقتل عائظ، لأن رُكْبَهُمْ من بعد اصطكَّ، وأيديهم تخاذلت، بل وعلى يافع لأنهم شعروا باستغناء القعيطي عنهم من بعده. ووقع رداؤه على: عُبَيْد صالح بن سَالِمِيْن بن عبد الله بن سعيد، وهو ابن أخيه وكان

مديد القامه، كبير الهامه:

سبط البنان إذا احتبى في مجلسٍ فرع الجماجم والرجال قيام

ومعنى سباطة البنان هنا طولها لا سماحها، وكان قَويَّ العارضة، يخلط الجدَّ بالهزل، فيتَّقي الرؤساء لسانه، ولا يبقى لأحد معه كلام، ولم يكن له هم ـ بعد عمه ـ إلاّ تغيير تلك السياسه ومصالحة القعيطي، فَغَزا شبام بآل كثير، فأنذر بهم رَيِّس بن محمد المُلَقَّب (عَبَلّه) عن أمره ـ فيما يقال ـ لتتمهد له الوساطه في ذلك، وكانت النهايه انبرام الصلح. والأخبار في ذلك والماجريات بين السيد حسين بن حامد المحضار وعُبَيْد صالح وبيني وبينهم طويله، وفي الأصل منها الشيء الكثير. وهو أقوَى من عمه عائظ في الحجه وأهيب في المنظر، وأرجح في الحجا، ولكنه أقل منه في النجدة والجود، وقد قصر كلامه في آخر وقته، فَقلّت هيبته، وضعفت زعامته، وعجز عن أخذ ماله من ثارٍ عند آل عامر وعند آل بَلِّيْل الذي يلي هذا، ومن بقايا حظه أن مات في ستر الله في حدود سنة ١٣٥٣ قبل أن يصل آل كثير إلى الحد النهائي من التخاذل والإنحطاط، وإلاَّ لحلَّ به ما حلَّ بهم، ومع انتهائهم إلى القرار من المهَانة بحضرموت فإن لهم جمعيّة بـ (بتاوي) من أرض جاوا يرأسها الشيخ سالمين بن علي الكَثِيري، وأحرّ أنْ يُناط بها الأمل، ويُرْبَط بها الرجاء، إذا سَلِمُوا من التحاسد، أَمَّا المطامع فما أظنها تصل بهم ـ كما وصلت بالجمعيتين السابق ذكرهما قبيل القَطْن ـ لِمَا لدَى أكثرهم من الثروه.

بلِّيل:

هو من وراء ذي أصبح والشِعْب إلى الجهة الشرقية، يسكنه آل مرعي بن سعيد ومرجعهم إلى الفخائذ، وهم وآل بدر بن سعيد وآل جعفر بن سعيد ـ أصحاب جعيمه ـ على رجلٍ واحد، وهو سعيد بن علي بن عمر، وقيل أن علي بن عمر ـ هذا ـ أخ لِيَمَاني بن عمر وعامر بن عمر وفلهوم بن عمر وإنما دخل في الفخائذ من آل عون بالخؤلة. وكان في آل مرعي ـ المذكورين ـ حُكَّام مُبَرِّزون من أواخرهم: عوض بن رئيس بن جعفر بن عبود بن بدر، وكل آبائه المذكورين من حكام حضرموت حتى لقد ذكروا أن آل عَجّاج وآل ثابت من نَهْد، وهم أراكين الأحكام في حضرموت، وردوا على جعفر بن عبود فقدموا دعاويهم

إليه، وكان في أثناء جوارهم يكثر الإلتفات من النافذة إلى فخ له بالأرض منصوب لليمام، فعاتبوه، فقال: إني لا أسمع الكلام بعيني ولكن بأذني وهي إليكم، وفي الأثناء وقعت يمامة في الفخ فخرج وذبحها، ونصبهُ ثانياً وأصاخ إلى حوارهم حتى انتهوا من الدعاوى والأجوبة وإقامة الحجج وعَرْض الوثائق، قَدَّم لهم الغداء وقال لهم: استريحوا. وبعد أن انتهوا وأبردوا فريضة الظهر وأبروا استأذنوه في الإنصراف، وطلبوا موعداً ليعودون فيه للرسائل، وكان سودها في أثناء استراحتهم فأعطاهم إيّاها، فتعجبوا من قوة حفظه وحدة فهمه وحُسن توفيقه، فاقتنعوا، لأن العدل مُقْنِع. فَلْتُضم هذه إلى ما سبق في (الظاهره) و(جعيمه). ومن متأخريهم العلاّمة الفاضل الشيخ عبد الله بن سالمين بن مرعي، كان يكتب لي من الهند ويرفع لي منها الأسئلة العلميه، توفي رحمة الله عليه بحيدر آباد الدَّكن وترك ولدين فاضلين: سليمان ومحمد. ومن آل مرعي ـ أيضاً ـ الشيخ عوض بن جعفر بن مرعي، جمع ثروة لا بأس بها، ولكنه لمّا وصل حضرموت في حدود سنة ١٣٣١ أسرف فيها بالجود حتى فنيت، فسافَر وتغير عقله وانطبق عليه قول العنبري:

ما كان يُعطى مثلها في مثله إلاّ كريم الخيم أو مجنون

وقول حبيب:

له خلقٌ نهى القرآن عنه وذاك عطاؤه السرف البذارُ

ومن وراء **بليل** شرقاً مكان **آل البرقي**[1] ثم مكان **(آل كَحِيْل)** ثم **(الغييل)** لآل عمر بن بدر، وكانوا قبيلة خشنةً، ولهم قبوله حاره حتى لقد كانت بينهم وبين آل بابكر حروب أَرْدَوا في عشيةٍ واحدة سبعةً من آل بابكر، ثم ما زال بهم الظلم والاعتداء على ضعفاء السوقه والقبائل، وعلى أوقافٍ لهم أهليّة، حتى قلَّ عددهم، وافترق ملؤهم، ولم يبق منهم بحضرموت اليوم إلاّ نحو العشرين رجلاً، أسَنُّهمْ رجل لئيم نيَّف على التسعين جمَع ثروةً لا بأس بها، إلاّ أنها بكلها أو جلها من الرِبا الذي لا يزال ـ مع هذا السن ـ في إصرار عليه حسبما يقال، ويتعالم الناس بأن النخيل التي تحت يده مشتركاً بينه وبين أخيه عبد الله، وأن هذا هو الذي اشتراه والوثائق ناطقة، ولكن عبد الله جُنّ ثم مات ولم يترك إلاّ

(١) يُقال له (ديار آل البرقي)، وهو قريه أكثر اتساعاً وعمراناً من قرية بَلَيل.

ولداً صغيراً، منعته أمه المنازعه لخوفها عليه أن يقتله عمه، فآثرت روحه على ماله لأنه لو نازع لذهب الإثنان.

بابَكِرْ:

هو في جنوب الغييل إلى شرق، فيه فرقتان من آل عَبَدات، وهم: آل الطمل في جانبه القبلي، وآل علي بن عمر في جانبه الشرقي، منهم الشيخ عبد الله بن عوض بن ناصر، صَلِيْبُ رأس، وحميُّ أنف، وغالي كلام، وأصيل رأي، ورجيح عقل، وهو الذي عمر الروضة بشحوح ابن يماني، تزيد مساحتها عن ثلاثين ألف مطيره، باعتبار المطيره ستة أذرع في مثلها. وكان ممن أمضى على الوثيقة التي تتضمن اعتراف الموقعين عليها بالتبعيّة للدولة العثمانية الآتي خبرها في سيوون وإنما ذكرته بالخصوص ـ مع كثرة الموقعين عليها ـ لأن كلهم لم يمض عليها إلاّ رغبة، وأمّا هو فقد أمضى عليها دِيْناً، وذلك أنني اجتمعت به في غَرضٍ، فسألني عنها، بعدما غَضِبت منها الحكومة الانقليزيه، فطلبها ليمضي عليها، فقلت له: ربما يلومك عمر عُبيد بن خالد بن عمر أو حفيدك عوض بن عزان بن عبد الله عوض، أو تنال أولادك مشقة من الانقليز بسنغافورا أو عدن، فأخذه زَمِعٌ وقال: أَوَفي دِيْن الله وسُلطان المسلمين الذي ندعوا له على المنابر محاباة أو وليجة؛ والله لو أن الأنقليز تذبح أولادي أمامي ما انحَجزت عن التوقيع عليها، فأمضى عليها وبعثنا بنسختها إلى قائد الجيوش العثمانية بِلَحْج علي سعيد باشا، فلم تصله إلاّ بعد إعلان الهدنة. توفي الشيخ عبد الله عوض في حدود سنة ١٣٤٢ عن عمر قارب فيه المائه، وله أعقاب كثيرة بحضرموت وجَاوا، منهم ولده الشهم الكريم، والعربي الصميم عزّان بن عبد الله، كانت له محاسن ومكارم وصلات أرحام.

وقد جرت بين آل **بابكر** وآل خالد بن عمر حروب، بسبب أن محسن قاسم اشترى بيراً يُقال لها (بن بقيل) فقال عمر عبيد: نحن أولَى بها، وحمَل أخاه صالحاً على أن يشتد في ذلك، ليسوغه ما شاء من الأموال، فطالبوا بها بحكم العادة القبيليه لا الطريقة الشرعيّه، وكان بينهم ما فصّلناه بالأصل، وكان إيراد محسن قاسم ـ وقتما كنت بجاوا سنة ١٣٤٦ـ لا يقل عن خمسة عشر ألف روبيه هولندية شهرياً، ثم ذَهَبت أدراج الرياح، وصار أبناؤه تحت رحمة المحسنين.

الحول:

قد عُلِمَ مما مرْ في المحترقة أن إمارته كانت لآل الجَرْو إلى أن غدر بهم آل وبر، ثم سكنه آل باعبّاد، وكان في الأخير لآل الفاس. وفي الصلح الأخير ما بينهم وبين آل خالد بن عمر تحوّل للأَخِيْرِيْن، في قصص منشورة بالأصل، وأخباره ممزوجة بأخبار الغرفه. وهو الآن بخلوه من السكان عِبْرةً للمُعْتَبِرِيْن.

الغُرْفَه :

هي على مَقْرِبةٍ من «بابكر». وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن عَبَّاد المشهور بالقديم، المتوفي سنة ٦٨٧هـ عن إحدى وسبعين عاماً، أول من بَنى غُرْفَةً بسفح الجبل الذي يطل عليها وحفر عندها بيراً سمّاها «غُرفيّه» لا تزال تُملأ منها جوابي مسجد علي بن عبد الرحمٰن إلى الآن، ثم زاد الشيخ محمد بن عمر بن محمد بن عبد الرحمٰن في بناء تلك الغرفه حتى صارت دَاراً، وكان ذلك في سنة ٧٠١هـ ثم انتقل إليها ولده الشيخ عبد الله بن محمد بن عمر، من شِبَام، بعائلته وتلاميذه وابتنوا بها جامعاً. وكان لآل باعَبَّاد مَنْصِب عظيم عليه، بإشارة الفقيه المُقَدَّم ـ على ما يروى كان إنبناء دولة آل كثير حسب ما فُصِّل بالأصل ـ وقال الطَيِّب بَامَخْرَمة: الغُرفة قريه معروفة بأعلى حضرموت، ذات نخيل ومزارع، بها فقراء صالحون يُعْرَفون بآل باعَبَّاد، ومن مشائخهم الكبار ومشاهيرهم: الشيخ الكبير العارف بالله عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن باعَبَّاد، وهو أول من اشتهر بالتصوف بحضرموت، له ذُرِيَّة وفقراء أخيار صالحون، دُفن بشبام، وتُرْبَته من التُرَب المشهورة المقصودة بالزيارة من الأماكن الشاسعة، ومنصبهم من أعلى مناصب حضرموت. أهـ. وقوله أن الغُرفه بأعلا حضرموت من الأوهام، وكذلك قوله أن الشيخ عبد الله أول من اشتهر بالتصوف. وأمّا قوله أن مَنْصبهم من أعلا مناصب حضرموت فهو الصحيح كما سيأتي توضيحه. ومن أكبر مناصبهم الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الواحد عَبَّاد الذي يُقال له صاحب «الجابيه» لأنه بنى جابيةً للواردين عليه من الحنفيَّة، ولا يزال في ضيافته خمسمائة نفر غير الطارئين. وكان حمالاً للأثقال يتحمل المَغَارِم ويدفع المظالم، وفي مناقبه أن أحد أهل اليمن ساءت حاله ولزمه دَيْن يقدر بمائة دينار وانقطعت به الحيل وانسدت في وجهه الأبواب، فطوى البلاد سائراً إلى الدولة فاستجهره

مارأى من عظيم حال الشيخ وكثرة وفوده، فهابه ولم يقدر على مكالمته، إلى أن سنحت له الفُرصه، فذكر له حاله، فأعطاه ألف دينار. ولمّا كان في أثناء الطريق انتهبه اللصوص فعاد أدراجه إلى الغرفة آسفاً، فعوضه الشيخ بألف آخر، أعطاه به تحويلاً إلى «الشِّحر» كيلا يأخذه اللصوص مرّة أخرى، وبالثمرة الواحدة تُعْرَف الشجره. وكان للشيخ عبد الله القديم ولذريته من بعده تعلُّق عظيم بالعلويين، وسمعت من بعض المشائخ أنهم أول من سن تقبيل أيدي العلويين بحضرموت، إلاّ أنه حصل بعد ذلك ما يقتضي التنافر، وأوله فيما أظنّ ما وقع في زمان المِحْضَار والشيخ عقيل باعبَّاد حتى أصلح بينهما الفقيه محمد بن حكم باقشير حسبما ذكرناه بالأصل عن «مفتاح السعادة والخير في مناقب الساده آل باقشير» لمؤلف «القلائد» وعن الفاضل السيد علي بن عبد الرحمٰن المشهور (عن والده مُفتي الديار الحضرميّه) أنه يقول: سمعت كثيراً من مشائخي يقولون: كانت المَشْيَخه بتَرِيم للخطباء وآل بافضل: فلما سكنها العلويون نزلوا لهم عن تقبيل اليد ولبس العمامه والنداء بلفظ الحبيب؛ فمحوه عن أنفسهم وخصصوه بالإشراف وجعلوه علامةً لهم أهـ. وهو في حاجةٍ إلى النظر والبحث والرجوع إلى مايأتي في المبحث الثالث من «الحسيسه» وقال لي بعضهم أن آل باعبّاد هم الذين حمّلوا الناس على دعائهم بالحبيب وعلى تقبيل أيديهم لا على تقبيل أيدي العلويين، وأنهم لا يزالون على ذلك بين أتباعهم إلى اليوم. والمسألة لا تعدو دائرة الظن والاحتمال لاسيما وأن الخطباء وآل بافضل لا يزالون مُعَمَّمين وإنما كان جُلّ آل «سيئون» لا يلبسون العمامه إمّا اقتصاداً أو أدباً مع الفقراء من آل بارجاء تلاميذ آل باعبّاد، والأقرب الثاني بأمَارة وجود الكثير ممن أَدْرَكنا من آل حسّان يلبسون القلنسوة المخصوصة بالعِمامة وهي المسماة بالألفيّه من دون عمامة ومهما يكن من الأمر فترك العمامة من البدء أخف اشكالاً من ترك أهل العلم لها بعد استعمالها، وللحضارم أوليّات من هذا القبيل منها ما أظنني ذكرته في الجزء الأول من «البضائع»[1] أن الأشعث بن قيس الكِندي أول من ركب والرجال تمشي بين يديه. وكان السلف إذا نظروا إلى راكب ورجل يحضر معه، قالوا: قاتله الله من جبّار. وكان الحبيب أحمد بن محمد الْحِبْشِي المتوفي سنة ١٠٣٨هـ

(١) هو كتاب «بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت». مخطوط وهو الكتاب الذي يحيل إليه ويسميه بالأصل.

كثيراً ما يشكو إلى شيخه الشيخ أبي بكر بن سالم ما يلقاه من أذيّة آل باعَبَّاد إذا جاء يدعو إلى الله بالغرفه، فقال له: لعل الله يُخْرِج من ذريَّتك من يتبركون به، فلم يظهر أثر هذا الدعاء إلاّ في سيدنا الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر، وفي آل باعبّاد كثير من العلماء من أكابرهم كما في «جوهر» الخطيب: إمام الطريقين ومُفتي الفريقين الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد، ترجم له الأستاذ الأبر في «العقد» وقال أنه ولد سنة ٧١٢هـ وتوفي أول القرن التاسع. وقد مَرّ ذكره في شِبَام، ورأيت في رسالة في «العهده» كتبها السيد شيخ بن عمر لأن الشيخ محمد بن أبي بكر هذا دَعىٰ على آل باعبّاد أن لا يجعل الله منهم عَالِماً لقضية مُنْكَرةٍ أَوْجَبت ذلك جهلاً، فاستجاب الله دعوته أهـ. وفي مجموع الجد طه بن عمر عن أحمد مؤذن ما حاصله: كان في الغرفة ـ قبل أن تُقام فيها الجمعه ـ مسجدان متجاوران، أحدهما لآل باعبّاد، والثاني لآل باجَمَّال، فأراد الشيخ الجليل باني الجامع جعلهما مسجداً واحداً، واستفتى العلماء، فتوقفوا عن الجواب، فلم يكن منه إلاّ أن خلطهما بدون فتوىٰ من أحد، وسُرّ العلماء بتوقفهم عن الجواب أهـ. وفي «مواهب البَر الرؤوف» لابن سِراج، التصريح بأن الذي جعل المسجدين واحداً هو الشيخ عقيل وهو إبن أحمد ابن عمر بن محمد بن عمر باعبّاد، وقد سبق أن محمد بن عمر هذا هو الذي زاد في سنة ٧٠١هـ في غرفة عمه حتى صارت داراً، والعمل بخلط المساجد واقع بكثرة في تريم، حتى لقد سمعت أن الجامع كان سبعة مساجد، ومسجد «الشيخ علي» كان خمسة، وهلم جرّا. وقد اختلف العلماء في نظير المسألة فأفتى أحمد بن موسى بن عجيل المتوفي سنة ٦٩٠ هـ بجواز نقض المسجد لتوسعته وإن لم يكن خراباً، ومنعه أبو الحسن الأصبحي اليمني المتوفي سنة ٧٠٠هـ، وقال بعض شُرَّاح الوسيط: يجوز بشرط أن تدعو الحَاجَة إليه. وقال الأَشْخَر في فتاويه أن الشريف العبّاسي كان يقول بتغيير بناء الوقف في صورته عند اقتضاء المصلحه. وقال السبكي: الذي أراه الجواز بثلاثة شروط أن يكوْن التغيير يسيراً لا يُزيل اسم الواقف، وأن لا يزيل شيئاً من عينه بل ينقل نقضه من جانب إلى آخر فإذا اقتضى زوال شيء من عينه لم يجز، فتجب المحافظة على صورته من حمّام ونحوه، وأن تكوْن فيه مصلحة للوقف أهـ. كلام الأشخر باختصار، وأمّا هدم المسجد بالخَراب وإعادته فجائز بلا خلاف. ولا يعدم الشيخ توسعة لما صنع من بعض هذه النقول والله أعلم.

وكان آل **باجَمَّال** وُلاَة بور، فأخَذَها منهم آل بانَجَّار، فانتقلوا إلى شِبَام، ثم انتقل بعضهم إلى باثور من أعمال الغرفه ثم انتقلوا إلى الغرفه. وكان الشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز يُهَنِّي آل شِبَام بمجاورة الفقيه عبد الله بن عمر باجَمَّال، ويُهَنِّي أهل الغرفة بالفقيه عبد الله بن محمد جَمَّال. وقال الشيخ محمد بن سراج لم يَخْلُ زمنٍ من الأزمان ـ من عصرٍ قديم ـ عن كثير فيهم من العلماء إلى وقتنا هذا، وقلَّما نقصوا فيما مضى عن أربعين عالماً وبقيّة عامّتهم أخيار وصلحاء أهـ. ونُقِل عن الشيخ صالح بن محمد بن أحمد عبّاد أنه قال: يكفينا فخراً مجاورتنا للفقيه عبد الرحمٰن بن سراج وخاله عبد الرحمٰن بن عبد الله باجَمَّال، وكانت صلاتهم في المسجد الذي يُقال له «باجريدان» في الغرفة. وقد سبق في الشِّحر ذِكْر تَخرُّج الشيخ عبد الرحمٰن بن سراج من مدرستها، وقبل ذلك وبعده كان أخذه عن علماء بلاده، وفي مقدمتهم أبوه، كثيراً أثيراً، وقد إضطرب الكلام في نسب آل باعبّاد بما هو مُفَصَّل بالأصل، والأكثر على أنهم من بني أُميّة، ولكن نقل بعضهم ـ أعني آل باعبّاد ـ عن تاريخ ابن حسّان أن جد الشيخ القديم ـ وهو الشيخ عبد الرحمٰن ـ خَرَج من الحجاز للسياحة ومعه ثلاثة نفر، فنزلوا بالهَجْرَيْن على الأمير محفوظ، فأحبه وزوجه بنته، فأولدها محمداً والد القديم، فلمَّا شَبّ ـ أعني محمداً ـ جاء إلى باثور فألفى فيه باجَمَّال فخطب إليه بنته فقال له: ما نسبك؟. قال: التقوى، فزوجه ابنته فأولدها: عبد الله وعبد الرحمٰن وعمر أهـ. وهو صريح في كونهم ناقلين إلى حضرموت لا من صميمها، ولماذا يعدل الشيخ عن ذِكْر نسبه وهو من أشرف الأنساب، فربما كان المانع عن التصريح بنسبه: الخلافات المذهبيَّة، فأنها كثيرة إذ ذاك، وهي عرضة المواربة والتقيّة. أمّا بنو أُميّة اليزيديون فقد مَرّ في شبام أن دولتهم استمرت بحضرموت من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٤١٢هـ. وكوْن هؤلاء من الحجاز يمنع كونهم منهم، والبحث مُسْتَوفى بالأصل. ومن المقبورين بالغرفه: الشيخ محمد بن عيسى باركوه السمرقندي، أطال سيدي الأستاذ الأبر في ذِكْره وأثنى عليه ثناء جمّاً، وهو من تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم، وممن أخذ عنه السيد عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس والشيخ أحمد بن عبد القادر باعَشَن صاحب الرباط وغيرهم، وله ذِكْر كثير في «القرطاس» و«شرح العينيّة» وغيرهما.

ومن أهل الغرفه الشيخ الصالح الشهير سالم بن عبد الرحمٰن **باعامر**، له مسجد صغير في طرفها الشرقي اتخذه آل الفاس مخفراً بالآخرة، وله مسجد آخر أيضاً في جنوب البلاد بسفح الجبل الذي يُطل عليها. ومن اللطائف أن الشيخ

عوض بامختار، وكان مشهوراً بالصُلح والولاية، ماتت له امرأة فاشتد وِجده عليها، وبينا هو واضع كف حائر على ذقن نادم، من فُرط اللّوعه على دكةِ دارٍ الغرفة، إذ مَرّ بالشيخ محمد بن عبد الله بامَخْرَمة، فقال الشيخ عوض:

يـــا عُـــمـــر آه طِـــبّ أهـــل الـــقـــلـــوب الـــمِـــرَاضِ

فأجابه الشيخ عمر قبل أن يبلع الريق بقوله:

طِـــبّـــهُ الـــعَـــذْب لـــي يـــنـــزع عـــلـــى «بِـــيْـــر راضـــي»

وهو بِيْر يُسْتَقي منها بالغرفة، فذهب إليها فألفىٰ امرأة تنزح منها فتزوجها، وكان وإيّاها كما قال قيس:

مَـحـىٰ حـبـهـا حُـبَّ الآلـى كُـنّ قـبـلـهـا

وحـلّـت مـحـلاً لـه لـم يـكـن حـلّ مـن قـبـل

وبالغرفة جماعة من أعقاب السيد أحمد بن محمد الحِبْشِي المتوفي سنة ١٠٣٨هـ. منهم السيد زين بن علوي بن أحمد المتوفي بها سنة ١١٠٠هـ، ومنهم الإمام الجليل صاحب الفَرَاسة الصادقة والكشف الخارق السيد عبد القادر بن محمد بن حسين بن زين بن علوي بن أحمد المتوفي بها سنة ١٢٥٠هـ، فلقد كان جليل الشأن عظيم المقدار حتى أن سيد الوادي الحسن بن صالح البحر لا يزوره إلا بعد أن يغتسل ويتطيب ويبالغ في احترامه، وبما غرس الله له من المحبة في القلوب أقبلت عليه الناس قامت بعض نفوس السادة آل أحمد بن زين عقروا فرسه وأصيب عاقرها وتكلموا عليه بما لا يليق كما يعرف بعض ذلك من كتاب بخط يده سيّره إليهم وهو هذا:

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنباءٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لاقتلك أني أخاف الله رب العالمين واتقوا الله الذي تسالون والأرحام الآية: حسبتم أن تدخلوا الجنة لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الآية، ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون.. إلخ، ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون أن الله مع الذين التقوا﴾[1] الحمد لله حمد من رد أمره إليه ولجأ في مهماته عليه والصلاة

(١) قصد المؤلف إيراد الرسالة بما فيها من أخطاء حتى في نصوص الآيات.

والسلام على سيدنا محمد أفضل الخلق لديه وعلى آله وصحبه وسائر ذويه من عبدٍ خائفٍ من مولاه الحقير عبد القادر بن محمد الحبشي إلى اخوانه وأصحابه في الله السادة الأشراف آل جعفر بن أحمد بن زين الحبشي وكذلك محب أهل البيت عبد الله بن سعيد بن سمير سلك الله بهم إلى الطريق السديدة ودلهم على الأفعال الحميدة وأيانا آمين.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت الأحرف من الغرفة والموجب يا سادتي وأنت يا محب عبد الله أن هذا أمر جرى في جنابنا وردينا أمرنا إلى مولانا إخماد الشرور وتقييداً للمحترى من الأشرار ومعاملة مع عالم خفيات الأسرار الذي لا تضيع المعاملة لديه والذي كل شيء تحت حكمه وبين يديه وبعد أن السادة يا محب عبد الله يتكلمون بكلام قبيح ما يقال في البلدان ويقولون عاد نحن مرادنا منه الشريعة وكسر الشريعة وسار إلى سيون خوف من طلاب الشريعة ونحن سرنا إلى من القيل والقال على أنفسنا وقلوبنا مما جرى فينا من الأمور الشنيعة وجاؤ لنا وسائط الله أعلم هل هم من طرف السادة أو هم حق فضول منهم وقلنا نحن قد عفينا في الحق الذي لنا ولا نحن طالبين حق من السادة وطربنا في السوق أن كلاً معذور من القبائل ووجهه أبيض من الذي حضروا والذي هم شالين عنا على أنفسهم وفي وجيههم اعذرناهم ومرادنا السكون لنا ودحر للسادة حسبما حضر الولد جعفر بن هاشم وما قد بلغكم وبعد أن السادة بقي يصدر منهم كلام فينا ويزعمون أنهم طالبين نحن الحقَ وبعد جاء لنا واحد من أهل الفضل وقال ما يمكن ما تعطي الحق السادة في هذا الكلام الشنيع أن كان السادة مطالبين نحن فيما يقولون الوعد منهم وحيث أرادوا قريب أو بعيد وموفين لهم الحق في هذا الأمر وربما وفينا شيء من هذا الكلام ولا حد عالم به ونحن مصرين على فاحشة وإن لم يكن عندنا حق للسادة ولا فينا شيء من هذا الكلام وهذا إلا بهتان ولغو وافتراء على الله، فالأمور كلها إلى الله، الله ربنا وربكم، لا حجة بيننا وبينكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، ولا تقول إلا ما قاله الصابرون: انا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منقلبون وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولنا أسوة بمن مضى من سادتنا العلويين كما قال سيدنا عبد الله الحداد:

بهتونا بمقال سيء ... كانت الأحرى به لو ايقرت

قد حملنا وصفحنا عنهم ... وبذا أسلافنا قد أخبرت

وقل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلاً ومن أجل الأمور الذي دخل في خواطر السادة من طرفها يشهد الله علينا وملائكته انا ما طلبناها ولا دورنا لها غير جاءت نحن من غير طلب.. انتهى الموجود من الكتاب وقد حذفت منه آياتٍ وحديثاً لا تكثر فيها مناسبة الموضوع وفي الكتاب أغلاط حتى في الآيات تعرف بالفهم والذوق والله أعلم.. قال سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر وكانت للحبيب عبد القادر المذكور أمور غريبة من الرياضات والخلوات وله أربعينات متعددة. وربما تخلف عن شهود الجمعة لأن الله كشف له عن أحول الناس الباطنة فيراهم في صور معانيهم.

ومنهم السادة الأجلاء عيدروس بن عبد الرحمٰن بن عيسى الحبشي ومنهم السادة الأجلاء عيدروس بن عبد الرحمٰن بن عيسى الحِبشي وولداه العلامة الجليل محمد بن عيدروس المتوفي بها سنة ١٢٤٧هـ وأخوه العلامة الإمام عمر بن عيدروس المتوفى بها سنة ١٢٥٠هـ، مناهل علوم، ومفاتح فُهوم، وقُرَّات عيون، وآحادٌ هي المئون، وصفاءٌ كأنما أخلصته القيون:

لهم سُرَّة المجد التليد وسِرِّهِ ومحض المعالي فيهمُ والمناقب

ومنهم مُسند حضرموت بل الدنيا بأسرها، إذ زَلَّت عن مرقاته الأصول، ولم يتفق لأحد إلى مثل علوّه الوصول، سيدنا الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر فأنه مجمع المفاخر، وبحر العلم الزاخر، وزينة الزمن الآخر:

أزالت به الأيام عتبي كأنما بنوها لها ذنب وهذا لها عذر

وهو الإمام بحقه، والكمال بصدقه، وعلى الجملة فأني لا أجد عبارةً ترضيني لوصف ما شاهدت من مناقبه، فضلاً عمّا غاب عني، ولم ينته إلى تصوره إذ ذاك سني، إذ الأمر كما قال أبو الطيب:

وما حارت الأفهام في عظم شأنه بأكثر مما حار في حسنه الطَرْفُ

جمال يحير الأنظار، وكمال يدهش الحُضَّار، وجلال يملأُ البصائر، ومقام يملك الضمائر، ووقار يأخذ النفوس، فلا يَبْقى لديه رئيس ولا مرؤوس، إلاّ وهم خاشعوا الأذقان، نَاكِسوا الرؤوس. كأن شعاع عين الشمس فيه، ففي أبصارهم عنه إنكسار، إلى حديث يهز الشعور، ويطلع النور، وتهتز له الجبال الرتينة، وكأنما تنزل عنده السكينه.

أندى على الأكباد من قَطْر النَدى وألذّ في الأجفان من سِنة الكرى

وبما استخرج به العجب من القوم، ولا أزال ممتلئاً به في نفسي إلى اليوم. إنني وأترابي من الصغار ـ مع الانطباع على الحركه ـ نبقى في مجلسه الشريف، الساعات العديدة، وكأنما على الرؤوس الطير، تراهم قعوداً حوله وعيونهم مكسرة أبصارها. غير أن ذلك الوَقار الذي تتنزل به السكينه على الحُضَّار، لا يُستكثر إلاّ مِنا معاشر الصغار.

فبقايا وَقاره عَمَّت النا س وصارت ركانةً في الجبال

وكيف لا أعجب من شمول السكوْن، مع أننا لا نعرف كل ما يكون، وإنما نلتَّذ بريّاه، وننعم بمُحَيّاه، وحيّاه الله وبيّاه، فمع قصورنا عن فهم الكثير مما تيسّر فيه، من المعاني الرائقة، والعبارات الفائقة، نحس كأنما تبسط له الملائكة أجنحتها، وتُلقى ـ وما تدري ـ له الأكُف أسلحتها، لا سيما إذا أزدحم الجمع يَسْتَجْلون هلاله، ويسمعون منه كلمة الجلاله.

وقد سَبَق في «القويره» أن شيخنا العلامة ابن شِهاب يقول: لولا أني رأيت ثلاثة، وهم محسن بن علوي السقاف، وأحمد بن محمد المِحْضَار، وعيدروس بن عمر الحِبْشي، لما صَدَّقت بما يُرْوَى عن السلف الطيِّب، من الخير الصيِّب. ولكن جاء العَيَان فألوَى بالروايات، وقد قال البحتري:

رأيت مجداً عياناً في بني ادد إذ مجد كل قبيل غيرهم خبرُ

ولا جَرَم فقد كان الأستاذ نسخة السيرة النبويّة، لا يحيد عنها بِشَعَره ولا يلتفت يَمْنةً ولا يَسْرَة.

فما هو إلاّ نبعةٌ من غصونه وطلعةٌ نورٍ من شريف خِلاله

ولقد زُرت معه هُوداً عليه السلام في سنة ١٣١١هـ ورأيت:

كأنهم عند استلام ركابه عصائب حول البيت حان قفولها

وهو يسير سير ضعيفهم، وكلما مشى مَيْلاً، عرض العُقَبه، على مولىً له يُقال له فرج يسير أمام دابته يَنْبُو عن جنبه الرمح، كأنه المُهْر الأرن، من فرط القوّة والنشاط. ولكن هكذا كان رسول الله ﷺ. وما قَدْر ثَنائي عليه، بعدما كان ثناء مشائخه عليه، الباب الواسع. ومن قَيَّل بين ما يأتي آخر هذا الكتاب من احتياط سيدنا عبد الله بن حسين بلفقيه في توثيق الرجال، وبين مَمادِحه الضخمة

للأستاذ الأبر في أيام شبابه، عَرَف صدق ما أقول، وصح أن أبناء الإمام الشهير عبد الله بن حسين بن طاهر، عادوا من زيارة دَوْعَن، ولمّا سألهم أبوهم: هل عَرَّجتم على الولد عيدروس بن عمر؟ قالوا: لا. قال: لا تحِلُّوا الرِّحال حتى ترجعوا فتزوروه، لأن الأمر كما قال ذو الرُّمّة:

تمام الحج أن تقف المَطَايَا ... على شَرْقاء واضعةِ اللِثَام

ومع إجماع الناس على تفضيله، وأصْفَاقَهم بتفرده، لأن أمره كما قال الشريف الرضي:

ولو لم يقر الحاسدون بمجدِّه ... أقروا على رُغْم، بفضل التقدم

فإنه لم يَسْلَم من أذَى الحُسَّاد، بل كان له منه النصيبُ الكاثر، إلاّ أنه لمّا أَبَرَّ عليهم، سَقَطت هممهم عن منافسته، وكانوا معه كما قال مروان:

فما أحجم الأعداء عنك بقيّةً ... عليك ولكن ما رأوا فيك مَطْمَعا

ولمّا لم يجدوا وسيلة لما يُشفى ضَبَاب ضغنهم عليه، أرضوا المعلم علي بن سعيد حميد بن عبد هُود على أن يسحره، وكان متمكناً في ذلك الفنّ، ففعل. ولمّا عُرِف خبره وانكشف أمره، جاؤوا به إلى حضرة الأستاذ فاعترف وقال إنه بإغراء من بعض العلويين وأحد آل باجَمّال، واعتزم الشيخ صالح بن محمد بلفاس قَتْلَهُ ولكن الأستاذ حال بينه وبين ذلك، واقتنع منه بالتوبة، ثم إنه خان وعاود العمل برشوةٍ كبرى من أولئك، وهرب عن حضرموت واشتهر أمره فَقُتل، والأمر أَجْلَى من ابن جَلَّى. وما عَسى أن أقول فيمن حَفّه التوفيق، فالمجال رحب، ولكن في الكلام ضيق. وما يزال بعيني ذلك الوجه الرّضِي كأنما هو فلقة القمر المُضِي، لا يكسف نورهُ بُوس، ولا يغيره عُبُوس، بل كان جبل رَقِيَ، لا يتحلحل ولا يتكدر ما عليه من الوَسَام. وقد تعوَّد أن يطرد البكاء ـ كلما عَرَض له ـ بالابتسام، كأنما عناهُ تَميم بن المُعِزّ بقوله:

وبي كل ما يُبكي العيون أقله ... وإن كنت منه دائماً أتبسّمُ

ولقد مات له حفيداً في جمادى [1] الآخرة سنة ١٣١٣، فاشتد عليه وِجْده،

---

(١) أضاف في النسخة (ب): يسمىٰ أحمد كأنه زهرة شرف في روضه ترف زهره غضه تفتح عنها المجد في نبت أنيق الجناب:

تعهدت نحوما المنية حتى ... وهبت حسن وجهها للتراب

وغلبته عينه، لأنه وإن كان من سادات العارفين الذين لا تَبقى لهم مع الله إرادة، لم يَنْس مقام الرحمة، بل وفى كُلاً حقّه، كما قُلت عنه ﷺ من مطولةٍ نبوية:

ولطالما حزن النبيّ لجعفرٍ ولعمِّه وهو الكَمِيّ المسلم
وبكَى عُبَيْدة يوم بدرٍ قبلهم عيناه تدمع والفؤاد مسلّم

وقُلت في رثائي لثمرة الفؤاد ولدي بصري:

هذا الكمال فلو أخلّ بمظهرٍ لأتى إلى أخلاقه يتذمم
وما زال حرب بين صبري ورحمتي وإني لراجٍ فيهما كامل الأجرِ
وقد أنكروا فعل الفضيل، ومشيه لدفن ابنه في حيرة ضاحك الثغرِ
وخير الورى في غيرما موقف ذرَى وبَلّ الثَرى دمعاً يفوق على الدُرِ

أمّا سيدنا الأستاذ الأبر، فلو رآه أكبر أديبٍ بذلك اليوم الرهيب، لما خرج عن قول حبيب:

ورأت غرته صبيحة نكبةٍ جَللٍ فقلت أبارق أم كوكب

ومع ذلك فقد وفىَّ حق المَقامَيْن يومئذٍ، فما زال الدمع بادياً، ثم لجأ إلى التَّبسُم ثانياً، على حد قول الرضي:

ولربما ابتسم الفَتى وفؤاده شَرِق الجِنان برنةٍ وعويلِ

وذِكْر الجنان بعد الفؤاد من الحشو القبيح. وقول الآخر:

ضحكت وكان الصبر مني سجيّةً وقد يضحك الإنسان وهو حزين

وقال الأول:

ولربما أبتسم الكريم من الأذَى وفؤاده من حَرِّه يتأوهُ

ثم إن ابتسامة الأستاذ لم تكن إلاّ عن برد الرضا ولكنها وقعت على والدي وأمثاله من محبيه وعارفيه أمثال الصاعقة، فانقبض رجاهم، واطلخم دُجَاهم، وفاضت منهم العبرات وتصاعدت منهم الزفرات، وكان له أمر غريب، ومشهدٌ مهيب. وزاد الطين بلّه أن سيدي علوي بن عمر شقيق الأستاذ، وكان جبلاً في الحِلْم والعبادة وركناً من أركان الشرف والسيادة، توفي قبله في جمادى الأولى من تلك السنة.

وقد قرأت على سيدنا الأستاذ الأَبَرّ، وسمعت منه، وحضرت لديه، وتكَرَرت لي الإجازة والإلباس منه، وتلقيت عنه المسلسلات بالفعل بعضاً، والإجازة في الباقي. وأخلصني بدعائه، وشَمَلني باعتنائه، وما ألذ على لساني وقلمي من ثنائه، ولله دُرّ المُتنبي في قوله:

مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ قَلَماً بِأَحسَنَ مِنْ ثَنَاكَ أَنَامِلُ

وقد ذكرته في الأصل، والديوان بأكثر مما هنا، وكله قليل لا يشتف به الغليل، لأن محاسنه الفضاء لا يقطعه نَسْر، والكثير لا يشمله حَصْر.

وتَمَيَّزتْ فيه الصفاتُ لأنّها أَلِفَتْ طرائقه عليها تبعدُ

وقد انتهت مناقب السَلف الصالح إليه، وما رأى الناس إجماعاً على فَضْلِ أحدٍ مِثْل إجماعهم عليه:

ما زال منقطع القَرِيْن وقد أرى من لا يزال مشاكل يلقاه

ليس التفرد بالسيادة عندنا أن توجد الضرَباء والأشباه

ثم إنه لم يزل يعاني الآلام، في ثبات الأَعْلام، حتى نزل به الحِمَام، فاستدعى أهله وأولاده، وشرب من ماء سقاهم فضله، وودعهم وأوصاهم ودعا لهم، ثم أخذ الموت يلتاط به، حتى بردت أطرافه، ونزل به قَوْم من آل أحمد بن زَيْن الحِبْشِي، فأمر بتسخين يده كيلاً ينكروا بردها، وأذِن لهم وقرأ الفاتحة، ولمّا نهضوا عَزَم على الصّلاة، فأريد على الترخص في الطهارة لضعفه وموتِ أطرافه، فقال: كيف أخدع بالتوسعة وهذه آخر صلاتي في الدنيا وقد قال ﷺ: «صَلِ صلاة مُوَدِّعٍ».

فما تلكم الأخلاق إلاّ مواهب وإلاّ حُظوظٌ في الرجالِ تُقَسَّمُ

وبعد أن فرغ من صلاة العصر على أتم حال، أَمَر بأن يُوجَّه إلى القبلة على شِقِه الأيمن، وما كاد ينتهي من الجلالة حتى فاضت روحه في التاسع من رجب سنة ١٣١٤هـ، ولم يَزَل حياً بآثاره المُشاهده، ومناقبه الخالده، ونشره الفائح، وابنه الصالح، غزير الحلم، ومن له من المكارم أفضل سهم، الصادق عليه قول علي بن الجَهْم:

فما مات من كان ابنه لا ولا الذي له مثل ما سَدَى أبوه وما صَنَع

فلقد خَلَفه ولده جمال الدين محمّد، على مزايا فاضله، وأخلاق كامله، وخيرات شاملة، ولكنه لم يطل عمره، بل مات وشيكاً في سنة ١٣١٩هـ. واتفق أن توارد كثير من أهل هذا البيت الطيب، نساءً ورجالاً، على حياض المنيّة، قبيل وفاة الأستاذ الأَبَرّ وعقيبها، فكانوا كما قيل:

أهل بيتٍ تتابعوا للمنايا ... ما على الموت بعدهم من عتاب

وكما قال الرضي:

هتف الردَى لجميعهم فتتابعوا ... طَلْق الفُطَاس بني أبٍّ وبني أب

والقائم في مقامه اليوم، وترتيب مجالسه ومدارسه، حفيده الفاضل المكرم علي بن محمد بن عيدورس أخو أحمد السابق ذكره، نسأل الله أن يسلك بنا وبه الطريق، ويلحِقنا وإياه بأولئك الفريق، ويعمِّر بنا وبه الدِيار، ويُحي بِنا وبه الآثار، ولله دُرّ أبي عبادة في قوله:

لا عُذر للشجر الذي طابت له ... أعراقه أن لا يطيب جَناه

وقد كثر عَتَب شيخنا الإمام عبد الرحمٰن المشهور على العلامه السيد علي بن محمد الحِبْشِي، لتظاهره بالفرح لزواج عنده ذلك اليوم منصرفه من جنازة الأستاذ الأبر. ونسيت وما أنساني إلاّ الشيطانَ ذِكْر أن لا مناسبة بين كلام سيدنا الأستاذ الأبر في مجالسه وبين قلمه، إذ كان لا يريد من قلمه إلاّ تقييد الشوارد وتحصيل الفوائد، وكذلك كان شِعره ضعيفاً. أمّا مجالسه فقد كانت بساتين نافحةً الأزهار يانعة الأثمار، كما يُعرف بعض ذلك بما حصّله والدي، رضوان الله عليه، باستذكاره بعد وفاته من كلامه.

ومن فضلاء الغرفه شيخنا العلامة الإمام السيد شيخان بن محمد الحِبْشِي. كان بحراً من بحور العلم، وجبلاً من جبال العبادة، ونجماً من نجوم الأرشاد، ورجماً من رجوم الإلحاد:

إمام رست للعلم في أرض صدره ... جبالُ جبال الأرض في جنبها قُفُّ

أقام في طلبه زماناً بمكة المشرفه وأخذ عن أراكينها، وكان سريع المطالعة، طالع تفسير الخازن مطالعة بحث وتحقيق، في أربعةِ أيام، وكَتَب عليه تعليقات، وله شعر يرتفع عن أشعار العلماء، منه القصيدة الطولى التي استهلها بقوله:

لمع البرقُ على أطلال مَيّ ... وسقى الودق هِضيبات لَوِيّ

وورد مرةً إلى سيوون سؤال من آل يحيى، يتعلق بسجود التلاوة في الصلاة، فكتب عليه السيد محمد بن حامد بن عمر السقاف جَواباً صَادق عليه العلامه السيد علي بن محمد الحِبْشي وجماعه من طلبة العلم بسيوون، فوافق وصول العلامه السيد شيخان، فعرضوه عليه وطلبوا منه المصادقة، فأبَى إلاّ بعد المراجعة، فأعطوه حاشية الأقناع، فاستند في رد ذلك الجواب إلى عبارة عن المدابغي، فقال له السيد محمد بن حامد: دعنا من المدابغي، فغضب السيد شيخان وقال للسيد محمد: لا صواب في جوابك إلا البسمله وما والاها، فحالاً أخذ السيد العلامة علي بن محمد الحبشي الجواب، وسحب مصادقته، وشطب اسمه. وقد نَوَّهت بهذا في إحدى خُطبي، وكان العلامه الحبيب شيخان يكثر من قيامه في رمضان، إذ كان يتلو ختمةً بالليل وختمة بالنهار كلها من قيام. وكان شديداً على المُترفين، متجافياً عن أبناء الدنيا، منحرفاً عنهم، يُغلظ القول عليهم، ولا يحابي ولا يداهن، ولذلك فقد بغضه البعض ويزعمون أن الحال خرج به في ذلك عن حد الإعتدال. ولم يجر الأمر بينه وبين العلامه الشهير السيد علي بن محمد الحبشي على ما تقتضيه القرابة، إذ كانا يجتمعان في الجد الخامس لكلٍ منهما وهو السيد محمد بن حسين بن أحمد الحبشي صاحب الحسيّسة، لتقلب الثاني في اللّذات، واقتنائه النخيل والدُور، وتشييده الغرف والقصور، واتخاذه الفُرش الوثيره، والأدوات الكثيره، مع أن ذلك لم يكن إلاّ من الجاه الذي يوسّعه اتباعه بمهارة فائقه وينشرونه له بدعاية طويلة عريضه. وسيدي الحبيب شيخان بن محمد يضيِّق الأمر في ذلك، ويتلو آية الوعيد الشديد في حق الرهبان، ويُحبُّ أن يُخرج عن بعضه بالصدقه. وكذلك كان جماعة من أهل عصره، وأكثر ما ينتقدونه عليه إيثاره للظهور وحبه للشهرة وتقديمه لأهل الدنيا على أهل العلم. وقد بدا له ـ أعني سيدي شَيْخان ـ أن ينتقل في أواخر أيامه من الغرفه إلى سيون، فاشترى أرضاً واسعه في شرقي حوطتنا بعَلَم بَدْر[1] بثمن يسير لائق بذلك الزمان، وابتنى له داراً واسعة بقيت على طبقةٍ واحده لم يقدر على إكمالها لضيق يده وشدة يبوسة عيشه، وبقي يتردد بينها وبين الغرفه، ثم ألقى بها العصا وحط الرحل. وكان يتردد على والدي كثيراً، وكان والدي يجله ويكرمه ويجعله في منزلة مشائخه. قرأت عليه وأخذت عنه وسمعت منه، مع أنه لم يأخذ عنه إلاّ القليل، كالشيخين عوض بكران الصَبَّان وأخيه أحمد، والأخَوَان محمد بن

(١) علم بدر: من أحياء مدينة سيئون.

هادي بن حسن، وشيخ بن أحمد بن طه. ولا يخلو الجو بينه وبين سيدي الأستاذ الأَبَرّ عيدروس بن عمر من تكدير نشأ عن وجود بنت الأستاذ الأبر في بيته عند ولده محمد بن شيخان، فلم يُحسنوا عشرتها ولم يؤدوا حقها، ومع ذلك فكانت تأتيه منهم قوارص بظهر الغيب. ويرى بعضهم أن ذلك هو السبب في قلة الإنتفاع به، ولا غرو فقد أشار القشيري أن ما وقع للحلاج سببه الاعتراض على المشائخ، وذكَرَ اليافعي في تاريخه أن ما جارى على ابن الجوزي سببه الكلام على الإمام الربّاني سيدنا عبد القادر الجيلاني. توفي المُترجم له في رجب من سنة ١٣١٣هـ وانطبق على ذلك العام قول حافظ:

فيا سنةً مرّت باعوادِ نعشهِ لأنتِ علينا أشأم السنواتِ

إذ مات بإثره جماعات من أراكين حضرموت، كان صاحبنا الشيخ محمد بن علي الدثني يوصلهم إلى خمسة وعشرين كلهم أعيان، ووددت لو حضرتني أسماؤهم فاذكرها في هذا الموضع، إذ هو أليقها بها، ولكنها لم تحضرني معاً وسيُعرض أكثرها في غير هذا المكان.

لقد أُولع الموت الزؤام بجمعهم كأن الرَدى فيهم تحلل من نذر

مضوا فكإن الحي فرع أراكةٍ على إثرهم عرى من الوَرق النضر

وصلى عليه الأستاذ الأبر، وحصل ساعتئذٍ نزاع بين سيدي محمد بن عبد الله الحداد السابق ذكره في قَيْدون، وبين آخر من آل الحداد **بالغرفه**، ارتفع فيه الصوت حتى أسكتهم الأستاذ الأبر بأشارته، وسبب ذلك اختلاف الرجلين في المكان الذي صلى فيه على الجنازة.

وبأثر انتقال الحبيب أحمد بن زين الحبشي من الغرفه حسبما تقدم في الحوطة، بقى بها ولده محمد بن أحمد إلى أن مات، ولا يزال بها أعقابه.

وبالغرفه جماعه من ذُريّة عمر بن علوي الحداد، منهم الشيخ الرابع من مشائخ سيدي الأستاذ الأبر وهو السيد الإمام عبد الله بن حسن بن عبد الله بن طه بن عمر المذكور، توفي سنة ١٢٨٥هـ. ومنهم الفاضل الجليل حسن بن أحمد الحدّاد أحد تلاميذ والدي، توفي بالحَرْشِيات[1] مرجعه من الحج سنة

(١) الحَرْشِيات: قرية ومزارع فى الضواحى الشماليه من مدينة المُكَلاّ.

١٣٤٩هـ ودُفن بالمُكلاّ، وقد سار ولده المبارك أحمد الموجود الآن بالغرفة في طريقه.

ومن صلحاء **الغرفه** الشيخ عمر عبود بلخير، كان قطعه من النور، كأنما هو ـ من فرط العبادة وصفاء السريره وصدق الفراسه ـ ملك من الملائكه، أخذتُ عنه ولبستُ منه، توفي **بالغرفة** في حدود سنة ١٣١٦هـ. وكان بالغرفه كثير من آل باحفين وآل فضل وآل عطوفة وآل مسلّم، ومنهم آية الورع ومثال النزاهة أحمد بن سالم بن عمر مسلّم صاحب القصة المذكورة بالأصل، توفي **بالغرفه** سنة ١٣٥٢هـ.

ومن أهل **الغرفه** «آل شيبان» منهم الرجل الصالح حليف المكارم وحمّال المغارم عوض بن عمر شيبان:

لا يتبع المال أنفاساً مصعدةً ولا يعير العطايا زفرة الندم

توفي **بالغرفه** سنة ١٣٢٩هـ ومنهم ابنه الذي حظى بخدمة سيدنا الأبر، وكان يده ولسانه، وموضع ثقته، ونجّى روحه وأنيسه في خلواته، وكاتبه وجامع بعض مناقبه، عمر بن عوض بن عوض بن عمر شيبان، توفي بالغرفه سنة ١٣٥٦هـ. ومنه «آل بلخير» أُسرة الشيخ عمر السابق ذكره، يُقال أنهم من ذرية أبي الخير الكِندي الآتي ذكره أوائل تريم.

ومن آل **الغرفه** «آل بن ثعلب» فأنهم لمّا زالت دولتهم من تَرِيْس تفرقوا، وتوطن بقاياهم **بالغرفه**. ومن أهلها آل بن ذياب، وآل بلجون، وآل طرموم، وآل باحارثة، وآل عمران، وآل منقوش، وآل باحلوان وأصلهم من اليمن من بلده يُقال لها بَرَطْ، ولكن جدهم قيس بن علي بن عمر بن عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن فضل بن ناصر الدين عبد الله باحلوان، جاء هو وأولاده أحمد وبوبكر وزملي وعبد الله في جيش الصفي أحمد بن حسن فاتح حضرموت للمتوكل على الله إسماعيل، وبقي أميراً على الهَجْرَيْن من جهة الإمام إلى أن توفي بها سنة ١٠٦١هـ ثم انتقل أولاده السابق ذكرهم إلى الغرفة، وانتشروا وهاجر ناس منهم إلى جاوا، وأعقبوا هناك. وزملي والد قيس هو مؤلف كتاب «رشيدة الأخوان» الذي نقلنا عنه في وادي عَمْد وغيره، وناصر الدين باحلوان هو أمير زيلع وهو صاحب الشيخ أبي بكر العدني.

أما (حالات **الغرفه** السياسيّه) فقد كان آل كثير ينتسبون للشيخ عبد الله

القديم باعبّاد بالخدمة، لأن جدهم تربّى به، وكانوا يزورون الشيخ محمد بن عمر فيها ويترددون عليه بها، ويتبركون بدعائه. كما كانوا عليه مع عمه، حتى لقد كان من اعتقادهم فيه يكوْن هو الأمير، لا على **الغرفه** فقط بل على كل ما تحت نفوذهم من بلاد حضرموت. وفي الحكاية (٣٤٩) من «الجوهر الشفاف» ما يُعرف منه أن جاه آل باعبّاد كان أضخم من جاه العلويين، وسيأتي ما يؤكده في «مدوده» غير أن السلطان عبد الله بن علي بن عمر الكثيري المتوفي سنة ٨٩٤هـ هو الذي ابتدأ بإساءة الأدب على آل باعبّاد، فابتنى حصن **الغرفه** على القارّة التي بها حصون آل عبود بن عمر، فعظمت الرزيّة على المشائخ بضغطه عليهم، وعزموا على التحول من الغرفة. أما بَدْر بوطويرق فقد دلت الأخبار على أنّ وطأته عليهم كانت أشدَّ، إذ تدخل في كل شيء من أمرهم، ونزع عنهم نظارة أوقافهم وصار يولِّي ويعزل، وبعث مرة من الشِّحر بعزل الشيخ محمد بن عقيل عبّاد وإبداله بالشيخ حسين بن علي عبّاد، ولمّا ضعفت دولة آل عبد الله الكثيريين استبد عليهم آل كثير بأمر الغرفة، وجعلوا لآل باعبّاد الاستقلال الأُسمي، وهم يفعلون ما شاؤا بدون أن يتناهوا عن مُنْكَر يفعلونه بها قط، إذ لا وازع إلاّ منصبة باعبّاد، وما سلاحها إلاّ أمثال التمائم، وقد قال أبو الطيب:

ديـار الـلـواتـي دارهـن عـزيـزةٌ بطول القَنا يحفظن لا بالتمائمِ

وفي سنة ١٣٤٤هـ نشبت الحرب بين آل خالد بن عمر الذين يرأسهم صالح عبيد وعمر عبيد، وبين آل بابكر الذين يرأسهم عوض بن عزان بن عبد الله بن عوض بن ناصر بن عبدات، بالسبب الذي سبقت الإشارة إليه في «بابكر»، فلم يكن من آل بابكر إلاّ أن وضعوا بعض عسكرهم بالغرفه، بإشارة من عُبيد صالح بن سالمين بن طالب، لأن عبد الله بن محسن بن قاسم ـ الذي كلف الحرب على كيس أبيه ـ كان يستنصحه ويأخذ بإشارته، وهو له غاشّ، فلم يسع عوض بن عزان إلاّ الموافقه، فتضرر أهل **الغرفه**. ونَصحت أنا عبيد صالح بن سالمين، فوعدني أن يُشير عليهم برفع عسكرهم عنها، ولم يفعل، لأنه كان يبغضهم في السِّر وإن تظاهر بمساعدتهم فيما يرى الناس، فلم يكن من صالح عُبيد بن خالد بن عمر إلاّ أن يهجم على **الغرفة**، وأخذ أكثرها عنوةً، ثم أخذ **البقية الباقية** عن رضىً من عوض بن عزان بن عبد الله بن عوض بن ناصر إزاء ثمانمائة ريال، **قبضها** من آل خالد حسبما يخبرني هو بنفسه. ولمّا وَضَعت

الحرب أوزارها بين آل عَبَدات ـ بعضهم بعضاً ـ ورَسَخت قَدَم صالح عبيد بالغرفه، سيَّر الكتب لقبائل آل كثير وللسيد حسين بن حامد ولدولة آل عبد الله بسيوون وتريم، يخبرهم بأن لا قصد له إلاّ إصلاح **الغرفه** وحفظها وتأمينها، ويدعو إلى المشاركة في الرأي. فعادت أجوبتهم عليه بما يبرر صنيعه. ثم جاشت جوائشهم، وتولّى أمرهم الشيخ سالم بن جعفر بن سالم بن مرعي بن طالب والشيخ عامر بن جعفر بلفاس، وساعدهما السيد حسين بن حامد ودولة آل عبد الله، وحاصروا **الغرفه**، وآل خالد بالحَوْل، واحتلوا الجبل الذي يطل على **الغرفه** من جنوبها، وأذكوا نار الحرب، وصوّبوا المدافع، ولم يظفروا بطائل. ثم تدخلت حكومة عدن وطلبت إيقاف الحرب ووصل المتحاربين، فذهب الشيخ صالح عُبيد عن طريق البر، وذهب الآخرون عن طريق الشِّحر، وأكثروا من العرائض هناك، ولم تصل القضيّة إلى حل نهائي. ونشر الشيخ صالح عبيد ـ في ذلك ـ كتاباً، فَرّقه بين الناس، من إنشاء الفاضل النقّاد الشيخ عبد القادر بن عبد الله باحميد، فلم يرد عليه أحدٌ. وأُريق في تلك الفتنة دماء غزيرة من أبرياء أهل **الغرفه**، يغضب لقتلهم جبّار السماء، وبقي على إمَارة **الغرفه** عمر عبيد بالنيابة عن أخيه صالح، وكانوا متساندين في أمورهم. وكان الشيخ عمر عُبيد من الموقعين على هدنة الثلاث السنين التي أقترحها الضابط السياسي انجرامس، وأولها ـ فيما أظن ـ سنة ١٣٥٦هـ. ولمّا مات صالح عُبيد بجاوا وصل ولده عبيد صالح من سنقفوره إلى المُكَلا، ومنها بطريق السيارات المُستحدثة إلى تَرِيم، ومنها إلى مكانه: الحَوْل. ولم يجلس مع عمه عمر عبيد إلاّ يوماً واحداً، بأثره مات الشيخ عمر في سنة ١٣٥٣هـ فاستقل عبيد صالح **بالغرفه**. ولمّا انتهت هدنة الثلاث السنين لم يشعر الناس إلاّ بمنشورات توزع بين الناس بهدنةٍ لمدة عشر سنين. وفيها وعد بتحسين القضاء، لأن الجور تفشّى عن مجلسه بسيوون، المُؤَلَّف من السادة محمد بن أحمد كريسان وعيدروس بن سالم السوم وعبد القادر بن عبد الله الحامد والشيخ محمد مسعود بارجا، في مدة الثلاث السنين تفشياً هائلاً، فكان الوعد بأصلاحه من بين سائر الأمور شاهد عدل ودليل صدق على ما تقرر من فرط فساده وجَوْره. ولم يطلبوا توقيعاً من أحد على تلك الهدنة، بخلاف الأولى فأنها لم تكن إلاّ بالرضا، فلم يرض عُبيد صالح بن عَبْدات بالإذعان لهذه الهدنة بالضغط والأكراه، وحَدث أن عَبِيْدة ضربوا مَوْلى لابن عمه حسن بن عوض بن عَبْدات، وكان مطروداً في أيام عمه عمر من **الغرفه**

لتعديه على المساكين من الرعايا، فَرُفِع الأمر إلى سيوون، وكان يحسد صالح عبيدات ابن عمّه، ويبتغي له الغوائل ويتطلب له العثرات، طمعاً في أن تُسْنِد الحكومة إمارة **الغرفه** إليه. فَطَلبت حكومة سيوون بقوة الضابط (انجرامس) إرسال المتضاربين إلى سيوون للمحاكمة، فامتنع عُبيد صالح عن إرسالهم لأنه لا يعترف لصاحب سيوون بولايةٍ على بلدة **الغرفه**، فليست المحاكمة من اختصاصه. وحَدَثت أمور أخرى أنضمت إلى ذلك، فنشبت الحرب بين سلطان سيوون وعُبَيْد صالح. وفي ربيع الأول من سنة ١٣٥٩هـ أَلْقت الطائرة كتاباً على عُبَيْد صالح يعزم عليه بالحضور إلى سيوون للمحاكمه، فرد عليه بأنه مستعد للمحاكمة إلى الشريعة في الموضع الذي لا تأثير عليه لدولة القعيطي ولا لدولة آل عبد الله، ثم طُلِبَ من الضابط انجرامس أن يقوم بتأديبه، فامتنع إلاّ بمبرر لرميهِ عليه، فأمضى نحو ستين من العلويين ومن لَفّهُم بسيوون على مذكرةٍ تُبَرِّر حربه.

وكان الغُبْن لو ذَلّوا ونالوا فكيف إذاً وقد ذَلُّوا وخابوا

فجهزوا عليه جيشاً يُقَدَّر بنحو أربعمائة مقاتل بمعداته من المدافع والرشاشات وغيرها، وشَرَعت الطيارات ترمي بقنابلها على أرباض الغرفة، ثم عليها، وتكرر الهجوم من الجيش البريّ إلاّ أنه يتراجع في كل مرّة. وقد وَصَفْت الحالة وما جَرى على أهل **الغرفه** من الأنكاد والمحنه بقصيدة مؤثّرة، توجد بموضعها من ثالث أجزاء الديوان. ودام الرمي من الطائرات ومرابطة الجيش حول **الغرفه** تسعاً وعشرين يوماً. ولكن لمّا انضمت إيطاليا إلى ألمانيا في الحرب الأخيرة، أهتمَّ الانقليز لذلك، وسعى لأيقاف حرب الغرفة، ونُشِرت إعلاناتٌ بأن الشيخ عُبَيْد صالح أَذْعَن لما حُكِم عليه به، وهو مُغادرة **الغرفه** في ظرف ستة أشهر، ودَفْع غرامة مُقَدَّره بنحو ثلاثون ألف رُبيّه، وهذا نص الأعلان: (ليكن معلوماً لدى العموم أن عُبيد صالح بن عَبَدات، أمضى اليوم على وثيقة، مطيعاً لأوامر الحكومة، أي دفع ٥٠٠٠ روبيه، و٨٠٠٠ روبيه قيمة ٤٠٠٠٠ حبّة رَصَاص، وأن يُغادر حضرموت وهو دافع ستة آلاف روبيه، وقد سُمِح له بأن يدفع الباقي ويُغَادِر حضرموت في ضمن ستة أشهر، وقد تعهد أن لا يعمل أي إضطرابات أخرى) أهـ. غير أنه لم يُنَفِّذ شيء من ذلك، ولا ظَهر له أثر. وبقي الشيخ عُبيد مُتملكاً **بالغرفه** على حاله، يَأمُر وَيَنْهِي، ويحكم ويرسم، غير أنه بدأ في سنة ١٣٦١هـ يَجُوْر على رعاياه ويأخذ حبوب الفلاحين بثمن بخس ينسئهم به

لا إلى غايةٍ محدودة، ثم يرد عليهم بعضه للأقتيات بأغلى مما أخذه منهم، فاشتد البلاء، وضَجَّت الأرض والسماء، وأَحْدَث جُمْرُكاً على الطريق، يأخذ من كل ما يمر به من البضائع نحو العشور، واستهان بالدولة الكثيرية، وتخطم أنوف الشنافر، وأبقى عيهم بالعجز عن النصفة عاراً لا يفنىٰ كما قال إياس بن الوليد:

تبقى المعاير بعد القوم باقيةً ويذهب المال فيما كان قد ذهبا

وتعالم الناس حينئذٍ بأخبار شنيعة عن جَوْرِه، بِحقٍ وبباطل، فَتَألَّمت من ذلك وأنشأت قصيدةً فَصَّلت الأمور فيها، وكان انشاؤها لخمس من شوال سنة ١٣٦٣هـ، وانشدتها حينئذٍ لكثير من رادتي، منهم السلطان عبد الله بن محسن بن غالب، لأنه كان من محبيه وتربطه به قرابة دُنيا، إذ كانت جدتاهما أُختين، وتناولته بكثير من المذمّة والمعتبة، وأقذعت له. ولكن ذَكَر لي بعض أعدائه أنه أَطَّلع على وصيته بين أوراقه التي أَعْجَلُوه عن أخذها يوم جلائه، وفيها الأمر بِرَدّ كل مَظْلَمةٍ إلى صاحبها (والفضل ما شَهِدت به الأعداء). وبالحقيقة أنه أعان على نفسه بترفعه عن أبناء جنسه، بعد سلامته من تلك الحرب الضروس التي فرَّج الله عنه ـ منها ـ بالطليان، وخرج وقلوب الناس معه، وبعض أهل الخبرة لا يعيبه إلاّ بسلامة صدر انطلى عليه، بسببها غش جليس له لا يهمه إلا حمايته من نصح العقلاء، كيلا يشيروا عليه بإبعاده. وقد ضاقت به الأرض ولم يجد ملجأ بحضرموت إلاّ إليه. واتفق أن أحد السُيَّاح الأنكليز أراد أن يمر بالطريق التي تلي «بحيره» وهو قد حَمَاها بالعسكر، كيلا تُهَرَّب البضائع من ناحيتها بعدما جعل العشور ضربة لازب على كل عابر، فمنعوا السائح المرور، ولمّا أظهر العناد أطلقوا عليه الرصاص بقصد التخويف، ولكن الحكومة الانقليزية أغضبها ذلك، فأنذرته، ثم جَهَّزت إليه جيشاً عرمرماً لم تَعْرِف البلاد له مثيلاً، يقوده الجنرال السيد أحمد بن مِحْضار السيدروس الآتي ذكره في «بُوْر»، فيه من المدافع الضخمة، والدبّابات الهائلة، والسيارات المُصفّحة بالفولاذ، ما تتفسخ له العقول. ومع ذلك فقد إستمات، وثَبُت، وبقي يدافع ويُطلق الرصاص بدون جدوى لأنه لا يؤثّر في تلك السيّارات، فانسلّ عنه لوَاذاً، كل من كان معه، ماعدا قاضيه الشيخ محفوظ المُصَلّي اليافعيّ، وحينئذ بخع بتسليم نفسه، فأركبوه على السيارة العسكرية إلى مطار القَطْن حيث أخذوه بالطائرة إلى عدن. ولم يُشَنِّعوا به صدراً، ولم يؤلموا له صديقاً، ولم يُمكّنوا أحداً من منافسيه ومُبغضيه

حتى من النظرِ إليه، فشكر العقلاء للدولة الأنقليزية تقديرها لشهامته وأَنفَته، وقد قُلْت بمناسبة ذلك قصيدةً، توجد في الجزء الثالث من الديوان، منها:

لا شَـامِـتٍ قَـرَّت لـه عـيـنٌ ولا تَـرَكـتـهُ يَـسْـمـعُ فـي الـطـريـقِ مُـوَبِّـخـاً

ومنها ما قُلته في وصف ذلك الجيش ومعدّاته الهائلة:

جـيـشٌ يـمـتـد بـه الـفـلاه ومـنـظـرٌ مـنـه الـرِعَـان تـكـاد أن تَـتـفـسَّـخـا[1]

هـضـبـات فُـولاذٍ تُـقِّـلُ مَـدَافـعـاً مـلأت وقـد سـارت قـطـاراً فـرسـخـا

وقـذائـف لا يَـسْـتـقِّـلُ لـرمـيـهـا حـصـنٌ وطـيـدُ الـركـن حـتـى يـنـفـخـا

يـومٌ أجـرّ مـن الـمـذلـة أَلْـسُـنـاً وأمَـدّ أُخـرَى بـالـتـطـوّل بـذخّـا

فـيـه الـشَـنَـافِـر يـضـحـكـون شـمـاتـةً وَسَـيْـجـهـشُـون إذا الـظـلام تَـدَخْـدَخـا

كـم مـن طـويـلٍ شـامـخٍ عـرنـيـنـهُ لا بـد بـعـد الـيـوم أن يـتَـنَـخـنـخـا

وكذلك كان الأمر، فقد صار الشَنَافِر بعده أَذَل من أبناء السبيل، حتى لقد مُنِعوا من حمل السلاح ومن إطلاق البنادق في الأفراح. ومن الغرائب أن ضَبْعاً وقَعَت في شبكةِ أحدهم فما جسر أن يُطلق بندقيته عليها، فبقيت تُناوص وهو ينظر إليها حتى هربت، وما أظن الأمر يبلغ ذلك، ولكنه من خور العزائم، واستيلاء الذُل، ذَهَب بها إلى ما ذهبت إليه «عُلَيّة بنت المَهْدِي» فلقد منعها الرشيد أن تذكر غلاماً تهواه وتهيم به، وإسمه طَلّ، فبينا هي تتلو كتاب الله إذ انتهت إلى قوله تعالى «فإن لم يصيبها وابل» فلم تجسر أن تقول: فَطَلٌ، بل قالت: فأن لم يصيبها وابلٌ فما نَهَى عنه أمير المؤمنين. فظَهَر عليها وكان ذلك بمسمع منه من حيث لا تشعر بمكانه، وقال لها: ولا كلّ ذلك يا أُخيّه. أمّا نفقات ذلك الجيش فلا يزال أمرها مجهولاً، وقد أخبرني من لا يُتَّهم أن أحد رؤساء الأنكليز خطب بالمُكَلاّ مع سفره عنها، وقال في خطبته أن البَتَّ في نفقات ذلك الجيش مُؤخَّر إلى الفُرصة المناسبة، ولا شك أنها ستكوْن باهظةً جدّاً. أمّا عُبَيْد صالح فقد بقي بعدن مدةً من الزمان، موفور الكرامه، ثم أُذِن له في السفر إلى سنغافوره، وبقي يتردد بينها وبين بتاوي، معتمداً على أمواله، رخي البال، مشروح الصدر، قد

(١) الرِعَان: الجبال الشامخه.

أراحته الحكومة من الحالة التي توغر الصدر، وتقبض النفس، وتطيل التعب والعنا في مساسية من لا بد ـ له ـ منهم في الدفاع عن الغرفه، من أمثال الْحمُوم الذين يتجنّون عليه ويملؤن قلبه كل يوم قيحاً وغَيْظاً، ويأتي فيهم قول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحُر أن يَرَى عَـدُواً لـه مـامـن صـداقـتـه بُـدُّ

حصون آل كثير:

والغرفه مُحاطه **بحصون آل كثير**، ففي شرقيها: حصون آل خالد بن عمر، وفي الرسالة التي طبعها الشيخ صالح عُبيد بن عَبَدات ووزّعها بين الناس، ما يُصَرِّح بأن آل خالد بن عمر لم يبنوا ديارهم بذلك المكان إلاّ بمخابره من آل الفاس، وفيها ـ أيضاً ـ أن دِيار آل الفاس كانت بالجانب الغربي من السليل، في شمال دِيار آل فحيثا، وفيها ـ أيضاً ـ أن لآل الفاس ذِكْر في كلام الشيخ سعد السويني مما يدل على تقادمها، وفي الصلح الواقع بين آل خالد وآل الفاس (سنة ١٣٣٦هـ) كان من الشروط لآل خالد أن يستقِلّوا بولاية «الحَوْل». ومن الشروط عليهم أن تُهَدَّم حصونهم تلك، فَهُدمت، ولكن آل الفاس ابتنوا فيها مخفراً سَمَّوه «خَيْبَر» تشبيهاً لآل خالد باليهود، فكانت حزازه في نفس الشيخ صالح عُبَيْد، يتحيّن الفُرَص لأن يثأر بها، فمات بحسرته، ولكن ولده عُبَيْداً أثلج خاطره وبَلّ غليله، فتمكن من استمالة عَزّان بن محمد بلفاس، حتى مَكَّنه من دياره ومن دار محمد بن شعبان في مثوى آل الفاس، ومن ذلك المخفر، فهدمه. ولكنها لم تطل مدته من بعد ذلك، وبينما عَزَّان بن محمد راجع من الغرفه ـ ذات يوم، بعد تسليمه دياره لِعُبَيْد صالح ـ بَصَر به آل الفاس، فأطلقوا عليه الرصاص حتى قتلوه، ورفعوا محمد بن شعبان إلى الحكومة، فأخذَتهُ إلى المُكَلاّ، ثم ردته إلى سجن سيوون وبه كان هلاكه. ومن اللطائف إنني زُرت سيدي الشهم الفاضل محمد ابن سيدنا وشيخنا الأستاذ الأَبَرّ عيدروس بن عمر ـ في سنة ١٣١٨هـ ـ فألفَيْت منزله ملآناً برجالِ آل الفاس، للترضيةِ عن حالٍ صَدَر عن بعض سفهائهم إزاء بعض أتباعه وخدمه، وإذا رِجَالٌ عليهم وسام، ولهم بسطةٌ في الأجسام، وغرر باهرة، ووجوهُ زاهرة، ولحى غالية، وهمم عاليه

إذا لَـبِـسـوا عـمـائـمـهـم طـووهـا عـلـى كـرم وإن سـفـروا أنـاروا

ورأسهم لذلك العهد الشيخ صالح بن محمد بلفاس، قدموه عليهم عندما

بَقَل عَارِضاه، وما زال على رئاستهم إلى أن مات عن عمر طويل، وكان جميلاً، طويلاً، يأتي فيه قول الرَّضي:

مضى مثل ما يمضي السِنَان وأشرقت ... به بسطةٌ زادت على بسطة الرمح

وقول ليلى الأخيليه:

فنعم فتي الدنيا، وإن كان فاجراً ... وفوق الفتى لو أنه غير فاجر

بعد إبدال فاجر بظالم، وقد ذكرنا هذا البيت لمحسن بن عبد الله بن علي العولقي ولغيره، وصالح محمد هو الأحق به. وقبيل أن يهلك محمد بن شعبان ورَدني في جماعةٍ من آل الفاس ـ لا يَقِّل عددهم عن عشرة ـ في مسألةٍ، فَتَعجَّبت من قصر قاماتهم وصغر هاماتهم، ولم أُصدِّق ـ إلاّ بعد الإلحاح في السؤال ـ أنهم من سلالة أولئك البيض الطوال، إذ الأربعة منهم لا يُوزِنون بواحدٍ فيما أُقَدِّر من أولئك. وهكذا يَهْرم الزَمان وتتراذل الأيام، وكانت لآل الفاس قبوله حارّة ونَجْده تَامّة، ولهم مع آل خالد بن عمر ـ خاصة ـ ومع آل عَبدات ـ عامة ـ حروب لم تضرع فيها خدودهم، ولا زَلّت نعالهم. وقد بلغَ من جرأتهم أنهم أخفروا ـ آل جعفر بن طالب ـ وقتلو واحداً من من آل عَبَدات في غربي «تَرِيْس» ومعه أحد آل جعفر بن طالب، فنضخ رشاش دمه في ثيابه، ولم ينتصفوا منهم. ولم يبق بحصونهم اليوم من رجالهم إلاّ نحو الثلاثين رجلاً، إذ صار مَثْرَى العلويين وآل كثير ـ اليوم ـ بجاوا، وحصون آل الفاس واقعة في شمال حصون آل خالد بن عمر المهدومة. وفي شرقي **الغرفه** متشاملة (حصون آل الفاس) لا يزيدون عن اثني عشر رجلاً. ثم (حصون آل عون) وهم نحوهم في العدد، ثم حصون (آل مَهْري) التي سكنوا بها بعد جلائهم عن سحيلهم بِشِبَام، وعددهم بحضرموت نحو العشرين رجلاً.

يرقق:

هو وادي الغرفه، في شرقيها. وهو وادٍ أنيس في أعلاه قُلوت كثيرة يَتنزَّه **الناس فيها بعقب السيول**، ينهر إليه الماء من النجد المنبسط من حضرموت إلى ما شاء الله. وهو نَجْد واسع تتفرّق مياه الأمطار منه على وادي العَيْن ووادي بن علي ووادي **يرقق** هذا ووادي شموح ووادي يَثْمه ووادي يُثيمْه ووادي مَرْيَمة ووادي تَارِبه. **وليرقق** ذِكْر كثير في ديوان الشيخ عمر بن عبد الله بامَخْرَمه، وكان

سيدي الأستاذ الأَبَرّ كثير التَّحنث فيه، وربما أقام به الليالي العديدة في أوائل أمره، يتعبد الله. وفي منتصف الجبل الذي بجنوب **الغرفه** بقايا مَخْفَر يُقال له «كُوت بن قَمْلاً»، اختلف عليّ المُعَمّرُون في الجواب عنه، فبعضهم يقول أن ابن قَمْلاَ بناه لمّا استولى على **الغرفه** وهم الأكثرون، وقال آخرون إنما بناه آل كثير ليكون حامياً لهم من شَرّ بن قملا، والحق أن لا تخالف لأن ابن قملا إنما يصوْل في جهة آل كثير فهم وإياهم يَدٌ واحده[1].

حصون العوانزه:

هي واقعة في شرقي حصون آل الفاس والعوانزه من العَوَامِر، وهم قومٌ كرام فيهم صالحون فضلاء، منهم الشيخ عوض بن عبد الله بن عانوز، له مناقب شهيرة ومحاسن كثيرة، كان سيدي الأستاذ الأَبَرّ يزوره ويطلب دعاءه ويتبرك بالنظر إليه، وكان له الضلع الأقوى في حادثة المحايل[2]، ولمّا انتهت بانهزام يافع، خرج السلطان غالب بن محسن إلى عند الشيخ عوض بن عبد الله بن عانوز، بكثيرٍ من الرصاص والباروت، مكافأةً له على ما أبلى وأنفق، فردّه وقال: إنما أردت بمعونتي وجه الله تعالى، فعرض عليه ولاية تَرِيْس فلم يَقْبَل، وقال: لا أريد منكم إلاّ الشفقة بالذين يحرثون في آبارنا بأعمال تَرِيْس. ومن العوانزه الشيخ جعفر بن علي بن عانوز، كان غِرار الذي قبله في الورع والعبادة وطُوْل الصلاة، وكان سيد الوادي الحسن بن صالح البحر إذا كَتَب إليه يقول: الولد جعفر بن علي. وكنت أقول له: هل قَتَلت أحداً بيدك في واقعة المحايل؟. فيقول: إنهم بُغاه. ولأبيه ذِكْر كثير في الحروب الواقعة بين يَافِع وآل كثير، تدل على أنه من صدور القبائل وأولى رأيها وزعامتها. وكان العوانزه يسكنون المُحْتِرقه[3]. فتنكدوا من ملوحة مائها، ولحقهم من ذلك عناء شديد، فانتقلوا عنها إلى تلك الحصون، التي لم يتمكنوا من بنائها إلاّ باجتماع من آل كثير

---

(١) آل بن قَمْلا: قَوْم من بادية نَجْد. قال الشاطري بأنهم هاجموا حضرموت هجمات خاطفه ثلاث أو أربع مرّات في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. وأعظمها سنة ١٢٢٤هـ. وهي الهجمه الثانيه، وعَمّت معظم حضرموت، وفيها وقع التخريب والتحريف والتغريم. ولم تدم أكثر من شهر ونصف.

(٢) المحايل: [illegible]

(٣) المُحتِرقه: قرية في وادي المَسَيْل، غربي بلدة الغُرفه بوادي حضرموت. سُمِّيت باسم الجبل الذي بجانبها، واسمها القديم: أَنْف الحُمَام.

والعَوَامِر، ورابطوا حواليها إلى أن انتهى بناؤها بالرغم من معاطس يَافِع بِتَريس وغيرهم؛ وجَرت بينهم في ذلك معارك وأُريقت فيه دماء. ومع صلاح العوانزه وفضلهم، فقد كانوا من أشجع الناس وأَلَدَّهم على الأعداء، ولهم في واقعة المحايل المشهوره يد بيضاء ونصيب وافر، ومن العوانزه قَوْم منتشرون في «وبار» و«عُمَان» لا يزالون معهم على اتصالٍ، وفي الوقت الأخير ـ أي منذ نحو من خمس سنوات ـ زارهم شيخ من العوانزه بِعُمان، يظهر على وجهه وعينيه أثر الشهامة والنجدة، وقد قضى عندي سحابة يوم حدثني عن أخبارهم وكثرتهم وعن «وَبَار» وخصوبتها، بالتعاجيب، ولكني نسيت اسمه حال رَقْم هذا. ورجال العوانزه بحصنهم اليوم ـ [يقصد عام ١٣٦٦هـ] ـ لا يزيدون عن اثني عشر.

حصون آل جعفر بن بَدْر:

هي بإزاء الغرفه من الجبل النجدي، في شرقي المَحْتَرقه، وهم أهل بساطة وحُسن ظن وسلامة صدور، ينتسبون بالخدمة إلى السادة آل خيله[١]، ورئيسهم اليوم محمد بن سالمين، وهو على مِثْل حال السابقين، في استواء السريره والعلانيه، والسير سيرة الطبيعه، والبُعْد عن الخِلاَبَه[٢] والاحتيال، وعدد رجالهم بالتقريب أربعون، وأقرب الناس إليهم (آل مِنِيْبَاري) ولكن نَزَغ بينهم الشيطان، في الأخير، وجَرَى بينهم من الشر ما أشرنا إلى بعضه في الأصل.

حصون آل مِنِيْبَاري:

وهي من وراء حصون آل جعفر بن بدر، ويُقال لمجموعها حصن خزام، **وقد ذَكَرْنا في الأصل أن** أول من بناه: الشيخ سعيد بن عامر بن منيباري، وذَكَرنا من أخباره أنه كان بسحيل سيئون فانتقل إلى الحصن لمّا أَثْرَى، وكان فقيراً لا يملك غير اثني عشر ريالاً، اشترى بها أرضاً في بَوْر[٣]، فبارك الله فيها ونَمَت تجارته. وكان آل مينباري أهل نجدة، حتى أنه لا يقوم لقبائل يافع ـ من آل كثير ـ أحدٍ سواهم، فكانوا يحسبون لهم ألف حساب. وإليهم ـ وإلى آل عبد العزيز بن

---

(١) آل خيله: عشيره من العلويين، من ولد عبد الرحمٰن بن عبد الله بن علوي بن محمد مَوْلَى الدويله. ولُقِّب (مولَى خيله) لسكناه في جبل خيله المشهور بتريم والواقع في جهتها الغربيه.

(٢) المخادعه.

(٣) بَوْر: قرية بالشرق الشمالي من سيئون بمسافة ٢٠ كيلاً.

سعيد بن جعفر بن طالب ـ كان مرجع آل كثير في عظيمات الأمور، وكانوا كما قال الشريف الرَّضِي:

مليُّون في يوم القضاء إذا انتدوا بجدع القضايا من أنوف المظالمِ
وإن منعوا النصف اقتضوه وأفضلوا على النصف بالأيدي الطوال الغواشمِ

وكان لهم حصن في سواد سيوون في شمالها، بنوه في أيام يَافِع، بِعَكِرَ البارود. في الوقت الذي نهضوا فيه ببناء حصن العوانزه، فآل كثير ساعدوا العوامر على بناء حصن العوانزه، والعوامر ساعدوا آل كثير على بناء حصن آل منيباري المُسَمَّى حصن العجوز، وكانت يافع تمنعهم عن بنائه حتى لقد أصلحوا اللِّبن لبنائه فمر عليه أحد آل باعطوه فعمل على تهييج آل كثير بذلك فحالفوا العوامر وتم بنائه. وكان هذا الحصن بلاء على الدولة الكثيريه، لا ينجم بينهم أدنى حادث إلاّ رابطوا فيه، وأطلقوا الرصاص منه على أرباض سيوون، وجانبها الغربي، فانقطعت الأسباب وتعطّلت المعائش. وكان السيد حسين بن حامد المحضار، حريصاً على مخالفتهم لقبضهم بالمخنق من سيوون، وما زال يكاتبهم ويخاطبهم حتى استقدمهم ـ هم ـ وآل جعفر بن بدر إلى المُكَلاَّ. وهناك تم الحِلف بينهم، وفي وثيقته المحررة بتاريخ ١٢ محرم من سنة ١٣٣٣هـ عاهد آل منيباري وآل جعفر بن بدر على أنهم عيال الدولة أولاده ومنه وإليه، وأرضهم ومثاويهم أرض الدولة ومثاويه، وأرض الدولة كذلك، لهم المنافع مثل أرضهم، وهم تبعه وسمعه للدولة القُعيطيّة مثل أمثالهم من الحلفاء، ولا يعتذرون عن داعي الدولة عند الحاجة. والدولة كذلك لهم منه المنفعة بحيث يصل نفعه قريب أو بعيد، وعليهم للدولة أن يقوموا حسب طاقتهم وقدرتهم بكل ما يجلب للدولة الصلاح ويبعد عنه الضرر، والدولة كذلك من جانبه. وشلُّوا وبَدَر بوجوههم أن كلما يشومّ ويلوم الدولة ويعلَق بوجهه، فهو بوجيههم من حال ومال وطارِفة عسكري أو رعوي أو غيره مما يتعلق بالدولة، فعليهم إذا عَلِموا بخلاف على الدولة أن يقومون به حسب طاقتهم. وقد كُتب بينهم وَثَر بتاريخ هذا الحِلْف، على شروط عليهم للدولة، وشروط لهم من الدولة، وأقرّوا ـ المذكورون ـ بالسيادة للدولة القعيطية في الجهة الحضرمية، الجميع، وبالله الاعتماد، وعليها إمضاء السلطان غالب بن عوض، وشهادة السيد محمد بن سقّاف والسيد حسين بن حامد وغيرهم. ولكنه لم يُنَفَّذ منه شيء، لأن السيد حسين بن حامد رغب فيما بعد ذلك في مصالحة الدولة الكثيريّة، ولمّا تمت استثنى بها عن

حِلفهم وحِلف آل جعفر بن بدر الذي لم يجعله إلاّ تمهيداً لحمل الدولة على المصالحة، ولكن حِلْف الدولتين لا يزال على دَخَن إلى اليوم، وبإثر جلاء عُبَيْد صالح بن عَبَدات، وَهَن جانب آل كثير، وانهارَ ركنهم، فتوسّعت مملكة الدولة الكثيرية على حساب النفوذ الأنقليزي، وجاءها القَوْس بلا ثمنٍ، واستولت على حصن «بير العجوز» صفواً عفواً، وجرَى أخيراً على رئيس آل منيباري، وهو الشاب الشهم النشيط محمد عامر بن محمد بن منيباري نوع من الضغط بسيوون، ثم سُوّيت المسألة، ورجال آل منيباري اليوم ـ يقصد سنة ١٣٦٦هـ ـ لا يزيد عددهم مع عبيدهم عن خمسة وأربعين.

تَرِيْس:

هي من قدامى البلدان، ولم يذكرها ياقوت، ولم يزد الطيب بامخرمة على قوله: **تريس** قرية من قُرى حضرموت شرقي محلة المشائخ آل باعبّاد المعروفة بالغرفة، ذكرها القاضي مسعود. أهـ. وفي موضع من «صفة جزيرة العرب» للهمداني: تَرِيم من دِيار تَمِيم، وتريس بحضرموت. أهـ. ولعل **تَرِيساً** مُحَرفةً من تريم لأنه الأليق بالسياق. وفي الأصل عن صاحب «معجم البلدان» عن «معجم البَكْري» أنها سُمّيت باسم **تريس** بن خُوَالي بن الصَّدِف بن مُرْتِّع الكِندي. أهـ. ثم رأيت معجم البَكْري فإذا النقل صحيح، وفيه أن لتريس أخاً اسمه مَدِيس، وما ذكره من سبب التسمية. وأغلب سكان **تريس** من أعقاب الصَّدِف، ففيها مَثْرَى المشائخ آل باكثير، وقد سَبَق في «شبام» أن منهم الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد، أحد أصحاب الإمام البُخاري. ولكنه جاء في «الضوء اللامع» للسخاوي ذِكْر: عبد الله بن أحمد باكثير هذا، فقال أنه أخذ عنه، ولكنه لا يُستبعد أنه تصحيف مطبعي، فقد تَرْجم السيد عبد القادر العيدروس في «النور السافر» للشيخ عبد الله بن أحمد باكثير هذا، وذكَر أن وفاته سنة ٩٢٥هـ وولادته بحضرموت وطلبه للعلم بغيل باوزير. وكانت وفاة السخاوي بالمدينة المشرفة سنة ٩٠٢هـ.

قال شِنبل في تاريخه: وفي سنة ٩١٢هـ توفي الفقيه القاضي شجاع الدين عمر بن أحمد باكثير في سيوون، ودُفن بها. وفي سنة ٩١٣هـ توفي الرجل الصالح عتيق بن أحمد باكثير، وهذا هو جد (آل بن عتيق) أصحاب مَدُوْده. وقد أَلّف العلامة الجليل شيخنا الشيخ محمد بن محمد باكثير، كتاباً سَمّاه «البَنَان

المُشِير إلى علماء وفضلاء آل باكثير» [1]. وممَّن بِتَرِيس: الشيخ بوبكر بن عمر، عنده حظ وافر من الفقه، قال الشيخ علي بن عبد الرحيم: وُلِّي قضاء شِبَام بعد والدي، ووُلِّي قضاء الغرفة وقضاء هينن، وإليه المرجع عند المنازعات. أهـ. قال الشيخ محمد باكثير: وكانت وفاته في حدود سنة ١٠٨٣هـ. ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله المعلم بن عمر بن قاضي باكثير. وإنما قِيْل لجدهم: قاضي، ولم يكن، لأنه حضر نِزاعاً في مُشْكِل فحلَّهُ بفهمه، فقيل له: إنك لقاضي، فلزمه. تولَّى الشيخ عبد الرحيم القضاء ببُور نحواً من سنتين، ثم حصلت عليه شدّة من بعض الظَلَمة، فعزَل نفسه وعاد إلى بلده تَرِيس، ثم طلبه السلطان لقضاء «شِبَام» فَقَبِل وأقام سنتين وخمسة أشهر، ثم تَعصَّب عليه الحُسَّاد، فعزل، وعاد إلى **تريس** واشتغل بالمطالعة، ثم تولَّى قضاء تَرِيم في سنة ١٠٩٤هـ. وفي سنة ١٠٩٦هـ تنازع هو وآل تريم في قضية الهلال ورَدّ على جواب في القضيّة للشيخ محمد بن عبد الله باعلي، برسالة سَمّاها «المَنْهَل الزُلال في مسألة الهلال» فوافقه السيد علوي بن عبد الله باحَسَن، مع أنه كان من منابذيه، والشيخ عبد الله بن محمد بن قطنة، والشيخ عبد الله قدري باشُعيب، وفيه يقول عبد الله قدري:

فتريم قاضيها التريسي غدا ... يقوم للدين لتهنا تَرَي

فبالحري من بعد عرى أتت ... تريم تزهو في ثياب الحَري

وفي البيتين الأكتفاء، وأما حذف الهمزة من «تهنأ» للجزم، فكما جاء في حديث توبة كعب بن مالك: لتهنك توبة اللَّهِ عليك. ولم يُعْلَم موته ولا قبره.

ومنهم الشيخ أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد باكثير، ولم يُعْلَم وقت وفاته، ولكنه من تلاميذ السيد أحمد بن محمد الحِبشي المتوفي بالحُسَيِّسة، سنة ١٠٣٨هـ، والسيد عبد الرحمٰن الجفري المتوفي **بتريس** سنة ١٠٣٧هـ. ومنهم الشيخ بويكر بن عثمان باكثير، له ذِكْر في مجموع الأحداد. ومنهم الشيخ عبد القادر بن إبراهيم بن عبد القادر باكثير توفي **بتريس**. ومنهم الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم باكثير توفي **بتريس**. ومنهم الشيخ أبو بكر بن

(١) مطبوع.

أحمد بن محمد باكثير، له مسجد بتريس، ومنهم الفاضل الجليل علي بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن قاضي، ولد بتريس سنة ١٠٨١هـ، له ترجمة طويلة بلا ذِكْر وقت الوفاة. ومنهم الشيخ محمد بن عمر بن عبد الرحمٰن بن محمد بن قاضي، ولد **بتريس** وتوفي سنة ١١٩٨هـ. ومنهم صاحب التصانيف المشهورة الكثيرة الشيخ علي بن عمر بن قاضي، توفي حوالي سنة ١٢٣٠هـ، ومنهم الشيخ أحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن عبد الرحيم، توفي **بتريس** سنة ١٢٤٣هـ، وغيرهم. ومرجع (آل كثير) في النسب إلى الشيخ محمد بن سَلَمة بن عيسى بن سلمة الكِندي، تلميذ الشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفي بِقَيْدُون سنة ٦٧١هـ. وقال الملك الأشرف المتوفي سنة ٦٩٦هـ: وَجَدُّ (بني شهاب) الذي يُنْسَبون إليه هو محمد بن سَلَمَة الكِندي، وهو الذي انتجع من حضرموت وسكن بالبلاد الشهابية من أعمال صنعاء، وله ثلاثة أولاد: حاجب وعطوه وذغفان[1]، ولكل منهم أولاد. أهـ. ولكنه لا يمكن أن يكون هذا هو المراد، لأن قوله: وجدُّ بني شهاب إلخ يدل على تقدم زمانه، ولم يَذْكُر من أولاده من اسمه: أحمد، غير أنه لا يبعد أن يكوْن محمد بن سلمة المذكور في كلام الأشرف هو جد محمد بن سلمة ـ هذا ـ تلميذ العمودي، والمدار ـ في ذلك ـ على النّقل، فعسىٰ أن يوجد ما يوافق هذا.

وفي **تَرِيس** خاصة وحضرموت عامّة كثير من (آل باعطوه) فيهم الشعراء والشحّاذون، ولا يبعد أن يكونوا من ذرية عطوه بن محمد بن سَلمة جَدُّ بني شهاب، بل إن الأمر قريب من بعضه جدّاً.

ومن أهل **تَرِيس** (آل بن حميد) الصَّدِفيون، منهم القاضي الفاضل الفقيه الصالح المؤرخ سالم بن محمد بن سالم بن حميد، توفي بتريس في حدود سنة ١٣١٤هـ عن عمر ناهز المائة قضاه في أعمال البِر، وقد أحضرني والدي إليه فألبسني وأجازني ودعا لي وبارك عليّ.

أمّا السادة العلويون الذين **بتريس**، فقد سبق منهم ذِكْر السيد عبد الرحمٰن الجِفري وهو المعروف بصاحب العَرْشَة وقد كان جدّهُ عبد الله من أهل **تَرِيس**،

(١) في كتاب طرفة الأصحاب: زعفان.

ومن ذريته السيد علوى بن عمر بن سالم، تولّى القضاء بشبام، وعيدروس، وعبد الله أبناء أحمد، أخيار فقهاء، توفي الأخير منهما **بتريس** سنة ١٢٦٤هـ.
ومن ذريّة شيخان بن علوي بن عبد الله الترسي: العلامة الجليل علوي بن سقاف بن محمد بن عيدروس بن سالم بن حسين بن عبد الله بن شيخان المذكور، وهو الشيخ الخامس عشر من أشياخ سيدنا الأستاذ الأَبَرّ عيدروس بن عمر، كان واسع العِلْم والرواية وله رحلات إلى اليمن وغيرها، وكان هو وسيدي الجد محسن بن علوي كالوزيرين لسيد الوادي الإمام حسن بن صالح البحر.
وكان الحق عنده فوق كل عاطفةٍ، من ذلك أن بعض الوهابيّة أنكر على آل حضرموت جعلهم خَتْم المجالس بالفاتحة، على الكيفيّة المعلومة سُنّةً مطردةً، مع أن لا دليل على ذلك، فردَّ عليه سيدنا طاهر بن حسين بِرَدٍ خرج مخرج الخطابة والوعظ، فنقضه الحبيب علوي بن سقاف الجفري هذا، برسالةٍ سمّاها «الدلائل الواضحة في الرد على رسالة الفاتحة» تَرْجَم فيها: لابن تيميّة، ولتلميذه ابن القيِّم، وللشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة المشهورة. وأطْنَب في الثناء عليهم، ولمّا أَطّلع عليها الحبيب عبد الله بن حسين كَتَب عليها بخطه: علوي بن سقّاف يقول الحق ولو كان مُرّاً. غير أني تحيّرت زماناً في هذا المُقرِّض! أهو عبد الله بن حسين بلفقيه أم عبد الله بن حسين بن طاهر؟. حتى تذكَّرتِ ما جاء في خط السقاف الذي سيّرهُ للسيد أحمد بن جعفر الحِبشي ـ حسبما سبق في الحوطة ـ من قوله: (إذ عَنَّ لِمُصَنّفه من لا يحبّه)، فَعَرَفت أن المُراد بلَفْقيه، لأنه هو الذي لا يُحب مؤلف «الدلائل الواضحة» لاتساع شقه الخلاف بينهما في عدة مسائل فروعيّة، تبودلت بينهما في بعضها الردود اللاذعة من الطرفين. وكانت «الدلائل الواضحة» عندي فاستعارها مني الفاضل الأديب السيد حسن بن عبد الله الكاف، ثم لم يردّها وأحالني إلى عدن بعدة كتب قياضاً عنها فلم تُدفع الحوالة، وأخاف أن يكوْن أعدمها فإنه بخوفٍ شديد أن تقع في يد أهل «جمعية الإرشاد» فيجمعوا أيديهم منها على حُجّة ضد أخصامهم من أهل الرابطة فيما هم فيه مختلفون. ومن هذا ومن أخذ الجماعة كلهم عن السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، وهو وَهّابيّ قُحّ، تَبيَّنت أن عند مولانا شَيْخ الوادي الحسن بن صالح مسحةً من تلك الآراء بغاية الاعتدال، لموافقتها لما هو فيه من الاستغراق في تجريد التوحيد، وعدم إلْتِفاته إلى غير الحميد المجيد. ولا يشكل ـ على هذا ـ ما في «بغية المسترشدين» ـ عن فتاوى الحبيب علوي بن سقّاف

الجفري هذا ـ من جواز التوسل، لأنه إنما يبيح منه ما لا يوهم القَدْح في التوحيد. كما لا يشكل ما يوجد في بعض مكاتبات الحبيب عبد الله بن حسين بَلْفقيه ـ مع توهيبه ـ من الإنكار على بعض المتشددين في ذلك، لأن ذلك الإنكار إنما كان للتهور وفرط الغُلوّ الذي أشتط فيهما الرجل وظني انه السيد جعفر السالف الذكر عما قريب. وقد قال أبو سليمان الخطّابي:

ولا تغلُ في شيء من الأمرِ وأقتصِد كِلاَ طرفي كُلِّ الأُمور ذميمُ

وما كان سيدنا البحر ومن على شاكلته ليخرجوا عن حد الاعتدال أو يُكَفِّروا أحداً إلاّ بعد ثبوت الكُفر والاصرار عليه بعد الإستتابة، وقد قال العلامة ابن تيميّة في ص ٢٥٨ من رده على البكري: فلهذا كان أهل العلم والسنّة لا يُكفّرون من خالفهم. أهـ. مع أن هؤلاء ـ أهل القِبْلَة ـ ينكرون إنكاراً شديداً على القبوريين، حسبما قاله لسان حالهم الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في غير موضع من كُتبه، وليسوا في ذلك بمقلّدين، بل قال سيدي عبد الله بن حسين بلفقيه لعبد الله عوض غرامه: نحن وهابيّون من أيام محمد بن عبد الله ﷺ، الذي جاء بتكسير الأوثان والحنيفيّة البيضاء. ورأيت للسيد محمد بن أحمد الأهدل سِياقةً توافق ماهُم عليه، منها أن طَلب التوجه إلى الله في المهمات من الأولياء ـ مع اعتقاد برأتهم من الحول والقوّة والاتصاف بالعبودية المحضة ـ جائز، وهو معنَى التوسُّل. ولكنه لا يكوْن إلاّ عند ضعف اليقين، والأوَلى للمؤمن القويّ الإيمان أن لا يجعل بينه وبين الله واسطة، فقد قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[1]. وقد كان ﷺ لا يستعين إلاّ بالصبر والصلاة، ومتى حَزَّ بِهِ أمرٌ فَزِعَ إلى الصَّلاة. أمّا الأولياء فإنهم ـ مع وجاهتهم وقرب دعائهم من القبول ـ ضُعفاء فُقراء لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم، نَفْعاً ولا ضُراً، ولا موتاً ولا حياةً، ولا نشوراً.. توفي الحبيب علوي بن سقّاف الجفري المذكور بتريس سنة ١٢٧٣هـ قبيل وفاة شيخه البحر بمدة يسيره، وخَلَفهُ ولده العلامة الفقيه سالم بن علوي، وكان على قضاء تَريس، وجَرَت بيننا وبينه محاورات ومناقضات ورسائل. وخَبرُ ذلك إنني لمّا عدتُ من جَاوا مُشبّعاً بالآمال في الإصلاح، خطبتُ في الجامع سنة ١٣٣٠ هـ أثر الصلاة ودَعَوت إلى التسامح والتصالح

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

والتآلف والاجتماع، فاستاءت لذلك طائفة (باطويح) واشتد عليهم كلامي بحضرة العلامة السيد علي بن محمد الحِبشي، وربما فهموا من السياق تعريضاً بانحراف سيرته عن هدي السلف الطيب، فلم أشعر بعد مدّة إلاّ بورقة فيها ما يشبه الرد على نقاط من تلك الخطبة، التي كان أختزلها بعض الطلبة ووزّع نُسخاً منها بين الناس، معزوّة تلك الوَرقة إلى الفاضل الأديب ـ الذي أخلص صداقتي فيما بعد ـ السيد عيدروس بن سالم بن علوي الجفري، فكتبت رداً عليها من لسان القلم عزوته إلى غيري. وبعد شهر تقريباً وصلتني عدة أوراقٍ ـ نحو العشر ـ يُراد منها دفع ذلك الرد، فنقضَتها في بضعة أيام برسالةٍ ضافية الذيول سمّيتها «النجم الدُريّ في الرد على السيد سالم الجِفري» فكانت القاضيه في أخبار طويلة مستوفاة بالأصل. ثم أن السيد سالمْ بن علوي ﷺ جاءني بعد ذلك ـ على شيخوخته ـ وصارحني بأنه لم يراجعني القول إلاّ عن إيعاز قويّ ممن يذب عنهم، وأنه مُكرهٌ لا بطل، وأن الصواب تبيّن له من «النجم الدريّ» فوافق عليه، فأكبرته وأعظمت طِيب نِيّته وسلامة صدره، إلى ذلك الحدّ الذي يصعب مثله إلاّ على أهل الإخلاص. وقليل ما هم. ومن العجب العجيب أن كلام السيد سالم بن علوي ﷺ في دفاعه عن صاحبه كان مُخالِفاً ـ على طول الخط ـ لما قرره أبوه في «الدلائل الواضحة» وهي موجودة عنده. والحق فيها أعظم وأوضح مما في «النجم»، وما وَقَعْت عليها إلاّ بعد ذلك من يد ولده الفاضل السيد عيدروس، ولو كانت عندي من قبل لكانت الحُجّة أدمغ والعِبَارة أبلغ. ويقيني أنه لم يكن على ذِكْر منها حين كَتَب ما كَتَب. توفي ﷺ في حدود سنة ١٣٣٦هـ وخَلفهُ ـ على القضاء والتدريس بتريس ـ ولده العالِم الجليل والفاضل النبيل: عيدروس. وكان أديباً شاعراً جميل الوجه، نظيف الثياب، حسن الشاره، كبير الهمة، لم تضع الأعادي قَدْر شأنه ـ وقتما كان على القضاء ـ ولكنه أراد ما أراده الطغرائي في قوله:

أريدُ بِسطةَ كَفٍّ أستعينُ بها ... على قضاء حقوقٍ للعُلى قبلي

فَطوّحت به الأسفار إلى جاوا من حدود سنة ١٣٤٢هـ إلى اليوم، نسأل الله أن يقضي لنا وله الحاجات، ويُفرِّج الكُربات، ويجمعنا به في الأوطان على أرغد عيش وأنعم بال.

أما (دولة تريس) فقد كانت لآل ثعلب، ومن صلحائهم السلطان عمر بن سليمان بن ثعلب، أثنى عليه الشيخ محمد بن عمر باجَمّال في كتابه «مقال

الناصحين» وقال: كانت له أحوال محمودة، وشَفقه على الرعيّة صالحة، وتَفَقُّدّ لهم تام. كان يقتني من البهائم وآلات الحرث لرعاياه مثْل ما يعدهُ لنفسه، ويبذل ذلك لهم، وكان يتفقد أهل الفقر والحاجة منهم فيواسيهم ويحسن إليهم ويصلح بين المتخاصمين، ويتحمل في ذلك الأثقال الكثيرة. أهـ. ومع هذا فقد كان الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه يغري به سلاطين آل كثير ويهيّجهم عليه، إلاّ أن الشيخ من أهل الأحوال الذين لا يُقتَدى بهم. ولمّا تلاشى مُلك (آل ثعلب) صاروا سوقه وتجاراً بالغرفة وغيرها حسبما مرّت الإشارة فيها إليه. ثم استولت يافع على تريس وكان عليها منهم الأمير صالح بن ناصر بن نَقِيب، يَعْشِرها وما حواليها إلى مكان (آل مهرى)، لا يَقْدِر أحد من آل كثير أن يعترضه في شيء، مع أن عسكره قليل جداً، غير أنه كان شُجاعاً مُهَاباً. وكان ابنه عبد الله جَمْرَة حرب، متورِداً على حياض القتل والضرب. وفي جمادى الآخرة من سنة ١٢٦٤هـ نازلهم (آل عبد الله) الكثيريون بإشراف القبله وغيرهم، بعد أن فرغوا من (آل الضبي) بسيوون، وبعد حصار دام سبعين يوماً سلّمت تَرِيس وتم الصلح، وكان جلاء ابن نقيب إلى القَطْن حسبما هو مفَصَّل بالأصل. وتلك الأيام نداولها بين الناس. وعلى ذِكْر بيت الطَغْرائي السابق بلغني أن بعض بني شيبة اعتزم السفر فجاء لموادعة الشريف فقال له: فيم؟. قال: أريد. فلم يصل داره إليه وقد سبقه ألف دينار له إليه من الشريف، أراد الشريف قول الطغرائي:

فيم اقتحامك لج البحر تركبه
وأنت تكفيك منه مصة الوشل

وأراد الرجل البيت السابق من نفس القصيدة، رحمة الله على أهل الجُود، ويا للأسف إذ تضمنتهم اللحود، ولله در الرضيّ في قوله:

وهل تدعي حفظ المكارم عصبة
لئام ومثلي بينها اليوم ضائع
نعم لستم الأيدي الطوال فعاونوا
على قدركم قد تُستعان الأصابع

وللشعراء في معنى الأول مجال واسع ذكَرنا منه في «العُود الهندي» ماشاء الله أن نَذْكُر.

السَّوْم:

موضع في شرقي تَرِيس، فيه نخل كثير وكان به مسجد صغير للسيد عبد الرحمٰن بن محمد الجَفري مَوْلى العَرْشِه السابق ذِكره في تَرِيْس وغيرها. وكان مكمناً لقُطَّاع الطريق ثم أحبه الإمام عمر بن سقاف بن محمد بن عمر السقاف، وأكثر من التردد إليه. ثم ابتنى به داراً وعمّر ذلك المسجد وزاد فيه زاويةً فعاد موئلاً لكل شارد. وكيف لا وقد حل به بكر عطارد.

أغــرُّ أبــلــج تــأتــم الــهُــداةُ بــه
كــأنــه عــلــمٌ فــي رأســهِ نــارُ

له مناقب كثيرة، وفضائل شهيرة، وقد ترجمه الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير السابق ذِكْرَه في «ذي أصبح» بكتاب سمّاه «المَنْهل العذب الصاف» جمع فيه وأوعى. ومع ذلك فالحبيب عمر حقيق بقول شاعر الخريده:

قد حلّ في مَدْرج العلياء مرتبةً مطامح الشُهب عن غاياتها تقفُ
أغرى بوصف معاليه الوَرى شَغَفاً لكنه والمعالي فوق ما وصفوا

وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط انه اعنى الحبيب عمر بن سقاف يقول كلما قام أو قعد (الله لا شريك مع الله) لأن الكابر يعبدون الله بخالص التوحيد وفيه تأكيد لما أسلفناه عما قريب.

توفي سنة ١٢١٦هـ. وله عدة تآليف وأَشْعَار، بعضها جيِّد، إلا أنه كان لدينا حادِ ثقيل الرُوح، أَمَلَّني بتكرير قصيدةٍ من أدائه يتواجد عليها حتى أضجرني عنه جُملةً، وكنت في ذلك كما قال مَعْن ابن أوس:

إذا انصرَفت نفسي عن الشيء لم تكن
إليه بوجه آخر الدهر تقبل

وخَلَفَهُ على عمارة مسجده والتردد إلى مكانه **بالسُوْم** ـ الذي سمَّاه الطائف ـ ولده الجليل المقدار نور الدين حسن بن محمد، وابتنى به دارين زائدين عن الدار الذي بناه والده، توفي سنة ١٢٢٥هـ وخلَفه ولده العالم العابد عبد القادر المتوفي سنة ١٢٩٦هـ، ثم ولده العلامة الناسك محمد المتوفي ١٣٠٥هـ، ثم ولده القانت المتواضع سالم. وقد عَمَر به داراً واسعة في سنة ١٣١١هـ إلا أنها

للآن تريد أن تنقض فنسأل الله أن يقيمها وأن يُديم منازلها عامرةً بالعلوم ويديمها، توفي في سنة ١٣٥٧هـ عن جملة أولاد منهم عيدروس شاعر فقيه، ومنهم عبد الله أبيٌ غيور.

القرَيْن:

هي حوطة العلامه الجليل الشريف الغني عن الوصف والتعريف: الحسن بن علي بن الصادق الجُفري، أحد مشائخ الحبيب عمر بن سقاف، له في التقوَى والعبادة والتواضع أحوال عجيبة. قال سيدي **حسن بن سقّاف بن محمد في** مناقبه لوالده لمّا ذَكَر سيدي حسن بن علي الجُفري المذكور: واستوطنَ مكاناً غربي تَريس يُسمَّى **القرَيْن**، ضعيف البقعة والنخلة، ولكن الحبيب كان قانعاً، وقد أخذ مع خُلوّ يده بقيمة حقيرة وبَنى فيه ـ بالتدريج ـ بيتاً، ولم يزل به حتى توفي سنة ١١٧١هـ ودُفن به، لأنه قال لأخ له ما ترى في **القرَيْن**؟ فقال: هو قرين ما زالَ حسنٌ فيه، فأحب أن لا يزال فيه لكلام أخيه. ولا يزال بها أعقابه يَعْمُرون مسجده ويَكْرِمُون وارده، إلاّ أنهم قَلّوا، فليس منهم بالقرين الآن [1] سوى أربعة رجال. وهي في شمال السوم إلى جهة الغرب قليلاً. وحواليها نخيل كثير. وفي شرقيها ـ متشائلةً عنها ـ حصون (آل حُصُنْ) من آل كثير، لا يوجد بها الآن من الرجال إلاّ القليل.

شحوح:

هو وادٍ واسع عن يسار الذاهب من سيوون غرباً، إلى تَريس، آخذاً في الجنوب. يَدْفَع فيه واديان عظيمان يُقال لغربيهما «**شحوح** بن ثَعْلب» نِسبةً إلى أمراء تَريس السابق ذكرهم، ولشرقيها «شحوح بن يماني» نِسْبةً إلى «مسعود بن يماني» لأن نَهْداً وحلفاتها ثاروا على عمر بن مهدي (أحد أمراء الرسوليين، مَوَالي الأيوبيين) في سنة ٦٢١هـ، فقتلوه في وادي **شحوح** هذا، ثم اندفعوا في ثورتهم إلى تريم واستولوا على جميع بُلدان حضرموت، غير أن مسعود بن يماني ـ هذا ـ أخرجهم منها صَاغِرين، واستقال منهم في نفس العام جميع بلاد حضرموت كما قال كُثَيِّر:

فما تركوها عنوةً عن مودةٍ ولكن بحد المشرفي استقالها

---

(١) سنة ١٣٦٦ هـ.

وقد ذَكَرت هذا البيت ومثَّلت بينه وبين نظرائه، مَعْنىً، في الأصل فليرجع إليه من أراد. وكان ذلك بدء أَمْر مسعود، إلاّ أنه أبقى على «بن ثعلب» فلم يتعرّض له بسوء وكأنه ساعده على نهدٍ، فبقيت في يدهِ تَرِيْس ثم في أعقابه من بعده. وكذلك بقي لهم وادي **شحوح** الغربي، وأما وادي **شحوح** الشرقي فصار إلى بن يماني، فأُطْلِق عليه «**شحوح** بن يماني». كذا سمعته من بعض المُعَمَّرين.

مَدُوْدَهْ:

هي في سفح الجبل الشمالي من سيوون. وهي من البلاد القديمة، ذكَرَها ابن الحائك الهمداني، إلاّ أنه أخطأ في ترتيب موقعها (كما هو شأنه في كثير من البُلدان). وفي الأصل ـ عن الشيخ سالم بن أحمد باحميد ـ أن الشيخ أحمد بن الجعد اجتمع فيها هو والشيخ عبد الله القديم عبّاد المتوفي سنة ٦٨٧هـ. وفي «المشرع الرويّ»: أن بُرهان الدين بن عبد الكبير بن عبد الله باحميد أشترى مدوده ـ وهي قرية خِربه ـ من السلطان بدر بن عبد الله بن علي الكثيري المتوفي سنة ٨٩٤هـ، وأنه بناها وحفَر بها بِيراً، فمنعه آل كثير، فقامت الحرب بينهم. وحمَل آل باحميد السلاح ودخلوا في حرب آل يماني بأسفل حضرموت، ولم يذكُر صاحب «المشرع» تاريخ الشِراء، ولكنه كان قبل سنة ٨٨٦هـ قطعاً ثم أن الشيخ برهان الدين وهَبها لوالده عبد الكبير، المقبور في الشبيكة من مكة المُشرّفة، فوقَفها. وقد أشكل شراؤها مع أنها كانت معمورة في أيام الشيخ عبد الله القديم ـ وما بالعهد من قِدَم ـ حتى يُقال أنها خَرِبَتْ وجُهِلَ مُلاَّكَها فعادَت من الأموال الضائعة فَسَاغ للسلطان بيعها. ولِبُرهان الدين شراؤها، فالإشكال قوي لكن الجواب حاصل بأن الخراب كثيراً ما يتكرر على قُرى حضرموت كما وقع في الحسيسه والعرض وغيرهما. ومتى حصل الخراب تَبِعهُ الجَهْل بالمُلاَّك سريعاً في الغالب، لأن شملهم يتفرق وأمورهم تتمزق، فلا تَبْقى لهم بقايا معروفه، بل يشملهم الإندثار والخمول. وليس في اجتماع ابن الجعد والقديم ما يدل على سلامتها من الخراب إذ ذاك. ألا تَرى إلى «مريمة الشرقية» فإنها خاويةٌ على عروشها منذ زمانٍ طويل؟. وليس بالمُستنكر أن يتعِّد جماعة للاجتماع في أطلال أحد مساجدها لشأنٍ من الشؤون. ومثل هذا كان لدفع الإشكال.

وجاء في حوادث سنة ٩١٦هـ من تاريخ شنبل وغيره، أن عمر بن عامر الشَنْفري سلطان آل عبد العزيز الشَنَافِر، أَخَذ «**مدوده**» من أحمد بن بدر بخيانةٍ من

راميها، وأن تبيع بن عبد الله بن جعفر هجمَ على «مدوده» وحَصَرها شهرين حتى صالحه ابن عبد العزيز، وأن آل كثير أثاروا الحرب على مدوده وهي في أيدي الشَّنافِر «آل عبد العزيز» وأضرُّوا بنخيلهم، وأن محمد بن أحمد بن سلطان سار من تَريم هاجماً على آل عبد العزيز في مدوده وأحرَق بها نخلاً كثيراً. وذكَرَ في حوادث سنة ٩١٨هـ أن أحمد بن بَدْر أخذَ مدوّده من عبود بن عامر الشَنْفري. هذا آخر كلام شنبل، وفي هذا تصريح بأن آل كثير ليسوا من الشنافر. وقد مَرّ ما يتعلق به في القاره، وسَبق قبيل القِسْم الثاني من هذا الكتاب أن «الشنافر» لَقَب فرقه من آل كثير بظفار فقط، فليكن على بال من الناظر.

وآل باحميد، ثلاث فرق: آل نادر، وآل فرج، وآل عوض، ولا يزالون مختلفين وأوفرهم حظاً من الشيطنة: آل عوض، ولذا احتال جدنا علوي بن سقّاف في إصلاحهم بمداولة المَنْصَبة مُسَاهَنةً فيما بينهم. وفي مجموع الجد طه بن عمر أن لا أكبر بحضرموت من منصب آل باحميد ومنصب باعَبّاد. ومَشْرَى آل باحميد في «مدوده» وفيهم كثير من الصالحين، منهم الشيخ الصالح الشهير عبد الله بن يس المتوفي بمدوده في سنة ٩٦٨هـ. ومن متأخريهم الصالح الكبير صاحب الفَرَاسة الصادقة الشيخ أحمد بن طه باحميد، كان ضريراً ولكنه يخيِّط ويُدْخِل الخيط في الإبرة عن مشاهدةٍ بعيني، وكان والدي يحبه كثيراً، وكان جم الدعاء لي والاعتناء بي، توفي بمدوده بعد الثلاثين والثلاثمائة وألف. ومنهم الشيخ سالم بن أحمد باحميد، له مؤلفات كثيرة، وكان عابداً مُتبتلاً حصوراً تقياً، وربما توفي بمدوده سنة ١٣٤٥هـ، وكان مولعاً بمحبة الفاضل السيد حسين بن عبد الله عِيْدِيد، كثير الثناء عليه حتى لقد أوصى بأن يُقْبَر إلى قريب من داره ومسجده الذين ابتناهما بمدوده، فاختار جواره على مجاورة الشيخ عبد الله بن يس. وكان السيد حسين بن عبد الله عَيْدِيد ـ هذا ـ انتقل من سيوون بعد وفاة السيد علي بن محمد الحَبْشِي، وتحالم الناس بأنه ورث حاله، ولم تطب له سيوون فبارحها وسكن مدوده، ولم يزل موئل الواردين والضِيْفَان، وأمره غريب، وله كلام من جنس ما يتكلم به مؤرثة في حاله إلاّ أن شِعره أحط من شِعر ذلك، لأن بضاعته في عِلْم العربية مُزجاة بخلاف السيد علي. وله رحلات إلى عدن والحجاز، وله وجاهة ولا سيما لدى أهل دَوْعن وبعض حَضَارِمَة عدن والحَبَشة وغيرهم. وإنهم لمشكورون على معرفتهم بقدره وقيامهم بحقه وإعانتهم له على الضيافة والمروءة. ولمّا كثرت الفتن بمدوده ولا سيما بين آل منيباري وآل جعفر بن

بدر، بسبب أن الأولين أَخْفَروا ذمة الآخرين فلم يتقنعوا ولم يناموا عن ثار، بل غسلوا بالنجيع ما كان من ذلك العار، فتكدر من جراء ذلك وابتنى داراً واسعة بسفح جبل عِفاك غربي مدينة سيوون، قريباً من القارة التي كانت عليها حصون آل الشيخ علي بن حسين بن هرهرة السابق ذكرهم في «عرض مسرور» وهي معمورة الفناء مفتوحة الباب.

وفي **مدوده** جماعةٌ من (آل باسلامه) وجماعة من (آل بن عتيق)، جدهم الشيخ عيسى بن سَلَمة بن عيسى بن سلمة، أخي الشيخ محمد بن سَلَمة جدُّ (آل كثير). فيهم كثير من الصالحين، ولو لم يكن لهم من إلاّ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتيق وزير الشريف حسن بن أبي نمي بن بركات، لكَفَى، فقد ذكَرَ عنه المحبي والعصامي وغيرهما ما تكاد تنشقّ له الأرض وتخرُ الجبال هدّا.

وفي **مدوده** جماعةٌ من (آل بامطرف) يحترفون شطف الحُصُرْ وزَنَابيل الخريف المُسمَّاة ـ في عُرف الحضارم ـ بالخُبَرْ. وأصلهم كآل الغيل وآل القَطْن من الصَيْعَر. وفيها جماعة من (آل حاتم) يرجع نسبهم إلى الصَيْعَر لا إلى العلماء من آل تَرِيْم. وفي غربي مدوده حصن (خزام) ـ كما سبق ـ لآل منيباري، وقد كان بينه وبين مدوده فضاء رحب لكن عُمِّرَ بالبيوت فاتصل بمدوده. وفي جنوبها ديار (آل شملان)، وما أظن رجالهم بحضرموت اليوم يبلغون ستة. وفي شرقيها مكان (آل الصِقَير) وهم قبائل تغلب عليهم البساطة وسلامة الصدر، فهم من أبعد آل كثير عن التنطُع والتحذلق وأقربهم إلى سنوق الطبيعه. كان منهم الشيخ سعيد عامر، رجل طيب، وخَلَفَهُ ولده عامر سعيد، على قريب من حاله. **وكانت لهم** شِدّة تحلّب منها آل بسيوون المُرّ في سنة ١٣١٨هـ. ولا يزيد عدد الموجودين بديارهم هناك الآن عن أربعين. ولهم بادية بنجد آل كثير **لا يزيد عددهم** عن ثلاثين رامياً، وكان على رئاستهم رجل له مروءه وشجاعة يقال له الوريقة، من مروئته أن أحد عبيد آل منيباري أحشَمَ [1] آل الصقير، فأصبحوا على آل منيباري، وَقَتَلَ عبد الله بن سلامة من آل الصقير، وكانت أعرافهم تقضي بانغسال العار به ولكن آل الصقير جدّوا في طلب ثاره، وبينا هم كامنون في الحيمرات[2] أطلّ حائط بن سالح بن منيباري في عَبيدٍ له فأراد آل الصقير إطلاق الرصاص عليه،

(١) أحشمه: أي آذاه وأغضبه.

(٢) الحيمرات: محله صغيره قريبة من السوم.

فكفهم الوريقه وقال: مِثل عائظ بن صالح لا يُقتل، فتعمّى بقتله جهه حتى قَتلوا بعد مدة واحداً آخر من آل منيباري يُقال له سعيد بن محمد بن سالمين فأدركوا به ثأرهم. وفي شرقي مدوده أيضاً ديار آل علي بن سعيد، وكلهم من آل كثير إلاّ أن الأخيرين من قبيلة آل عامر وليس منهم بديارهم هناك - اليوم - إلاّ قليل.

سيوون:

زِنة زيدون. يكتبها بعضهم بواو واحدة وبعضهم بواوين، والقاعده أن ما كثر استعماله واشتهر وفيه واوان يُكْتب بواحده فقط، كداود، وقد قُلت في منظومةٍ انشأتها في علم الخط:

ما كَثُرَ استعمالهُ وفيهِ واوانِ، واوٌ واحدٌ يكفيه

وهي من البُلدان القديمه، نَقل الشيخ المؤرخ سالم بن حميد أن «**سيوون**» و«تَرِيم» و«شِبَام» و«تَرِيْس» أبناء حضرموت، وأن هذه البلاد سُمِّيت بأسمائهم. وقد ذكرَها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» إلاّ أنه لم يُسَمِّها باسمها بل قال: وشَزَن وذو أَصْبَح مدينتان في دوعن. أهـ. وقد اسْتَشْكَلتُ هذا رَدْحاً من الزمن حتى فرّج الله عني بما رأيته منقولاً عن أبي شكيل عن أبي الحسن أحمد بن إبراهيم الأشعري من قوله: وذي أصبح **وسيوون** مدينتان عظيمتان لبني معاويه الأكرمين. فقوْل الهمداني: شَزَن امّا غلط وامّا أن يكوْن عرض بعده للتبديل، لكن من المعلوم أن سيوون منعطفه على الجبل الذي بحضيضه انعطاف اللام. والانعطاف من الإنحراف هو «الشَزَن» بنفسه، قال ابن أحمر:

ألا ليت المنازل قد بلينا فلا يرمين عن شزنٍ حزينا

ولعل **سيوون** - في القديم - كانت كحالها اليوم في الإنعطاف على جبلها. وأمّا قوله بدوعن فخطأ ظاهر لا يحتمل التأويل، ولهذا تركه أبو شكيل. وقد يغبِّر على قِدَم سيوون شيئان، أحدهما أنه لا ذِكْر لها في الحوادث القديمة [1]، وأول ما يحضرني من ذِكْرَها فيها أن نَهْداً أقتسمت السرير في سنة ٦٠١هـ فصارت سيوون وحبوظه لبني سعد وظبيان. وثانيهما أن الجامع الأول بسيوون كان صغيراً

(١) ورد في أحد النقوش الحميرية القديمة (المكتوبة بالخط المسند) ويسمى نقش النصر أسماء المدن مريمة وتريم ومِشطه شبام وسيئون وغيرها من مدن وادي حضرموت المعمورة منها والمندثرة.

لا يتسع لمائتي نفس تقريباً، ومع ذلك فالذي بناه هو الشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن سَلَمة باكثير، وهو متأخر الزمان لم يمت ـ كما في «البنان المشير» ـ إلاّ في حدود سنة ٩٢٠هـ، وله قصه مع سيدنا الشيخ أبي بكر العَدَني بن سيدنا عبد الله العيدروس لمّا أجتاز بسيوون، وقد كانت وفاة العدني سنة ٩١٤هـ. ولكن الجواب يحصل عن ذينك الأمرين مما أجمع عليه المؤرخون كشنبل وباشراحيل وغيرهما أن **سيوون** خُرِّبت في سنة ٥٩٥هـ فتحصَّل أنها كانت مدينةً عظيمةً لبني معاوية الأكرمين من كِنْده ثم خربت حتى لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم عادت شيئاً مذكوراً حتى دخلت في قِسمة نَهْد سنة ٦٠١هـ إن لم تؤل بأرباضها، ثم كانت في أيام العيدروس المتوفي سنة ٨٦٥هـ قريةً كما يُعرف من قول السيد عمر بن عبد الرحمٰن صاحب الحمرا في ترجمته للعَيْدروس عن عبد الله بن علي باسلامة ـ وكان من الثقات ـ أن العيدروس جاء إلى عنده بمريمه فكلَّف عليه أن يذهب إلى **سيوون** ـ وهي قرية من قُرى حضرموت ـ ليشفع إلى جعفر بن محمد الجعفري ـ نائب بدر بن عبد الله بن جعفر عليها ـ في إطلاق علي باحارثه، فلم يقبل شفاعته. أهـ. بل سبق في شِبَام عن الجد طه ما يُفْهم منه أنها لم تكن في أيامه إلاّ قريةً مع أنه متأخر التاريخ. وأخبرني السيد عمر بن عبد الرحمٰن بن علي بن عمر بن سقَّاف عن والده أن **سيوون** اسم امرأة كان لها عريش بجانب **سيوون الغربيّ** المُسَمَّى اليوم بالسِحِيْل، يمر عليها أبناء السبيل المنقطعون، فَسُمِّيت باسمها البلاد. وقد يجمع بينه وبين بعض ما تقدم بأن اسم **سيوون** الأول إنما هو شَزَن حسبما سبق عن الهمداني ثم خُرِبت، وكانت المرأة المُسَمَّاة سيوون أول من اتخذت عريشاً في أطلالها الداثره فَغَلب عليها اسمها. وحدَّثني السيد المؤرخ الراويه محمد بن عقيل بن يحيى أن سيوون اسم يهودي مُحَرَّف عن صهيون. أهـ. وصَهْيون كنيسه ببيت المقدس وإليها يُشير الأعشى في مديحه لأساقفة نَجْران:

وإن أَجْلَبت صهيون يوماً عليكما ... فأن رحا الحرب الدكوك رحاكما

وفي ص ٣٢٢ ج ٥ من «صُبح الأعشى» أن صَهْيون بِيْعه[1] قديمة البناء بالإسكندريه، مُعَظَّمة عند النصارى، وقَبْلَهُ من تلك الصفحه في الكلام على

(١) البِيْعة: المعبد لليهود والنصارى.

بطارقة الاسكندرية الذين تنشأ عن ولايتهم مملكة الحَبشه: أن الملك الأكبر الحاكم على جميع أقطارهم يُسمَّى بلغتهم الحَطي ومعناه السلطان، وهو لَقَب لكل من قام عليهم ملكاً كبيراً، ويُقال أن تحت يده تسعةً وتسعين ملكاً وهو تمام المائة، وأن الملك الكبير في زمن صاحب «مسالك الأبصار» يُقال له «عمد سيون» ومعناه رُكن صهيون. أهـ. وهو كالصريح في أن سيون وصهيون من باب واحد، ولئن لم تكن سيون - في هذا الكلام - زِنَة لفظ بلادنا فقد كانت على رسمها في الخط، وحسبك بذلك تدانٍ. وما أكثر التصحيف إن كان في مثل ذلك فالأمر قريب من بعضه ورأيت في بعض الصحف أن اليهود قدموا عريضةً - على يد أحد زعمائهم - إلى السلطان عبد الحميد يسترحمونه في أن يُعيِّن قطعةً من فلسطين لِسَكْنى اليهود الذين قتلهم الضغط في روسيا وأسبانيا، وفيها ما صُورته: أن جمعية سيون التي تشكَّلت في صهيون بعد الميلاد بمائةٍ وخمس وثلاثين سنةً قد اختارتني للمثول بين يديكم لأقدم لكم هذه العريضه، وتسترحم الجمعيه اليهودية من صاحب الجلاله التكرم بتخصيص القطعة الفلانيّه - وحدّدها - لإسكان اليهود. ونظراً لما انتاب خزينة الدوله من الضائقةِ الماليّه من جراء الحرب اليونانيه، فأن الجمعيّه تُقدِّم بواسطتي عشرين مليون ليرة ذهباً لصندوق الخزينه على سبيل القرض بدون فائده، وخمسة ملايين ليرة ذهباً إلى خزينتكم الخاصه لقاء ما تكرمتم به من البِرّ والإحسان، واسترحم قبول هذا العرض. فلم يكن من السلطان إلاّ أن استشاط غضباً وطرده، ولكن «جمعيّة الاتحاد والتّرقي» جعلت ذلك الزعيم اليهوديّ على رأس الهيئة التي جاءت لتبليغ السلطان خلعه عن العرش، لأن ذلك اليهودي كان من مؤسسي تلك الجمعيه، وكان نائباً عن «سلانيك» في مجلس المبعوثان. أهـ. ومنه تعرف أن سيون اسم للجمعية التي أُلِّفت أو للذين ألَّفوها وللمكان الذي أُلِّفت فيه. وقد ملأ العرب اليوم الدنيا ضجيجاً بشأن فلسطين. وسننظر - كما في المثل الحضرمي - أسيادنا آل باعبّاد على الصراط، فأما سقيناهم على الظَفر وإلاّ كان للناس الحق أن ينشدوهم ما نكرره من قول الحُطيئه:

أقِلّوا عليهم لا أبا لأبيكُم ... من اللّوم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

وفي معناه ما أنشده الحجّاج:

أُلامُ على عمرٍ ولو مات أو نأى ... لقلّ الذي يغني غناءك ياعمرو

إذا كان اليهود لا يطمعون في شِبْر من فلسطين أيام الأتراك، وعمّا قليل ينكشف الغُبار عمّا في المضمار، والبيت الذي يتمثّل به الحجّاج شبيه بقول ابن عرادة السعدي.

عتبت على سَلْمٍ فلما فقدته ... وصاحبت أقواماً بكيت على سلمِ
رجعت إليه بعد تجريب غيره ... فكان كبرءٍ بعد طولٍ من السقم

وقال البرار ابن منقذ العدوى التميمي من قصيدةٍ جزله أنشأها بصنعاء يتشوّق فيها إلى وطنه ببطن الرُّمَّه:

لم ألق بعدهم حيّا فاخبرهم ... الا يزيدهمو حبّا إلي همو

وقال وقال أبو التاهية:

جزى الله عني جعفراً بوفائه ... واظعف اضعافاً له بوفائه
بلوْت رجالاً بعدهُ في إخائهم ... فما ازددت إلاّ رغبةً في إخائه

وقال أحمد بْن أبي طاهر:

بلوْت الناس في شرقٍ وغربٍ ... وميّزت الكرام من اللئامِ

فأن نجح العرب حينما يتبجحون في هذه الأيام، فبها ونعمت لأنها أمنية كل مؤمن، وإلاّ فما أخذوا إلاّ يوم الثور الأبيض في يوم نهض المنقذ، وكانت نهضته فاتحة هزائم الأتراك التي اهتزت لها منابر الدنيا بالدعاء لهم عدة قرون. ثم لا مانع أن تكون المرأة المذكورة في كلام سيدي عبد الرحمٰن بن علي: يهوديةً، وبذلك تلتئم أطراف الكلام.

وبعد، فأن سيوون نهَضَت نهضةً سريعةً ونَبتت كما ينبت الحبّ في حميل السيل، والدليل على ذلك أن باني الجامع الكبير الذي يسع المئات إلى اليوم - يقصد سنة ١٣٦٦هـ - هو الشيخ أحمد بن مسعود بن محمد بن مسعود بن علي بن سعد بارجاء بن محمد الله بن علي الظَفاري العبهلي المذحجي - كما مَرّ في الشحر - كان موجوداً في أواخر القرن التاسع، بشهادة ما سُقناه بالأصل من خَبَره مع السلطان بدر بن عبد الله بن عليّ الكثيري، الذي كانت ولايته في سنة ٨٥٠هـ ووفاته في سنة ٨٩٤هـ، فباكثير - باني الجامع الأول - وبارجاء - باني الجامع الثاني - متعاصران وغاية ما يُحتمل تقدم الجامع الأول بسنوات قليلة، ومتى عُرف

تعاصرهما تقرر أن عمارة البلاد حديثه وأن اتساعها كان دفعةً واحدة في أيام بدر بن طويرق، ومما يؤكد ذلك إتفاقهم على أن مقبرة **سيوون** في شرقيها. أمّا نسبتهم تلك المقبره إلى الشيخ عمر بامخرمة، فإما أن يكون المراد جانبها الشرقي فقط، وإما أن يكون للشهره. وإلاّ فآل بارجاء كانوا متقدمين عليه، وكان الشيخ سعد بارجَاء موجوداً **بسيوون** من أوائل القرن السابع، وكانت وفاة عمه ـ تاج العارفين ـ سعد الظفاري المذحجي بالشِّحر في سنة ٦٠٩هـ. وكان الشيخ سعد بارجاء من المشهورين بالفضل، نجع هو وعمه الشيخ سعد بن علي من ظفار إلى الشِّحر واستوطنها أيام كانت خِصاصاً قبل أن تكوْن مدينةً. وأشار على ابن أخيه سعد ـ هذا ـ أن يذهب إلى أرض لا يكوُن له بها شأن، فكانت **سيوون**، لأنها إذ ذاك لم تكن إلا صغيرةً جدّاً. ولا يشوِّش على قولنا ـ أن **سيوون** اتسعت دفعةً ـ ما سبَقَ عن الجد طه، مما يُفهم استصحاب اسم القرية عليها، لاحتمال أنه باعتبار ما كان.

وكان الشيخ أحمد بن مسعود ـ باني جامع **سيوون** الثاني ـ أحد مشائخ **سيون** المشهورين، وله بها آثار، منها الجامع المذكور. وقد زاد فيه الشيخ علي بارجاء صفين في جهته الغربيّه أيام السلطان عمر بن بدر أبي طويرق في القرن الحادي عشر في أرض اشتراها من صلب ماله، ثم زاد فيه السيدان محمد بن سقاف بن محمد وعبد الرحمٰن بن علي بن عبد الله آل السقاف زيادةً قليلة، ثم زاد فيه السيد حسن بن علي سميط ثلاثة صفوف في جانبه الشرقيه، ثم جُدِّدت عمارته على عهد جدنا محسن بن علوي بن سقاف، وهي الموجودة الآن، وكانت النفقه من الأمير عبد الله بن علي العولقي السابق ذكره في الحزم وصداع، يرسلها من حيدرآباد إلى يد الجد رضوان الله عليه. ثم زاد فيه السيد الجليل أحمد بن جعفر بن أحمد بن علي بن عبد الله السقاف المتوفي بسيون سنة ١٣٢٠هـ رواقاً في جانبه الجنوبي الغربي.

وفي آل بارجاء كثيرٌ من العلماء والصلحاء، منهم الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن عمر بن عبد الرحمٰن بارجا مؤلف «تشييد البنيان» وهو كتاب حافل في ربع العبادات، نقلَ فيه نقولاً كثيرة الفائدة، فرغَ منه في سنة ١٠٣٦هـ. ومنهم الشيخ عمر بن عبد الرحيم المشهور بقاضي ظفار، ومنهم الشيخ عبد الجامع بن أبي بكر بارجا، ذكرهُ الشَّلي وأثنى عليه، توفي بمكة سنة ١٠٨٢هـ وترجم له المحبي في «الخلاصة». ومنهم الشيخ محمد بن محمد خطيب جامع **سيوون**،

كان شهماً صليباً عارفاً بالتجويد والقراءات، إلاّ أنه كان يأكل طعام الدولة، فأنكروا عليه، إذ كان أكل طعامهم لذلك العهد الصالح بسيون من أكبر المُنْكَرات، توفي سنة ١٣٢٨هـ. ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بارجا، تولّى القضاء مرّات بسيوون وكانت له خطابة بجامعها، وكان سخياً دمث الأخلاق، ليِّن الجانب، خفيف الروح، فقيهاً مشاركاً في بعض الفنون، وكان ممن يحضر عليّ، وله مكارم ومَبرّات وتوفي برمضان من سنة ١٣٣٤هـ. وله أولاد كثيرون كان أحبهم إليه محمد وسالم، فكانا سبب إتلاف ثروته الطائلة بسربايا من أرض جاوا، ولكن تداركه ابنه الصالح سعيد بجميل الصلات والمواصلات، وكان هذا من المثرين بالصولو من أرض جاوا فأنفق ماله في الضيوف وفِعل المعروف ولا سيما للسادة آل الحبشي وآل العطّاس، حتى لقد كان يشتري من بعضهم عسلاً بأغلى ثمن ثم يقدمه له كل يوم مع اللحم الحنيذ إلى أن ينفد، وقد أملق - بعد ذلك - فلم يشنه الفقر ولم يعدم المواساة الكافيه من أخيه عبد الرحمٰن، غير أنه لمّا انقطعت المواصلات بين جاوا وحضرموت لم يبق له إلا صدق التوكل على الله.

أما (آل باكثير) فأكثر أعقابهم بتريس حسبما سبق فيها. ومنهم جماعه بمكّه المشرّفه، ولا يزال بعضهم في سيوون ولهم بها مآثر ومساجد. ومن آخرهم بها الشيخ محمد بن محمد باكثير، كان عَيّبة عُلوم ودائرة معارف، وعنه أخذتُ في علم النحو والصرف، وكان يؤثرني ويقدمني على الناس، حتى لقد قال لي مرّةً - عن تدبير والدي - إن حفظت لامية الأفعال فلك ريال فقرأتها عليه في الصباح ثم قلت له: من العشى اسمعها، وقبضت منه الريال. غير أن همتي كانت ضعيفةً في الصرف ولا سيما القلب والإبدال فتفلت عني اكثره. وكان الشيخ - يرحمه الله - متخصصاً في هذين العِلْمَين، كثير الإكباب عليهما، والولوع بهما، والبحث فيهما. وله مؤلفات عديدة وأشعار كثيرة، وكان شديد التعلق بوالدي، جم القراءة عليه. ثم كان يحضر دروسي في التفسير والفقه والحديث، ولقد زارني مرةً في سنة ١٣٥٢هـ فقال لقد عدّدنا ستين ماتوا ممن كانوا يحضرون دروسك الشيقة. توفي - على أبلغ ما يكوْن من الثبات - أوائل سنة ١٣٥٥هـ.

ومنهم أخوه أحمد بن محمد باكثير، كانت له خيرات ومبرات وصلة أرحام وكفالة أيتام وقضاء حاجات وتفريج كربات، توفي بسيون سنة ١٣٤٣هـ. ومنهم ولده عبد القادر بن أحمد. كان تقياً متشدداً في العبادة، متحرياً في الطهارة،

آخذاً بالعزيمة، سريع الحفظ ويكاد يحفظ من مرّةٍ واحدةٍ، وهو الذي جمع بعض ما كنت ارتجله في المحافل المشهودة من الخُطب الطويلة. وكنت أظنه الشيخ محمد، لأنه هو الذي دفعها إليّ، حتى أخبرني ولده الأديب محمد بن محمد بأن الجامع لها إنما هو عبد القادر بن أحمد بمساعدةٍ من الشيخ محمد في تحرير الآيات والأبيات والأحاديث فقط. توفي بجاوا في حدود سنة ١٣٤٤هـ.

وآل باكثير كلهم على جانب عظيم من الذكاء وقرض الشعر، ولعُمر بن محمد شِعر جيد. وحامل لواء شِعرهم اليوم هو الشيخ علي بن أحمد باكثير نزيل مصر، ومع حبي له فأنا عاتب عليه لأنني أرسلت إليه مسودّة «العُود الهندي» فلم يردّها، وطَبع لي محاضرةً ثم لم يدفع لأمري منها إلاّ نحواً من ثلاثمائة نسخة فقط، وكان كل ذلك في سنة ١٣٥٥هـ. ثم إنني أحَلت السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف صاحب «تاريخ الشعراء» لقبض الجميع منه، ثم كاتبت وطالبت الاثنين بدون جدوى ولا جواب، أفليس ـ أحدهما أو كلاهما ـ مَلُوماً، أو ما كان الواجب على كلٍ منهما أن يُبرىء نفسه وأن يؤدي الأمانة من كانت عنده.

ومن أكابر من تَديَّر سيوون: الشيخ عمر بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بامَخْرَمة السيباني الهجراني، ترجمه الشِّلي في «السنا الباهر» ترجمةً طويلةً، وذكَر أن فقهاء عصره أنكروا عليه بعض الأحوال. منها أنه يحضر أغاني الفتايا ويجلس إليهن وأنهن ممن يضرب الدفوف ويغني بين يديه في المواكب والمجالس. ولذا لم يذكره ولده عبد الله في «ذيل طبقات الفقهاء» للأسنوي، وذكَرَ أخاه الطيب مع أنه لا يزيد عليه فقهاً، وما ذاك إلاّ لتحرٍ شديد وحيطه عظيمه، وماذا عليه لو ذَكَر فقهه وعِلمه وأشار إلى شيء من أحواله؟. غير أن فرط إنصافه ذهب به إلى أن ذكَرَ أبيه مع ما يُنكر عليه يوقعهُ في شيء من الهواده. وهو يُنَزِّه عدالته عن كل مايعلق بها من الريب أو يمسها من التُهم، وإنه لمقامٌ صعب إلاّ على من وفقه الله، فلهو أحق بقول حبيب:

وسيءٌ بالإحسان ظناً لا كمن هو بابنهِ، وبشعرهِ مفتون

أخذَ عنه بعض العلويين كالشيخ أبي بكر بن سالم والشيخ أحمد بن حسين العيدروس، وأخذ هو عن الشيخ أبي بكر العَدني، لكن لم يُحمد بينهما المآل، لأن الشيخ عبدِ الرحمٰن باهرمز لم يقبل تحكّم الشيخ عمر له إلا بشرط أن يسمع العدني ما يكره، ففعل، وساءت بينهما الحال، حتى لقد كان الشيخ محمد يمدح بدر بن محمد الكثيري، والعَدني يهجوه، ويمدح السلطان عامر بن عبد الوهاب

ويذم البهال والشيخ عمر بعكسه. ولمّا جرت الحادثه الهائله على البهّال، عَدّها الغُواة من هواة الخوارق في كرامات العَدني، ثم لمّا قُتل عامر شرّ قتلةٍ عَدّها الآخرون في كرامات الشيخ عمر. وما أحسن قول ابن نباته: (والله لا يضر ولا ينفع ولا يضع ولا يرفع ولا يُعطي ولا يمنع إلا الله). وكنت أرى النفرة أستحكمت بين العلويين وآل بامَخْرمه إلى حدٍ بعيد، بشهادة ما سيأتي في الأصل من ضَرْب السيد علوي بن عقيل الشيخ عمر بالنعال، وما بعد ذلك من هوادة ولا حفظٍ لخط الرجعه. وقد نَقل سيدي علي بن حسن العطّاس عن القطب الحداد ما يقتضي انحصار أخذ الشيخ عمر بامَخْرمة على الشيخ عبد الرحمٰن باهرمز، وإن لا شَيْخ له من العلويين. ولا ينتقض ذلك بما كان من أخذه عن العدني لأنه لم يدم بل بطل حكمه. وقد أشرت إلى جميع هذا في الأصل وربما كان مُبَالغاً فيه. وقد عُوِّضَ الشيخ عمر عما لحقه من جفاء العلويين في زمانه بما كان من إصْفاق أعقابهم على فضله والولوع بديوانه. وقد أَطْنَبَ سيدي عمر بن سقاف في مدحه ونقلَ في «تفريح القلوب» ترجمته بطولها. أما أشعار الشيخ عمر بامخرمه فألذّ من الوصال وأحلى من السلسال، وفيها فراسات صادقه عن أمور متأخره، كما يُعرف ذلك بالإستقراء. ولم يزل بسيوون تحت الضغط والمراقبه من بدر بوطويرق، لا من الناحية التي ينكرها عليه الفقهاء، ولكن لما على كلامه من القبول وله من التأثير، فهو يخشى أن يحرض عليه فتتنكر له الناس، على أنه وقع فيما كان يخشاه، فثار عليه ولده وألقى القبض عليه وسجنهُ، حتى مات بغيظهِ مقهوراً في سجنه سنة ٩٧٧هـ. وما كنت أدري أن للشيخ عمر أتباعاً وحشمةً إلاّ من قصته مع الشيخ حسين بن عبد الله بلحاج بافَضْل السابق ذكرها في هَيْنن. توفي الشيخ عمر بامَخْرمه في سيوون سنة ٩٥٢هـ. وكان السيد زين بن عبد الله بن علوي الحداد كثير الحب له والثناء عليه، وما أشد ما يتمنى قرب داره، والدفن بجواره. وفي غربيّ قبره ضريح الشيخ أحمد بن مسعود بارجا باني الجامع الثاني السابق ذكره. وفي غربيّه إلى الجنوب مقبرة آل باحويرث، كان فيهم كثير من الأخيار المحافظين على الصلوات المُكثرين من العبادات، وأظنهم على اتصال في المناسب بآل باحويرث السابق ذكرهم في الخريبة. وكانت أم جدنا علي بن عبد الرحمٰن السقاف من آل ثبقان وهم من سيون، وكان جدنا عمر الصافي بن عبد الرحمٰن المعلم بن محمد بن علي بن عبد الرحمٰن السقاف، يتردد من تريم إلى سيون بسبب أن أحد محبيه من تريم، انتقل منها إليها، ولمّا عَلِم بدر بو

طويرق بتردده إلى **سيون**، أمرَ ذلك الرجل أن يُزَيِّن له الزواج بسيون. فما زال به حتى اقترن بسلطانه بنت محمد **بانجار**، من قوم يرجعون إلى نجار بن نشوان من **بني حارثة**، وقد أُختلف في بني حارثه فقيل كِندِيون وقيل مذحجيّون. وكانت لآل بانجار دولة ببُور فانمحت بآل كثير وصاروا سوقةً بسيون وغيرها. وقد ولد لجدنا عُمر من سلطانه هذه ولده طه، ونشأ في حجر أمه **بسيوون**، ولمّا شبّ ذهب إلى تريم فضجّ آل **سيون** وراجعوه، فعاد وتزوج بها وبنى مسجده المشهور، ولم يزل فيها منفرداً بالسيادة حتى توفي سنة ١٠٠٧هـ. وله ابن اسمه عمر، له حالات شريفه، طلب العلم ثم غلب عليه التصوف، وأكبّ على رسالة القشيري، حتى لقد كتب منها سبعة كراريس في يوم واحد، وكان له اتصال أكيد بالسَّاده آل عبد الله بن شيخ العيدروس في تريم، لا ينزل هناك إلاّ عليهم، وله عبادات جليله وأوقات موزّعةً، توفي **بسيون** سنة ١٠٥٣هـ، وهو والد العلامة الجليل طه بن عمر الثاني المُتَرْجم له في «المشرع» توفي **بسيوون** سنة ١٠٦٣هـ ورثاه جماعةٌ من الشعراء فكانت أبلغ مرثية فيه التي للشيخ عمر بن محمد باكثير، وخَلفه ولده عمر، توفي بمكة سنة ١٠٨٥هـ وسِنّه سبع وعشرون سنةً، وخَلفه ابنه محمد بن عمر بن طه بن عمر.

وقد رسخت أقدام هذا البيت **بسيون**، غير أنهم كانوا لا يزيدون على سبعه، متى وجد لأحدهم ذكر مات أحد السبعه حتى كانت أيام الجد سقاف بن محمد بن عمر بن طه بن عمر المتوفي سنة ١١٩٥هـ فبدأوا يتكاثرون ولم يمت إلاّ وقد بلغوا الثلاثين، إلاّ أن عصاهم انشقت وأمرهم انفرج، وكانوا - وهم قليل - خيراً منهم بعدما كثروا ولله در حبيب في قوله:

إن الكرام كثيرٌ في البلاد وإن قلّوا كما غيرهم قلّ وإن كثروا

والشريف الرَّضي حيث يقول:

قلّوا غناء وإن أثرى عديدهم وربما قلّ أقوامٌ وإن كثروا

وهم بيت طيب، مغرس عِلْم، ومنبت صلاح، سيماهم التواضع، وشأنهم الخمول، يقضون حوائجهم بأنفسهم، ولا يتميزون عن أحدٍ من الناس إلاّ بالعلم إذا سئلوا أو تفتحوا في المدارس. وكان نجوعهم من تريم على حين خلل بدأ في طريق العلويين هناك كما يُعْرَف من «الفوائد السنيه» لسيدي أحمد بن حسن الحدّاد ومن «العقود اللؤلؤيه» للعلامه السيد محمد بن حسين الحبشي وغيرها، فانحفظت

طريقهم بسيون من ذلك الخلل، وبقوا على ما كان عليه أوّلوهم من التلزم بالفقه حسبما قلت من قصيدة أردُ بها على بعض المُغْترّين من أهل البِدع والرئاسات:

سل من أردت فقد كانت أبوتنا ... على طريقٍ من الأنصاف محمودُ
طريقة من قَذا الأوهام صافيةً ... ومنهل من زُلال الفقه مورودُ

لا يدخل مسجدهم طبل ولا يراع. ولقد عمل الشيخ عوض جبران تابوتاً لقبر جدي المحسن فمنعته من وضعهِ عليه، وكانوا يتوسعون في الفقه ويشاركون في التفسير والحديث، وليس عندهم من علوم العربيّه إلا القليل. ولبعضهم أشعار لا تنتهي إلى إجاده، ولهم من الأعمال الصالحة وتحمُّل المشاق في مجاهدة النفوس ما لو لم أرهُ عياناً - في مِثل والدي - لم يكن لي بما يُذْكَر عن السّلف قُوةً على التصديق. لكن جاء العيان فألوى بالأسانيد، فلقد نشأ والدي - ﷺ - في طاعة الله لَهَوهُ التَّحنثُ مع أترابٍ له في جبال سيون. وكان يكتفي بوجبةٍ، ويتصدق بالأخرى، حتى عَلِم به أبوه لمَّا كان يذهب بها من مخترفهم إلى من كانوا يعتادونه منه بالبلد، فنهاه. ومُنذ عرفتهُ وهو يقوم من الليل قبل انتصافه فَيخف إلى الطاهرة، ثم يُصلِّي سُنَّتها، ثم الوِتر، إحدى عشرةً، بِحُسن قراءة وطُوْل قيام، ثم يقرأ حصةً من القرآن بصوتٍ شجيّ، ثم يأخذ في المناجاة والأورَاد. وكثيراً ما يقول في آخر دُعائه: «اللهم أرحمنا، إذا عَرق مِنا الجبين، وانقطع منا الأنين، وائيس منا الطبيب، وبكي علينا الحبيب. اللَّهم إرحمنا يوم نركب على العود، ونخرج إلى اللُّحود. اللَّهم ارحمنا إذا نُسِي اسمنا، واندرس رسمنا، وفنينا وانطوى ذِكرنا، فلم يزرنا زائر، ولم يذكرنا ذاكر. اللهم ارحمنا يوم تُبْلى السرائر، وتُكشف الضمائر، وتُوْضَع الموازين، وتُنشر الدواوين». ومتَى جاء فصل الصيف والخريف كان تهجدُه على سطح مُصَلاَّه أو بطن مسيله، فكأنما تؤب معه الجبال وتكاد تنقد لخشوعه الصدور وتتفطر المرائر. ثم يُصلي الصبح ونافلتهُ، ويأخذ في إذكار الصباح، حتى إذا أسفرَ الأفُق نَبَّهني وأعادَ معي الصلاة، وجلس يُقرئني إلى أن ترتفع الشمس قَدْرَ رمح، فيصلي سبحة الضُحَى ثمانياً، وتارةً يختصَّ الإشراق بركعتين إذ المسألة خلافيّة، فالذي في «الإحياء» أن صلاة الإشراق غير صلاة الضُحَى. وجرَى عليه في «العباب» و«التُحفه». وقال ابن زياد في فتاويه: «ويظهر عدم الاكتفاء في نيتها بمطلق الصلاة، لأنها ذات وقت كالضُحى» وقال في «الأمداد»: وهي غير الضُحَى على ما قاله في الإحياء.

فتبرأ منه. واعتمد في «الإيعاب» أنها من الضُحَى وأن مقتضى المذهب امتناع فعلها بنيّة الإشراق وعليه الرَمْلي في «النهاية»، ومال إليه السيد عمر البصري. ثم يتناول ما تيسّر من الفطور ويعود إلى مُصَلاَّه الذي بناه في سنة ١٣٠٠هـ. ووقف منه جصَّ قطعةً صغيرة للمسجديه على ذريتنا المنسوبة إليه فقط، ليصح الإعتكاف فيه، فيجلس للتدريس به لإناسٍ مخصوصين، هم: السيد سقّاف بن علوي بن محسن، والسيد عبد الله بن حسين بن محسن، والشيخ عمر عُبيد حسّان، والشيخ محمد بن محمد باكثير، والشيخ محفوظ بن عبد القادر حسّان، وأمّا الشيخ محمد بن علي الدثني فإنه لزيمه، وكل هؤلاء حضر بعد دروسي في التفسير والشمائل والفقه بسيوون، إلاّ السيد سقّاف بن علوي فإنما حضر دروسي بسربايا من أرض جاوا في سنة ١٣٣٠هـ.

فإذا قَضَى أولئك دَرْسهم استدعاني ليباشر تعليمي بنفسه، بِعَقِب انصراف المُخَصَّصين لتعليمي في محلنا. إذ كان يحميني من مخالطة أبناء الناس، ويُسَرِّب إليَّ أولاداً في سني يرضاهم للَّعِب معي، يراقب أخلاقهم وأحوالهم بنفسه، منهم السيد علوي بن حسين بن محسن، ومنهم سالم بن حسن بن محمد حسّان. ومتَى فرغَ من دَرْسِي جاء إليه الدثني يقرأ عليه إلى قريب الظهر، فعندئذٍ يتناول ما تيسرَ من الغداء، ثم يُقَيِّل نصف ساعةٍ أو أقلَّ، ثم يتهيأ للظهر فريضةً ونوافل. وبعد أن يفرغ فتارةً يحضر عليه أولئك الرَهط فيقرأون، وتارةً يدخل إلى أهله، وهناك تَحضر الوالدة بكتابها فتقرأ عليه، كلما انتهت من كتاب شَرَعت في آخر. لأنها كانت مشاركةً في العِلْم وأحياناً يأتي الدَثني بكتابه وسيدتي الوالدة من ورائه إلى أن تجب العصر، فيقوم إلى مُصَلاَّه ويؤديها فريضةً ونَافِلةً، بظُهرٍ مجدد، ثم يشتغل بشيء من الحزوْب والأوراد. ثم أَحْضُرُ بكتابي فأُقرأه درساً، ثم أنهض للَّعِب مع أصحابي المُخصصين لذلك. وكثيراً ما يزورنا ويراقبنا، وربما يشاركنا، تطييباً لأنفسنا دقيقةً أو دقيقتين.

يـــروع ركـــانـــةً ويـــذوب ظُـــرفـــاً ... فـــمـــا تـــدري أشـــيـــخٌ أم غُـــلامُ

ثم يحضر الدثني إلى المغرب، وعند ذاك يستأنف الطهارة، ثم يؤدي المغرب بنوافلها الراتبه وغيرها. ثم أحضر بكتابي فأقرأ دَرْساً خفيفاً، ويخلفني الدثني في القراءة عليه إلى العِشاء، وقد يحضر الباقون في هذا الوقت وغيرهم فيكوْن درسهم واحداً، ثم يؤدي العِشاء بدون تجديد طهارَه. وبعد فراغه منها ومن

نوافلها يشتغل بإذكار المساء، ثم يتناول العلقة من الطعام، ثم يأخذ مضجعهُ. وقد غَلبَ عليه ـ بالآخرةِ ـ الخوفَ من الله والشوق إليه، فقلَّما يطمئن به مضجعه، وهكذا دواليك.

وقد انطبعتْ نفسه ورَسَخت أعضائه على اتباع السُنّة، في يقظته وانتباهه، وقعودهِ وقيامه، ومَدْخلهِ ومَخْرجهُ، وقضائه للحاجه، وأكلهِ وشِربه، انطباعاً لا يحتاج معهُ إلى تكلُّف، بل كثيراً ما أراه يَتضجَّر من النهار ولا سيما إذا كَثُر عليه الواردون، مع أن كلامهُ معهم لا يخرج عن التمجيد والتحميد، والتعريف والتوحيد، والوعظ الذي يلين له الحديد، فَيَحِّن إلى الليالي حنين الصب المشتاق إلى حبيبه القادم بعد طول الفِراق، لِما يجده من لَذْةِ العباده، وحلاوة التلاوه، وعذوبة المناجاة التي أشار إلى مثلها ابن القَيِّم في ص ٣٣١ من «إغاثة اللَّهفان». ومع ذلك فقد كان يتململ لما يجد من تلك اللَّذه، خوفاً أن ينقطع بها عن المقصود، أو تكوْن حظّهُ من العمل. وكان يحكي مثل ذلك عن أبيه. وكان آيةً في عزة النفس، والصدع بالحق، والشِّدةِ فيه، والغيرةِ عليه. إلى بسطة كف، وفرط رحمه، وسلامة صدر، وورع حاجز، واحتياط تام، وقناعةً بما يجد من حرثه، وما يصل من الفتوح إليه من غيرِ طمع ولا إشراف نفسٍ. فعنده غفة من العيش، جمع إليها شُعبةً وافرةً من القناعة، مغتبط بعيشه، قانع برزقه، راضٍ عن ربه، ليس له حُجَّاب ولا يغلق عليه باب، وإنما هو كما قال السلامي:

كماء الفُرات الجم أعرض وِرده ... لكل أناس، فهو سهل الشرائع

وكان له في الوعظ لسان، ويأخذهُ فيه حالٌ عظيم، يشغله عن نفسه. وله قلم سيّال في المكاتبات والرسائل العلمية. جَمع من ذلك الفاضل السيد سالم بن حفيظ ما دخلَ في ستة مجلدات، ولكن لسانه أقوى بكثيرٍ من قلمه:

يقول عارف مقدار الكلام له ... سبحان خالقه سبحان معطيه

وطيلة حياتي لم أسمع منه لغواً قط. وكان أعيان زمانه يعرفون منه ذلك، فيحاولون أن يتسقطوه الكلام، ويحتالون ليخوض معهم، فلا يقدرون على شيء. فلا أجد ـ لهم وإياه ـ مثلاً إلاّ الربيع بن خَيْثَم إذ خَفُّوا إليه يوم قتل الحسين، ليستخرجوا منه كلاماً، فأخبروه، فلم يزدْ على أن قال: أوقد فعلوها؟ قالوا: نعم. فرفع يديه إلى السماء وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. فما أشبه

هذا بذاك، لا ينفذ إلى فعله تعليل، ولا يحتاج شيء منه إلى تأويل، إذ صار هواه تبعاً لما جاء به نبيّه ﷺ، فجاء فيه موضع قول ابن كناسه في إبراهيم ابن أدهم.

أَمَات الهوى حتى تجنبهُ الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدَما

سرورهُ في إقبال الخلق على الله، وحزنه في إعراضهم عنه، حتى لقد كان سبب موته من هذا الباب. وكان كثير الأخذ عن المشائخ، جَمّ الحرص على الاستكثار من الأسانيد، والاتصال بسلاسل الرجال، وأئمة الحديث والطريق. وقد اجتمع له ولي بفضله - رضوان الله عليه - ما لا يوجد عند أحدٍ من أهل عصره، ولله الحمد. وكان في أيام استاذه الأَبَرّ عيدروس بن عمر يتردد عليه ماشياً في كل ثلاثٍ، وبينهما نحو من أربعة أميال أو أكثر. وكل ذلك عن إشارة والده وأمرهُ من أيام حياته. ولقد أراد أخوه في الله الشيخ عوض بن عمر شيبان - السابق ذكره في الغرفة - أن يشتري له مركوباً فأبى، وقال: لو أحسست بتعبٍ لقبلت. ولقد كاد أن يخرج عن إهابه من الطرب، إذ تمثّلت - له - عند مثل هذا الكلام بقوله:

وكنتُ إذا ماجيت ليلى أزورُها أرى الأرض تُطوَى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات اللاءِ وَدّ جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وأخذهِ مثل ذلك عندما أَنْشدته مرةً أخرى قول العباس بن الأحنف:

أرى الطريق قريباً حين أسلكه إلى الحبيب بعيداً حين انصرف.

ثم ظفرَ هو بقولٍ آخر:

والله ما جئتكمو زائراً إلا رأيت الأرض تطوى لي
ولا انثنى عزمي على بابكم إلاّ تعثرت بأذيالي

فكان كثيراً ما ينشدهما ويتغنى بهما، وهو معنى واسع للشعراء فيه مجال. وبما أن المتنبي لا يَدَع شاذه ولا فاذه، فقد أخذَ حظه منه، لكن من غير إجاده، حيث يقول:

أتى مرعشاً يستقرب البُعد مقبلاً وأدبر إذ أقبلَت يستبعد القُربا

وكانت ترعد - عنده - فرائص الملوك، لِما عندهم من احترام الحق

والدِين، ولِما يرون عليه من عزة الإيمان، وشرف العلم، وهيبة الحق، وسلطان الصدق، وقوّة اليقين، فيأمرهم وينهاهم، ولا يؤملون أبداً في أن يقبل منهم شيئاً. إذ كانت الشبهات في عهده فضلاً، عن الحرام ظاهرة النكاره، فاحشة الملامه، حتى لقد كان مكّاس الدوله الكثيريّه ـ المُسمَّى توفيقاً ـ منبوذاً مُهاناً، وكثيراً ما يمر بجانب مدرسة طه بن عمر فيرميه صبيانها بالحجاره، فلا يقدر على الدفاع، ولو دافع للقى أكبر. وله محاسن، وكان موته يوم الجمعه، فأشكل ذلك على والدي فخف إلى الأستاذ الأَبَرّ فقال ـ قبل أن يبلع الريق ـ أحوج الناس إلى الجمعه توفيق. ثم صار أبناء الساده اليوم، يتسابقون إلى مثل وظيفته، ويتنافسون فيها، ويشمخون بأنوفهم، ظناً أن قد رفعت من أقدارهم. وعلى الجملة فلم تكن ساعات الوالد إلاّ في ذِكرٍ وتذكير، أو قراءةٍ أو تدريس، أو صلاةٍ يستشعر حاضرها بما يغشاه من الطمأنينه والخشيه، نزول السكينه، وشمول الرحمه، وحضور الملائكه، وما ألذّ ما تسمع آيات القرآن من لسانه في الصلاة الجهريّه بصوته الجهير ونغمتهِ الشجيّه، غضةً طريه تكاد تنتزع القلوب من أماكنها، ويخيل لهم أنهم لم يسمعوها من قبل، وانها إنما نَزَلت تلك الساعه، حتى ليحسب المقتدون ـ بما شملهم من اللذه ويغمرهم من الهيبه ويستولي عليهم من الخشوع ـ إن قد انفصلوا عن عالم الحس، والتحقوا بعالم القدس، بحيث لا يمكن لِمَسْبوقٍ أن يقرأ الفاتحه من خلفه.

وأذكر أيامي لديه فانثني على كبدي من خشية أن تَقطّعا

وما أذكر صلاةً، أشفى للنفس، وأجمع للقلب، وأبرد للخاطر، وأنفى للَّهم، وأدنى إلى الإخلاص، من صلواتي ـ في الجهريات ـ خلفه وخلف شيخنا الفاضل الشيخ حسن بن عوض بن زين مخدم، وصلواتي خلف الأستاذ الأَبَرّ ـ جهريّةً كانت أو سريّة ـ فإنه يسري إلينا سرٌ من إخلاصه، يلذ لنا ـ به ـ التطويل مُطلقاً. وأذكر أن أول صلاة كانت لي بالمسجد الحرام لمّا حججنا في سنة ١٣٢٢هـ. هي الصبح خَلف واحدٍ من العلماء يُدْعَى ـ فيما أتوهم ـ خوقير، قرأ في الأولى بالتِيْن، فكاد القلب يخرج عن شعافه عند إشارته إلى البلد بقوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾. ثم ما كفاه حتى قرأ في الثانية سورة قُريش، فلا تسل عما داخلني عند إشارته بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾. وما بيننا وبينه إلاّ أذرع يسيره، فلولا الاعتصام بالأجَل لالتحقت الروح بالباري عزّ وجل، ولكني:

ضَممْتُ على قلبي يديّ مخافةً وقد قرعته بالعظاة القوارعُ
وما ينفع القلب الذي طاشَ لُبّهُ لتلك المعاني أن تضم الأصابعُ

وكثيراً ما شَنَّف سمعي، واستوكف دمعي، وامتلك لُبّي، واستأثر قلبي، ما سمعته من قراءة إمام الحرم في صلوات الصبح سنة ١٣٥٤هـ، وتذكرت صلاة والدي، إلاّ أن تلك أخشع، وقراءة إمام الحرم أجود وأسمع فهو مقرىء غير مدافع ولكن خطابته دون ما يليق بالمسجد الحرام الذي يطلب بلاغةً تتفرى لها الأُهب وتكاد لها النفوس أن تنتهب، ثم إن والدي رحمه الله ـ مع ما سبق كله ـ لم يكن بالتزمت ولا بالمتنطع ولا بالمنقبض. بل على وجهه أثر من الرضا لا يفارقه في بؤس ولا نعيم، وله في الدعابة مذهب جميل يخرج به عن طريق المتصنعين ويحلّيه بقول أبي الطيب:

تفكره علمٌ وسيرته هدىً وباطنه دِينٌ وظاهرهُ ظُرْفُ

فلهُ معنا، ولا سيما عند الأكل، بل وفي مثاني الدروس عند المناسبات: مفاكهة شهية، ومنادرات لذيذة، وتراه يُصغي بسمعهِ وقلبه لما أنشدهُ إياه من الأبيات الأدبيه عند المقتضيات، ويطرب لذلك ويستعيده. وقد سبق أنه يشاركني في اللّعب أحياناً، إيناساً لي وظنّةً بي عن مخالطة الأضداد، فلم تكن الهيبة الغالبة عليه هيبة تعاظم ولا ترفع، كلا والله، ثم كلا والله. ولكن كما قال أبو عباده:

يهاب فينا وفي لحظهِ شزرُ وسط النديّ ولا في خده صَعَرُ

وإن كان ليجرني الرّسن فأُناقشه إلى مسائل وأجاذبه البحث، فلا يزيده إلاّ سروراً واغتباطاً، على شرط أن أتوكأ على الدليل واعتمد على النص. ولقد جهدت أن أتعلق له بهفوة احتج بها عندما يناقشني الحساب على المباحات ويكلفني الصعب من المجاهدات، فلم أقدر. وقد سُئِل الحسن البصري عن عمرو بن عبيد فقال: «لقد سألتني عن رجلٍ كأنه الملائكة ادَّبته، وكأن الأنبياء ربته. إن قام بأمرٍ قعدَ به، وإن قعد بأمر قام به، وإن أَمَرَ بشيء كان الزم الناس له، وإن نَهى عن شيء كان أبعد الناس عنه، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه». وكأنما نظرَ في هذا ـ بلحظ الغيب ـ إلى والدي، فأنه الوصف الذي ينطبق عليه تماماً، لا يأنف من حق ولا يتقدم إليه بباطل فلهو ـ والله ـ من أحق الناس بقول كُثيِّر:

ترى القوم يُخفون التَّبسُم عنده ... وينذرهم عور الكلام نذيرها
فلا هاجرات القول يؤثرن عنده ... ولا كلمات النصح يقصى مشيرها

وقول كعب بن سعدٍ:

إذا ما رآه الرجال تحفظوا ... فلم ينطقوا العوراء وهو قريب

ولئن قال ابن عنقاء: إذا قيلت العوراء أغضى، فإن هذا إذا قيلت العوراء غضب، بل لا أذكر أن أحداً نطقَ في مجلسه بكلمة غيبه أو نحوها. وكذلك كان يقول عنه الشيخ الدثني ويُكثر التعجب من ذلك، وهو أشد وأقدم له لزاماً منّي. ومع هذا كله فما هو إلا صورة مصغره من أحوال والده وأحوال سيدنا الاستاذ الأَبرّ عيدروس بن عمر، وكلما استكثرنا أعماله قلّل منها بالنسبه لأعمالهم وأَقْسَم أنه مخبرٌ بالواقع لا على سبيل الهضم للنفس.

وعلى مثل حاله رأيت سيدي شيخان بن محمد الحبشي على ضيق في عطفه وخشونه في خلقه، وإلاّ فقد كان أوسع علماً وأكثر عبادةً وأشد مجاهدةً للنفس، إلاّ أن والدي كان أجود وأسمح، وأفصح وأنصح، وأرأف وأعطف، وأظرف وألطف. وكان سيدي عبد الله بن حسن بن صالح البحر على قريب من تلك الحال، بل هو أندىَ بناناً، وأشجع جنانا، وأكثر ضيفاناً، وأطول قياماً وركوعاً، وأغزر بكاءً وخشوعاً. إلاّ أن والدي كان أكثر علماً، وأغزر فهماً، وأبلغ لساناً، وأفصح بياناً، وأحلى لفظاً، وانجع وعظاً. ولقد شِهدت منها مشهداً عجيباً بمنزل سيدي الفاضل محمد بن الأستاذ الأبرّ المُسمَّى «باوعيل» في شرقي تَريس سنة ١٣١٨هـ تذاكرا فيه أحوال الإمام البحر والأستاذ الأَبَرّ وشدة خوفهما من الباري عز وجل وفرط انكسارهما بين يديه، وجرى لهما مثل ما جرى لابن المنكدر وأبي حازم، فقد ذكر ـ غير واحدٍ ـ أن ابن المنكدر صلّى وبكى، ففزع أهله حتى استعانوا بأبي حازم فقال له: ما الذي يبكيك حتى رُعت أهلك؟ قال: مَرّ بي قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾، فصعق أبو حازم واشتد بكاؤهما، فقال بعض أهل ابن المنكدر لأبي حازم! جئنا بك لِتُفرِّج عنه فزدته. فقريبٌ من ذلك جَرى لوالدي مع القانت الأوّاب البحر يومئذٍ، وكانا جاءا للترَوُّح فعادا في مأتم.

وعلى الجمله فقد كان كثير ممن أدركناهم وأخذنا عنهم على غرارهم

وشريف آثارهم، كسادتي: عبد الله بن عمر بن سُميط المتوفي بشبام سنة ١٣١٣هـ، وأحمد بن محمد الكاف المتوفي بتريم سنة ١٣١٧هـ، وعبد الرحمٰن بن حامد السقاف المتوفي بسيون سنة ١٣١٦هـ، والشيخ عمر بن عبود بلخير المتوفي بالغرفه سنة ١٣١٦هـ وعبد الرحمٰن بن محمد المشهور المتوفي بتريم سنة ١٣٢٠هـ، والشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب المتوفي بتريم سنة ١٣٣١هـ، والشيخ محمد بن أحمد قعيطبان المتوفي بها سنة ١٣١٦هـ، والشيخ أحمد بن عبد الله بن عمر الخطيب المتوفي بها سنة ١٣٣٣هـ، والسيد عيدروس بن علوي العيدروس المتوفي بها سنة ١٣٣٠هـ، وأخوه ـ من الأم ـ السيد شيخ بن عيدروس بن محمد العيدروس المتوفي بها سنة ١٣٣٠هـ، والسيد علوي بن عبد الرحمٰن السقاف المتوفي بسيوون سنة ١٣٣٨هـ، والسيد عبد القادر بن أحمد بن قطبان المتوفي بها سنة ١٣٣٤هـ. والسيد عبد الله بن علي بن شهاب المتوفي بتريم سنة ١٣٤٠هـ، والسيد أحمد بن حامد بن سُميط المتوفي بشبام سنة ١٣٣١هـ، ومن في طبقاتهم ممن لم تحضرني أسماؤهم حال رقم هذا فقد كانوا ـ بتفاوت الدرجات العلمية ـ جَمَال أيامٍ وأراكين إسلام:

وجوهٌ عليها للقبول علامةً ... وليس على كل الوجوه قبول

وجوهٌ إذا ما اسفرت عن جَمالها ... سجدن على اعتابهن عقول

أمّا من قَبْلِهم كسادتي أحمد بن عمر بن سميط، وسيد الوادي الحسن بن صالح البحر، وعبد الله بن حسينٍ بن طاهر، وعبد الله بن حسين بلفقيه، وعبد الله بن أحمد باسودان، وعبد الله بن سعد بن سمير، وجدي المحسن، وعبد الله بن عمر بن يحيى، وأحمد بن محمد المحضار، ومَن على شاكلتهم، فقد كانوا أفضل فريقاً وأقوم طريقاً.

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جَمال الكُتْب والسِيَرُ

بهم تقر النواظر وتبرد الخواطر وتطيب الأخبار وتزين الأسمار

لولا أحاديث سنَّتها أوائلنا ... من التُقى والنقى لم يعرف السمر

ومع هذا كله فلا أتصور أن أحداً يتفضل على سيدي الأستاذ الأبرّ، وما أدري أذلك هو الواقع أو إنما هي دهشة النظر، وقد قال أبو الطيب:

خُذ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به في طلعةِ الشمس ما يُغْنيك عن زُحَل

فالعلم لله، وما نظن إلاّ ظنًّا، ومعاذ الله أن نُزكي عليه أحداً فَتعظم إساءة الأدب منا، وإنما أسهبت في الموضوع مع خروجه عن سمت المقصود، لأن الزمان انحط دفعةً وتراذل فجأةً فلم تكتحل عيون المتأخرين بأحد من أمثال أولئك الذين:

رضعو لبان المجد في حجر العلا فَعَلوا على الأكفاءِ والأندادِ
وأظلّهم بيت النبوة وابتنوا شرفاً على شرفٍ بغير حدادِ
فلهم إذا ما زرتهم وخبرتهم شرف الملوك وسيرة الزُّهاد
قومٌ إذا سفروا حسبت وجوههم للناظرين أهلة الأعيادِ

فأحببت تقريرهم عن المشاهدة بالعين، كيلا تحملهم الظروف السيئه بقياس المشاهده، على إنكارهم، وتوهم استحالتهم. وما كانوا إلا كما قال القطامي أو لقيط بن زراره[1]:

نجومُ سماءٍ كلما انقضى كوكبٌ بَدا كوكبٌ تأوِي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم دُجى الليل حى نظَّم الجَزْعَ ثاقِبُه
وما زال منهم حيث كانوا مُسوّدٌ تسير المعالي حيث سارت ركائبه

لا يُفْقَد منهم زعيم إلا سدّ مسدَّه رجلٌ عظيم، وكلَّما غاب منهم نجيب سدّوا معاوز فقده بلبيب، قال الشريف الرضي:

كلما غاب من بني خَلَفٍ بد رٌ يضيء الظلام أخلَف بدراً
نَقص الدهر منهمو ثم أعيـ ـهُ بُدوراً من المطالعِ تَترى

وما زال والدي في فعلهِ الجميل وسعيهِ الجليل، حتى توفي - على ذِكر الله - في يوم الجمعه ٢١ من جمادي الأولى سنة ١٣٢٤هـ.

ولنعد على البدء، **فممن سكن سيوون**: العلامه الجليل السيد علي بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن علي بن عقيل السقاف.

---

(١) أورده الأستاذ حسن الكرمي منسوباً إلى الشاعر أبي الطَّمَحان القيني.

هـمـام يـلـمـعـي مـن قـريـشٍ كـأن جـبـيـنـه فـلـق الـصـبّـاح
عـلـيـه سـيـمـيـاء الـمـجـد بـادٍ وعـنـوان الـفـضـائـل والـسـمـاح

كان أبوه يتردد إلى **سيوون** ثم أقترنَ بسلامه بنت الحبيب علي بن عمر بن طه بن عمر السقاف، وفي «المواهب والمِنن» أن والد السيد علي كان يتردد إلى الحاوي على حصانٍ معه إلى عند القطب الحدّاد، وكان ساكناً بالمسفلة وله ابن يُقال له «سقاف» أكبر من «علي» إلاّ أن علياً كان أكثر منه بحثاً وقراءه، ونشأ في ضنك من المعيشه وشده شديده، وكان إذا جاء إلى الحاوي ـ هو وزوجته ـ ينسونهم بلا غداء ولكن القطب الحداد كان يتفقدهم بنفسه، ثم فتح الله عليه، آخر عمرهٍ **بسيوون**، فكان يكثُر من شرب السمن بالليل فذهب بصره. أهـ. وكان علياً كثير التنقل في البلدان ولا سيما حوطة الشيخة سلطانه بنت علي الزبيدي، ثم سار إلى الهند وعاد متجرداً عن الدنيا، كما بدأ إلى سيون. ولم يزل يتنقل في ديارٍ منها حتى عمر مكانه الذي بيثمه[1]. فكان منهلاً للواردين، ومَرْجعاً للطالبين، واستقر فيه، يقرىء الضيفان وينشر العرفان، حتى مات في سنة ١١٨١هـ وقُبر بجانب مسجده في شرقيه، بدون وصيّه منه، بل قيلَ له في مرض موته: أين تحب أن يكون قبرك؟ فقال: حيثما يريده الله. وله ذُريّة صالحون، من أواخرهم حفيده المعمر محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله، توفي بسيوون رابع ذي القعدة سنة ١٣٠٧هـ عن مائة وخمسة عشر ربيعاً، وقد حضرتَهُ وقرأت عليه، وبارك عليّ، ودعى لي، وألبسني بفضل والدي رضوان الله عليهم. وقد أدرك اثني عشر عاماً من حياة الحبيب أحمد بن حسن الحداد، وهو قد أدرك خمس سنين من حياة جده القطب الحداد. ومن ذُرِّيته الفاضل المُحبِّ للعلم وأهله والوصول للأرحام **أحمد بن جعفر بن أحمد بن علي بن عبد الله المتوفي بسيون** سنة ١٣٢٠هـ عن عمر يناهز المائة. وقد أخذت عنه ـ بفضل والدي ـ مرةً في الحِجه من سنة ١٣٠٩هـ بمكانه، وأخرى بمكاننا «علم بدر» ليلة الاثنين من القعده سنة ١٣١٣هـ فأجازنا وألبسنا أنا ووالدي والشيخ محمد الدثني وولده عمر، بعد أن أمرني والدي بقراءة معشر عليه، وقال لوالدي: لَمْ يسألني الإجازة من سيوون أحد غيرك، فذكرت به ما رواه «شارح العينية» عن الحبيب عقيل بن

(١) يثمه: السفح والوادي الواقع جنوبي سيئون وقد امتد إليه العمران اليوم وتجاوزه.

عبد الرحمٰن أنه ألبس القطب الحداد كوفيته، وقال له: البسناك ولم نُلْبِس غيرك. وما روي عن الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن البار انه قال إن القطب الحداد البسني واذن لي في الالباس والتحكيم إذنا مطلقاً ولم يأذن لأحد غيري إلا الحبيب أحمد بن زين لكن في المواهب والمنن ان الحبيب عمر حامد غضب من كلام البار هذا وقال إن أفضل واكمل منه قول الحداد لولديه علوي وحسن أقمتكما مقامي وأنبتكما عني ثم رأيت السيد محمد بن حسن عيديد يقول أنه أخذ عن شيخنا أحمد بن جعفر ولبس منه ولا يغبر على ما تقدم لأن إنما كان خاصاً بآل سيؤون وأما لأن يكون أخذه بعد التاريخ السابق أهـ. وفي ذلك المجلس، ذَكَر الحبيب أحمد بن جعفر، أنه اجتمع بالحبيب طاهر بن حسين، والحبيب علوي بن سهل مَوْلَى خيله، والحبيب عبد الله بن أبي بكر صاحب ملاكه، والسيد أحمد بيتي، والسيد أحمد بافقيه، وابنه شيخ، والحبيب شيخ بن علوي بن شيخ بن عبد الرحمٰن بن سقّاف، والحبيب عبد الرحمٰن بن حسن بن سقّاف، والحبيب محمد بن عمر بن سقّاف، والشيخ عمر بن عبد الرسول العطار، والسيد يوسف البطّاح الأهدل، والمعلم عمر مشغان، والشيخ محمد باقَيْس، وغيرهم. وله مكارم ومآثر، منها مسجد بسيوون ومسجد بسربايا وزياده حسبما سبق في «الجامع». **وهاهنا مسائل:**

الأولى: أَنَّ مسجد السيد أحمد بن جعفر **بسيون** كان صغيراً محتاجاً إلى التوسعه، فاستفتاني ولده عمر في ذلك، فأفتيتهُ بالجواز تبعاً لِما استظهرهُ بعضهم، بل قيل بالوجوب حينئذٍ إذا قام مال الوقف بذلك.

والثانيه: أنّ هذا المسجد كان فقيراً، ومسجده بسربايا كان غنياً، فأفتيته بجواز الصرف من مال هذا على ذاك، مستدلاً بكلام للشيخ الجليل محمد بن عبد الله باسُودان في ذلك، وفتوَى للخليلي ناصّةً عليه. وقد نُقل عن كثيرٍ من علماء اليمن أنه يجوز صرف الفاضل من رَيْع الموقوف على مسجدٍ في مصالح المسلمين وإلى عمارة مسجدٍ آخر في موضعه، لأن العقد مصلحة المسلمين. وقد نُقل ذلك عن العمراني مؤلف «البيان». ولئِن لم يكن مسجد سيون بموضع مسجد سربايا فإنه أقرب إلى غرض الواقف من الصرف لمصالح المسلمين ولفقراء ذلك الموضع. وما أكثر ما تُرَاعَى مقاصد الواقفين.

والثالثه: أنه عمل له منارةً رفعها وتضرر بها الجيران، ونهيته فما انتهى.

وأول من أتخذ المنائر شُرحبيل بن عامر المُرادي زمن معاويه. وكان بلال ـ كما عند أبي داؤد ـ يؤذّن على بيت امرأة من بني النجار لأنه أطول بيت حول المسجد. وقد أمرَ خالد بن عبد الله القسري بهدم المنائر، فقال فيه الفِرزدق:

بَنَى بيعةً فيها النصارى لا ـُ ويهدم من كُفْرٍ مَنَار المساجدِ

وقال:

عليك أمير المؤمنين بخالدٍ وأصحابه لا طَهّر الله خالدا

بَنَى بيعةً فيها الصليب لامه وهدم من بغض الصلاة المساجدا

على أنه لم يهدمها إلاّ لأنه سمع رجلاً ـ ظنته عمر بن أبي ربيعة ينشد:

ليتني في المؤذنين حياتي إنهم يبصرون من في السطوحِ

فيشيرون أو تُشير إليهم بالهوى كل ذات دِلٍ مليحِ

وإن لم يخنى الحفظ فخالد هذا هو الذي ألزَم النساء حاشية المطاف عندما بلغهُ قول عمر بن أبي ربيعة:

وحبذا اللائي يزاحمننا عند استلام الحجر الأسودِ

وقال: إنهن لن يزاحمنك بعد اليوم. وذَكَرت لها نظائر في «العود» ثم رأيت بعضه عند الأزرقي، وأخرج السعيد بن منصور أن عمر بن الخطّاب نهى أن يطوف الرجال مع النساء فإذا هو برجلٍ ـ ذات يوم ـ يطوف مع النساء، فانهال عليه ضرباً، وقال له: ألم أنه عن هذا، فقال: لا لم تُبلُغني عزمتك فقال له دونك يعني فاقتص فلم يفعل قال فاعف قال ولا اعفو، فما زالت الكراهيه تُعرف في وجه عمر حتى راجع الناس الرجل فَعَفَى. فسُري عن ابن الخطّاب أو ما هذا معناه. ثم أن الذي أذكره عن مذهبنا من أن للإنسان أن يتصرف في ملكه وإن أضرّ بجاره بخلاف المصالح العامه فلا يتصرف فيها بما يضر الجيران. والذي أكتبه في الجواب عن هذه المسائل هو من لسان القلم وبقية الحفظ لا عن رجوع مني إلى ما حررته في أجوبتها يوم سُئِلت، فلا محل للاعتماد عليه إلاّ بعد النظر، وإنما كتبته لمجرد البحث والمذاكره، وفي «تبصرة الحُكّام»، يُمنع الرجل من إحداث إصطبل للدواب عند باب جاره لما يؤذيه من بولها وزبلها وحركتها ليلاً ونهاراً، وكذلك الطاحون وكِير الحدّاد. وفيها تنازع الشيوخ ببلدنا ـ قديماً

وحديثاً ـ في الرجل يجعل في داره رحاً أو شبه ذلك مما له دويّ، فقال بعضهم بالمنع مطلقاً، وقال بعضهم لا مَنع مطلقاً، وقال بعض يُمنع بالليل لا بالنهار، ومتى اجتمع ضَرران مُنع الحادث لا القديم.

وبسيوون جماعةً من ذُريِّة الهادي بن أحمد الحِبشي صاحب الشِعْب[1]، ومن ذرية الحسن بن أحمد، منهم السيد الصالح علوي بن علي الحِبْشِي [2] المتوفي **بسيون** في حدود سنة ١٣٣٤هـ، كان هو وأخوه أحمد وأبوهما من أهل الأحوال الصالحين، ويقال لهم «أهل الرَوْشن»، لهم أمور غريبه وخوارق عجيبه.

وفيها جماعه من ذُريِّة الحسين بن أحمد بن محمد الحِبْشي، منهم العلامه الفاضل السيد علي بن محمد الحِبْشِي[3]، كان أبوه ـ كما سَبق في قَيْدُون ـ داعياً

---

(١) صاحب «شعب الحُسيّسة» المتوفي سنة ١٠٣٧ وقبره مشهور حتى أنه يقال للمكان «شعب الأحمدين» نسبه للامام أحمد بن عيسى المهاجر وأحمد الحبشي هذا.

(٢) الحبشي: بفتح الحاء والباء كما هو معلوم ولكنهم يسكنون الباء للتخفيف، وغالب أهل اليمن والحجاز يكسرون الحاء مع سكون الباء في الحالتين، وقد اعتمدنا ذلك في تشكيل الاسم.

(٣) هو العلامة الكبير السيد علي بن محمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن محمد بن حسين بن أحمد صاحب الشِعب بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي ويرتفع نسبه إلى الفقيه المقدم. ولادته ببلدة قَسَم الشهيرة في ٢٤ شوال سنة ١٢٥٩ هـ ووفاته بمدينة سيئون في ٢٠ شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٣ هـ. كَتَب عنه العلامة أبو بكر العدني فقال: شيخ الشيوخ في عصره وأوانه حادي النبوّة ومرآتها ولسان الدعوة المحمدية وسيد حداثها، توافدت عليه الخلائق من كل مستندنى ومستقصى منذ تفرغه لتدريس العلوم الظاهرة على أنواعها، واتخاذ مسجد حنبل الواقع غربي مسكنه معهداً علمياً لدروسه في أيامه ولياليه. وفي سنة ١٢٩٥ بنَى مسجده المعروف بمسجد الرياض وبنَى ملاصقاً له الرباط العلمي الشهير الذي كان أول رباط بُني في حضرموت خلال القرون الأخيرة فصار الرباط مشحوناً بالمهاجرين العلميين ومسجد الرياض مكتظاً بالعابدين والدروس العلمية، لذلك يصعب إستقصاء تلاميذه ومريديه، وازدهرت سيئون وما حولها ببروزه حيث تصدّر الدروس الفقهية والنحوية والصوفية، وحدا بلسانه الفيّاض وورداته الربّانية ما يهز الأفئدة ويستجلب الدموع وتحدّث المؤرخ عبدالله بن محمد السقاف عن صورة من حياته الأجتماعية فقال: إن مظهره الاجتماعي وشهرته ومكانته وشخصيته وميزته في الهيئة البشرية تسامت على كل مظهر وشهرة ومكانة وشخصية وميزة ومَنْ يمائله في عيشته ورفاهيته وتنعماته بحيث لم يكن له شبيه على الإطلاق. وله ديوان مطبوع بعنوان «الجوهر المكنون والسر المصون» ظَهَر بعد وفاته، بتحقيق وتصحيح ابنه القائم في مقامه بالرباط السيد محمد بن علي الحبشي. ومما يُذْكر أن والد المترجم له قد هاجر ومعه من أبنائه الكبار ثلاثة عبدالله وأحمد وحسين هجرةً أبديةً إلى مكة في أجواء سنة ١٢٦٦ هـ واستقر به المقام مُفتياً ببلد الله الحرام، وحَمَل صفة مُفتي مكة، وكانت وفاته بها يوم الأربعاء ٢٢ ذي الحجة سنة ١٢٨١ بمرض الطاعون المعروف بالكوليرا وكانت ولادته بسيون سنة ١٢١٣ هـ ـ ٨

إلى الله يتنقّل في البلدان لإرشاد أهلها بإشارة الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، لا يخرج عن أمرهِ في شيء قط، فولد له السيد علي في قسَم وانتقلت به أمهُ إلى **سيوون** وبها نشأ، وله رحلة إلى الحجاز، وتخصّص في علم النحو، وله شِعر جيد وأكثر ـ أوله ـ على لسان الصوفيّه، وله تأليف صغير في قصة المولِد، وله أشعار حُميني‌ه، وقد طَبع جميع ذلك، وفيه من الدلاّلة على مرتبته العلميّه والشعريّه ما يُغني عن كل شيء.

إن آثـــارنـــا تـــدلُ عـــلـــيـــنـــا فـــانـــظـــروا بـــعـــدنـــا إلـــى الآثـــار

وقال علي بن الجهم:

واعـــلـــم أن عـــقـــول الـــرجـــا ل يُـــقـــضـــى عـــلـــيـــهـــا بـــآثـــارهـــا

ولكن أصحابه يرفعونه إلى مُرتقى لا تصل إليه معارج الآثار، ويُفتنون في نشر الصِيت له بكل ما تبلغ قواتهم مع غَلبة السذاجه التي يصدق بها الحال إذ ذاك، ولكن الشهرة لا تصح أن تكوْن ميزاناً لفضل الحق لأنها بضاعه معروضه في الأسواق، وكثيراً ما يوصف المرء ـ بغير أو بأكثر ـ مما هو فيه، ويُعطى من النعت والإسم ما لا يستحقه. وإنما محكّ الرجال الأعمال، ومفاتيح أخبارهم النقد والاختبار. ولطائفة الشيخ محمد بن سعيد باطُويح غُلو شديد في مدحه، وتدارس الثناء عليه، وتفضيله على جميع الأولياء والعلماء، والحط من سائرهم لحصر فضيلة التفرد عليه بدون مبرر سُوى ما تقدم. وقد قال العلامه محمد بن سليمان الكردي في «الفوائد المدنيه»: وعليك أن لا تُفَضّل أحداً من الأئمة تفضيلاً يؤدي إلى تنقيص غيره، فأن ذلك يؤدي إلى المقت والخِزي. أهـ ، وكأنما يتوكأون ـ في هذه التُرّهات ـ على مِثل قوله في وصيةٍ كتبها السيد عمر بن حامد السقّاف: إعلم أن الأصل المُحْكَم أساسه الفناء في الشيخ بأن تَشْهَدهُ في المرتبة التي ليس فوقها إلاّ درجة النبوّه، وأن لا تَشْهَد له بِشريَّة بل تراه عين الكمال في جميع أطواره، وأفهم السِّر في قوله ﷺ: لو اعتقد أحدكم في حَجَر. . أهـ. فهذه هي فيما أخال بذرة بدعتهم وخميرة غلوّهم، مع أن العلامة ابن تيميّة والحافظ ابن حجر يقولان أن ذلك الحديث كَذِب لا أصل له، بل قال العلاّمه ابن القيِّم إنّه من كلام عُبَّاد الأصنام. وقد بَسطت ذلك في الأصل.

ولمّا انتهى بهم الحال إلى أمور شنيعة ـ ربما تقرب من القرمطه ـ أنكرَ عليهم أعيان زمانهم، وفي مقدمتهم مفتي الديار الحضرميّة السيد عبد الرحمٰن بن

محمد المشهور، وعمّنا عبد الله بن محسن بن علوي السقّاف، والسيد عمر بن عيدروس بن علوي العيدروس. فذهب السيد علي إلى حضرة سيدي الأبرّ يعتذر ويتبرأ من أعمالهم، وتظاهر بإبعادهم، ولكن إلى مُخترفه في أرباضٍ سيون حيث وافتهم الذبائح إلى هناك، فارتاب الناس، لا سيما وقد كان أولاده من جملتهم، وبمهارةٍ فائقة عرف كبيرهم كيف يحمل أتْباع أبيه على التنافس في الدعاية له، ومحاولةِ كُلٍ أن يتفوق فيها على رفاقه، فكيف يُحمِّل الناس ظاهر ما وقع على باطنه مع شهود الأحوال بخلافه، وقد قال عمرو بن عُبيد للمنصور: «والله لو لم ترضَ من عُمّالك إلاّ برضى الله إذ التقرب به إليك من لا نيه له فيه».

وكان السيد علي مشهوراً بالعلم، معروفاً بالفهم، إلاّ أن أصحابه غروه عن نفسه بزيادة إعظامهم له، ومبالغتهم لاسترضائه، وتنافسهم في مجاملته، وكثرة غلوّهم فيه، وتنطعهم في الإصغاء لكل ما يقول، وفُرط قبولهم لكل ما يورده عليهم. وهي طريق بدع لا تُعرف بسيوون قبله، ولا برضاها أحد من الشيوخ غيره. فلما طال توقيرهم له، وتسليمهم بسائر ما يمليه، وتنافسهم في نقله، وجمعهم أيديهم منه على الذخر النافع، والحُجّة القاطعة. عند ذلك خفّت عليه المؤنه، ولم يحتج إلى التحفظ، ولم يفتقر إلى المطالعة. وصَدَّقَ كل ما يقولون، من إغراقهم فيه، ومن مَيَّل بين كلامه في وسط أمره وأوله، وبين كلامه في آخره، ظهر له صِدق ما أقول من الفرق والبوْن.

ومن سياسة تلك الطائفة ـ لتعظيمه ـ أنهم يتقدمون إلى المجلس الذي ينوي حضوره، فيتفرقون في أطرافه، ليقوموا له عند دخوله، ويحملوا من يليهم على القيام، حتى يندفع الناس ـ بذاك التيار ـ بمهارةٍ تامه، وافقت سذاجةً وبساطةً من الناس، فافتتنوا، ولم يستفيقوا إلاّ بعدما قرعت أسماعهم بسيرة رسول الله ﷺ. وقد بلغ بهم الحرص على تخصيصه بالفضل أن جحدوا ـ كما أشرنا عما قليل فضلَ كل فاضل أفضل منه، ولم يشركوا أحداً بالأيمان له بفضل ولا كمال، ولا سيما من معاصريه ومن داناهم، وأخذوا من جملة وصيته للسيد عمر بن حامد ـ السابقة الذِكر ـ تفضيله على سائر مَنْ دون الأنبياء.

وقد أتفقتْ بيني وبينه محاورات أمام الملاء، فشاركته القول، وجريت معه كما كنت أجري مع والدي بما ربّاني عليه من حرية الضمير، وكثيراً ما يقف عليه الكلام في تلك المحاورات، فيعزّ على أصحابه وأولاده أن لا ينفصل عن بعض

ما أُوردهُ عليه، حسبما هو مُفَصَّل في «الأصل» و«النجم الدُرِّي». وكان لي مُوثِراً إلى أن أنكرت بعض الأعمال، وجاذبته أطراف الحبال، ولجأت إلى التدريس في «شمائل» الترمذي، فتقاطر الناس من كل ناحيةٍ، ولحقهم ـ منها ومما أَسْتَرْوِح به وأَسْتَرْسِل إليه من هَدْي سيدي الجَدّ والقُطب البَحْر والأستاذ الأَبَرّ ما لحق عبد الملك بن مروان من مذاكرة سِيَر ابن الخطّاب، حتى نهى عنها وتوعَّد عليها. وعندئذٍ أكثر أولادهُ من الوشاية بي إليه، وانضم إلى ذلك وفاة زوجه، وكانت شقيقة والدتي، وأنه كان يُقرِّعهم بي على سوء التخلف وحزازة التبلد؛ فَبَلَّغوه أكثر من الواقع، فتكدّر الصّفا، وعَزّ عليَّ ذلك، مع حبي له، ومَيْل طبيعي إليه، وشعوري بالأنس في مجالسه مما يُوجِّه إليَّ من الخطاب، ويساجلني فيه من نوادر الأدب وأشعاره، لأنه كان رقيق الطبع، سليم الذوق، يطرب لبدائع الأشعار، ويتزيدني منها. وقد كاد يخرج عن جلده لمّا أنشدته مرثية حافظ في مصطفى كامل، التي يقول فيها:

إنـي أرى وفـؤادي لـيـس يُـكْـذِبـنـي روحـاً يَـحِـفُّ بـهـا الإجـلال والـعِـظَـمُ

وكنت أجد في مجلسه من ضُوالِّ شُبّان الأدب وعُشّاق الممازح والفُكاهات مَا لاَ أجدهُ عند والدي ولا عند غيره. ولكني ـ مع هذا ـ بقيت مُجِدّاً في شوطي الطويل من التدريس في «الشمائل النبويه»، مُضحياً ـ في ذلك ـ بكل لَذّة ومصلحة ومنفعة، إذ لم أجد طريقاً سهلاً إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل بغير ذلك، لأنه الميزان العادل الذي تطيشه مثاقيل الذرات. وقد تَنوّرت بذلك الأفكار بدون أن يجدوا منفَذاً عليّ للإنكار. ولكن عَرض ـ بعد ذلك ـ ما منع من مواصلة العمل، فتطلعت رؤوس الإبتداع ثانياً بعد أن انقمعت، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وفي سيوون جماعه من (آل حسّان) يرجعون في النسب ـ حسبما يقولون ـ إلى الشيخ المؤرخ عبد الرحمٰن بن علي بن حسّان، يحترفون بالصياغه، وكانت لهم منها ثروه بالنخيل ومواساة، ولكنها ـ اليوم ـ على وشك التلاشي. ومن آخرهم شيخنا العلامه المحقق عمر بن عبيد حسان، كان عابداً ناسكاً قويم السيره، طاهر السريره، غزير الفقه، شديد الورع، متين التقوى. وكان من أخص تلاميذ والدي وقُرَّائه وهو المُخَصَّص لتعليمي الفقه، ثم كان ممن يحضر دروسي ـ كما سبق ـ وتوفي بسيوون سنة ١٣٤٩هـ. وخَلَفهُ ولده عبد الله، على قريب من حاله، بارك الله فيه. وعن الأخ عيدروس البار ـ السابق ذِكره في التَّرِين من بلاد

دوعن ـ أنه وصل من البصره مع المهاجر أحمد بن عيسى أربعة عبيد ثم أعتقهم ومولهم، وهم: مخدم جدّ آل مخدم، وشويع جدّ آل شويعِ، وحشوان جدّ آل باحشوان، وحسان جدّ آل حسان. وهذا هو الأولى بالقبول.

وكان في سيوون جماعةً من (**آل باشيخ**) يرجعون في النَسَب ـ كما هو منقول بخط العلامه الجليل علي باصبرين إلى بني العبّاس ـ من ذُرِّية علي بن طراد بن إبراهيم الإمام، وفي تاريخ باعبّاد أن الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه مَرّ بسيوون في سنة ١١١٩هـ وزار تربتها وتَعشَّى عند آل باشيخ، وسار إلى دوعن ومنها إلى الشحر، يريد الحج. وفي ترجمة سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحِبشي من عقد أستاذنا الأَبرّ أنه كان يمشي إلى سيوون من غير مركوب؛ يأخذ النحو عن الشيخ محروس.

وكان بسيوون جماعه، منهم (**آل محروس**). ثم لم يبق منهم إلاّ القليل. وقد سبق لآل وَبْر ذِكْر في المحترقه. وكان بسيون جماعةً منهم وجماعةً من (**آل هذبول**). أما الآن فلا. ولكن من (**آل وَبْر**) ناس في الحُوطه وتَاربه وبحيره وثبي. وفي مجموع الجد طه بن عمر أن آل وَبْر وآل هذبول أكفاء لأن حرفتهم جميعاً الحرث والسناوه. أهـ. وفي ديوان الشيخ عبد الصمد باكثير ما يدل على وصول الشيخ سماعيل بن زين العابدين المقدسي الأنصاري إلى سيوون في سنة ١٠١٠هـ كما يشهد لذلك قوله يخاطب عبد الصمد:

لسيوون سرنا بل سررنا لأننا ... لساحة مولانا على النجب سبّق

وفي سيوون ناس من (**آل وثاب**) لهم ذِكْر كثير في «سفينة البضائع» لسيدي علي بن حسن العطّاس، لأنه كان يحبهم وينزل بسيوون عليهم. ومنهم بقايا لا أدري أيراعون أم لا وِدّ أجدادهم في ذُرِيَّة الحبيب ومنصبه، فقد جاء الحث على ذلك كما في حديث عبد الله بن عمر عن مسلم بن الحجاج، ومعناه أن مِنْ أبرّ البِرِ أن يَوَد الرجلُ أهلَ وِدّ أبيهِ أو ما يقرب من ذلك، ويؤكده ما صح من قوله ﷺ: أن حُسن العهد من الإيمان وإنها كانت تأتينا في أيام خديجه.

القضاء بسيون:

أول من تولي **القضاء بسيون** من السادة **ال الصافي** الناقلين إليها من تريم، هو جدنا الإمام طه بن عمر بن طه بن عمر المتوفي بها سنة ١٠٦٣هـ، ثم أخوه

علي بن عمر، ثم السيد عمر بن محمد بن عمر، ثم جدنا محمد بن عمر بن طه بن عمر، ثم جدنا سقّاف بن محمد المتوفي بها سنة ١١٩٥هـ، ثم ابنه العلامه عمر بن سقاف السابق ذكره في السوم، ولم يتوله إلاّ مدة قصيره ثم نزل عنه لأخيه علوي بن سقاف فلاقى عداءً كبيراً من أبناء عمه علوي بن محمد، ثم نزل عنه لأخيه محمد بن سقّاف، ولم يحمد الحال بين محمد هذا وأخويه عمر وعلوي ـ كما أشار إليه السيد أحمد بن حسن الحداد، وبقي العلامه محمد بن سقّاف ـ هذا ـ على القضاء إلى أن مات بسيوون في سنة ١٢٢٢هـ ثم لم يجد سيدنا علوي بن سقاف بداً من الرجوع إليه، فتولاه إلى أن مات بسيون سنة ١٢٣٥هـ، فأُكْرِه عليه جدنا المحسن بن علوي وسنه إذ ذاك نحو الأربعة والعشرين ربيعاً، ولكنه أعين بالتوفيق وكان آيةً في فصل الأحكام:

وإذا خطاب القوم في الخطب اعتلى
فصلُ القضيّةِ في ثلاثةِ أحرف

ثم تبرم بالقضاء، واشتكى إلى سيد الوادي الحسن بن صالح البحر، فأشار عليه بالسفر إلى الشّحر، ولا أتحقق من أُسند إليه بعده، ولكن ممن تولّى قضاء سيون: الشيخ عمر بن أحمد بن محمد باكثير إلاّ أنه متأخر الوفاة إذ لم تكن إلاّ في سنة ١٣٠٧هـ. ولمّا استولى الكثيريون على سيوون أسندوا القضاء إلى العلامه التقي السيد محمد بن علي بن علوي بن عبد الله، وذلك في سنة ١٢٦٥هـ ثم تركه وتولاه السيد طه بن علوي، ثم عُزل وأُعيد السيد محمد بن علي في سنة ١٢٦٧هـ، ثم انفصل ووليه السيد طه بن علوي بن حسن، ثم عُزل، ثم أعيد في سنة ١٢٧٢هـ وطالت مدته على القضاء في هذه المرّة، ثم عُزل وولّي السيد محمد بن علي في حدود سنة ١٢٩٠هـ ثم انفصل لأمر جرى عليه من الأمير عبد الله بن محسن وعبُود بن سالم، وتولاه السيد صافي بن شيخ إلى أن مات في سنة ١٣٠٠هـ، وألّف مجموعةً في ضبط أموال سيوون، ذكَر فيه الأيدي العادِيَه وما دخل فيه الحرام والشُبهه من الأموال بتحرٍّ لا يُستغنَى عنه. وبأثر وفاته تولّى القضاء عمنا عبد الله بن محسن، ثم سافر إلى جاوا وأناب شيخنا العلامه علوي بن عبد الرحمٰن، ولمّا عاد لم يرضَ بالرجوع إلى القضاء وامتنع نائبه من الاستمرار عليه، فتولاه السيد عبد الله بن عمر بن أبي بكر المتوفي بسيوون سنة ١٣٢٠هـ. ثم عُزل وولّي الشيخ أحمد بن محمد بارجاء، ثم عُزل وأُعيد السيد

عبد الله بن عمر، ثم عُزل وأسندوه إلى عمنا عبد الله بن محسن، وبقي عليه إلى أن توفي في رمضان من سنة ١٣١٣هـ فاجتمع الأعيان والسلطان بدار الشيخ أحمد بن محمد بارجا وأرادوا تولية سيدي علوي بن عبد الرحمٰن فامتنع، فتولى الشيخ أحمد بارجا مؤقتاً ريثما يقنعوا سيد علوي. فخرج سيدي علوي من فوره وعقد ببنت عمنا الغائب علوي بن محسن على السيد محمد بن عبد القادر بن محسن، وكانت له ولايةً على الأنكحة، فأشار العلامة السيد علي بن محمد الحبشي بعد خروجه على السلطان أن يعزل كل متولٍ غير بارجا، ففعل، وعلموا بعقد شيخنا فأرسلوا الشيخ أحمد بارجا ليُخبر ويجدد العقد لأن الأول وقع بعد عزل العاقد، فقال لهم شيخنا أن القاضي لا ينعزل بنفس العزل ولكن ببلوغ الخبر، فالعقد على صحته. فلم يستأنف. وكنت ـ أنا ـ ممن شهد ذلك. وكان السيد محمد بن حامد يرشح نفسه له ـ بعد عمنا ـ وكان هوى العلامه السيد علي الحبشي في ولايته ـ أعني السيد محمد بن حامد ـ لكن الناس كانوا لا يَعْدِلُون أحداً بشيخنا علوي بن عبد الرحمٰن، وهو مصمم على الامتناع من قبوله، فلم يكن من الأعيان إلاّ أن اجتمعوا ـ ثانياً ـ اجتماعاً مشهوداً من سائر الناس في منزل السيد شيخ بن محمد بن شيخ بن عبد الرحمٰن السقاف وأقرعوا ثلاث مرّات بين الاثنين، والقُرعه تَخْرج عليه في الثلاث، بحيلةٍ مدبَّره ـ من الليل ـ بين السيد شيخ بن محمد وعمر بن أحمد جوّاس، فلم يكن له بُد ـ حينئذٍ ـ من القبول. وقد سار سيرةً أَتْعَب بها مَنْ بعده؛ وأزرى على بعض من كان قبله. ولم يتأثل مالاً وكانت قيمة أثاث بيته ـ يوم توفي ـ لا تزيد عن ثلاثة عشر ريالاً.

علامةٌ ليس في فتواه سفسطةٌ ... للسائلين ولا في حكمه جنفُ
في هديه خلف عن جل سبّقه ... وربما جاز قدر الذاهب الخَلفُ
حيث الحقوقِ قيامٌ في مقاطعها ... كل من حاكَم الأيام ينقصف

ولمّا توفي سنة ١٣٢٨هـ كان الذين يرشحون أنفسهم للقضاء: السيد محمد بن حامد بن عمر السابق ذكره، والسيد عبد الله بن حسين بن محسن، فَرُجّحت كفّة الثاني، وتحلب الأول مرارة الفشل مرةً ثانيةً، ولكنه ـ على خلاف طبعه ـ كظم الغيظ وأظهر التجلد إذ لم يكن له عن الأمر معدى، وإلاّ فإنه لم يكن بعيد الغور. ودامت ولاية الثاني إلى سنة ١٣٤٠هـ ثم انفصل بعد أن صار ما لا يُحْمَد، وكان الزمان تغيَّر وساء الظن بالواحد، فأُسند القضاء إلى جماعةٍ،

وهم المشائخ محمد بن محمد باكثير، وعوض بكران الصبّان، وعبد الرحمٰن بن محمد بارجا، والسيدين علوي بن عبد الله بن حسين ومحمد بن حسين الجفري. ولم تطل مدتهم وأُحيل - بعدهم - إلى الشيخين محمد بن محمد باكثير ومحمد بن مسعود بارجا، والسيد عمر بن سقاف بن عبد الله بن عمر بن أبي بكر السقاف، ثم مات السيد عمر واستقلّ به الشيخان، ثم انعزلا وولّي الشيخان: عبد القادر بن محمد بارجا وأخوه عبد الرحمٰن بن محمد بارجا، ثم مات - الأول - فاستقلّ به الثاني، حتى لصقت به ريبه فضموا إليه الشيخ محمد بن مسعود بارجا، ثم سافر الشيخ عبد الرحمٰن فاستقلَ به محمد مسعود، ثم ضموا إليه السّادة: محمد بن أحمد كريسان، وعيدروس بن سالم السوم، وعبد القادر بن عبد الله الحامد. ثم انتهت ولايتهم وأُسند القضاء إلى السيد محمد بن حسين الجفري، ثم عُزل وولّي السيد علوي بن عبد الله بن حسين، ثم انفصل وأُسند القضاء للشيخ امبارك عُمير باحريش أحد طلبة العلم بتريم، وكان آيةً في النزاهه على غرار سيدي علوي بن عبد الرحمٰن، لولا ضِيْق خُلُق وتعصب يَقْصد به الاحتياط فيوقعهُ في تعنت الشهود من حيث لا يشعر، ومن المقرر أن الاحتياط - في حق القاضي - من أصعب ما يكون، لأنه إذا احتاط في جانب أضرّ بالآخر. ومع حبي له وإعجابي به وانقطاعه إليّ - في قراءة كتب السلف - فقد لاحظت عليه أغلاطاً ما أظنه يتعمدها. ولكنه يقع فيها بِغَشٍ بعض المغرضين، غير أنه لا يرجع عنها. ولمّا اضطرب القضاء بسيون وتحوّل إلى تجارةً، وكان الأغلب أن يلقي للقاضي حبله على غاربه، لا رادّ لأمره ولا مُعَقِّب لحكمه، بشرط أنْ يتجنب مساخط أهل النفوذ فقط، ساءت القالة، فانثنت لجنة للاستيناف فَسُرّ الناس وامَّلوا الإنصاف، وأن تكوْن الأحكام وفق المقرر المُعتمد من المذهب، فما هي إلاّ أيام قليله حتى تبينوا أن النكس شرٌ من المرض، وإليكم مثال من مقررات استينافهم ليكون عنواناً لِما سواه: (الحمد لله وهو المُستعان، وبعد فقد رُفع الحكم الصادر من السيد علوي بن عبد الله السقاف - قاضي سيون - إلينا، المؤرخ في ٢٧ جماد الآخرة سنة ١٣٦٤ في قضية الشريفه رقيّه بنت محمد بن أبي بكر العيدروس مع أولاد السيد علوي بن عيدروس، مع الملاحظات التي قدمت عليه، فتأملنا ذلك، وحيث أن الملاحظات بمناقضة الدَعوى التي بُني الحُكم عليها، لِما تقدم من إقرارها عند القاضي محمد بن حسين الجفري بأن المال مُعَهَد وأنها تطالب بالفكاك ظاهر في القدح. وحيث أن كتابة القاضي السابق محمد الجفري يصرح

باعترافها بأن المال مُعْهَد عند أولاد السيد علوي العيدروس المذكور، ومطالبتها بفكاك العُهده، ولو فُرض أن الإقرار لم يصدر إلاّ من وكيلها، فهذا أيضاً مُثبت لمناقضة الدَعوى الأولى للدعوى الثانية التي في الحُكم، بالنسبة للوكيل. فبناء على ما ذُكر أتضح لنا أن الدعوى الثانيه غير صحيحه، وأن الحُكم المترتب عليها غير صحيح، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم. وحُرِّر في ٢٤ صفر سنة ١٣٦٥، وفي مجموع الحبيب طه ما يُصَرِّح بما تقدم، والله رقيب. عيدروس السوم، صالح بن علي الحامد، مصطفى بن سالم السقاف، محمد بن شيخ المساوىَ). فكتبت عليه ما يلي: بما أن القاضي السيد محمد بن حسين الجفري مُنكِر من إقرار رقيّة ووكيلها بالعُهدة إنكاراً شديداً، ولم يُثبت ذلك الإقرار ببينةٍ قط عند أهل الاستيناف ـ كما يستهل به بعضهم ـ وأن إنكار السيد محمد بن حسين من ذلك ملأ سمع البلاد وبصرها قبل أن يقول الاستيناف قوله ذاك، وفي إمكانهم أن يسألوه ـ لأنه لم يزل على القضاء ـ أو يطلبوا ثبوت ذلك بطريقه الشرعيّ، ولم يكن ذلك تبيّن أن هذا التقرير رملٍ مبني على ماء. وأتعجب كثيراً من قولهم: وفي مجموع الحبيب طه ما يُصَرِّح بما تقدم. لأنه يدل على غفلةٍ فاحشةٍ وسهو قبيح، إذ الذي في «المجموع» ـ على ألوانٍ منه ـ ما نقله عن فتاوى عبد الله بن أبي بكر الخطيب، فيما لو استدعي رجل لأولاده نذراً معلقاً ثم أدّعى لهم نذراً منجزاً وأسنده إلى ما قبل التعليق لم تُسمع دعواه إلاّ للتحليف لمناقضة ذلك لدعواه الأولى، فبطلت بالنسبة له. وأما بالنسبة لأولاده فلا، ولكن لا يصح أن يَدّعي هو لهم لأنه خرج بأقراره عن كونه ولياً لهم في ذلك، بل يُنَصِّب الحاكم من يَدَّعي لهم، وتُقبل دعواه وبيّنته. أهـ من كُرّاس «الإقرار». وفي الدعوَى والبيِّنة منه ـ عن الخطيب المذكور ـ لو باع داراً فادّعى إبنه على المشتري أن البائع وقَفها عليه وعلى أولاده وأقام بَيّنةً، بَطَلَ البيع. فلو أقام المشتري بَيِّنةَ ـ بإقرار المُدّعي ـ أنها كانت ملكاً لأبيه حين باعها، وَثَم أطفال من أولاد أولاده سُمعت وبَطَلت الوقفيّة في نصيبه دون نصيب الأطفال، وليس له أن يَدَّعي نصيب الأطفال لأنه خَرجَ بإقراره عن كونه قَيِّماً لهم. ويجوز أن يُنَصِّب المُقِّر مُدَّعياً. قاله القاضي حسين قال البغوي كما قال العبادي: ولو ادّعى المُقرّ جهاله بالوقف ـ حال الإقرار ـ صَدَق بيمينه. وهذا هو الصحيح. ويجب الجزم به إذا دلّت القرائن على صدقه، كأن كان طفلاً. أهـ. ومثل هذا موجود في ص ١١٥ ج ٣ من «فتاوَى ابن حُجر» وقوله:

كان طفلاً مِثله لو اعتذر بأن إقراره مبني على ظاهر الحال كما في ذلك «المجموع» عن تصريح الخطيب المذكور قبيلة بأسطر. ومن قوله: ويجوز أن يُنَصِّب المُقِرّ إلخ، يُعرف تقييد خروجه عن الولاية على أولاده بخصوص تلك الدعوى، فيما ناقضها بإقراره فقط، وبه يندفع الإشكال. وفي «النَذْر» من ذلك «المجموع»: رجل إستدعى من امرأة نذراً لأولاده فنذَرت لهم نذراً معلقاً، ولمّا علم أنها تريد نقضه إدَّعَى نذراً سابقاً. لم تُسْمَع دعواه، لأنه باستدعائه المعلق أقر لها بالملك، وهو مبسوط في كراريس «الإقرار» من جواب محمد باحويرث ورده أحمد مؤذن. أهـ. وظاهره أن أحمد مؤذن يقول: سماع الدعوَى مُطْلقاً، ويلزمه القول بأن الوكيل إذا انعزل بالإقرار ثم تجددت له الوكالة، صَحَّت. وبذلك صرّح الشيخ عبد الله بن أبي بكر الخطيب كما في «المجموع» المذكور، أوائل الدعوى. وحاصل كلام أحمد مؤذن في «المجموع» المذكور أن أحمد باعطب أَدَّعى على عائشة بنت محمد الحاج انها نَذَرت لأولاده بنصف دارها نذراً مُنْجَزاً، وثبت ذاك بشهادة السيد فلان، ولم يبق إلاّ يمين التكمله، فعارضني فلان وكتَبَ سؤالاً ذكَر فيه أن باعطب استدعى ـ بعد ذلك ـ نذراً من عائشه، وأن ذاك إقرار منه يناقض دعواه، فكتبت على ظهره: هذا غلط واضح، لأن إقرار الأب لاغٍ في حق أولاده. ثم أجاب بعض أكابر دَوْعَن بما يوافق المُعْتَرِض وصادق عليه باخبيزان في «بضه» وبامعلم في «قيدون» فأخذ الله على بصائرهم، فلم ينتفعوا بأبصارهم أهـ. والحاصل أن أحمد مؤذن يقول بإلغاء الإقرار وصحة الدعوى، وكأنّ باخبيزان ومن لفّه يقولون بصحة الإقرار والمؤاخذة به، وهو غلط واضح إن صحّ عنهم، وعبد الله بن أبي بكر الخطيب يقول: لا مؤاخذة على الأولاد بإقرار أبيهم إلاّ في عدم سماع الدعوى منه عنهم، ما لم يُبدِ عُذراً هذا كله في «المجموع» فماذا الذي أراد منه أهل الاستيناف؟ لقد حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء. ثم ألم يعلموا أنه يجب على القاضي الكامل بيان مستنده إذا نقَضَ حُكْم غيره، فضلاً عن قُضاة الضرورة. وأي مستند بيَّنهُ هؤلاء؛ أما كان الواجب عليهم بالتنزل وجعل إقرار المرأة أو وكيلها مانعاً من سماع الدعوى الثانية، لغرض أنه من غير تأويل. أن يقولوا: ثبت لدينا بشهادة فلان وفلان، ويراعوا الأوضاع الشرعيّة في جميع ذلك، وينقلوا النص الذي اعتمدوه بعينه، وإذا لم يكن شيء من ذلك فما قولهم إلا هراء، بينه وبين الصواب سُبل وعره وأرض عرا. والله أعلم. كتبه عبد الرحمٰن بن عُبيد الله. وبلغني أن السيد مصطفى

أرعوَى ورجع عن كلامه، وأمّا الباقون فأصرُّوا، ولكن ألغي كلامهم وأُعيد المال إلى رُقيّة وفُصِلو عن الاستيناف تماماً وأُسند إلى جماعة بتريم مدةً قليلة، ثم هو اليوم في يد السيد عبد الله بن صالح بن هاشم الحِبشي، وفّقَنا الله وإياه للسداد وجعَلنا وإياه ممن يؤثر النصوص المقررة في الاعتماد. وهو مشهور بالنزاهة إلاّ أن من أصحابه مُغرضين يزعم الناس أنه قد ينخدع بكلامهم.

ومن العلماء المشهورين والأشخاص الظاهرين بسيوون: أخونا العلامه الجليل السيد محمد بن هادي بن حسن بن عبد الرحمٰن بن حسن بن سقّاف، فلقد شمّر بسائق أبيه، من نعومة أظفاره الذيل، وواصل في طلاب العلوم بين النهار والليل. ولم يزل يرد الضجر، ويدمن السَّهر، ويديم التحديق، ويلازم التحقيق، حتى ينعت له الأماني، واقتطف ثمار التهاني. فجاء موضع قول الشريف الرضى:

لـو أن عـيـن أبـيـه الـيـوم نـاظـرةً
تَـعـجَّـب الأصـل مـمـا أثـمـر الـطـرف

وكان أكثر تخصصهُ في علم النحو، فهو والشيخ محمد باكثير ـ فيه ـ فَرَسا رهانٍ ورضيعا لبان، وربما اختلفا في بعض مسائله.

خصائص سيوون:

منها عذوبة الماء حتى أن قائلهم يقول: (سيوون والماء، ولا سمن البَقر في شبام). **ومنها اعتدال هوائها** وكثرة صفائها، ولهذا كان لها منظر جَذّاب يأخذ بقلوب أهلها، فيكثر حنين الغائبين من أبنائها إليها. ولأهلها ميل إلى الأنس، حتى أنهم يخرجون بأهاليهم ـ في فصلي الصيف والخريف ـ كل عشيةٍ إلى الفضاء الرحب في سفوح «يثمه» على طبخ القهاوى ومناشدة الأشعار ومبادلة النوادر، ثم لا يرجعون إلاّ للعَشاء مع نزاهة وصيانة وتباعد في المجالس، بحيث لا يبين لأحد لون امرأة لا تحل، إلاّ من كانوا من المبرزين الذين لا تتحجب نساؤهم. (فبين ما يفعلون ما يؤثَر قديماً عن سَمَر أهل ظَفَار ـ بُعد المشرقين). وهذه السفوح قاحله ليس بها شيء من الأعشاب والأشجار إلاّ تعاشيب من الإذْخِر والاشنان وما أشبه ذلك، **وحواليها مجاري السيول**. والمطرَ بها قليلة الهطول، ولكنه **منظر يجلو الهم** ويفرج الحزن ويجم الفؤاد. ولمّا اشتكى الحبيب علي بن

عبد الله السقاف ما يعتريه من الهمّ إلى الحبيب عبد الله بن علوي الحدّاد، أشار عليه بمقابلة وادي يَثَمه كلما طرقه. فنجح ووجدَ منه أفضل علاج له. ولهذا اتخذ بفناء مسجده مكاناً في شرقيّه ينظر منه إليه. وما أشبه حنين آل سيوون إليها بما كان من رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرين إلى مكة المُشَرَّفة، حتى لقد جاءه أصيل الغفاري من مكة ووصفَ له خصبها، وقال: إن الأذخر أورق والشجر قد أغدق، أو ما يشبه هذا. فاغرورقت عيناه. وإن كان بِلال ليرفع عقيرَتهُ إذا أخذته الحُمّى، مع أنه لم يلاق بمكة إلا كل بلاء، ويقول:

ألاَ لَيتَ شِعْري هل أبيتنَّ ليلةً
وعِنْدِيَ منها إذْخِرٌ وجَليلُ
وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجَنَّةٍ
وهل يَبْدُوَنْ لي شامةٌ وطَفِيلُ

وفي جنوب تلك السفوح في شرقيّ سيون موقع مكاننا «عَلَم بَدْر». وكلما بارحْتَهُ ـ على ما ألاقي فيه من الملاقي ـ يشتد شوقي إليه، كما يُعْرَف من ديوان الممتلىء بذلك، ومنه قولي من قصيدةٍ اماميّة:

شجونٌ أطارَت في الظلام منامي ... لتذكار أيامٍ بسفح يشام
بحيث الفضاء الرحب والسِدر حوله ... منابت نخلٍ باسقٍ وبَشَام
قليلٌ به الأعْناب لكنّ ماءهُ ... ألذّ وأصفَى من سلاف مدام
وما نزه الدنيا وجنات ريفها ... بأنفع من بطحائهِ لسقامي
عشايا على تلك السفوح تصرَّمت ... بأثر غدايا في هشاً ووئامِ
بصحبة قومٍ طاهرين مراجحٍ ... ميامين شمٍ صادقين كِرَامِ
مضوا كلهم قدماً وعاشوا بمجدهم ... وإن أعقبوا في عصرنا بلئامِ

ومن أخرى، وَداعيّة، كان إنشاؤها في سنة ١٣٥٤هـ:

تذكّرتُ شرقي الحِمَى منبت الأثلِ ... وما أصعب الذكرى على ذي الوفا مِثلي
[illegible] ... [illegible]
فما زرعها زَاكٍ ولا ثَمّ ساكنٍ ... بها غير هُاكٍ قلة الأمن والعدلِ

ولكنَّ فيها نَشأتي وولادتي ... وخلَّفت فيها صبيتي وبها أهلي
فما في بلاد الله أرضٌ كمثلها ... لديّ على تلك المخاوف والدلال
ولم أنسَ في يوم الوداعِ مواقفاً ... لواعجها في القلب أشوى من الثكل
تراجعني فيها الهوَى أم شادنٍ ... وأجفانها تجري وأشجانها تغلي
وتلوى بليتها مخافة طفلةٍ ... ترى مابها من لوعة البَيْن أو طفل
تصد لأيهام الأطيفال تارةً ... وتقبلُ أحياناً بغوارتي وبل
ويمنعها سَوْق المقال نشيجها ... سوى كلمات ساقطتها على رَسْلِ
تقولُ إلى أين السَرَى بعدما ترىَ ... فليس لنا ذرع على فرقة الشمل
فقلتُ قريباً تنطوي مدة النَوى ... ويعقبها من فضله الله بالوصل

والشوط بطين جداً من أمثال هذا، ولكن لا حاجة لإثارة الأشواق وتجديد الأحزان. ولقد كانت لي أُخت صالحه تجرمت لها الأعوام في الأمراض المزمنه والأوجاع المؤذيه، وعرضنا عليها أن تُمرَّض في بيتنا، فامتنع زوجها، فكانت لا تَغُبنا زيارةً مع ضعفها، تستشفى برؤيتنا واستنشاق هوائنا، حتى اشتد بها المرض وألحّ عليها الألم، فكانت تأمُر أن تُحمَل لتُطِلُ من نافذةٍ يتراءى لها منها مكاننا، فقلت في جملة رثائها:

وكم هزها شوقٌ لمسقط رأسها ... فناء بها ضعف فجاش لها وبلُ
تذوبُ حشاها حسرةً كلما بدا ... مُصلَّى أخيها أو تراءى لها النخل

وكان سيدي الجد سقّاف بن محمد بن عمر شديد الحرص على سرور أهل بلده، حتى أنه ليرتَقِي سطح داره - في أيام الصيف والخريف - فإن لم يسمع غِناءً ولا طبلاً تكَدَّر، لأنهم لا يخرجون بتركه - عن عادتهم - إلاّ لِمُكَدِّر عيش وَشْوَشِ بال. وكانوا من فُرط الصفاء وترادف السرور في فقرٍ مُدْقِع، تساووا فيه. وإن وَجِدَ لدى أحدٍ شيء من المال لم يُسرف أثره في لباسه ولا في داره ولا في آتاته، وإنما يظهر في الإحسان ومواساة الأقارب والجيران كسيدي جعفر بن شيخ وعمر دحمي. وفي أوائل هذا القرن بَدأت زهرات ضئيلة من الثروة أستفزت بعض أهل العلم فاستمالوا أهلها وعظموهم وكبَّروهم في أنفسهم، وحملوهم على اقتناء

الفِراش والأثاث، وتشييد الدُور، وزخرفة القصور، ونهجوا لهم السبيل إلى اتِّباع الشهوات والتقلب في اللَّذات، فأخذ السرور يَغيض، والأحزان تفيض، حتى انحلّ الرباط، وطُوَى البساط، وتَقوّض ذلك الفسطاط، وأذبل الاجتماع بالفراق، والاتحاد بالانشقاق، وانكسرت خواطر الفقراء، فاقشعرّ بهم بطن البلاد، وتوزعتهم الأقاليم النائية. ونَجَمت المنافسات والمزاحمات، العائد كثير من شرها إلى جماعة باطريح، فهم - ومنَ على شاكلتهم - الذين بذروا بذور التحاسد وإثارة الأحقاد. وما كان آل سيوون - قبل ظهور الثروة والجاه. ونجوم هذه البدعة - إلاّ أخواناً على سُرر الصفاء متقابلين. وكان الدَرَسةِ أحراراً والأوقات موزّعةً، لكل شيخ وقت يدرّس فيه، ويحضر الطالبون، فيبث فيهم الحبّ ويؤكد الإخاء، ويُثني - بينهم - على أقرانه، ويغريهم بالأخذ عنهم. لا يمتاز أستاذ بأحد بل كلهم شرع فيهم. وقد قال النووي في مقدمة «المجموع»: ومن أتمّ ما يُؤمَر به العالم أن لا يتأذَّى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره، وهذه مصيبه يبتلي بها جهلة المعلِّمين. وهو من الدلائل الصريحه على عدم إرادتهم وجه الله، وقد قدّمنا عن عليّ - كرم الله وجهه - ما فيه من الإغلاظ. أهـ. فعند نجوم الجاه وتَفشّي المال وظهور البدعه، غاض السرور وفاض الهمّ واتّسعت مسافة الخلف بين القول والعمل. ثم جاءت الطامّةُ الكُبرى وكانت الحرب الطاحنة، وانقطعت صِلات جاوا وسنقافورا عن حضرموت فوقع الحضارم - ولا سيما من نزل عن شِبَام - في أضيق من حَلْقة الميم، وأشد من صمّاء الغبر. ورماهم الله بِسَبُع كسَبَع يُوسف، يَكْفي لوصفها ما جاء في قصيدتي المُسْتَهلّه بقولي:

عِبَرٌ يَلِيْنُ بها الغليظُ الجافي ويحسّ منها القَلب وخَزَ أشافي

وقد طُبعت مَرّات، وأشرت إلى شيء من ذلك في قصيدةٍ أخرى مطلعها:

يا ليت شِعري هل يُساغ الريقُ ويدال بالإفراج هذا الضِيْقُ

ولو أن سيوون عادت - بالفقر الأخير - سيرتها الأولى من الأُنس والصفاء وكثرة السرور وسلامة الصدور، لكان أعزّ مفروح به، فلا مرحباً بالمال إن لم يكشف البؤس ويؤنِس النفوس. ولكن لا ذا تأتي ولا ذا حصل. وما أتوا إلاّ من قِبل أنفسهم وسيآت أعمالهم ونفل قلوبهم وفساد نياتهم، فكان الأمر كما قال القُطب الحدّاد:

آيــة الأنــفــال والــرعــد مــع الــنــخــ
ـل لــمّــا غــيّــروهــا غــيّــرت

ومن خصائص سيوون: ملاحة نسائها، حتى جاء في أمثالهم: «مصباه في سيون، خير من حرمه في مَدُوْدَه» والمصباه هي الأثافي إزاء المنصه التي كانت تطبخ المِلاح عليها القهوه.

ومن خصائصها: لِين الطباع، حتّى لقد رووا أن أميرين اختلفا بِبُور، وطال بينهما النزاع، فأشار بعض أهل الفَرَاسه بطينٍ من سيوون، فَرَشُوَه تحت قطيفه أحدهما فلاَنَ وبخَع للآخر بما يريد، وسُوِّيت المسألة في دمائهم.

أحوال سيون السياسيّه: أما أحوالها السياسيه، فقد مرّ في هذه الماده أنها كانت ـ سنة ٦٠١هـ ـ لآل لضبيان وبني سعد أعنى نخيلها وسوادها. أمّا ديارها فأنها كانت خراباً لذلك العهد، وفي سنة ٨٤٨هـ أخذها السلطان الكثيري ـ كما عند شنبل ـ وفي سنة ٨٥٤ كانت **سيون** والغرفة وجفل ملك الكثيري، ولكن آل يماني وآل ثعلب وآل سعد يغزونهم ويحاربونهم. ثم تقلّبت بها الأحوال التي تقلبت بسائر بلاد حضرموت، حسبما يُفهم مما مَرّ في شِبَام. وهنا نلخص شيئاً من أحوال الدولة الأخيره عن الأصل: ففي سنة ١٢٦٩ أخذها نواب السلطان غالب بن محسن الكثيري من أيدي آل الظبي اليافعيين (يرجع نسبهم إلى يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن ذي رُعَيْن). وكان لجلائهم منها رنات حزن مؤثرة كما قال أبو عباده:

كــانــوا جــمــيــعــاً ثــم فَــرّق بــيــنــهــم بَــيْــنٌ كــتــقــويــض الــجــهَــام الــمــقــلَــعِ
ووراءُهــم صــعــداء أنــفــاسٍ إذا ذكــر الــفــراق أقــمــن عَــوجْ الأضــلــعِ

لأن لفراق الأوطان مطلقاً عَبرات تَنقضب لها الضلوع، فكيف **بسيوون** الذي مر بك من وصفها ما يشعر بتزيدها في هذا الشأن. ولذا لم تزل يافع تتحرق حتى ظفرت بالمساعدة من الأمير عمر بن عوض القعيطي، فاستردت أكثرها في سنة ١٢٦٥. ولكنهم لم يقيموا بها إلاّ سبعين يوماً، والفتنه ذاكٍ أوارُها مُتَرامٍ شَرَارها، وفي يوم الخميس غرة جمادي الأولى من سنة ١٢٧٢ وصل السلطان غالب بن محسن ـ من الهند ـ إلى «ريدة بن حمدات» السابق ذكرها في المراسي، ونزل عند أصحابه «آل عبد الودود». ثم وصل إلى «تاريه» ثم إلى «تريم» ثم إلى

«سيوون». وفي ثاني يوم وصوله إلى سيوون خَفّ إلى «ذي أصبح» لزيارة سيد الوادي الحسن بن صالح البحر ولطلب دعائه. وكان السلطان غالب صالحاً أبيض السريرة يحب العدل، غير أن وزيره عبود بن سالم - وهو ابن أخته - لم يكن هناك، وقد استولى على خاطره، فكانت تتجه إليه ملاوم أهل الحق من هذه الناحيه من حينٍ إلى آخر. ولم يزل على السلطنة حتى توفي فجأةً في ٢١ رجب سنة ١٢٨٧، ودُفن من اليوم الثاني في جمع عظيم أم الناس فيه سيدي الجد محسن بن علوي، وخطب خطبةً وَجلت لها القلوب وذَرفت منها العيون. وقد طَمِع في الإماره بعده كلٌ من أخيه عبد الله بن محسن، وابن عمه عبد الله بن صالح، وابن أخته عبود بن سالم. وكان هذا أشدهم طمعاً، لأن خاله - تهيأ قبيل وفاته - النزول عنها له، تأثماً من التبعات. غير أن الجد بحكمته وشهامته وصرامته، وضع عمامته على رأس ولده منصور، فكُمَتْ الأفواه، وهو إذ ذاك أوان البلوغ، فكانت فلتةً إلاّ أن الله وقّى شرها. وكان السلطان محسن بن غالب صغيراً يومئذٍ، ولمّا شبّ ساهم أخاه فتناصفا المُلك عن طيبة خاطر. وفي سنة ١٣٣٤ وصلني كتاب من قائد الجيوش العثمانية بلحج، وهو سعيد باشا، يطلب اعتراف سلاطين حضرموت بأنهم تَبَعٌ للدولة العثمانية، فما زلت بالسلطَانَيْن حتى وقّعَا على الوثيقة المكتوبة في ذاك المعنى، بإمضائهما ومُهريهما. إلاّ أن مهر السلطان محسن كان منكوساً مع الاستعجال، فتشآئمنا بذلك، ووقّع عليها السلطان علي بن منصور بصفته وليّ عهد أبيه، والقاضي لذلك العهد، وأرسلتها إلى القائد، فلم يكتفِ بها حتى طلب إمضاء المناصب ورؤساء القبائل، فما زلتُ بهم حتى أمضى أكثرهم على مِثلها، وسيّرتها إليه. وَغضِبت لها حكومة عدن، وتوعدني السيد حسين بن حامد المحضار ظاهراً ولكنه كان يغريني - في السر - على توثيق العلائق بيني وبين علي سعيد باشا، وعلى مواصلة الكُتب إليه. وقد تبودلت بيننا كثير من الكُتب والقصائد، توجد بمحلها من الأصل والديوان. وبأثر ذلك كانت حروب صوريّة بين آل القعيطي وآل كثير، وهي المُسَمَّاة «حرب قَسبل». وكان الضلع الأقوى فيها للشيخ طالب بن جعفر من آل كثير. وأكثر الناس يتفرس أن السيد حسين بن حامد المحضار كان يتعلل بتلك المناوشات عمّا تطالبه به حكومة عدن، من الاشتراك في مباشرة الحرب على سعيد باشا، ولمّا شعر بانتهاء الحرب العظمى أشار على حكومة عدن بايقاف حرب حضرموت واستقدام المتحاربين إلى عدن، ففعلت وسارَ هو بالنيابة عن السلطان غالب بن

عوض القعيطي. وجاء الشيخ سالم بن محمد بن طالب، والشيخ سالم بن جعفر، والشيخ ناصر بن عمر بن يماني، بصفة النيابه عن آل كثير. وهناك تواضعوا على المعاهده ذات الإحدى عشر مادةً المحرره في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦. وقد حددوا فيها نفوذ سلاطين آل كثير في ست نقاط، وهي: تَرِيم والغُرف ومَرْيمه وسيوون وتريس وغيل بن يُمَيْن، إلاّ أن في الوثيقة ما نصه: وصار الاعتراف أن فخذ الشنافر تابعون لسلاطين آل عبد الله، وهم آل عمر وآل عامر والفخائذ آل كثير والعَوامِر وآل جابر وآل باجِرى، وما شملته حدودهم. فمن هذه النقطة وجدوا السبيل إلى توسيع منطقتهم إذ لم يكن عند القعيطي من يقرع هذه الحُجة بمثلها. وبأثر ذلك وصل السيد حسين بن حامد إلى حضرموت واستُقبِل استقبالاً مهيباً عظيماً. وفي اليوم الثاني من وصوله إلى سيوون زارني بمكاني «عَلَمْ بَدِرْ» وحضر بحضوره زهاء ألف وخمسمائة من العلويين والسلاطين ويَافع وآل كثير والعَوامِر وآل تميم وغيرهم. وهناك أنشدتُ قصيدةً مطولة أقول فيها للسيد حسين:

أدركت بالجد والتشمير ما عجزت ... عنه الملوك بجلب الخيل والإبل
ملكت قسراً قلوب الناس قاطبةً ... بخفة الروح والأخلاق والحِيل
لا شك إنك ذو سحرَ وشعوذة ... أو ذو مقامٍ لدى البر اللطيف علي
واليوم أتممت عقد الصلح محتسباً ... هذا الصنيع فقرّت أعين الدول
عسى تكوْن لنا عقباه صالحة ... فما علمنا بتفصيل ولا جمل
تخالَف الناس في الأخبار عنه فلم ... أعرف حقيقته ماذا عليَّ ولِي

ومنها:

يا رب وانصر جيوش الترك دولتنا
واملأ قلوب العِدا بالخوف والوجلِ

وأحم الشريعة في شبه الجزيرة بالمولى الإمام من الآفات والعِللِ

وقولي: لم أعرف حقيقته؟. هو الواقع، لأن سلاطين آل كثير ومن على رأيهم من الأغنياء، بعد أن علموا غضب حكومة عدن من تلك الوثيقة، وعلموا انهزام الأتراك، تجافوا عني وكتموني أخبارهم، لأنني لا أرضى انسحاب حُكم الحماية الأنقليزيه على بلادنا. لأن الحمايه مظنة الجَور الفاحش ولا سيما إذا

وسِدَتْ الأمور إلى غير أهلها، كما هو الأغلب. فهي إذاً شر من الاستعمار، بشهادة الفروق الشاسعة بين إدارة عدن وإدارات حضرموت، التي لا أثر لشيء فيها من عدالة الدِين القيّم. أما في بلادهم فأن العدل فيها ـ حسبما بلغني ـ أشبه به عندنا في خير العصور، لأنهم أخذوا عنّا ما أعانهم على ذلك. وبالغت جهدي في عرقلة ذلك والتحذير من سوء مغبته بما نشرت بعضه في الأصل. فكان أول ما زيّن لهم محبوا الحمايه: الابتعاد عني، ففعلوا، وما زالوا على ذلك إلى اليوم. وقد خَار الله لي في ذلك. ومع تألبهم عليّ وابتغائهم لي الغوائل، وتطلّبهم لي العثرات، فما زلَّ نعلي، ولا خوى نجمي، ولا تغيّر رأيي، ولا تزحزحتَ عن مبدأي. وأنا الذي أقول من قصيدة مطوّلة:

وقد أحسن الحساد بي حيث كايدوا ... مكاني من السلطان حتى تغيرا
لأني لو قَارَبْتُهُ في مشورةٍ ... لأتعبت نفسي أو لكنت مقصراً
وإني يحابي من بناه الاهُهُ ... على الصدق والتصريح من يوم اثغرا
صفَى لهم جو السياسة فانتهوا ... إلى ما اشتهوا والحال يكفيك مُخْبِرا
فقد طوّقوا أعناقهم بملاومٍ ... تدوم إلى أن يَبْعَث الخالقُ الورىٰ
وقد انشبوا أوطانهم في معاطبٍ ... تطيل لذي اللُّب البكاء والتحسرا
وتكثر للوالي الندامة والأسَى ... لو انتَبَهت أفكارهُ وتدبّرا
وقد خَارَ لي الرحمٰن في البُعدِ عنهمو ... فلا ذنبَ لي إذ لا حضرت ولا أرَى

وفي جمادى الأخرى من سنة ١٣٣٧ توجه الأمير علي بن منصور بن غالب ـ يحمل توكيلاً من والده ـ بإمضاء تلك المعاهدة بدار الاعتماد في عدن. وتوجّه الأمير سالم بن عَبّود بن سالم ـ يحمل توكيلاً من السلطان محسن به غالب ـ بامضائها أيضاً، ونَزَلا بالمُكَلاَّ على ضيافة السلطان غالب بن عوض القعيطي، وساروا بمعيته إلى عدن، حيث وقّعوا عليها هناك. وكان السلطان منصور بن غالب وأخوه السلطان محسن بن غالب، تقاسَمَا المَمالِك بوثيقةٍ مُحرَّرة بينهم لتاريخ: فاتحة رَجب من سنة ١٣٣٦، فصارت «مريمه» و«سيون» و«تريس» لمنصور ولأولاده من بعده، وصارت «تريم» و«الغُرف» لمحسن بن غالب ولأولاده من بعده. وبقي «غيل بن يُمَيْن» مُشاعاً بينهم. وفي ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ توفي السلطان محسن بن غالب بسيوون وخَلَفهُ ولده السلطان عبد الله بن محسن، وكان

رحيب الصدر طويل الباع، رخيّ البال، رقيق الطبع، مأمون الغضب، جميل الأخلاق، خبيراً بالأمور خليقاً بالمُلْك. إلا أنه لا ينجو من بيت ليلَى الأخيلية الذي تَمثّلنا به في الحزم وصداع لمحسن بن عبد الله العولقي، ويشاركه في الأمر أخوه السلطان محمد بن محسن. وفي اليوم الثامن من الحجة سنة ١٣٤٧ توفي السلطان المنصور بن غالب الكثيري بعرَفَةَ، وخَلَفهُ ولده السلطان علي بن منصور. وفي ليلة الخميس ١٨ شعبان سنة ١٣٥٧ توفي ـ فجأةً ـ **بسيوون** ودُفن بها من اليوم الثاني. وكان ذكياً نبيهاً، مشاركاً في العلم والأدب. إذ كان يحضر مجالسي ويكثر الكَونُ عندي، فتثقّف بذلكَ لا بنيره، وخَلَفهُ أخوه السلطان جعفر بن منصور. وكان يحضر مجالس أبيه وأخيه عندي، ويتولّى طبخ الشاي بيده، وكان الغالب عليه السكوت، ولهذا خفي حاله عنا، لأن المرء مخبوء تحت لسانه. وفي محرم سنة ١٣٥٨ أبرمت بينه وبين الحكومة الانقليزية معاهدةً، رضي فيها بأن يكوْن له مستشارٌ يقبل نصيحته في جميع الأمور، ما عدا المسائل المتعلقة بالديانة والعادة الإسلاميّة وكان تمنّعْ الامضاء على تلك المعاهدة زماناً طويلاً ولكن الضابط السياسي بمساعدة السيد أبو بكر بن شيخ الكاف احفاه السؤال حتى رضي على شرط أن يكون الأمر سراً فأمضىٰ على وثيقة مكتوبة باللغة الانجليزية ولكنهم اعلنوها في جريدة محمية عدن ومنها نقلت نصها المنشور بالأصل. وفي الخميس جمادى الأولى من سنة ١٣٦٦ـ قَرّرت الحكومه الكثيريّه مكُوُساً جائرة، لا تتحملها الجبال فضلاً عن الرجال، ولا تخطر لأحد ببال، على كل ما يرد إلى منطقتها من البضائع، فوقَع الناس ـ ولا سيّما الضُعفاء ـ في شر مما كانوا أنكروه وضجّوا منه أيام ابن عبدات. أمّا الأقوياء فالموظفون في أيديهم والتهريب عليهم يَسيرٌ جدّا. فما هو إلاّ ظُلم مكرر كما أشار إليه العلامة ابن تيميّة. وبدلاً من الاحتجاج عليه، قام آل تَريم ومن لَفّهم، يحتجّون على الحكومة القعيطيه فيما تأخذه من الرسوم على البضائع التي تمر في موانيها إلى المنطقة الكثيريّه. وما أظنهم ينجحونَ في هذا الاحتجاج، مع تفارط الأيام ومرور نحو المائة عام، واليد راسخة والعادة جارية، وماهو إلاّ عمل من رَضي بهذه المكوس الباهظة، وأراد خدعة الصبي عن اللبن، بتلك الاحتجاجات التي ليست من اختصاصات الرعيّه. وإنما واجبهم أن يحتجّوا على ما نزلَ بهم، ولكن الشعب ميّت، يَشْكُر على الإساءه، ويُثنى على الجنايه، ويتهافت في تولّي من يمكّن الأجانب من ناصيته، ويوطّىء لهم مناكبه لسلطة موهومه، ورئاسةٍ مزعومه. وإلاّ فأيّ معَنَى لهذه الرسوم الغاشمة مع تصريح

المعاهدات بأن الساحل وسائر حضرموت إقليم واحد، بل بلغني - عن جريدة الحكومه الرسميه بعدن - إطلاق لفظ «عدن» على الجميع. فلو رأيْت ما يُصنع بمنكوبي جاوا - الذين وصلوا حضرموت - من التفتيش والإرهاق، لرأيت ما يكمد النفوس ويذيب القلوب إن كان فيها إسلام وإيمان.

لمثل هذا يذوب القلب من كَمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمان

ومعاذ الله ان نبرى جمارك الساحل من الظلم الفاحش والجور الفادح لكن البدأة بالأولى الزم والأخذ من الاطراف أحزم.

ضواحي سيوون:

وسيون محاطه بالنخيل، فيما عدا جنوبها. وعلى شرقيها - على نصف ميل منها - المكان المُسمَّى بالقرن، لأنه بسفح جبل له ناب كناب الفيل في وسطه، ولأن شنخوبهُ مُستطيل في استداره، فسموّه لذلك. وهو مُخْتَرف الساده آل طه بن عمر. وكان قريةً صغيرةً يسكنها الفلاحون ثم بَنى به جدنا محمد بن عمر بن طه بن عمر مسجده الذي بحضيض الجبل الجنوبي، ثم تتابعت البنايات بعد ذلك في البساتين. ولهذا لا تصح ولا تنعقد الجُمعة فيها - على ما في «مجموع» الجد طه بن عمر عن الشيخ عبد الله بن أحمد بامخرمَه - لأنها لم تُخط بَلداً من البدء. وكان (القرن) منفصلاً عن سيوون - في القديم - ثم اتصلت العمائر. وكانت لآل طه فيه الديار العامره والأفراح الغامرة، وكانت أيام إختراقهم به كلها أعياداً زاهره. وقد سبقَ ذِكْر ما أمتازت به سيوون من الأُنس والصفا، ولكن ما في القرن - من ذلك - أعذب وأصفى وأكثر وأوفى، فلو شهدتَه، والأخبار سارّة، وجاوا دارّه، وسمعت طبول الغواني بشجيات الأغاني، ورأيت الشُبّان متوزعين على بطحائه ليالي القمر الإِضْحِيَان[1] على الشاهي اللذيذ والشِوَاء والغَرِيض[2] بالأحاديث الجَنيَّه والأشعار الشهيّة، كل فِرقةٍ على قَدْر ما عندها، وكل طائفةٍ على ما شجَاها، لَمَا خرج من لسانك قول الصمة بن عبيد الله:

شهورٌ يَنْقَضِيْن وما شَعَرنا بإنصافَ لهنّ ولا سرار

فأما ليلهن فخيرُ ليلٍ وأقصر ما يكوْنُ من النهار

---

(١) إضْحِيَان: ليله مضيئة.

(٢) الغَرِيض: الغِناء المُطْرِب.

أو قول البُحتري:

فلا تذكر عهد التصابي فإنه تَقضَّى ولم نشعر به ذلك العصر

وقَوْل متمم بن نويرة وهو الإمام في هذا المعنَى:

وكنا كندماني جُذيمة برهة من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معاً

ولقد شهد بعض ذلك السائح الباسقي، فقال: إني لأرثي لمن يفارق هذه الدِيار، وأتصور أنَّ حنينه يطول وبكائه يدوم. لكن الزمان جفول، فبينا هم في ظل عيش غفول، إذ تضيفت الشمس للأفول. ولم يبق من ذلك الأنس إلا القليل الذي لا يروي الغليل.

يا منزلاً اعنقت فيه الجَنوب على
رسمٍ مُحيّل وشعبٍ غير ملتئمِ
هرمت بعدي والربع الذي أفلت
منه بدورك معذور على الهرمَ

ولقد وصفته في يوم غام ضُحاه، وأرجحنّ رعده برحاه، وتخيلت عهد الأشياخ الكرام والآباء والأعمام، فقلت من مطوّلةٍ:

في رياضٍ من النخيل تلاقى الـ ـماء فيها من السماء والسواني

طِبن مرأىً وسمعاً ومذاقاً وخيالاً بذكريات حِسان

ملعب اللهو مسقط الرأس مأوى الـ ـغيد من هاشمٍ سِباط البنان

سادةٌ يملؤ الزمان سناهم بهجةً من فلانة وفلان

وأسعد ما شهدت من زمانه: العام الذي أخترف بقربه سيدي وشيخي الأستاذ الأبَرّ، مسند الدنيا: عيدروس بن عمر، وهو عام ١٣٠٧هـ، فلقد عظمت ـ تلك السنة ـ المِنَّة، حتى كأنما أُسترقت الأيام من الجنّه. وكانوا أول الخريف في جدبٍ، فلما أوىَ العلامة السيد علي بن محمد الحِبشي إلى فراشه، ذكَرَ ما الناس فيه، فخَفّ ـ بلباس النوم ـ إلى الأستاذ يستشيره في الإستسقاء، فاهتم الأستاذ وبات يُلِح على ربه في الدعاء، فما كاد يبرق الفجر إلاّ وقد جاءت السيول وامتلأت الحقول. ثم تتابعت حتى لم يكن انجلاؤها إلاّ بعد التضرع

والابتهال فجاء موضع قول البوصيري: (فاعجب لغيثٍ اقلاعه استسقاء) فيكف لا تفيض العبرات وتتصاعد الزفرات لتلك الوجوه الناضره، والأيام الزاهره، والليالي العاطرة:

اعزايَ ما ابقوا لعينيَّ قرةً ولا زودوا الا الحنين الرجّعا
وكانوا على الأيام ملهى ومطرباً فقد أصبحوا للقلب مبكي ومجزعاً

فما أطول الرثاء ولا سيما إذ لم يبقِ إلا الغثاء:

فكم في الحشا من موجعات لسادةٍ
مناط الرجا كانوا فغطّاهم الرمل
جبالٌ منيفات من المجد أصبحت
كأن لم تكن لولا الأحاديثُ من قبل
أمرّ لنا العيش الرغيدَ فراقُهم
واثقلنا من بعدما أوحشوا الحمل
ولولا اعتصام بالمدى لم يكن لنا
نعيش قواماً بعدما انقطع الوصل
ففي كل حينٍ يأخذ البين غرّة
تذوب لها أكبادنا ثم لا نسلو
فأين المصابيح التي كان للهدى
بها في البلاد الشأن والشرف الجزل
وأين المراجيح المساميح والألى
بغُرّاتهم يستدفع الشر والأزل
وإن قصرت ذرعان قوم بحادثٍ
تلقاه من آرائهم كاهل عبل
تلذ لنا أخبارهم وتذيبنا
فواعجباً منها تَمُرُّ كما تحلو
يذكرنيهم كل مَمسَى ومصبح
فما زال في خدي لتذكارهم طل

ومن أواخر ما رأيت من بهجة القرن ونظارته، إنني أصعد سطح داري بعد المغرب سنة ١٣٥٥ وهي سطح صغير قاصر الجدار يسافر الطرف من ثلاث نواحٍ فيرى السُرج المضيئه المنتشرة، محيطة بي إحاطة ثلثي الدائره، كأنها الكواكبُ المنتثره، والشُبان أوزاع، والفرَح مخيم على سائر البقاع، فأستغرق في ذلك الجمال الباهر واللّذة التي تحمي النوم عن السامر والساهر. ثم عدت إلى مثل ذلك في سنة ١٣٦٣ فكنت كما قال الرضى:

نـضـرت الـكـثـيـب الأيـمـن الـيـوم نـظـرةً
فـــردّت إلـــيَّ الـــطـــرف يـــدمـــى ويـــدمـــع

إذ قد أدبر العيش وكرّ من الأدبار جيش وأديل النور بالظلام فلا سمر ولا غناء ولا سراج ولا كلام وكأنما كل ذلك من الأحلام وما هو إلا ببعض ما اكتسبوا وبعفو عن كثير والسلام.

ولّـــى الـــزمـــان وولّـــت الأيـــام فـعـلـى الـمـنـازل والـنـزيـل سـلام

ثم إني بعد أن خبت المصابيح وأوحشت السطوح والمراويح هجرت الذرة ليلاً وجعلت اتسنمها غديات الخريف واسرح النظر من الجهات الثلاث تالياً ما تعودته من الأوراد في الظل الظليل والجو البليل والريح العليل والفضاء الرحب والهواء الطلق الشبيه بنعيم الجنة لا يمتاز به أحد وإنما هو كجمال الأفلاك وأنوارها ما يكون منه عند هؤلاء يكون عند الآخرين ولهذا ينتفي التحاسد عليه لأن الناس مترع فيه فأرى النخيل الباسقه والقصور البيضاء الشاهقة فاستغرق في النعمة وأنبسط من البهجه إذ يظهر حينئذٍ ما يدهش العقل ويخلب اللب وينير الفكر وينعش الروح ويبعث الذكريات الجميلة ويوحي بالمعاني النبيلة فأكاد أخرج عن جلدي وأغيب عن نفسي وأُلامِس العالم القُدسي وأتأكد أن ليس بين الأدعية وبين سماء القبول حجاب وأن قد أنفتح من الخير بشهادة القشعريرة وهيمنه الروحنة كل باب لا أفضل ولا أجمل ولا أروع ولا أبدع عندي من ذلك إلا مجالسي بالروضة الشريفة تجاه القبر الأعظم وقعودي على بطحاء أم المناسك عشيّات الأشتية إزاء البيت المعمور ثم أنثنى على كبدي خشيه أن تقطع وألوث بردي على صدري حذار أن يتفلق

فـــلـــو فـــلـــق الـــفـــؤاد شـــديـــد وجـــدٍ
لـــهـــم ســـواد قـــلـــبـــي بـــانـــفـــلاقـــي

وأشد رِقتي لأولئك الذين يتشتتون في البلدان ويفارقون هذه الأوطان:

وا رحمتاً للغريب في البلد النا ... زح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما أنتفعوا ... بالعيش من بعده وما انتفعا

ولو انهم جمعوا قناطير الرقين لما استعاضوا الا بتدارُك الليالي اللواتي بقين وماذا يفيدون وقد رضوا بالدون وابناؤهم يتامىٰ وأزواجهم أيامىٰ:

كم غادةٍ في ظلام الليل باكية

على أليفٍ لها يهوي به الطلب

فالقلوب تنذاب والبين أكبر عذاب يبعث الشجون ويكثر الدجون ويشبه السجون ومالي أرى الأحباب والأولاد يذهبون ثم لا يجون وقد قال القطب الحداد:

مُشَتَّتُون بأطراف البلاد على ... رغم الأنوف كما تهواه حُسّادُ

وقال قيس:

رأيت مصيبات الزمان بأسرها ... سوى فرقة الأحباب هيّنة الخطب

وقال حبيب:

لو جاء مرتاد المنية لم يجد ... الا الفراق على النفوس دليلا

وقال أبو الطيب:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت ... لها المنايا إلى أزواجنا سُبلا

ومما يزيد الأمر عقدة والشوق وَقْدَة تذكُري قول الجد رضوان الله عليه وقد قابل سيون في مرجعه من فسحة قضاها مع أصحاب له تحت حصاه بحضيض الجبل الشرقي يسمونها الرضه فلقد ملأ صدره واستجهر نظره جمال سيون وصفاؤها فقال: ما أحسن هذا المنظر وأطنب بوصفه لولا تشوشِهِ بظلم يافع ثم لم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى أخذ بالثأر وارتفع الحق وثار وأخذت المظالم في الانذثار فكيف لو شاهد جدنا سيون في ليالي سنة ١٣٥٤ أو لو أشرف من ذروة دار مخترفي حتى صبح اليوم إذن لرأى ما يملأ صدره نوراً ويخمره سروراً هذا من جهة الجمال والشاره إذ لم ير إذ ذاك حتى محشاره وأما من جهة انحطاط العلم والدين وظهور أمر الملحدين والمفسدين وتجهم الدهر

الغاشم فلا نقول إلا ماقال عبد المطلب ابن هاشم والله المسؤول أن يطوي البين ويقرب الأين ويُقِر العين ويقضى الدين.

فكل الليالي ليلة القَدْر إن دنت كما كل أيام اللقىٰ يوم جمعة

وهو المؤمل أن يعطينا وإياهم عطاءً جزيلاً ويردهم إلينا مردّاً جميلاً يدخل تحت قول الوليد:

ملأت يدي فاستقت والشوق عادة
لكل غريب زال عن يده الفقر

فإن أهاليهم يحفُّون إليهم حنين العِشار وتهتز لهم منهم الأشعار والأبشار وتتحدر مدامعهم عندما إليهم يشار ومع ذلك فإننا نعيذهم بالله من قول بشار:

وأوبة مشتاق بغير دراهمٍ إلى أهله من أعظم الحدثان

وما أمرى العيون وأشوى الجفون من كتاب سيّره جدنا المحسن لأحبابه بجاوا من روضة العلوم إذ ذاك مسجد طه حينما أخذه الطرب وملأه الإنس بالرب يصف لهم ما يجنون من المعارف ويتمتعون به في ظلها الوارف يحدوهم لناديهم ويشوقهم لواديهم ولا بد أن يصيب مهزهم ويطبق محزهم ويسيل شؤونهم ويرعف عيونهم ولئن انتثر الجمان وانحط الزمان فلا يزال حب الأوطان من الإيمان

بلادي وإن هانت مقاماً عزيزة وأهلي وإن جاروا على كرام

وقال بعض من أغزاه عثمان وجمّره

بلغنا إلى حلوان والقلب نازع إلى أهل نجد أين حلوان من نجد
لجَثجَاثُ نجدٍ حين يضربه الندى أحب وأشهى عندنا من جنى الورد

وغنت حبابة بقول الأحوص:

لعمري إنني لأحب سلماً ومن قد حل في أكناف سلعِ
حلفت برب مكه والمُصَلّى وأيدي السابحات غداة جمع
لأنت على التدانى والتنائي أحبُّ إليّ من بصري وسمعي

ثم تأوهت آهة كانت تقضب ضلوعها فقال لها الوليد ما هذا وأنا لو شئت حملت إليك سَلْعاً حجراً حجراً فقالت إنما أُحب المكان لأجل السكان وكان لها

رباء بالمدينة.

وقال أبو العلا:

فيا وطني إن فاتني بك سابق ... من الدهر فلينعم لساكنك البال
وان استطع آتيك في الحشر زائراً ... وهيهات لي يوم القيامة أشغال

وقال:

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما ... رماني إليه الدهر منذُ ليالي
فهل فيك من ماء المعرّة قطرة ... تبل بها ظمآن ليس بسالي

ولشد ما أوذي شيخنا العلامة ابن شهاب في تريم ولكنه لمّا كان كريم المنبت لم يسكن حنينه فضلاً عن أن يَنْبت وقد بكىٰ جماعة من شيوخ العلويين لمّا أُنشِد بينهم قوله:

يا أيها الغادي إلى بلدٍ ... جرعاءُه خصبة المرعى وأبرقه
ناشدتك الله والود القديم ... إذا ما بان من بان ذاك السفح مورقه
أن تستهل صريحاً بالتحية ... عن باك تكاد شؤون الدمع تغرقه
بالهند ناءٍ أخي وجدٍ يحنُ إلى ... أوطانهِ وسهامُ البينِ ترشقه
إلى العرانين من أقرانه والىٰ ... حديثهم عبرات الشوق تخْنُقه

الفِجَيْر:

هي قريه صغيره في شمال القرن، على نحو الميل من سيون في شمالها إلى جهة الشرق. يسكنها أعقاب السيد الإمام عبد الرحمٰن بن عبد الله بن علوي مَوْلَى الدويلة، ترجم له في المشرع ولحفيده عبد الله بن سالم بن سهل بن عبد الرحمٰن ومنهم العلامة سالم بن سهل في المواهب والمنن أن الحبيب محمد بن علوي... ومحمد بن حسن مولى خيله انتفع بالحبيب أحمد بن حسن الحداد وعلى الجمله كان فيهم العلماء والصلحاء، وأطال سيدي حسن بن سقّاف في ترجمة السابق الذكر السيد الشريف محمد بن علوي بن محمد المتوفي بها في سنة ١٢٦٧، ومنهم السيد حسن بن حسين كان أغزرهم جوداً ومنهم جدي لأمّي المنور البال السليم الصدر المشبوح الذراع السيد محمد بن سقاف «مَوْلَى

خيله»[1] المتوفي بها سنة ١٣١٦، وحَدِّث عن آل خيله ولا حرج، فأنهم مذكورون في جناب الشرف بلا عرج، أما الجُود وكرم الضيافة فأنه بيت قصيدهم وخاصتهم التي بسطت ذراعيها بوصيدهم. لقد كانت للفجير بهم موضع الحجّ والثج لا يشبهها إلا مِنَى في أيام الحج، فالشغار من الذبائح تسيل، والطهاة من المطابخ لا تميل.

يغشون حتى ما تهر كلا بهم
لا يسألون عن السواد المقبل

لا تخبوا مصابيحهم بالليل، ثم بين ديارهم رباط الخيل. أخبرني محفوظ هويدي بأنه رأى ليلة الشعابنية فيهم ثمانية عشر عناناً: من جياد الصافنات وكلهم بيضٌ كرام لا يَسْوَدُّ بينهم إلا المطابخ والبِرامُ ولا يعابون إلا بمثل قول أبي هنان:

عيبُ بني مخلد سماحتهم وأنهم يتلفون ما ملكوا

فلقد أطلق الجود ما بأيديهم، حتى صوح ناديهم. وأسرفوا في المكارم حتى أثقلتهم المغارم.

كانت لهم همَمٌ فَرّقن بينهمُ
إذا العقاديد عن أمثالها قعدوا
فِعْل الجميل، وتفريح الجليل
إعطاء الجزيل الذي لم يعطه أحد

فاقشعرت قريتهم، وتشتت بأطراف البلاد فِتْيَتهم. وقد قال محمد بن علي بن خلف البيرماني:

يعيش الرجال الموسرون بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا

فلم تبقَ إلاّ الدِيار الخاليه، والكلاب العاويه، يستمرى العيون بومها، وتُفتّت الأكباد رسومها:

أوما رأيت منازل ابنةَ مالك رسمت له كيف الزفير رسومها
إناؤها وطلولها ونجادها ووهادها وحديثها وقديمها

(١) خيله: شعب مشهور بتريم، يقع في جهتها الغربيه.

تغدو الرياح سوافياً وعوافياً فتضيم مغناها وليس تضيمها
وكأنما ألقى عصاه بها البَلا من شقة قذفٍ فليس يرميها

وفي المفاضله بينها وبين (ذي أصبح) وأهليهما ـ لي ولأُم أولادي ـ محاورات طويله إذ أهل الفجير أخوالي، وآل البحر ـ بذي أصبح ـ أهلها. والحق أن ليس لسيد الوادي الحسن بن صالح ثم لولده عبدِ الله مثيل، ولكل كفَّةٍ بهما تشيل، وفيهما يأتي موضع قول الأول:

أبونا أبٌ لو كان للناسِ كُلَّهُم
إبٌ مِثْلُهُ، أغنا همو بالمناقب

وأمّا بقية آل البحر، فآل خيله خير منهم إلا من سقط عن محلهم عن عناقيد العز. إذ لا مدافع لهم عن قول الأول:

وليس لنا عيبٌ سوى أن جودنا أضرّ بِنا والبأس من كل جانب

وقد هلك ـ أو كاد ـ كُلٍ من القريتين، نسأل الله أن يقيض لكسرهما جَبْره وأن يزيل عبرتهما خبره.

وفي غربي **الفجير** قريه للحوارث يُقال لها (ملفوق) شملها الاندثار ولم يبقَ منها إلا آثار. وفي شرقيها قريةً كانت سكن السادة آل بامزروع من آل الحِبشي، منهم أُم جدي المحسن، لم يبق منها إلاّ مسجد صغير، كثير الأنوار، مشهور بالأسرار، يُقال له مسجد باسكن.

حصن الحوارث:

هو دِيار في شرقي القرن، كان بها أُناس من الحوارث، لهم ثروة وأعمال خيريه، منها مسجد بسيوون يُقال له «مسجد الحومره» ثم إضمحلّوا وتشتت أمورهم وذَهبت أموالهم ضحية الفوضويه في حضرموت، وخَلَفهم ناس من آل جعفر بن بدر العوينيين يُقال لهم «آل ريس». وحصل فيه فسوق كبير حتى اشترى بعض دياره السلطان منصور بن غالب وأجهزَ عليهم سوء عملهم فقلّوا..

وحصن الحوارث ـ اليوم ـ موضع لعسكر الباديه الذي تجلبه الحكومه الأنكليزية لتأمين الطرق بأسفل حضرموت. وقد قَلَّ سكانه ـ قبل سكنَى العسكر ـ حتى انتهوا إلى أقل من العشرين.

جذع

هو إسم لِسدّ ماء، لا يزول شتاءً ولا صيفاً، وفي أثناء جبل عن جنوب مَرْيَمه، يمتد طولاً، ينهر إليه بعض ماء الجبال التي تدفع إلى: يثيمه ويَثَمه وشَحُوح وتَارِبه، وتشرع منه مجاري ماءٍ صغير، لا تزال آثارها ظاهرةٌ تدل على أنه كان جارياً يسقي بعض النخيل والمزارع التي حواليه. والناس يقصدون ذلك المكان للاغتسال والتنزه فيه. وفي «فتح الرحيم الرحمَّن» أن السيد عبد الله بن أبي بكر العيدروس دخل - هو - وجماعةً من أهل مَرْيَمه غديراً يغتسلون فيه، فقال لهم الشيخ هِلِمّوا نتغاطس. أهـ. وما أراه إلاّ هذا، وبه ذكرت ما جاء في ص ٢٠٩ من القِرَى القاصد أمُ القُرىٰ أن عاصم بن عُمر بن عبد الرحمٰن بن زيد تماقلا في البحر وهما محرمان يغيّب كل واحد منهما رأس صاحبه وعمر جالس على شاطىء البحر لا ينكر ذلك أخرجه أبو ذر الهروي بلفظه والشافعي بمعناه ومعنى تماقلا تغاطسا كما فسر به في السياق.

مريمه

قال في «التاج»: مريمه - بكسر الميم وسكون الراء - بلده بحضرموت، وبها سكن الساده آل باعلوي الآن. وفيه خطأ من جهتين: الأولى من جهة الضبْط، فالراء فيها ساكنة والميمان والياء مفتوحات، كما عليه الاستعمال وصَرَّح به السيد عمر بن عبد الرحمٰن صاحب الحمراء في كتابه «فتح الرحيم الرحمٰن». والثانيه قوله: وبها سكن السادة آل باعلوي الآن، مع أنه لم يكن بها أحد منهم لعهده، وإنما كان بها منهم السيد أحمد بن علوي بن عبد الرحمٰن السقاف، وله إبنان: عمر وذُرِّيته بدثينه، وعلوي له إبنان أحدهما علي وعقبه: آل قيسيّة كانوا بسيوون ثم سقطوا إلى جاوا، والثاني عبد الرحمٰن له ثلاثة أولاد أحدهم أحمد توفي بمريمه ودُفن بتريم وعقبة: آل أحمد بن علوي بسيون، منهم الشيخ الصالح شيخ بن سقاف توفي بسيوون سنة ١٣٢٢، وله أولاد أكبرهم جعفر، كان على رئاسة العرب في فلمبان، ومنهم السيد حسين بن علوي مُثْرٍ متواضع يحسبه الناس فقيراً، ولطالما أراده السيد علي بن محمد الحِبشي على تبديل داره وتزيين أثاثه وإعداد آلات الشاهي ليُكثر المجيء إليه والتردد عليه، لأن بنته كانت تحت أحد أولاده، فلم يفعل. توفي بسيوون في حدود سنة ١٣٣٦ وخَلَفهُ ولده محمد، عَلَى

مثل حالهِ من التواضع، وزاد عليه بالعباده. فلقد عاش نحواً من أربعين سنةً يُحيي ثُلث الليل الآخر كله بالتهجد، ويُقال أن له صَدَقات سريّه، والله أعلم بذلك. توفي سنة ١٣٦٠ عن عمرٍ يناهز الثمانين. ومنهم السيد هود بن أحمد السقاف، له وَجَاهَه عند آل كَثِير اكتسبها بأكرامهم، وفَتْح دارهِ لهم، وبَذْلِه الجُهد في مُدَارَاتِهم وإرضاء من يغضب عليه منهم، والمُتَعَزِّز بهم ذليل، فَمرّت حياته في عَناء بهم شديد، وأشد منه محاولته إخفاء إساءاتهم وتجنيهم عليه. وإن كان الإثنان منهم أو من عَبِيْد الدولة لَيَتواضعان على أن يَدَّعي أحدهما على الآخر بشيء؛ فيترافعان إليه؛ فَيُصْلِح بينهم، ويتحمّل المَبْلَغ فيقتسمانه. توفي بسيون سنة ١٣٥٢. والثاني: علوي، عَقِبه بالهند وجِفْل[1] وسيوون. والثالث: شيخ المجذوب، عَقِبِه بحوطة الزبيدي، كذا يقول شيخنا في «شمس الظهيرة». ولا ذِكْر لهم ـ الآن ـ بالحوطه، فإما تَحوَّلوا أو انقرضوا، فما بالحوطه نافخ ضرم من العلويين.

وممن تَدَيَّر مَرْيَمه: العلامة السيد يوسف بن عابد الحسني الفاسي، جاء في أواخر أيام سيِّدنا الشيخ أبي بكر بن سالم، وأَخذَ عنه، وسكن مريمه. وكان يتردد بينها وبين الحَزْم بمأرب، وله في كلٍّ أهل. وفي سنة ٩٩٣ إقترن ببنت أحمد بن عمر بن عبد الله بن علي بن عمر الحارثي، قال: وحَضَر عَقْد النكاح جماعةٌ من العلويين، منهم الشيخ أحمد بن محمد الحِبشي، وجماعةٌ من الفقراء الزَبده أهل الرباط، وكثير من بني حارثه. ثم تَزوّجَ على ابنة عم هذه، كما فصَّلَ ذلك في رحلته. وكان تولَّى القضاء بِمَرْيَمه، وكان يُزَوِّج الشرائف من غير الأكفاء، فلا يُنْكَر عليه، وجاء في مجموع الأجداد: طه بن عمر وعلي بن عمر، عن الفقيه عبد الرحمٰن بن أحمد حَنْبَل، قال: لمّا طلب السلطان عبد الله الزواج من بنت الملكاني وأحد أخويها غائب، قُلتُ له: لا يجوز إلاّ بالتقليد، فأمرَ به، فعَقَدت له، ثم اجتمعت بالسيد يوسف بن عابد، فقال لي: عَقَدت للسلطان؟. قلت: نعم. قال: أصَبت، هو مذهب مالك. وقال لي: أن السيد عبد الرحمٰن بن شهاب أرسلَ إليّ بشريفه وَلّيها غائب، فزوجتها من باحنان من غير ضرورة. وذكَرَ والدي أن الشيخ أبا بكر بن عبد الله العيدروس العدني خرجَ إلى تريم فزوَّجَ الشرائف من آل بافضل. أهـ. وقوّل السيد يوسف بن عابد: أصبت، هو مذهب مالك، أي بقطع النظر عن أمر السلطان بتقليده. أمّا مع أمره به فيصير مذهباً للشافعي كما أفتَى

(١) جِفْل: قد مرّ ذكرها وهي قريه بأسفل وادي بن علي بالقرب من حوطة أحمد بن زين.

به ابن حُجر وأبو مَخْرمة. وقد مر في «حَوْره» أن آل الملكاني ـ بفتحات ـ من مسلمه الروم، وما أدري ما سبب انحطاط السلطان عنهم في الكفاءة حتى لم يصح اقترانهُ ببنتهم إلاّ بالتقليد. ثم عرفت أن آل الملكاني سادةً كانوا بسيوون من بني الحسن بن علي. ومنهم الشريفة علوية بنت حسين الملكاني الحسني، لها ذِكْر في أدعية مسجد الجد طه بن عمر لمن تصدّق عليه. وفي النُسخ الصحيحة من مجموع الجدّ أن السلطان عبد الله طلب الزواج من بنت الملطاني [1] بالطاء لا بالكاف، وبهذا ينكشف الإشكال. وفي الحكاية (٣٨٠) من «الجوهر الشفّاف» أن يماني بن فاضل مرّ ـ هو وأخوه ـ فتفرَّس الشيخ أبو بكر السكران المتوفي سنة ٨٢١هـ، أن يماني سَيُلْحِق الأذَى بأبيه ظُلماً، فلمّا كان ـ بعد سنين ـ إعتدى على أبيه فاضل وأخرجَهُ من مَرْيَمه وبقي هو عليها إلى أن مات أبوه. انتهى ومنه تعرف أن دولة مريمه كانت للحوارث، لأنّ هؤلاء منهم. ويتأكد ذلك بما ذكره شنبل في أخبار سنة ٩١٤ أن مجلب بن عقيل الأظلفي تسوّر على السلطان محمد بن جعفر بن عبد الله بن علي الكثيري ليلة النصف من صفر بتلك السنة، وهو بِمَصْنَعة «مَرْيَمه» فقتلهُ وهو راقد بجانب زوجته بنت محمد بن جميل الحارثي. أهـ. وما كان السلطان متملكاً على مريمه وإنما جاءها زائراً. وبلغني أن بعض سلاطين آل كثير حاصرَ الحارثي بمصنعة مَرْيَمه سنةً، ثم وُلِدَت فَرس الكثيري بعد السنةِ، فأدلَى له حزمة قَضْب من رأس المصنعة، فقال: من لا يعوزه القضب مع هذا الحصار فلن يعوزه غيره، فارتحلَ عنه. وآثار النقب في أسافل هذه القارة ظاهرةً إلى اليوم. وكأن ذلك المُحَاصِر ـ أو غيره ـ أرادوا حفرها ليمنعوه الماء، فلم يقدروا. وبَلغنا من الثقات أن القُطب الحدّاد زارَ بعض صلحاء مَرْيَمه، وكان مُقْعَداً، فسألهُ أن يدعو له بحسن الخاتمه، فحمي الشيخ وأخذه حال واهتزّ وقال حولها نُدندن، وأنشأ يقول: قد استعنتك ربي، على مداواة قلبي، وحل عُقدة كربي، فاختم بالإيمان الآجَال. ومن شدة انفعاله جرَى في عروقه الدم وقام سوياً كأن لم يكن به ألم. وقد استحسن القطب الحدّاد هذا الكلام فعمل قصيدةً وأدْرَجَهُ فيها. وبعض هذه القصة موجود في كلام سيدي محمد بن حسن الحدّاد. ولم تزل ذُريَّة السيد يوسف بن عابد بمريمه إلى الآن، منهم السيد حسين بن محمد بن عبد الله بن شيخ بن إبراهيم الحسني المتوفي بها سنة ١٣٤٠، كان مُكْثِراً من البنين والبنات، له منهم أكثر من الخمسين

(١) ربما تكون نسبتهم إلى مالطه جزيرة في البحر المتوسط.

ولكن الله لم يبارك فيهم ولا في أعقابهم، وكان بينهم وبين بعض المشائخ الزبيديين (آل الحُوطة) نزاع وضراب حتى لقد شجوا - مَرّةً - رأس السيد حسين بن محمد الحسني - هذا - وتمغشوه[1] لم يثأر له أولاده على وفرة عددهم وقوّة أجسام بعضهم، ولم تُغْنِه كثرتهم. ومن ذُرِّية السيد يوسف بن عابد: العارف الكامل والسالك الواصل يوسف بن عبد الله الفاسي، وقد انتقلَ من مريمه إلى سيوون وتديّرها. اثنى عليه سيدي الأستاذ الأَبَرّ في ص ٥٨ ج ٢ من «عقدة» ثناءً جميلاً. وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أنه أفضل من الأول، ومن أعقابه بسيوون: الشهم الجواد السيد عبد الله بن علوي المشهور. سكن سيون وكانت له ثروةً يُنْفِق منها في سبيل الخيرات بسرور نفس وطِيبة خاطر يصح فيه قول - ابن جدّة - الشريف الرضي:

كثيرٌ ارتياح القلب في عقب جوده ... إذا جائدٌ ألقى يدا في التندمِ

توفي بسيون سنة ١٣٢٩هـ وتركَ ولدين لم يحسنا سياسة تلك الثروه، ثم تأكلها القُضاة والأوصياء، فاضمحلّت أو كادت. وقد مر قبيل القَطْن أن إمارة مَرْيمه كانت لبني بكر من يافع، ثم أَجْلَتهم الدولة الكثيريه منها في سنة ١٢٨٤ واستولَت على أموالهم بها. وكانت لهم ذمّة من آل زيمة الكثيريين فلم تُبالِ بهم وعيَّرهم الناس حتى الصبيان فصبروا.

وفي شمال تربة مَرْيَمه كان مدفن السلطان عبد الله بن راشد، لأنه كان قُتل على مقربةٍ منها. وبين مريمه - هذه - ومَرْيَمه الشرقيّه: قارةٌ فارده عالية الذروه، وفيها بير عَذْبة، وهي التي عليها مَصْنَعة مَرْيَمه السابقة الذِكْر. ولا تزال آثار «مريمه الشرقيه» ظاهرةً ولكنها كلها غامره، وهي إسلاميّه. وفيها عدة مساجد. وكانت مدينةً كُبْرَى - في سابق الأيام - ولا أدري من هدمها. وسيأتي في «قَارة العُر» أن عُمر بن مهدي أعاد بناء «العر» حوالي سنة ٦١٩، فيحتمل أن يكون باني «العُر» هو الذي هدم مريمه الشرقية ويحتمل غير ذلك.

وفي مريمة ناس من آل باجُبَيْر. كان فيهم علماء، منهم شيخ صاحب «المشرع» بتريم الشيخ محمد بن أحمد باجبير. وفي سنة ١٣٢١ هجم العوامر على مريمه واستولوا عليها ونهبوا فيها، ثم تقدموا إلى منتصف الطريق - بينها وبين القرن - فلاقتهم عَبِيد الدولة إلى تلك الاثناء والتحم الحرب. ولكن العوامر

(١) مُغَث: الرجل، ضربهُ ضرباً غير مبرّح.

كثّروا العبيد وأحاطوا بهم، ولولا أن الله أدركهم بالمُنَصَّب السيد عيدروس بن عبد القادر العيدروس ـ حداثة وفاة أبيه ـ فحجز بينهم، لاستأصلوهم.

حُوْطة سُلطانه:

بين مَرْيَمه الشرقيه وقارة العُر، **فضاء فيه نخيل وله وادٍ مخصوص**، سكنَ فيه آل الزبيدي، ثم أشْتَهر **بحوطة سلطانه** بنت علي الزبيدي. وهي من أكابر الصالحين، لها عبادات وأحوال تشبه أحوال رابعه العدويه. قِيل أن بعض أهل الفضل قال لها: (والنَكِرَه يومها ناقه تماري الجمال). فقالت: (الحمل بالحمل والزايد لبن والعيال). قال الشيخ محمد بن أبي بكر عبّاد في ترجمته للشيخ عبد الله بن محمد القديم: كان الشيخ عمر الحارثي الزبيدي من الصالحين، وكانت له أُخت اسمها سلطانه لها أحوال عظيمة، وقد تحكّمت للشيخ محمد بن عبد الله القديم هي وإخوانها، ورجعوا عن طريق العوام. وكان الشيخ عبد الرحمٰن السقاف وأولاده أبو بكر وعمر يزورونها وقد بَنَت رِبَاطاً بالعر. أهـ. ومنه يتأكد ما ارتيناه في مَرْيَمه الشرقيّه من أن العر شامل لذلك الفضاء بأسره، وأن القاره ليست إلاّ منسوبةً إليه [1]. ولرباط الشيخه سلطانه ذِكْر كثير في كتب التراجم الحضرميّه. أمّا كوْن الشيخة سلطانه تحكّمت هي وأخوها للشيخ محمد باعبّاد فلا يخالفه ما جاء في «مفتاح السعاده والخير» لمؤلف «القلائد» من قوله: أخبرني من أعرفه ـ وأشك في عينه ـ وأظنه علي بن عثمان الزبيدي أن سبب رجوع جدهم عمر الزبيدي عن طريق الجهالة إلى طريق الفقر، أنه كَمَن ـ ومعه غيره ـ بطريق «كحلان» فمرّ بهم بعير للفقيه محمد بن حكم باقشير، فأخذوه، ولم يعرفوا أنه له. فأخبر الشيخ محمد بن حكَم بذلك فقال: إن كان أخذوه من حاجة وفاقَه فتابَ الله عليهم، وكذلك كان. فحصل له رجوع صادق وتابَ في الحال. أهـ. لأنه لو جاء إلى الشيخ محمد بن حَكَم وتابَ على يده ـ وتحكَّم له ـ لذكرَ ذلك، ولكنه لم يذهب إلاّ إلى عند الشيخ محمد بن عبد الله باعبّاد بشبام. مع أن التوبة لا تصح إلاّ بالاستحلال ورد المَظْلَمة. وكيف يقبله الشيخ محمد باعبّاد من دونها، ولعله لم يعلم بذلك، أو لعلهُ بَلَغهُ أن الشيخ محمد بن حَكَم حلّلهُ. غير

---

(١) كلمة عُر تعني الجبل باللغة اليمنية القديمة (المُسند) وهذا يدل على أن الأرض المحيطة به عرفت منسوبة إليه ـ وقد تكرر ذكر اسم العُر لعدد من المناطق اليمنية ذات الجبال انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

أن التحليل المذكور في كلام باقشير لم يستوفِ الشرائط، واللهُ أعلم. وكان للسيد الفاضل الكثير الإحسان: طه بن عبد القادر بن عمر السقاف المتوفي بسيوون في سنة ١٣٢٠ تعلق كثير بحوطة سلطانه وتردّد إليها، وقد ابتنى بها داراً واسعةً للمنصب، هي التي يسكنها الآن. وكان هذا السيد آيةً من آيات الله في رقة القلب والانفعال عند سماع القرآن. وكان مطبوعاً على الجُود، حتى أنه ليستدين ويتصدق إلى أن بلغ دَيْنَهُ - يوم مات - خمسة عشر ألفاً من الريالات، مسلوك به كله في سبيل البِر، فقضاه الله ببركة حُسن نيته وإخلاص قَصْدِه. وولده أبو بكر بن طه معدود في أهل الفضل والعلم، وهو الآن - منذ زمان - بسنقافورا، وله بها ولد ذكي نبيه يحرر فيها صحيفة عربيّه، تظهر تارةً وتغيب أخرى.

وللزبدة بلدان كثيرة ذاهبةً في الوادي حفافي مسيال عدم - ما بين ساه والغرف ومسيلة آل شيخ - منها: الردود وسونه وتمران وشريوف، وللشيخ سعيد بن محمد نهضةً أخضعَ بها آل جابر وآل تميم، وحرّرَ بها بيت مسلمه من أخذ الشِّراحه إلاّ حيث كانت برضىً من أرباب الأموال. وكانت نهضته تلك في حدود سنة ١٢٣٠ وقد استوفينا خَبَرها في الأصل. ومُنَصَّب الزبده اليوم هو الشيخ محمد بن كرامه الزبيدي، من أكثر المناصب رماداً وأوسعهم صدراً وأكثرهم ضيفاناً. وهو مع ذلك بالاعتبار الأول من التواضع، لا تدل عليه هيئته الرثّة، ولا يُعْرَف إلاّ بالتعريف. وقد لدَغتهُ حيّة يعاوده سُمَّها في كثر من الأوقات فيصدق قول المعري:

ومن تعلق به حمة الأفاعي
يعش، إن فاته أجلٌ، عليلاً

ومن فحول الزبدة الشيخ أبو بكر بن سعيد الزبيدي، ممدوح شيخنا العلامه أبو بكر بن شهاب. وهو صاحب القصه مع السيد زين بن أحمد بن سميط، السابق ذِكْرُه في شِبَام. وإلى رأيه يرجع كثير من العظماء عند المهمات. ومنهم الولد النجيب عبد الله بن بو بكر بن أحمد الزبيدي. ومنهم الشاب الشهم بو بكر بن محمد بن عبد الله بن زين بن سليمان بن زين الزبيدي وهو من أهل حكمه.

ومرجعهم في النسب إلى مذحج، وقيل إلى بني أميّه، يؤكده أنهم يتفقون مع آل سند في رجلٍ واحد. وقد مَرّ في الدَحْقَه التي إلى جنب الحزم أنهم من بني أميّه. ومن الناس من يَنْسِب بني حارثة - وهم منهم - إلى كِنده. والزبده

مصفقون على أنهم من بني أميّه، والناس مأمونون على أنسابهم.

قارة الحبوظي وقارة العُر:

أمّا **قارة الحبوظي** ففي سفح الجبل الشمالي، غربي صليله، وشرقي حصون آل الصُقَيْر. وفيها بير وآثار عمارات قديمه. والحبوظي هو صاحب ظفار وقد استولى على حضرموت بأسرها في سنة ٦٧٣هـ وله بها آثار ومنازل كثيرة للضيفان وصدقات جمّة تكرر ذِكْرها في أعالي حضرموت. وأمّا بأسفلها فَذِكْرَها قليل لا نعرف منه إلاّ هذه القاره، ومسجد الحبوظي بتريم، ومكاناً آخر بين العِجِزْ وتَرِيم يُقال له (حبوظه). وما قِلَّة ذِكْر صدقات الحبوظي بأسفل حضرموت، فيما أراه، إلاّ لكثرة خيانة النُظَّار به أكثر مما بأعلاها. وبنو حارثه ينقسمون إلى فرقتين: بنو حارثة الحبوظي وسكناهم بهذه القاره وما يليها من الديار، ولا تزال لأعقابهم من «آل خليفه» أموال «بصليله» وما حواليها، لأنهم من بني حارثة الحبوظي. والفرقة الأخرى: بنو حارثه العُر، لأنهم كانوا يسكنون القاره التي يسفح الجبل الجنوبي الذي عن يمين الذاهب من الجهة الغربيّه إلى الحُسيّسه وتاربه وما ورائهما. وقد جاء في أخبار سنة ٦١٥ أن عمر بن مهدي ـ أحد أمراء الرسوليين باليمن ـ أعاد بناء **قارة العر**، ولن يعيده إلاّ عن سابق بِناء وانهدام. وكان الشيخ عبد الرحمٰن السقاف متزوجاً بها على أمرأة من بني حارثة العر، وهي أُمّ بنته عائشه، وله بها مسجد لا يزال موجوداً إلى اليوم. وصَهَر إليهم ـ أيضاً ـ ابنهُ الشيخ عُمر المِحضار. ومنهم أُمّ بنته موريم.

وإليها يُنْسَب السيد عبد الرحمٰن بن علي بن الشيخ محمد بن حسن جمل الليل، فيقال: عبد الرحمٰن **قارة العر**. وبها يسكن السيد علوي بن عقيل. وقد أشرنا في سيوون إلى قصته مع الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه، وهي ما جاء في الحكايه ١٤٨ من كتاب «أُنس السالكين» للسيد باهارون، أن السيد الشريف علوي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمٰن السقاف، أقبلَ من العِر إلى بَوْر، فألفَى السلطان عبد الله بن جعفر والفقيه عمر بن عبد الله بامخرمه جلوساً على عصبتي الجامع، فقال بامَخْرمه بصوتٍ خافت ـ لا يُمَكِن السيد أن يسمعه ـ إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً. فدخلَ السيد علوي إلى المسجد وصلى ركعتين، ثم خرج إلى العصبي وضرَب بامخرمه بنعاله، وقال لعبد الله بن جعفر: نحترمك ولكن إذا لم ترسل لي بحمل بُر وحمل ذُرَه إلى بلاد

العِر بلاد سلطانه، ترى ما يحدث عليك. فبعث له بذلك وقال للشيخ عمر بامَخْرَمه: ما لكَ حاجة مع هؤلاء فأنهم مُجَبَّرين. أهـ. وجاء في حوادث سنة ٩١٨ أن ولد عبد الله بن جعفر، حَصَر العُر، ثم أخذَها قهراً وأخرَب ديارها، ولم يُبْقِ إلا المَصْنَعه فقط. وفي حوادث تلك السنه أن أولاد الفقير من بني حارثه هجموا على دِيار أصحابهم بالعِرّ، وأخذوا الحصن، ونهبوا بيوت أصحابهم، وأحرقوها وأخربوها، ما عدا المَصْنعة وكان أصحابهم - يومئذٍ - غائبين عن العُرّ بجهة الكَسْر. ومنه يُفْهَم أن التخريب الذي كان من ولد عبد الله بن جعفر لم يستأصل دِيار العُرْ، وإلاّ لمَا كان هذا. وقد سبق - في غير موضع - أن الفقير - في عُرْف السابقين - من تَرَكَ السلاح وتَحكَّم لأحد مشائخ التصوف بحضرموت كباعبّاد وباقَشِير والعمودي والفقيه المقدم محمد بن علي باعَلوي.

وللعُرّ وهو جبل على مقربةٍ من أرض البيضاء، كما يُفْهَم من رحلة الشيخ محمد بن صالح هرهره - ذِكْرٌ كثير في الحروب التي جرت بين الإمام ويَافِع سنة ١١٠٤هـ. وفي الحَيْمَه من أرض اليمن مكان يُقال له العِرّ أيضاً.

بَوْر وحنظله:

حنظله بن صفوان عليه السلام، وعرض عُبيدِ الله بن أحمد بن عيسى، أما بور فمن البُلدان القديمة وديوان الشيخ محمد بن عبد الله بامَخْرَمة يستهل في كثر من القصائد بأنها من ديار عاد، وله فيها أماديح كثيره، منها قوله: (يابور يا جنّة الدنيا، يا مصرنا ذي لها شاره). وقوله - قبل أن ينزغ الشيطان بينه وبين بَدْر بوطويْرق - (ثلاثةٌ الله جمعهم في كمال الكمال، كفَى بها بدر والدمنة وباهي الجمال)، يريد بالدمنه: بوراً.

وفي طرف بور الشرقي جامع كبير بناه سيدنا علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى، وقد ارتفعت عليه الأرض فصاروا لا ينزلون إليه إلاّ بدرج، ولكنهم بنوا عليه مِثَالَهُ، وبقي القديم مطموراً بالتراب من سائر جهاته إلاّ من جهة درجة الذي ينزل منه إليه. وحَفَرَ - على قريبٍ منه - بيراً طواها بالحجارة التي كَتَب اسمهُ على كل حجر منها، تُسمَّى - الآن - ببير الأعمش، ومن خصائصها أن الاغتسال فيها مُجَرّب لِحُمَّى الربغ. وقد عُرِف - مما سبق - في الغرفة وسيوون أن ولاية بور كانت لآل باجمّال، ثم انتزعها منهم آل بانجّار الكِندِيون أو المذحجيّون على

اختلاف الأقوال فيهم. ولمّا جاءت سنة ٧٢٣ هجَم آل كثير على بور، واستولوا عليها، وقتلوا جماعةً من آل بانجّار، منهم أربعة ولدوا في يوم واحد واختَتنوا في يوم واحد وأختموا القرآن في يوم واحد وشرعوا يُصلّون في يوم واحد. وكانت بورٌ قاعدة مُلْك آل كثير برهةً منَ الزمن، **وهذا مما يتأكد به أن سيوون كانت خراباً وإنما تجدّدت عمارتها شيئاً فشيئاً، أكثرها في القرن العاشر.** ولمّا ضعف أمر آل كثير ببور واشتدت الفوضوية فيه وفي أعمالها، سعى آل بَوْر وآل باجرى في استقدام الحبيب أحمد بن علوي العيدروس، وأقاموه مُنصّباً على بور. وكان له فيها رِبَاء إذ كانت أُمّهُ من آل باعبّود، ثم أخذهُ أبوه صغيراً للتعليم إلى تريم، فتعبت أمه لفراقه، وكان آل بور محتاجين إلى والٍ يجتمعون عليه، فاستقدموه وأقاموه على المَنْصَبة ـ بها ـ إلى أن مات سنة ١١٠٤، وخَلَفهُ ابنه علوي، ثم ابنه عبد الله بن علوي المتوفي ببوْر سنة ١١٤٥، وكان فاضلاً جليل القدر له اتصال أكيد بالقطب الحدّاد، وكثيراً ما يذهب إليه هو وخادمه بن زامل، وهو الشاعر المطبوع من آل باجري. وله فيه وفي القطب الحدّاد غُرَر المدائح بالعباره العاميه. وخَلَفهُ ولدهُ علوي، ثم ولده سالم، ثم ولده علوي بن سالم، ثم سالم بن علوي الأخير. وكان عالماً فاضلاً له كلام كثير في التصوف، توفي ببور سنة ١٢٨٠، وله أخ اسمه عبد الله، شريف، فاضل متواضع لم يتولَّ المَنْصبه، توفي ببور قبل أخيه سنة ١٢٧٤، وتولّى المَنْصبة ـ بعد الحبيب سالم بن علوي ـ ولده عبد القادر، وكان شهماً شجاعاً ذا وجاهة تامة، له يد في الإصلاح، وكم سَلِمت نفوس بحجزه بين المتحاربين، لأنهم متى رأوا عَلَمُه يرِفَّ كَفّوا، مهما يكن من حَرْدهم وغيظهم. وكان من أجهر الناس صوتاً، حتى أنه لينادي من صليله فَيُسْمَع من كان بحوطة سلطانه، وبينهما نحو من أربعة أميال، فينطبق عليه قول بعضهم في شبيب بن يزيد الخارجي:

إن صاحَ يوماً حَسِبت الصخر منحدراً
والريح عاصفةً والموج يلتطمُ

وقول الآخر:

جهير الرواء جهير العِطاس
جهير الكلام جهير النغم

وفي غير موضع من كُتبي ذكَرْت ندى صوت العباس وعروة السباع،

وما يتعلق بذلك، وقول أبي الطيب:

وردٌ إذا ورد البحيرة شاربا
وردُ الفرات زئيره والنيلا

توفي السيد عبد القادر بن سالم ببور سنة ١٣٢٠، وخَلَفه ولده خَوّاض الغَمرات، ووِقَاد الجَمَرَات، وحامي الحقائق، وحتف الأقران، الفاضل المتواضع ـ عيدروس بن عبد القادر. كان رجلاً بطلاً طوّالاً، شديد الأسر:

قد أَرْضَعتهُ وأُسد الغيل تحرسهُ بالبدو كل درور حافل الريّ
فجاء إذ جاء مثل الرمح معتدلاً وشبّ إذ شبّ كالصقر القطامّي

له أخبار كبيره في النجدةِ والشهامة مِنْ أدناها: أن أولاد السيد زين بن علوي العيدروس كانوا مضطغنين عليه، ينافسونه وهم أربعةً، فَمرّ عليهم ذات ليلة فقالوا له لِمَ لم تُسلِّم؟ قال: لم أَرَكُم، فانقضّوا عليه. وما زالوا يناورونه بكلِّهم وهو وحدهُ حتى أردى عمر بن زين وهربَ الباقون وبه منهم سبع طعنات، وبأثرِ ذلك تعصّب آل باجِرِي على عيدروس فامتنعَ عن الظهور إلاّ بخفير، فمنعوا الناس من خفارته فلم يمتنع أحد إلاّ سالم بن عمر، فتعرّضَ لهم أربعةٌ من آل حمود في سوق بَوْر، فأمّا الخفير ففشلَ وأمّا عيدروس فَثَبت وتلقّى ضربةَ أحدهم له بالنمشة بذراعه فلم تؤثّر فيه إلاّ قليلاً ثم هزّ عامله عليه ودقّه فيه فخرج سنانه من ظهره ولم يقدر على انتزاعه إلاّ بجهدٍ مع قوة أيده، ولكن المطعون سَلِمَ وهَرَب الثلاثة. ثم سُوِّيت المسألة وكَفَّتَهُ راجحةً وخدود أعدائهِ ضارعةً، وعُذْرَهُ في قتل عمر بن زين ظاهر، إذ بدأوه بالاعتداء وربما لم يمكنه الدفع إلاّ بالقتل، وعند ظهور القرينة بالصِيال يكوْن المُعْتَدَى عليه هو المُصَدَّق ويذهب دم الصائل هدراً. وبأثرِ هذه الحادثة كانت حادثة آل أحمد بن حسين العيدروس ببور، وذلك أن الفاضل التقي الكريم حسن بن أحمد العيدروس المتوفي بتريم سنة ١٣٠٤ كان له أخ يُقال له عبد الله بن أحمد، ولكلٍ منهما أولاد، غير أن أولاد السيد حسن بن أحمد كانوا أكثر فتنازعوا ـ ذات ليلةٍ ـ فزعمَ شيخ بن حسن أنه مطعون من أحد أولاد عمه عبد الله، فَخَفّ مصطفى بن حسن وقتل محمد بن عبد القادر بن عبد الله بن أحمد. وسمعت من المَنْصِب السيد علي بن عبد القادر أن مصطفى لم يقدر على محمد بن عبد القادر؛ حتى أمسكهُ له السيد علوي حسين. وهو رحل أكول ذو مرّة، فإنه لمّا سمع بقتل شيخ بن حسن، أحب أن يتوافوا، فأمسك محمداً فقتله

مصطفى. والحال أن جُرح شيخ لم يكن إلاّ خفيفاً سرعان ما برىء منه. فتداخل المَنْصِب السيد عبد القادر بن سالم في القضيّة وجَمَع لها الأعيان، فَسُوِّيت على عفوٍ مُعَلَّق، على أن لا يعود القاتل إلى بَوْر، ما دام أحد من والدي المقتول حيّاً والذي يظهر أن هذا العفو غير صحيح، لأن العفو والإبراء أخوان. ولهذا صح العفو عن الدم بلفظ الإبراء وصح الإبراء عن المال بلفظ العفو. وقد صرّح الفقهاء بأن تعليق الإبراء يبطله. وقد ذهب مصطفى ـ بأثر هذه الحادثه ـ إلى مكة المشرفه وأفاد بها ثروةً طائلة، وتوفي بها عما قريب، وتركَ هناك أولاداً لهم سَمَت حَسَن. وكانت قبائل آل عون أطوع للسيد عيدروس من الخاتم، ولم يَزَل بهم ـ وبقوّة بأسه وهمته ـ مرهوب الجانب محترم الفناء، حتى أنقاد لبعض آراء السيد عمر بن بو بكر العيدروس، وكان على بنته، ففَترت العلائق بينه وبينهم، لأن عمر بن بوبكر حَمَلهُ ـ بإيعاز من آل الكاف ـ على إيثار جانب دولة آل عبد الله عليهم. ولمّا مات في سنة ١٣٤٤هـ وقَع رِداؤه على أخيه العلامة الجليل علي بن عبد القادر بن سالم العيدروس، وكان عالماً فاضلاً طلب العلم بمكة المشرّفة على كثيرٍ من مراجيحها، وله تخصص في علم الأصول، ومشاركةٍ قوية في غيره. وعنه أخذت علم الجبر والمقابلة وعلم العروض والقوافي، أنا والشيخ محمد بن محمد باكثير، معاً في منزلنا، لأنه كان يتردد إلى سيوون. غير أنه لم يبقَ بذهني شيء من هذه العلوم إلاّ النزر من القوافي، وأمّا البواقي ـ مع أنني أتقنتها عليه ـ فقد تفلتت عني لضعف التوجه إليها، حتى كأني لم أقرأها بعد. ولقد أردت أن أستذكر علم الجبر مرةً لوقوع رسالةٍ في يدي منه، فاعتاصت عليَّ وضاق صدري وأطرحتها. وله مؤلفات منها شرحه على ألفيّة السيوطي في النحو، ورسالة ردّ بها على القُضاة: محمد بن مسعود بارجا، ومحمد بن أحمر كريسان، وعيدروس بن سالم السوم، رداً مفحماً، صَادقَ عليه طلبة العلم بأسرهم في نواحي حضرموت وساحلها. وله أشعار جزلةً، إلاّ أنه مُقِلّ منها. ومن اللطائف أنه هجَى عبد الله علي حسان، حوالى سنة ١٣٢٠ فوقعَ على ما تفرّسه عنه من الموبقات، وله عناية بغرس النخيل. غَرَس منها الشي الكثير، فَنَمت وأتت أُكُلَها، ودرّ عليه من ثمارها خيرٌ كثير. توفي ببور لإحدى عشر خلت من ربيع الأول سنة ١٣٦٣، وكانت وفاته بالسكتة القلبية. وخَلَفهُ ولده عبد القادر، وكان طائشاً فتوقّر، وفتح بابه لوجهاء الضيفان، وأعانهُ ـ على القيام بمنصبه ـ ضعفه، إذ قلّت مهمات المنصب لضغط الحكومة عليه ومضايقته. وسرّني منه أن سألني في عيد الحجة من السنة

المنصرمة ـ أعني سنة ١٣٦٦ـ عن جَحْش، قال يوم اشتراه ـ وهو صغير ـ بغيته أضحيّة، فأجبتهُ بأن هذا القول كنايةً كما صرّح به عبد الله بن محمد بامَخْرمَه أن اقترنت به نِيّة، وجَبت التضحية به، وإلاّ فلا.

ومرّ في الغرفة، ذِكْر السيد أحمد بن محضار العيدروس. وهو من آل عبد الله بن علوي العيدروس آل بور المذكورين. وكان قائداً مُحَنّكاً عند نظام حيدرآباد الدكّن، ولمّا استفحلَ أمر الأمة اليابانيه برما [1] في الحرب الأخيره. وطفح سيلها، وامتد ذيلها، ضاق صدر الأنقليز، فاستنجد بحكومة حيدر آباد فأمدتهُ به. فأعطاه قيادةً عامةً، ورمَى به اليابان في برما، فكان كما قال الشريف الرضي:

عَمرِي لقد قَذَفوا الكُرُوبَ بفارجٍ ... مِنها وَاقد رَجَموا الخُطوبَ بِمِرْجَمِ
فَكَأَنّمَا قَرَعُوا القَنَا بعُتَيْبَة ... وَلَقُوا العِدا بِرَبيعَةِ بنِ مُكَدَّمِ
رَقّاءُ أضْغَانٍ يَسُلّ شَبَاتَهَا ... حَتّى يُغَيَّرَ سُمّ ذاك الأَرْقَمِ

ففل نابها وقطع أسبابها، وأظهر شجاعةً خارقةً، وتدبيراً حازماً، وكلل الله أعماله بالنجاح، حتى لقد سمعت أن ملك الانقليز رسم بعشرين نيشاناً لتلك الجيوش، فحازَ هو وعسكره منها سبعة عشر، ولم يقع لبقية الأجناس إلاّ ثلاثة أوسمة، منها فقط، والله أعلم. وله إلى جانب ذلك الباس أخلاق فاضلة، وغِيرةً على العروبة، ودفاعٍ عنها فإن، انضمّ ـ إلى ذلك ـ انتهاء عن المحظورات وقيام بفرائض العباده.

وكان في **بور** جماعةً من السادة (**آل الحِبشي**). منهم السيد أحمد بن هاشم بن أحمد بن محمد الحِبشي. كان مقيماً ببور، ترجمهُ في «شرح العينيّة» ص ٣٢٥ وذكَرَ ـ في ترجمته ـ أنه أخذَ عن الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بامدرك المقيم ببور. كان فقيهاً يتولى فيها الأحكام الشرعيّة، وأظنهُ قرأ عليه «المنهاج» بكماله. أهـ. وكان بين القطب الحدّاد والسيد أحمد بن هاشم ـ هذا ـ ودٍ وإخاء، ثم تواحشا لاختلافٍ جرى بينهما حول «الهَجْرَيْن». ومع ذلك فلم يمنعه الإنحراف والاعتراف بفضل الحدّاد وإرشاده أهل بور، إلى الأخذ عنه والاقتباس من علومه. ولمّا ماتَ رَثاه القطب الحداد بقصيدته التي استهلها بقوله:

---

(١) بورما بجنوب شرق آسيا.

سَرَى البرق من نجدٍ فهيّج لي شجوي فهل من سبيلٍ ما إلى العالم العلوي

وفيه ـ أيضاً ـ جماعةٌ من **(آل خيله)**. ولكنهم انقرضوا. وجماعةٌ من **(آل باعبود)**. منهم السيد الفقيه علي بن محمد بن عبد الرحمٰن باعبود المتوفي بعرض آل خيله، من أعمال **بور**، في سنة ١٢٩١، والعلاّمه السيد محمد بن زين بن محمد بن عبد الرحمٰن باعبود. ولم يبقَ منهم ـ الآن ـ إلاّ القليل، منهم الولد البحّاثه الفاضل الأديب علي بن محمد بن زين باعبود، نزيل مصر اليوم. وفيها جماعات من أهل الفضل والعلم والمروءة، كآل باشراحيل، وغيرهم. ومن أواخر علماء هؤلاء: العلامه المتفنن الجليل الشيخ عبد الله بن عمر باشراحيل ومن أُوْلَى مروءة متأخريهم: الشيخ عمر باشراحيل، وولده عبد القادر. ومن أواخر فضلائها: العلامه الصوفي المنقطع النظير ـ شيخنا ـ الشيخ حسن بن عوض بن زين مخدم، كان جبلاً من جبال التقوى والعبادةِ والعلم. له مؤلفات كثيرة من لسان القلم على نهج الصوفية، منها شرحه على «الرشفات» في خمسة مجلدات، ومنها شرحه على «الحكم» وغيرها. وله أَخْذ كثير عن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطّاس، ثم عن سيدنا وشيخنا الأبَرّ عيدروس بن عمر، وغيرهما. وكان والدي ـ رضوان الله عليهم ـ يؤثِرهُ ويقدمه ويأمرنا بتقبيل يده. وكانَ كثير من العلويين يتهضّمون فضله ويحسدونه:

وفي تعبٍ مَن يجحد الشمس ضوئها ويجهد أن يأتي لها بضريب

وقد أخذتُ عنه كثيراً، وجرَى بيني وبينه أمور طيبه. ولي فيه مدائح توجد بعضها في الديوان، وكان يقرأ ربع القرآن في صلاة العِشاء، كلّ ليلةٍ من رمضان، ولا يَؤم إلاّ محصورين، رضوا ـ نُطقاً ـ بالتطويل، منهم المنَصَّب السيد عيدروس بن عبد القادر السابقِ ذِكْره. وكان القرآن على لسانه مثل الفاتحة. وله شِعر لا ينتهي إلى إجادة. ولمّا دَنى أجله قال لمن حضره: هلموا بنا نصلّي على النفس المؤمنة، ثم صلى بهم صلاة الجنازه، وبمجرد ما فرغَ منها فاضت روحه. وكان آخر كلامه في الدنيا: لا إله إلاّ الله. وهذه الصلاة ـ وإن لم يجوّزها الفقه ـ فأنها تدل على شأن كريم وثبات عظيم، وما الاجتهاد ـ من الشيخ ـ ببعيد، فلا إنكار عليه، وكانت وفاته سنة ١٣٢٨. وخطبَ الناس ـ قبيل الصلاة عليه ـ التهم الجليل السيد عمر بن عيدروس بن علوي، فوعظَ وعظاً بليغاً، وكان أحدَ محبيه والآخذين عنه. وعن أبي شكيل أن (آل باخطيب) و(آل باغانم) **بور**،

وكلاهما من الصَدَف. وكان بها جماعه من (آل باغشير). منهم الفقيه اللغوي المقرىء محمد بن أحمد باغشير، صاحب المدائح في القطب العيدروس. ومنهم شيخ العيدروس العلامه الشيخ عبد الله باغشير، عم الأول. لهما ذِكْر في «فتح الرحيم الرحمٰن» و«المشرع» وغيرهما. وبعضهم يلتبس عليه هؤلاء بآل باقشير أصحاب العجز الآتي ذكرهم فيه.

وفي غربي **بور** ديار **آل أحمد بن علي آل باجِري**، لا يزيدون اليوم - مع مواليهم - عن مائة وثلاثين رجلاً. وكان سيدي الحسن بن صالح البحر طلب منهم صلحاً لآل قصير فامتنعوا. ولأحدهم لسان وعارضة فافتخر أمام سيدنا البحر، فدعَى عليه، فسقطَ عليه الدار من يومه. ثم طلب الصلح من مقبل بن رسام، أحد آل أحمد بن علي، فأجابهُ، فَسُرّ منه. وهواة الكرامات يذكرون - حول هذا - كلاماً كثيراً هم فيه مختلفون.

وفي شمال مكان آل أحمد بن علي، مكان يُقال له **(الحاوي)** عذب الماء جداً، ابتنى فيه - المُنَصَّب السابق المرحوم السيد علي بن عبد القادر بن سالم العيدروس، قصراً فخماً، سكنهُ آخر أيامه، ثم بنى - عَلَى مقربةٍ منه - مسجداً. وبالحاوي يسكن خَلَفهُ المَنْصَّب الحالي الآن.

وفي غربيه بحضيض الجبل الغربي قبر يُقال أنه (قبر **حنظله** بن صفوان) عليه السلام. وقد دللت على تصديق كونه بحضرموت بجملةٍ من الأدلة، منها أن الله قَرَن قومهُ - وهم أصحاب الرس - بِعَادٍ وثَمُود في سياقةٍ واحدة، حيث يقول في آية الفرقان (وعاداً وثموداً وأصحاب الرِس)، وقد قال - بدلالة الإقتران - جماعةٌ من أهل العلم، كالمزني، وأبي هريرة من الشافعيّة، وأبي يوسف من الحنفيّة، وغيرهم. ومنها قول صاحب «خريدة العجائب» أن حضرموت شرقي اليمن، وأن بها بلاد **أصحاب الرّس**.

ومنها قول البكري في معجمه: والرس المذكور في التنزيل بناحية صَيْهَد من أرض **اليمن**، وأنظره في رسم صَيْهَد. أهـ. ولكن المجلّد الذي فيه صيهد - منه - لم يكن عندي. وقد قررنا في الأصل أن وباراً منها والرمال التي في جانبها الممتدة منها إليها مع الانعطاف، فيما يقرب من العَبر، إلاّ أن الجبل الطويل - الذي يمتد من هناك إلى نحو سَيْحُوت - بفصلها عن بلاد حضرموت. وقال الهمداني في الجزء الأول من «الأكليل»: وولد الحارث بن قحطان بن هود:

قيناً، بطناً يُقال لهم: الأقيون، دخلوا في حِمْيَر، وهم رهط حنظله بن صفوان، ووجد في قبره لوح مكتوب فيه: أنا حنظله بن صفوان، أنا رسول الله، بعثني إلى حمير وهمدان والعريب من أهل اليمن، فكذّبوني وقتلوني. فمن يقول بهذا الخبر يرى أنه - بُعِث - إلى سبأ بمأرب، فلمّا كذّبوه، أرسل الله عليهم سيل العَرِم. أهـ. ولا يختلف عنه الوهم في المكان والزمان.

ومنها قول المُحدِّث الشهير محمد بن أحمد عقيله في كتابه «نسخة الجُود في الإخبار عن الوجود». أمّا من آمن بصالح - عليه السلام - فسارَ إلى اليمن، وأقامَت طائفة منهم بعدن، وهم أهل البير المعطلة، وطائفة بحضرموت وهم أهل القصر المشيد. إلى أن قال: وقريباً - من هذا الزمان - أصحاب الرِس، ومسكنهم - أيضاً - أرض حضرموت. ومنها قول الميداني: إنه يُقال لجبل أهل الرس (دِمخ). وفي حضرموت جبلان: جبل في جنوب الغرف يُقال له دمح وجبل بالساحل يُقال له: دمخ، فالأول بالمهملة والثاني بالمعجمة، وللثاني دخله في البحر وهو الحد الفاصل بين القعيطي والمنهالي حسبما فصّلناه في موضعه، وبما أن كلا الموضعين من حضرموت ففيهما ما يكفي من الدلالة لوجود قبر حنظله بن صفوان فيها.

وفي الجزء الثامن من «الأكليل» للهمداني حديث طويل عن قبر حنظله بن صفوان، وليس فيه التصريح بأنه في حضرموت، ولكنه قد يُفهم منه. وقال المفسرون - والعبارة للبغوي - روى عن الضحاك أن هذه البير - يعني المُعَطّلة - كانت بحضرموت وفي بلدة يُقال لها «حاضوراء» وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح نجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح فلمّا حضروا مات صالح، فَسُمِّي «حضرموت» لأن صالحاً - لمّا حضره - مات فبنوا حاضوراء وبَعدوا عن هذه البير وأمّروا عليهم رجلاً فأقاموا دهراً وتناسلوا حتى كَثُروا ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله - عليهم - نبياً يُقال له «حنظله بن صفوان» وكان حمالاً فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعُطِّلت بيرهم، وخُرِّبت قصورهم. أهـ.

وفي شمال قبر «حنظله بن صفوان» قريه يُقال لها (الرييده). وفي غربيها (وادي مَدَرْ). وفي جنوب بلاد بور: أرض واسعة لا يُعْرَف مُلاَّكها، فيها آثار عمارات إسلاميه؛ غرسوها نخلاً، فزكَى ونَمَى، وهو عشريّ يشرب بعروقه،

لا يحتاج إلى سقي من الآبار، إلا في الابتداء. وبما أنها من الأموال الضائعه، مرجعها لبيت المال. طالبهم المُنَصَّب السابق ـ السيد عيدروس بن عبد القادر، ثم المرحوم السيد علي بن عبد القادر ـ بحصّة الأرض من النخل، وهو في عادتهم الخُمُس، فلم يدفع لهما إلاّ الضعفاء، أمّا الأقوياء ـ من السَّاده ومن آل باجِري ـ فتارةً يعترفون ويدفعون الشيء اليسير من الثمرة، وأخرى يتمردون ويجاهرون بالمنع، مع ـ أنهم ـ قد أمضوا للسيد علي بن عبد القادر بالاعتراف في عدة وثائق. ولمّا لم يجد المُنَصَّب الحالي علاجاً غير الكي، وخاف من تَشوْف الحكومة إليه: الاستيلاء عليه ودفعه جملةً عنه، أتفقَ هو وإياها على أن يكون عليه إظهار الوثائق وإقامة الحُجّة الشرعيه، وعلى الحكومه أن تساعدهُ بالقوة على استخراج حِصّة الذبر من النخل، وهو الخُمُس، كما مَرّ آنفاً. ثم يُقَسَّم على ثمانية أجزاء: تكوْن للمنَصَّب ثلاثة، يصرفها في مصارفها الشرعية، وللحكومة خمسة، تصرفها كذلك. وعلى هذا كان التوقيع. وما ندري ماذا تكوْن الخاتمه.

وفي شرقي **بُور (عرض عبد الله)**، فيه مسجد وحوله ضريح لِعُبيد الله بن أحمد بن عيسى عليه قُبّة، مع أن الأثبت أنه إنما دُفن بِسُمَل كما سيأتي فيها. وسُكّان هذا العرض: طائفة من **آل باجِري**، يُقال لهم آل بدر بن محمد، وآل حسن بن علي، وآل بدر بن علي، لا يزيدون ـ مع مواليهم وخدمهم وعمالهم ـ عن مائتي رجل. وكانت لهم قبوله خشنه، حتى أن أحد العوامر أخفَر ذمتهم، فَتَسوَّروا داره، وقتلوه إلى جانب امرأته. وفي سنة ١٣٣٧ حَدَث شجار بين رجلين منهم ـ يُقال لأحدهما عبد الله بن صلاح، وللآخر كرامة بن فرج ـ على قطعة أرض، فلم يكن من كرامة إلاّ أن قَتَل عبد الله بن صلاح، واستولَى على داره، وأخرجَ عائلته منه. فوصلَ إليه ستة من أقربائه، وبيناهُمْ يراجعونه فرأى أحد الستة أن إطلاقه الرصاص ـ وهو إلى جانبه مخلاّ بذمة الجِوَار ـ فقتلهُ، فانبرىٰ آخر من الستة وقتل قَاتِل كرامه. وهكذا تناحر الستة وسقطوا يتشحطون في دمائهم ومن العجائب ـ ولا عجب من أهل بلادنا ـ أنهم ألّفوا جمعيّةً في القريب لمحاسبة نَظَارَة الأوقاف، وناقشوا الضعفاء منهم الحساب، حتى لقد مات السيد علوي بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن حسن السقّاف غُبناً من فُرْط مناقشتهم له. أمّا الأقوياء فلم يحاسبوهم إلاّ حساباً رفيقاً صدقوهم فيه في كل ما قالوا. وأمّا ناظر هذا الرباط فلم يسألوه عن شيء أصلاً. وكان مدفن السيد علي بن محمد الحبشي في

القبة التي ابتناها لنفسه في حياته وهي كبيرة جداً منقطعة النظير فيما أظن وجعلوا على قبره تابوتاً هائلاً. أمّا أبوه السيد محمد بن حسين الحِبشي فأنه مفتي الشافعية بمكة لعهده، وهو الشيخ السادس عشر من مشائخ سيدي الأستاذ الأَبَرّ، توفي بمكة سنة ١٢٨١هـ. وخَلَفه ولده العلامه الجليل حسين بن محمد الحِبشي، وكان مولده بسيون من أم له من آل شويع، له رحلات عديده إلى حضرموت يتنفس بها الزمان وتتبسم بها الأيام، حتى أنها لتكوْن أعياداً، وأخوه السيد علي يبالغ في إكرامه، ويعترف بفضله، ويقدمه في الصلاة، إذ كان غزير العلم، وفير الحِلْم، جميل المحاضره، لطيف المحاوَره

لا طائش تهفو خلائقه ولا ... خشن الوقار كأنه في جحفل

فكه يجم الجد أحياناً وقد ... يضنى ويهزل جد من لم يهزل

وقد أخذت عنه ولبست منه، توفي بمكة المُشرَّفة سنة ١٣٣٠هـ. وأما أخوه السيد شيخ بن محمد الحبشي، فقد كان شهماً كريماً، وله شِعر جيد وأدب غض ونكات لطيفه ونوادر عجيبه، وكان بيني وبينه إخاء وود، وكان لا يبالي في زيارتي والتردد عليّ بلوم اللائمين من بني أخيه ومن على شاكلتهم من طائفة «باطويح». توفي بسيوون سنة ١٣٤٨هـ ودُفن بقبة أخيه، ولكنهم فعلوا به ما لا يُفعل حتى بالمقتول حدّاً على ترك الصلاة ولا ما يفعله أحد من أهل الكبائر، فطمسوا قبره وسووه بالأرض كيلا يُنَافِس تابوت أخيه الضخم، لأن تلك الطائفة كما أرادت له التفرد بالظهور في حياته أرادت له ما اعتاده فيها بعد وفاته. وبمناسبة لطف الفاضل السيد شيخ ورِقّة حاشيته، وميله إلى الغزل وأشعاره، وكثرة ولوعه بشعر ابن الفارض ومحبته له، ذكرت أن الجعبري زار قبر ابن الفارض فرآه مشعثاً مغموراً بالتراب فأنشد:

مساكين أهل العشق حتى قبورهم ... عليها تراب الذل بين المقابر

وكان آل باجري من أبعد قبائل حضرموت عن السَلْب والنهب وقَطْع الطريق، حتى في أيام الفوضويّه. ومن أواخر رؤسائهم: الشيخ سعيد بن قطامي، كان شجاعاً قوي العارضه، لا ينكص في مآزق القتال، ولا يتلجلج إذا تشادقت الرجال. إلا أنه ـ الآن ـ ضَعُفَ وذَهبَ بصرهُ، وختَم الله على سمعه، وخَفّ شعوره، حتى أنه لا يحس بانكشاف عورته. ودخلَ تحت قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾. على أنه لم يكن بالطاعن كثيراً في السن، وغاية

ما يكوْن أنه ذرّف على الثمانين وفيهم من يُناهز المائة، مُمَتَّعاً العقل كسعيد بن حبشي باجِري. وفي سنة ١٣٦٠ أحدثَ بعض عبيد الدوله الكثيريه حدثاً بتريم وهربوا، ولم يَقْدِر أحد يُجِيْرَهُم، خوفاً من الأنقليز، فضاقت بهم الأرض، فنزلوا على آل باجري، فأضافوهم وعَزَموا على تبليغهم المأمن، أخذاً بِعادة العرب المطرده في ذلك. فلم يشعروا إلاّ وقد باغتتهم ثلة من عسكر الدولة الانقليزيه، المُوْكَلةِ بحماية الطرق، وحِفظ الأمان. وقالوا لآل باجِري: إمّا أن تُسَلِّموا العبيد وإلاّ وقعَ الحرب عليكم. فقالَ لهم سعيد بن قطامي ـ بعدَ أن انضمّ إليه آل باجِري بأسْرِهم آل حمود وآل أحمد بن علي وغيرها ـ والله لو تناطَحَت الجبال، لن ندفعَ لكم جيراننا بسبيل ما بقي فينا نافخ ضرم. فتبادلوا إطلاق الرصاص، وأُصيب أحد العسكر وأحد آل باجري بإصابات خفيفه، ثم أحاط آل باجري بالعسكر في كوت لأحدهم. وهو بدر بن صلاح بن يماني، كان العسكر أرضوه، فدفعه لهم. وبأثرِ تطويق آل باجري للكوت سفر السفراء بينهم وسُوِّيت المسألة بالتي هي أحسن، وأبلغوا العبيد المأمن، وطَلَب منهم بعض الزعماء أن يُخضعوا الضابط الانقليزي فأبوا، ولكن هذا كان قبل جلاء ابن عبدات عن الغرفه، أمّا بعد فقد هانت الشنافر حتى صارت أذلّ من الأيدي في الأرحام، وصَدَق عليهم ما قدمته في القصيدة التي وصفت بها زوال ابن عِبْدات. وفي شوال من سنة ١٣٦٦هـ أَدَّعى عبد القادر بن شيخ بن حسن العيدروس على أحد باجري بدعوَى في بِيْر، وتوجه له القضاء، فامتنع باجري عن قبول الحُكم بتشجيع من رجلٍ منهم يُقال له عبد بن علي، فرصدتهُ الحكومه، حتى قيل لها أنه بِتَاربه، فسارَ له عسكر من عسكر الحكومه الكثيريه، وأخذوه إلى سيوون. ولكنّ أصحابه عَلِموا، فتحزّبوا، ولاقوهم إلى أثناء الطريق وأطلقوا عليهمْ الرصاص، فترجعوا وأفْلت. عبد بن علي وعاد العسكر بالفشل، فَغَضِب الضابط الانقليزي المُسَمَّى (وطس) وأرسلَ بِثلثه من جيش الباديه للمُحافظه على أمن الطريق ـ بعتادهم ومعداتهم، فلانت أعصاب آل باجري وانشقَّت عصاهم. وما كل مَرّة تسلم الجَرّة، فتوسط الشيخ محمد بن سالمين بن جعفر بن بدر العويني فَسُوّيت المسألة على تسليم البنادق التي صُوِّبت إلى العسكر، وغَرامه ألف ربيّة، وحبس عبد بن علي ثلاث سنين بالمُكَلاّ تحت الأعمال الشاقّة.

وفي بور كثير من القرى لم نذكرها منها: (عرض مَوْلى خيله)، في شمال بور يسكنه آل سالم بن عمر من آل باجري لا يزيد عددهم ـ مع حُرَّاثهم ـ على

عشرين رجلاً. و(بير المديني) لآل عبود من آل باجِري لا يزيد عددهم ـ مع حُرِّاثهم ـ عن خمسين رجلاً. و(القفل) لآل رطاس من آل باجري لا يزيدون عن عشرة رجال. ومكان (آل معتاشي) فيه نحو ثلاثين رجلاً. و(مقيبل) فيها نحو مائة رجل.

وفي ضواحي بور (قارة جُشَيْر) ويُقَال: جُشيب وقد سكنها المهاجر أحمد بن عيسى فلم تطب له، فانتقل منها إلى الحُسَيِّسه. ويأتي في قارة الصناهج ما له بها تَعلُّق.

نخر كعْده:

موضع بين قارة العُرّ والحُسَيِّسه، يكمُن به اللصوص وقُطَّاع الطرق، كم تُلِفَت به من أموال وفاتت فيه رجال، منها أن الفاضل الرقيق الطبع السيد شيخ بن محمد الحبشي كان عائداً من تَرِيم إلىٰ سيوون ـ حوالى سنة ١٣٢٤ـ مع جماعةٍ من أهل الثروة، فعرضَ لهم جماعةً من بدو آل عامر، فنهبوهم وأخذوا دوابهم وما عليها إلى نحو «بحّيره»، فجاء سيدي عيدروس بن حسين العيدروس وآل أحمد بن زين لمراجعتهم في ذلك، ولمّا أثّرَ فيهم كلام الحبيب عيدروس بن حسين، وبخعوا له برد المنهوب نَفِسَهُ آل أحمد بن زين فزيَّنو لهم اقتسامه، فلم يردوا إلاّ الدواب مع شيء يسير من المال بدراهم تسلموها من المنهوبين. وهذه من صغار تلك الحوادث وإنما ذكرتَها لاستخراج العِبرة منها بتخاذل العلويين إلى هذا الذي لا بد وأن يُعَرِّضهم لكل مهانةٍ وابتلاء. وسبب تسميته بهذا الاسم ما أخبرني به السيد عمر بن عبد الرحمن بن علي بن عمر السقاف عن والده، أن اللصوص أخذوا كُعْدَةً ـ وهي إبريق من الخَزف تُطْبَخ فيه القهوة ـ على أحد رعايا السلطان جعفر بن عبد الله الكثيري من بور، فلم يكن من السلطان إلاّ أن سار بقضهِ وقضيضه وسائر عسكره ونزلَ بهم ضيفاً على عشيرة اللِّص، فأنفقوا على ضيافته كل طارف لهم وتليد، حتى احتاجوا إلى الدَيْن فوسّطوا من يسأله عن شأنه فأخبرهم وقال: لا أرتفع عنهم إلاّ بالذي أخذ الكُعْدَة، فدفعوه بِرُمَّتِهُ إليه، فهابَهُ الناس وأطلق اللّقب على المكان من يومئذٍ. وكان سيدي أحمد بن عمر بن سميط كثيراً ما يعاتب أهل زمانه على القهوة ويحذرهم منها، لأنها تأخذ عليهم ما لا يُستهان به من المال من دون كبير فائدة، ويقول لهم لقد انتهبتم في «نخر كُعْدَه». يُعرِّض بهذا في توريةٍ لطيفة، وكان يتقطع حسراتٍ لعدم الوالي ويقول: لو جُمِعت

الأموال التي تُنفق على القهوة لأمكنَ بها إقامة دولةٍ عادلةٍ بحضرموت.

الحُسَيِّسه:

هي قريةٌ خاربه بإزاء بور، في سفح الجبل الجنوبي المعروف بِشِعْب مُخَدَّمْ. وكانت قريةً معمورةً ثم خُرِبت، فبناها علي بن محمد الكثيري في سنة ٨٢١هـ ثم أخرَبها عقيل بن عيسى الصبراتي سنة ٨٣٩هـ. كذا في تاريخ ابن حميد وهو إنما ينقل عن شنبل. والذي رأيتهُ فيه أن عقيلاً هذا أخربها في سنة ٨٨٩هـ. وفي رحلة المهاجر أحمد بن عيسى أنه لمّا وصلَ حضرموت دخلَ الهَجْرَين، وأقام بها مديدة، واشترى مالاً فلم تطب له، فوهب المال لضيقه شويه وانتقل منها إلى «قارة جُشَيْب» فلم يأنَس بها فانتقل إلى «الحُسَيِّسه» ـ بضم الحاء وفتح السين المكررة بينهما ياء مشددة مكسورة ـ قريةً على نصف مرحلة من تريم. فاستوطنها إلى أن توفّى بها سنة ٣٤٥ ودُفن بحضن الجبل المذكور. قال السيد عمر بن عبد الرحمٰن صاحب الحمرا في ترجمته للعيدروس: توفى الشيخ أحمد بن عيسى بالحسيسه ودُفنَ في شِعْبِها، ولم يُعْرَف الآن موضع قبره بل إن الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس كان يزوره في الشِعب المذكور، وقال أن الشيخ عبد الرحمٰن كان يزوره. أهـ. وهو ظاهر في أن الزيارة من غير تعيين موضع ولكنه ـ الآن ـ مُعَيَّن إمّا بالقرائن وإمّا بالكشف على ارتفاع يزيد عن مائة ذراع في الجبل، وها هنا مباحث:

المبحث الأول:

زعم قوم أن سيدنا المهاجر، وابنه عُبيد الله، وأولاده الثلاثة كانوا شافعيةً أشعريّة، وقد فَنَّدت ذلك متوكئاً على ما يُغنى من الأدلة والأَمَارات في الأصل، وتشككت في وقت دخول المذهب الشافعي إلى حضرموت، وقررت كثرة العلماء بحضرموت لعهد المهاجر وما قبله. ولو شئتُ أن أجمعَ ما أنجبتهم تلك القصور من رجالات العِلم والحديث لاحتاج ذلك مجلداً ضخماً إذ لا يخلو «تهذيب التهذيب» في حرف منه عن العدد الكثير منهم.

وإذا استطال الشيءُ قامَ بنفسه ... وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ومعاذ الله أن تحصل منهم تلك الثروة الضخمة في الآفاق، ويملؤن زوايا الشام والحجاز ومصر والعراق، بدون نظيره أو أقل منه في مساقط رؤوسهم، ويتأكد بما سيأتي عن «المشرع» في تَرِيم من تردد السادة من بيت جُبير إلى تريم

في سبيل العلم. وفي ترجمة عُبيدِ الله بن أحمد أنه أخذَ عن أبيه وعن غيره من علماء عصره، مع ذكرهم لاجتماعه بأبي طالب المكي وقرائته لكتابه «قوت القلوب» عليه. ومَرّ في شِبَام ما يكثّرُ علماء الأباضية من شِعر إبراهيم ابن قيس وهو من أهل القرن الخامس، وذِكْر مَن نجَع من الأزد إليها في أيام الحجاج. وسبَق في الشحر ما يدل على حالتها العلمية حوالى سنة ٢٨٠ وفي «صوران» و «تنعه» وغيرها ما يؤكد ذلك. وسبَق أن أكثر مشائخ الفقيه المقدم من غير العلويين، قال سيدي الأبرّ في عِقْدِه: وتفقه ـ يعني الفقيه المقدم ـ على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن باعبيد، وعلى القاضي أحمد بن محمد باعيسى، وأخذ الأصول والعلوم العقلية عن الإمام العلامة علي بن أحمد بامروان، والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب، وأخذَ علم التفسير والحديث عن الحافظ المجتهد السيد علي بن محمد باجديد، وأخذ التصوف والحقائق عن عمه الشيخ علوي بن محمد صاحب مرباط، وعن الإمام سالم بن بصري، والشيخ محمد بن علي الخطيب. أهـ. وأكبر من هذا ما تضمّنهُ الغَنّاء [1] من أصحاب رسول الله ﷺ. ولا يَلْزَم ـ على كثرة العلماء بها ـ أن يتمذهبوا بشيءٍ من المذاهب المشهورة، فقد اشتهروا بالعلوم في عصر التابعين فمن بعدهم قبل ظهور المذاهب، وإن كان البدوي الجافي لَيأتي إلى رسول الله ﷺ فيقيم أياماً لا يقرأ كتاباً فيعود وفي يده سراج الإسلام يرشد قومه ويدعوهم إلى الله، ففي ص ٤٩٢ جزء أول من «إمتاع الأسماع» للمقريزي أن عثمان ابن أبي العاص كان أصغر وَفْد ثَقيف، وكان إذا ناموا أصحابه بالهاجره، عمِد إلى النبي ﷺ فسأله عن الدين واستقراء القرآن، وأسلم سراً وفقِهَ، وقرأ من القرآن سوراً. أهـ. والشاهد في فقهه مع أنه لم يتلقَ إلاّ أوقاتاً يسيرة، وكذلك أحوال كثير من الوافدين. وقد توفي رسول الله ﷺ عن مائة وعشرين ألفاً من الصحابة، وفيهم من الأجلاف من لا يعرف إلاّ الفاتحة وهم يصلّون ويصومون ويحُجون ويزكّون بدون تمذهب. وكذلكَ كان أهل حضرموت فيما أظن، وبقضي الاستصحاب حتى غزتهم المذاهب بسبب الاختلاط، الواقع أكثره بالحجاز واليمن. وقد جاء في «المشرع» أن فتاوى السيد

(١) الغَنّاء: اسم يُطلقه أبناء وادي حضرموت على مدينة تريم، لكثرة الأشجار والنخيل التي تتساقط رطباً جنياً وتستفئ بظلالها تلك القصور التي تشتهر بها هذه المدينة الجميلة التي تتميز بعذوبة مائها وجودة هوائها.

سالم بن بصري على أساليب أُولِي الاجتهاد. وفي ص ٥ ج٢ منه أن أهل حضرموت يشتغلون بالعلوم الفقهية وجمع الأحاديث النبوية. ويؤيده ما جاء ـ في موضع آخر منه ـ أن كثيراً من الصلحاء العلماء لا يعرفون عين قبره بل ولا جهته، لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البِناء والكتابة على القبور. أهـ. فأنهِ من أنصع الأدلة على تمسكهم بالسُنَّة. وفي صفحة ٢١٩ الجزء ٢ من «تاريخ ابن خلكان» عن ابن حزم: مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسةِ والسلطان: مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك بن أنس. أهـ مختصراً. وفي صفحة ١٠٥ منه، أن المُعِزّ ابن باديس حَمَّلَ أهل المغرب على مذهب مالك بعدما كان مذهب أبي حنيفة أظهر المذاهب به، وكانت وفاة المُعز ـ المذكور ـ سنة ٤٥٤هـ. وفي مذكراتي أن عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى بن مولى جمح وصل إلى مصر في أيام اللّيث ابن سعد، فأخذ عنه اللّيث وابن وهب ورشيد ابن سعد، وانتشرَ بهِ مذهب مالك، وتوفي بالأسكندرية سنة ١٦٣، وخَلَفَهُ ـ في نشر مذهب مالك بمصر ـ عبد الرحمٰن بن القاسم، وما زال مشهوراً حتى قَدِمَها الشّافعيّ في سنة ١٩٨ فصحبه جماعة من أعيانها كأبن الحَكَم والرَّبيع ابن سليمان والمُزَني والبُوَيْطيّ وعجّلوا بمذهبه، ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة معرفتهم بمذهب مالك والشّافعيّ، ويُعَلِّل المَقْرِيزي ذلك بأن إسماعيل ابن الربيع الكوفي ـ الذي تولّى قضاء مصر بعد ابن لهيعة ـ كان يبطل الأَحْبَاس، فثقل على المصريين مذهبهُ في ذلك، وسأموه. أما الإمام أحمد فكان في القرن الثالث، ولم يخرج مذهبه عن العراق إلاّ في القرن الرابع، وفي هذا القرن مَلَكَ الفاطميون: مصر، وجاءوا بمذهبهم علىَ يد جوهر الصقلّي .اهـ. ولا بدع أن يغزو المذهب الشّافعيّ حضرموت بواسطة الحُجَّاج والتُجَّار وطُلاَّب العلم، على أن الحضارمة من أبعد الناس عن التمذهب. وفي نسيم حاجر وفي المبحث الثالث نسبة الإجتهاد لكثير من اللاّحقين فضلاً عن السابقين، قال الشيخ إبراهيم بن يحيى بافَضْل المتوفي سنة ٦٨٤: إذا لم أَفتكُم بصريحِ عِلْم فلا من بعدها تستفتوني بما في مُحْكَم القرآن أُفْتِي وإلاّ بعد هذا كَذِّبوني. أو ليس من أصرح ما يكوْن في ادعاء الاجتهاد، وذكر العلامة ابن حجر في فتاويه عن علماء المتأخرين من الحضارم انهم لا يتقيدون بكلام الرافعي والنووي وهما عمدة المذهب ولا يحضرني نص صريح في تعيين وقت التمذهب غير أن العرب كانت متصلة والأسواق جاذبة والمشاهد جامعة والبلاد بما أَلِفُوه من الترحُل وإستقراب

البعيد متقاربة، ومما يشهد لهذا أن كل مرحلة يأتي ذكرها عند الهمداني وأمثاله تزيد عن مرحلتين بسير أهل العصور المتأخرة ومر في الكسر أن يونس ابن عبد الأعلى كان منه وهو أحد أصحاب الشافعي، وغير خاف أنْ حرملة إبن عبيد الله صاحب الإمام الشافعي وأحد رواة مذهبه كان من تجيب ومثله أبو نعيم التجيبي المتوفى سنة ٢٠٤ ومثرا تجيب بالكسر ثم نجع منهم الكثير إلى مصر ولا بد بطبيعة الحال أن يكونوا على إتصال باهل وطنهم أدبياً ومادياً كما هي العادة بين العشائر، ومعاذ الله أن تقطع رجالات العلم صلاتها بأوطانها وقراباتها وهم أحق الناس بصلة الأرحام والحنين إلى الأوطان والقيام بحقوقها التي تفضل حقوق الأمهات على الأولاد كما فصّلت في غير قصيدة من الديوان.

ومرت الإشارة في هذا المبحث لبعض العلماء الحضرميين وأن آل باذيب نجعوا من العراق إلى حضرموت في أيّام الحَجَّاج وكان فيهم مفتون وقضاه وقال الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في جوهر الأنفاس نقل الشيخ علي بن أبي بكر عن بعض علماء آل عباد انه كان في تريم ثلاثمائة مفتي والصف الأول من جامعها كله فقهاء يعني مجتهدين في المذهب وفي شبام ستين مفتياً وقاضي شافعي وقاضي حنفي وفي الهجرين مثل ذلك اهـ وفي موضع آخر منه عن الشيخ محمد بن عمر جمال انه يقول عمت البلوىٰ في جهة حضرموت بكثرة الجهل، والجهال أشبه بالشياطين في أحوالهم وأقرب من البهائهم في طبائعهم وقد كانت هذه الجهة معمورة بالعلم حكى المؤرخون أنه كان ببلد تريم ثلاثمائة مفتى وفي شبام ستون مفتى وقاضي شافعي وقاضي حنفي وفي الهجرين قريب من ذلك اهـ وما نقله عن الشيخ علي بن أبي بكر موجود في آخر الصفحة ١١٧ من البرقة ونصه وقد صح بالنقل الصحيح عن الثقاة أنه اجتمع في تريم في زمن واحد ثلاثمائة مفتي وبلغ الصف الأول في صلاة الجمعة كله فقهاء اهـ وسيعاد هذا بأبسط مما هنا في تريم.

وفي الصفحة التي قبلها أن الإمام علي بن محمد حاتم هَنَىٰ شيخه المحقق قاضي القضاة وسيد القُرَّاء في عصره أبا بكر بن يحيى بن سالم أكدر بأبيات على شفائه من مرض ألَمَّ به منها:

قد حَنَّ مسجدنا لفقدك واشتكى
خللاً وإن كثرت به الأقوام

وفي الحاشية أن مسجدهم هو المعروف بمسجد عاشق يجلس على دكه منهم من أهل العلم والفتوى ٤٥ رجلاً، وفي سموم ناجر أن وفاة الشيخ أبي بكر بن يحيى هذا كانت سنة ٥٧٥ شهيداً ويأتي في تريم عن جوهر الخطيب ما يوهم أن كثرة المفتين بتريم يعود إلى ما بذله الشيخ سالم بأفضل من نشر العلم والله أعلم، وكانت وفاة الشيخ بأفضل في سنة ٥٨١ أي بعد الشيخ أبي بكر أكدر بنحو ست سنين ومن البعيد أن يكون تفقهه عليه فَلْيُتامل، أمَّا اشتهار مذهب الشافعي في اليمن فقد قال السخاوي أنه كان في المسألة الثالثة ونقله عن الجندي. وقال اليافعي أن ممن أظهر مذهب الشافعي باليمن موسى بن عمران المعافري، قال وممن نشره بزبيد بنو عقامه، ومن كتاب الممالك اليمنية للسيد محمد بن إسماعيل الكبسي أن المأمون ولّي محمد بن هارون التغلبي قضاء التهائم وفي سنة ٢٠٣ ومحمد بن هارون هذا هو جد بني عقامه وفي طبقات ابن السبكي عن ابن سَمُرَه ان فضائل بني عقامة مشهورة وهم الذين نشر الله بهم مذهب الشافعي في تهامه وقدمائهم جهروا بالبسملة في الجمعة والجماعات اهـ وقوله وهم الذين إلى آخره صيغه حصر وكأن المذهب الشافعي أتاهم قبل أن يعرفوا المذاهب فوافق ما عندهم فتمكن ونشره الله بهم يعجبني ما ذكره ياقوت لبعض قضاتهم يرثي هلكاه المدفونين بالعرق وهو موضع بزبيد:

يا صاح قف بالعرق وقفةً معول
وانزل هناك فثم أكرم منزل
نزلت به الشم البواذخ بعدما
لحظتهم الجوزاء لحظة أسفل
أخواي والولد العزيز ووالدي
با حطم رمحي عند ذاك ومنصل
هل كان في اليمن المبارك بعدنا
أحد يقيم صغا الكلام الأميل
حتى أنار الله وسدفة أهله
ببني عقامة بعد ليل أليل
لا خير في قول امرءٍ مستمدح
لكن طغى قلمي وأفرط مقولي

وذكر اليافعي أيضاً أن القاسم ابن **محمد بن عبد الله القرشي** المتوفي سنة ٤٣٨ نشر مذهب الشافعي في نواحي الجند وصنعاء والمعافر والسحول وعدن ولحج وأبين. اهـ.

ولأن تأخر وصول المذهب الشافعي إلى حضرموت عما مرّ فلن يخطئها فيما حوالي هذا التاريخ، وقال بعض الزيدية أن العترة الطيبة قد تفرقت في البلاد وملأت الأغوار والأنجاد وكل من كان منهم في إقليم فإنما هو على مذهب جهته وأقليمه في غالب الأمر لم يتواصلوا كلهم بمذهب واحد في مهمات الأصول فضلاً عن نوادر الفروع فهؤلاء الأئمة المعروفون في اليمن وعدد قليل من الجبل شاعت أقوالهم وسارت الركبان بمذاهبهم كالناصر وفي الكثير منهم وهم أهل الكوفة وما والاها ذكَر بعض العلماء جماعةً كثيرة زيدية من دعاتهم وأهل اليمن لا يعرفونهم ولا يعرفون مقالتهم وكذلك الإدريسيون في المغرب فيهم كثرة وظاهرهم على مذهب مالك ثم من هذه الذرية شافعية أو حنفية في الفروع أشعرية في الأصول متظاهرون بذلك كالمحقق السيد الشريف الجرجاني وغيره. وفي المُحْدِثين الكثير الطيب عُلماء مجتهدون منتسبون إلى المذاهب الأربعة، مُصَنّفون فيها، إذا طالعت كتب الرجال عَرفت ما يصفونهم به. وبه نعرف أن الذي في الزيدية لا يزيدون عليهم وصفاً ولا عدداً، وكلٌ يَدّعى أنه المُقتفى لآبائه القدماء من أهل البيت علي والحَسَنَيْن ونحوهم ـ رضي الله عنهم ـ. إلى آخر كلامه، وكَتَب عليه القاضي إسماعيل ابن مزاحم المجاهد بما حاصله حَصْر الحق على السادة الزيديةّ باليمن، لأنهم هم الذين بقوا مع القرآن في قرن متبوعين لا تابعين. وقال: ألاَ ترىَ لو أن أحد أهل البيت المُقلّدين لمَالِك قال أن الكلب طاهر لأنكَرَ عليه الكل أن تكون هذه المقالة لأهل البيت .اهـ مختصراً بالمعنى، وأنا لا أرضَى هذا الجواب، لما فيه من تحجر، وليس الزيدية بفرقةٍ واحدة وإنما هم ـ كغيرهم ـ فيهم المغالون والمعتدلون. وما أحسن ما فَسّرَ به الشوكاني الفرقة الناجية من أنها من كانت على هَدْيه ﷺ في إيثار الحق على ما سواه، أو ما يقرب هذا من معناه. والوسط هو المحمود، وعنده يلتقي شأو المُنْصِفين من كل فرقة، وقبلتنا من أمها لا يُكَفّرَ. وفي غير هذا الموضع أنه كان للعلويين اتصال بالسادة الزيدية إلاّ أنه تلاشىَ بعد التمذهب حتى جدده الله باتصالي بأمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى ابن محمد حفظه الله.

المبحث الثاني:

لا نزاع فيما يؤثر عن سابقي العلويين من الشهامة والفتوة والكرم والمرؤة والجاه والشرف والسيادة والحلم والصبر والعبادة والنَجْدَة والتواضع والتقوىَ والأخذ من المكارم بالغايات القصوىَ، بل كل ثناء مقصر عنهم في هذه النواحي. وجاء في مواضع من كلام الحبيب عمر بن حسن الحدّاد أن المشائخ استنكروا العلويين، لأن المقام مقامهم، وفي كلام غيره: أن الناس أَقْبلوا عليهم من بدء الأمر، وتجتمع أطراف الكلام بما انتصبت عليه القرائن من استنكار أهل المذاهب للتخالف المُنْضَم إلى الحسد، ولكن العامة ـ بسلامة قلوبهم ونشأتهم على الفِطرة وانقيادهم بسوق الطبيعة ـ أقبلوا عليهم إقبالاً عظيماً، وكيف لا وهم أوَّلَ من عرفوا من العَتْرةِ الطاهرة، وقد قيل:

يقولون ما بال النصارىٰ تحبهم ... وأهل النهى من أَعْرُبٍ وأعاجمِ

فقلت لهم إني لأحسب حُبَّهم ... سَرَى في قلوب الخلق حتى البهائم

لا سيما وقد انضم إلى ذلك ما يستجهر الأبصار والبصائر من الشرف الفخم والسؤدد الضخم، فقد كان الأمر أعظم مما يُتصوَّر، وإن كان سيدنا محمد بن علي ـ صاحب مرباط ـ ليخفر القوافل من بيت جُبَيْر إلى ظفار، بما له من ضخامة الجاه، كما ذكره الشيخ سالم بن حميد عن الشيخ عبد الله بن عمر الكَثيري، وكانت القوافل ترحل من حضرموت إلى صنعاء في خفارة مسبحة سيدنا الشيخ عبد الله باعلوي كما رواه والدي عن الأستاذ الأبرّ فيما جمعهُ من كلامه. ولا شاهد بشيءٍ من ذلك على التوسع في العلم بأمَارَة المشاهدة فألُوا الجاه عند البوادي والعامة وغيرهم من مناصب حضرموت، قديماً وحديثاً، لا ينتسب منهم إلى العلم إلاّ القليل، فأرىٰ أنه بالغٌ فيما يُنسب منه إلى الأسلاف الطيبين. وقد نقلوا عن «الياقوت الثمين» أن عُبيد الله بن أحمد أمّ كبار العلماء مع أنهم لم يذكروا أثراً من آثار علمه إلاّ قراءته لقوت القلوب على مؤلفه [1]. وطنطنوا على ذلك بما دَلَّنا على أن لو كان هناك أثر أكبر منه لذكروه وكبّروه. على أن الذي في

(١) قوت القلوب: كتاب في التصوف، من تأليف أبو طالب المكي المتوفي سنة ٣٨٦هـ، واسمه: محمد بن علي بن عطية الحارثي. أما كتابه فعنوانه الكامل هو: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد.

«المَشْرَعْ» [1] أنه حَجّ في سنة ٣٧٧ وفي ذلك العام حَجّ أبو طالب المكي فأخذَ عنه مؤلفاته وسمعَ منه مروياته .اهـ. ولم يذكر أنه قرأ عليه «قوت القلوب». ومعلوم أن وقت الحج لا يتسع لغير مجرد الأخذ، فإما قراءة «قوت القلوب» بحذافيره فلا بد لها من زمان طويل، ثم ان مجرد قراءة «قوت القلوب» لا تستدعي التوسع في العلم الشرعي، بل ولا الاتِّسام بسمته، فلو أن إنساناً حفظ «قوت القلوب» عن ظهر قلب وتعقّلهُ، لم يكن له نصيب مما يُوصى به العلماء أو يوقف عليهم. ومما يدلك على تسامحهم في الثناء بالعلم أن الشِلّي وغيره ترجمَ للسيد عبد الله بن محمد ـ صاحب مرباط ـ ووصفوه بالحفظ، ثم لم يذكروا له أثراً من ذلك سوى إجازه لهُ من القلعي في رواية «جامع الترمذي» مع أن البخاري ـ كما رواه غير واحد ـ يقول: إعْلَم أن الرجل لا يصير مُحَدِّثاً كاملاً في الحديث إلاّ أن يكتب أربعاً مع أربع كأربع مثل أربع في أربع عند أربع بأربع على أربع عن أربع لأربع وكل هذه الرباعيات لا تتم إلاّ بأربع مع أربع إلى آخر. ما ينبغي أن يُكشف من ص ٢٨ فتاوىَ حديثيه لابن حجر الهَيْثمي وأخرى، وهي أن بين أيدينا البرقة وعقد سيدي الأستاذ الأبر، وقد ذكروا عمود النسب فلم يطنبوا في الثناء بالمعلم إلاّ على: الفقيه المقدم وصاحب مرباط، ولم يصفوا والد الفقيه المقدم إلاّ بأنه عالم صوفي، واقتصروا في الإمام أحمد ابن عيسى: علىٰ ذي العقل الكبير والقلب المستنير والعِلْم الغزير لأجل السجع ولو كان واسع العلم لبسطوا القول فيه، كما لم يذكروا ولده عبيد الله ولا محمد صاحب الصومعة ولا على العُريضي ولا علي خالع قَسَم بعلم أصلاً، وأضجّعوا القول في وصف علوي بن محمد وعيسى بن محمد مع إطنابهم في فضلهم وعبادتهم. على أننا لا ننسى ما نقله والدي عن سيدي الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر، أنه زار المهاجر مع العلامة الحبيب عبد الله بن عمر، فقال لولدٍ صغير يُدْعَى محمد الطاهر: أتدري من هذا ـ يعني المهاجر ـ يا ولدي؟. فقال له: هذا المهاجر، أفضل في الوادي عِلماً وعملاً وقُرباً من النبي ﷺ، لأن مثل ذلك قد لا يراد به كل ظاهرة في تبصير الأولاد وحثهم على الاجتهاد. وسيأتي في تريم أن الطيب بامَخْرَمه لم يذكر فقيهاً من العلويين إلاّ الفقيه المقدم.

---

(١) المشرع الروي في مناقب بني علوي.

وفي ترجمة على ابن الجديد من تاريخ الجَنَدي أنه من أشرافٍ هناك يُعْرَفون بآل أبي علوى، بيت عبادة وصلاح، على طريق التصوُّف وفيهم فقهاء يأتي ذِكْر من أتحقق منهم إنشاء الله تعالى. ومن مجموع ما سُقْنَاه مع ما سبق من مبالغة «العِقد الثمين» تعرف أن تلك المبالغات ـ من غير شهادة الآثار ـ مبنى على ممادح العناوين التي لا يراد ـ من أكثرها ـ إلاّ مجرد الثناء. وهو شيءٌ معروف بين الناس.

والثالثةِ: هي أن قُريشاً ومن على شاكلتهم من العرب انصرفوا ـ لتلك العصور ـ عن طلب العلم لِمَا في طريقه من الذل الذي يمنعهم الشرف ـ بعد الطفولية ـ عن امتهان أنفسهم فيه، ولذا قلّ ما يوجد المُعلِّم فيهم إلاّ في النادر، كالباقر وأخيه، والصادق وإبنه، والإمام أحمد بن عيسى بن زيد، ثم المُرتضى وأخيه، والناصر للحق من بعدهم. وهناك دسيس آخر، وهو أن الملوك لا ينصفون العلماء منهم ولا ينعمونهم به عيوناً، لأن للعلم سلطاناً فوق سلطانهم، فلا بد للمستبد أن يستحقر نفسه ـ ولو في سره ـ كلما وقعت عينه على من هو أرفع منه سلطاناً، فأن اضطر إلى العِلْم، اختار المتصاغر المتملق. وإذا كان الأمويون والعباسيون يطاردون العلويين لمجرد بسوقهم في الشرف، أَفَتُراهُم يسكتون لو جمعوا إليه: عزة العِلم وسلطان المعرفة؟ هذا ما لا يتصور بحال، وقد أخرجَ إبن صلاح في «رحلته» عن الزهري، قال: قدمتُ على عبد الملك بن مروان، فقال: مِنَ أين أقبلت؟ قال من مكة، قال: من يَسُوْد أهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رَباح. قال: من العرَب هو، قلت: لا بل من المَوَالي. قالَ بِمَ سادهم؟ قلت بالديانة والرواية. قالَ فمن يسود أهل اليمن؟ قلت طاووس بن كيسان، فقالَ مثل قولهِ الأول، فأجبته بمثل قولي عن عطاء. قال فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيدابن أبي حبيب. قال: فمن يسود أهل دمشق؟ قلت: مكحول وهو عبد نوبيّ أعتقته امرأة من هُذَيْل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت الضَحّاك ابن مزاحم. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن ابن أبي الحبسني. وهو في كل ذلك يسألني مثل سؤاله عن «عطاء» وأجيبهُ بمثل جوابي عنه، حتى قال: من يسود أهل الكوفة؟. فقلت: إبراهيم الحنفي. فقال: من العرب أم من الموالي؟ قلت بل من العرب. قال: ويلكَ يا زهري فَرَّجت عني، والله لتسودَن المَوالي حتى يُخطب لها على المنابر والعرب من تحتها. قلت: إنما هو أمرُ الله ودينه، من حفظهُ ساد، ومن ضَيّعه سقط .اهـ باختصار. وما كان

ابن مروان ليجهل حال أولئك، وإنما تجاهله لحاجةٍ في نفسه، هي فيما أظن قُرة عينه بانصراف العرب عن العلم، لئلا يستحقر نفسه في جانبهم، مع أنه كان من أوعيته. فهو على خلاف قوله: فَرّجت عني. إذ لو كان أولئك من قُريش ـ فضلاً من أن يكونوا هاشميين ـ لاستشاطَ غضباً وتأجّج حسداً، وأشد الناس حسداً هم الملوك كما قيل. وما كانت قُرَيش إذ ذاك خاليةً من العلم، ولكنهم ضَيّقوا عليهم الأنفاس، وأخذوا منهم بالمخنق. وقد أشرت إلى شيءٍ من إنصرافهم عن العلم أوائل «النجم المضي في نقد عبقرية الرضى» [1]. وفي آخر الجزء الأول من «البيان والتبيين» للجاحظ، أن رجلاً ـ من بني العبّاس ـ قال: ليس ينبغي للقُرشي أن يستغرق في شيء من العِلْم إلاّ علم الأخبار، فأما غير ذلك فالنتف والشذوذ. وفيه ـ أيضاً ـ أن رجلاً من قُريش مَرّ بفتىً ـ من ولد عتاب بن أُسيد ـ يقرأ كتاب سيبويه، فقال: إن لكم عِلْم المُربّين وهِمّة المحتاجين، وفيه قال ابن عتاب: يكوْن الرجل نحوياً عرضياً قساماً فرضياً حَسَن الكتابه، جيد الحساب، حافظاً للقرآن، راوية للأشعار، يرضى أن يُعَلِّم أولادنا بستين درهماً. ومتى تقررَ إنحراف قريش عن العلم لما يجلبه لها من تَهضُّم الملوك، ولأنها تَسُوْد قبل أن تفقه، فما كان العلويون المهاجرون إلى حضرموت ليخرقوا قاعدتهم إلاّ بعد أن تؤثِّر فيهم الظروف وينطبعوا بطابع الزمان والمكان وتقهرهم العوائد وتنتفى الموانع، وربما كان ذلك من أوائل القرن السابع مع استثناء القليل فيما قبل ذلك. وإنما بقي العِلم في السادة الزيدية لبعدهم عن المدنية الشومَى، وتصديقاً لوعد النبي ﷺ ولاشتراطهِ للخلافة، وهي لا تزال فيهم، والناس على دِين ملوكهم والسلطان سوقٌ يُجْلَب إليه ما يناسبه. ولهذا فلا بد أن تتفاوت أزمنتهم بحسب رغبات خلفائهم فيه، كثرةً وقلةً. ولهذا البحث تكميل يأتي في تَرِيم.

أمّا المبحث الثالث:

فقد اتسع فيه القول، وتفّتحت شآبيب الكلام، وسالت فيه عزالي البراهين والأدلة، حتى صار رسالةَ فضفاضةً تستحق أن تُسمَّى «سموم ناجر لمن يعترض نسيم حاجر». ولا بأس أن نزيد هنا ما يتأكد به بعض ما فيها وما في النسيم، مع

(١) كتاب مخطوط في حجم متوسط وهو في النقد الأدبي ينتقد فيه كتاب عبقرية الرضي لأحمد زكي وقد قال المؤلف أنه جدير بأن يسمى مفتاح الثقافة لأنه يؤسس قواعد في فهم الشعر.

الاعتذار عَمّا لا بد منه للفائدةِ من التكرار. قال سيدي الحبيب أحمد بن زين الحبشي في كتابه «المسلك السوي»: ومن ثم لمّا ذَهَبت عنهم الخلافة الظاهرة ـ لكونها صارت مُلْكاً عضوضاً ـ ولذا لم تتم للحسن. عُوِّضوا عنها بالخلافةِ الباطنة حتى ذهبَ كثير من القوم إلى أن قطب الأولياء ـ في كل زمان ـ لا يكوْن إلاّ منهم .اهـ. ثم رأيت هذه العبارة عند الحفظي آخر كلام نقل عن صواعق ابن حجر والله أعلم وقال في «المَسْلَكْ السوي» ـ أيضاً ـ ولمبالغة الشافعي في تعظيمهم، صَرَّحَ بأنه من شيعتهم حتى نسبه الخوارج إلى الرفض .اهـ. وعن الأستاذ الحدّاد أنه قال: جاءني جماعةً من علماء مكة يسئلوني عن مذهبي، فأردت أن أقولَ لهم: مذهبي الكتاب والسُنَّة، لكن حَصَلت مُحَاذَره، خوفاً عليهم من الإنكار. وهذه إشارة إلى أنه مجتهد لا مُقَلِّد، وكثيراً ما أسمعه يقول (عند المذاكرة في المسائل: وعندنا فيها رأي آخر لكن التمسك بمذهب الشافعي كافي .اهـ). ونُقِلَ عن الأستاذ ـ أيضاً ـ أنه قال: أريت أصول أهل الأصول، لكن يغلب علينا الرجاء حتى للمخالفين من الفرق. وهذه المسألة متصلةً بالذوق ولا يمكن التعبير عنها، لخفاء الحق فيها، فلا يعلم إلاّ في الدار الآخرة. وأدَّعىَ أُناسٍ أنهم حققوها، ولم يظهر لنا ذلك، لأن التدقيق لا تُحيط به العِبارة، ولا بد أن يقع في الغلط من يُعَبِّر عنها، كقول الغزالي: ما في الإمكان أبدَعَ مما كان .اهـ. وقوله حتى للمخالفين من الفرق ـ أي الإسلامية ـ لإجْمَاعهم على تكفير من لم يُدن بدين الإسلام، كما فَصَّلناه في «السيف الحاد»: وكل من يعتقد بنجاة مِلّه غير الإسلام فهو كافر، وقد حاولَ البهائيون ـ الذين ذكرهم فريد وجدي ـ أن يُوَحِّدوا بين الأديان، فوقعوا في شر من كُفر اليهود قاتلهم الله إنّا يؤفكون. ومنهم القائلون بالإباحة من أهل الوحدة المطلقة الذين أبان الباري عز شأنه هذا الوجود الشاري في الموجودات الظاهر فيها على اختلاف صورها وأنواعها بحسبها فهو في الماء ماء وفي النار نار، وهو حقيقة كل شيء وماهيته ووجود كل موجود صغير أو كبير خسيس أو شريف، تعالى الله عما يقولون وعلّموا كثيراً وليس منها كما قال سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد أن يستغرق السالك عند انتهاء سلوكه في بحر التوحيد والعرفان بحيث يضمحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الموجود إلا الله وهذا ما يسمونه الفنا في التوحيد ويسمونه الجمع أيضاً وغاية سير السالكين فناء المريد عن نفسه ومنه يرجع إلى عالم الملك وهو الفرق الثاني والسحر بعد المحو

ويعبر عنه أيضاً بانصداع الجمع وبالفرق بعد الجمع وبظهور الكثرة في الوحدة ويعبر عنه أيضاً بمحو المحو وبشهود الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة وصاحب هذا المقام عندهم لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق وهو مقام إرشاد المريدين.

المبحث الرابع: جاء في ص ٣٣ ج ١ من «المشرع» أنه كان للمُهاجِر في الوعظ لسان فصيح، ثم لمّا استولى ـ أخوه محمد بن عيسى ـ على أقاليم العراق أتىَ إليه ووعظهُ موعظةً بليغة بألفاظٍ فصيحة جسيمة. ولم يزل به حتى تركَ ذلك، وزهد فيما هنالك .اهـ. وفي ص ١٣٩ من البرقة أن محمد بن عيسى استولى على جهةٍ من العراق وتَبِعهُ خلقٌ كثير وجمٌ غفير، ثم تركَ الولاية زاهداً .اهـ. وبين الروايتين فرق ليس باليسير. وقد راجعت كامل ابن الأثير وتاريخ ابن خلدون فلم أرىَ لخروج محمد بن عيسى ذِكْراً، ولو كان ـ كما يقول صاحب المشرع ـ في شمول استيلائه للعراق لذكراه، وإذا لم يذكراه كانَ ذلك قادحاً فيه، لأن الخبر الذي تتوافر الدواعي على تواتره ثم لا ينقله إلاّ الآحاد ـ يكون مردوداً كما قَدّرَهُ أهل الأثر، فإن وُجدَ له ذِكْر في التاريخ وإلاّ فما هو إلاّ انتقال نظر إليه من زيد بن موسىٰ الكاظم. وقد كان زيد ـ هذا ـ كما عند ابن خلدون: من قُوّاد أبي السرايا مُدَبِّر أمر محمد بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين، وكان أبو السرايا وَجَّهَ يزيد بن موسى هذا إلى البصرة فعاثَ وأحرقَ خَلْقاً كثيراً حتّى سموه: زيد النار. وفي ص ٣٢٢ ج ١ من تاريخ ابن خلكان: وكانَ زيد بن موسىٰ الكاظم خرج بالبصرة وفتكَ بأهلها، فأرسل إليه المأمون أخاه علياً الرضي يرده عن ذلك، وقالَ له: ويلكَ يا زيد فعلتَ بالمسلمين بالبصرة ما فعلَتَ، وتزعُم أنّكَ ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ والله لأشد الناس عليك رسول الله ﷺ يا يزيد ينبغي لمن أخذ برسول الله ﷺ أن يعطي به. فبلغَ كلامه المأمون فبكى، وقال: هكذا ينبغي أن يكوْن أهل بيت رسول الله ﷺ. قلت: وآخر هذا الكلام مأخوذ من كلام علي زين العابدين، فقد قيل أنه إذا سافَر كتم نفسه، فقيل له في ذلك؛ فقال له: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ مالا أُعطِى به .انتهى كلام ابن خلكان. أقول: ومثله موجود في خطبة علي الرِضا يوم بويع له، فقد قال: أيها الناس إن لنا عليكم حقاً برسول الله ﷺ ولكم علينا حق به، فإذاأديتم لنا ذلك، وجَبَ لكم علينا الحق، والسَّلام.

المبحث الخامس: اشتبه عليّ ـ وقت انهيار السد الذي بِسَنا، وقد رأيت في مناقب الحبيب علي بن عبد الله السقاف، تأليف الحبيب عمر بن سقاف بن محمد الصّافي السابق ذكره في السوم، أن الحبيب على المذكور اجتمعَ بالحبيب حسن ابن عبد الله الحدّاد، فسأله عن ارتفاع قبر المهاجر، فقال له: خشية السيول الهائلة السابقة مع عدم الخد في الأرض، لأنه لم يحدث ألاّ بعد زمان الفقيه المقدم بسيلٍ قاحس الذي أخبرَ عنه في غيبتهِ، قالَ الحبيب علي ـ هذا ـ هو الذي أراه. انتهى بمعناه، وفيه إشكالات وفائدة، فمن الإشكالات: أن «الحُسيسه» ـ وهي محل السكنىَ ـ لم تكن بذلكَ الارتفاع ولا بقريبٍ منه، وإنما كانت بسفح الجبل وحضيضه، وآثارها ظاهرةً به إلى اليوم، فكيفَ يخافون على الميت في قبره ما لا يخافونه على الأحْياء في دُوْرِهم. ومنها أنه لو كان ماء السيل الراجع عن سد سنا يصل ولو إلى رُبع ارتفاع الموجود لأغرَق شِبَاماً فضلاً عمّا دونها، حسبما قلنا في «الكسر». ومنها أن «بَوْر» و «تَرِيم» و «تَنْعه» و«العجز» و «ثوبه» موجودات من قبل انهيار سد سنا، ولو كانَ رجعً الماء لمَا أمكنَ بقاؤها، ولا بقاء ما قبلها.

وأمّا الفائدة التي لم نسمع بها إلاّ من هذا الكلام، فهي أن الخد بالأرض لم يكن إلاّ من بعد الفقيه المقدم المتوفي سنة ٦٥٢هـ ومعلوم أنه لن يكوْن دفعةً بل بالتدريج في الذي يلي السد ثم في الذي يليه، وهكذا كما يشهد له الحس. فَمِسْيَال (سِرّ) الواقع الآن بـ «الحُسَيِّسه» و «بور» لا ينخفض عن الأرض بأكثر من ستة أذرع إن لم يكن بأقل. وجاء في «النور السافر» عن «تريم» أنها كانت في قديم الزمان عامرةً جداً وأمّا الآن فهي ضعيفة إلى الغاية، إلى أن قال: والظاهر أن سبب خرابها: «سَيْل العَرِم» الذي أرسلهُ الله على سبأ فأنقطعت عنها المياه التي كانت تزرع عليها، فسبحان من يُقَلّب الأمور .اهـ. وهذا ـ أيضاً ـ فيه إشكال وفائدة، أمّا الفائدة فهي الإشارة إلى أن حضرموت كانت تشرب من المياه المخزونةِ بسد مأرب، وهو موافق لِما ذكرته بالأصل عن الخزرجي والميداني، إلاّ أنه قد يغبر عليه ما جاء في «الأكليل» للهمداني ج ٨ من قوله:

وجنتا مأرب من بعد ذا مَثَل
والعرش فيها وسد وسط واديها
تُسقي به جنتاها ثم بعدهما
مسافة الخمس موصولاً لياليها

ولكن يُجاب بأن المسافة من مأرب إلى الكسر لا تزيد عن أربع مراحل وهي لا تستوفي الخمسة الأيام، وإذا بقي لليالي مثلها بَلَغ سد سَنا أو جاورها، فالأمر قريب من بعضه. وأمّا الإشكال فإنه لا يمكن لحضرموت أن تصل من الضعف إلى حيث ذُكِر، ما دام الماء ينبسط على الأرض كلها، فتؤث زروعها وتؤتي أُكُلَها كما كانت في أيام ملوك كِنده وملوك حضرموت، وإنما تناهى بها الجدب والقحط، من حين ظهور الأخدود وانقباض الماء عن أكثر الأرض، ولم يكن ذلك إلاّ بعد الفقيه المقدم بزمانٍ طويل، حتى أنه ـ مع تفارط الأيام ـ لم يصل إلى المسحره بعد فهي لا تزال سالمةً منه والماء ينبسط فيها من الشمال إلى الجنوب. وقد كان الإشكال في سد سَنا أثقل عليَّ من الطود العظيم، وكلما التأم لي الكلام منه ـ من جانب ـ انتشرَ من الآخر، حتى أخبرني الأخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن شهاب، عن مشاهدةٍ، أن سد سَنا طبيعي من حجارةٍ رَخْوَةٍ يمازجها طين شبه القارة الصغيرة، يُدْفَع الماء من جانبيها، وهما منحفضان عنها، إلاّ أن ارتفاعهما عن مستوى الأرض لا يزيد عن ستة أذرع تقريباً. ثم أن السيول جَرَفت تلك القارة وحَفَرتها فصارَ الماء يجري في مكانها الذي خَدّهُ سيل قاحش وما بعده، وارتفع جانباها اللّذان كان عليهما يجري السيل كما سنرسم صورته التي دفعها لي في موضعهِ إنشا الله، فلم يكن رجع السيول عن ذلك السد الطبيعي بالفاحش، حتى يكتسحَ البلاد، ولكنه يصد تيّار الماء فقط فينبسط في كل ناحية، ويسقى الناس منه أراضيهم بدون أن يجرف في الأرض لأن انبساطه يقلل من قوة جريه فلا يخد في الأرض وهذا هو المعقول فقد كانت الحصاة التي يُصَلّي عليها سيدنا عمر المحضار بحافه نهر هود عليه السلام بارزةً لعهده، وما بهِ بُعْد عن عهد الفقيه، وليس ارتفاعها عن النهر اليوم بالفاحش، مع تناهي الخدّ، ولكنه قريب. وقد أنكرَ بعض السياح الأجانب وجود هذا السد رأساً لأن الوهم يذهب بهم إلى ارتفاعه، فيتأملون ولا يجدون له أثراً، فأنكروه. والحال أنه كما وصفهُ لي الأخ عبد الرحمٰن بن شهاب.

وفي حدود سنة ١٣٣٩هـ اشتد النزاع بين آل بور وآل تاربه بشأن جبل الحُسيّسه، وكلٌ ادّعى أنه في حَدّه، فَلَهُ قَنْص صَيّدِه وإدارة القهوة والعود في حفلاته العامّة، حتى عُطّلت مراراً، ثم تواضعوا على أن لا يُدار شيء خوف الفتنة. وما زالوا ـ كذلك ـ حتى أُقيمت جمعية بيتاوى لآل العيدروس، كانَ من

أغراضها الالتفات إلى إصلاح ذات بينهم. وفي سنة ١٣٤١هـ وافقَ آل العيدروس بحضرموت وصارَ الإصلاح بين آل بور وآل تاربه على أن لكلٍ منهم قنص الجبل، وعلى أن خُدَّامهم يشتركون فيما يدار فيه.

تَارِبَه:

هي أرض واسعةً فيها قُرىً كثيرة، أكثرها عن يمين الذاهب في الطريق السلطانية أو العباديّة من سيون والحُسَيِّسه إلى تريم وبعضها من يساره، فأمّا التي عن يمينه فأولها قريةٍ يُقال لها (**السحيل القبلي**)، وكذلك يُقال لها (**سحيل بدر**). يعنون: بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق. وفي الأصل أن المُلك كان لأبيه فتنازلَ عنه في سنة ١٠٢٤ لأخيه بدر بن عمر، ثم أن بدر بن عبد الله ـ هذا ـ غَلَب في سنة ١٠٥٨ على عمه بدر بن عمر وكان طغىَ وبغىَ، فجاءت نجدة الإمام المتوكل على الله إسماعيل فهزمته وردّت المُلْك لعمه، وألقىَ هو بنفسه في يد قائد الجيوش المتوكلية الصفي أحمد بن الحسن، فأرسلهُ إلى صنعاء، فعفىَ عنه الإمام. ثم عادَ وأقامَ بسيوون إلى أن ماتَ في سنة ١٠٧٥هـ كذا بالأصل. والذي يظهر ـ من هذا ـ أنه بعد رجوعه من صنعاء لم تطب نفسه بالمقام في سيون على الذلة والمهانة بعد المُلك والعزة، وعزّ عليه أن يتوجع له صديق أو يشمت به عدو، فابتنىٰ له داراً بهذا السحيل، ولم يقم بسيوون إلاّ ريثما عمرها، ثم عمّرَ بشمالها مسجداً لا يزال معموراً إلى اليوم وهو خارج عن سور السحيل القبلي، ومع ذلك فأنهم يجمعون فيه. وحصن بدر ومسجده حسبما يقول الشيخ المعمّر أحمد بن عبود الزبيدي أولّ ما بُني بتاربه، وما كانت ـ قبل ذلك ـ إلاّ مرعىً وموضع خيام ينتجعها العوامر إذا أجدبَ نجدهم وقلّ عليهم الماء فيه. أمّا في وقت الخصب فأنهم لا يقنعون بتاربه في جنب خيراته الفائضة وأراضيه الخصبة. وكان للعوامر ـ في حاضرهم وباديهم ـ شهامة كما يقول حسّان:

لـنـا حـاضـر نـعـم وبـادٍ كـأنـه شـمـاريـخ رضـوى عـزةٍ وتـكـرّمـاً

ويسكن هذا (السحيل) جماعةٌ من ذُرِّية السيد عيدروس بن سالم بن عمر الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، منهم السيد صالح بن أحمد بن صالح، وأخوه سالم بن أحمد. فأمّا سالم فبقي بالسحيل إلى أن مات، وخَلَّفَ أولاداً منهم: السيد عبد الله بن سالم، بقي بمكان أبيه إلاّ أنه يُكْثر التردد إلى سيون وفي

سنة ١٣٦٤ توفي بها لعشرٍ من رمضان وأمّا السيد صالح بن أحمد فقد انتقل إلى سيوون، وكانت له يد في خدمة الدولة الكثيريّة، وجَلْب العسكر لهم من الصَيْعر ضد يافع توفى بسيوون وله بها أولاد أكبرهم وأغناهم هو الشهم الغيور الفاضل السيد علي بن صالح بن أحمد، جَمَع ثروةً من جاوا فوصَلَ فيها الأرحام، وأطعمَ الطعام، وأقرضَ المحتاجين، وأعانَ على نوائب الحق وأوصىَ بما يصل نحواً من ثمانمائة وخمسين ربيّه لمثل ما كان يفعلهُ من الضيافة والمعروف في حياته وكان ينكر الخرافات والدعاوىَ الزائفة، ولمّا واظبَ على حضور دروسي في الشمائل النبويّة تأكد ما بخاطره من ذلك فوافقني على إنكارها، وصارحَ بذلك، فلحقهُ شيءٌ يسير من فضول ما لحقني من تعصب عُشّاق الجاه المنفوخ والولاية المُزيّفة، منها أنه من المُشار إليهم بقول العلامة السيد على بن محمد الحبشي:

حجبوا وحسبهم الحجاب عذابُ

يا ليتهم سمعوا النداء فأجابوا

والقياس نصب العذاب لكنه ارتفع ولولا اعتصامه بالثروة ـ وهي الشافع المقبول في بلادنا ـ لناله أكثر مما نالني لكن شفعت له ثروته وذهابه مع إخوانه وابن عمه ـ بالآخرة ـ إلى بيت السيد علي الحبشي للترضيةِ مع بقائه على ملازمة درسي، توفي بسيوون في سنة ١٣٤٩ ورثاه جماعةٌ من أدباء سيوون، منهم ولده النجيب صالح، والسيد عيدروس بن سالم السوم، والسيد محمد بن شيخ المساوى. وفي مجموعة مراثيه أن له اتصالاً بالعلامة السيد شيخان بن محمد الحبشي وما أراه إلا وهماً لأن السيد شيخان توفي في رجب من سنة ١٣١٣ والسيد علي بن صالح لم يُعد بعد من جاوا إلا بعد ذلك بأكثر من سنتين عن غيبه طويله كان في أثنائها اتصال السيد شيخان بسيوون.

وبالسحيل جماعةٌ من آل الحبشي. من أواخرهم السيد محمد بن عبد الله الحبشي وأخوه عبد الرحمٰن أصحاب (بير المير) الواقعة في شرقي هذا السحيل وغربي باعبد الله، وطه بن علي وأخوه عبد القادر. وكانت للثاني ثروة جمعها من سنغافورة ولكنها تلاشت أو كادت، وكان وصلَ إلى حضرموت، وجَرى بينهُ وبينَ السيد أحمدبن سالم بوفطيم، شِجار، فَشَجّهُ حسين بن أحمد بوفطيم في رأسه شجةً منكرة، فذهب يستنجد بالعلامة السيد علي بن محمد الحبشي وآل أحمد بن زين الحبشي فلم ينفعه أحدٌ، ولكن ولدهُ محمد بن عبد القادر أستعانَ ببعض

العوامر، فتسوَّر ـ وهم معه ـ ذات ليلةٍ على حسين بن أحمد وضربهُ ضرباً مبرحاً وهو إلى جانب امرأته وكانت حاملاً فأُجهضت ولم تطل مدتها. وسافر السيد عبد القادر وولده محمد إلى سنقافورا، ثم عاد السيد عبد القادر بن علي في حدود سنة ١٣٣٠ إلى تريم ومعه أهل وأولاد صغار، فتوفي وشيكاً. ووصلَ ولده محمد إلى تريم ـ أيضاً ـ فأوذي بها فعادَ إلى سنقافورا واستولى على مال أبيه فيها، وتدخَّل آل الكاف ـ بتوكيلٍ من الأولاد الصغار وبعض النساء ـ وسعوا في حبس محمد، فحبستهُ حكومة سنقافورا مدةً ثم أطلقته، وصاح الشيطان في تلك التركة فهلكت وهلكَ الأبناء كلهم إلاّ محمد، وهو أكبرهم، فإنه لا يزال بسنقافورا إلى الآن ومنهم العلامة السيد علي بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن حسين الحبشي يجتمع مع السيد عبد القادر بن علي بن محمد بن حسين الحبشي وجد بجاوا في حدود سنة ١٣٨٦ وخرج إلى حضرموت سنة ١٢٩٨ وأخذ عن أراكينها وأقام مدة خمس سنوات ببور يطلب العلم ويتردد إلى مدائن حضرموت للأخذ والتلقي ثم عاد إلى جاوا وحج أربع مرات الأولى سنة ١٣١١ والثانية سنة ١٣٤٨ والثالثة سنة ١٣٥٤ والرابعة سنة ١٣٦٧ وبيني وبينه ود وإخا ولبس مني ولبستُ منه، ولا يزال له بجاوا شأن عظيم وله لسان في الوعظ باللغة الجاوية وانتفع به خلائق وأسلم على يده كثير ولا يزال ناشراً الدعوة إلى الله وأهل الرابطة العلوية ينتفعون بجاهه ويأخذوا به إلى مساعدتهم بالحيا وإلا فإنه لم يسلك فجهم في التفرقة بين الحضارم وله تواضع وخُلُق حسن ودمعة غزيرة مَدْ الله في حياته على خير.

وبالسحيل أيضاً جماعةٌ من المشايخ الزبيديين، منهم الشيخ أحمد بن عبود بن عيسى بن عبد الله بن تميم الزبيدي، كان عاقلاً أصيل الرأي له يد في الطب الحضرمي، يوافقه في أكثره النجاح والتوفيق، توفي سنة ١٣٢٥. وأصلهم من حوطة سلطانه، ثم حصل على جدهم عبد الله بن تميم أذىً من يافع فانتقل إلى «عرض عبد الله» ببور ثم انتقل إلى تاربه وحفرَ بها مائة وتسين بيراً غرَسها بالنخيل، والوثائق الموجودة بين آل تاربه ناطقة حسبما يقال بأن تلك الآبار لم تنتقل إلى ملاّكها إلاّ بالشراء منه أو من ورثته، وكان انتقاله إلى تاربه في حدود سنة ١٠٩٠هـ تسعين وألف.

وبالسحيل مسجد صغير بناه السيد عبد الله بن سالم بن أحمد الحامد، في

جانبه الجنوبي، وهو غير جامع بدر الذي بالشمال. وفيه ـ أي السحيل ـ جماعةٌ من العوامر: آل خميس، كان بينهم ـ في الوقت الأخير ـ رجل له نَجْده ووفاء، يُقال له: سالم بن عويض قُتل غيلةً في حدود سنة ١٣٣٣.

وفي جنوب هذا السحيل:

(حراد). وهو موضع بسفح جبل فيه قريةً صغيرةً، وأكثر أرضه إلى الآن لمقام الشيخة سلطانه بنت علي الزبيدية، وسكانه «آل سيف» من العوامر ينتسبون إليها بالخدمة. وكان فيهم رجال يهابون العار ولا يبالون طعن الشَفَار، ولا تحل جباههم القطوب، ولا تعرف وجوههم القطور، مثل الشيخ هادي بن سيف، فلقد كان ينطبق عليه قول لُقيط الأيادي:

لا يملؤ الخوف صدري قبل موقعه ولا يضيق به ذرعاً إذا وقعا

ولهُ ولأبنه ـ علي بن هادي ـ ذِكْرٌ كثيرٌ في حروب الدولة «آل عبد الله مع «القُعيطي» و «يافع». وفيها ناس من الحرّاثين (آل عبد الشيخ). المنتشرون بقرى تاربه ونخيلها ومنهم الرجل الصالح سالم... عبد الشيخ، له عمل مبرور وسعي مشكور وتواضع جم مذكور.

وفي جنوب حراد (وادي عبد الله بن سلمان) سكانه حَرّاثون، ثم حصن الدولة (آل جعفر بن أحمد) ثم (غنيمه) وهي مسكن آل أحمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر بو طويرق. ولأحمد بن محمد ـ هذا ـ أربعة أولاد: جعفر وعبد الله وقد انقطعا عن الذكور، ومحسن بن أحمد وهو والد السلطان غالب بن محسن، وأخيه عبد الله، وعلي بن أحمد والد أصحاب «قَيْطَعْ». ولأحمد بن محمد ـ هذا ـ إخوان أربعة؛ يُقال لأحدهما صالح بن محمد وله أولاد منهم: السلطان عبد الله بن صالح الشجاع الموفق المشهور، والثاني: سالم بن محمد والد عبود بن سالم، والثالث: حسن بن محمد، وهو جدّ حسن بن عمر بن حسن بن محمد، والرابع: جعفر بن محمد وهو أبو سعيد بن جعفر، والدا أحمد بن سعيد، وعلي بن جعفر والد منصور بن علي. ثم أن أحمد بن محمد ـ أو والده ـ محمد فارق (غنيمه) وسكنَ على مقربةٍ من (قارة السْناهز). وكان بها جماعةٌ من آل عبد الودود، فَصَهَر إليهم، وبقي يقطع الطريق ويخيف السابله حتى تابَ على يد الحبيب إسماعيل بن أحمد الحيدروس وعادَ بأمره إلى وادي تاربه، ولهذا السبب بقي عنده وعند أعقابه احترام لآل إسماعيل.

ومن وراء (غنيمه) ـ جنوباً ـ غيل بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر بو طويرق، وعنده آثار ديار صغيره. ومن ورائه مكان لآل خميس العامريين يُقال له (حزير). وهو منبع عيون ماء تدفع إلى غيل بدر.

سِحَيْل محسن:

وعندما يرجع الذاهب من وادي تاربه إلى جهة الشمال يجد دِياراً بسفح الجبل الشرقي فيها جامع كبير، يُقال لتلك الديار: سِحَيْل محسن نِسْبةً إلى السيد محسن بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم. وبها كان يسكن الشيخ أبو بكر بن سعيد الزبيدي السالف ذِكْرَهُ في حُوطَة سُلطانه. سكانها: آل عبد الباقي العامريون منهم: آل كرتم من آخرهم الشيخ بخيت بن عبد الله بن كرتم، رجل له شهامةً ومروءةً، ومنهم: ناصر بن عوض بن عبيد قاتل السيد بو بكر بن عبد الرحمٰن، ظلماً، حسبما يأتي قريباً في (با عبد الله). وله أخ من أحسن الناس سيرةً وأصفاهم سريرةً وهو سالمين بن عوض، له أعمال مشكورة منها تأسيس مدرسة الرياضة العربية بمباسة وقيامه بمصالحها وهو الرئيس الأول لها ويعاونه الشيخ صالح بن علي باكثير على التدريس فيها.

وقريباً من سحيل محسن كان يسكن الشيخ صالح بن عائظ بن خجير، وأسرته آل خجير، وهو رجل من لهاميم العرب، يهاب اللّوم، ولا يبالي ـ قَلَّت أم كثرت ـ القوم، يُغلي الكلام، ويوفي الذِمام، وقَلّ أن تنجب مثله الأيام، لا ينام عن ثأر، ولا يعلق به العار:

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضها
وإن شمّرت عن ساقها الحرب شَمَّرا

وله أخبار جميلة ذكرنا بعضها في الأصل، إلى محبةٍ لأهل العلم والصالحين، توفي حوالى سنة ١٣٣٣.

وفي شمالهم ديار آل مطرف، من الحطاطبة، كان لهم تعلُّق بالسادة آل خيله وانتساب إليهم بالخدمة، ومنهم عبود ومحمد ابني سلامه بن مطرف كانت لهم ثروةً حتى أنه يذكر أنهم أعانوا السلطان الكثيري في تجهيزه على الشِّحر سنة ١٢٨٣ بمالٍ كثير.

باعبد الله:

في شرقي سِحيل محسن بيسير من الإنعطاف، وهي عاصمة تاربه وإنما قيل لها باعبد الله، لأن الشيخ عبد الله بن تميم باعها - في أول ما باع - من أرض تاربه، فقيل باعَ عبد الله ثم سقطت العين وتداولته الألسن حتى صارَ عَلماً عليها، ويتأيد هذا بما سبقَ عن الشيخ عبد الله بن تميم في السِحَيْل القبلي. وقيل: وعليه الاسم لأن أول من تديرها من أعقاب السيد أحمد بن عبد الله - صاحب الطاقة - بن أحمد بن حسين العيدروس، هو السيد الجليل علوي بن أحمد فنسبت إليه لأن جده عبد الله أي قرية ابن عبد الله ومثل هذا - ولا سيما في دَوْعَن - كثير، كذا سمعته وهو معقول، وبها توفي سنة ١١١٩ ومن ذريته: آل عمر بن زين وآل جعفر، ومنهم السيد بو بكر بن عبد الرحمٰن بن جعفر المقتول ظلماً بجامعها ليلة ٢٧ من رمضان سنة ١٣٥٩ قتله ناصر بن عوض أحد آل عبد الباقي، والجامع مملؤ بالناس وبجماعات من كل قبائل العوامر، ولم تَحْبَق في ذلك شاةٌ، والعوامر يعتذرون عن ذلك بأن ليس لهم وجه بعدما بَسَطت نفوذها عليهم الحكومة الكثيرية بالقوة الإنكليزية، وقد هرب القاتل إلى نجد العوامر حيث تزوج وتبسّط على الأمان وبقي يتردد إلى داره في تاربه - أولاً - في السر ثم تعالن. ويقال أن الحكومة الكثيرية جَدَّت في طلبه فلم تقدر عليه، وبأثرِ ذلك ركِب إلى السواحل الأفريقية عن طريق سيحوت، ومن ذريته بها: آل مِحْضَار، وآل إسماعيل بن أحمد. وهؤلاء هم مناصبها وأمراؤها وكان لهم الضلع الأقوى في الفتنةِ التي قامت بتريم سنة ١١٦١ بسبب تابوت القُطب الحَدّاد، فإنَّ آل العيدروس جَدّوا في منعه ومعهم آل جابر، وإل الحداد صمموا على وضعه ومعهم آل كثير ومنصب الشيخ أبي بكر بن سالم، وأمّا يافع فافترقوا ووارربوا، وكانت النتيجة أن التابوت وُضع على قبر الحداد، ثم أُحْرِق، ثم رُمِّم، ثم وُضِع، ثم أُزيلَ. ولذلك حديث طويل مستوفىٰ بالأصل.

ومن آخر مناصب آل إسماعيل بن أحمد: السيد محمد بن حسين، وكان شهماً شجاعاً محباً للعلماء كثير البِر بأُمّه، وله مع المنصب السيد عبد القادر بن سالم مداعبات ومفاكهات تشهد بسلامة الصدور والبُعد من التصنع والتنطع والتكلف، وكان بينه وبين العلامة الجليل السيد أبي بكر بن شهاب مشاحنةً يُوَسِّعُها العلويون توسيعاً هائلاً، كياداً لابن شهاب وحَسداً له، إذ كان للمنصب

السيد محمدبن حسين إذ ذاك نفوذ كبير على الدولة آل عبد الله بسيوون وتريم وعلىٰ آل جابر وعلىٰ كثيرٍ من العوامر، وضالّة العلويين ـ إذ ذاك ـ أذيّة العلامة ابن شهاب ومضايقته وإهانته، فأذكوا نار العداوة بينه وبين المنصب المذكور، حتى لِحقهُ كثير من الأذى، فلم يكن من ابن شهاب إلاّ أن جاء ليلةً بخفارةٍ قوية إلى دار الشيخ أبي بكر بن سعيد الزبيدي في «سِحِيْل مُحسن» وكان له صديقاً وخفّا من آخر الليل إلى جامع باعبد الله، حيث كان المنصب يتهجد هناك، فتصافحا وتعانقا وتباكيا، واستحالت الصهباء، وصار المنصب من أكبر أصدقاء العلامة ابن شهاب، وترافقا في سفرة لهما من حضرموت إلى الشِّحر ثم إلى عدن ثم إلى الحَجْ. توفي المنصب المذكور في سنة ١٣٢٥ وخَلَفَه ولدهُ محمد بن محمد وكان سليم البال أبيض السريرة، وفي أيامه ـ سنة ١٤٣٢ـ نشر الشرَّ أُذنيه بين آل تريم وآل العيدروس، بسبب أن آل العيدروس أرادوا بناء حصن إلى جانب حصنهم المُسمَّىٰ بحصن العِز، في حد ثِبي الشمالي فمنعهم آل تريم، فغضب لذلك السيد علوي بن عبد الله بن حسين ووافقه أكثر آل العيدروس، واشتعلت الفتنة ثم سُوِّيت القضيّة في سنة ١٣٤٤ على يد السيد حسين بن حامد المِحْضَار، فقضىٰ بهدم بعض الحصن الجديد، وإلى ذلك الإشارة بقصيدتي المُسْتَهلّة بقولي:

علىٰ العِزِّ يبكي ملء عبرته الناعي هَوَى حصنهُ يا ويح بانٍ وصَنَّاعِ

ولها قصةٌ طريفة مستوفاة ـ مع أخبار تلك الحادثة ـ بالأصل، وفي ديباجته القصيدة من الديوان. توفي المنصب السيد محمد بن محمد بن حسين في سنة ١٣٥٤ واختُلِف فيمن يتولّىٰ بعده، فالسلطان علي بن منصور رَشَّح لها ابنهُ محمد المُلَقَّب بالفاخر وكان شهماً إلاّ أنه غائبٌ بجاوا فأراد أن ينوِّب عنه أخوه إلى وصوله، ولكن آل العيدروس أسندوا المَنْصَبه إلى السيد حسين بن عبد الله بن حسين العيدروس، ثم لمّا توفى أسندوها إلى أخيه السيد محمد بن عبد الله بن حسين وهو الذي عليها اليوم، إلاّ أنه ضَعُفَ نفوذهم كما قَدمنا في بور بمضايقة الحكومة لهم.

وفي باعبد الله جماعةٌ من ذرية السيد أحمد بن علي بن الحسن بن الشيخ أبي بكر بن سالم يُقال لهم (آل بو فطيم)، منهم السيد عمر بن سالم وكان شهماً غيوراً أبيّ الضَيْم قوي النفس، وكانت لديهم ثروةٌ في المال والرجال فبدا لهم أن يبتنوا مسجداً بفناء دورهم الضخمة في سنة ١٣٠٧ ولمّا شرّعوا فيه منعهم السادة

آل العيدروس، وتداعوا للقتال، واستعان آل العيدروس بآل كثير وجاء الشيخ عائض بن سالمين في جمهور منهم بصورة المساعدين لهم ولما وصلوا تاربه استقبلهم أحد العوامر الذين في جانب آل بو فطيم بقوله:

حيا بكم يا أهل النكف يا أهل الطرف

يا اللي تهابون المعار

أن لا تِقدَّى العيدروسي واعترف

بانحرق الوادي بنار

فقال عائض أجيبوه فأجابه سعيد بن محمد بن عمر بن علي الذي لا يزال حتى الآن موجوداً بقوله:

يا حاز أن بابحزيك ياذيب افتني

يا زاهد المعنى وحرف الافتكار

عود الدقل صاري معا غُبة قمر

حافظ على السنبوق من دق القشار

ثم إن آل بوفطيم ارضوا عائض فأخذ يهول على آل العيدروس بأن منع بناء مسجد من المنكرات ولم يدر حكم ذلك الذي قررناه في الأصل. ثم إنه انصرف ولم ينفع آل العيدروس بشيء وما زالت القضية تتعقد حتى توسط سيدي الأستاذ الأبرّ فسوّى المسؤلة على أن يكوْن مسجداً صغيراً لا يزيد عن عمودين، فسكن الشر، وفرغوا من بنائه في سنة ١٣٠٨ فكان تاريخه (مسجد ضرار)، ثم نجمَ الشر بينهم مرةً أخرى يوم العيد في الجامع فتضاربوا بالعِصيّ وكان ما فصلْناه بالأصل، ثم ضعف أمر آل بو فطيم وقَلّت رجالهم وتبدّدت أموالهم. ومن اللطائف أن أحد الزعماء العلويين أطالَ في تهضم آل بو فطيم والحطّ منهم، وأنا وناس منهم حاضرون، فانبريت له وقلت: أمَا تكَنّى جَدُهَم ببو فطيم، فشرفٌ لهم وكيف لا والنبي ﷺ يُكْنَى بأبي فاطمة. وأمّا التصغير فما هو إلاّ أدب مع جدهم وجدتهم الزهراء، فانقطع.

ومن وراء باعبد الله، إلى جهة الشرق عن يمين الذاهب أيضاً دار صغيرة لآل كليلة تقابل دارهم الأخرى التي عن يسار الذاهب إلى تريم. ومن ورائها دار لآل بو فطيم. ومن ورائها شرمة.

وأمّا عن يسار المنحدر إلى تريم فأول ما يكوْن: مكان آل كريثم، ثم كساح مساكن آل سالم من الحطاطبة، ثم مكان آل غرّيب وهم وآل خميس أهل السِحِيْل القِبْلي ينتسبون إلى رجلٍ واحد، ثم مكان **آل جعفر**. وقد سبَقَ في القارة أن شنبل [1] لا يُطْلِق لقب (الشنافر) إلاّ على: آل عبد العزيز، وقد تشككت هل يعني «آل القارة» أم «العوامر»، ثم ترجّحَ الثاني. ويتأكد بما أتّفق عليه جماعةً من مُعَمَّرِي العَوَّمِر، تَلقّوه عن آبائهم وهلم جرا، من أولئك الشيخ عوض بن ربيع بن سيف، وناصر بن الضب، وصالح بن عبد الله بن غريب. وهو أن جدهم عاشَ مع الوحوش فلم يعرف الكلام، وما كاد أهلهُ يقدرون عليه إلاّ بعد لاءىّ ما، وعندما قَدَروا عليه أمسكوه وما زالوا به حتى أنس بهم، وكان أول كلمةٍ تكلم بها: الشن إنفرى، وكأن رأىَ شنّه انشقت وهراق ماؤها، ولمّا كانت أول كلامه، أطلقوها عليه، ثم غيروها قليلاً وقالوا: الشَنْفري. هذا هو جدّ العَوَامِر. وفيه نقض لما طَرَق سمعي أخيراً عن بعض المجلات المصرية أنّ من لم يعرف الكلام ـ لبعدهِ عن الناس ـ يموت. وقال بعضهم إنما كان جد العوامر عدّاء كعمرو بن مالك الأودي العداء الشاعر المشهور بالشنفري فاطلقوا عليه لقبه لأنه عدّاء مثله وقال التبريزي في شرح الحماسة قال أبو العلاء تكلم بعض الناس في اشتقاق هذا الأسم فزعم قوم أنه يراد به الأسد وقيل الجمل الكثير الشعر ويجب أن يكون من قولهم شنافره إذا كان حاداً اهـ. ولا يبعد أن يكوْن العوامر من أعقاب سُمَلْ الذي صَهَر إليه جدّنا عبيد الله بن أحمد.

وكان مثرَى العوامر بالنَجْد، منتشرين فيه وفي وَبَار [2] إلى أرض عُمَان. ولا يزال بمشارف عُمَان ـ كما سبقَ في حصن العوانزه ـ العدد الكثير منهم إلى الآن. وفي أوائل هذه المسودّه أن «تاربه» لم تكن إلاّ مراعي ينتجعها العوامر إذا أجدبَ نَجْدَهم، ثم تحضّر بعضهم وابتنوا بها الدِيَار وشيّدوا الحصون، ولهم في أنسابهم أقوال تُخالف ما ذكره غيرهم، منها أن رجلاً يُقال له محمد وله أربعة رجال: عبد الله وهو جدّ الدولة آل عبدالله وآل عبد الله العوينيين (وهم إل منَيباري وإل جعفر بن بدر)، والثاني: بدر وهو جدّ آل كثير ويؤيده أصفاقهم على أنهم

---

(١) شَنْبَل: لقب المؤرخ أحمد بن عبد الله بن علوي بن حسن.

(٢) وَبَار: اسم قرية قديمة كانت قائمةً في صحراء «الرُبْع الخالي»، ما بين اليمن وعُمان وسيأتي ذكرها.

آل بدر بن محمد. والثالث: جابر وهو جدّ آل جابر، والرابع: عامر وهو جدّ العوامر وكان في العوامر كثرة لكن أخذَت حاضرتهم الأسفار وباديتهم الحروب والجدوب والغارات، فلا يزيد أهل نَجْدِهم عن مائتين وخمسين رجلاً كما لا تزيد حاضرتهم عن مائتين وعشرين رجلاً.

شَرْمَه:

هي قرية الكسابيب من العوامر، ولهم بها مسجد يجمعون فيه، وكان بالأخير منهم: رجل نَجْد ثِقة يُقالُ له «هادي بن بِخيت» ثقل على بعض منافسيه رجحان كفَّته عليه، وانضمّ إلى ذلك أن بعض أهل الثروة حملهُ على قتله، فلم يقدر، فأغرَى به ابن عَمٍّ له صغير فقتلَه على غرّه، ونضخَ دمهُ في ثياب أحد الكسابيب فتقنّع وأنكرَ من شهودِهِ القتل، وما كاد ولده هادي يبلغ الحَنْث إلاّ وأغرتهُ أُمّه بأخذ ثأره فقتل قاتل أبيه، وأقرّ بصنيعه العيون، وأثلجَ الخواطر. وقد أوذيَ وحُبِسَ من جهة الحكومة بدون حق، ثم أُطْلِق.

والكسابيب، وإن كانوا قبيلةً واحدةً، فهم كأكثر فِرق العوامر بيوت كثيرة، ومنهم آل كبري، ولهم مساكن في شَرْمَه وأخرىٰ بِسُمَل حوالي ضريح الإمام علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى، ولهم هناك بساتين نخل حواليها، واتّفق أن تنازعَ في سنة ١٣٦٠ أمبارك بن عمر بن كبري وكرامَه بن عيسى الدويل على قطعةِ أرضٍ بمسيال سر، حوالى الجبل الشمالي إزاء شرمه الواقعةِ بسفح الجبل الجنوبي، فالتقوا ذات يوم وتبودل بينهم إطلاق الرصاص فسقط أحدهم وهو أمبارك بن عمر بن كبري ميتاً، وأنكر قتله آل الدويل وقالوا إنما أصَابته طلقة من أصحابه، ولم يطلبوا صُلحاً، وتقدم آل كبري بإعلان للعوامر: أن لا يعطوا خفيرا لآل الدويل، ولكن الحطاطبة لم يبالوا بهذا الإعلان، وفي رمضان من سنة ١٣٦١ كان كرامه بن عيضه بن الدويل يمشي ومعهُ خفير من الحطاطبة يُقال له سالم بن صالح بن حاضر، فهجمَ عليهما آل كبري وقتلوهما معاً، فغضبت الحطاطبة لقتل ابن الدويل أكثر مما غضبوا لقتل صاحبهم، لأن قتل الأول - إلى جانب صاحبهم - يلطخهم بالعار، فأنذروا الكسابيب بالحرب، فتبرأوا من آل كبري، وبما أنه لا طاقة لآل كبري بحفظ ديارهم في شرمه وديارهم بسمل لِقلّتهم، ذهبوا إلى سُمَلْ وأخلوْا ديارهم التي في شرمه بالنساء ثقةً بأن الكسابيب - وإن تبرأوا منهم - لن يرضوا بتمكين الحطاطبة منها لأنّها بين ظهرانيهم ليس فيها

إلاّ نساؤهم. ولكن الكسابيب لم يبالوا بشيءٍ من ذلك، فهجم الحطاطبة على ديار آل كبري بين الكسابيب وطردوا النساء ونهبوها ثم أحرقوها، وبأثرِ ذلك توسط بينهم أحد آل تميم وهو سليمان بن عبد الله بن سليمان، فأبىٰ الحطاطبة من بذل الصلح في سالم بن صالح بن حاضر، حتى يغسل آل كبري العار الذي ألصقوه بهم بخفر ذمة صاحبهم، وكان لآل كبري طمع في مال أمبارك بن عمر بن كبري، ولم يَبْقَ له إلاّ ولد واحد، فزيّن لهم الشيطان أن يلقوا القبض عليه ويقتلوه صغيراً، وبذلك تجلل الكسابيب الخِزي والإثم إلى يوم القيامة.

سُمَل:

جاء في ترجمة سيدنا عبيد الله بن أحمد من شرح العينيّة ما نصه: وهو الذي خَلَف أباه زُهداً وعِلماً وورعاً وعبادةً، وارتحل بعد والده إلى سُمَل، ووهبَ أرض صوح لمولاه جعفر بن مخدم، واستوطنَ بقرية سُمَلْ واشترىَ بها أموالاً وتزوجَ بأبنة سُمَلْ وأولدها إبْنَهُ جديداً، وتوفي بِسُمَلْ سنة ٣٨٣ ورثاه جماعةً من الأدباء، وللمتأخرين فيه مدائح كثيرة .اهـ. ولو أنه تفضل علينا بنسب سُمَلْ وذَكَر لنا مراثي أدباء العصر أو أسمائهم على الأقل لتوفّرَ منه للتاريخ فوائد جليله، ولكن الأمر لله وليس في أيدينا إلاّ ما حصل. وقال في «شمس الظهيرة»: وقبر علوي بن عبيد الله بِسُمَلْ وأمّا قبر أبيه فبعرض بور وقيل بِسُمَلْ اهـ بمعناه. وفي كون قبره بعرض عبد الله ـ مع أن وفاته بسمل ـ إشكال قوي، ولهذا يترجح دفنهُ بسمل وأنّ الذي بعرض عبد الله ليس إلاّ مشهداً له على ما يفعلهُ الجهلة بحضرموت. ولعبيد الله ثلاثة أولاد: بصري ولم يُذكر محل ولادته، وعلوي، وجديد، وُلِدَا بحضرموت وكانت وفاة هؤلاء الثلاثة بسمل، ولم يتحقق تاريخ وفاتهم. وفي كلام شرح العينية بعض التناقض عن ولادتهم، ففي ص ٢٢٣ منه يقول: وخرجَ سيدنا المهاجر أحمد بن عيسى ومعهُ ولده عبيد الله وأولاده الثلاثة: علوي وبصري وجديد إلى وادي حضرموت .اهـ. وفي ص ٢٣٢ يقول أن علوي بن عبيد الله ولد بحضرموت. وجاء في ص ٢٣٥ أن بصرياً شقيق علوي ـ أُمهما بنت الشيخ محمد بن عيسى ـ تُدْعَى أم البنين. وفي ص ٢٣٩ أن جديداً ولد بحضرموت. ولهذا سُمّي جديداً لتجدده بعد السفر وأُمّهُ أم ولد .اهـ. وقوله أن أمّه أم ولد مخالف لما سبق من أنها بنت سُمَلْ، وليس لعلوي بن عبيد الله إلاّ ابن واحد وهو محمد، وقد بقي ـ هو وبنو عَمّيْه: بصري وجديد ـ برهةً من

الزمان بقرية سمل ثم ارتحلوا عنها إلى «بيت جُبير» كما في مشرع الشِلّي وشرح العينية وغيرهما، وقبر الإمام علوي بن عبيد الله لا يزال معروفاً بسمل، وأمّا قبر جديد فلا يُعرف وقد قيل أنه انتقل في حياته إلى بيت جبير.

قارّة الشّناهِزْ:

قال في القاموس: الشناهز، قلعة بحضرموت. قال شارحه: والصواب «قارة الشناهز» وهي مشهورة عندهم .اهـ. وهي مبانٍ على قارةٍ فارده لها ثلاثة رؤوسٍ، في جنوبها جبل بسفحه قرية لابأس بها كان من سكانها السيد طه بن محمد بن شيخ بن يحيى وبها كانت وفاته، وحواليها مزارع كثيرة وإليها يُنْتسب جماعة من أهل العلم، وقد اجتمعَ بها ـ حسبما سمعت من ثقاة الأشياخ ـ خمسون حافظاً لكتاب الله عزّ وجل، وفي «شمس الظهيرة» أن عبد الرحمٰن ـ صاحب مسجد بابطينه ـ ابن أحمد بن علوي، عم الفقيه المقدم، له أربعة بنون، منهم: عمر أحمر العيون بن عبد الرحمٰن (من عقبه آل النضير بمقدشوه) ويُقال له: الصنهجي أو الشنهزي لأن أمّه من صنهاجه من القارة المذكورة، وجَدُّ آل النضير هو أحمد بن عمر أحمر العيون ـ الثاني ـ بن محمد النضير (سُمِّي بذلك لفرط جماله) بن عبد الله بن عمر، وهو أحمر العيون الأول. وقد هاجر أحمد بن عمر أحمر العيون الثاني من تريم ـ في الألف من الهجرة ـ إلى مرباط ثم إلى الشِّحر وتزوج وأولدَ منها ولداً سمّاه علوي، ثم ركبَ إلى مقدشوه ووصلها في سنة ١٠٠٣ وتوفي بقرية في السواحل سنة ١٠٢٧ وله أعقاب بالسواحل وسيلان وبرنيو وسورة ومقدشوه. وفيها منهم ـ الآن ـ الفاضل النبيه السيد علي بن أبي بكر بن محمد بن عيدروس النضيري، له خدمه للجناب النبوي ودعوة إلى محبته، والاعتصام بسنته، وله وجاهة، وعنده ولد ذكي هو عيدروس يشد أزر أبيه ويساعده على مقاصده. ومنهم علي بن الرحمٰن الشنهزي وأعقابه، وهم والقطب الحدّاد والسادة آل سميط يرجعون إلى جدٍ واحد حسبما سبق في الحزم. وقد أَصْفَقَ مؤرخو حضرموت على بناء القارة وخراب كحلان سنة ٦٠٤ وما أظنها إلاّ هذه بأمَارة قربها من كحلان أمّا قارة العُرّ ـ السابق ذكرها ـ فلا تُذْكَر مطلقة، وإنما تُذْكَر مُقيّدةً بالعُر، وقد سبق أن ابن مهدي أعادَ عمارتها في سنة ٦١٩ فيبعد أن تكوْن هي المرادة، وكذلك لا يمكن أن تكوْن قارة العز ـ بالمعجمة ـ وهي الآتي ذكرها لأنها لم تُبْنَ إلاّ في سنة ٨٤٢ وعمارة قارة

الشناهز بالتاريخ المتقدم لم يكن بأول أمرها بل كان تجديداً وإلاّ فهي من أيام الجاهلية بل من الديار العاديّة. وعن العلامة البصير أحمد بن حسن العطاس أن أول من بناها: جُشيب بن شلهم بن شماخ .اهـ. ولعله انتقال فِكر إليها عن «قارة جُشَيْب» الواقعة على مقربةٍ من بور.

ومقبرة «قارة الشناهز» مشهورةً بكثرة الأولياء الصالحين، وبما يكاد يتواتر أنه يسمع من تربتها أذان من آخر كل ليلة جمعة إلى اليوم.

وفي حوادث سنة ٥٩٥ حَصرت الشناهز تريم. وفي سنة ٥٩٨ كانت واقعة الشناهز ونَهْد في رمضان، واختلفت آراؤهم. وفي سنة آخر الشهر وقعت الشناهز على نهد فأخذوا فريقاً منهم وقُتل فيها يزيد بن يزيد. وفي تاريخ باشراحيل أن حضرموت الكسر وشِبام والشناهز تجمّعوا وأخربو «قارة جُشيب» و «حبوظه» و «كحلان» في سنة ٦٠٥ انتهى. وهذا التاريخ قريب مما سبق عن خراب كُحلان، فإمّا أن يكوْن واحداً، وامّا ان يكون بقي شيء عن الخراب الأول فأكملوه. وفي حوادث سنة ٧٤٦ أخذ أحمد بن يماني قارة الشناهز، وفي سنة ٧٧٣ القى راصع القبض على ولد عمه يماني بن محمد بن أحمد، فقتلهُ أخدامه بأمره في قاهرة الشناهز بالنهار وفي هذه السنة وَقَع الحِلف بين راصع بن دويس وآل كثير وآل جميل وأخذوا قاهرة الشناهز من الصبرات. وفي حوادث سنة ٧٩١ أن راصع أخذَ قارة الشناهز، وفيه دلالة على سرعة تقلب الأحوال على القارة المذكورة، ودولتها في الأكثر للشناهز وقد بقي منهم جماعة من الحراثين، من آخرهم رجل يُقال له: صالح بن عوض الشنهزي، كان له شيء من المال طمع فيه أحد شياطين آل تميم، فأغرىٰ به عبداً من عبيد القرامصة يقال له كليواس فقتلهُ واستولى هو على ماله، وكان ذلك حوالى سنة ١٣٥٠. وقد سبقَ في سَدِبْه أن الطير يعفّ عن التعدي على زروعها وكأن فيها أرصاداً تمنعها من ذلك إن صَحّ ما قيل.

الغُرَفْ:

هي بلدةٌ صغيرة في موقع جميل، يحيط بها الفضاء الواسع من كل جهةٍ. تنشعب منها الطرق، فعلى مقربةٍ منها ـ في شمالها ـ تمر الطريق السلطانية التي تجيء من أعلى حضرموت إلى أسفلها، ومنها ـ إلى الجنوب ـ تمر الطريق المتجهة إلى الشِّحر والمُكَلاّ وغيرهما من السواحل. وهي من القُرى الحديثة العهد، فكانت لآل زيدان القرامصه التميميين فاشتراها منهم السلطان عبد الله بن

محسن بن أحمد الكثيري لأخيه السلطان غالب بهمة جدي المحسن وإشارة سيد الوادي الحسن بن صالح البحر ومساعدة جبل العبادة عبد الله بن حسين بن طاهر بألف ومايتي ريال. والمبيع إنما هو إمارتها لارقيتها وكانت أول دولتهم بحضرموت ولما بدأ السلطان عبد الله بن محسن يسوّرها ثارت ثائرة القرامصه حتى أرضاهم بنافلةٍ من المال. وكان يسكنَها السيد الجليل الداعي إلى الله بلسانه وقلمه: الوالد عثمان بن عبد الله بن يحيى حفيد العلامة الفاضل الجليل عقيل بن عمر بن يحيى، له مؤلفات كثيرةً في خدمة الدين الإسلامي، ويد بيضاء في نشر دعوته وشرح أسراره بين الجاويين ولما وردت جاوا في سنة ١٣٣٠ وجدت جماعةً من الناس يناوئونه منهم السيد محمد بن عبد الرحمٰن بن شهاب والسيد عبد الله بن علي بن شيخ العيدروس ومن على شاكلتهم من الرهط الذي كان يبث مبادىء الإرشاد في الحضرميين لغرض التشفي والانتقام منه ومن أمثال السادة الأجلاء الكرام محمد بن أحمد المحضار ومحمد بن عيدروس بن محمد الحبشي وعبد الله بن محسن العطاس وأمثالهم ثم انقلبوا بشده، وحرد لنقض تلك المبادىء فاشعلوا نار الفرقة والاختلاف والعداوة بين الحضارم حسبما هو مفصّل بالأصل وكاد أولئك الرهط يستميلني إليه واشتد حرصه على أن ينفرج الأمر بيني وبين سيدي الوالد عثمان وكدت أقع في حبالتهم لا سيما وقد زودني أهل فلمبان بشيء من ثمار نياتهم ومبادئهم التي كان يبثها فيهم أحد أحفاد السيد عثمان ضد جدّه غير أن الله عزم لي بالثبات لأنه دعاني إلى بيته واهداني مجموعة مؤلفاته القيمة معنىً وان لم تبلغ الإجادة مبنىً ورايته بخلاف ما ذكروا لي عنه فاكبرت صنيعه واحمدت أثره واعترفت بفضله ورأيت من سلوكه في طريق الحق ومجاهدته فيه ما ملأ صدري باحترامه وإجلاله وهو متلزم بالسنه والفقه ولقد جاء ذكر الكرامات بين يديه فانكر مجازفة المغرورين فيها انكاراً شديداً وقال لقد كنت مختصاً بخالي وسيدي عبد الله بن حسين بن طاهر وهو ممن لا تدفع ولايته وجالسته زماناً طويلاً فلم أر منه إلا كرامتين ليس فيها خرق عادة وإنما، أولاهما أنّه خرج يصلي العصر وعليه رداء فتنني وتمنيت أن لو كان لي مثله ومرت صلاتي وأنا أفكر فيه وما كان ينفتل من صلاته حتى دعاني وقال لي هذا الرداء لك وأعطاني مفتاحه الخاص لآتيه برداء آخر وصفه لي ولو لا أنه تفرّس ما في خاطري ما خالف عادته من عدم الكلام إلا بعد فراغه من ورده. والأخرى أن السيدين محمد وعمر ابني السيد عبد الله بن عمر بن يحيى عزما على الانتقال سرّاً

من المسيلة وتكتما بالأمر حتى لا يشعر فينهاهم وأردا أن يعلم إلا بعد الأمر الواقع فلما صلينا العشاء وفرغ من ورده ونافلته قال لي ادعهم لي فدعوتهما فقال لهما إذا عزمتما على أمرٍ فشاوراني فعندي ماليس عندكما من العقل وقد جربت الزمان وأهله، لم يزد على ذلك فسكتا ولكنهما انصرفا عما كانا نوياه وأنا على يقين إنه لم يكن إلا عن فراسةٍ صادقة إذ لم تعلم حتى ثيابهم بما كانوا يبيتون ولقد حفظني بظهر الغيب ورد على صحيفة الوطن بنشرة خاصة فنّد بها ما تكلمت به عليَّ وطبع نشرة أخرى أشرك معي فيها السادة محمد بن حامد السقاف وحسن بن علوي بن شهاب ومحمد بن عبد الرحمٰن بن شهاب في الثناء علينا والنضال عنا مع أن الأخير كان ينافسه ويبتغي له الغوائل ويدبر له المكايد ولمّا خلى مكانه في سنة ١٣٣٢ لم يستطع أولئك الرهط الذي ملأ نواحي جاوا بقاقاً وأوراقاً أن يشغل مكانه بأحد ممن كان يرشحه ويتمنى أن لو كان في موضعه فجاء موضع قول الحطيئة

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ومن اللطائف أن سيدي عثمان وقتما كان بالغرف إعتلَّ ـ يوماً ـ عن حضور الجمعة ببعض أعذارها ومن شأنه التبكير ـ يومها ـ إلى الجامع، فكل من جاء إلى الجامع ولم يجده رجعَ متوهماً أن الوقت لم يدخل، وهكذا حتى بقي الخطيب وحده.

ومن أهل الغرف: ولده العلاّمة البحّاثة المحقق الفقيه محمد بن عثمان، كان من استحضاره «تحفة» ابن حُجر كأنما يحفظها، توفي بسنقافورا في سنة ١٣١٦، ومنهم ولده علوي بن عثمان كان من أهل العقل والدين والصلاح، توفي حوالى سنة ١٣٤٤ ومنهم ابنه محمد بن علوي بن عثمان كان شهماً صالحاً، لمّا حضره الموت توضأ واستاك وأخذ يكرر الجلالة حتى فارق الحياة، وكانت وفاته قبل وفاة أبيه. ومنهم صاحب النوادر اللطيفة والنكات العجيبة: عقيل بن عثمان بن عبد الله بن يحيى كان شاعراً أديباً له يد في التاريخ حتى لقد هنأني على الرويه يومَ اقترنت بأم حسن وأشقائه بقصيدةٍ طولى كل شطر منها تاريخ، أخذَ عن والده وعن سيدي الأستاذ الأبرّ وعن والدي وله فيه مدائح، ولغزير الإحسان الوالد أحمد بن عمر بن يحيى فَضْل عليه، ولقد حضرت عنده أنا وهو ـ أعني الوالد أحمد ـ قبيل موته بيوم، فقال لي: مَرّ عليَّ مثل هذا اليوم العام الماضي وأنا

أشقىَ أهل المسيلة حالاً، ثم أنني اليوم بفضله، أسعدهم، يبتدرون إشارتي إذا أشرت ويتسابقون في مرضاتي إذا أمرت، وكانوا لا يردون عليّ السَّلام قَبْل. ثم قلت له: أو قال لي: ما أراني إلاّ متوفي في مَرَضِي هذا، فماذا تفعل؟ فقلت: أرثيك بقصيدةٍ أستهلها بقولي:

مصابٌ أصاب الناس وهو جليلُ غداة أتىٰ الناعي فقال عقيلُ

فقال: يكفيني منك هذا، وإنه لكثير. توفي بالمسيلة سنة ١٣٤٦.

وفي حدود سنة ١٢٩٨ كان أحد عبيد الشيخ صالح بن عائض بن جخير يخفر السيد محمد بن عبد الرحمٰن الكاف بتريم، فاستاء السلطان الكثيري من جرأة الشيخ صالح وجواره عليه في بلاده، فطردَ العبد، وانتهك حرمة الكاف، والعار عند الشيخ صالح مُضَاض، فلم يكن منه إلاّ أن اقتحم الغرف واحتلها في أسرع وقت وطردَ عبيد السلطان منها، وجاءت نجدات الدولة من تريم وسيوون والتحمَ القتال، وقُتل أحد العوامر وثلاثة من أصحاب الدولة، وما زالوا في الحرب حتى وصل المنصب السيد عبد القادر بن سالم العيدروس من بور بطبوله وخيوله ورواياته فحجزَ بينهم وأخرجهم منها صُلحاً لا عنوةً بعد أن غسلوا العار، واستجهروا الأبصار، وسوِّيت القضية على ما يحبه الشيخ صالح. وأخبرني الأخ عقيل بن عثمان ـ المذكور ـ بأن أهل الغرف خرجوا في فسحةٍ، ولمّا تهيأ غداؤهم وكان شُرْبَةٌ جاء بعض أعدائهم فطردهم عن موضع الفسحة، فهربوا وتركوا الشُّرْبَة. ولهذا كان الناس يعيرونهم وصاروا يغضبون من ذِكْر الشُّرْبَة كما يغضب آل شِبَام من ورن الهر. وللأخ عقيل منظومة جميلة في ألقاب البلاد الحضرميّة. وكان الوالد أحمد بن عمر بن يحيى يصنع بالمَسِيْلَة عشاءَ من الشُّرْبَة للمساكين في كل ليلةٍ من رمضان، فحقدوا عليه أهل الغرف وكان له معهم مِثل ما كان له مع الشيخ سالم باسويدان. وأخبرني الأخ عقيل ـ المذكور ـ بأن أكثر أهل الغرف ماتوا بحسرةٍ من قِلّة الترفيق في قنص الوعول، إذ كان الغالب عليهم الإخفاق والخيبة كلما صعدوا الجبال لذلك، وفيما هم يستعدون مرّةً للقنص وبدأوا حسب عادتهم قبله في الأَسْمَار والأَشْعَار، استقدموا شاعراً يستعينوا به في أفراحهم، فكان أول ماأنشأه لهم قوله:

قال بَدّاع القوافي بارِق الجودات رَفَّ

من خُلُقْنا، ما سمعنا زَفّ عند أهل الغُرَف

فطردون، وكادوا يَسْطَون به.

وقد اعتنت الحكومة الإنكليزية بالغُرف في السنين الأخيرة واحتلتها واتخذتها مقرّاً لإدارتها العامّة، ولكن بدون استيذان حسبما يقول السلطان عبد الله بن محسن منهم وهم مُلاّكها، ثم نَقلت إدارتها منها إلى سيوون.

المَسِيْلَة:

بميم مفتوحة ثم سين مكسورة ثم ياء ساكنة ثم لام مفتوحة. سُمِّيت لأنها على ضفة مسيل عِدِم الغربية. وعِدِم ـ بعين ودال مكسورتين ـ أكبر لا أكثر مجاري السيول بحضرموت، تنهر إليه مياه النَجْد الجنوبي بحضرموت، عدا ما يسقط إلى الساحل وما يفيض إلى وادي سَنَا. وكل مياهه تذهب ضياعاً لا تنفع إلاّ ما في عين المسيل من النخيل. وتلتقي مياهه مع مياه سَرْ عند طرف جبل كُحْلان. والمسيلة هي مسكن السيد شيخ بن أحمد بن يحيى ولذا قيل لها (مسيلة آل شيخ) قال السيد أحمد الجنيد: منهم أبو بكر وعبد الله إبْنَا عمر بن طه بن محمد بن شيخ، كانا فاضلين، وقد انتقلا إلى «عينات» واستوطناها حتى ماتا، فأما عبد الله فقد انقرض عقبه من الذكور، وأمّا أبو بكر فترك ولده عمر فعادَ إلى المسيله وبنى عندهم الحبيب حسين بن طاهر بن محمد بن هاشم مسجده وداره الذي سَكَنهُ ـ بعده ـ أولاده: طاهر بن حسين صاحب النهضة المشهورة المتوفى بالمسيلة سنة ١٢٤١، والحبيب عبد الله بن حسين الذي لا تستوفي العبارة كَنَه ما لَهُ من الفضل، المتوفى بها سنة ١٢٧٢. وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط أن أباهم فَرَّغهم للعلم، وسافر إلى جاوه نحو ثلاث مرّات. ومن آل طاهر: شيخنا السيد الجليل أحمد بن عبد الله بن حسين بن طاهر، كان جبلاً من جبال الحلم والعبادة، توفي بالمسيلة في جمادي الآخر من سنة ١٣١٧هـ. ومنهم هاشم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن حسين بن طاهر، كان من أهل الصلاح والعبادة والإذكار، توفي بعدن في رجب سنة ١٣١٦، وله ولد ذكي، [اسمه محمد] ناظم ناثر، تقلَّبَ في الأعمال المدرسية بفليبان ثم في جاوا ورأس التحرير بجريدة «حضرموت» ثم عادَ إلى حضرموت وَ وَزَرَ للسلطان جعفر بن منصور، وهو الآن يُدَرِّس بمدرسة جمعية الأخوّة والمعاونة بتريم. ومنهم السيد أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن طاهر، له جاه ورئاسة بالتيمور، ثم وصلَ إلى المسيلة ومعه الأعلام الحريرية المُحلاة بالذهب البِبر والطبول والخيول، توفي بالمسيلة سنة ١٣٣١ وأبقىٰ عَتاداً نفيساً وأثاثاً فاخراً وعُلُوقاً مُثمَّنة، تولاّها أحد

خُدّامه بعدن فعَاث بها عيث الجراد بالزروع، فلم يُبق لأولاده الصغار إلاّ ما لا يُسْمن ولا يُغني من جُوع. ومنهم أخوه الخفيف الظل: عبد الله بن عبد الرحمٰن بن حسين بن طاهر، كان ظاهر التقوَى والوَرَع، وله معرفة بالطب، وتَعَلُّق بالسيد فضل بن علوي مَوْلَى خيله وطول صُحْبَةٍ معه في الإستانة، ولِين جانب، ولطف أخلاق، وحُسن محاضرة. توفي بالمدينة المنوّرة في رمضان سنة ١٣٥٢هـ. ومنهم السيد الفاضل أحمد بن طاهر بن أحمد بن طاهر بن حسين، له اعتناء بالأوراد، توفي بسنقافورا في رمضان سنة ١٣١٤هـ. ومنهم العلامة السيد عبد القادر بن أحمد بن طاهر بن حسين، له سِعة اطلاع، توفي بالمسيلة سنة ١٣٠٠، وقد عاش طاهر إلى وفاة الحبيب عبد الله بن حسين مع (آل يحيى) على عبادة الله ومُدَارَسة العلوم والأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر، وكان الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى جبلاً من جبال التقوى وبحراً من بحور العلم، توفي بالمسيلة في سنة ١٢٦٥ بأثر وفاة ولدٍ له شديد الأسر، حديد الفهم، يعرف مواقع رِضاء أبيه ويفعل ما يُحِبَّه من غير إشارة، حتى لقد وردهُ السيد حسن بن حسين الحداد وحدهُ فذبح له كبشاً ساحاً كبيراً، وما كاد يستقر به المجلس حتى دعاه وسارع بقوله: إذبح الكبش الفلاني ـ يعني المذبوح ـ وإنما لم يَكْتَفِ بعمله، حسب العادة، لإيثاره الخروج عنها بذبح الكَبْش الكبير لواحدٍ، فقال لوالده إنه لم يأتِ إلاّ وحده مع خادم واحد يكفي له رأس صغير. فقال: لا تُراجع واذبح الكبير، قال: قد ذبحته. فَسُرَّ منه وقَرت به عينه. واسمه أبو بكر)، وسمعت والدي يروى عن الأستاذ الأبرّ أن قصة ذبح الكبش للحدّاد وقعت للحبيب عبد الله بن حسين مع أحد أولاده، والذي يرويه آل يحيى بحذافيرهم: الأول، والأمر قريب والتعدد بعيد. ثم توفي بعده ـ بها ـ ولده العلامة الجليل عمر بن عبد الله في سنة ١٢٧٧ ثم أخوه الصوفي الفقيه محمد سنة ١٣٠٨ ودُفن بها. وكان الشيطان ـ كما قال بعضهم ـ يُفْرَق من الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر فَرَقهُ من ابن الخطاب فلم يدخل المَسِيْلَة في أيامه، وما كاد يموت إلاّ والشيطان ممتلىء الصدر غيظاً من طول ما طَرد عنها، فاحتبى ـ بعده ـ في محراب مسجدها، ونزغ الشيطان بين أبناء الحبيب عبد الله بن حسين وأبناء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، علىٰ أوقاف المسجد ونضارتهِ وكان الذي تولّىٰ كبر المخاصمة السيد عقيل بن عبد الله بن عمر، وكان له اختصاص شديد بالدولة الكثيرية فلم تبل غليل صدره بل خذلته فسافرَ إلى الهند وحالفَ آل القعيطي وهجمَ بهم على تَرِيم، وكانت حادثة «النُوَيْدِرة» وهي جانب تريم الشمالي، استولت عليه

عساكر القعيطي من جهة «دمون» بمساعدة آل تميم وخيانة من بعض عبيد الدولة. وكان ذلك في سنة ١٢٩٢ ودام الحرب واحتلال النويدرة إلى سنة ١٢٩٤ مات في أثنائها السيد عقيل بن عبد الله عن أربعين ربيعاً وأربعة أيام. أخبرني الفاضل الوالد أحمد بن عمر بن يحيى أن عمه ـ عقيلاً ـ رأى قائلاً يقول له: عمرك أربعون عاماً، فانزعج، ولكن عادَ فرأى ذلك القائل يقول له: زِدناك أربع مرّات، فاطمأن. فكانت الرؤيا حقاً، لكن لم تكن الزيادة إلاّ أربعة أيام. وفي تلك السنة ـ أيضاً ـ انتصر القعيطي على العولقي وعلى الدولة الكثيرية في «الحزم» و «صداع» حسبما سبق ذكرهما، وبإثر ـ ذلك ـ انعقد الصلح بواسطة السيد علي بن عمر الحبيد بن الشيخ أبي بكر بن سالم والعلامة السيد أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب، علىٰ تخيير الدولة الكثيرية بين أن تخرج من تريم وتتسلم عشرة آلاف ريال، وبين أن تدفعها للقعيطي فيرتفع بعسكره عن «النويدرة» فاختارت هذه، ووقَع الناس ـ من جراء تحصيلها ـ في قرن الحمار، وكُتِبت بينهم وثيقةً بتاريخ ربيع الثاني من سنة ١٢٩٤ أوردناها مع تفصيل أخبار تلك الحادثة مفصلةً بالأصل، وإلى هذه الحادثة الإشارة بقول العلامة ابن شهاب.

كم فتنةٍ فيها أكفَهرّ وبالها حمد الأنام سراي في إخمادها

وهو في ذلك بار راشد، فلقد كان له السعي الحثيث في الاخماد ثم كانت له اليد البيضاء في تحصيل الدراهم، أمّا السيد عمر بن عبد الله فقد تركَ أولاداً منهم: الحبيب المُتفق على صلاحه وتقواه ـ شيخنا ـ السيد أبو بكر بن عمر بن يحيى، توفي بسربايا سنة ١٣٣١هـ. ومنهم تاجر الآخره، المشارك في كثيرٍ من فنون العلم، الوالد أحمد بن عمر بن يحيى المتوفي بتريم سنة ١٣٥٧، وكان الناس ينسبونه إلى الشذوذ، لأنه يُسامح في الكبير ويشتد في الصغير، وربما عزّ على الانفصال عن انتقاده بذلك، لأنه يجود بالألف وقد يضن بالدرهم، وكنت ألوم نفسي واستحيي من نظيره حتى رأيت ما يشبهه في سيرة عبد الله بن عمر الخطّاب وحاتم الطائي وعبد الله بن جعفر، وقال البحتري:

يضيق من الأمر اليسير مخافة وإن كان أضحى واسع الصدر واليدِ

وله أولاد، منهم قرّة العين المُنغّص الشباب العلامة البحاثة اللغوي محمد بن أحمد، توفي بتريم في حياة أبيه سنة ١٣٥٤هـ. ومنهم أخوه الشاعر الأديب عبد الله بن أحمد، يسكن ـ الآن ـ في سنقافورا وهو الذي كان يُصْدِر

مجلة «عكاظ» في حضرموت بخط اليد، وقد اطّلعت على أعدادٍ منها مليئه بالفوائد. وأمّا محمد بن عبد الله بن عمر فترك أولاداً كِراماً، منهم: شيخ وعمر وأحمد، لهم مساعٍ جليلة، وفضائل جميلة، وكانوا من أخصّ الناس بسيدي الأستاذ الأبَرّ عيدروس بن عمر، أقاموا عنده بالغرفة ـ مدةً طويلة ـ للأخذ والتّلقي عنه. توفي شيخ بالمسيلة سنة ١٣١١ والآخران بمكة بعد أداء النُسكين في سنة ١٣١٠هـ. وولده عبد القادر بن محمد حيّ يُرزق إلى الآن.

وعمري لقد كانت المسيله منزل علم، ومكرع ري، ومهاد تَقوَى، وعِماد شرف، بها رست قواعد المجد، وانبثقت عيون الجود، واستحصفت أسباب المكارم، حتى لقد وصفها بعضهم بقصيدةٍ قال في مطلعها بحق:

اللـه أكـبّـرُ هـذه الـمَـسـيـلـه فـيـهـا الـهُـدى والـنـور والـفـضـيـلـه

إلاّ أنها تعاوَرها الظلام والنور والغم والسرور، ولمّا وصلها أحمدبن عمر بن يحيى في سنة ١٣٤٥ أطلع بوحها وأعاد روحها، فأثّ نباتها وأنتشر رفاتها، ولكنه لم يَسْلَم من أذية آل تميم مع انتسابهم إليه وإلى أجداده بالخدمة، فغادرها إلى تريم وكان له بها قصر فخيم، فعادت المسيلة إلى الذبول وغابَ عنها القبول.

أشـلـى الـزمـان عـلـيـهـا كـا حـادثـةٍ وفـرقـة تـظـلـم الـدنـيـا لـنـازحـهـا

دار أجـل الـهـوى عـن أن ألـمَّ بـهـا في الركب إلا وعيني من منائحها

وسيأتي ذِكْر السيد عقيل وأولاده في يشحر.

دمح

قد سبقَ أن في جنوب الغُرف فضاءً واسعاً، تشرع الطرق منه إلى سواحل حضرموت، والمَسِيْلَة في شرقي الغرف. وذلك الفضاء ممتد في جنوبها أيضاً، وفيه كثير من المزارع والصحاري والقرى، ولا ينتهي إلاّ بالعقبة المُسَمَّاة بعقبة الغز. وأول ما يكوْن من ذلك الفضاء يُقال له (دمح)، في جنوبه جبل شاهق يمتد إلى ما شاء الله في جهة الجنوب وأمّا من جهة الشرق فأنه ينقطع حيث ينبسط ذلك الفضاء. وقد وقع في الأصل أن هذا الجبل يقرب من السويري، وليس كذلك، إنما هو هنا حسبما أخبرني من أثق به من أهل تلك الجهة أكثر من ثقتي بمن أخبرني بما إنبنىٰ عليه كلامي في الأصل. ومهما يكن من الأمر فلن ينخرم

التدليل به على وجود أهل الرِّس بحضرموت لأن الغُرف والسويري متقاربتان، وعن تقاربهما نشأ غلط مَنْ أخبرني أوّلاً. وقد نقَل الميداني عن ابن الكلبي أن لأهل الرِّس نبياً يُقال له حَنْظَلة ابن صفوان، وكان بأرضهم جبل يُقال له (دمخ) مَصْعَدة في السماء ميلٌ اهـ. ولئن كان ذاك بالخاء وهذا بالحاء المهملة فإن الأمر قريب جداً، والتصحيف في مثله كثير كما صحّفوا (سِرْ) عن (رِسْ). وفوق هذا فأن الجبل الفاصل بين القعيطي والمَهْري ـ بساحل البحر ـ يُقال له (دمخ) بالخاء المعجمة كما مرّ في المرافي، والأماكن متقاربة وكلها من حضرموت فالتدليل ثابت على كل حال، وقالَ ابن مقبل وكان وصّافاً لكثيرٍ من الأماكن الحضرمية:

لمن الديار بجانب الأمهار ... فبتيل دمخ أو بسلع حرار
خَلُدَت ولم يُخْلَد بها من حَلَّها ... ذات النطاق فبرقة الأحفار

وقال عنترة بن الأخرس الطائي:

لقد حلّقت بالجوّ فتخاء كاسر ... كفتخاء دمخ حلّقت بالحزوَّر

وهو غير دَمْخ الواقع بالطائف الذي يقول فيه مُزَاحم العُقَيْلي [1]:

حتى تُحَوِّلَ دَمْخَا عن مواضعه ... وهَضَبَ تُرْبَانَ والجَلْحاء من طُنُب

والأسماء كثيراً ما تتشابه، وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني: دمخ جبل من جبال ضريّه طوله في السماء ميل، وقال طُفيل الغنوي:

ولما بدا دمخ وأعرض دونه ... غوارب من رمل تلوح شواكله

السهلة:

ومن وراء دمح ـ في الجنوب ـ مكان يُقال له (السهلة) لآل بالهندي من آل تميم. وفي أول سفرة لي من حضرموت سنة ١٣٢٢ إلى الحجاز، بَكّرت من سيوون مع المرحوم السيد عبد الله بن محمد بن عمر السقاف، وأبردنا بظلّ أثلٍ حول الغرف، ثم كان المبيت بهذا الموضع أعني السهلة، ومع امتلاء صدري بأحزان الفراق ولوعة البين كان سروري عظيماً عندما عرفت هذا الاسم، وتفاءلت

(١) معجم ما استعجم ٢/٥٥٦.

خيراً. كما أن والدي ـ رحمه الله ـ تكدّرَ لفراقي كثيراً، ولكنه لم يقدر على منعي عن الحج. وفي الليلة التي ركبت ـ من فجرها أو سَحَرها ـ زار بي أحد الصالحين، وبمجرد ما خرجنا من عنده إذا بأنسان يرفع صوته بقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فتبادرت دموع والدي من فُرط السرور، رضوان الله عليه.

ومن وراء السهلة جنوباً: باعلال وعن يمينه قرية صغيرة كان فيها الشيخ عبد الله بن سليمان أحد حكام آل تميم وأولي رأيهم، قُتل في حرب اشتبك فيها مع آل شملان بعد أن سلّم من صلاة الصبح فلم تشغلهُ الحرب عن أداء الفريضة، وفيها جماعة من المشائخ الزبيديين. ومن ورائها (الغارين) لآل محمد التميميين، ثم (بريكه) آل محمد التميميين أيضاً.

يَشْحَر:

هو وادٍ ليس بالواسع في جنوب المسيلة إلى جهة المشرق فيه عين ماء صغيرة، كان السيد عقيل بن عبد الله بن يحيى اشتراه للأمير محسن بن عبد الله بن علي العولقي، السابق ذِكْرَهُ في صداع، ثم وقفه ـ بتوكيلٍ منه ـ على نفسه وأولاده وعلى الواردين والصادرين والعلماء والمتعلمين والفقهاء والمتفقهين. وفي صيغة الوقف مجال واسع للنظر لاسيما وقد فهم بعض متأخري العلماء من كلام ابن حجر موافقته للرملي في اشتراط قبول الموقوف عليه المُعَيَّن، لأنه لا يتأتى من السيد عقيل حينئذٍ الوقف على نفسه ثم القبول، إلى ما بَسَطْتهُ في الأصل من وجهة النظر. وكان السيد عقيل بن عبد الله ـ هذا ـ شهماً، قويّ النفس، حمي الأنف كما يُعرف من قضية النويدره.

فتىً عنده حسن الثواب وشره ... ومنه الإباء الملح والكرم العذب

وكان رجل جِدّ، وله غرائب منها أنه حجّ وانعقدت بينهُ وبين الثري الشهير صاحب الخيرات الكثيرة والأربطةِ المعروفة بمكة وجده (فرج يسر) صداقة متينة، ولمّا عزمَ السيد عقيل على السفر إلى جاوا بعد أداء النسكين قال له: مِثْلَك لا ينبغي أن يغيب من حضرموت، فقال له: لا يمكنني الرجوع إليها إلاّ ببسطة كف أستعين بها على حقوق المجد والشرف. قال له: كم تؤمِّل من جاوا؟ قال له: ما أنت وذاك. فألحّ عليه، فقال له: لا يمكنني الرجوع إلى حضرموت إلاّ بثمانين ألف ريال، فأعطاه إياها مع ملء مركب شراعي من الأرز وما يناسبه من البضائع

والحبوب، وبمجرد ما وصلَ إلى حضرموت بنى سداً للماء في مسيال عِدِم كلّفهُ نحواً من خمسين ألفاً من الريالات، فاجتاحَهُ السيل في ليلةٍ واحدةٍ، وما زال عقيل على كسب الجميل وفعل الجليل لا يقر على ضَيْم ولا يلين لقائد ولمّا لم يجد ـ عند الكثيري ـ موضعاً للنفع والصنيع أنبرىٰ للمضرّة على حد قول عبد الأعلىٰ ابن عبد الله بن عامر وكان كما في «طبقات النُحاة» من الفصحاء:

إذا أنتَ لم تنفع فضر فأنما ... يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

وقال الشريف الرضي:

من معشرٍ لم يُخلقوا ... إلاّ لنفعٍ وضررِ

وقالَ كعب الأشقري:

رأيت يزيداً جامع الحزم والندىٰ ... ولا خير فيمن لا يضر وينفعُ

وقال حبيب:

ولم أرَ نفعاً عند من ليس ضائراً ... ولم أرَ ضُرّاً عند من ليس ينفعُ

وقال عدي بن زيد:

إذا أنت لم تنفع بودك أهله ... ولم تنك بالبوس عدوك فابعدِ

وعندئذٍ قام بفتنة النويدره السابق ذِكْرَها في المسيلة ومن مكارم عقيل أنه وضع عند أبي بسيط أربعين ألف ريال عن مائة ألف روبيه هولندية بمصرف ذلك العهد على سبيل القرض فلما تأخر شغل أبي بسيط كتب له الناصحون ليتلافى ماله بالسفر إلى سربايا من أرض جاوا فلامهم وقال إني أحرج الاوقات اضيق على صديقي لو كان مالي بأسره ينفس عنه ما وقع فيه لاعطيته إيّاه. ثم لم أدر ماذا صار غير أن هذا من الشهامة والوفاء بمكان:

يا همةً نبلت عن ان يقال لها ... كأنها وتعالت عن مدى الهمم.

وقد خَلَّف عقيل جُملةً من الأولاد أكبرهم العلامة الجليل السيد محمد بن عقيل، كانت له حافظةٌ قوية واطلاع تام وإكباب على المطالعة، وكان بدء أمره الاعتدال في التشيع حتى لقد دخل العراق في سنة ١٣٣٠ ومعه السيد محمد بن علي الحيد والسيد يوسف بن أحمد الزواوي صاحب مسقط، فلم يرض الشيعة ولا أهل السُنَّة لخروجه عن سمت الفريقين، ولكنه غلى بالآخرة في تشيعه حتى

وصل إلى سادات الأمة رضوان الله عليهم أو كاد، وتأثر بكلامه بعض من نُجِلّهم من أهل الأنُف وأراكين الشرف فاهتاج في قصيدة جاء منها قوله:

روحٌ مقدّسةٌ وقلب ضمهُ في قالب التصويرِ أفضلُ هيكل

وهو بيتٌ جزل، ومثله في الجزالة قوله فيها عن أهل البيت على ما فيه:

برآء من الحسد المشوم وغلظة الفظّ الغشوم ومن تقهقر نعثل

وما أظن هذا التعربض الفاحش عن عقد قلبيّ ونيّة قطعية بل علّهُ كان عن ثورةٍ نفسيّة ذهب به فيها الكلام إلى غير ما يريد وما أصدق قول بديع الزمان الكلام مجون والحديث شجون واللفظ قد يوحش وكله ود والشيء قد يكره وما من فعله به والعرب تقول لا أبالك في الأمر إذا هم، وقاتله الله ولا يريدون به الذم، وويل امه للمرء إذا أهم. أمّا أنا فقد اتعظّت بغلو العلامّه ابن عقيل اتعاظاً حسناً وسلِمْت باستنكاره عن الوقوع في الحمى الذي لا ينبغي أن يقرب وحاميه سيد ولد آدم ﷺ وما لمثلي والدخول بين المهاجرين الأولين وتعريف طبقاتهم وترتيب درجاتهم، هيهات لقد أحنّ قدح ليس منها كما قاله الإمام كرم الله وجهه. وكان الإمام ابن عقيل قوي الإرادة حمي الأنف صليب العود، وجرىَ عليه امتحان بسنقافورا وجاوا فلم يَزِّل نَعْلَهُ ولا لاَنَ جانبه، وله رحلات حتى إلى القارة الأوروبيّة بمعيّة أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف، وله اتصال بكثير من أعيان مصر وغيرها، وله مؤلفات كثيرة منها: «ثمرات المطالعة» وهو أجمعها وأحبّها إليه [1]، ومنها «العتَبَ الجميل على أهل الجَرْح والتعديل» غير أن الشيخ الأديب أحمد الحضراني أخبرني عن العبادي الثقة الذي كان موظفاً بدار الضرب في حيدر آباد الدّكن أنه ليس له وإنما كان من تأليف العلامة السيد أبي بكر بن شهاب فنزل عنه للعَلاّمَةِ ابن عقيل وأنه كان شاهد ذلك النزول. وأنا في شك منه، أمّا ـ أولاً ـ فلأن عبارته وموضوعه أنْسَقَ بعبارة ابن عقيل وجَدِيلته، وأمّا ـ ثانياً ـ فأنه حصيل مطالعات كثيره ومراجعات وفيره لا يصبر عليها شيخنا العلاّمة ابن شهاب، وإنما كان له فهم وقّاد يتيسّر له عفواً معه المراد، واللّهُ أعلم. توفي السيد ابن عقيل بالحديدة سنة ١٣٥٠ وقد رثيته بمرثيةٍ لزوميّة توجد بموضعها من الديوان، ورثاه جماعةٌ من الأدباء منم العلامة الأخ علوي بن طاهر

(١) قال زباره: إنه في نحو عشرة مجلدات ـ نزهة النظر ٢/٥٥٨.

الحداد، والشاعر المطبوع أحمد بن عبد الله السقاف، والكاتب الشهير السيد محمد بن هاشم بن طاهر وغيرهم. وله أولاد أكبرهم: عيسى له نوادر وفكاهات ويسكن الآن بصنعاء، ومنهم: علي، شاب فاضل كريم الأخلاق، كان كاتم سر سيف الإسلام الحسين بن الإمام، وكان بمعيته في سفره إلى أوروبا ثم إلى الحجاز، توفي بصنعاء في سنة ١٣٦٣. ومن أولاد السيد عقيل: الفقيه النبيل عمر بن عقيل كان فقيهاً حكيماً ذا رأي أصيل وسعيٍ جميل وخُلُق حسن، توفي بالمسيلة بأثر حُمّى خفيفة في محرم سنة ١٣٣٩ وشهد دفنه أخوه العلاّمة محمد لأنه وصل حضرموت في أواخر سنة ١٣٢٨ ولم تطل إقامته بعد وفاة أخيه بل عاد إلى مقر تجارته سنقافورا.

ولا بأس إذ جرىٰ ذِكْر الشيخ فرج يسر، من الإشارة إلى سبب ثروته، إذ كان طريفاً فقد كان في أحد المراكب الشراعيّة وفي خُلقه شراسة وحدة، وكان ربّان المركب يحب أن يُغضبه ويتنادر عليه، فرسَى مركبهم في سيلان وله بها معارف، ومن عادتهم أن لا يقلعوا إلاّ بعد شحن البضائع منها، وهي تستغرق أياماً، فكانوا يخرجون للفرجة صباح كل يوم إلى مرسي كلمبو وهناك يحضر الدلالون بالأشياء التافهة لبيعها بالمزاد، فتواطأ الربان مع الحاضرين أن يُوْقِعوا فرج يسر في الشبكة، وكان المعروض في ذلك اليوم صندوقان صغيران من الخشب قد أكل عليهما الدهر وشرب واعترقت الأرضه ظواهرهما حتى لم يبق منهما إلاّ الرسوم، إلاّ أنهما لا يزالان مقفلان، فوقعا ـ بتدبير من الربّان ـ عند فرج، فأخذ ـ هو وأصحابه ـ يتغامزون ويلمزون إلى أن ضاق صدر فرج يسر ـ وسرعان ما يضيق ـ فقام إلى المركب حزيناً، ولمّا كان وسط الليل عزَمَ على رميهما في البحر، ثم ثاب إليه رشده وارتأىٰ أن لا يرميهما حتى يرى ما فيهما، فعادَ بهما إلى مخدعه وفتحهما فإذا هما مشحونان بالأوراق المالية من ذوات الألف الربية بما يقوم بعشرات الملايين، فمن ذلك ثروته التي لم يقف فيها عند غايةٍ من فِعل المَكْرَمات، إلاّ أن أمرها مُسْتَشكل ولا سيما إذا أمكن معرفة أرباب تلك الأموال، فعسى أن لا يمكن معرفتهم إذ ذاك ليكون لها وجه من الحل. ولم يكتفِ بتلك المبالغ الضخمة حتى أخذ يوسعها بالتجارة، فاقتنى العدد الكثير من المراكب الشراعيّة يمخر بها عباب البحار الهادي والهندي والأحمر والأبيض وغيرها، ولكنه لمّا جاء الإدْبار قدّت تلك الثروة السلاسل نافرةً، حتى لقد وردته في يوم واحدٍ خمسٌ وعشرون برقية كل واحدةٍ بتلف سفينة وما فيها، فلم ينكسف

باله ولم يتغير حاله. على رواية هذا اتفق جماعةً من معمري الحديدة في سنة ١٣٤٠ عن خبرةٍ بحقيقة الأمر إذ كان رباؤه هو بالحديدة، إلاّ أن في النفس شيئاً من البرقيات، لأني لا أدري أكانت متصلةً لذلك العهد أم لا؟ [١] وكان عبداً حبشيًّا أعتقهُ بعض أهل الحديدة، وكانت أم السيد الجليل عقيل بن عبد الله حبشيّة، فهذا هو الجامع بينهما مع اتفاقهما على عشق المكارم وتحملُّ المغارم.

ومن وراء يَشْحر، إلى جهة الجنوب الغربي، مكانٌ يُقال له **(الصاري)** وهو قرية صغيرة لآل مقيدح الجابريين، لا يزيد سكانها عن سبعين شخصاً. ثم **(شريُوف)** وهو وادٍ أكثر أمواله للسادة آل عبد الله بن حسين العيدروس والمشائخ الزبيديين. ثم **(رضيح)** وهو وادٍ مبارك كان للحبيب علوي بن أحمد العيدروس ثم انقسم بين ورثته، ثم استخلص ـ أكثره ـ المنصب السيد محمد بن حسين السابق ذِكْره في تاريه، وكان تحملّ ديوناً في الحرب التي جرت بسبب مسجد آل بوفطيم أثقَلَت كاهله ثم قضاها من موسم واحد فيه صادفَ غلاءً وسلامة من الجَراد الذي اجتاح أكثر زروع حضرموت في ذلك العام. وبأثر وفاته استولّى إمارة رضيح ولده المنصب محمد بن محمد، ولكن آل عمه عبد الله بن حسين تداخلوا بالشراء من قَبل اخوانه إلى ما لأبيهم فيه من ميراث أبيه، فأقلقوا راحته، وجرت بينهم منازعات لا تزال آثارها في نفوس الطرفين إلى اليوم وقد قال حبيب:

حسد القرابة للقرابةِ قرحة تدمي عواندها وجرح أقدم

وقد مرّ في «الحسيسه» أن آل العيدروس ألّفوا جمعيةً أهم أغراضها إصلاح ذات بينهم، ولكنها لم تفعل شيئاً إزاء هذا، لأن تلك الجمعية معقودة بما يهواه السيد عبد الله بن حسين العيدروس إذ هو القائم بأكثر كلفها، وكان متعصباً على ابن أخيه فلم تتداخل جمعيتهم في ذلك مراعاةً لخاطره.

ثم حصن **(بن ضوبان)** لآل جابر، ومنه ينشعب الطريق، فتذهب طريق إلى «النحر» وهو مَسِيْل بين جبلين تنصب فيه المياه من عدة جبال واسعة، ومتى ارتفعت عن ذلك المسيل وتسنمت الجبل فأول ما تمر به «حرو» وفيه حوض يحفظ الماء مدةً ليست بالطويله لأنه غير مجصص. ثم **(ريدة الجوهيين)** ثم

---

(١) كان التلغراف قد ظهر مبكراً في اليمن، فقد ذكر المؤرخ إسماعيل الوشلي في كتابه «الثناء الحسن» أن الأتراك أوجدوه في الزيدية وبلاد تهامه منذ العام ١٢٩٢هـ.

(**بضى**). وتذهب الطريق الأخرى في ذلك الفضاء الواسع تواً، وأول ما يمر الذاهب فيها بالردود قريةً للمشائخ الزبيديين وآل جابر، ومن الزبده بها الآن: الشيخ يسلم بن سعيد. ثم (**سونه**) وهو وادٍ صغير للزبدة.

ثم (**حَكْمِه**) وهو وادٍ آخر واسع وأكثر عمارةً من سونة لآل جابر وللزبدة، وتصعد من وادي حكمه ـ في عقبتها ـ طريق إلى رسب، ومنها إلى عثه عَقَبَه كأداء ينزل منها إلى الأرض المتصلة بالساحل علىٰ مسافة يوم للراكب المُجِّد. وفي أثناء «عَقبة حكمه» عين صغيرة عذبة باردة. وفي قطع معينةٌ من شراج حكمه تداع بين الزبده وابن متيهم، وحاصلهُ أن بن متيهم باسط ذراعيه على تلك القطع منذُ نحو من مائة سنةٍ، ومعهُ خط بالقسمة بين الزبدة وبين أبيه، فادّعَى الزبيديون أن يده غاصبة بطريق الشراحه الظالمه وشهد لهم شهود منهم وصدَر لهم حُكْمَان ضد بن متيهم من قاضي تريم لِمَا قبل اليوم بأكثر من عشر سنين، فَسُئِلت عن الحُكْمَين فأفتيت ببطلانها لأن الشهود شهدوا بأن فلاناً غُصِبَ هذه القطع، والحال أنهم لم يشهدوا زمن الغصب، ومن شرط الشهادة بالتسامع في الغصب أن يقول الشاهد: أشهد أنه مغصوب لا أنه غصبَ بصيغة الفعل الماضي، لأن هذه صورة كَذِب لاقتضائه أنه رأى ذلك وشاهده. هذا ما قرره الفقهاء بالاتفاق، وانضمّ إليه ما قرروه في الأَيْمَان، أن استدامة الغصب ليست بغصب، فالشهادة باطلة. ويزيد الحُكم الثاني بأن أحد شهوده كان من المُدَّعين في الأول، ثم تكررت الأحكام وخَبَط القُضاة والمُستأنفون واختلفوا. ومن المدهش أنهم لم ينفصلوا عن الاعتراضين اللذين ذكرتهما بحالٍ وكأنهم لا يلجئون إلى الكُراس وإنما يأخذون مما في الراس، وأُحيلت القضية ـ في الأخير ـ إلى استيناف جديد لا ندري ماذا يفعل، والمسألة: مشكلة لا من حيث النصوص العلمية، ولكن لاختلاف مشارب أهل النفوذ، فأحدهم يريد الزبدة والآخر يريد ابن متيهم. والحق في ظاهر الأوضاع الشرعيّة إلى جانب ابن متيهم وأمَّا في باطن الأمر فالشبهة قائمة.

وفي غربي حكمه: وادٍ واسع يقال له **بايوت** يسكنه كثير من آل نهيم الوزيريين، وغيرهم. و (**رسب**) لآل جابر ومنذ اثني عشر عاماً تعرضوا لسَيَّارةٍ فيها أحد رجال الحكومة الإنكليزية فأصابوها بخلل قليل، فَحَكم عليهم سلطان سيوون غيابياً بغرامة كثير من الإبل والبنادق، فلم يقبلوا، فأمطرتهم الطائرات

نيراناً أضرّت بحصونهم وعلوبهم، فبخعوا بها وسلّموها عن يد وهم صاغرون. ومن وراء حكمه إلى الجنوب:

(سكدان) يسكنه آل جابر، وحَرّاثون، وسادة من بيت حموده، وناس من آل قعفان، وناس من آل بلحاج، وناس من آل بن قماش. ثم **(راوك) للمشائخ آل باوزير.**

ثم **(غيل عمر)**. وقد سَبَق في غيل باوزير أن غيل عمر ـ هذا ـ أقدم منه، وأول من بنىٰ به بيتاً الشيخ عمر بن محمد بن سالم باوزير في سنة ٧٠٦هـ، ثم بنىٰ الناس من بعده، ذكرهُ ابن حَسّان في تاريخه [1]. والشيخ عمر ـ هذا ـ أحد تلاميذ الشيخ عبد الله باعلوي كما في ص ١٨٦ ج٢ من «المشرع». والمنازل التي يشملها غيل عمر منقسمة بالمسيال، فالذي في الشاطئ الغربي منه (الضبيعة) وفي جنوبها مسجد الشيخ عمر، والذي في الشاطئ الشرقي **(الدلفه)** ثم **(الحزم)** ثم **(سكدان)** ثم **(كوت سرور)** ثم **(العرض)** ثم **(النويدره)** وقد أستوخمه كثير من السكان فانتقلوا منه إلى سكدان، وكان فيه أجداد المشائخ آل باسودان حتى أن بعضهم ينسبه إليهم فيقول: **(غيل باسودان)**، وربما يكون المنسوب إلى باسودان ناحية غير الناحية المنسوبة إلى الشيخ عمر، فالغيل طويل، منبع مياهه من جنوب «ساه» ولا ينتهي إلاّ بعد مجاوزة «سنا» إلاّ أنها تتقطع ففي أكثر النقاط تظهر وفي الكثير تغور. ثم ان آل باسودان خرجوا عن العاميّة وتَفقَّروا وأخذوا في طلب العِلْم حسبما سبق في الخريبة من بلاد دَوْعن. ثم عرفت أنهم كانوا حلولاً في سكدان، وبذلك ينطق شعر السيد علي بن حسن العطّاس، ولهم اتصال بدوعن من أيام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، ثم تزوج فيهم الشيخ محمد بن سالم باوزير فكانوا أخوال ولده عمر ـ المذكور ـ ولمّا ظهر بَنَى بالغيل وطَرَد عنه أخواله فذهبوا إلى دوعن.

ساه:

هي في جنوب غيل عمر، عن يسار الذاهب إلى عقبة الغِز. وهي بلدة لا بأس بها في حدود آل جابر بل هي عاصمة بلادهم ولكن لمّا كثرت بينهم المظالم

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن علي حسان المتوفي سنة ٨١٨ له تاريخ مخطوط، منه نسخة لدى السيد سالم المحضار في مدينة حبّان. انظر: مصادر الفكر ص ٤٦٨. ونسخه كانت في مكتبة العطاس في حريضه أخذها المستشرق البريطاني الدكتور آر بي سارجنت.

ولم ينتصف وأحد من الآخر جاؤوا في حدود سنة ١٣٣٦هـ إلى سيوون يطلبون من أمرائها أن يحتلوها فرأوا أن لا طاقة لهم بحفظها، فذهبوا إلى شِبَام يطلبون من السيد حسين بن حامد أن يحتلها، فبسط الرأي للدولة الكثيرية، فيقال أنها أذنت له وعنّ لها بعد أمدٍ من الزمان أن تطالب بحقها فيها، وبعد الأخذ والرد اتَّعدوا علىٰ الاجتماع بدار الرئيس المكرم طالب بن جعفر بالعُقده، قال السلطان عبد الله بن محسن: فحضَرت ـ أنا وابن عمي على بن منصور ـ وبعد شيء من المحاورة أخرج نائب القعيطي ـ وهو علي بن صلاح ـ كتاباً من والدي ومن عمي منصور للسيد حسين بن حامد بالإذن في احتلالها فانقطعت حجتنا. ومن وراء ساه جنوباً إلى جهة الغرب:

(صيقة آل عامر) وهي عن يمين الذاهب إلى عقبة الغِز فيهاجماعةً من آل جابر، منهم صالح عيضه، كانت لهم ثروة ثم نَجحت بينهم مشاغبات أخذت منها الحظ الوافر. ومن ورائها جنوباً:

(عقبة الغِز) وهي طريق مختصرة يصعد فيها من مستوى الأرض إلى عرعرة الجبل، لا يحتاج مصعدها لأكثر من نصف ساعة، ولكن الانحدار بعدها عن قمة الجبل بطريق عقبة الفقرة أو العرشة أو عثة أو عبد الله غريب أو غيرها من العِقاب التي تنزل إلى جهات الساحل لا تقل مسافتها عن ثلاث ساعات، وذلك لأن داخل حضرموت يرتفع عن سطح البحر بمقدار التفاوت بين الصعود والنزول، وهي منسوبة إلى الغِز إمّا لكثرة سلوكهم فيها أو لأن أول هجومهم على حضرموت كان منها، ومنها إلى (ريدة المعارة) في جنوبها مرحلةً، ونحو ذلك منها إلى (ريدة الجوهيين) التي في جنوبها أيضاً.

كحلان:

هي قرية كانت بطرف الجبل الذي تلتقي عنده مياه «سَرْ» و «عِدِم» في جانبه الشرقي الشمالية، باقية آثار بعض خرائبها حوالي مضرح الشيخ عبد الرحمٰن باجلحبان، وهي على اسم مخلاف من مخاليف اليمن، فيه بينون ورُعَيْن [1]،

(١) يقصد بلدة «كُحْلاَن ذي رُعَيْن» في مديرية الرضمه. ولكنه خلط بين بينون ورَعَيْن، ذلك أن بينون منطقة في الحدا.

وهما قصران عجيبان قال امرء القيس:

ودار بـنـي سـواسـة فـي رُعَـيْـنٍ تـجـر عـلـى جـوانـبـه الـشـمـال

وفي القاموس: كُحلان ـ بالضم ـ ابن شريح، أبو قبيلة من اليمن من ذي رُعَيْن .اهـ. وقد مَرّ في قارة الشناهز أن المؤرخين صفقوا على بنائها وعلى خراب قرية كُحلان في سنة ٦٠٤هـ ، وفي ذلك العام كانت أحداث كثيرة مذكورة بعضها في الأصل، وذكَر شنبل في حوادث سنة ٥٩٩هـ من تاريخه: حادثة كحلان، ولكنه لم يفصلها. وبأثرها أخذَت نهد ومن أعانها من تُجيب والدَّهم وبني حارثة خريف المسيله، يعني خريف النخل الذي حوالى كحلان.

الصومعه:

هي مدينة العلويين ببيت جُبير التي سبق في سُمل أنهم انتقلوا إليها منها، قال الشلّي: وهي مدينة لطيفة الهواء، عذبة الماء، سكنها جماعة من أعيان ذلك الزمان، فطاب لهم البقاء، وأسسوا بها مسجداً وكان لهم حارة تُسمَّى العلوية .اهـ. وبها توفي سيدنا محمد بن علوي بن عبيد الله، ولا يُعرف تاريخ وفاته. وفيها كانت وفاة ولده علوي سنة ٥١٣هـ وكان كريماً عظيماً ممدحاً، من جملة مادحيه تلميذه الفقيه يحيى بن عبد العظيم الحاتمي المتوفى بتريم سنة ٥٤٠هـ، امتدحه بقصيدةٍ أوردَ منها صاحب «الجوهر» وصاحب «المشرع» وشارح العينية وغيرهم قوله:

هـذا قـريـع الـعـصـر وابـن قـريـعـه ولـبـاب تـخـت الـفـخـر والـتـعـظـيـم

أمّا ولده علي بن علوي خالع قَسم، فقد انتقل من «بيت جُبير» في سنة ٥٢١هـ إلى «تريم» وبها توفي سنة ٥٢٩هـ. و **(بيت جُبير)** وادٍ واسع، قال الشلّي: كان كثير المياه والأنهار .اهـ. وهذا في الزمان السابق كما تدل عليه أمّا في أيام الشلّي فلم تبقَ فيه عيون سائحة. ولا أظن ماء عِدِم وسر ينبسط على تلك الشراج التي تُعد من وادي جُبير في الجمله، لأن سد سنا قد انهار وقد انتهى الخدّ في الأرض إلى قريب من تلك البقاع. أمّا باعتبار الزمان القديم فقد كانت حضرموت بأسرها رياضاً خضراء وجناناً غناء، ثم كان من معن بن زائدة ما كان من سكر الأنهار، وأعقبهُ انهيار سد سنا، فذوىٰ النبات، واشتد الأسنات، وصار أكثر السيول يذهب ضياعاً في وادي جُبير لعدم إصلاحه واندثار ضمره وأسوامه.

وقد أخبرني العلامة الشيخ فضل بن عبد الله عرفان، عن شيخنا العلاّمة الفاضل علوي بن عبد الرحمٰن المشهور، أن أموال بيت جُبير صارت من جملة الأموال الضائعة مرتين، وأن بيت المال قد باعها مرتين. وهذه فائدة نفيسة نحتاج إليها في كثير من المواضع. وأكثر مُسَمَّى «وادي بيت جُبير» يدخل بين الجبل الذي في طريقه إلى الصومعة والجبل الشرقّي الذي يحاذيه.

ومن وراء الصومعة إلى الشمال فضاء واسع أول ما يكون فيه قرية **(الرّيضة)**، أول من اختطها السيد حسن بن علوي بن عبد الله بن أحمدبن حسين، لأنه كان ورث وادي الذهب ـ الآتي ذِكْرهُ ـ من أبيه، فباعه ونزل الرّيضة، ثم بنى عنده بعض الناس. ومن أهل الرّيضة: السيد سالم بن أبي بكر عيديد المقتول سنة ١٢٢٦، أثنىٰ عليه شيخنا المشهور، وترجمَ له السيد أحمد بن علي الجنيد. ولا يزال أهل الرّيضة بحسرةٍ على عدم الجبال لديهم، فلم يكن لهم حظ من القنص، ويُروَى أن بعضهم تنادَر عليهم وقالوا لهم: لو غرستم حصاة وتعاهدتموها بالسقي لَنَمت وصارت جبلاً ففعلوا، هكذا يُقال والله أعلم.

وفي شرقيها إلى الجنوب بلد:

(السويري) هي قرية مسوّرة لآل شملان التميميين، كان فيهم رجال يُشار إليهم، منهم: **المقدم عوض بن سعيد بن شملان**، له ذِكر كثير في حوادث القعيطي وآل كثير وغيرهم. وفيها كان سكن العلاّمة الجليل المُتَفنِّن: عبد الله بن أبي بكر عِيديد، ذكَره سيدي عبد الرحمٰن بثناء حسن في مشجره، وترجمهُ ابن أخته السيد أحمد بن علي الجنيد في «النور المسفر». ولد سنة ١١٩٥ وتوفي بالسويري سنة ١٢٥٥ ودُفن بتريم.

وبأزاء الصومعة في شمالها: **(دَحَّامة)** لآل قصير، وكان بها مسكن الأمير عمر بن عبد الله بن مقيص، الذي يُضرب المثل بقصر دولته كما مر، وكانت في سنة ١٢٤٢هـ حسبما فصلت بالأصل [١]، **وفي شمالها دِيار أخرى لآل قصير تقابل (حصن مطهر) الواقع في جبل كحلان الغربي، وهو حَصِين الموقع، وكان**

(١) المقدم عمر بن عبد الله بن مقيص، من قبائل يافع التي استوطنت حضرموت. وقد دامت دولته أكثر من سنتين فقط، لذلك يقولون في المثل (كما دولة بن مقيص) للشيء الذي انتهى بسرعة بينما يرجى دوامه.

لابن مقيص ولمّا تلاشت دولته وصار تراثه إلى آل قصير باعوه على الأمير عبود بن سالم الكثيري في سنة ١٢٦١ بثلاثمائة ريال فرانصه. وقد ذكَرَ المؤرخ الشهير الشيخ سالم بن حميد شراء هذا الحصن وتَرَك موضع البائع بياضاً، ويبعد أن يكون عن جهل به، وهو المُطَّلع البحاثة الخبير المعاصر ولكن لنكتة لا ندريها. وأقرب ما يُظن أن البائع غير شرعي فذِكْرُهُ يعود بالبُطلان على الصفقة. وهذا الحصن ـ الآن ـ في أيدي آل قصير، وقد سلّموه للحكومة القُعيطية، فجعلته مركزاً لأخذ الرسوم من البضائع التي تمر، إذا لم تكن قد عُشِّرت في شيء من بلادها، لأن الدولتين القعيطية والكثيرية أخذتا تتسابقان في نهب أموال المُستضعفين بالمكوُس الباهظة في كل ناحية، مع اعترافها بأن الأقليم واحد لا يتجزأ. وفي هذا تصديق لِما تفرسته في القصيدة التي قدمتها للسلطان صالح بن غالب القُعيطي، في سنة ١٣٥٥هـ بقولي:

وما زالت الأحلاف حبراً بمهرق ... أذيعت لها الأخبار لكن بلا أثر
ويا ليتها كانت كفافاً ولا جرىَ ... على أثرها للمسلمين أذى وشر
فكنتم كشان الضبع والذئب حربها ... نجاة وفي الإصلاح ما بينها الخطر

وأرجع إلى قولي السابق في أحوال سيوون السياسية، والضمير فيه للصلح:

هل فيه للناس والإسلام فائدة ... أم لا فأن رواة القول في جدل

حصن جَرّه:

هو عن يسار الذاهب إلى تريم، في آخر الفضاء المُسمّى (باجلحبان) نِسبةً إلى الشيخ الكبير عبد الرحمٰن باجلحبان المقبور في أثنائه، وقد ترجمَ له صاحب «الجوهر» ولم يترجم لأحد خارج «تريم» سواه.

وحصن جرّه هو لآل مبارك بن عمر بن شيبان التميميين، وكانوا أهل ثروةٍ جمعها أمبارك وأصلها ريال دفعهُ له الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر مع استيداعه منه للسفر، فاشترى لباناً من الشحر وباعهُ في سنقافورا وبارك الله له فيه. ولمبارك هذا مكارم أخلاق ومواساة لأهل الفضل، خصوصاً لسيدي عيدروس بن علوي العيدروس، توفي حوالى سنة ١٣١١ ودُفن بزنبل بمقابر العلويين، وخَلَفهُ أولاد كرام منهم ولده عمر، وكان أول ما دخل عليهم بسبب اختلافهم في شأن الوصية، إذ كان الشيخ أمبارك بن عمر أوصى بثلث ماله لِمثل

ما يعتاده من الخيرات في حياته، وأسند وصايته إلى عمر، فنازعهُ أخوه عبد الله ولم يقدر على إبطالها لا بحضرموت ولا بجاوا، ثم نشبت بينهم وبين «آل فلوقه» الواقعة حصونهم إزاءهم بسفح الجبل الشرقي المُسَمَّى (باعشميل) حرب ابتزت طارفهم وتليدهم، وأثقلت كواهلهم الديون، وأبحرَ عمر إلى جاوا وبقي على ما يقدر عليه من المبرات حتى مات في سربايا حوالى سنة ١٣٣٥، وما عَلِمناه إلاّ شهماً أبيّاً ومقداماً عربياً:

يزيد على فضل الرجال فضيلةً ... ويقصر عنه مدح من يتمدح

ويدلج في حاجات من هو نائم ... ويوري كريمات الندى حين يقدح

وخَلّف أولاداً كثيراً، منهم الشاعر المطبوع: عبد القادر بن عمر، له أشعار عاميّة لكنها جزلة المعاني حلوة المباني، وله هجاء كثير لجمعية الحق بتريم.

ويقال له ابن عم على غير رأيه يقال له علي بن صالح بن أمبارك أحرق ديوانه.

ومما يطربني من شعره قوله من قصيدة مجد فيها مولاه:

هو لي عطى موسى العصا ... هو لي رتق هو لي فتق

وقت الاجابة من ... ناطق القدرة نطق

في الابتداء قالوا بلىٰ ... ومن بقي صادق صدق

والانتها يلطف بنا ... يوم الغرق يوم القلق

والعترة العظمى خلقها ... ربنا ميزان حق

في علم مكنون السرائر ... علم ما هو في ورق

من يبغض أهل البيت باله ... يوم واحد ما شرق

لو كان لي فيهم ولا ... بادقهم في الأرض دقشبي:

ثبي:

هو قرية لا بأس بها في شمال حصن جَرَّه، لا تبعد عنه إلاّ نصف ميل تقريباً، حولها شراج كثيرة، فيها نخيل تشرب من السيول، وكان السيد عبد الله بن أحمد بن حسين العيدروس يخترف فيه، ثم انتقل إليه ولده علوي ـ المُتَرْجَم له

في «المشرع» ص ٢٠٦ ج ٢ـ واتخذهُ قراراً إلى أن توفي سنة ١٠٥٥ ودُفن بتريم، وكان أكثر وادي الذهب لحسن بن علوي فباعه ـ حسبما مر في الرّيضة ـ واعتاضها به. ووادي ثبي والحطيطه لحسين بن علوي.

وثبي من جملة أودية تريم، والجبال الذي تنهر إليه بعيدة الفروع، وكلها في شمالها، إلاّ أن بعضها يأخذ إلى الغرب وبعضها يأخذ إلى الشرق. وفي حوادث سنة ٩٠٤ من «تاريخ شنبل» أن ضمير ثبي عمر بنحو الفين وثلاثمائة دينار ـ مرسلة لذلك ـ من السلطان عامر بن عبد الوهاب، سلطان اليمن وعدن. وهو الذي كان الإمام أبو بكر بن عبد الله العدني يحبه ويثني عليه، وكان كثير الخيرات والعمارات، وقد اشتبه عليّ ـ في الأصل ـ باني صهاريج عدن، ثم وقفت على ما ذكرهُ سيدي عبد القادر بن شيخ العيدروس في ص ١١٨ من «النور السافر» عن عامر هذا من أنه بنى مسجداً بداخل عدن وأجرىَ المياه بظاهر باب البَرْ منها وعمل بها صهريجاً عظيماً لم يسبق إلى مثله. أهـ. وبما أن أكبر الصهاريج الواقعة في عدن هو آخرها فقد تعين بانيه. لكن السؤال عن القدامى لا يزال بحاله، إلاّ أنها لن تكون قبل الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ لأنها لو كانت موجودة في أيامه لذكرها في عجائب اليمن التي ليس في بلاد مثلها، فقد ذكرَ منها (باب عدن) قال: وهو شطر مقطوع في جبل كان محيطاً بها، ولم يكن لها طريق إلى البر إلاّ لمن تسنم ظهر الجبل، فَقُطِع في الجبل باب مبلغ عرضه حتى سلكت فيه الدوابّ والمحامل وغيرها. وفي بينون ـ أيضاً ـ جبل قطعهُ بعض ملوك حمير حتى أجرىَ فيه سيلاً من بلد وراءه إلى أرض بينون. أهـ بمعناه، وفيه شَبه بما سبق في ميفعه.

ومن العجيب أن الهمداني لم يذكر ذلك، وبعيد أن يكون من بعده. ثم وقع إلى تاريخ أبي الفتح يوسف بن يعقوب ابن محمد المعروف بابن المجاور فإذا فيه أن السلطان شاه بن جمشيد بن أسعد بن قيصر تولّى عدن في حدود سنة ٦٢٥ وكان يجلب إليهم ماء الشرب من زيلع ثم بنو الصهريج لأجل ماء الغيث. إذاً فالصهريج الأول بعدن من بِناء الفُرس، ولكن قد مرّ ـ أوائل هذا الكتاب ـ ما يُعرف منه حال ذلك التاريخ، ومرّ عنه ـ أيضاً ـ في تلك النقطة أن فتح باب عدن كان من عمل عفريت شدّاد ابن عاد لا من أعمال حِمْيَر.

ثم أن عمارة عامر لضمير ثبي لم يطل أمدها، بل انهارت وشيكةً، وجددها الشيخ الكبير عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس المتوفى بتريم سنة

١٠١٩، ومن الغريب أن صاحب «المشرع» لم يذكر له هذه المكرمة الخالدة، فإنها الباقية إلى اليوم.

ومن ذرية السيد حسين بن علوي بن عبد الله بن أحمد بن حسين العيدروس: السيد المجذوب حسين بن عبد الله بن علوي المتوفى سنة ١١٧٣ وهو صاحب المقطب بثبي. ومن ذريته: آل علوي بن محمد بن عبد الرحمٰن بالمقطب، وقال شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة»: وهم مناصبها وأولياء أمرها. أهـ.

وفي سنة ١٢٠٦ نَشَبت الحرب بين يافع وتريم وبين الحبيب محمد بن عبد الرحمٰن العيدروس، منصب ثبي، وقام معه آل تميم وجميع قبائل حضرموت، ودخلوا تريماً ونهبوها وأحرقوا جملةً من البيوت في الحُوطه والسحيل. أمّا الحبيب علوي بن محمد فتربّى بالحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر فهذَّبَ أخلاقه، وقوّم أوده، وثَقّف قناته، فلم يتولّى المنصبة إلاّ وهو بها خليق. وكان سيدي عبد الله بن حسين بن طاهر كثيراً ما يعتني بأمور المناصيب والمرشَّحين لها وتهذيبهم لعموم نفعهم، ولمّا ماتَ خَلَفهُ ولده: عبد الله بن علوي، إلى أن توفي سنة ١٣٢٩، وكثيراً ما ينوب عنه ولا سيما في غياب أخوه الفاضل السيد محمد بن علوي. وكان كثير التعلق بسيدي الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر، وكان يصلي العصر في جامع ثبي ثم يركب حصانه ويزور والدي بمكاننا (عَلَم بدر) ويجلس معه ساعةً، ثم لا تفوتهُ صلاة المغرب خَلْف الأستاذ في الغرفه، وبينهما قراب المرحلة. ذهبَ في سنة ١٣٢٢ إلى جاوا وأطال الغَيْبة فيها بدون طائل بل كما بدأ عاد، وقد قال بشّار:

وأوبَــة مــشــتــاقٍ بــغــيــر دراهــم ... إلــى أهــلــه مــن أعــظــم الــحــدثــان

إلاّ أنه لم يكن بشديد الحاجة إلى الدراهم إذ لا أولاد له وإنما هو عقيم. ولم تطل مدته ـ إثر عودته ـ بل ماتَ بعد وصوله بأيام في ٨ الحجة سنة ١٣٤٦، وخَلَف السيد عبدالله بن علوي ـ على المَنْصَبه ـ ولده حسين، ولمّا ماتَ وقع رداؤه على ابنه الفاضل أحمد بن حسين، وكان غزير المروّة، كثير الصمت، جَمّ الوَقار، حَسَن السيرة وهو الذي جرَى بينهُ وبين آل تريم ما أشرنا إليه في «تاريه» وتوفي السيد (أحمد بن حسين) في غرّة شوال من عامنا بعد الفراغ من هذا.

وثبي، من الأدوية المباركة، يتيامن به الناس، ومتى أمرع وصلحت ثمارهُ

عَمّ الخَصْبُ في وادي حضرموت، حتى لقد كان الحبيب حسين بن عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس يقول: إنّا لنعرف خَصْبَ وادي ثبي بدرور البركات في زروع وادي عَمْد ونخيله.

وسكان ثبي من السادة آل العيدروس ومن السادة آل الحِبشي، ومنهم العالم الصالح الفاضل العابد المتواضع عبد الله بن علوي الحِبشي المتوفى سنة ١٣٤٣ عن جملة أولاد، منهم الصوفي العالم الناسك الحافظ لكتاب الله تعالى: حسين، نفع الله به [١]. وسكانها ناس من آل الراقي آل بافضل، منهم الرجل الصالح أبو بكر بن سالم بن بوبكر الراقي المتوفى سنة ١٣١٣، وصاحبنا الشيخ عوض بن محمد المتوفى سنة ١٣٦٠، وفيها ناس من الزبيديين، منهم: صافي وعيسى وأبو بكر بنو أحمد الزبيدي، لهم ضِيافة ومكارم أخلاق، وقد أوصَى الأول ـ وهو صافي ـ بثلث ماله في سبيل المَبرَّات، وجعلَ النظر للسيد عبد الله بن علوي الحبشي وولده حسين، ومن حيث أنهما شهود الوصية فقد ثبتت بشهادتهما، لكن لم تثبت الوصاية لأن فيها شهادةً لأنفسهما، ولمّا بطلت أسْنَد منصب ثبي السيد أحمد بن حسين النظرَ إلى: عيسى. وفي ثبي كثير من الأكَرةَ والمساكين، إلاّ أن المجاعة الأخيرة اجتاحت منهم الكثير.

وادي الذهب:

هو وادٍ ليس بالواسع ولا بالضيق لكن بين بين. يبعد عن ثبي شمالاً إلى جهة الغرب بنحو ساعتين ونصف للماشي، وعليه شِرَاج كثيرة بعضها للمشائخ الزبيديين: آل أبو بكر بن عيسى يربعون به في أيام الخصب على ملء الجفان، وإكرام الضِيْفَان، ويهربون إليه في أيام الجَدْب لكثرة من ينزل بهم من أبناء السبيل إذا بقوا بثبي. وقد نزلَ به أولادي: حسن ومحمد، علىٰ ضيافة الشهم الولد عبد الله بن بو بكر بن أحمد الزبيدي على نيّة أن ينقلبوا من آخر يومهم، فأعجبهم الهواء الطلق، والفضاء الرحب، والأُنس التام، فأقاموا به ثلاثة أيام.

وبعض شراجه، لسكانه الذين لا يرحلون عنه خَصباً ولا جَدْباً ولا شتاء ولا صيفاً، وهم آل براهم يرجعون في النّسَب إلى المَهَرة، وإنما نجعوا في أيام الحبيب عبد الله بن شيخ الثاني. وبعضهم يُعدَّهم من العوامر باعتبار انغماسهم فيهم بالحِلف.

---

(١) جاء في هامش الأصل: توفي السيد حسين بن عبد الله هذا آخر العام هذا بعد الفراغ من هذا الكتاب.

ومن الغرائب أن نمراً وثبَ على امرأة من سَرَواتهم، وهي تحطب، فاتقتهُ بِمَشعب معها وضعتهُ في فمه، وجعلت تضربه بمسحاة معها حتى قتلته، وطمعَ فيها رجل وهي منفردة تحتطب، فألانت له القول، ولمّا اقترب منها ألقت رأسه بين ركبتيها، تدوسه، حتى شم الموت فتعهد إليها بخمسة عشر شاةً إزاء ماجترأ عليها، ووفّى لها واسمها فطوم بنت بخيت بن كرتم بن براهم، كانت موجودة في سنة ١٣٦٠ وإنما ماتت بعد ذلك. وقد مر في شبوه خبر عن علي ناصر القردعي فيه شبه من خبر هذه المرأة الجزله رحمه الله على عظامها وأكبر منه ما سبق في القطن عن امرأة الأمير صلاح بن محمد القعيطي.

حصن العِزّ:

قد سبق في قارة الشناهز أنه لم يُبْنَ إلاّ في سنة ٨٤٢ وذلك أن دُوَيْس بن راصع تحرَّش بالسلطان عبد الله بن علي بن عمر الكثيري، فأقبل من ظفار وحصرَ تريم وتعددت المعارك تحت تريم، وشاد السلطان بعض معاقل لتشديد الحصر عليها، فكان حصن العِزّ مما بناه يومئذٍ. وفي «المشرع» عن «تاريخ شنبل» أنه بنى سوراً لتريم في سنة ٦٠١ من قارة العز إلى حيد قاسم، ثم أخربهُ السلطان بدر بن محمد الكثيري في سنة ٨٩٥، ثم عمر ثم أخربه السلطان عبد الله بن راصع سنة ٩١٠، ثم أعاده السلطان محمد بن أحمد سنة ٩١٣، ولا وجود لذلك السور. والظاهر أن بدر بن عبد الله بوطويرق هدمه لمّا أخذها سنة ٩٢٦ من محمد بن أحمد المذكور. أهـ بمعناه.

وقد ذكرنا في الاصل ما يروى أن عبد الله بن راشد اعتزل السياسة ـ بالآخرة ـ وسكن قارة العِزّ بما فيه، وأن بعض الصالحين بتريم مات فأحب الفقيه محمد بن أبي الحب حضور السلطان عبد الله بن راشد للصلاة عليه فلم يقدر على إجرة رسول يبعث به إليه في قرية العِز ـ المذكورة ـ فاتّفقَ أن حضر السلطان مصادفةً، وقد رَجَّحت في الأصل أن المراد: قارة العُرْ التي بحوطة سلطانه، بأمَارة أن السلطان قُتل على مقربةٍ منها، فلعلها هي التي أقام بها بعد اعتزاله السياسة إن صح بما فيه. وهي التي ـ بتمعني ـ أن لا يقدر ابن أبي الحب على إجرة رسول إليها. أمّا قارة العِز فلا تحتاج إلى أجرة تُذكَرَ لأنها دون نصف الميل من تريم، بل قد مرّ بك أنها منها لانتهاء سورها إليها في سابق الزمان. ولكني رأيت في الحكاية الخامسة من «الجوهر الشفاف» ما يُعيِّن هذه. ويُفهم مما

مَرّ أن النسبة إلى العز يُطْلَق على القارة من قديم وإن كان البناء بها متأخراً.

الرّملة:

هي قرية في أرباض تَرِيم، في شمال حصن العِزّ إلى الشرق. يسكنها الآن بعض السادة آل عبد الله بن شيخ العيدروس، وهم آل زين بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن شيخ ـ صاحب الشِّحر ـ بن عبد الله بن شيخ، الشهير، صاحب القُبَّة بتريم. كانت مصيفاً لهم ثم استوطنها بعض متأخريهم مع بقاء صلتهم بتريم، فيها يصلّون الجمعة، ويشهدون الجنائز، ويحضرون بعض الدروس. وهذه الرملة منسوبة للإمام الجليل محمد بن جعفر بن عبدالله المتوفى بتريم سنة ١١٩٣، كانت له أحوال عجيبة ومناقب كريمة، منها ـ كما في شرح قصيدة مدهر للسيد أحمد بن علي الجنيد ـ أن ولديه زَيْن ـ السابق الذِّكر ـ وجعفر لم يرغبا في حفظ القرآن، فآلى على نفسه أن يذهب من الرملة إلى تريم ثم لا يرجع إلاّ بعد أن يحفظ ابناه القرآن ورُبع الإرشاد، وأبرّ قَسَمهُ. وذكَرَ العلامة الإمام عبد الرحمٰن بن مصطفى ـ نزيل مصر ـ في كتابه «مرآة الشموس» أن السيد محمد بن جعفر ـ هذا ـ هو الذي أمّ الناس في الصلاة على والده: مصطفى بن شيخ المتوفى بتريم سنة ١١٦٤، وعلى عمه المتوفى بتريم أيضاً سنة ١١٦٤ ولزين بن محمد بن جعفر أولاد منهم صادق بن زين المتوفي سنة ١٢٨١ وهو والد السيد زين بن صادق كان شهماً مهاباً، ولَيْثاً وثّاباً، لا يحسب للدولة الكثيرية ولا غيرها حساباً. وقد اختلف مع آل تريم في عدة مسائل فازَ فيها قدحه، ونفذ أمره، إلاّ أنه كان فقيراً حتى أن العلامة ابن شهاب يقول: من نِعَم الله على آل تريم: فقر زين بن صادق، وبُخل شيخ الكاف. وكان السيد زين بن صادق ـ على فقره ـ مبسوط الكف، وهو طويل القامة، كبير الهامة، مشبوح الذراع، طويل الباع، توفي ليلة الثلاثاء ٢٣ رمضان سنة ١٣٢٨ فامتهن بعده السرح، وأُصيب الشرف بالكمد البرح، وجاء موضع قول الشريف الرضي:

منابت العشب لا حامٍ ولا راعي أردىَ الردى بطويل الرمح والباعِ

وللرملة ذِكْرٌ كثير في شِعر العلامة الجليل عبد الرحمٰن بن مصطفى نزيل مصر، منه قوله:

يقول الهاشمي آهٍ على أزمان تقضَّت في رُبيٰ الغنّا بلادي

ورملتنا التي فاقت بِغزلان سَبَت باللحظ طبيبات البوادي

فكم في الرملة الفيحا من أعوان على النافع لهم يوم المعادِ

وكم فيها غرفٌ زانت ببنيان على بنيان بالراحة تهادي

وكم طُفنا بها لِيْماً ورُمّان وشمّينا بها عبهر وجادي

وكم بستان فيها اثر بستان من النخل التي سرّت فوادي

وقوله:

آهٍ من ذكراى حوطتنا والسحيل الفائق الخصب

آهٍ شوقاً نحو رملتنا وظباها الخُرد العَرَب

وقوله:

وفي الرملة الغرا غزال غزى الحشا

أغن إذا غنّى بدا مضمرُ الوجدِ

وعن السيد عبد الباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس، عن أبيه، أنه ضاع كَبْش لبعض أهلها فلم يجده إلاّ بعد شهر يرعى في مراعيها الخصبة، ويشرب من مياه الغِدران العذبة.

وفي شمال هذه القرية - إلى شرق - آثار قريةٍ يُقال بها **(الرملة القديمة)** لعلها كانت مصيف السادة آل عبد الله بن شيخ قبل أن يختطوا هذه، وبالقرب منها بير تُسمَّى - الآن - بير عبد الله بن مصطفى بن زين العابدين، يعنون المُلَقَّب بالباهر المتوفى سنة ١١٢٨، ترجمه السيد عبد الرحمٰن بن مصطفى في كتابه «مرآة الشموس» وأطالَ بل أفرده بالترجمة في كتابٍ سمّاه «حديقة الصفا» ونقل في «المرآة» عن السيد أبي بكر بن عبد الله بن شيخ أنه قال: لمّا مات الباهر وددت أن نفديه بسبعةٍ من كبار آل العيدروس، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وعند هذا ذَكَرت قول متمم:

فلو أُخذت مني المنيّة فديةً فديناك منها بالسوام وبالأهلِ

وقول إبراهيم بن إسماعيل:

أجاري لو نفسٍ فدت نفسَ مبتٍ

فداء لك مسروراً بأهلي ومالِيا

حصن آل فَلُّوقه:

هو قرية واقعة في سفح الجبل المُسمَّى باعشميل في جنوب تَرِيم، بأزاء الرملة إلى شرقيها، فيصلح عدّها ـ هنا ـ في القُرى التي بجنوب تَرِيم، ويصلح عدّها في القُرى التي في شرقيها، ولكني آثرت الأول لأتمكن من كلماتٍ تليق بفضيلة شيخنا العلامة أبي بكر بن شهاب بمناسبة وجوده فيها، مع نشاط الخاطر إذ لا يمكنني أن أبلغ فيهِ شيئاً مما أريد في أخْبَار تريم، المقصود مراجيحها بفضل قول العلاّمة الجليل عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أسعد اليافعي:

مررت بوادي حضرموت مُسَلِّماً ... فألفيتهُ بالبِشر مبتسماً رحباً

وألفَيْت فيه من جهابذة العُلَى ... أكابر لا يلفون شرقاً ولا غرباً

وقد سمعت كثيراً من الشيوخ وأهل العلم يقولون، أنه أنشد هذين لمّا سأله أبوه عن أهل حضرموت، وهو وَهْمٌ ظاهِر لأن وفاة الشيخ عبد الله بن أسعد كانت في سنة ٧٦٨ ووفادة ولده إلى حضرموت إنما كانت سنة ٧٩٤ كما ذكره شنبل، وسيأتي عن بامخرمة في «تريم» أن صاحب القصة إنما هو علي بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أسعد، ولكن كلام «شنبل» أثْبت لأنه أعرف بحضرموت وأخبارها. ولد شيخنا الذي لا حاجة إلى ذكر اطراد نسبه لِغِنَاه عنه بشهرته كما قال أبو الطيب:

يا أَيُّهَا المَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيةٍ ... في الشَّرْقِ والْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ

في تلك القرية سنة ١٢٦٢ ودرجَ بين أحضان العناية، وشبّ محفوفاً بالرعاية، وكان في صفاء الذهن وحِدّة الفهم آية، نَعَس مرةً بين أصحابٍ له منهم السيد الشهير علي بن محمد الحبشي يقرأون في الفرائض فعاتبه، فصحبهم في اليوم الثاني بمنظومته التي سمّاها «ذريعة الناهض» وقد أخذ قوله في آخرها:

وعذر من لم يبلغ العشرينا ... يُقبل عند الناس أجمعينا

من قول صاحب السلم:

ولبني إحدَى وعشرين سنه ... معذره مقبولة مستحسنه

وجرَى الاختلاف بمحضر شيخنا المشهور فيما لو اختلف الماءَ وَزْناً ومساحةً بماذا يكون الاعتبار في القلتين؟ فَنَظَم علىَ البديهة سؤالاً سيّرهُ لمفتي

زَبِيد، فعادَ الجواب على غرار ذلك النظم مُصَرِّحاً باعتبار المساحة، وقد ذكرَ شيخنا المسئلة في «البغيه» ولكنه لم يُشِر إلى ما كان واجباً من القصة، واَمتحنت شاعريته في حضرة الشريف عبد الله بمكة المُشَرَّفة فخرجَ كما يخرج الذهب الإبريز من كِيْر الصائغ، إذ أنشأ من لسان القلم في المجلس أكثرَ مما اقترحوه عليه. وفي ديوانه عدة قصائد بهيئة «الارتقيات» في خديوي مصر توفيق باشا زعمَ جامعوا ديوانه أنه لم يقدمها إليه، وأنا لا أُصدِّق ذلك لخروجه عن الطبيعة الغالبة إذ قلّما ينجز الشاعر قصيدته إلاّ كانت في صدره وَلْوَلَةً لا تهدأ إلاّ بأظهارها، فالظّاهر أنه قدَّمها ولكن لم تحظ بالقبول وقد قيلَ لأرسطو: إن أهل أنطاكية لم يقبلوا كلامك، قال: لا يهمني قبولهم وإنما يهمني أن يكوْن صواباً. وللعلاّمة ابن شهاب إسوة بسابقيه من الفحول، فقد أقشعرّ بطن مصر بأراكين القريض كحبيب وأبي عباده ولم يَنْجَ المتنبي إلاّ بِجُرَيعة الذَّقَن حسبما قررته في «النجم المُضي». وأخبار العلاّمة ابن شهاب أكثر من أن يتسع لها المجال؛ وهو الذي مَهَّد له الصواب، وأطْلَق الخطاب، وألْيَن القَوْل، وأطْيَل الجَوْل:

كـأن كـلام الـنـاس جـمـعٌ حـولـه ... فـاطـلـق فـي إحـسـانـه يـتـخـيـر

لقد أخَذَ قَصَب السَبْق ولم تُنجب حضرموت مثله من الخَلْق، أمَّا في الفقه فكثيرٌ من يفوقهُ من السابقين، بل لا يصل فيه إلى درجة سادتي: علوي بن عبد الرحمٰن السقاف، وعبد الرحمٰن بن محمد المشهور، وشيخان بن محمد الحبشي، ومحمد بن عثمان بن عبد الله بن يحيى من اللاحقين. وأمّا في التفسير والحديث فلا أدري، وأمّا في الأصلين وعلم المعقول وعلوم الأدب والعربيّة وقَرْض الشعر ونقده فهو نقطة بيكارها، وله فيها المرتبة التي لا سبيل إلى إنكارها [1]، وقد رأينا أشْعَار إمام الأباضيّة والشيخ سالم بافضل، وابن عُقْبه، وعبد المُعطي، وعبد الصمد، ومطالع القُطب الحَدّاد الرائعة، ومُنَقَّحات العلاّمة ابن مصطفى الشاعره، فضلاً عن دونهم فلم نَرَ أحداً يفِري فريه ولا يمتحِ بغربه ولا يسعى بقدمه، والآثار شاهده والمؤلفات والأشْعَار ناطقه:

مـجـدٌ تـلـوح حـجـولـه وفـضـيـلـة ... لـك سـافـر والـحـق لا يـتـلـثـم

له بدائع تسوق القلوب النافرة أحسن مساق، وتستصرف الأبصار الجامحة

(١) له ديوان شعر مطبوع ومتداول.

كما تستصرف الألحاظ العُشّاق:

يَنْسى لها الراكب العَجلاَن حاجتهُ ويصبح الحاسد الضمآن يرويها

ولطالما وَرَدت القصيدة بعد القصيدة من أشْعَاره إلى حضرة سيدي الوالد في حفلة، فلا تسلْ عَمّا يقع من الاستحسان والثناء من كل لسان، والإجماع على فضل ذلكَ الإنسان، غير أن والدي كثيراً ما يخشى عليَّ الافتتان بتلك الروائع، فيغيِّر مجرىٰ الحديث ويأخذ فيما كان فيه قبلها من العِلْم، وما أشد سروري إذا حضرَ سيدي الوالد علوي بن عبد الرحمٰن ـ لأنه من المُوْلَعين بابن شهاب وبأدبهِ ـ فلا يزال يكرر إنشاءها ويُطنِب فيمن شادها، وكلما أرادَ أبي أن يُنقذ الموقف قال له: دعنا يا عُبيد الله نتمتع بهذا الكلام لن يفوتكَ ما أنت فيهِ، ونحن نَجِد من اللّذة بذلك الشعر العذب واللؤلؤ الرطب ما يكاد ينطبق عليه قول أبي الطيب:

أَلَذُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ وَأَحْسَنُ مِنْ يُسْرٍ تَلَقَّاهُ مُعْدِمُ

وكلٍ من القوم ضاربٍ بذقنه أو باسطٍ ذراعيه بالوصيد، ويزيد أهل الشعر ـ منهم ـ أن لو كان لأحدهم بيتٍ منها بجملةٍ من القصيد. وكما لُقِّحت البلاد بفنونه عن حِيَال، فلا أكْذَب الله ـ كُلٍ من بَعْده ـ عليهِ، عيّال، وأنّا معترف بأن ما يُوْجَد علىٰ شِعْرِي من مسحة الإجادة إنما هي بفضله لأنني أُطيل النظر في شعره وأتمنى أن أصل إلى مثله:

وكأننا لمّا انتحينا نهجهُ نَقْفو ضياء الكوكب الوقّاد

وكان يُحْسَد حسداً شديداً من قوة نفسه، ومغالاته بها، وما يصحبه من التوفيق في المساعي، فلا يهيب بمُشْكِل إلاّ انحلّ، ولا ينبري لمعضل إلاّ أضمحل:

فأرى الأمور المشكلات تمزَّقت ظلماتها عن رأيهِ المتوقدِ

أمّا من جهة الناحية العلمية والأدبية، فقد سقطت دونهما هِمم العِدا ونفاسَهُ الحُسَّاد، وجاء موضع قول البُحتري:

فنيت أحاديث النفوس بذكرها وأفاقَ كل منافسٍ وحسودِ

ومع تآلب الأعداء عليه من كل صوب، تخلّص قَائِبَةً من قُوْبٍ، ووقى شرّهم وَقِيّا، ولم يزيدوه إلاّ رِقّيا، فانطبق عليهم قول حبيب:

ولقد أردتم أن تزيلوا عِزّهُ فإذا أبانَ قد رَسَى ويلملمُ

وهو محبوب ـ بعد ـ لدى فحول الرجال وأئمة أهل الكمال، كسيدي الجدّ، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب علي بن حسن الحدّاد، والحبيب عمر بن حسن الحدّاد، والحبيب محمد بن إبراهيم بَلْفقيه، والأستاذ الأبَرّ وأمثالهم، وقد قال الأول:

إذا رَضِيَت عني كِرَام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لِئَامها

وله رحلات كثيرة أولاها سنة ١٢٨٦ إلى الحجاز ثم عاد إلى تريم، وفي سنة ١٢٨٨ ركبَ إلى عدن واتصلَ بأمراء لَحْج ومَدَحهم، وزَعَم بعض الناس أنه كان يعنيهم بقصيدته المُسْتَهلّة بقوله:

ذَهْبت من الغريب بكل مذهب ومِلْتُ إلى النسيب وكان أنسب

وأنا في شك من ذلك، لأن له فيهم ـ بعدها ـ غِرَر القصائد، ومنها قوله:

هو الحيّ إن بلغته فانزل الحانا وحيّ الأُلى تَلْقَاهمو فيه سكّانا

على أن للإنسان لساناً في الغضب غير لسانه في الرضا وقد قال الأول:

هجوت زهيراً ثم إني مدحته وما زالت الأشراف تهجىٰ وتمدح

وذكر الطبراني أن ابن أم كلاب لقي عائشة منصرفها من الحج فأخبرها بمقتل عثمان وخلافة عليّ فقالت ردوني فانصرفت إلى مكة تقول قتل عثمان مظلوماً والله لاطلبنّ بدمه فقال لها ابن أمّ كلاب ولم فوالله انك لأول من أمال حرفه ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول. وهذا هو الذي يشبه مافعل العلامة ابن شهاب مع أمراء لحج فقال ابن أم كلاب شعراً في ذلك منه:

فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر

وانت أمرت بقتل الامام وقلتِ لنا انه قد كفر

ثم أنه ركب من عدن إلى جاوا وأقام بها نحواً من أربع سنين، ثم عادَ إلى الغناء [1] سنة ١٢٩٢ وثم نَجَمت فتنة النويدره وكان له أفضل السعي في

(١) الغناء لقب مدينة تريم وهي بلدة المترجم له.

إخمادها، ثم اشتد الأذَى فهجر حضرموت سنة ١٣٠٢ وهي الرحلة التي يقول عند رجوعه منها:

ثلاثون عاماً بالبعاد طويتها وكم أملٍ في طيّ أيامها انطوَى
وَهَا عودتي لمّا أُتيحت نويتها عسى وعسى أن ليس مِنْ بعدها نَوى

ولمّا قَدِم إلى تريم في سنة ١٣٣١ هنأته بقصيدةٍ نكَرَ منها بعض أهل العلم بتريم أبياتاً، فقال لي السيد عبد الرحمٰن بن عبد الله الكاف: أتحب أن يبحث معك إخوانك في أبياتٍ إنتقدوها من قصيدتك؟ قلت له: نعم بكل فرح وسرور، فأقبلَ العلاّمة السيد حسن بن علوي بن شهاب، لأنهم نَصَّبوه إذ ذاك للرئاسة العلميّة بتريم لينافس الوالد أبا بكر بن شهاب في عشرين من طلبة العِلم فيهم العلاّمة الأخ علي بن زين الهادي، ولم أكره مكان أحدٍ سِوَاه لِمَا أشتهرَ به من الحدة فخشيت أن يخرج بنا الجدال عن اللياقة، وما فرغنا من المناقشة إلاّ وقد رجعوا إلى كلامي، وأول من انحازَ إلى جانبي هو السيد علي بن زين الهادي تِصْدَاق أن الحِدَّة تعتري الأخيار، فكانَ من خِيَار المُنْصِفين فهابَهُ من رام المغالطة، وما أنا في هذا بمجازفٍ ولا كاذب، ولا أسْتَشهد على طُول الزمان بميّت ولا غائب، فقد بقي السيد يوسف بن عبد الله المشهور ـ ممن حضرَ ذلك البحث ـ فليسألهُ من أحَب. وموضوع المناقشة أنني عرّضت ـ في تلك القصيدة ـ ببعض من يَعِزّ عليهم ممن غَيَّر منار سيرة السَّلف بإعزاز الأغنياء وإذلال الفقراء والعلماء، ولمّا صَدَقْتَهُم ذكَرَت لهم من أعمال أولئك ما يخالف هَدْيه ﷺ لم يسعهم إلاّ الإذعان، ووعدوا بالتوسط لإصلاح الأمور، وكأنهم لم يجدوا قبولاً من ذلك الجانب فانثنوا، والقصيدة بموضعها من الديوان وأشْهَد لقد طلعت عليه فجأةً إلى سطح قصره ـ بعد المغرب ـ فإذا به يدور على غايةٍ من الاستغراق والحضور ويكرر قول أبي فراس:

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خراب

فَجَمعت يدي ـ منهُ ـ على: دِينٍ ثابت، ويقينٍ فَرْعهُ في السماء وأصلهُ في التخوم ثابت. وطالما ترنحت طَرباً لهذين البيتين واستجهرني جمالهما، وترنمت بهما في مناجاة الباري عزّ وجلّ، لا سيما وقد تمثّل بهما جلّة العلماء منهم سَلطانهم

عز الدين ابن عبد السَّلام، غير أني لما أنعمت النظر وأفقتُ من دهشة الإعجاب الفيتهُ مصادماً لقوله ﷺ: سَلُو الله العافية إذ لم يترك شيئاً من البلاء إلاّ تمناه. وربما يكون ما وقعَ فيه ابن عبد السَّلام من السجن والامتحان مسبباً عن ذلك، وقد ذكَرَت في «العُود» جماعةً ممن أُصيبوا بالعاهات من جهة تمنيهم ذلك في طريق الوِصَال، وقد أخذَ الله بَصَر المؤمل ابن أُميل من صباح الليلة التي قال فيها:

شَفَّ المُوءَمِّل يوم الحَيْرة النَّظر ... ليت المُوءَمِّل لم يُخْلَق له بَصَرُ

ومرض المجنون لقوله:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلاّ بشيءٍ غير هذا ابتلانيا

وقال عمر بن أبي ربيعة لكثير أخبرني عن قولك لنفسك ولحبيبتك:

ألا ليتنا يا عز من غير ريبةٍ ... بعيرين نَرْعَى في الخَلا ونُعَذَّبُ

كلانا به عر فمن يرنا يقل ... على حسنها اتعدى واجرب

إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله ... علينا فما ننفك نرمى ونضرب

وددت وبيت الله انك بكرةً ... هجان واني مصعب ثم نهب

نكون بعيري ذي غناً فيضعنا ... فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

ويلك تمنيت لها الزف والجرب والرمى والطرد والمسخ فأي مكروه لم تتمنه لكما؟ أما والله لقد أصابها منك قول الأول (مودة الأحمق شر من معاداة العاقل) وعاتبه عزه على ذلك ومعاذ الله أن يسلموا من سوء العاقبة.

وما وقع فيه أبو فراس لا ينقص ان لم يزد على ما تمناه كُثير وسبق في ذي أصبح أن جدي المحسن كان يقول نعْني بالاسماع والأبصار عندما ندعوا بحفظها إلا حسن بن صالح وأحمد بن عمر وعبد الله بن حسين ولكنه اظر بالآخرة ومثله المترجم فلا بعد أن يكون من تلك البابه.

ويروَى أن رجلاً قال لابن الخطاب: نفعكَ بنوك، فقال: بل أغناني الله عنهم. وكنت استحسنه وأدعو بمقتضاه حتى تفطّنت لما فيه، ورأيت أنّ ابناء ابن الخطاب لم يكونوا هناك، وليس هو بأفضل من العبد الصالح إذ عوقب على قوله: ربِ السجن أحبّ إليّ، كما جاء في الحديث.

بعد هذا كله ذَهَبت النشوة، وانجابت الغفوة، وظهرَ ما تحتهُ من الهفوة.

وفي روايةٍ عن الشافعي أنه لا يُحبّب أن يُقال في التعزية: أعظم الله أجرك، لِما في طيّه من الإستكثار من المصائب، فَسَحبت ـ عندئذ ـ ما كان مني من إستحسان ذلك وتُبت عنه توبةً صادقةً أرجو الله قبولها، ولكن بعدما سَبَق السيف العذل. وما أقبح ما يسيء الشعراء الادب يقلون الحياء. فكلام أبي فراس لا يليق بخطاب المخلوق، ولذا صرفهُ المفتونون بجماله إلى خطاب الخالق غفلةً عما فيه من التعرض ـ للبلاء ـ المَنْهِي عن مِثله. وكَمِثله قول البحتري للفتح ابن خاقان:

ويعجبني فقري إليك ولم يكن ... ليعجبني لولا محبتك الفقرُ

وقد صرفته إلى الباري عزّ وجلّ في قصيدة إلٰهيّة جرَى لي فيها حديثٌ لا أُملُّ به، فأرجو أن لا يلحقني باس بعد إذ لا يحسنُ غير المأثور، وقد فُتِن الرضي بهذا البيت وأغار عليه فلم يُحسن الإتباع حيث يقول:

فَمَا كانَ لَوْلاكُمْ يَمُرُّ ليَ الغِنىَ ... وَيَحلُو إلى قَلْبي الخَصَاصَةُ والفَقِرُ [1]

ومن الغلو الممقوت قول ابن هاني الأندلسي:

أتبعته فكرتي حتى إذا بَلَغت ... غَاياتها بين تصويبٍ وتصعيدِ

أبصرت موضع برهانٍ يلوحُ وما ... أَبْصرتُ موضع تكييف وتحديد

ومن التُرّهات الممقوتة أيضاً قول أبي عبد الله الخليع يخاطب أحمد بن طولون المتوفى سنة ٢٧٠:

أنا حامدٌ أنا شاكرٌ أنا ذاكرٌ ... أنا جائعٌ أنا راجلٌ أنا عاري

هي ستةٌ وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها بعيارِ

ولذا نقلهما ـ كسابقيهما ـ أهل الحق إلى خطاب الباري عز وجل، وأبدلوا قافية الثاني بـ يا باري، فكانت أعذب وأطيب. ولقد كنت معجباً بمختارات حافظ إبراهيم ومع ذلك فأني أُفَضّل الأستاذ عليه، حتى قلت له مرّةً: أَلَست أَشْعَر منه؟ فقال لي: أَيْنَك من قوله:

إني أرى وفؤادي ليس يكذبني ... روحاً يحف بها الإجلال والعِظَمُ

(١) ديوان الشريف الرضي ١/ ٥٤١.

أرىٰ جـــلالاً أرىٰ نـــوراً أرىٰ مَـــلَـــكـــاً
أرىٰ مـحـيّـاً يُـحـيـيـنـا ويـبـتـسـمُ
الله أكـــبـــر هـــذا الـــوجـــه نـــعـــرفـــهُ
هـذا فـتـىٰ الـنـيـل هـذا الـمُـفـرد الـعَـلَـمُ

وقوله:

كـم غـادةٍ فـي ظـلام الـلـيـل بـاكـيـةٍ
عـلـىٰ أَلِـيـفٍ لـهـا يـهـوى بـه الـطـلـب
لـولا طـلاب الـعُـلَـى لـم يـبـتـغـوا بـدلاً
مـن طِـيـب رَيّـاك لـكـن الـعُـلَـى تَـعِـب

ولهذا حديث مبسوط في «العُود الهندي». أمّا شوقي فلم أقرأ شعرهُ إلاّ بعد ذلك، فلم يكن عندي شيئاً في جانبِ جيّد حافظ، وما أرىٰ إغراق بعضهم فيه وتأميرهُ وتفضيلهُ إلاّ على مقربةٍ من تفضيل جرير على الفرزدقِ من غير حقٍ، وما أظن العلاّمة ابن شهاب إلاّ علىٰ رأيي فيه وإلاّ لذَكَرهُ لي وأثنىٰ عليه، ولا أنكر أن له محاسن لكنهم رفعوه عن مستواها إلى ما لا يستحق. وكان ابن شهاب يتشيَّع لكن بدون غلو، بل لقد إعتدل إعتدالاً حَسَناً جميلاً بعقب زيارته لحضرموت وإطِّلاَعه علىٰ «الروض الباسم» ورسائل الإمام يحيى بن حمزه، وكان قلمهُ أقوىَ من لسانه أمّا لسانه ـ مع فُرط تواضعه ولُطف ديدنه «فإنك لا تكاد تعرف أنه هو الذي ملأَ سمع الأرض وبصرها إلاّ إذا سُئِل فتفتح عن بحرٍ جيّاش الغوارب:

إذا قـالَ لـم يـتـرك مـقـالاً لـقـائـل
بـمـبـتـدعـاتٍ لا تـرىَ بـيـنـهـا فـصـلا
كَـفَـى وشَـفَـى مـا فـي الـنـفـوس فـلـم يَـدَعْ
لـذي إرْبـة فـي الـقـول جِـداً ولا هـزلا

والأدلة حاضرة وما بين العينين لا يوصف، ولهو أحق من القزّاز القيرواني بقول يعلي ابن إبراهيم فيه:

أَبَـدًا عـلـىٰ طَـرف الـلِّـسـان جـوابـهُ فـكـأنـمـا هـو دفـعـةً مـن صـيِّـب

وقد عرفتَ من قوله في حافظ أنه من سادات المُنصفين، ولي معه من ذلك ما يؤكده، وقد ذَكَرت بعضه في خطبة الجزء الثاني من الديوان. وفي سنة ١٣٣٤ توجّهَ من حضرموت إلى الهند ليقطع علائقهُ منها ويبيع داراً له بها، وبينا هو يجمع متاعهُ للسفر النهائي إلى مسقط رأسه ومَرْبَع إناسه الذي لا يزال يحن إليه بما يذيب الجماد ويفتت الأكباد كقوله:

بالهند نَاءَا أخي وجدٍ يَحِنُّ إلى ... أوطانهِ وسهام البَيْن ترشقهُ

إلىٰ العرانين من أقرانهِ وإلى ... حديثهم عَبَرات الشوق تخنقهُ [1]

إذ وافانا نعيه في جمادى الآخرة من سنة ١٣٤١.

فضاقت بنا الدنيا الفضاء كأنما ... تصعدنا أركانها وتحول

فاشتد الأسىٰ ولم تنفع عسى، وكادت الأرض تميد لموت ذلك العميد، وطَفَق الناس زماناً:

يُعَزَّون عن ثاوٍ تُعزِىّ به العُلَى ... ويبكي عليه الجُود والعِلْم والشِعْرُ

(١) الديوان ص ١٧٦.

تَرِيْم:

هي قاعدة حضرموت، وقد أطال الخطيب في «جوهره» والشلّي في «مشرعه» وغيرهما بما يُغني ويفني في وصفها وشرح أحوالها، فأنا في تعاطي شيء بعدهم من ذلك كواصف النجم الساطع والبدر الطالع، وإنما نحرص علَى شاردة نتلقفها أو نادره نتخطفها.

قال الهمداني: «وتريم مدينة عظيمة» ومَرّ آخر الكلام عن تريس قوله في موضع من «الصِفة»: تريم دِيار تميم وتريس بحضرموت .اهـ. وتَفرّست أن قوله: (وتريس) مُحرَّف عن تريم كما يُفهم من السياق، وقال في الجزء الثامن من «الإكليل»: حصون حضرموت: دَمُّون لحمير، والنجير لبني معد يكرب من كِنده، وحضرموت، وحوره فيها كِنده اليوم، وتريم موضع الملوك من بني عمرو بن معاوية منهم أبو الخير ابن عمرو الوافد على كَسْرَى ليستنجد منه على ابن الحارث .اهـ. وما ذَكَرَهُ عن دَمُّون مُخَالِف لِما أسلفناه ـ عنه ـ فيها، ما لم يُرِد دَمُّون الشرقيّة الآتي ذِكْرَها فأنه ممكن. وجاء ذِكْر حوره فيه بالزاي المعجمة، ولا شك أنه غلط مطبعي أو من الناسخ فلم يهتدِ إلى صوابه مُصَحِّح الطبع. وقالَ ياقوت: تريم اسم إحدى مدينتي حضرموت لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها، ومدينتاها تريم وشبام، وهما قبيلتان سمِّيت باسمهما البلدتان، قال الأعشى:

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى تَرِيم
وقَدْ نَأَت بَكْرُ بن وائلِ

وقال كثير:

وكأن حمولها يملا تَرِيمِ
سفين بالشعيبة ما تسير

ومما استدركه «التاج» على أصله قوله: وتَرِيم كأمير مدينة بحضرموت سُمِّيت باسم بانيها تريم بن حضرموت. قال شيخنا: وهي عش الأولياء ومنبتهم، وفيها جماعةٌ ممن شَهِد بَدْراً، وهي سكنُ السادة آل باعلوي ومنها تفرّقوا في

البلاد. اهـ. وهذا كلهُ صحيح لا وَهْمَ فيه، وبمجرد ما وصل كتابه ﷺ إلى تريم أسْلَم أهلها وانتشَر الإسلام بحضرموت، وكان سليم بن عمرو الأنصاري داعية الإسلام بحضرموت فنجح نجاحاً باهراً، ولمّا توفي النبيّ ﷺ ـ وارتد من ارتدّ بحضرموت ـ وَرَدَ كِتاب أبي بكر الصدِّيق على لُبَيْد بن زياد وهو بمدينة تريم، فقرأهُ على أهلها فبايعوه ثم بايعهُ أكثر أهل حضرموت، فطالعَ أبا بكر بالخبر فَدَعىٰ لأهل تريم بما بعض أثَرَ إجابته محسوس إلى اليوم من البركة. ثم ظهرت الأباضيّة وكان من تقلّب الأحوال ما لخصناه في شبام.

أمّا جامع تريم، فأول ما انتهى إلينا من عمارته كونها في سنة ٢١٥ ثم جدّد عمارته الحسن بن سلامه. والعَجَب من الشلّي أنه لم يذكر إلاّ عمارته سنة ٥٨١ قال: ثم جُدِّدت عمارته سنة ٥٨٥ ثم في سنة ٩٠٣ كَتَب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بافضل باحاج إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب يطلب منه توسيع المسجد لأنه ضاقَ بالناس، فأرسلَ بمالٍ جزيل مع السيد الجليل محمد بن أحمد باسكوته، فعمَّره عمارةً أكيدة هي الموجودة إلى الآن .أهـ. وبعيدٌ أن تبقى تريم بدون جامع إلى سنة ٢١٥ وبها من الصحابة وأهل العلم من لا يُحصى، ففي «الجوهر» عن الشيخ علي بن محمد الخطيب قال: كنا جلوساً في مقبرة تريم ومعنا الشيخ عبد الله باعلوي فقال رجل من أهل تريم: في مقبرة تريم سبعون بدرياً، فقلت له: ما كفاكم يا أهل تريم ما فيكم من الصالحين حتى تريدون قريباً من ربع أهل بدر؟ فقال لي الشيخ عبد الله: ما لك وللأعتراض يا ولدي هذا كلام نقله الخَلَف عن السلف .أهـ. ومعاذ الله أن يكوْن غير صحيح ما يقول فيه الثقة الإمام أنه مروي من الخَلَف عن السَلَف، ومع هذا فهل يمكن بقاؤهم بدون جامع، وقد قال بعضهم بوجوب بناء المساجد مستدلاً بما أخرجه الترمذي وأبو داؤد وابن ماجه بسندٍ صحيح من حديث عائشة: أمرَ رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدُور وأن تُطَيَّب وتُنَظَّف، وأمرَ عمر أهل الأمصار ببناء مساجدهم وأمرهم أن لا يبنوا مسجدين يُضَار أحدهما الآخر، رواه البغوي. والأصل في الأمر الوجوب، ورَجَّح ابن حَجَر الهَيْتمي ـ كما في الرعي الأخضر ـ النَدْب. ومهما كان الأمر فالمؤكد أن جامع تريم كان مبنياً من الصَدْر الأول، وإنما جُدِّد أو وُسِّع كجامع شبام في سنة ٢١٥ ثم تكرَّرت عليه العمارة والترميم، ومتى أغْفَل الشلّي العمارات السابقة عن سنة ٥٨١ فأولَى أن يغفل العمارة القديمة. أمّا العلويون فقد تَفرَّسنا ـ في غير موضع من الأصل ومن هذا ـ أن امتناعهم عن

سَكْنَى مدينتي حضرموت [1] لم يكن - في البدء - إلاّ لأجل التنافس المذهبي، وقد جاء في غير موضع من مجموع كلام الحبيب محمد بن حسن الحداد ما يُصَرِّح بوجود أصل التنافس.

ثم أن المؤرخين يكثّرون من عِلْم المهاجر ومن بعده إلىٰ علي بن علوي خالع قسم ويذهبون به إلى غايات بعيدة، وللشك في مثل ذلك منافذ كثيرة أشرنا إلى شيء منها في المبحث الثاني من الحُسَيِّسه، وقد جاء في الحكاية التاسعة من «الجوهر» للشيخ عبد الرحمٰن الخطيب، وهو غِرِّيد مديح العلويين وصَنَّاجة ثنائهم، أن الشيخ الإمام سالم بن فضل [2] كانَ من كبار الزاهدين الورعين العاملين، وكان العلم أراد أن يندرس في حضرموت فأحياه، وذلك أنه سافرَ في طلبه ومَكَث أربعين سنةً في العراق وغيره يطلب العِلم، وأهله يظنون أنه قد مات، ثم عاد ومعه أحمال من كُتب العلم حديثاً وفِقهاً وغيرها، ثم دَرَّس في بلده، وأقبلَ عليه طلبة العلم من كل مكان، وحَصَّل العلم على يديه خلق كثير، حتى أنه ربما بَلَغ في تريم ثلاثمائة مُفْتٍ في عصرٍ واحد، ومُصَنِّفون كثير كالإمام علي بن أحمد بامروان المتوفى سنة ٦٢٤هـ والإمام عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي عُبيد المتوفى بتريم سنة ٦١٣ والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب المتوفى سنة ٦١١ أنتهى.

ومن الأجلاء كما يروي عن سيدنا الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر من يلحق منته بنشر العلم بما كان من هجرة الأمام أحمد بن عيسى وضع الفقيه للمقدم للسلاح وتحرير الشيخ علي بن أبي بكر للشجره.

ومن علماء تريم - لذلك العهد - الشيخ علي بن محمد بن علي بن حاتم المتوفى - كما في تاريخ باشراحيل - بتريم في شعبان سنة ٦٠٣ ومنهم الفقيه الصالح علي بن يحيى بن ميمون المتوفى بتريم سنة ٦٠٤ أمّا الشيخ سالم بن فضل وهو ابن محمد بن عبد الكريم بن محمد بافضل - هذا - صاحب الرحلة إلى العراق فقد توفي شهيداً بتريم سنة ٥٨١ صَرَّح بذلك العلاّمة الجليل عبد الله بن أبي بكر بن قدري باشُعيب، ولم يذكر ذلك صاحب «الجوهر» مع أن مثل ذلك لا يَخفى عليه، وليس بغريب منهم إغفالهُ فقد أغفلوا ذِكْر قَتْل السيد سالم بن

---

(١) يعني: تريم وشِبام.

(٢) انظر عنه: كتاب صلة الأهل - مطبوع.

بصري. والظاهر أن شهادة الشيخ سالم بافضل لم تكن على يد الغِزّ أُمراء الأيوبيين، إذ لو كانت على يدهم لم يكن مانع من ذِكْرهم كما ذكروا قتلهم لآل أكدر وغيرهم، وما لم أُنَبِّه عليه في هذا الكلام فمن «جوهر» الخطيب.

وها هنا فوائد (الأولى): أن في الكلام ما يدل علىٰ أن البلاد كانت ملأَى بالعلم ثم إندرس حتى أحياه الشيخ سالم بافضل، ولئن لم يُصَرِّح الخطيب بتلاشي العلم في البدء بل جاء بفعل المقاربة، فقد صَرَّح به قوله في الآخرة: فأحياه. وأمّا امتلاء الديار الحضرميّة بالعلم ـ في الزمان الأوّل ـ فشاهدهُ ما نقرره في كثير من المواضع بهذا، وأصله من كثرة رجال الحديث فيها إذ ذاك، فمعاجم الرجال كتهذيب التهذيب ولسان الميزان مشحونة باسمائهم وتراجمهم كما مَرّ في الحُسَيِّسه، وقد جاء فيَ ص ١٢٨ ج ١ من «المشرع الروي» أن السادة في مدة إقامتهم ببيت جُبير يُكثرون الدخول إلى مدينة تريم، ووجدوا بها من أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفُهوم والألباب ما شغلهم عن الأهل والوطن وأذهلهم عن كل خِلٍ صفي وسَكَن .أهـ. ولئن أشكلَ وجود أرباب العلوم لذلكَ العهد مع قول الخطيب أن العلم كادَ أن يتلاشى حتى أحياه الشيخ بافضل المقتول بتريم سنة ٩٨١ فأن المدة ليست بالقصيرة، بل صالحةً لوجود العلماء ثم اندراس العلم بموتهم. وكانت وفاة السيد علوي بن محمد بالصومعة من «بيت جُبَيْر» سنة ٥١٢ ووفاة أبيه من قبله فلا مدفع للنص، ولا إشكال فقد جرى بأعيننا ما يُشبههُ من التقلبات في الأزمنة المتقاربة، ولئن حاول بعضهم أن يغبر على ما نُدلل به لعلم الحضارمة من كثرة رواتهم بزعمه أن أكثرهم منسوبين إلى القبيله، فجوابه أن مثرى القبيله ودولتها ببلاد حضرموت كما بَيّناه بالأصل وأشرنا إليه في شبام، حتى لقد اختلفوا ـ كما في التاج ـ في سبب التسمية، فقيل ان البلد سُمّيت باسم القبيلة، وقيل العكس، وهنا أبلغ ما يكون في التلازم فشرف العلم حاصل على كل حال. وفي تاريخ ابن خلكان أن عبد الله بن لَهِيْعة ـ أول قاض بمصر من جهة الخليفة ـ حَمَل لقب: حضرمي نِسْبةً إلى البلد.

(والثانية): أتَرَى الخطيب يهمل ذِكر العلويين في هذا الموضع وقد وقفَ نفسه على خدمتهم وبث فضائلهم والتَّغني بمناقبهم لو كان أحد منهم يوازي أولئك الأئمة؟ لا والله، نعم كان السيد سالم ابن بصري من أراذين العلوم لذلك العهد ولم يذكره في السياقة الآنفة؛ فإما أن يكون مع غزارة علمه أنزل عن درجة أولئك

فيه، وإمّا أنه لا تأليف له وأولئك مؤلفون.

(والثالثة): ذكرها صاحب «المشرع» ونقل عنه شارح العينية أن الشيخ سالم بافضل ـ صاحب الرحلة إلى العراق ـ وعلي بن أحمد بامروان، والقاضي أحمد بن محمد باعيسى المتوفى سنة ٦١٨ والشيخ علي بن محمد الخطيب المتوفى سنة ٦٤٢ أخذوا عن السيد الإمام محمد بن أحمد ـ صاحب مرباط ـ المتوفى سنة ٥٥١ أو ٥٥٦ على اختلاف الرواية، وفي أخذهم عنه شيء من البُعد، أمّا الشيخ سالم فلغيبته في طلب العلم ثم لم يعد إلى تريم إلاّ وصاحب مرباط بعيد عنها ومع ذلك فالاحتمال فيه ـ من جهة السن ـ أقرب من سواه، ويقرب منه ابن أبي الحب المتوفى سنة ٦١١ إذ لم يتأخر موته عن صاحب مرباط إلاّ خمساً وخمسين عاماً، ثم ابن أبي عُبيد إذ لم يزد ما بين وفاتيهما على سبع وخمسين عاماً، أمّا بامروان فالفرق بين وفاته ووفاة صاحب مرباط تسع وستون سنةً، وبينهما وبين باعيسى إثنان وسبعون سنةً، وأبعد ما يكون بينه وبين الخطيب إذ البون شاسع جداً يقرب من سته وثمانين عاماً مع تباعد الديار، ولهذا لم يذكر سيدي علي بن أبي بكر في «البرقة» إلاّ أخْذ الشيخ سعيد الظفاري وابن أخيه علي بن عبد الله بن علي، وهذا هو القريب لقوة المناصرة وكثرة المعاصرة وقُرب المجاورة، ولْيُرَاجَع جميع ذلك فإني لم أُطِل فيه التحديق ولم أمُرّ على البرقة بأسرها، فلا مواخذة إن وجد غير ما ذكرته في موضعٍ منها لم أستحضره. ومع ما استقربناه من أخذ الشيخ سالم بافضل عن صاحب مرباط يبعده أنه عاصر القُطب الجيلاني وجاورهُ في طلبه بالعراق ولم يُذْكَر له أخْذ عنه، ولو كانَ لتلقى عنه تلاميذه بأخذهِ عنه وانتشرت بينهم طريقه ولكنه لم يكن شيء من ذلك وإلاّ لتَوَاتر. ومن العلوم أن الخبر الذي تتوفر الدواعي على تواتره كهذا لا يثبت برواية الآحاد وإن كانوا عدولاً فكيف ولم يرده أحد قط، مع أن القطب الجيلاني أشهر وأذْكَر من أبي مَدْيَن، وقد اشتهر أخْذ الفقيه المُقَدَّم عنه اشتهار الشمس الضاحية، مع ان لم يكن إلاّ بالواسطه، وقد أمكن الشيخ سالم أن يأخذ عن الجيلاني بدونها، وكل ما تحيل كتمانه لا يقبل برواية الآحاد، قال الغزالي: فإن قيل قد تفرد الآحاد بنقل ما تتوفر الدواعي عليه حتى وقع الخلاف فيه، وذكَر عدة أمور أقواها في الإشكال انشقاق القمر، فلم ينقله إلاّ ابن مسعود وعدد يسير معه، وكان ينبغي أن يراه كل مؤمنٍ وكافر وبادٍ وحاضر، وقد أجاب بأنه آية ليلية وإنما وقع لحظة والناس نائمون فلم يرهُ إلاّ من ناصر النبي ﷺ من قريش ونبههُ على النظر له.

وكم من زلزلةٍ وانقضاض كوكب وأمور هائلة من ريح وصواعق بالليل لا ينتبه لها إلاّ الآحاد، على أن مثل هذا لا يعلمه إلاّ من قِيلَ له أنظُر إليه. وقد انشق القمر عقيب التحدي ثم التأم من ساعته .أنتهى بمعناه وأكثر لفظه. فلا شك أن في عدم أخذ الشيخ سالم عن القُطب الجيلاني خبيئاً يتفسر بما في الأصل. وغير بعيد من الفقيه القُح أن تَنْفر نفسهُ من أهل الطرائق ومَنْ على شاكلتهم، فالحرب عوان بين الطائفتين حتى لقد كان الإمام أحمد بن حَنْبَل يكره الحارث المُحاسبي، قيل لنظره في علم الكلام، ثم أنه هجرهُ فاستخفىٰ الحارث من العامّة، ولمّا مات لم يُصَلِّ عليه إلاّ أربعه نفر، وفي ذلك العهد كانت الصولة للحديث والفقه ثم أديلت للتصوف، وكذلك الأيام تداول بين الناس. وفي الفتاوى الحديثة لابن حَجَر أنهم بالغوا في رد إنكار الإمام أحمد على الحارث، ولعل ذلك بَعده بزمان، أمّا في حياته فلو ردوه لصلوا عليه. وما كان بَافَضْل ليدع الأخذ عن الجيلاني ويأخذ عن صاحب مرباط.

(والرابعة): أن صاحب «الجوهر» بَيْنا هو يُكْثِر من إقبال الناس على العلويين من يوم جاؤا، كادَ أن يُناقض ذلك تماماً في قوله: واعلم يا أخي ـ وفقّك الله وإيانا ـ أنه لم يزل السادات من مشائخنا الأجلاء والفقهاء والفضلاء من علمائنا ـ سلفاً وخَلفاً ـ يُجِلُّون آل باعلوي، خاصّهم وعامّهم، ويعظمونهم ويوقرونهم ويحترمونهم الحرمة الزائدة الكاملة، وينزلونهم المنزلة العالية لأجل شرفهم الظّاهر النبوي، وها نحن نقتصر على ذِكر واحد وعشرين من الشيوخ الكبار، منهم شيخنا (أبو العباس فضل بن عبد الله بافضل)، والشيخ محمد بن أبي بكر عباد، والشيخة سلطانة بنت علي الزبيدي، والشيخ معروف باعباد، (والشيخ محمد بن أحمد بن أبي الحب)، والشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، والشيخ محمد بن عبد الله باعباد، والشيخ أحمد بلعفيف صاحب ظفار، والشيخ أحمد بن عبد الرحيم باوزير، والشيخ عبد الله بن إبراهيم باقشير، والشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل)، والشيخ عبد الرحمٰن بن حسان، والشيخ عبد الله بن محمد بن أبي عيسى العمودي، والفقيه الكبير بامهره الشبامي، والقاضي محمد بن سعيد كبّن، والشيخ بن عبد الله بن أبي السرور، (والشيخ محمد بن أحمد بايعقوب) انتهى بمعناه. ولعل الحادي والعشرين: سعيد بن محمد الكِندي نزيل الهَجْرَين، ووجه المُناقضة أن طَبَقَةً يكوْنُ فيها ثلاثمائة مُنْتٍ ثم لم يجد الخطيب من يذكره منهم ـ مع شدة حرصه على التعداد والتكثر ـ إلاّ واحداً هو ابن

أبي الحب فقط فإنه أنصعُ ظاهرٍ في المناقضة، أما الباقون فليس فيهم من أهل تريم إلاّ ثلاثة وهم: إبراهيم بن يحيى بافضل وليس من تلك الطبقة، ولكنه متأخر كانت وفاته في سنة ٦٨٤ وإنما كان من تلك الطبقة أبوه وجده وهم أولَى بالعدّ لو كانوا هناك. والثاني: فضل بن عبد الله فضل، وقد مرّ في الشِّحر أن وفاته كانت في سنة ٨٠٥ أيام السقّاف، والثالث: محمد بن أحمد بايعقوب ولا أذكر تاريخ وفاته وربما يكون والد القاضي بتريم: أبي بكر بن محمد بايعقوب وهو معاصر للسقاف. وفي «المشرع» وكذا الحكاية ٣٨٧ من «الجوهر» أن هذا القاضي تكلّم بكلامٍ خشن قبيح على الشيخ أبي بكر بن عبد الرحمٰن السقاف، فدعىٰ عليه فعمي. وفي الحكاية ٣٣٤ ـ منه ـ أن الشيخ عبد الله بن محمد بازغيفان تكلّم ـ وهو على منبر القاره ـ بكلامٍ قبيح على السقاف ـ وهو حاضر ـ فلم يُجبه. وفي الحكاية ٣٤٣ أن بازغيفان ـ هذا ـ كان من مشائخ حضرموت، يشهد له بذلك علي بن سعيد باصليب المُلَقَّب بالرخيلة. وفي «المسلك النبوي» لسيدي أحمد بن زيد الحبشي أن الرخيلة ـ هذا ـ من مُريدي الشيخ عبد الرحمٰن .أهـ. ومن التعاجيب أن يشهد لبازغيفان بالمَشْيَخة مع ما كان منه إلى شيخه السقّاف. وأمّا ابن أبي السرور فلا أعرف من هو. نعم سبق في «بيت جِبير» أن الشيخ يحيى بن عبد العظيم الحاتمي المتوفي سنة ٥٤٠ كان من تلاميذ سيدنا علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله ومادحيه، وهو أقدم من تلك الطبقة لكن الاعتبار إنما هو بالأكثر الغالب، وقد دللنا ـ في الأصل ـ على انحراف الشيخ سالم بافضل عن العلويين، وانتقاء ذِكره هنا بين محبيهم ومعظميهم مما يؤكده، وهو أكبر علماء تريم لذلك العهد بل حضرموت على الإطلاق، ودللنا فيه ـ أيضاً ـ على أن السيد سالم بن بصرى ذهب ضحيّة استبداد عبد الله بن راشد. وكان ابن أبي الحب ـ مع ميله إلى العلويين ـ يتشيع للسلطان عبد الله بن راشد تشيعاً شديداً فكأنما نطق بلسانه الأوّل حيث يقول:

عجباً له أبكيه ملءَ مدامعي ... وأقول لا شُلَّت يمين القاتلِ

ولو خَلُص وِدّهُ لعادَىٰ من يعاديه إذ قد قال العتابي:

تُوِّد عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك ليس النَوِك عنك بغائب [1]

---

(١) النوك: الأحمق.

لكنه رثى سالماً ملءَ دموعهِ ولم يتعرّض للقاتل، كأنما إحدىٰ يديه أصابت الأخرى فقط. على إنه لا يُلام من هذه الناحية، فقد كان كثير من العلويين يُطنبون فيه مع فعلته التي فعل فيما أخال ـ وهو من الظالمين، على أن ثناءهم عليه لا يبعد أن يكون تحت تأثير من الضغط حسبما تمثّل به الإمام الغزالي من قوله:

ولم أر ظُلماً مثل ظُلمٍ ينالنا
يُساء إلينا ثم نؤمر بالشكرِ

ومهما يكن من الأمر فليسع ابن أبي الحب ما وسعهم من ذلك على أي تقديرٍ كان، وفي «سفينة الأرباح»: أن أبي الحب هو ناظم القوافي التي أولها (تبارك ذو العلا والكبرياء)، وكأني بمن يطّلع على هذا من الأغبياء فيتوهم الغض من فضلهم به، وليس كذلك وإنما واجبي إنصاف التاريخ وتمحيص الحقائق ما وَجَدت إليه سبيلاً مِنْ اتخاذي منه أكبر حُجه للمجد والشرف. وقد كان جدهم علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ـ وهو خيرٌ منهم ـ مبغوضاً بين الناس لا يوجد بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبه، وأصل ذلك في «الصحيح» إذ جاء فيه أنه كان له وجه من الناس أيام فاطمة، ومفهومه الواقع في محل النطق أنهم تنكّروا له بعقب وفاتها، وهو الواقع، وقد قال معن بن زايدة:

إني حسدت فزاد الله في حسدي
لا عاش من عاش يوماً غير محسودِ

وقال ناصح الدين الأرجاني:

وظل نساء الحي يحسدن وجهها
ولا خير في نُعمىٰ بغير حسودِ

وقال حبيب:

تلكم قريش لم تكن أحلامها
تهفو ولا أراؤها تتقسمُ
حتى إذا بعث النبي محمد
منهم غَدت أحقادهم تتضرمُ

وقال غيره:

محسدون وشرُّ الناس منزلةً
من عاش يوماً سليماً غير محسودِ

وفي شرح قول المتنبي:
ما مقامي بأرض نخلة إلاّ
كمقام المسيح بين اليهود

من كتابي «العُود الهندي» إطناب في الموضوع وكلام ممتع يدخل أكثره فيما نحن فيه، ولكن لا حاجة إلى الإطالة مع إمكان الإحالة، واضرب بطرفك أنّي شئت فلن تجد أحداً من العلويين اتفق له ظهور وجاه ضخم إلاّ أقشعر له بطن تريم خلا ما كان من العيدروس الأكبر فلقد استجهَر الناس بمجد وجود انقطع لهما الحسود، كما قال ابن الرومي:

ما أنت بالمحسود لكن فوقه ... إن المُبين الفضل غير محسَّد
يتحاسد القوم الذين تقاربت ... طبقاتهم وتشابهوا في السؤدد
فإذا أبرّ أميرهم وبدا لهم ... تبريزهُ في فضله لم يُحسدِ

على أنَّ العادة لم تنخرم فيه بآية أنه لم يُأخذ عنه ولم ينتفع به إلاّ أولاده والسيد محمد بن عبد الرحمٰن صاحب الحمراء فقط، فلعل ما يُذْكَر من إقبال الناس عليه ـ في حياته ـ مُبالغٌ فيه، وإنما اشتدَ ظهورهُ بانتشار الدعاية له بعد وفاته.

(والخامسة): لم يَكْثُر التأليف في العلويين إلاّ بعد ظهور السادة آل العيدروس، فلقد كلفت الفاضل النزيه الشيخ امبارك عُمَيْر باجريش (قاضي تريم سابقاً وسيوون الآن، إذ كان محباً لآل عبد الله بن شيخ وعارفاً بمآثرهم) أن يُلَخِّص لي أسماء ما يعرف من مؤلفاتهم، فأحصىٰ لي كثيراً منها، من ذلك إحدىٰ عشر مؤلفاً للسيد شيخ بن عبد الله ومنه كتاب «الشجرة النبوية في تحقيق أنساب السادة العلويه» لابنه العلاّمة النَسّابة عبد الله بن شيخ، ومنه ستة وعشرين مؤلفاً للعلاّمة الصوفي المؤرخ الفقيه السيد عبد القادر بن شيخ، ومنه «إيضاح أسرار علوم المُقَرَّبين» للعلاّمة الجليل محمد بن عبد الله بن شيخ، ومنه مؤلفات أخيه شيخ بن عبد الله وهي «نصيحة الملوك» و «السلسلة» في ثلاث مجلدات كبار، ومنه عدة رسائل للسيد زين العابدين بن عبد الله، صنو الذي قبله، ومنه مؤلفات

ابنه جعفر الصادق، ومنه عشرة مؤلفات للعلاّمة الشاعر المُجيد جعفر الصادق الثاني بن محمد المصطفى بن زين العابدين، ورسائل أخيه عبد الله بن محمد ولكنها قليلة، وأمّا خاتمة محققيهم: السيد عبد الرحمٰن بن مصطفى ـ نزيل مصر ـ فقد ذَكَر سيدي الأستاذ الأبرّ في «عقده» أنها تزيد على الستين، والمُسمىٰ منها في العريضة ـ التي قدّمها لي الشيخ أمبارك ـ ثمانية وخمسون، وهذه ثروة طائلة وفّروها للعلم بحضرموت. وقد قرأ عليَّ الشيخ إمبارك جملةً منها غَسَلَت صدري عن كثيرٍ من المكدورات ولا سيّما «إيضاح أسرار علوم المقربين» وأنعَشت روحي، وذكّرتني أيام والدي، ونفت عني وعثاء المسائل الفقهيّة، إلاّ أن في بعضها ما يخلص إليه الانتقاد نحو الغلوّ في الشيخ وإنزاله في أعلى مما يستحق، ويجوز في بعضها ما يشبه كلام ابن عربيّ فيأتي فيها ما يُقال فيه. وقد جردت القول عن ذلك في الجزء الثاني من الأصل في شرح البيت ٤٤ ومن أحسن ما أتىٰ على طرفي العُذر والنقد ما نقلته عن شيخ الإسلام ابن تيميّة، فَلْيُكشف منه.

أمّا كرم السادة آل العيدروس فحدّث عنه ولا حرج، فمنهم الشيخ الكبير عبد الله بن شيخ، حكىٰ أنه استأذنهُ جماعةٌ من أهل العلم يسافروا من ديون لزمتهم فقال لهم: واحد ولا جماعه، فركب إلى الحجاز ثم إلى الهند فأكرمه بعض ملوكها بما يكفي لهم أجمعين، وما هي إلاّ مُدّة يسيرة وعادَ فَمثَّل المكارم وتحمّل المغارم:

خذوا هنيئاً مريئاً يا بني علوي ... منه أمانين من خوفٍ ومن عدمِ
نالَ المحاميد إمْلاَقٍ فقيل لهم ... شِيموا نداه إذا ما البرق لم يَشُمِ
فما الربيع على أُنس البلاد به ... أشدَّ خضرة عود منه في الازم

ومنهم الغيث الهتون: السيد جعفر الصادق الأول، فقد كان يُرْسِل في كل عام لكل فردٍ من محاويج الأشراف بمائة ريال:

هذا الذي بجح الزمانُ بذكره ... وتزيّنت بحديثه الأسمارُ

ومنهم الشريف العالي المقدار السيد علي زين العابدين الثاني، كان يُرْسِل لأبيهِ عشرين ألف ريال سنوياً، فضلاً عن صِلاَتِه لأرحامه وغيرهم. وعلى كل حال فللسادة آل العيدروس ـ ولاسيما آل عبد الله بن شيخ ـ الفضل، وإلى بيوتهم تنتهي مناسب الفضل:

لـولا أحـاديـث سَـنّـتـهـا أوائـلـهـم من الهُدى والنَدى لم يُعرف السمر

وأنا في شكٍ بَعْدُ مما جاء في «مجموع كلام الحبيب عمر بن حسن الحدّاد» عن الشيخ: عبد الله باسودان من قوله: ما كان ظهور سادتنا آل باعلوي في غير جهتهم إلاّ بعد ظهور ديوان الحدّاد، لأنه مسبوق بما لآل العيدروس من الشهرةِ التي طَبَقت الآفاق ولا سيما الهند والحجاز.

(والسادسة): جاء في «المشرع» عن بعض المشائخ أن حارة «الأزمره» هي المدينة القديمة، وهي التي في شرقيّ الجامع ممتدة إلى الجنوب، ثم اتسعت عـمـارتـهـا، وهـي تـزيـد وتـنـقـص بـحـسـب الـوُلاَة والأزمـان والأمـن والـرخـاء وضدها .أهـ. وهذا لا يناسب ما يكثره الرواة من سكانها وعلمائها وصلحائها. وقد سبق قول الخطيب أنه ربما بلغ في عصرٍ واحدٍ ثلاثمائة مُفْتٍ بتريم، وقال في موضع آخر: وعن أحمد بن الفقيه ططه ـ بطائين ـ وكان أهله من تِريم ثم انتقل إلى ظفار، قال: أعرف في تريم ثلاثمائة مُفْتٍ في زمان واحد، [وعن الفقيه علي بن سلم: قال لي والدي: اِروِ عني يا ولدي، أنه بلغني أنهُ وقع في تريم ثلاثمائة فقيهٍ مُفْتٍ في زمان واحد] [1]. وعن الشيخ علوي بن محمد بن أبي علوي عن سعيد باجابر، قال: تَذَاكرت أنا والشيخ أبو العفيف في «تريم» و «الهَجْرَين» و «شبام» ـ فقال لي الشيخ: في تريم أربعون مسجداً. وعن أبي بكرٍ بن عبد الله باحرمي، عن الفقيه عبد الله بن علي باحاتم، قال: قال خالي: اجتمعَ عَلَى دَكّةِ مسجد آل باحاتم ـ الذي بتريم ـ أربعون فقيهاً من آل باحاتم. وعن الفقيه محمد بن أبي بكر عبّاد أنه قال: بَلغ الصف الأول في جامع تريم أن أهلهُ كلهم فقهاء من كثرة فقهائها. وروينا أنه كان في تريم سبعمائة قبيله، لا تخلو قبيلةً عن أحدٍ من الصالحين، سِوى قبيلةٍ واحدة. هكذا من «جوهر الخطيب» ونَقل أكثره صاحب «البرقة» وصاحب «المشرع» وبعضه مذكور ـ أيضاً ـ في «مقال الناصحين» لباجَمّال، وسبَق كثير منه في الحُسيِّسه، ومثل هذه الأخبار العظيمة لا يمكن أن تكوْن في قريةٍ صغيرة، ومتى كان بانيها تريم بن حضرموت فلن تكوْن إلاّ كبيرةً من البدء لِكِبَر شأنه وضخامة دولته. ثم ان ما جاء أن بتريم أربعين مسجداً محمول على ما قَبْل وفاة الشيخ علوي بن محمد بمدَّة، وكانت وفاته في سنة

(١) زيادة في النسخة «ا»

٦٦٩ أمّا بعد ذلك فقد تعددت فيها المساجد بكثرةٍ مفرطة وأكثَر العلويون من بنائها، وكنت أستشكِل ذلك بما سبق عن ابن الخطّاب وبما ذكره السيوطي في كتابه «هدم الجاني» من أنه لا يجوز بناء مسجدٍ بجانب مسجدٍ قديم من غير حاجةٍ إلى البناء، ولا زحمةٍ في القديم بين المصلِّين حتى قال لي والدي رضوان الله عليه أن الغرض من كثرة تلك المساجد الصغيرة إنما هو العُزلة والاعتكاف وأداء النوافل المطلوبة شرعاً في المساجد كما كان أبو بكر ابتنىٰ مسجداً بفناء داره مع وجود المسجد الحرام، أمّا جماعة الصلوات فلم تكن إلاّ في مساجد معلومة لا تتعدد إلاّ بمقدار الحاجة كمسجد آل أحمد المعروف اليوم بمسجد باعلوي.

وأول رباط بُني بتريم هو: رباط الشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل المتوفي سنة ٦٨٤، قال الخطيب في جوهره: وكان يُقيم به على التوكل في جماعةٍ من فقرائه، وفي الحكاية ٣٣ ـ منه ـ أن الشيخ محمد بن عثمان الشمهوني ـ نِسْبَةً إلى شمهون قرية من قُرى ظفار ـ قَدِم على أولاد الفقيه المقدم إلى تريم فتلقّاه علوي وعبد الرحمٰن، ولمّا تقدم عبد الرحمٰن إلى الدار لتهيئة الضيافة تقدم الشيخ إبراهيم بن يحيى فضل فطلب من علوي بن الفقيه أن يؤثره بالشمهوني ذلك اليوم، فأطلبهُ، فذهب به إلى رِباطه وأنزله فيه .أهـ. والمفهوم من أمثال هذا أنه كان رباطاً حقيقةً، غير أن من لا أذكر اسمهُ الآن ـ من علماء تريم ـ قال لي أنه لم يكن رباطاً، وإنما بناه الشيخ سالم بافضل مسجدا من يوم بنائه، فوسّعه الشيخ إبراهيم ورممّهُ فَنُسِب إليه، وما سُمِّي «رِباطاً» إلاّ لأن موضعه كان مَرْبط خيل المهاجر بن أبي أميّة المخزومي ومن معه من الصحابة الواردين لقتال أهل الردَّة، وهو اليوم مشهور بمسجد الرباط، قال الشلّي: وكان الشيخ محمد بن محمد بافضل الشهير بالعطّاس مُلاَزِماً له في عباداته، وكان قد تهدم بعض جداراته فهدمه جميعه وجدّد عمارته في سنة ٩١٧.

وأشهر مساجد تريم: مسجد آل أحمد، بناه السيد محمد بن علي خالع قسم بعد استيطانهم بتريم نَقَل طِيْنهُ ولِبْنَهُ من «بيت جُبير» على العَجَل التي تجرها الأبقار والبغال إلى تريم، وفي «المسلك السوي» ملاحظة من الأستاذ الحدّاد على قولهم أن باني «مسجد آل أحمد» هو السيد محمد بن علي، وقال ان بناءه كان من قبله والله أعلم، ثم جدّد الشيخ عمر المحضار عمارته ما عدا الصف الأول، وعليه أوقاف كثيرة يُصرف ما يفيض عن مصالحه وإطعام ضيفانه وتفطير الصائمين

فيه إلى أولاد الشيخ عبد الله باعلوي لاشتراطه ذلك في وَقْفِه الذي وقَفهُ عليه، وكان ثَمن ما وَقَفهُ عليه يزيد عن مائة إلف دينار، وكان يقوم بِنَفْقَة العلويين - في تريم - جميعهم في أيامه ولمّا مات تركوا للمسجد ما يكفيه واقتسموا الباقي. ولمّا مات انتهت نقابة العلويين إلى الشيخ المِحْضَار أمرَ بردِ الأوقاف لآل عبد الله باعلوي لاختصاصها بهم، فوافقوه إلاّ أخاه «عقيلاً» فإنه امتنعَ وبقي ما عنده منها تحت يده ثم استمر بعده مع أولاده إلى الآن. قاله الشلّي في ص ١٣٧ ؛ وقال في ترجمة السيد عبد الله بن محمد بن أحمد بن حسن بُروم: وكان قليل الغِلال كثير العيال وقد سعى في تَوْليه أوقاف آل عبد الله باعلوي فولاّه السلطان أمرها، وأنفقَ على الفقراء منهم ومن غيرهم وصارَ يعمل كل ليلةٍ طعاماً للفقراء والمساكين والغرباء الوافدين، واستمر على ذلك مدةً يسرةً ثم سعىَ كل واحدٍ في استرجاع ما كان تحت يده من الوقف وعادَ على ما كان عليه أوّلاً، وجرت في ذلك أمور وإحن في الصدور، ثم سعىَ إمام العارفين وزين العابدين لبروم في إمامة مسجد الجامع ورُتِّب له ما يكفيه مع عياله، واستمر على حاله إلى أن مات في سنة ١٠٣٩ وقد نَيّف على السبعين .أهـ بمعناه. ومنه تعرف أن الناس مِثل الناس وأنَّ الأطماع تحيد بأهل تلك العصور الصالحة عن وجه الحق كما تحيد بأهل زماننا، فإن ما فعله «عقيل» من الحرام الصرف الذي لا يحتمل التأويل ومع ذلك فأن الشَواف يقول فيه:

أما عقيل العاقل ... ما حد لفضله ناقل

حب المهيمن باقلْ ... في قلبه شي لله

فما بال حُبّ المُهيمن لم ينههُ عن أوقاف آل عبد الله باعلوي والله جلّ شأنه يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وطالما عَيَّرْنا العم سقاف بن محسن باستيلائه على مالٍ باسم طلبة العِلْم بسيوون له مندوحه فيه إذْ كان من شرطه لأبيه أن يصرفه لمن شاء، ومع ذلك فلم نَزلَ به حتى أحرجناه وضَيّقنا عليه الأنفاس في المجلس فخرجَ منه، ولو أنه عَلِم بصنيع «عقيل» لاتخذَ منه ما يكفيه للتدليل.

ولا يُحصىٰ من أنجبتهُ «تريم» من رجالات الفضل وأراكين الدين والعِلم، وقد أفرد ذلك بالتأليف والطبقة الأولىٰ من «جوهر الخطيب» هم: علي بن علوي خالع قسم، وولده محمد بن علي بن علوي صاحب مرباط، وسالم بن بصري،

وعلي بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن محمد بن سليمان الخطيب وولده محمد، وسالم بن فضل وولده يحيى، والقاضي أحمد بن محمد باعيسى، وعبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي عُبيد، وأحمد بن علي الخطيب، ومحمد بن أحمد بن أبي الحب، وباجليل، وحسين باجذيع، وحسن بن علي بالذعير، وعلي بن محمد بالويد، وأحمد بن يسلم باحيدره، وعبد الرحمٰن باجلحبان وهذا ـ كما مَرّ ـ ليس من أهل تريم ولم يَذْكُر الخطيب في «جوهره» أحداً من غيراها سُواه. ومن هذه الطبقة وإن أغفل بعضهم الخطيب: الشيخ إبراهيم بن أبي ماجد وكان آخر عمره بظفار، والإمام أبو بكر بن أحمد باماجد، والإمام فضل بن إبراهيم باحواش، والإمام علي بن محمد باحاتم ممدوح نشوان بن سعيد الحميري بقوله:

رعىٰ الله إخواني الذين عهدتهم ... ببطن تريمٍ كالنجوم العواتم
علياً حليف النجدة ابن محمدٍ ... وإبنا أخيه الغُر من آل حاتمِ
وكم في تَرِيمٍ من فقيه مهذب ... وسيد أهل العلم يحيى بن سالم
أولئك أهل الفضل في ظل فاضلٍ ... عظيم من الأملاك عالي الدعائمِ
أنستُ بهم في سالف الدهر برهةً ... فكانت لياليها كأحلام نائمِ
وفارقتهم كُرْهاً ونارُ فراقهم ... تأجج ما بين الحشا والحزائمِ
ألاَ هل لأيام تقضّت برجعةٍ ... أو أبكي عليهم بالدموع السَواجمِ
وهل لزمان الوصل بالوصلِ عودةٌ ... وهيهات ليس الصدع كالمتلائمِ
لئِن بعدت أحبابنا فقلوبنا ... ترآى بودٍ غير واهي العزائمِ
سلام عليكم من صديقٍ بقلبه ... جِراحُ فراقٍ ما لها من مراهم

وشفعهُ بمنثورٍ، منه: «ما تريم إلاّ جنة نعيم، في حوزة ملكٍ كريم، حامي الذِمَار والحريم، لو فارقَها لأضحت كالصريم. وقد صح عن الرسول ـ فيما روي من المنقول ـ سلطانٌ عادل خيرٌ من مطرٍ وابل، وسلطانٌ غشوم خيرٌ من فتنةٍ تدوم». وقد ذَكَرت في الأصل أن نشوان ـ هذا ـ جرىٰ اللسان سيئ الأدب. ومن ذلك قوله:

إيه قُريشٍ كل حيّ هالك ... أظننتمو أن النُبوّة سرمدُ

منكم نبيٌ قد مضىٰ لسبيلهِ فاليوم هل منكم نَبي يوجدُ
إن النبوة بالنبي محمّد خُتمت وقد مات النبي محمد

وقد كَفَّرهُ بعضهم بهذا وغيره من أشعاره ولولا أنه اعتصمَ بأحد الأئمة ـ وكان أخاً لهُ من أمه كما قال ياقوت ـ لأُريق دمه، وذكر ابن السبكي أن الكرامية ادعوا على ابن فورك القول بانقطاع نبوة محمد ﷺ ورسالته بموته وسعوا به في ذلك إلى محمود بن سبكتكين وان ابن حزم زعم انه قتله بالسم على ذلك ثم بالغ في تكذيب جميع ذلك وارجع أن أردت التبسط في الموضوع إلى ما ذكره في ترجمة الأشعري وابن فورك من طبقاته وقد اعترف بان الكرامية هي التي قتلت ابن فورك بالسم ولم يذكر أن ابن سبكتكين انتقم منهم وذلك مع ظهور اللوث وانتصاب القرائن مما يبعث على تصديق انه القاتل إذ لن يخف ذلك عليه وقد جزم به التاج، ومن جُرأة نشوان قوله: وصحّ عن الرسول..الخ. فما رأيتهُ حديثاً بهذا اللفظ بعد أن كَشفت عنه في «مزيل الألباس» فضلاً عن أن يكوْن صحيحاً، لكن الرجل مّجازف وكما جازفَ في التقوّل علىَ رسول الله ﷺ فلن يتورع عن المجازفة في مدح سلطان تريم وما أظنه إلاّ عبد الله بن راشد وجاء في مادة سما من التاج أنه قال: كل مؤنث بلا عَلاَمة تأنيث يجوز تذكيره كالسماء والأرض والشمس والنار والقوس والقِدر وهي فائدة جليلة، وَردّ عليه شيخنا ذلك وقال: هذا كلام غير معوّل عليه عند أرباب التحقيق .أهـ. وما سقته إلاّ لفائدته ولما فيه من أمارة مجازفة قائله نشوان وإلقائه الكلام علىَ عواهنه، وللنحاة في الموضوع كلام لا يتسع له المجال.

أمّا الطبقة الثانية: عند الخطيب فهي أكثر رجال الكتاب، وأولهم الشيخ علي بن علوي بن الفقيه المقدم. وأمّا (الطبقة الثالثة) ـ فيه ـ فقليله لأن المنيّة عاجلته أثناء القرن التاسع، وقد مَرّ في حصن آل فلوقه ما قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أسعد اليافعي عن رجال حضرموت وأنهم الجديرون بقول العرندس الكلابي:

لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بأكثار
من تَلْق منهم تَقُل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها الساري

وعلى ذِكْر الشيخين إبراهيم وأبي بكر آل باماجد، وقولْ بعضهم أنهم من

(بني مَجِيْد) الذين يُنْسَب إليهم ثَغْر عدن فيقال ـ كما في الصفة ـ حَيْق بني مَجِيْد، أنَّ الشيخ أحمد باماجد كان أشهر ملاَّح في المحيط الهندي أثناء القرن التاسع، حتى قال أحد الإنكليز أن المحيط الهندي كان بحيرةً عربيّة من القرن الثامن إلى نهاية القرن الخامس عشر، وأن أحمد بن مجيد كان أشهر بحّار في ذلك المحيط، وهو الذي كان الدليل المفيد لفاسكودي كاما البرتغالي في بلوغهِ إلى الهند عن طريق جنوبي أفريقية، والبرتغاليون يوجهون الثناء العاطر إلى أحمد بن ماجد ويصرِّحون بأنهم وجدوا لديه خريطةً بحريّةً على غاية الدقة، وأدوات للملاحة لم تكن معروفةً من قبل .أهـ من مذكرتي عن شيء من الجرائد أو المجلات. والخرائط المرسومة الآن للبحر الهندي عالةً على خريطة باماجد، وفيه شاهد صِدْق ودليل حق لِما كان عليه العرب عامةً والحضارم خاصةً من التفوّق في الملاحة وغيرها من أسباب القوة والنهوض، ومن ذلك أنَّ أوّلَ دولة آل سعيد بن سلطان في السواحل الأفريقية إنما كانت لأنَّ أهلها طلبوهم ليأمَنوا بهم عادية البرتغال في القرن التاسع، فتملّكوا عليهم وحموهم من سائر الطواري، وكان استيلاء البرتغال على السواحل الأفريقية في سنة ٩٠٦ وجلاؤهم عن سائرها بجيوش آل عُمان في سنة ١٠٧٦ ولا يزال ناس من آل باماجد إلى اليوم في دَوْعَن، وهذا الملاّح الكبير يُحْتَمل لأن يكوْن منهم ولأن يكوْن من بني مَجِيد أصحاب ثَغر عدن، وقالَ بعضهم إنما هو من آل عُمان وفي مؤلفاته ما يدل لذلك، وقيل إنما هو من البحرين والله أعلم.

وذَكَر الطيب بامخَرْمَه تريماً، قال: وقد خرجَ منها علماء فقهاء فضلاء ومشائخ أجلاء، منهم الفقيه يحيى بن سالم أكدر بلج، والفقيه علي بن أحمد بُكَيْر، قُتِلا معاً في سنة ٥٧٧، ومنهم الفقيه سالم بافضل صاحب «الذيل» على تفسير القُشيري، والفقيه شرف الدين أحمد بن محمد بن ضمعج والد السبتي صاحب «شرح التنبيه»، والفقيه أحمد بن فضل، والفقيه الزاهد علي بن محمد بن علي بن يحيى بن حاتم، والفقيه علي بن أحمد بامروان، والفقيه الشيخ جمال الدين محمد بن علي باعلوي، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن باعُبيد صاحب «الإكمال لما وقَع في التنبيه من الإشكال» والفقيه محمد بن أحمد بن أبي الحب توفي سنة ٦١٢ وفي تريم علماء وعُبّاد وزُهّاد لا يُحْصَون، ومقبرتها مشهورة البركة، ومدفون في جبّانة تريم أربعون من أهل بدر. انتهى كلام القاضي مسعود، وفيها جمع السادة الأشراف آل باعلوي كالشيخ عبد الرحمٰن وأولاده

وحفدته وغيرهم خَلْق لا يُحصون، ولمّا رأى الشيخ علي بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أسعد مشائخ اليمن ووصلَ حضرموت ورأىٰ ما فيها من الصالحين أنشد:

مررتُ بوادي حضرموت مُسَلِّماً ... فألفيتهُ بالبِشر مبتسماً رحبا
وألفيت فيه من جهابذة العُلَى ... أكابرَ لا يُلْفَون شرقاً ولا غربا

هذا آخر كلام بامخرَمه وقد تقدم أكثره، وقد سَبق في حصن آل فلوقه عن «شنبل» أن الذي أنشدَ البيتينْ هو عبد الرحمٰن بن عبد الله لا ولده علي وبذلكَ جَزم الشيخ علي بن أبي بكر في ص ١١ من بَرْقَتِه وصَاحِب «المَشْرَع» وغيرهم والله أعلم بحقيقة الحال، إلاّ أن شنبل أخبر وفي كلام بامخرمه زيادة.

والسادة العلويون بحضرموت على طبقات ثلاث؛ أمّا مِن المهاجر إلى الفقيه المُقَدّم فكانوا على أزياء الصحابة وهيئتهم وأسلحتهم، كما نقلهُ سيدي الأستاذ الأبرّ عن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى في ترجمته من عقده. وأمّا الفقيه المقدم فأنه:

من البِيض بَسَّامون والعام كالح ... جدوباً ومطارون في الحجج الغبر
مغاوير في الحلىّ مغايير في الحمى ... مفاريج للغمى مداريك للوتر

وهو أول من تركَ السلاح وسَلَك طريق الصوفية ولَبِس «الخُوذة» وهي ما يُقال له بمكة وحضرموت «القُبْع» ذكره الشيخ عبد الله بن محمد بن حَكَم صاحب «القلائد» في كتابه «مفتاح السعادة والخير في مناقب السادة آل باقشير». وفي الحكاية ٢٩٥ من «الجوهر» أن الشيخ عبد الرحمن السقاف يلبس الخوذة، وفي الحكاية ١٣٤ منه أن الشيخ محمد بن علي مَوْلَى الدويله يلبس القُبْع، وفي الحكاية ١٤٥ ـ منه ـ أن خادم عبد الله باعلوي يلبس الخوذة وخادم باعبّاد يلبس الطاقيّة، وفي الحكاية ٣٢١ من «الجوهر» أن السيد عبود بن علي كان يلبس الخوذة في سنة ٧٨٧ ولكن هل هجروا لها العمامة رأساً أو لا يلبسونها إلاّ في الوسمياتْ؟ كَلٍ مُحْتَمل والأول هو الأقرب إلى كلام باقشير والذي يُفْهم من موضع من عقد سيدي الأستاذ الأبر، ولكن يغبر عليه بأن السيد محمد بن علوي بن أحمد بن الفقيه المُقَدّم اشتهر بصاحب العمائم وذكروا أنه أحترقَ عليه منها عدد بسبب الإستغراق في المطالعة، إلاّ أن يُجاب بأن لِبْسَهُ لها لم يكن بحضرموت

وإنما كان بمقدشوه إذ هاجَر إليها في طلب العلم على العلاّمة الشيخ محمد بن عبد الصمد الجوهي، وفي هجرة هذا الإمام في طلب العلم تأكيد لِمَا سبق ـ في الحُسيِّسه وأوائل هذه المسودّة ـ من إشراف العلم على التلاشي حتى هاجرَ الشيخ سالم بافضل في تجديده، وجاء صاحب العمائم يتَقيّل [1] آثاره، إذ لا يمكن أن يحيط الشيخ سالم بأطراف فنونه، وقد قرأ صاحب العمائم الحديث والفقه والتفسير والتصوف وعلوم العربيّة وبَرَع فيها، وشارك في الأصلين والمعاني والبيان والمنطق، وكان يقرأ «المُهذّب» على الجوهي في سَنَةٍ و «التنبيه» و «الوسيط» و «الوجيز» في الأخرى، قراءة بحث وتحقيق كما كان الشيخ علي بن أحمد بامروان يفعله، فالتدليل بهجرة صاحب العمائم إلى مقدشوه ـ على قِلّة العلم بحضرموت ـ صالح لا ينتقض بما كان من أمر الشيخ سالم لِمَا مرّ آنفاً: أن الواحد غير كافٍ وإن انتشرَ عنهُ العِلْم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [2]. ولا ينتقض بما كان من تأثير الهجرة في الطلب بما لا يحصل في الإقامة، وقد حَمَّقوا رجلاً سار في طلب العلم من العراق وعنده علي بن طالب، وكأنَّ الأكباب على السراج في المطالعة صارَ طبيعياً لصاحب العمائم وإلاّ فمن حق اللبيب أن يَعْتَبِر بواحدةٍ، وقديماً كان يُقال لمن لدغتهُ الأفعى (خافَ من الحبل) فهو مع الإستغراق يهوّن من وطأة الإشكال الذي ذكرت ـ عنده ـ ما أخرجه أبو نُعَيم في «الحِلْيَة» [3] بسنده إلى عَطاء بن أبي رَباح، قال: إن كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ لَتَعْجِن وإن قصتها لتكاد أن تضرب الجفنة. توفي صاحب العمائم بتريم آخر سنة ٧٦٧، وتنتهي هذه الطبقة بالعيدروس وكلهم كما قال الشريف:

أقَامُوا بِأَقْطَارِ العُلَى، وتَنَاقَلُوا ... عَلَيها وَأَبْدَوْا في العُلَى، وأعَادُوا

إلى حَسَبٍ منهُ علَى البَدْرِ عِمّةٌ، ... وَفي عَاتِقِ الجَوْزَاءِ مِنْهُ نِجَادُ

إذا وَقَفُوا في المَجْدِ خَافُوا نَقِيضَهُ ... فَتَمّوا علَى عُنْفِ السيّاقِ وَزَادُوا [4]

---

(١) يَتَقيَّل: يتشبّه.

(٢) التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) أبو نُعيم الأصبهاني، وكتابه «حِلْيَة الأولياء».

(٤) ديوان الشريف الرضي ١/ ٤٠٥ ـ دار صادر.

وهؤلاءهم الذين يقول المغربي في رحلته أنهم أشبه بالملائكة. وأمّا **الطبقة الثالثة** فمن العيدروس إلى تمام القرن الثالث عشر:

فاستأنفوا العز مخضّراً زمانهم كأنما الدهر فيه روضة أنف
تسعى البكار معنّاةً وقد ملكت أولى الجَمَام عليها الجلّة الشرف

ثم رأيت في مناقب سيدنا الحسن بن عبد الله الحدّاد المُسمَّى «المواهب والمِنَن» لحفيده العلاّمة علوي بن أحمد بن الحسن ما نصه: ولم يلبس بعد الحج إلاّ الخُوذة والبشت من غزل الحَاوي، والسبير فوق الشِقَّه، وفي البيت الشِقَّه والكوفية البيضاء المُخَرَّمه، والعمامة للجمعه والزيارة والاوابين في البلد وسروال وقميص من البِفْت وفوقه أيضاً بِفْت، وكان حَجّهُ في سنة ١١٤٨، وفي ص ٢٩٢ ج ١ منه: طَلَبت من السيد زين العابدين بن مصطفى العيدروس قُبَّعاً مُخَيَّطاً من الهند، مُرَادِي ألبسهُ يوم الزِيْنَة مثل الوالد، فأعطاني إياه بعد أن إستشار الوالد فأذِن له، فلبستهُ يوم الزينة ولم يلبسه أحد من إخواني قَبْلِي، ثم لبس مثله الأخ علوي في الزينة الثانية.

وفي أوائل القرن الرابع عشر كان بِناء «الرِباط» بتريم. ومن أكبر القائمين به والسّاعِين له الصدر الجليل السيد عبد القادر بن أحمد الحدّاد، وهو رجل غزير المروءة، جَزْل الرأي، يُثْنِي عليه شيخنا المشهور وكثيراً ما يسميه «الغصن الرطيب» يريد به المبالغة في المدح ولكنه ممتلّى من الرخاوه، وقد عابوا على الخوارزمي قوله في الصاحب:

وظريفٌ كان في كل فعلٍ من أفاعيلهِ عرائس تُجْلَىٰ

وقالوا كما في «اليتيمة» أن المحتشمين لا يوصفونَ بالظُرف إذ هو من أوصاف الأحَداث والشُبّان والقِيَان، ثم لم يرضَ بهذه الفُرْطة حتى شبه أفاعيله بالعرائس تُجْلَى، فلو أنه مدح مُخنّثاً لمَا زاد ولكنني نقضتهُ أواخر الجزء الثالث من بضائع التابوت.

وممن ساعدَ على بناء ذلكَ الرباط: السيد أحمد بن سقّاف الجنيد، والسيد محمد بن سالم السري، والشيخ محمد بن عمر عرفان، وكان إليهم النظر في مدة حياتهم، وفي الشرح أن من مات منهم يُبدّل بغيره، ولمّا توفي أحمد بن سقّاف أُبدِل بأخيه علوي ولكنه لم يتداخل بالأمر إلاّ قليلاً بل فوّض الأمر إلى رفاقه،

ولمّا توفي السيد عبد القادر سنة ١٣١٣ خَلَفهُ ولدهُ عيسى، ولمّا توفي الشيخ محمد بن عمر عرفان أُقيم في مقامه السيد عمر بن أحمد الشاطري، ولا أدري بمن أُبدِل السيد محمد السري وأظن الوضع تغير، وكان السيّد عمر الشاطري وعيسى الحداد الكُل في الكل، فالحداد يتسلم ما للرباط من إيراد بسنقافورا ويرسله إلى عند السيد عمر بن أحمد، وهو يصرفه بغاية الأمانة والتدبير في مصارفه كما يأتي.

وما زال رباط تريم معموراً بالعلم من يوم بُني، وحصل به نفع عظيم، وتخرج به كثير من تريم ودَوْعَن والبيضاء وغيرها من الأقاليم، والحال أن إيراده الشهريّ لا يزيد عن أربعمائة روبية هنديه مع أنه قد يجتمع فيه مائتا طالب داخليون، وفي ذلك شهادة للقائم بأمره وهو السيد عمر بن أحمد الشاطري بالأمانة والورَع والتدبير والنزاهة التي لا تَعْلَق معها تُهمه، وكان القائم بالدَرس العام فيه بُكرتي السبت والأربعاء هو شيخنا العلاّمة الوالد عبد الرحمن بن محمد المشهور، حياته، ثم ولده الصالح علي بن عبد الرحمٰن إلى أن توفي بتريم سنة ١٣٤٤ وقد يشاركه ويخلفه شيخنا العلاّمة علوي بن عبد الرحمٰن المشهور، أمّا إدارة التعليم فكانت إلى العلاّمة الجليل السيد عبد الله بن عمر الشاطري، وكان هو يباشر التعليم والتدريس الخاص فيه مع من يخصصهم لباقي الأقسام من تلاميذه، وبعد وفاة السيد علي المشهور انتهت إلى الشاطري رئاسة العلم بتريم فوفاها حقّها وانتفعَ به القاصون والدانون إنتفاعاً جماً. وكان هذا الرباط بذرة خير أثت ورَبَت وتفرّقت إلى شتى البلاد، وما زال على ذلك إلى أن توفي سنة ١٣٦١ فعظُمت الرزيّه بموته لأن معوز فَقْدِه لم يرقع كما كان من قبله. وبلي خَلَفُه خَلَف صالح على رئاسة الدعوة بتريم والدروس العامّة فيها وهو أخونا الفاضل الجليل الناطق بالحق المحافظ لسير السلف الطيب: علوي بن عبد الله بن شهاب مدّ الله في أيامه وَوَفَّر لنا وله من فضله وأنعامه، وبقيت إدارة تعليم الرباط للسيد: محمد بن عبد الله بن عمر الشاطري وأخويه حسن وأبي بكر، وأملنا أن يسلكوا ذلك المِنهاج، ويستضيئوا بذلِك السراج، لِيَبْقَى الرباط على مثل حاله من الإنتاج.

ثم أن لطبقة الفقيه المقدم ـ فَمن بَعْدَهُ ـ من الأعمال والرياضات ومجاهدات النفوس ما لا تستقر له العقول ولا تتصوره الأفكار ولا تقدر على

تصديقه القلوب إلاّ بعد ضَرْب الأمثال من المشاهدات، وقياس أولئك على من بقيَ من فريقهم وانتهاج طريقهم إلى أوائل أعمارنا، فقد شاهدنا وشاهدَ أترابنا كثيراً ممن يقرب من ذلك النمط حسبما مَرَّ في سيوون، ممّا يَصْدُق قول المغربي السابق عنهم في رحلته. وانتشرت من بعد العيدروس المعارف وأينعت العلوم كما سبقَ في الفائده (٥) ولكن بدأت المجاهدات تنقص والخلل يدخل على طريق العلويين، ولهذا كان القُطب الحدّاد يأخذ بكل عادةٍ كانت من أيام العيدروس فَمَن قبله بدون أن يبحث عن الدليل لتلزّمهم بالسُنّة المطهرة تلزماً شديداً، وأما من بعده فلا يقْبَل شيئاً إلاّ بدليله الواضح، ونَقَل غير واحد عن أبي حنيفة أنه كان يقول: ما جاءَنا عن رسول الله ﷺ فعلىَ الرأس والعين، وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم نختار أحسنه ولم نخرج عن أقوالهم، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال (وفي رواية: زاحمناهم). ومع ذلك فلم يزل في هذه الطبقة ـ ومَنْ بعدها ـ أراكين علوم ومصابيح هُدَى كأمثال النجوم:

وجوهٌ لو أن الأرضَ فيها كواكبٌ تُوْقَد للساري لكانوا كواكِبا

وإنّ زماناً يظهر فيه أمثال القُطب الحدّاد وعبد الله بن أحمد بلفقيه وإبنه عبد الرحمٰن وأقرانهم من القروم لغير ملوم:

لقد حلوا من الشرف المُعلّى ومن حسب العشيرة حيث شاؤا

فلو أن السماء دنت لمجدٍ ومكرمة دنت لهم السماء

ومن أواخرهم **بتريم**، مشائخ مشائخنا، كالسادة: عبد الله بن حسين بلفقيه، وعبد الله بن علي بن شهاب، وعبد الله بن أبي بكر عِيديد، وأحمد بن علي الجنيد. ومن أواخرهم: مُفتي الدِيار الحضرميّة شيخنا العلاّمة الجليل ـ صاحب المؤلفات ـ عبد الرحمٰن بن محمد المشهور المتوفي بتريم في ١٥ صفر سنة ١٣٢٠ فإنه وَمَنْ سبقه من شيوخه:

نَسَقوا لنا نسق الحساب مقدماً وَأَتَى فذلك إذ أَتَيْتَ مؤخرا

وكان بطلاً شجاعاً يُباشر إبطال الباطل بنفسه ولا يخاف في الله لومة لائم، فرزء الإسلام به رزءاً أليما، وفقدت تريم بفقده ركناً عظيماً، وكان كما قال الأَفْوَه الأودي:

لقد ابقىٰ مكانك في لوى وآل محمد خطلاً مُبينا

فآنس شخصك الجذ المُعفى وأوحش قبرك المتهجدينا

إذ كان آخر من يُسْتَحيىٰ منه، فانفتح بأثره الملاوم الباب ولم يخف عليها عتاب، وخرج الأمر عن الضبط والحساب، ونَجمت القرون وتطلعت الضباب:

قد كان بعدك انباء وهيمنة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

وتَواتر عنه أنه لم يترك الجماعَة في أول الوقت أربعين سنةً، وعند هذا ذَكَرْت ما أخرجهُ أبو نعيم بسنده إلى يحيى القطّان قال: كان الأعمش من النُسّاك، وكان محافظاً على الصلاة في الجماعة وعلى الصف الأول، وكان قريباً من سبعين سنةً لم تفته التكبيرة الأولى، أمّا شيخنا فلا يتصور أن تفوتهُ التكبيرة لأن طيلة أيامه إمَام. وكان المُرَشَّح بعده لرئاسة العلم هو العلاّمة الجليل السيد علوي بن عبد الرحمٰن المشهور ولكنهم دفعوه عنها بالمراح، وتعصبوا عليه وقادوا بالقانت الأوّاب السيد علي بن عبد الرحمٰن المشهور خليفةً عن والده في الدروس، فقام بها إلاّ أن حظهُ من العبادة كان أكثر من العلم، توفي سنة ١٣٤٤. ومّما كنت استخرج به العجب والاعتبار ممن يحضرني أننا شاهدنا موسم زيارة هُوْد عليه السلام في سنة ١٣٤٠ وكان حفلاً عظيماً حضرهُ الوالد المفضال مصطفى بن أحمد المحضار في جماعةٍ من أهل دوعن، ومع أن أكثر الخطابة في تلك المحافل الشريفة إلَيَّ كنت لا أجلس أنا والأخ الفاضل عبد الله بن عمر الشاطري إلاّ في أطراف المجالس، لكثرة الأشياخ الأجلاء إذ ذاك وأكثرهم من الغَنّاء تَريم، ولمّا كانت سنة ١٣٥٠ كنت أنا والأخ عبد الله بن عمر الشاطري في الصدر إذ توارد أولئك على مَشْرع الحِمَام، وبه ذَكَرتُ أن بعض فقهاء الشافعيّة جَلَس مجلس شيوخه فأطال الوقوف بالباب وأكثَر من الإنتحاب ثم أنشد:

خَلَتِ الدِيارُ فَسِدْتُ غير مَسُوْد

ومن الشقاء تفردي بالسؤدُدِ

وجَرَت بين شيخنا علوي المشهور وبين علماء تريم ـ بمن فيهم من تلاميذه ـ مناقضات في عدة مسائل (منها) ما إذا قال رجلٌ لآخر: إنفق على أهل بيتي ولم يقل: علَى أن ترجع عليّ؟ وطال النزاع في ذلك واصفقوا على خلافه، وساعدهم عليه طلبة العلم بسيوون وهو مُصّممٌ على رأيه، ولا أحفظ حاصل ذلك. (ومنها) أن أخاه عمر كان على قضاء تريم فبلغهُ ثبوت شَوَّال فصادَق عليه، وامتنعَ شيخنا عبد الرحمٰن المشهور من الموافقة وتبعهُ أهل تريم، ولمّا عَيَّد شيخنا ـ علوي بن

عبد الرحمٰن المشهور ـ وصلّى العيد في المسجد الذي بجوار بيته لاَ في الجامع أشتدّ النكير عليه وغاضبوه وهاجروه، وجَرَت أمور إلى أن سُوِّيت المسألة حسبما في الأصل. (ومنها) أن أخاه السيد عمر بن عبد الرحمٰن المشهور حَكَم في أيام قضائه على السيد: علوي بن محمد بن علوي الكاف بحبسٍ لأمرٍ أقتضىٰ ذلك فَنُفِّذ، ولكنه إضطغنها عليه فكمن له ليلة مخرجه إلى المسجد فضربه بصميلٍ على أم رأسه ضربةً لم تغن عنه شيئاً، فيقال أنه أخذ الصميل وكان جلداً وكاد أن يسطو به ولكن كان معه علي بن سقّاف الجِنيد فتلقّى القاضي بلكمةٍ من وراء أذنه ألقاه بها صريعاً فتمكن علوي من ضَربه ودَوْس أحشائه كيفما أراد، وفي اليوم الثاني أكثرَ القاضي من الكتب يستصرخ الناس ويستنجد بالسلطان محسن بن غالب، وظَنَّ الناس أن ضَرْب القاضي والجرأة عليه يكوْن له رد فعل عظيم فلم تحبق شاةً في ذلك، وكان بعضهُ كَياداً للحبيب علوي بن عبد الرحمٰن إذ كان أهل الثروة والنفوذ ضده، ولم تطل ـ بَعدها ـ أيام السيد عمر بل ماتَ وشيكاً وَتَرَكَ أولاداً منهم: عيدروس بن عمر، كان ذكيًّا نبيهاً، وهو محرر جريدة «حضرموت» يُعجبني ـ منه ـ رِقة طَبْع وسلامة ذوق وحُسن تأثير ببليغ الكلام، وإن لم أكن راضياً عن كثير مما بجريدته.

وشبيه بقصة السيد عمر ـ مع علوي الكاف ـ ما ذكرهُ الحافظ ابن حَجَر في ترجمة كُثَيِّر بن شهاب من «الإصابة» عن المرزباني، أنه ضَرَب عبد الله بن الحجاج بن محصن في الخمر، فلم يكن من عبد الله إلاّ أن جاء ليلاً إلى كُثَيِّر فضربهُ على وجهه ضربةً أثَّرت فيه ثم هرب، أمّا علوي الكاف فلم يهرب ولكن القاضي هرب لمّا عَزّهُ الإنصاف في الدنيا إلى الدار الآخرة وعند الله تجتمع الخصوم. وذَكَر أبو العباس المبرَّد في «الكامل» أن رجلاً من الأعراب تقدم إلى القاضي سوّار بن عبد الله في أمرٍ فلم يجد عنده ما يحب، وكانت في يده عصاً فقال:

رأيت رؤيا ثم عَبَرْتُها ... وكنت للأحلام عبّارا

بأنني أخبطُ في ليلتي ... كلباً فكان الكلب سوّارا

وانهالَ بعصاه على سوّار يخبطهُ، ولم يزل يضربه حتى مُنع منه فما عاقبه سوّار بشيء. وكان السيد علوي بن عبد الرحمن المشهور شهماً وقوراً، ركين المجلس، جميل الهيئة، حلو الشاره، عذب الكلام، يُعطي كل واحدٍ من جلسائه

نصيبهُ من الكلام والنظر، وله رحلات إلى الحجاز والهند ومصر وجاوا والسواحل الأفريقيّة، وجَرَت له في جاوا قضيّة مع شيخنا العلاّمة عثمان بن عبد الله بن عقيل ين يحيى، وذلك أنه أثنىٰ عليه بحضرة المستشرق الهولندي المُسمَّى سنوك فرغِبَ في الاجتماع به، ولمّا حضرَ الهولندي بمنزل السيد عثمان للميعاد تأخر السيد علوي بإيعاز من بعض أصحابه، فَغَضِبَ المستشرق وكاد يُسيء الظن بالوالد عثمان، وكانت النتيجة أن نُفي الوالد علوي من جاوا بعد أن دُعي إلى المحكمة مراراً وأوذي بطول الانتظار الذي لا تحتملهُ قلوب الأحرار، وله مؤلفات وأشعار منها نظمه لقصة المولد الشريف، توفي أوائل سنة ١٣٤١.

ومن أدباء تَرِيم وعلمائها: الذكي النبيه السيد حسن بن علوي بن شهاب، وقد لقي إمتحاناً بتريم منذ أن علَّق طلاق نسائه بتعليقٍ كان الأصح إنحلاله، فأجروهُ عليه وواخذوه به حسبما فُصِّل بالأصل، ومنها أنهم قطعوا أُذُن حماره ولطّخوا باب داره بالعذره، فذهبَ مُغَاضِباً إلى سنقافوره وأنشأ قصيدة يتذمّرُ فيها، منها قوله:

وعليكِ السلام طيبهُ مني ... وعليكِ الدمارُ يا حضرموت

وقد إستعان في هذه القصيدة بجملة أبياتٍ من قصيدةٍ للجحّاف اليماني، أحد شعراء «اليتيمة» كما نَبّهْنَا على ذلك في الأصل. وكان موجوداً **بتريم** في سنة ١٣٢٠ وقد وصلها والدي للتعزية في سيدي عيدروس بن علوي العيدروس، وبينا والدي يتكلم في الحث على الجِد في شوّال ويقول أن رب الشهرين واحد، تَمثَّل له السيد حسن ـ وكان حسن الإنشاد فخم الألفاظ يملؤ شدقيه بالحروف ـ بقول ابن الفارض:

في هواكم رمضان عمره ... ينقضي ما بين إحياء وطي

فكاد والدي يطير كما هي عادته لخفة نسيمه عند مِثْل **ذلك**، والبيت في الحقيقة جزل تظهر به صعلكة قول الشريف الرضي:

إذا ما المرء صامَ عن الدَنَايا ... فكل شهورهِ شهرُ الصيامِ

وحوالى سنة ١٣٢٤ هجا أعيان العلويين بسنقافورا بتعريضٍ لا يبعد عن التصريح بقصيدةٍ طَبَعها ووزّعها بين الناس، وهذا مطلعها:

لا تَلُمها فاللّوم منها سجيّة ... وهي بالطيش والسِفاه حريّه

وبما أن أولئك الأعيان لا يدرون الشعر فقد طافوا على الشعراء واشتدت الرجّه وعظمت الضجّه، ومثّلوا قضيّة العيني مع الحافظ ابن حَجَر، فأمّا السيد عبد الرحمٰن بن عبد الله الكاف فاستعانَ بالفاضل السيد علي بن سهل فأقذعَ في الهجاء حتى لا أستحسن ذكر مطلع قصيدته لأن أكبر البلاء فيه، وأمّا السيد عبد القادر بن عبد الرحمٰن السقاف فاستعانَ بي ولكن لم تَكُ المستأجرة كالثكلا، وإنما كنت له كما كان متمم في رثاء زيد بن الخطاب، ومطلع قصيدتي:

هوِّني أيها الطموح الأبيّه ما لقيتي من العَنَا والأذيّه

واتفق أن أدباء حضرموت لذلك العهد ومنهم كاتب هذا والسيد عبد الله بن عمر الشاطري والسيد حسن بن عبد الله الكاف والشيخ محمد بن محمد باكثير، أجازوا أبياتاً للشيخ بكران بن عمر باجمّال، فلامهم السيد حسن بن علوي بن شهاب لأنه يراها أقل من ذلك، ونَقَدَ أبيات باجمّال برسالةٍ مختصرة طبعها ووزّعها وقال فيها:

وقائلة ماذا له أنت شارح
فقلت لها شعراً، فقالت لمن يُعْزَى
فقلت لباجمال، قالت فقل له
فقلت لها ماذا فعلت به يُخزى

وفي حدود سنة ١٣٢٣ نَشَر رسالته المُسماة «نحلة الوطن» وفيها إنتقادات استعنى منها بعض المشهورين بالعلم وبعض المشهورين بالثروة، فأثارت عليه غضباً نالتني منه شرارة، وذلك أنه شَفَع النُسخة التي أرسلها لوالدي برسالةٍ مخصوصه فأمرني بالجواب عنها لشكوٍ أَلَمّ به ففعلت، ولمّا نَشَر جوابي في مجلة «المنار» عَدُّوا ذلك عليّ من كبائر الذنوب لأنهم كانوا يتقارضون الثناء مع العلامة النبهاني، وهو قد أوجرهم بُغْض الإمام محمد عبده وتلميذه صاحب «المنار» جرت لي معهم ـ بهذا الشأن ـ محاورات ومناورات. وكان السيد حسن ـ هو ـ والسيد محمد بن عقيل على رأيٍ واحد ثم نزغ بينهما الشيطان ـ بالآخرة ـ وانفرجَ الأمر وتشاتما، هذا بجريدة الإصلاح والحسام وذاك بجريدة الوطن، ومن اللطائف أن السيد الصالح محمد بن حسن عِيْدِيد كانت له خؤله من آل يحيى، وبَيْنَا هو في سومطرا أو نحوها بعث إليه السيد حسن بن شهاب بعدد من جريدة «الوطن» يقول فيه: إن سيلاً هائلاً خَرَج من وادي عيديد فَهَوى بدار السيد

محمد بن حسن وأَهْلَك أهلهُ وأولاده وأُمّهُ واجتاحَ ماله، يريد أن يسوءه بذلك لقرابته من السيد محمد بن عقيل، ولكن الخبر انتهى إليه ـ قبل ذلك ـ بأن ذلك الغيث هنئ لا عيث فيه ولا ضرر، فَسُرّ بالجريدة وذهبَ بها إلى أمير ذاك المكان يعصر عينيه، فَرَقّ له وأكرمه بأضعاف ما كان يؤمّل، وجاء موضع قوله:

أردت مسأتي فاجتلبت مسرَّتي وقد يُحسن الإنسان من حيث لا يدري

فما كادَ يصل إلى سنقافوره إلاّ وخَفّ إلى عند السيد حسن بن شهاب يشكره على ما فعله ويخبره بما قد صار، ولمّا نَشَر السيد محمد بن عقيل «نصائحهُ» ردّ عليه السيد حسن بـ «الرُقْيَة الشّافية» ونَقَضها عليه شيخنا العلاّمة ابن شهاب بوجوب الحميّة عن مضار الرُقْيَة، واتفقَ أن كان الأديب السيد عقيل بن عثمان بن يحيى في سنقافورا فَضَمَّهم حفل، وفي صحة السيد عقيل إنحراف فأراد السيد حسن بن شهاب أن يحرك الموقف الذي شمله الوجوم من إجتماع الخُصوم فقالَ لعقيل: لعل العلاج أفادك؟ فقال له: كلا، ولكن أفادتني الحميّة، فشرق بها السيد حسن وتغامز القوم. وما كان رد السيد حسن بالرقية عن ضمير واعتقاد، ولكن لمّا كانت «النحلة» أثارت عليه السخط أحب أن يغسله بالرقية [1].

وبمراعاتي لصداقتي مع العلاّمة ابن عقيل تَحرَّش بي السيد حسن وجرت لي معه مناقضات كانت كَفَّتي فيها الراجحة، إلاّ أنني أقذعت له ـ في بعض القصائد والمقالات ـ بما أخجل الآن من ذِكْره إذ لم يكن إلاّ في نزوة الشباب وجِماح الطبيعة، وكان له الفضل إذ بدأني بالمصالحة وتَمثَّل لي بقول المتنبي:

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

وكان حسبما يُفْهَم ـ مما سبق ـ يتقعر في الكلام والإنشاد، لكن العجب أنه لا يثقل ظله بذلك. وله مدائح في سيدنا الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر مطلع إحداهنّ:

يُحدِّثُ عنك الوقت أنكَ صاحبه فلا غرو أن شدت إليكَ ركائبه

وله امداح في علاّمة حضرموت أبي بكر بن شهاب، منها قصيدة سَيَّرها له إلى الهند يقول فيها:

---

(١) يشير إلى كتاب «نحلة الوطن» وإلى كتاب «الرقية الشافية في الرد على النصائح الكافية».

تُرجمان العويض من كل علمٍ بدقيق المدارك المرضيّه
ذاك شبل الغنّاء أبو بكر الحا وي برغم العدا لأسنى مزيّه
ورث المجد تالداً وطريفاً بطريق التعقيب والفرضيّه

ومنها:

عُد إلى السفح بالنعير من الغَنّـ ـاء واغنم من الزمان البقيه
وتدارك تريم مما عراها فهي أمست بحالةٍ وحشيّه
وهي في حاجةٍ إليك وعن مثـ ـلك يا ابن الكرام ليست غنيّه
ولئن صالت الزعانفُ فيها إنما هم سحابةٌ صيفيّه
يا أبا المرتضى ويا الحكم الترـ ضي ونجل الرضا وذا الأريحيّه
قد حداني إليك فضلك والعهـ ـد ونفس مشغوفة ووفيّه
شط منها مزارها ورماها حظها بين أُمّة همجيّه
جمع الله شملنا بتريمٍ وحبانا بسوحها الأمنيّه

ولو أنني أطّلعت عليها قبل الجدال حول تهنئتي لشيخنا أبي بكر بن شهاب لساغ لي حين قال: من تعني بقولك:

صَفَى الوقت حيناً للثعالبِ واعْتَلت أَسَافِلَهُ لمّا تناءت صدوره

أن أقول: أعني بهم الزعانف والهمج الذين ذَكرتهم في قصيدتك ولكني كنت - جِدّ - عارفٌ بما في نحلته، وأنساني الشيطان أن أذكُرَهُ له - يومئذٍ - غير أن الله أغناني عنه بما هو أدخلُ في الصواب وأفحم في الجواب ولله الحمد، توفي العلامة السيد حسن بن شهاب بتريم في سنة ١٣٣٢.

ومن أغنياء تريم وأجوادها: السيد حسين بن عبد الرحمٰن بن سهل، له في السياسة أمور عظيمة وفي السماحةِ أخبارٌ كريمة مذكورٌ بعضها في الأصل، وقد سبقَ له ذِكْر في الشِّنْحر وفي غيره وأنه لجديرٌ بقول حبيب:

فتًى فيصليّ العزم تعلم أنه نشا راية بين السيوف الصوارمِ
أساءت يداه عِشيرَةَ المال بالندا واحسنتا جِداً خلافة حاتمِ

توفي بالشِّحر سنة ١٢٧٤. وأغنى أهلها بل أهل حضرموت في الزمن الأخير على الإطلاق: الفاضل السيد شيخ بن عبد الرحمٰن بن أحمد الكاف، وكان مع ذلك لطيفاً صالحاً متواضعاً يحب العلم وأهله، لا يكاد يفوتهُ شيء من دروس شيخنا المشهور وكان يحفظ «الإرشاد» وكَتَبهُ بخط يده نحواً من سبعين مرّة بالأجرة في أيام فقره، وله إعتناء ـ بعد غناه ـ بقراءة «الإحياء» في داره كل صباح، يحضره ثلة من المساكين فيقدم لهم الفطور، وله خيرات ومبرّات جزيلة وأوصى بنحو ثُلث ماله لِمَا كان يعتاد مِثْلَهُ في أيامه من البر، ومع لِيْن جانبه لأهل العلم والدين فقد كان شديد الشكيمة على الأمراء والمتكبرين وجَرَت له معهم أمور مذكورة في الأصل، ولمّا أنشدتهُ قولي:

يـمـوت شـيـخ الـكـاف فـي مـالـهِ ... كـمـوت بـاحـشـوان فـي فـقـرهِ

طَرِب له واستجاده وكرّره واستعادهُ، توفي بتريم سنة ١٣٢٨ عن جملة أولاد أنجبهم: حسين، وعبد الرحمٰن، وأبو بكر، وقد كان ابن عمهم: الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أحمد الكاف معدوداً في جُملة علماء تريم وأدبائها، له عاطفة جميلة، وشِعر عَذْب، تهز الأريحية عوده، ويستمطر الكلام العذب جوده، ومن خير ما فيه: عطفهُ على العلم وأهله، واستصغاره نفسه بجنب من لا يوزن به منهم، إذ كان وافر الحظ من الإنصاف، خسر العِلْم بتريم وغيرهم خسارةً كُبرى بموته في سنة ١٣٤٦.

ومن متأخري علماء تَرِيم وأدبائها: الفاضل الولد أحمد بن عمر بن عوض الشاطري[1] المتوفي بها سنة ١٣٦٠، كان شهماً ذكياً نبيهاً، له فهم وَقّاد، وفكر نَقّاد ورثهما عن جده لأُمه: السيد أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب، وكان متفنناً مستقيم السيرة، طيب السريرة، كثير البحث، جم التحقيق، غزير الإطلاع.

---

(١) كتب العلامه محمد بن أحمد الشاطري في المعجم اللطيف «آل الشاطري» يُنْسَبون إلى علوي الشاطري بن الفقيه علي بن القاضي أحمد بن محمد أسد الله بن حسن الترابي بن علي بن الفقيه المقدم. وإنما لقب الشاطري لأنه شاطر أخاه أبا بكر الحبشي جميع أمواله مواساة له قال بعضهم حتى النعال شاطره فيها تحقيقاً للمشاطرة أهـ. وأضاف العلامة محمد قوله (وقد كان يتبادر لذهني ويخطر ببالي قبل أن أعرف السبب الأول أنه لقب لمن فيه صفة قوم من الصوفيه يقال لهم الشاطرون أي السباق المسرعون إلى حضرة الله وقربه «كما في شرح القاموس لمرتضى الزبيدي». ولا يبعد أن يكون جَمَع الوصفين الحميدين في ذلك الوقت الذهبي فكان كل منهما سبب تلقيبه بالشاطري (ص ١٠٧ ص ١٠٨) المعجم اللطيف الطبعة الثانية ـ عالم المعرفة.

ولا بأس بأيراد قضيةٍ يَشْفَع لخروجها عن سَمَت المقصود فائدتها ودلالتها على حالة البلاد في البحث العلمي، فقد أتفق أن سُئلت عن رجلٍ مات وعليهِ دَيْن، وقد أوصى بوصايا وكانت أمه من جملة ورثته فَنَذرت بنصف ما انجر لها بالإرث فيه لآخر نَذْرَاً مُعَلّقاً بما قبل مرض موتها بيوم ثم انفكّت التركة من حَجْر الدَيْن والوصية، فأَجَبْت بأن الأشخر أطلق صحة تعليق النَذْر بالمرهون على صفةٍ توجد بعد الإنفكاك، وهو كلام مُطْلَق وقال ابن حَجَر في فتاويه: ويصح النذر بالمرهون لكن إن علّقهُ بالفكاك كما هو ظاهر لِتَعلُّق حَقْ الغير به نعم إن كان المنذور العتق تأتي فيه تفصيل عتق المرهون. أهـ وفيه تقييد لما أطلّقه الأشخر، وعليه فالنذر المذكور في السؤال لا يصح إذا كانت التَركة مرهونةً رهناً شرعياً حال صدوره إذ لا تعليق فيه بالفكاك، هذا معنَى الجواب. وكان السيد أحمد بن عمر الشاطري قد أجابَ عن هذا السؤال بصحة النَذْر إذا لم يبقَ شيء من وصايا المُوصي وقت وجود الصفة، وصَادَق عليه العلامة الشيخ فضل عرفان، ولمّا إنتهى إليهم جوابي شَطَبَ الشيخ فضل مصادقته ورجَعَ إلى ما قلته، وأصرّ العلامة الشاطري وكَتَب نحو صفحتين في الرد عليّ، ونقضته بأكثر من ذلك، وبعد مدة وصلني السيد الوجيه عبد الرحمٰن بن شيخ الكاف وقال لي أن السيد أحمد بن عمر الشاطري يريد أن يَنْقُض كتابتك الأخيرة ولكنه يخشى أن لا تنصفه، فقلت له: معاذ الله وإني لأتمنى أن يظهرَ لي صواب ما يقول ليقعَ لي شرف الرجوع إلى الحق الذي كثيراً ما أترنم بأمثاله عن أراكين الإسلام، ولا سلم من تكدير خاطره إذ قيل لي أنه سريع الإنفعال من مثل ذلك فليكتب ما شاء ثم إن قدرت على رده بالنص من لسان القلم ـ والبريد واقف ـ فتلك أَمَارة الحقّ البريء من التكلّف وإن لم أقدر على نقضه ـ في الحال ـ صَادَقت عليه مع البريد نفسه في الحِيْن والساعة، وهذا غاية ما يمكن من تفسير الإنصاف، فجاء في كتابته الأخيرة ما نصه: وكل ما قالوه ونقّوله لا دليل لهم فيه، فاستدلالهم بهِ غلط واضح منشؤه توهمهم أن مجرد التعليق يُسمَّى تصرُّفاً، والصواب خلافه. فكَتَبت عليه ـ وحامل رسالتهم المخصوص لها واقف ـ ما معناه: لقد أخذ العلامة الشّاطري بطرف الفضل إذ حصرَ نقطة الخلاف المنتشر، فَلْنَقف عندها، ثم إن قَدَرْنا على نصٍ صريحٍ في أن التعليق يُسمَّى تصرفاً، وإلاّ سلَّمنا وسقيناه على الظَّفَر. لكن جاء في فصل «استثناء الطلاق» من «المنهاج» بعض مزج من «التحفة» كالنهاية، قوله: وكذا يُمنع التعليق بالمشيئة انعقاد وقف وعتق تنجيزاً وتعليقاً، وكل تصرّف غير ما ذُكِر من كل عقد

وحل وإقرار ونية عباده. أهـ.

ومنه تعرف أن تعليق النَذْر داخل في مُسَمَّى التصرف لأنه عقد، وقالوا في «الوصيّة» أن التلفظ بالوصية هو التصرف والإجازة، حيث اشترطت من الوارث إنما هي تنفيذ على المذهب. أهـ. وكذلك التلفظ بتعليق النذر هو التصرف. وفي الإقرار من «التحفة»: والنهاية لو وَهَبَ ولده عيناً وأقبضهُ إيّاها، ثم أقرّ بها الآخر، قُبل على ما في البيان، لكن بناه الأذرعيّ على ضعيف هو أن الرجوع يحصل بمجرد التصرف. أهـ. وهو صريح في تسميته الإقرار تصرّفاً، ومتى كان تصرّفاً كان تعليق النذر أحرى بأن يُسمَّى تصرّفاً. عند ذلك انقطع الخصام وانفصل النزاع. ثم جاء العلاّمة الشاطري لزيارة الطبيب بسيوون، فزارني وأضفته في اليوم الثاني. وكان يوماً سعيداً تساقينا فيه السرور وتجاذبنا أطراف الأُنس وتنازعنا كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم، ثم ذَهب بعد مُدةٍ إلى تريم وجئت إلى منزل الشاطري بعد صلاة الجمعة وحضَر جماعةً من أهل العلم والأدب، وعندما انبسطنا وشرعنا في المحاورات والنكات لم يَرُعنا إلاّ دخول قاضي تريم ـ لذلك العهد ـ السيد علوي بن عبد الله الجفري بهيئةٍ غير عاديّة، وما كادَ يضم ثيابه للجلوس حتى قال: ياعم عبد الرحمٰن نطلب منكَ أن توضح لنا الصواب في المسألة التي اختلفتم أنتم والأخ أحمد الشاطري فيها، فدار بي الفضاء وأظلم عليّ النُزُل، لأنني وَقَعت بين أمرين: إمّا التعرض لمشقة صاحب المنزل ـ وهو عليّ عزيز ـ وإمّا توهم الحاضرين بي الانقطاع ـ وهو ضالّة الحُسّاد وأكثرهم من العلويين ـ فلم يكن بُد من شرح الصواب مع بسط العُذر للسيد أحمد بن عمر الشاطري بعبارة الأشخر التي نَقَلها عن «الروضة» بما يمنعه كلام «الروض» وشرحه، وهو لا يزيد على حُسن الإصغاء إمّا عن إكرام وتوقير لي وإمّا عن اقتناع بما قررته. ولمّا اجتمعت بالمكرم الأخ أبي بكر بن شيخ الكاف شكوت إليه ما صنعَ بِنا القاضي، فقال: إنما كان مأموراً بذلك من جهتي فأنا الذي كَلّفتُهُ لأُذكي بينكم نار الحرب ونقف مع النظارة، فقلت له: حسبُك الله لقد نَغّصت علينا المجلس وشوّشت علينا الأُنس.

ثم أني اطّلعت بعد ذلك على عبارات بعضها يؤيد ما قلته، منها قول ابن حَجَر في الرّهن من حاشية «الفتح»: وإذا لَزَم الرهن امتنع على الرَّاهِن بلزومهِ بَيْع وهِبَه، وظاهرهُ أن عقدها يقع باطلاً وإن لم يتصل به قَبْض وإن لم تفوّت التوثق،

لأن التلفُّظ بالهِبَة سبب للقبض الممتنع اتفاقاً فليكن هو ممتنع أيضاً. أهـ.

ومنها قوله في الفتاوى الكبرى إن وقت الألزام والألتزام هو وقت التلفظ بالنذر. ومنها قوله في التحفة إن لزوم النذر يوم النذر. ومنها قوله فيها قبيل الرجعة، لأن العِبْرَة بوقت التعليق لا بوقت وجود الصفة على المعتمد. أهـ. ومنها قول العلامة السيد عبد الرحمٰن بن محمد العيدروس ـ من رسالةٍ له ـ ما نصه: وذلك أن التعليق عندنا تَصرُّف ناجز الآن، وأثرهُ يقع عند وجود الصفة. أهـ. وبعضها قد يُفهم منها بدء الأمر؛ موافقته، وهي قول الرملي أثناء الطلاق ـ من فتاويه ـ ليس له تعيين الطلاق في التي بانت منه قبل وجود الصفة، تفريعاً على أن الاعتبار بحالة الصفة لا بحالة وجود التعليق. أهـ.

وإنما قلت بدء الأمر، لأن الفرق بعد التروي ممكن بين هذه ومسألتنا، فلا يصح قياسها عليها مع وجود الفارق، مع أنه لو أن وفق للاعتماد عليها لتركت له حاله لِمَا أَحْدَثت عندي من الشك، مع أن العلامة ابن حَجَر مخالف للرملي في هذه، فقد جاء في «الفتاوى الكبرى» فيمن علّق بالطلاق وحَنَث، وله زوجتان ماتت إحداهما، أن البلقيني بحث أن العبرة بحالة التعليق، فله تعيين الميّتة، لكن اعترض بأن الذي يظهر خلافه نظراً لحالة الوقوع. والأمر له أوجه. أهـ. وذكَرَها الشيخ عبد الله بازرعة في اختصاره للفتاوَى المذكورة، ولم يذكر له مخالفاً مع التزامه بذكر المخالفين إلاّ أن يفرق بين البائنة باختياره وبدونه والله أعلم.

ثم أن في قول السيد أحمد الشاطري: إذا لم يبق شيء من وصايا ابن المرأة بحثاً، لأن للعلامة ابن حَجَر في تحفته عبارات متناقضةً في الموضوع، ففي حجر التركة بالدَيْن يقول: وكالدَين الوصيّة المطلقة فيُمتنع التصرف في قدر الثلث. كذا قيل، والقياس إمتناع التصرف في الكل. أهـ. وخالفَ ذلكَ بقوله منها في الإقرار لأنها ـ يعني الوصيّة ـ إنما تُعلّق بالثلث، وقوله أول الفرائض: فالوصية بعد القبول مانعةٌ من التصرف في العين المُوْصَى بها، وفي ثلث غير المعيّن شائعاً. أهـ.

والكلام عن فضل تريم وأهلها ـ في السابق ـ لا ينتهي له عد ولا يجزر له مد، وقد أخرج السيد أحمد الجنيد بسنده إلى القطب الحداد أنه كان يقول: وددتُ لو أن هؤلاء الأربعة تفرقوا ـ بنو حي تريم ـ لِيَعُم بهم نفع الخير ويكثر بهم دفع الشر، ولكنهم كانوا جيراناً بالنويدره وهم: محمد بن عبد الله بن حسين باهارون، والجِنيد بن علي باهارون، ومحمد بن أحمد مشهور بن شهاب الدين،

وعمر بن علوي عيديد، وكانوا يصلّون العصر في «باعلوي» ولمّا عجزوا صلّوها في المسجد الذي بناه الحدّاد بالنويدره، وما سمّاه (مسجد الأوّابين) إلاّ لأن هؤلاء يُصلّون فيه، وكان القاضي بتريم لسنة ١٢٠٢ ـ وما قبلها وما بعدها ـ هو الشيخ محمد بن إبراهيم المؤذن بافضل.

ومن متأخري فضلائها سيدي عيدروس بن علوي العيدروس، وأولاده محمد وعمر وعبد الله الداخلين تحت قول حبيب:

بثلاثةٍ كثلاثة الراح استوى ... لك لونها ومذاقها وشميمها

وثلاثة الشجر الجنيّ تكافأت ... أفنائها وثمارها وأرومها

وثلاثة الدلو أستجيد لماتحٍ ... أعوادُها ورشاؤها وأديمها

ومنهم، سليم الصدر المنوّر البال، السابق ذِكره في جملةٍ من المحال، شيخ بن عيدروس المتوفي بتريم سنة ١٣٣٠ وولده عبد الباري بن شيخ المتوفي بها سنة ١٣٥٨ ومنهم الشاب الناشىء في طاعة عبد الله بن زين العابدين بن أحمد العيدروس المتوفي بها سنة ١٣١٦، كان والدي يُثني عليه وتكدّرَ لوفاته وتأسّف عليه.

ولو أردت الإستقصاء لزاد السيل وطفح الكيل وامتد الذيل. ومن متأخري علماء تريم وصلحائها: الشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب، توفي سنة ١٣٣١ كان من كبار الفقهاء الصالحين، ومنهم إبنه العلاّمة المتفنن الشيخ أبو بكر بن أحمد الخطيب كان فقيهاً محققاً مشاركاً في غيره، وله فتاوَى جمَعها الفاضل السيد سالم بن حفيظ، توفي أول سنة ١٣٥٦. ومنهم العلامة الجليل الشيخ محمد بن أحمد الخطيب، كان فقيهاً جليلاً تقياً صوفياً، له تَعلُّق كثير بوالدي وسيدي الأستاذ الأبَرّ، ولم أذكر وقت وفاته غير أنها بعد الأربعين والثلاث المائة[1]. ومنهم الشيخ فضل بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بافضل[2]،

---

(١) أفاد مؤلف «لوامع النور» أن تاريخ وفاته سنة ١٣٥٠هـ ونقل عن كتاب «تحفة الأحباب» قوله: وقد تولى الخطابة يوم الجمعه بجامع تريم مدة طويلة وكان يخشع ويبكي أثناء الخطبة حتى لا يكاد يبين كلامه لا سيما عند المواعظ وتلاوة الآيات في القوارع والزواجر.

(٢) لعله يقصد محمد بن عبد الرحمٰن بن فضل المتوفي سنة ١٣١٨هـ. أنظر ترجمته في «كتاب صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل».

كان مضرب المثل في الورع، توفي سنة ١٣٠٨. ومنهم الشيخ محمد بن أحمد قعيطان، كان محبوباً ومُعْتَقداً، توفي سنة ١٣١٦. ومنهم قاضي تريم الشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد القوي بافضل، كان ورعاً نزيهاً عابداً، توفي سنة ١٣٢٤. ومنهم الشيخ فضل بن عبد الله عرفان بارجا، إليه انتهى الفقه اليوم بتريم وله مشاركة في غيره، وهو من أخصّ تلاميذ سيدنا الأستاذ الأبر، وله فيه مدائح، وكان كثير الرجوع إلى الحق عندما يتبين له فلا يتعصّب على رأيه إلاّ بمؤثِّر من غيره، وجَرَت بيننا وبينه مناقضات منها في مسألةٍ جَرَت بين السادة آل جنيد أَصرَّ فيها على رأيه حتى لقد قلت له في آخر رسالةٍ كانت مقطع الكلام وفصل النزاع، وظَنِّي بالشيخ إدراك الصواب فيما قررته لأنه أجلّ في نظري من أن يُخْفَى عليه، غير أنه يكتب فيما أحسب تحت محاباةٍ أو ضغطٍ ممن يكره الحق ولا سيما إذا جاءه على يدي. ويأبَى الله ـ ببركة المشائخ الأبرار ودعائهم والأخذ عنهم ـ إلاّ أن يبيحني عرائسه، وييسر لي نفائسه، ويُلبسني فروته، ويُحلّني ذروته، ويقرع لي مروته.

وفي تعبٍ من يجحد الشمس ضوءها ... ويجهد أن يأتي لها بضريبِ

وإني عَلَى مَا دَرَجت عليه من إحترام الشيخ ومحبته، وكيف لا، وقد وردنا جميعاً على المنهل العذب، واستقينا معاً من العين الصافية، وربطتنا بهِ جامعة الأخذ عن عَدَّ العِلْم الخسيف، وجَبَل المجد المنيف، وزينة الزمن الآخر، وقُرة عين المكارم والمفاخر إلخ.

وفي هذه الأيام يتألق عارض النزاع بينه وبين آل تريم في قضيةٍ حاصلها: أن رجلاً من آل بافضل له ابن وبنت من امرأة من آل باحرمي، قيل إنه أضاعهما في أيام الأزمة حتى مات الإبن من الجوع، ثم أَشْبَلَت الأم على البنت وفَدَتها بروحها إلى أن أَدْرَكت، فَخَطبها رجل مكفي من آل عِرفان، فَمَنع، حتى أرضاه بسبعين ربيّة، فَقَبِلَ، ثم أغراهُ أصحابه فعاد إلى الامتناع وعَقَد لها ـ عِناداً ـ بفقير، فادَّعَت البنت أن بينها وبينه رِضاعاً محرماً، فأفتَى الشيخ فضل ببطلان العقد، وصَادَفْت على جوابه لاتفاق الرملي وابن حَجَر وغيرهما من المتأخرين على أن إقرار المرأة بالرضاع يمنع النكاح ـ إذا كان قَبْلِه ـ وإذا كان بعده من دون إذنها في المعقودِ له وقَبْل الدخول يجعلها المُصَدَّقة فيه بيمينها. وهذا مما لا ينبغي الاختلاف بعده لأنه النص المُلْجِم، لكن الدراهم كانت مع المتعصبين للجانب

الآخر وهي التي عليها يدور التنفيذ لا النصوص، على أن مقابل الأصح في قول «المنهاج»: ولو عينت كفوءاً وأراد الأب غيره فله ذلك هو الأحرَى بالاعتماد، ولذا اختاره السبكي وهو الموافق للأحاديث الصحيحة الثابتة ولقواعد الشريعة. وفي مجموع الجد علي بن عمر عن أحمد مؤذِّن أنه قال: ومن قواعد الترجيح أن القول المرجوح في المذهب يتأيد بمن قال به من الأئمة الأربعة، وهذه من الغوامض التي قَلَّ أن توجد عند أبناء العصر بعد أن كانت عند مشائخنا من الواضحات أهـ.

وقد قرر العلامة الشيخ محمد بن عبد الله باسودان أن المرجوح يَتَرجَّح بالمُرَجَّح الخارجي، كالفَسْخ لِتَضَرُّر المرأة، ونَقَلَهُ عن «العقد الفريد» للسمهودي وألّف العلامة ابن زياد رسالةً في وجوب مراعاة المصلحة على الولي في النكاح وفي «الوصيّة» من التُحفة: والنهاية أنه يجب على الولي قبول الوصيّة فوراً بحسب المصلحة. أهـ وأطلت القول بما يدفع كل شبهة، ثم رأيت ما ذكره العلامة ابن القيِّم عن ذلك في «زاد المعاد» فإذا فيه كثير مما في جوابي قبل أن أَطَّلع عليه، فكان فرحي أشد من فرح بن ميّادة إذ توارد مع الحطيئة في قوله:

مُـفـيـدٌ وَمِـتْـلاَفٌ إذا مـا أتـيـتـه تَـهَـلَّـلَ وَاهْـتَـزَّ اهـتِـزَازَ الـمُـهَـنَّـد

وبما تقرر مع قول الشافعيّ: إذا صح الحديث فهو مذهبي يتحقق المنصف أن مقابل الأصح هو الأصح ولا سيما في هذه القضية لِما مَرّ بك من الرجحات الخارجيّة إن لم تنته إلى دفع بافَضْل عن الولاية رأساً، أما إذا كان الأمر كما في السؤال فلا شك أنه ساقط عن الولاية، وإنما كان كلامي مبنياً على بقائه بصفتها، وبما رأيت عن ابن القيم إزداد قلبي طمأنينةً وصدري إنشراحاً، وما أظن مؤمناً يَطَّلع عليه ثم يداخله شك فيما استوضحته. وقد بلغني أن القطب الحداد كان لا يُزَوِّج أبكار بناته إلاّ بعد الاستيذان والبلوغ والله أعلم، إلاّ أن ذلك يتأكد بما عُرف من حاله أنه لا يفارق «الزاد»[1] حضراً ولا سفراً، وكذلك كان الأستاذ الأَبَرّ فيما يَرْوَي رضوان الله عليهم.

ومـا أنـا إلاَّ مـن غـزيَّـة إن غَـوَت غَـوَيْـتُ وإن تـرشـد غـزيّـة أرشـدُ

على أن الغَيَّ من أولئك بعيد، وإنما ذكرتُه للتأكيد على نحو قوله تعالى

---

(١) زاد المعاد.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

مدارس تريم:

وفي **تريم** كثير من المدارس، منها مدرسة (أبي مريّم) وهو السيد محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم الذي يقول فيه السقاف: لو وَقَع اجتهاد محمد بن عمر في العبادة على جبلٍ لدكّهُ، توفي سنة ٨٢٢ بعد أن ختم القرآنَ، وقرأ رُبع «التنبيه» على يديه ثمانمائة شخص.

وأقدم مدرسة **بتريم** ـ فيما أخال ـ هي مدرسة (الشيخ سالم بافَضْل) الواقعة بإزاء مسجده المجاور لدار السيد أبي بكر خرد المتوفي بتريم سنة ١٣١٢. ومنها مدرسة (الشيخ حسين بن عبد الله الحاج) وهي الواقعة في غربي جبّانة **تريم** وتسمَّى اليوم بمسجد شكره. ومنها مدرسة (باغريب) من أكابر المُعلّمين بها: الشيخ عمر بن عبد الله باغريب المتوفي سنة ١٢٠٧، أطنبَ في مدحه الحبيب علوي بن أحمد بن حسن الحدّاد في كتابه «المواهب والمنن» وقال أنه تعلّم لديه من السادة أكثر من الألف، منهم الوالد أحمد والعم حامد بن عمر ومن في طبقتهم وأولادهم وأولاد أولادهم، فقد تعلّم عنده ـ بعد والده ـ ثلاث طبقات من أهل **تريم** غير السادة الأَلْف. ومن أواخر من علّم بها: الشيخ الصالح عمر بن سعيد بن أبي بكر باغريب، توفي **بتريم** سنة ١٣٤٧، ومنها مدرسة (آل باجمعان). وفي ص ٣١ج ٣ من «المشرع»: ولمّا بَنى السيد محمد بن عمر بافقيه المتوفي بحيدرآباد مدرسته التي بتريم فَوَّض تدريسها إلى العلاّمة الشيخ أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن شهاب المتوفي **بتريم** سنة ١٠٦١ فَدرّس بها احتساباً أياماً ثم ترك ذلك. وجاء في «النور المُزهر» أن السيدين أبا بكر وعلوي ابن علوي الكاف ماتا بفلمبان وأوصيا بمالهما ـ المُقَدَّر بستين ألف ريال في حضرموت ـ للأرحام والمساجد والمدارس أهـ. وهذا الجمع يدل على كثرتها.

وفُتحت في الأخير مدرسةً على نفقة خيرات المرحوم السيد شيخ بن عبد الرحمٰن الكاف، إلاّ أنهم لم يبنوا لها ـ منها ـ مكاناً، وقد تخرج منها جماعة أنجبهم: الشيخ سالم سعيد بُكَيْر، وأمبارك عُمَيْر باحريش، فبها انفتحت أذهانهم

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

وإن كانا إنما توسعا في الفقه بعد انفصالهم عنها، وأصلهما من الحرَّاثين ثم تشرّفوا بالعلم والذكاء والفهم إلى تواضع ونُسُك إلاّ أنهُ مَشُوْب بشيء من التعصب، فتراهم لا يرجعون عن رأي ولا يُذعنون لِحُجّه. ومن خريجيها: السيد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، ذكي نبيه وشاعر فقيه. ومن اللطائف أن ناظرها السيد عبد المولى بن طاهر أرادَ أن يعبث بالسيد أحمد بن حسين بن عبد الرحمٰن بن سهل فاستدعاه ـ وهو مار بطريقه ـ وقال له: تكلم على الطلبة، وغرضهُ إفحامه، فقال له: لا أزيدكم على كلمةٍ لقد دامت شوارع تريم ملأى بمراكيب المدعوين لعذيرة ختاني ثمانية أيام، ثم إن غداءنا اليوم رطلان من التمر المنزوع النَوَى، وهُمَا هذانِ أخذتهما من السوق، فلا يمكن لأحدٍ أن يغترَّ بالدنيا ويسكن إليها والسلام.

وفي **تريم** أودية وشِعَاب مشرقةً بالأنوار، لأنها كانتْ مُتَهجَّد عِباد الله الأَخْيار حتى أن من أهل تريم من وقذته العبادة إلى حد أنّ صُبيانهم يسألون أمهاتِم عنهم، فيقُلن لهم: أَخَذتهم الجبال للتهجُّد بالليل، والمساجد للإعتكاف بالنهار. وتصداق هذا ما جاء في الحكاية ١٧٤ من «الجوهر» وص ٣٠١ من «شرح العينية» عن السيد علي بن علوي بن الفقيه المقدم الذي كانت وفاته بتريم سنة ٦٧٥، وبمثلهِ يتأكد قول المغربيّ أنهم بالملائكةِ أشبه.

فمن تلك الأودية: (النُعَيْر) ـ كَزُبَيْر ـ السابق ذكره في ثناء السيد حسن بن شهاب على وحيد حضرموت: السيد أبي بكر بن شهاب، ومنها (خيله) وسبب تسميته بذلك ـ حسبما سمعت من الثقات ـ إنما لمَّا ظَهَرت نواصي خيل الصحابة منه قالت امرأةٌ: خيله، قالت الأخرى: خيلتين، قالت الثالثة: أربعمائة مايعتدّين. وأهل تريم يغضبون من قول القائل: خيله خيلتين إلخ، والبغوغاء تعيِّرهم به، ومافيه من عار ولكن يأتي فيه ما تمثَّل ابن الزبير لمّا عُيِّر بأنه ابن ذات النطاق وهو:

وعيّرني الواشُون أني أُحبها ... وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارها

وتَمثَّل بعجزه الإمام الغالب ـ أيضاً ـ في إحدى رسائلهِ، وفي حدود سنة ١٣٣٢ ألفت (جمعية الحق) في تريم وطلبت من السلطان محسن بن غالب أن يوليها مالية البلاد، فعمل، وأمّل الناس خيراً فانحكس الأمل وصارت الرسوم على زيادتها تؤخذ بإهانة وصغار، ولم تزل، والاستبداد وجهاً، والمستشارون لا

يزيدون على الموافقة، والمعارضة تكاد تكوْن من المستحيلات، ولذا فإن رئيسها لا يتبدل إلا فترات قليلة لتحلّة الشرط. وَظهرت بعد ذلك (جمعيّة الأخوّة والمعاونه) وَجَرت شوطاً في نشر التعليم وبث الدعوة الدينية في البوادي، ثم ظَهرت الأغراض وشهوات الإستعلاء ومحبة النهي والأمر فكانت كسابقتها، ومن أعمالها أنها أتّهمت نظّار أوقاف المساجد بتريم فَانتَزعَتها منهم بِمُبَرِّر وبدون مبرر، ولكن كان الإصلاح أنزر والإنفاق أغزر، فبعد أن كانت مغلاّت أكثر المساجد تزيد من نفقاتها صارت تنقص مع التقصير في العمارة، بل قيل أن الدَيْن ارتكب بعض المساجد فوق ذلك.

وفي ص ١٣٠ ج أول من «المشرع» أن من خواص تريم: طِيْب عيشها، خصوصاً لأهلها الذين لا تَعلُّق لهم بالدول اهـ. وذلك مُجَرَّب، أمّا الذين يتعلّقون بها لآمال ضائعةٍ فلا يزيدون على أن ينشبوا بأنفسهم في المتاعب وينشبوا غيرهم في المصاعب. ومن البلاء الذي لا يُعدَّ له بلاء: أن مقررات الإقليم من ساحلهِ إلى أقصاه ـ سواء كانت من الهيئات أو من الأفراد ـ لا تكوْن كما يشاء العِلْم والإنصاف، وإنما تكوْن على حسب ما تريده الأهواء وتقتضيه الأغراض والمحاباة، وكله ناشئ عن نقص الأخلاق وهو أكبر المصائب، لا أكبر منه إلاّ عدم التفكير في علاجه، مع اشتمال الجِماء الغفير عليه لا عن جهل وسذاجه إلاّ في الأقل، ولكن عن نفاقٍ يرتبكون فيه عمداً، والأقل من يقع في تلك الرذائل من غير شعور، بل بمؤثرات تنطلي عليه، فيَبقىٰ على ظنه بنفسه الخير، وهو خائن لها وللناس، ففي المقام صعوبة لا تنحلّ إلاّ بيد العِلْم الصحيح، ولذا كان السلف يوصون بالكتب الغزاليّة[1]، لأنها في علم النفس: النجم الوهّاج، ولأن فيها لأمراض الأخلاق أنجع علاج. ومن التعاجيب أن من هؤلاء من يقرأها ويخالفها على خطٍ مستقيم، كأنما يتقربون إلى الله بمجرد قراءة ألفاظها.

وكان لآل باعلوي ولآل جديد حافتان بتريم يصونون فيهما أولادهم عن الاختلاط بالأضداد، ولا يمكنونهم من مجاوزتها إلاّ بعد تمكنهم من الدِين والأخلاق. وفي الأصل إشارةً إلى ما بحضرموت من الحُوَط وإنكار بعض النّاس أمرها، وكثير من أعقاب أولئك المُنْكِرين ومتأثريهم في زماننا يُجلّون جمال الدين

(١) هي كُتب الإمام أبو حامد الغزالي، المتوفي سنة ٥٠٥هـ، وبصفةٍ خاصة كتابيه: «إحياء علوم الدين» و«المُنقد من الضلال».

الإفغاني ولا يتفطنون إلى ما جاء في سياق له من قوله: فذهبت إلى مقام عبد العظيم وهو حرم من دخله كان آمناً.

وفي **تَريم** كثير من الحَافَات، منها حارة (الخِلَيف) ـ بكسر الخاء وفتح اللام ـ وهي في غرب تريم إلى الشمال، على اسم وادٍ معروف في شِعْب جبل ذَكَرهُ البَكْرِي. وكِنْده كثيراً ما تُسمِّي قُراها ـ في الآفاق ـ على ما كانت أسماء بلادها بحضرموت.

ثم (الرضيمة) ثم (السِحَيل) ثم (النويدرة). ومنها في الجهة الشرقية من تريم (السوق) ثم (المجف). ولآل تريم تعصب شديد مع أهل الحوف يسري من السفلة إلى الجله وإلى العلماء من الحالكة. وكان يتعاظمني ما أسمعه من ذلك حتى رأيت ما ذكره الخطيب في الحكاية ٣٠٥ من جوهره، أنه نشب حرب بين أهل حافة السوق وأهل حافة الخليف، وجرى بينهم قتل، وكان أهل السوق أكثر فكمنوا لأهل الخليف، فعلموا بذلك فَشَكَوا إلى الشيخ أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الخطيب، فقالَ لهم: إذا كَبَّرت لصلاة الصبح فَقَعُوا عليهم، ففعلوا وهرّبوهم. وكانت وفاة الشيخ أحمد ـ هذا ـ في سنة ٧٠٨ ووفاة أخيه عبد الرحمٰن سنة ٧٣٠ ووفاة أخيهما محمد سنة ٧٥٥ فعرفنا ـ من تعصب الشيخ أحمد لأهل حافته ـ أن آل تريم لم يَرِثوها عن كلاله.

ومن النوادر أن سيدي عبد الرحمٰن المشهور ـ على وَرعِه وتقواه وكماله ـ حكَمَ أيام كان على القضاء بحُكْم لأحد أهل السحْيَل بشاهدين من أهل السحيل أيضاً على واحد من أهل السوق، وكان هو ـ أعني سيدي عبد الرحمٰن المشهور ـ إذ ذاك يسكن السِحَيل فأمضَى الحُكْم ونائب الدولة وهو علي عبد الدائم أحد عبيدهم حاضر وألزمهُ بتنفيذه فاتهمهُ وقال له: لا أُنَفِّذ ولا أرى صحته، مُدّعي من السِحيل؛ وشهود من السحيل؛ وقاضي من السحيل، هذا حُكْمٌ باطل.

قُرَىٰ تريم:

حوالى **تريم** كثير من القرى، منها ما يخرج عن سورها الموجود اليوم **كَعِيْدِيد** وهو وادٍ مُشرق البهجة، واضح النَضارة، ساطع النور، واقع بسفح جبل (مخاران) الجنوبي وهو الجبل الذي يكوْن الخليف ـ السابق ذِكره ـ بحضيضه الشرقي. وكان العلامة الجليل السيد محمد بن علي مَولَى عِيْدِيد، المُتَرْجَم له في

«المشرع» و«الغرر» و«شرح العينيّة» وغيرها. بل جاء في «الفتح المُبين» للعلامة الجليل السيد عبد الرحمٰن بن مصطفى ـ نزيل مصر ـ أن مناقبهُ مخصوصة بالتأليف، أحبّ الانجماع عن الناس في آخر حياته فابتنى بعيديد مسجداً وداراً صغيرين، واعتزلَ الخلق، وأقبلَ على العبادة لا ينزل إلاّ للجمعة المفروضة أو العِيادة المندوبة، ثم بنى عنده أصحابه حتى صار قريةً معمورةً. وكان السيد محمد ـ هذا ـ شديد الخوف من الله تعالى، حتى لقد ذَكَر صاحب «مفتاح السعادة والخير» عن شيخه؛ الشيخ عبد الرحمٰن بن علي؛ عن والده علي بن أبي بكر؛ أن السيد عبد الله بن محمد بن حكم باقِشير إذا قامَ للصلاة انتفض وجرَى دمعهُ على خَدّيه ولحيته طيلة صلاته، إلى أن حصل لدموعه أثر ظاهر على خديه، قال الشيخ علي: وكذلك رأيت الفقيه محمد بن علي صاحب عِيْدِيْد أهـ. ومثل هذا الأَثَر في الخد من الدمع مشهور عن ابن الخطّاب، ومثل ذلك الخوف مذكور عن زين العابدين عليّ بن الحسين، وكان والد السيد محمد مَوْلى عِيْدِيد من مراجيح العلماء الأتقياء وهو معروف بصاحب (الحُوْطَه) محل بقرب تريم لعله الذي بينها وبين الحاوي، فأنه لا يزال يُطْلَق عليه لفظ (الحُوطَه) إلى اليوم، إنجمعَ فيها عن الخلق، وكان ولده محمد يسكن ـ قبل عيديد ـ قريباً من حوطة أبيه، أَخَذ أبو محمد عن الشيخ عبد الرحمٰن السقاف وتوفي سنة ٨٣٨ وكانت وفاة ولده محمد سنة ٨٦٢ ولهم ذُرِّية صالحة بعيديد وغيرها، (منهم) السيد علي بن محمد بن علي مَوْلَى عيديد، قال الشيخ عبد الله بن محمد باقشير في «مفتاح السعادة والخير»: وأَعْقَب الشيخ حَكَم باقشير بِنتاً يُقال لها «حكيمه» تحفظ القرآن، تزوجها السيد علي بن محمد صاحب عيديد بإشارة الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس وكان هو الذي دفع عنه الجهاز، وكانت الوليمة: دُخْناً ودِجْراً مأدومين بلحم في جفنةٍ واحدة. ثم بعد أيام سار الشيخ حَكَم إلى «شِعْب هُوْد» وأَخذَ معهُ عليّاً يُرَوِّضه، وبقيا على العبادة وأكثر قُوْتَهم هناك ثَمَر الأَرَاك توفي علي ـ المذكور ـ في سنة ٩١٩.

و(منهم) السيد أبو بكر بن عبد الله بن علي بن محمد صاحب عيديد، له وصيّةَ جامعة من العلامة إبن حجر الهيتمي بتاريخ صفر سنة ٩٥٥ أوردها الفاضل الشيخ أمبارك عُمَيْر بَاحِريش في كتابه «إتحاف المستفيد» الذي جمعه على لسان شيخه الصالح المنور القلب محمد بن حسن عيديد، وفيه تعريف بكثيرٍ من السادة آل عيديد وغيرهم، وقد مَرّ في سيوون أن بها ـ منهم ـ الفاضل الصالح السيد

حسين بن عبد الله بن حسن عيديد، شريف مضياف، موطأ الأكتاف، لا زال محمود السير مُعاناً على المرؤة والخير وإيانا آمين.

ومن سكان عيديد: الشيخ أحمد بن عبد الله بن عمر الخطيب، تولّى خطابة جامع تريم وهو ابن خمسة عشرة سنةً، وبقي عليها حتى نيّف على السبعين، وكانت وفاته سنة ١٣٣٣ وكان فاضلاً خاشعاً ناسكاً شريف السيرة، ولذا بخعوا له بخطابة تريم ـ صغيراً ـ مع أن مقابل الأظهر عدم صحة صلاة الجمعة خلفه لأنها لا تنعقد به إذ كان من قريةٍ مستقلة لنفسها، ويُذْكَر أن سيد الوادي الحسن بن صالح البحر حَضَر خُطبته وصلّى خَلْفَهُ، ولمّا ماتَ طمع فيها ولده عبد الرحمٰن وأراد أن يَبْقى عليها من بعده فلم يرضهُ الخطباء وانتزعوها منه عنوةً وسلّموها لمن لا تصلح إلاّ له، وهو العلامة التقي العابد النزيه الشيخ محمد بن أحمد الخطيب السابق الذِكر كان غزير العِلْم، طويل الحلم، كريم الشمائل، كثير الفضائل، وهو من أصحابي وأصحاب والدي، وبقي عليها إلى أن مات.

وكانت الخطابة ألْقَت رحلها في هذا البيت، ثم لم تتحول، حتى أنه لمّا مرض الشيخ علي بن محمد الخطيب ـ وكان أولاده صغاراً ـ طلبها بعض أهل العلم لنفسه، لكن قام ابن أخته الفقيه المحقق أحمد بن عبد الرحمٰن بن علوي ـ عم الفقيه ـ فَحَدب عليهم ونَابَ فيها عنهم، ولمّا تسنم ذروة المنبر ـ لأول مرّة ـ بكيَ واستبكى بما طابَ وراق، وبقيَ ذِكْرَهُ خالداً في الأوراق، ولمّا تأهل أولاد خاله دَفَعها إليهم. وكانت وفاة الفقيه أحمد هذا في سنة ٧٢٠ وفي قِسْم «الفيء والغنيمة» من «التُحفة والنهاية» وأستَنْبَط السُّبكي[1] من إعطاء مموِّني المرتزقة من أولاد وزوجات أن الفقيه أو المُعِيْد أو المُدَرِّس إذا مات يُعْطَى ممونه مما كانَ يأخذه، ما يقوم به، ترغيباً في العِلْم، فإن فَضل شيء صُرف لمن يقوم بالوظيفة، ولا نظرَ لاختلال الشرط فيهم لأنهم تَبَع لأبيهم، فمدتهم مُغتفرة في جنب ما مضى كزمن البطالة، والمُمْتَنع إنما هو تقرير من لا يصلح إبتداء، ورد بظهور الفرق بين المرتزق وغيره بأن العلم محبوب لا يُصد الناس عنه شيء أهـ.

ثم وَقَفْت على ما جاء بصفحة ٦٨ ج ٥ في «طبقات السُبكي» من قوله: أشاع كثير من الناس أن الوالد كان يَرَى تولية الأطفال وظائف آبائهم مع عموم

---

(١) السُبكي (تاج الدين): فقيه ومؤرخ، انتهى إليه قضاء القضاة في الشام بالقرن الثامن الهجري، اشتهر بكتابه «طبقات الشافعية الكبرى». وله غير ذلك.

صلاحيتهم إذا قام بالوظائف صالح ويرجحهم على الصالحين، وتوسّعوا في ذلك ونحنُ أخبر بأبينا ولم يكن ذلكَ رأيهُ على الإطلاق، وإنما كان رأيه فيمن كانت له يد بيضاء في الإسلام من عِلْم وغيره وترك ولداً يمكن أن يتأهل بأن يباشر وظيفته من يصلح، وتكون الوظيفة باسم الولد، لأن التولِية تنقسم إلى قسمين: تولية اختصاص وتولية مباشرةٍ، فتولية الاختصاص للصبي وتولية المباشرة للمباشر، ومتى ثَبُتت ولاية الاختصاص للطفل كان مستحقاً للوظيفة استقلالاً فيأخذها عند صلوحيته من دون احتياج إلى تجديد ولايه وإن لم يمكن أن يتأهل كبنت وزوجه في إمامة مسجد أو ابن ليست أهليته، فهؤلاء لا أولّيهم مطلقاً وإنما أقول لمن أوليه: التزم بالنذر الشرعيّ أن تَدفَع إليهم كَيْت وكَيْت ما دام كَذَا من معلوم هذه الوظيفة، إلى آخر ما أطال به. وليس بالنص فيما سبق عن «التحفة والنهاية» ولكنه تفصيل لِما نقلاه مُجملاً، فيحق له الاعتماد لا سيما وقد نَقل ابن عابدين في «رد المحتار على الدر المختار» عن البيري من هذا نصه، أقول هذا مؤيد لما هو عرف الحرمين الشريفين ومصر والروم من غير نكير من إبقاء أبناء الميت ـ ولو كانوا صغاراً ـ على وظائف آبائهم مُطْلقاً من خِطابه وإمامه وغير ذلك، عُرْفاً مرضيّاً لأن فيه إحياء خَلَف العلماء ومساعدتهم على بذل الجهد في الاشتغال بالعلم. وقد أفتَى بجواز ذلك طائفة من أكابر الفضلاء الذين يُعَوّل على إفتائهم أهـ. وما ذكره ابن السبكي من التفضيل هو الحَسَن الجميل لأنه الجامع للمصلحتين: تَوْلِية الصالح مراعاةً للمسلمين، ومواساة الأبناء قياماً بواجب فَضْل العِلْم.

الحاوي:

هو قرية صغيرة في شرقي **تريم**، كانت منفصلةً عنها، ولكنها أُدخلت في سورها الذي بناه الأمير سالم بن عبود بن **سالم الكثيري** في سنة ١٣٣٠ وقتما كان على إمارتها، وقد أنفقَ فيه أموالاً جزيلةً إستدان بعضها من أخيه بدر بن عبُّود على ضوء وعدٍ من السلطان محسن بن غالب وأغنياء **تريم** بوفائها، فلم يفعلوا، وانظلَم سالم وظَلَم أخاه.

وكان **بالحاوي** جماعةً من (آل الجِفْري) سكنوها قبل أن ينزل بها الحدّاد، وكان السيد علوي بن شيخ بن حسن بن علوي الجفري مواخياً للقطب الحدّاد، وصَهَر الحدّاد إلى السيد حسن بن علوي الجفري على بنته. ومن آل الجفري

السيد الشهير شيخ بن محمد بن شيخ الجفري، صاحب مليبار، فقد وصل **الحاوي** سنة ١١٨٧ وأخذَ عن العلامة الحسن بن عبد الله الحدّاد، وبدأ بهِ في الأرجوزة التي نَظَمها في الإسناد، وشَرَحها بكتابه المُسمَّى «كنز البراهين». وكان بالحاوي بيت ومسجد صغير للحبيب عمر بن أحمد المنفر، وهو جد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الغاني بتسميته عن كل وصف إذ كان كما قيل:

وكان من العلوم بحيث يقضىٰ له من كل فنٍ بالجميع

فلا حاجة للإطناب والآثار ناطقةً بفضله، والإجماع منعقد على تقديمه. وفي سنة ١٠٨٣ إبتنى الحبيب الحدّاد دارهُ بالحاوي وبقي يتراوح بينهُ وبين دارهِ بتريم. وفي سنة ١٠٩٩ ـ وهي سنة ميلاد ابنه الحسن ـ استوطنه صيفاً وشتاء، وانتشرت علومه في البلاد وأخَذ عنهُ الحاضر والباد. ولنا إليه طرق كثيرة من أقربها أنني أخذت عن السيد محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله السقاف المتوفي سنة ١٣٠٧ عن مائةٍ وخمسة عشر عاماً، وهو أخذ عن أبيه عن جده عن القطب الحداد، وأَخَذَ السيد محمد ـ أيضاً ـ عن العلاّمة الجليل أحمد بن حسن بن عبد الله الحدّاد وأَدْرَك من زمانه إثني عشر عاماً. والحبيب أحمد أخذ عن جَده القُطب الحدّاد وأدرك من زمانه خمس سنين، ومنها أنني أخذت عن الحبيب المعمر محمد بن إبراهيم بلفقيه، وهو أخذ عن عمه الحبيب عيدروس، وهو أخذ عن الأستاذ عبد الله بن علوي الحداد. وكان السلطان ياقوت يهدي للقطب الحداد الأكسية الفاخرة والشالات المثمنة والعمائم التي تبلغ ثمانين ذراعاً في عرض ذراع ونصف، وإن كانوا ليلوونها اثني عشر لَيّه ثم يدخلونها الخاتم فتمر فيه، وكان يُعطي بعضها لابنه الحسن فيلبسها لولعه ـ في شبابه ـ بالثياب الفاخرة، ولكنه لمّا عادَ من الحج في سنة ١١٤٨ أخشوشن، فلم يلبس إلاّ الخوذة والبشت من غزل «الحَاوِي» و«السَّبِيْر» فوق الشقة، ويقتصر في البيت على الشقة والكوفية البيضاء المخزمة، ويلبس العمامة للجمعة مع السروال والقميص، ويلبس البشت من فوق القميص، وفي أخباره ـ أعني الحسن بن الحداد ـ أنه ترك الرداء رأساً بعد رجوعه من الحج، وذكَرَ الشيخ عمر بن عوض شيبان عن سيدنا الأستاذ الأبَرّ عيدروس بن عمر أنه يقول: كانت الطبقة التي قبلنا يكتفون بالقمصان الحضرمية، وقليل من الأعيان من تكوّن عنده مصدرة بشت وأمّا الجبب فلا يبلسونها إلاّ في الأعياد. توفي سيدنا عبد الله بن علوي الحداد في سنة

١١٣٢ عن ثمان وثمانين سنةً إلاّ ثلاثة أشهر، وخَلَّف عدة أولاد وبنات، وهم: علوي وحسن وزين وحسين وسالم ومحمد، وكلهم أسن من الحسن إلاّ زيناً فإنه بعده وقام في مقامه بأمره ولداه علوي وحسن إذ قال لهما في حياته: أَقمتكُما مقامي وأنبتكما عني، ونَزَل لهما ـ في آخر عمره ـ عن إمامة الصّلاة، فكان يؤمه علوي إن حضر، وحسن إن غاب، غير أن أكثر إقامهِ: علوي، وأولاده بالسَّبير. وكان الحسن لا يفارقه فهو الذي تكثر إمامته له، وإذا زاروا «هُوْداً» عليه السَّلام كان الذي يَسَلِّم بالناس عند البير: علوي، وعند الضريح: الحسن. وكان هو الذي يحل عن أبيه عامة أمره في أيام حياته. وذَكَر السيد علوي بن أحمد: أن السيد محمد الجفري وزين العابدين الحبشي وسائر الدَرَسة تأخروا عن الحضور على علوي ـ بعد والده ـ لأنه لم يُدَرِّس في حياة أبيه، ولمّا رأى الحسن تثاقلهم عن دروس أخيه حَضَر عنده وأَتمّ عليه سُنَن أبي داود التي مات والده في أثناء قرائته إياها عليه، وأراد السيد زين العابدين أن يعمل قبه على ضريح القطب الحدّاد فمنعه آل العيدروس، وأمّا الصندوق فقد استوفينا قصته في الأصل. وعن السيد حسين بن محمد بن القطب الحدّاد أنه قالَ: سمعت ناساً من **تريم** ـ منهم السيد شيخ بن محمد بن شهاب ـ يقول: لولا «حسن» لمَا قام منصب آل الحداد، لا يقدر علوي ولا غيره على ما تحمّله حسن، لأن الحسين توفي والده وهو مريض، وزَيْن صغير، وعلوي مائل عن تدبير ما الناس فيه وإنما هو صاحب عباده، وأمّا الحسن فقد جمع العِلْم والعمل والفتوه ورجاحة الرأي. توفي الحسن بن عبد الله الحداد في سنة ١١٨٨ عن تسعين عاماً إلاّ تسعة أشهر، وقامَ في مقامه ابنه العالي المنار الجليل المقدار: أحمد بن حسن، إلاّ أنه لم يَسْلَم من منازعة السيد علي بن علوي بن القطب الحدّاد له، غير أنه توفي وشيكاً في سنة ١١٨٩ واستقلّ ـ بعده ـ الحبيب أحمد بن حسن بالمنصب، وكان أهلاً لتمام كفائته وهو صاحب العلوم الزاخرة والمؤلفات الشهيرة، وأكثرها فائدةً وأجملها عائدةً: «سفينة الأرباح» في مجلدات ثلاثة كبار. وقد جاء في «المواهب والمنن» الذي استحنت به في الموضوع أنه ـ أعني مؤلفه الحبيب علوي بن أحمد بن حسن ـ قرأ سفينة الأرباح على جده الحسن، وجاء فيه ـ أيضاً ـ أن للحبيب حسن **سفينة لا نظير لها في كل فن** من العلوم النافعة غَرِقَت فيما غَرِق على الحبيب أحمد بن حسن حينما أنكسر به المركب في حجه سنة ١١٥٧ فعمل «سفينة الأرباح» على غرارها. وذَكَر الحبيب علوي بن أحمد بن حسن من نَظْم والده في

حادثة الغَرَق قوله:

لكَ الحمد أما ما نحب فلا نرى ونسمع ما لا نشتهي، فلك الحمدُ

وهو صريح في أن الحبيب علوي بن أحمد قرأ ما ألّفه أبوه من «سفينة الأرباح» على جده بعدما غرقت سفينته، لكن العجب العجاب أن الحبيب أحمد لم يُشِر في خطبة سفينته إلى ما كان من تأليف والده، ولا بد أن يثقل على الحسن إغفال إبنه لذكره. ومن مؤلفاته: فتاواه المُسَمَّاة «القول الصواب» وشَرْح على راتب جده سمّاه «سبيل الهداية والرشاد»، ومنسك في الحج، و«الفوائد السنية في تريم وحضرموت وما خص به السادة العلوية» وهو الذي حَرّر تثبيت الفؤاد ورتبهُ في نحو أربعين كُرّاساً. ثم رأيت العجلوني المتوفي سنة ١١٦٢ يعزو البيت ـ السابق ـ وهو: لك الحمد أما ما نحب إلخ للمتنبي، وهو مخطىء في ذلك، كما أن الحبيب علوي بن أحمد لم يصب في عزوه لوالده وإنما قاله متمثلاً. توفي الحبيب أحمد بن حسن في سنة ١٢٠٤ عن سبع وسبعين عاماً، وخَلَفَهُ ابنه عمر بن أحمد وكان علاّمة فاضلاً توفي سنة ١٢٢٦ وخَلَفهُ أخوه حسين بن أحمد بن حسن وكان فاضلاً سخياً وجد سنة ١١٨٠ وتوفي سنة ١٢٤٨ وخَلَفَهُ ابنه حسن بن حسين وكان من أهل الفضل والعلم، وجد سنة ١٢٠٥ وتوفي سنة ١٢٨٤ وخلفه ابنه علي بن حسن وكان جليل القدر عظيم الخطر مُعظماً عند الناس وله هيبة في الصدور، توفي سنة ١٣٠٩ وكان ولده العالم الناسك المتبتل عبد الله بن علي غائباً بجاوه، ولكنه وصل على وشك انقضاء أجل أبيه ثم عاد إلى جاوا سريعاً فكأنما كان على ميعاد من موت والده، ولمّ فَرَغ من أمره انقلب على أثره. وقد أحضرني عليه والدي في قدمته تلك فقرأت عليه وألبسني وشابكني وأجازني كما قد إستجاز لي من والده علي بن حسن، واجتمعت به ـ أعني الحبيب عبد الله ـ بمنزله في جاوا أوائل سنة ١٣٣٠ وكان صادعاً بالحق، شديداً على أهل الجاه والرئاسة من العلويين، وطالما احتجب عنهم وردّهم عن بابه، توفي ببانقيل من أرض جاوه في سنة ١٣٣١. وأمّا الذي خَلَف عَلَى المنصب ـ بعد السيد علي بن حسن الحداد ـ فهو السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن القطب الحداد، وكان شهماً فاضلاً عالي الهمة قوي النفس، توفي بخلع راشد في القعدة من سنة ١٣١٣ وخلفه الحبيب حسن بن عمر بن حسن بن عبد الله بن أحمد بن حسن بن القطب

الحداد، وكان أبيض القلب كثير التواضع صادق الإخاء لوالدي، توفي في القعدة من سنة ١٣٢٢ وخلفه ولده علي بن حسن وكان شهماً كريماً فَحَصلت عليه أذيّه من آل تَرِيم فركب إلى جاوا وكان آخر العهد به، وخَلَفَهُ على المَنْصِب أخوه عبد القادر بن حسن وتوفي في محرم من سنة ١٢٥٢ وخَلفهُ السيد عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد الحداد وتوفي في جمادي الآخرة سنة ١٣٥٣ وخَلَفَهُ السيد عيسى بن عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد الحداد إلى أن توفي في رَجَب من سنة ١٣٥٤ وخَلَفهُ أخوه عبد الله، ثم تنازع هو وأبناء أخيه عيسى فانفصل عن المنصب وابتنى له داراً في غربي «خَلْع راشد» غَرَس حولها كثيراً من النخل وتَديّرها مع تردده إلى الحاوي بتريم، وخَلَفَهُ على المنصب الولد حسن بن علي بن حسن بن عمر بن حسن الحداد، فهو الذي عليه اليوم ولكنه مضغوط عليه كسائر المناصب بسبب اشتداد رَكَن الدولة الكثيريّة بالأنكليز.

وفي **الحاوي** جماعة من **(آل باسالم)**، قال الحبيب عمر بن حسن الحداد في «مجموع كلامه» أنها تَطُوْل أعمارهم وأن جدهم ـ وإسمه عمر بن عبد الله ـ كان يكاتب الحبيب عبد الله بن علوي الحدّاد من المغرب ثم وصلَ حضرموت وتزوّج بها، فآل باسالم من ذريته. ومن كلام الحبيب عمر بن حسن الحداد أن للحبيب عبد الله الحداد ستة أولاد يلازمه منهم إثنان أو ثلاثة، والباقون يسكن بعضهم الحاوي وبعضهم بتريم، وهو يترك حبالهم على غواربهم فيسافرون إلى حيث شاؤوا، وأكبرهم محمد، وكل من تزوج من أولاد الحبيب بنى له داراً لا تصل نفقتها إلى عشرين ريالاً ويقول له: أسكنها، وهو يواسيه. انتهى. أقول: وكذلك كان سيدي الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر إذا زَوَّج أحد أولاده أفرده بدار وأعطاه بقرةً وحماراً وسائر آلات الحرث ونَفَقة خمسة أشهر، وقال له: أنتَ بالخَيَار إن شئت جعلتني أباً وإن شئت جعلتني أخاً وإن شئت جعلتني كواحدٍ من المسلمين. وكان الحبيب عمر بن حسن الحداد من خيار العلويين وصلحائهم، وكان كآبائه وأقرباته يسكن الحاوي ثم حدث بينه وبين المنصب الحبيب علي بن حسن بن حسين شجار على خادمةٍ منعها الحبيب علي عن الخِدمة في بيت الحبيب عمر فانتقل إلى نويدرة تريم، ولم يزل بها على العلم والعبادة حتى توفي ظهر الأربعاء ٢٣ ذي الحجة الحرام من سنة ١٣٠٨ أي قبل وفاة الحبيب علي بن حسن بمديده قصيرة.

ومن «المواهب والمنن» أن فساد يافع زاد في سنة ١١٧٩ (ومنها) أن محسن بن عمر بن جعفر نهب دمون وضواحي تريم، فجاء الحبيب طاهر بن محمد بن هاشم يقول للحسن بن عبد الله الحداد: ما بقي لأحدٍ جاه عند هذا الظالم غيرك فإن شَفعت في رَدْ أموال المساكين وإلاّ فالأثم عليك، فتوجه إليه ـ فيها ـ فَرَدَّها. (ومنها) عن الحبيب عمر بن زين بن سميط أنه سمع بعض السادة ـ من تريم ـ يُفضِّل الحسن بن عبد الله عَلَى العلامتين: عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه وطاهر بن محمد بن هاشم. (ومنها) أن السلطان صالح بن ناصر بن أحمد الرّصاص هَمّ بالخروج إلى حضرموت ثم أَنثنَى، ثم عَزم بعد، فضَلَّ في الرمل عتادهُ من البارود والرصاص، وتفرّق شمل أصحابه وكَثُر فيهم الموت والمرض وعادَ خائباً. (ومنها) أن الحبيب حسن خَرَج هو وأولاده وقرابته وأتباعه إلى «بيت جُبَيْر» فذهبَ أحد أحفاده ـ ومعه الخدم ـ يأمرهم أن يجمعوا القَضْب من الآبار التي حواليه لمراكيبهم، والمُتَبَادر أنهم يأخذونها ـ على عادة المناصب ـ بدون مقابل، وهو من المشكلات كَمِثْل ما سبق في المبحث الثالث من الحسيِّسة، إلاّ أن يُقال أنها مرصودة للمصالح فتلزم مواساتها بآية أنهم لا يأخذون إلاّ للخيل، فقد يُحتمل، إلاّ أنه من البعيد أن تكوْن مراكيب الحسن وأتباعه خيلاً كلها مع كثرة الخيل إذ ذاك بحضرموت، فقد كان السلطان عيسى بن بدر يزور القُطب الحَدّاد في أربعين عِناناً، وكان فِرَاش مدرسة القُطب الحداد بالحاوي حصيراً من دون وسادة وأمّا في منزله فسجاده عليها وساده. وفي أيام الحسن فَرَش منزلهُ الواسع بالسجاد الفارسي من غير الهندي. وتزوج القطب الحداد بنيفٍ وثلاثين امرأةً، أربع عشرةً من الشرائف والبواقي من غيرهن، وأُمّ ولده محمد من آل كثير. ولسيف بن محمد الكثيري كان تأليف رسالة «المُريد» وعنْ الأستاذ الأَبرّ أن سيدنا الحداد يقول: لم نُسَمِّ الذي ألّفنا له رسالة المريد لأنه رجع عن الإرادة وكثيراً ما يوكل ابنه الحسن في قبول النكاح له وكان لا يزيد على مسحه واحدة لرأسه إلا أنه يمسحه كلّه وقد سرني هذا لموافقته لما انا عليه من زمان قبل أن اعلم به وقبل أن اعرف أن جدي المحسن ابن علوي كان على مثله.

وقد لقي القُطب الحداد أذى كثيراً من أخوانه، قال الحبيب عمر بن حسن الحداد أنه اشترى مال أهلهِ ثلاث مرات، كلما اشتراه ادّعى عليه بعض إخوانه، قيل له: وكذلك الحبيب حسن بن أحمد العيدروس، فترحّم عليه. وأكثر ما وقع الأذى على القُطب الحداد من أخيه عمر حتى لقد سمعت ـ لكن ممن لا أثق به ـ

أنه أَدَّعى عليه بمائة بهار من الذهب، فما زال محبوا الأصلاح من أهل التدبير يسفرون بينهم حتى جعلوها مائة بهار تَمرْ من وادي الذهب وما أدري أكان بوادي الذهب نخل إذ ذاك أم يعنون ثِبي. وقال بعضهم إنما كانت الدعوى في بهار واحد من الذهب، وهذا هو الأقرب. ثم ما زالوا بهِ حتى أبعدوه إلى **الحاوي** الذي اختطهُ في شمال «حوطة آل أحمد بن زين» وفي قضاء الشيخ علي بن عبد الرحيم باكثير تَوجَّهت على القُطب الحداد دعوى لزمته بها اليمين فغلّظها عليه وجاء معه بمصحف من **تريم** فقال له الحداد: أو ما عندنا مصاحف، وفي هذه القضية فوائد منها: أن خروج القاضي للتحليف إلى الحاوي إمّا لاشتباه المُدَّعَي به فتكون اليمين على عينه، وإمّا لأنه لا يليق بالحدّاد الحضور إلى مجلس الحكم. والمسألة خلافيّه، فبعضهم يلزمه الحضور لأجل اليمين، وبعض يلزم القاضي بإرسال من يُحلِّفه في مكانه، وهو الذي أظنني رَجَّحته، والبحث مستوفى في المسألتين ٥٧٠ و٩٧٦ من كتابي «صوب الركام في تحقيق الأحكام». وقد اختلف السلف في الصبر لليمين فاستنكَف منه بعضهم حتى خرج عن المال أنفةً، ولم ير به آخرون بأساً منهم محمد بن داود الظاهري؛ فلقد ترافع مع خصم له إلى القاضي إسماعيل بن إسحٰق ولمّا تَوجَّهَت عليه اليمين قال له القاضي: أيحلِف مثلك يا أبا بكر؟ قال: وما يمنعني وقد أمرَ اللهُ نبيّهُ بالحلف في ثلاثة مواضع من كتابه، قال القاضي: أين ذلك؟ قال: في قوله ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ﴾ (١) وقوله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ (٢) وقوله ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٣). وقد ذَكَرنا القصة بأبسط مما هنا في «بلابل التغريد». وفي المسألة ١٣٨١ من «صوب الركام» ان إمام الحرمين صرّح بعدم وجوب اليمين بحال، وأقرَّهُ الرافعي، لكن قال ابن عبد السَّلام: ليس على إطلاقه بل إن كانت كاذبةً فحرام، وإن كانت صادقةً ـ والحق مما لا يُباح بالأباحة كالمال ـ وجَبَت دفعاً لمفسدة كذب خصمه لو ردها، إلى آخر ما أطلت به.

ومنه أن ابن حَجَر أستوجه عدم الوجوب فيما يقبل الأباحة ووجوبها فيما

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.

(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

لا يقبله إذا تعينت. ودعوى السيد عمر بن علوي الحداد على أخيه بالذهب المشار إليه مما تحيله العاده، لكن قال فقهاؤنا بوجوب إحضار المُدّعي عليه وإن أحالتها العادة، وهو من البُعد بمكان لا سيما مع إتفاقهم على رد كل دعوى وكل شهادة بل وكل إقرار يكذبه الشرع أو الحس. والبَحْث مستوفى في المسألة ٥٥٩ من «الصوب». وبعض الناس ينتقد فِعل الشيخ عليّ بن عبد الرحيم ويعدّه من إساءة الأدب، وليس من ذلك في شيء وإنما هو أداء للواجب وبُعد عن المحاباة، مع أن القُطب الحدّاد لم يُلاحظ عليه إلاّ إستصحاب المصحف من **تريم**. وقد أطال الشيخ علي في ترجمة القطب الحداد ووفّاه حقه لأنه من كبار مشائخه بل أكبرهم، وكان يخرج إلى الحاوي كل يوم بعد الظهر ولمّا حصلت عليه الأذيه من الدوله لم يعتصم إلاّ بالإقامة في الحاوي.

ومن قُرى تريم (المحيضره):

وكانت للسادة آل سميط، وهم وآل شِبام قبيلةً واحده، ومنهم العلاّمه القاضي بتريم علوي بن سميط، تعمّر كثيراً وأُضر في آخر وقته. وقد خُربت المحيضره إلاّ أنها عُمِّرت الآن، ولها ذِكْر كثير في حروب آل كثير ويافع.

ومنها (**الحيوار**) وقد أُدْخِلت بعض ذبوره في سور **تريم** وعُمِّرت فيها ديار كثيره.

ومنها (**بريح**) كانت بين دَمُّون و**تريم** ولا أثر لشيء منها إلاّ المقبره.

أما أحوال تريم الدوليَّه، فكما سبق في شبام ذرو منها، وهي كرسيّ مملكة آل قحطان المتفرعةِ ولايتهم على حضرموت عن إمارة الهزيلي على شِبَام في حدود سنة ٢٧٠ وقد قال صاحب «البرد النعيم»[1] أن ولايتهم إمتدت إلى أكثر من ثلاثمائة سنة. أ هـ. والحال أنها ـ باعتبار أصلها ـ أطول بكثير من ذلك، ومدافنهم بالرضِيْمه من **تريم**، وكانوا ـ كما في الأصل ـ يُدفنون هلكاوهم بها في صناديق. وفي كلام القطب الحداد أن بالرضِيْمه صناديق من ذهب، فلعل الصناديق التي كانوا يدفنون موتاهم فيها كانت من الذهب كما الملوك تفعل ومن مأثور الكلام أن ام الاسكندر امسكت على صندوق الذهب الذي وضعوا ابنها فيه

---

(١) برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم. كتاب من تأليف محمد بن عبد الله الخطيب المتوفي سنة ١٠٢٥ والكتاب مخطوط أشار الحبشي إلى أن منه نسخة ضمن مجموعة آل بن يحيى بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بمدينة تريم.

ليدفن بعد أن قال كل من الحكماء كلمته المأثورة فقالت لقد جمعت هذا في حياتك فجمعك بعد مماتك.

ثم انتهى الأمر إلى آل أحمد والصبرات، وجرى بينهم ـ بعضهم بعضاً ـ وبينهم وبين غيرهم أمور طويله عريضه فَصَّلنا منها في الأصل ما شاء الله أن نُفَصِّل، ثم صار الأمر لآل كثير، ثم للإمام، ثم ليافع. وسبب إتصال يافع بحضرموت أنهم زاروها في أيام الشيخ أبي بكر بن سالم وأحبوه واعتقدوا فيه الصلاح، ثم زاروها في أيام إبنه الحسين كما سيأتي عند ذِكْرَهُ في عينات، ثم خرجوا مع أحد سلاطينهم وهو السلطان عمر بن صالح بن الشيخ علي هرهره اليافعي وطناً الهمداني نسباً نجدةً للأمير بدر بن محمد الردوف بإشارةٍ من الحبيب علي بن أحمد أو من أخيه الحبيب شيخ بن أحمد، على اختلاف الروايه، أو منهما كما هو الأقرب، وكانت طريقهم بأرض العوالق فأكرمهم سلطانها وزوّدهم، ثم قَدِموا على العمودي بدوعن فأضافهم، ثم إلتقوا مع سلطان آل كثير عمر بن جعفر في بحران سنة ١١١٧ وهناك أنهزم آل كثير واستولت يافع على جميع بلدان حضرموت الوسطى والسفلى مثل هينن وشبام وسيوون وتريم، وبعد أن ضبطها عمر بن صالح ركب إلى الشِّحر واستولى عليها، ثم بلغه أن أهل هينن نكثوا وأخرجوا يافعاً منها فعادَ لهم وأخضعهم ورجع إلى يافع. وقد اقتسمت يافع بلاد حضرموت فكانت شِبَام وهينن للمَوْسَطه، وسيوون ومريمه لآل الظبي، وتريم للبعوس وفوقها بنادق من العلوق الغاليه، والدوله أقام منهم ناس بسيوون وناس في باجلحبان بحصنٍ بناه آل مطهر فيه بير عذبة الماء، وأمّا بنو قاصد اليافعيّون المرؤسون بابن عفيف فقد كان منهم ناس قليل في هذا التجهيز، منهم آل يزيد ورئاستهم بحضرموت للبطاطي لأنهم وإياهم شيء واحد، وكان مسكنهم بالقَرّه والهَجْرَين، وفيه أيضاً ناس من الكلديين، وناس من قبيلة يَهَر يُقال لهم الشناظير أقاموا بخيل بن يُمَيْن فَنَسبهُ بعض الناس إليهم. وأمّا الكسادي فكان من ذي ناخب وجاء بعد ذلك إلى المكلا. انتهى من «بستان العجائب» للسيد محمد بن سقاف بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وفيه ما ليس في السياقه التي قدمناها في المُكلا والشِّحر عن رحلة الشيخ عمر بن صالح وبينهما يسير اختلاف لا يضر بأصل الخبر.

ومن يهر رئيس الحضارم بالسومال الايطالي الحاج محمد عبادي بن عاطف بن عبيد بن جبران الأرجاني وفي اكليل الهمداني أن ذا يهر أحد اذواء

حمير وهو ابن الحارث بن سعد بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن سباء الأصغر وفيه يقول أسعد بن تبع:

وقد كان ذو يهر في الأمـ
ـر يأمر من شاء لا يؤمر

وقصر ذي يهر على بعض يوم من صنعاء بموضع في بيت حنبص وهو قصر جاهلي يسكنه في عهدنا أبو نصر الحنبصي نسبةً إليه وهو من أوعية العلم وفيه يقول بعض أهل عصره:

لعمرك ما الكلبي أن عد علمه وعلم جبير والامام أبي بكر
ودغفل في شجيره وابن شريه بأعرف فيما حاولوا من أبي نصر

وهو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن محمد بن وهب بن شرحبيل بن عريب بن زيد بن وهب بن يعفر بن زيد بن شمر بن شرحبيل بن أشمر بن زرعة شرحبيل بن وهب بن نوف بن يعفر بن الحارث بن شرح بن يعفر ذي يهر اهـ باختصار لفظ، ومنه تعرف أن الشناظير ليسوا من يافع انفسم ولكن قد آختهم.

وقد إنقسمت لَبْعُوس في **تريم** وأرباضها إلى عدة فرق أقواهم «آل غرامه» ورئيسهم - في الآخر - سالم غرامه صاحب حصن الدكين الواقع في شرقيّ دمون، وكان إبن أخيه عبد الله عوض غرامه ينازعه ولمّا مات في حدود سنة ١٢٢٦ صَفِي لعبد الله عوض الجوّ، وكان شهماً شجاعاً لا يملؤ الهول صدره قبل موقعه، ولا يضيق به صدراً إذا وقعا، ولا يقتضي حاجاته من آل **تميم** وغيرهم من حَمَلة السلاح إلاّ بالسيف، وقد قال أبو الطيِّب:

مَنِ اقْتَضَى بِسِوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلِ بِلَمِ

وكان ينكر بطبعه غلوّ القبوريين، فَوَافَقتهُ آراء الوهابيّه. وأكثرَ التعلق بوحيد عصره وفريد دهره، مُقَدَّم الجماعه، وشيخ الصِناعه، الذي انتهت إليه رئاسة العلم **بتريم**، العلامه الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان المتوفي **بتريم** سنة ١٢٤٨ وقد إتهمهُ العلويون بأنه هو الذي يُعَلِّم عبد الله عوض غرامه آراء الوهابيّه ويحثه على الإلزام بها ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتله، فهربَ إلى

«بيت جُبَيْر» لأن عبد الله عوض غرامه لم يقدر على حمايته بتريم إذ لا يملكها كلها. وفي أيامه كان وصول الوهابيّه إلى **تريم** بقيادة الأمير علي بن قملا، فطوى بهم حضرموت ولم يُفسد حرثاً ولا أهلك نسلاً، وإنما هدّم القُباب وسوّى القبور المُشَرَّفه، وألقى القبض على المناصب «آل عينات» و«آل تاربه» وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب كثره بعض العلويين كصاحبنا الفاضل السيد علي بن عبد الرحمٰن بن سهل وأقاموا بتريم نحواً من أربعين يوماً، وعاهده عبد الله عوض غرامه وعبد الله بن أحمد بن يماني على أن يكف الأذى عن بلاديهما شرط أن يقوما بنشر ما يريد من الدعوة إلى التوحيد التي لاَقَت هوىً من نفوسهم وقبولاً من خواطرهم.

ووَجَدْت أيضاً معاهدةً بتاريخ سنة ١٢٢٢ بين علي بن صالح بن ثابت وعبد الله بن سلطان بن ثابت ومنصر بن محمد وناجي بن محمد آل قملا، وجعلا عبد الله بن سلطان أميراً من قِبلهما على الكَسْر. ووجدت أيضاً معاهدةً بينهما وآل العطّاس بحريضه وأمّرا من قِبلهما عليها السيد علي بن أحمد العطاس كما يروي جميع ذلك شيخنا العلامه أحمد بن حسن العطاس، وكذلك توجد معاهده بين آل قملا والسّادة آل المَسِيْله. وقال السيد علوي بن أحمد بن حسن في مقدمته لديوان جده وذكَر الشيخ عقيل بن دغمش أنهم خرجوا إلى حضرموت ثلاث مرات: الأولة سنة ١٢١٨ وردّهم جعفر بن علي لمّا مَلِكَ شبام، والثانيه سنة ١٢٢٤ وجَرَى منهم ما تقدم في تريم وأخذوا نحواً من أربعين يوماً ثم ساروا منها كلهم، والثالثه خرجوا سنة ١٢٢٦ ووصلوا قريباً من شبام وفازوا بالقتل والإنهزام ورجع منهم من رجع شذر مذر. أهـ.

وقد سبقت الاشارة في تريس وغيرها إلى ميل الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه إلى بعض آراء الوهابيّة ومن أدلة انه اثنى على قسم وأهلها بقصيده استهلها بقوله: (لنا بمغنى قسم أهل واخوان) انتهى بها إلى مدح آل تميم عموماً والمقدم عبد الله بن أحمد خصوصاً فقال

لا تنس أولاد روح هم قبايلها ... قد هدمت للأعادي منهم أركانا

فبن يمانيّهُم رأس الأسود له ... في الحرب صيت وفي الاحسان عنوان

كم من فتى منهم عند اللقاء فرح ... كأن اعداه إذ يغشاهم ضان

كم كسروا للأعادي منهم قمما حتى غدا حرهم بالأمن ملآن
جيرانهم في محل العز عندهم كأنهم في ربوع القوم ضيفان
أقول حقاً بأن الله ناصرهم لأنهم لأهل البيت اعوان

وفي سنة ١٢٢٩ أرسلَ الأمير عبد الله بن عوض غرامه بثلةٍ من جنده للتحرش بأهل المسيله فلم يجسروا على مقابلتهم، وعند انصرافهم إلتقوا بجماعةٍ من السادة عسكر الحبيب طاهر بن حسين إمّا مصادفةً وإمّا طمعوا فيهم لمّا رأوهم أنقلبوا بدون طائل ومعهم العلامه السيد سالم بن أبي بكر عيديد، فانهزم الساده بمجرد ما سمعوا إطلاق البنادق إنهزاماً فاحشاً، مع أن عَبِيْد غرامه لم يتعمدوا إصابتهم وإنما أرادوا كَفَّهم فلم يقفوا عند حد من الانهزام، حتى لقد سقط إزار أحدهم فتركه وهبّ يجري عرياناً فقالت إحدى شواعر تريم في ذلك:

إذا قبلوا يافع الثقلين تقعون ساده حتى حزمكم تلين

أخبرني بهذا الثقه الثبت السيد أحمد بن عمر بن عوض الشاطري عن جده لأمه شيخنا العلامة ابن شهاب، ولم يتبعهم عَبِيد عبد الله عوض غير أن رصاصةً أصابت السيد سالم بن أبي بكر عيديد فسقط ميّتاً مع البارود، وفي اليوم الثاني أرسلَ إليهم الأمير عبد الله عوض بتعزيةٍ يقول فيها: إننا لا نريد ذلك ولا نحبه وقد كان قَتْله على غير اختيار منا، لكن شُوْم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور، هذا هو الذي جَرّ عليكم المصائب وسيجر عليكم ما هو أعظم. أهـ.

ويُقال أن هذه المكاتبه كانت من إنشاء إمام تريم ـ لذلك العهد ـ السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان المتقدم ذكره والله أعلم.

وَحَصَلت من عبد الله عوض غرامة مساعدات ماليه للأمير علي بن قملا كَلَّف بها الرعايا، حتى لقد رأيت وثيقةً فيها أن نُواب وَقْف المِحضار باعوا بيرين له ببيت جُبَيْر بثلاثمائه وعشرين ريالاً على سبيل العُهده في دفع ضرر بن قَمْلا وعبد الله عوض عن مال المحضار، وعليها إمضاء القاضي حسين بن علوي بديسج، وتاريخها سنة ١٢٦٣ ولعله كان غلطاً إذ تاريخ وصول ابن قملا إلى تريم إنما كان سنة ١٢٢٤ أو سنة ١٢٢٦ على اختلاف القول في ذلك، وأمّا سنة ١٢٦٣ فَبَعد وفاة عبد الله عوض غرامه بمده، ما لم يكونوا استدانوا ذلك القَدْر

ثم لم تسنح الفرصة للتعهيد إلاّ بعد، وفيه فائدتان:

الأولى: التوسع في بيع الموقوف، إلاّ أنه قد يُجاب بأن الأصل في أموال المساجد المُلك.

والثانية: بيعه عُهدةً، والأغلب أنها لا تكوْن إلاّ بأقل من ثَمَن المِثْل وهو مُمتنع في مال المسجد، وقد صرّحوا بامتناع بيع مال المحجور عُهدةً مُطْلقاً، والمسجد مثله. ففي هذا الصنيع فسحةً وتسامح.

ولعبد الله عوض أخبار عجيبه ذكرنا منها نتفاً بالأصل، و(منها) أن بعض أعيان السَّادة ركب إلى زيارة هُوْد عليه السلام وبينا هو خارج من **تريم** وأمامه خُشَاره من الحاكة ومن لفَّهم يرتجزون بمثل قولهم (يا شيخنا يا محضار) إذ غضب غرامة واستلّ سيفهُ ليغمده بطلي زعيم الحاكة، وانتصب لمسادرته بعض السَّادة آل بن إبراهيم لولا أن شيخ مشائخنا الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه أنقذ الموقف وتدارك الأمر وقال لهم قولوا: سبحان من لا يفنى ولا يزول مُلْكَهُ. فارتجزوا بها فَسُرّ عبد الله غرامه وقال: استغفر الله، وهي كلمته التي يوشِّح بها كلامه، ولا يزال يتغنى بهذه الكلمة حتى الآن، وبه ذَكَرت قول العلامه ابن حَجَر فائدةً: أحدثَ المؤذنون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عقب الأذان للفرائض ما عدا الصبح والجمعه فأنهم يقدمون ذلك فيهما على الآذان وإلاّ المغرب لِضِيْق وقتها، **وسببه أن الحاكم لمّا قُتل أَمَرَت أخته المؤذنين أن يقولوا في حق ولده:** السلام على الإمام الطاهر، ثم استمر السلام بعده على الخلفاء حتى أبطله صلاح الدين وجعل محلهُ الصلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ، فجزاه الله خيراً، فنعمّا فعل، وقد أفتى مشائخنا وغيرهم بأن الأصل سُنَّه والكيفيّه بدعةً أهـ بنوع اختصار. ولا يبعد عنه ما كان من عمر بن عبد العزيز من إبداله ما اعتاده بنو أُمية بآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ **إلى آخرها. وكان عبد الله غرامه شديداً على الأعداء، لَيِّن العريكه للضعفاء سهل الجانب لهم، وله أصحاب من الحاكه** والأراذل يتنادرون عليه كأنه أحدهم، وهو يجرئهم على نفسه ليأنس بهم وتسقط كلفة التحفظ فيما بينهم.

مـمـقُـر[1] مُـرٌ عـلـى أعـدائـه ... ولـدىٰ الأدنـيـن حـلـوٌ كـالـعـسـل

---

(١) ممقر: مسقىٰ بالملح.

عاش وسيفهُ يسيل دماً ويقطر مُهَجاً من آل تميم وغيرهم من حملة السلاح، وكان لا يأخذ صُلحاً في قتيل قَطْ، توفي بتريم سنة ١٢٥٥ بعد أن خبط الزمان خبطاً وضبط الأمور ضبطاً. وكان كما قال بشّار:

فتىً لا يبيت على دمنةٍ ولا يشرب الماء إلا بَدمْ
يحب العطاء وسفك الدماءِ فيغدو على نعمٍ أو نَقْم

وتَلَقَّى راية مجده باليمين ولده عبد القوي وهو في إبان البلوغ فكان كما قالت الخنساء:

طويل النِجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا

أو كما قال الرضيّ:

مُتيمٌ بالعلى والمجد يألفه وما مشى في نواحي خده الشَعَرُ

وقد برز به على قول المتنبي:

أرى القمر ابن الشمس قد لبس العُلَى ورويدكَ حتى يلبس الشَعَر الخدَّ

وقد ذكرنا في الأصل أن بعض أعدائه ألقى زاملاً بين يديه، منه قوله:

مني سلام ألفين يا عبد القوي يا شيخ يافع يا عريض الساعدين

وهو مثل قول السيد الحميري يمدح قاتل طلحة بن عُبيد الله:

واعتزَّ طلحة عند مشتجر القنا عبل الذراع شديدِ أصل المنكب

ثم إني بعد أن افتتنت زماناً ببيت الشريف الرضي السابق، عرفت أنه نظر فيه إلى قول أبي عباده:

وللفتى مهلة في الحب واسعة ما لم يمت في نواحي خده الشَعَر

وفي سنة ١٢٦١ اشترى آل عبد الله الكثيريون ناصفة الخليف[1] من آل همام اليافعيين بنحو من ألفي ريال، وأدخلوا إليه بعض عبيدهم وبقوا هم وإياهم على التناصف بالتصافي. وفي سنة ١٣٦٢ باع عبد القوي غرامه على آل عبد الله ناصفة ما تحت يده من تريم، وتمت الصفقه بالمَسِيْلَه بمحضر العلامة عبد الله بن عمر بن

(١) الخِلَيف: بكسر ففتح فسكون، من أحياء مدينة تريم الشمالية الغربيه.

يحيى والسيد الجواد حسين بن عبد الرحمٰن بن سهل على نحو أربعة آلاف ريال فرانصه أو ستة آلاف ريال فرانصه. كل ذلك يُروَى، وعلى أن تكون المالية كلها في أيدي آل عبد الله بشرط أن يدفعوا لعبد القوي غرامة: ثمانية ريال ـ يوميّاً ـ إزاء دخل الناصفة الباقية على مُلْكِه. ولمّا دخل آل عبد الله في رمضان ـ من نفس السنه ـ عَظُم الأمر على عبد القوي لأنهم دخلوها ـ على غير المظنون ـ دخول الفاتحين بمظاهرات وزوَامِل، وبعد المراجعات والأخذ والرد أذكى عليهم نار الحرب، وكان عبود بن سالم يضمر الغدر لعبد القوي من أول وهلةٍ فركب إلى الجهات القبليه في شعبان قبل أن يدخلوا **تريماً** رأساً، وأقبل في ربيع الأول في سنة ١٢٦٣ بنحو ألفين ـ والحرب قائمه ـ فضايقوا عبد القوي ولكنه ثَبَت ثبات الرواسي، ثم تواضعوا على قريب بما تم الأمر عليه أوّلاً، وأراد السيد حسين بن سهل تأطيد هذا الصلح فسعى ليمثل حال خالد بن يزيد مع رملة بنت الزبير، حتى صهر الأمير عبود بن سالم إلى آل غرامه واقترن بأخت عبد القوي وجَرَت أمور طويله عريضه مستوفاة بالأصل، ولكن سَكْنى **تريم** لم تطب لنفس عبد القوي وأصحابه اللبعوسيين إذ تلك الأسرة لذلك العهد.

كانت تضم رجالاً بين أعينهم معاطس لم تذلل عزَّها الخطم

فبارحَ **تريماً** إلى المُكلاّ وأودع بعض سلاحه ـ من العلوق الغوالي السابق ذِكر وقوعها للبعوس مع اقتسام يافع لبلاد حضرموت ـ عند زعيم آل عامر الكثيريين: محمد بن عزان بن عبدات، فلم يفعل فيها ما فعله السَّمَوأل بأمانة امرىء القيس، بل جحدهُ إياها لنفاستها كما أخبرني بذلك جماعةٌ من إخرهم الشيخ عوض بن عزان بن عبد الله عوض بن عبدات. وتتابع جلاء (آل لَبْعُوس) من **تريم** بعد جلاء عبد القوي إلى عند (آل الظِبي) بسيوون، وهكذا قُضي على دولة غرامة وسبحان من لا يدوم إلا ملكه. ودولة **تريم** اليوم للسلطان عبد الله بن محسن بن غالب وأخيه السلطان محمد حسبما مَرّ في سيوون، والحكومة الأنقليزيه تحاولهم على الاعتراف بقيادة السلطنة لأمير سيوون لتتوحد الدولة الكثيرية مع بقاء حقهم من الاستقلال في حدودهم، وهم ـ من ذلك ـ في شماس شديد ولكنه لا يُستغرب أن يعود إلى المياسره. وقَوْلُنا أن آل همّام يافعيون هو المنظور ولا ينافيه ما يوجد في كلام الحبيب علوي بن أحمد الحداد ما يوهم خلافه، كقوله أن بين عسكر **تريم** آل همّام ويافع كل من لقَي خادم أحد قبضه،

لأن بعض البيوت قد يختص بالاسم مثل آل السقاف.

المسنَّده:

(وما ورائها إلى عينات): إذا خَرج الخارج من تريم وذهب شرقاً، فأول ما يكون عن يمينه: المسنّده، وإليها تُنسب الحرب التميميه الكثيريه فيقال حرب المسندة، ومن حديثها ـ بالاختصار من الأصل ـ أنه لمّا استقر عبود بن سالم في تريم طمع في مثاوي آل تميم لأنها محفوفة بها، وكان يتوهم سهولة إخضاعهم لما كان يسمع به من غطرسة عبد الله عوض غرامه عليهم واحتمالهم إياها، ولمّا قَرع النبع بالنبع أبت عيدانه أن تُكْسَر ودامت الحرب بينهم سبع سنين. وقد سبق في سيوون أن السلطان غالب بن محسن قَدِمَ من الهند إلى تاربه في غرة جمادي الثانيه من سنة ١٢٧٢ وبقيت تلك الفتنه إلى سنة ١٢٧٤ حيث انعقد الصلح لمدة سبع سنين، على شروطٍ، منها أن يدفع السلطان غالب عشرة آلاف ريال فرانصه غرامه الحرب للمقدم أحمد بن عبد الله بن يماني قائد رئاسة آل تميم، وجُدِّدت بينهم الحدود يومئذٍ، ومن ذلك اليوم تحرّر آل تميم وامتد سلطان المُقَدَّم من شرقي تريم إلى ما وراء قبر نبي الله هُوْد عليه السلام كما يُعرف مما يأتي في قَسَمْ، وتمرَّن آل تميم على الحرب والضرب ونَجَّذهم عليها اختلاطهم فيها بيافع، فَلِكثيراً ما يهز آل كثير بالحمله في تلك الفتنه على آل تميم فينهزمون، ولكن متى حضر عندهم آل الظِبِي من سيوون فهزّوا عليهم بالحملة سمعوا سيوف آل الظِبِي تصل عند سلّها فأحجموا وقالوا إن في المكان غير أهله، ولبس التميميون ـ من بعد ذلك ـ جلود النمور وعادوا أبطالاً لا يهابون الموت ولا تتخاذل أرجلهم عند الصوت، وصار أكثر أهل تريم تحت رحمة آل تميم لأن أكثر أموالهم تحت سيطرتهم، وكانوا يأخذون منها الشيء الكثير حتى تواضعوا ـ هم وإياهم ـ بواسطة السيد حسين بن حامد المحضار على الخُمْس وكُتِبَتْ بينهم الوثائقْ بذلك، ولمّا انبسطَ نفوذ الدولة الكثيريه بواسطة الحكومة الأنقليزيه ومساعدة السلطان القعيطي منعوا آل تميم من ذلك الرسم، وحُرِّرت في ذلك فَتوَى من الشيخ فضل بن عبد الله عرفان وصادق عليها الجَمَّاءُ الغفيْر، وكنت ممن صادقَ عليها عن غير تروّ، ولا يزال ذلك مُشْكِلاً عليّ لانني إذا رأيت ما جاء في ـ غير موضع ـ من مجموع الأجداد أن رجلاً بيده نخل يُقاسِم آخر في ثمرته سنين ثم امتنعَ بالآخرة وقال: لا أعطيك شيئاً من ثمرته إذ لاحقَ لك فيها ولا في النخل، فأقام المُدَّعِي بَيِّنَةً بأنه

يُقاسم سنين عديدةً على الرُبْع ـ مثلاً ـ كان القول قول صاحب النخل بيمينه وإقامة البيّنة من المُدَّعِي على مجرد المُقاسمه غير مسموعةٍ فلا يُحْكَم له بشيء أصلاً لا من النخل ولا من ثمرته (انتهى بمعناه) ويؤيده مافي فقه السادة الزيديه من أن الحق لا يَثْبُت بالبيّنه باليَدْ كما في ص ١٣٥ج ٤ من «شرح الأزهار» ويزيده قوّةً قول جدي علاّمة وادي الأحقاف ـ علوي بن سقّاف: وليس لشارحٍ ولا لحرّاثٍ ولا لِمُفَحِّط يد. إذا رأيت مثل هذا سكن خاطري إلى ما في الفتوى وإن لم يكن فيها شيء منه، ولكن يختلجني الشك عندما أذكر قول «التُحفه» في زكاة النبات، وصَرَّح أئمتنا بأن النواحي التي يؤخَذ الخَرَاج من أراضيها ـ ولا يُعْلَم أصله ـ يحكم بجواز أخذه، لأن الظاهر أنه بحق. وقريب منه في البيع، ومثله قولها في مبحث «أَحْكَام الذمّة»: والأراضي التي عليها خَرَاج لا يُعرف أصله يُحْكَم بحل أخذه لاحتمال أنه وضع بحق، وما جاء في «النهايه» و«فتاوَى ابن حَجَر» من قولهما: انه لا يجوز لمالك جِدَار هدمه وفيه كوّة ينزل منها الضوء إلى دار جاره لاحتمال أن فَتْحَها كان له بحق أهـ. فإنها كالصريحة في خلاف الأوّل لا سيما وقد رأيت في بعض الوثائق القديمه أنها مُشتراة من باب السلطنه، فدلَّ ذلك على أنه خراج سلطانيّ يُباع ويُشترَى. وفي «بستان العجائب» للسيد محمد بن سقاف بن الشيخ أبي بكر بن سالم، أنه كان لآل ابن يحيى مال بالعُجْز[1] ساوَمَ فيه الحبيب شيخ بن أحمد، فقالت له الشريفه علويّة بنت الشيخ علي بن أحمد: يا عم شيخ لا تشتري مال الديوان لآل أحمد بن علي. قال إنه مال واسع رخيص الثمن. قالت له: لا تُطفيء نورنا بنار الديوان. فَتركَ ذلك ولم يشتره أهـ. وفيه قيام الشبهه مع إطراد العاده ببيعه وشرائه، فأن قِيل: هلا يكون ما اشتهر من إنباء اليد على الشراحَه كافياً في عدم اعتبار ترتب اليد؟ قُلت: غاية ما يمكن من اشتهار ذلك بالتنزل أن يكوْن بمثابة الخبر الصحيح. وقد صَرّح ابن حَجَر في تُحفته بأنه لا يرفع اليد ـ التي لا يُعرَف أصلها ـ ما لم يكن معه إقرار وبيِّنه. وقد بَسَطت القول على هذا في المسألتين ١٤١٨ و١٤٧٤ من «صوب الركام» ثم رأيت الكبسيّ نَقَل في تاريخه[2] عن كلٍ من الخَزْرَجي والجَنَدي أن طغتكين بن أيوب

---

(١) العُجْز: قرية في نواحي مدينة تريم.

(٢) هو المُسَمَّى «اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية» وهو تاريخ مرتب على السنين انتهى فيه إلى سنة ١٣٠٥ هـ.

لمّا استولَى على اليمن دعته نفسه إلى شراء أرضهم بأسرها، وأَمَر المُثَمِّنين أن يثمنوها لتكوْن الأرض كلها للحكومه بعد دَفْع ثمنها، ومن أراد حَرْث شيء منها فليصل إلى الديوان وليستأجر من وكلاء الحكومة، ولكن عاجلتهُ المنيّه دون تنفيذ ذلك باليمن. ومعلوم أنه وصلَ حضرموت وأن موته لمْ يكن إلاّ بعد رجوعه عنها فلعله قد نَفَّذ فيها هذه الفكره لأن أهلها عبيد من غَلَبهم - من غيرهم - فلن يمتنعوا من شيء تِصْدَاق قول مروان بن أبي حفضه يخاطب مَعْناً:

وَطِئت خدود الحضرميين وطأةً ... بها ما بنو من عزةٍ قد تضعضعا

فأقعوا على الاستاه إقعاء معشرٍ ... يرون إتباع الذل أَوْلَى وأنفعا

فلو مدّتْ الأيدي إلى الحرب كلها ... لكفوّا وما مدوا إلى الحرب أصبعا

وأخرى، وهي أن النجير وخبايه وأغمالهما فُتحت عنوةً فما المانع أن يأتي فيها ما في سواد العراق.

خبايه:

ومن وراء المسندة إلى الشرق: خبايه، وفيها كانت رياض القَطا بإِمَارَة قول ياقوت: والرياض عَلَم لأرض باليمن كانت بها واقعة للبيد بن زياد البياضي بِرَدَّة كِنْدَه أيام أبي بكر، وقال الشاعر:

فما روضة من رياض القَطا ... أَلَمَّ بها عارض مُمْطِرُ

ومع هذا فقد تشكك في ص ٣٢٢ مجلد ثاني في موضع «رَوْض القَطا» وذَكَر قول الأخطل:

وبالمغر سَانِيَّات حل وَأَرْزَمت ... بروض القَطا منه مطافيل حفَّلُ

ولعله كان مُتَعدِّداً في جهاتٍ كثيره. وفي خبايه جماعةٌ من آل قصير، ومن أخبارهم أن اثنين من آل قصير وآل الجحيل، وهما ابناء مسعد بن عوض وآخر من آل دحدح أهل خبايه، ساروا إلى دمون في طلب صلح من آل سلمه وأخذوا معهم ولداً صغيراً جداً من سوق تريم، ولمّا انتهوا إلى دمون طلبوا منهم الصلح في قتيل عندهم لآل سلمه طفل، فقال آل سلمة سنتشاور، فقال لهم أحد آل قصير باتشاورون نِساكم. فغضبوا وقتلوا آل قصير، فبعث آل مرساف إلى حيمد سعيّد دلاّل تريم: هل يلزمهم عار من وجود طفلهم مع آل قصير. فلم يكن إلاّ إرسال

ثلاث نِقاب سود لهم، فحطوا على آل سلمه ودخلوا الفجير، فأحاط بهم آل سلمه، فركبوا الليل وأخذوا على آل عبد الشيخ بالمسيله وأقاموا بها سبع سنين والحرب قائمه بينهم وبين آل سلمه وقتل فيها نحو من أربعين ما بين قبائل ومساكين.

ومن المشهور أن السيول لا تفيض عنها وإن كَثُرت ومن أمثال العامة: (ماء خبايه فيها ولا يكفيها) وبعضهم يحمله على القله وآخرون يقولون إن بها إرصاداً تمنع ذلك، وليس بأغرب مما ذكرناه في مواضعه عن سَدَبه والقاره واللّسَك.

النُجَيْر:

هو من وراء خبايه شرقاً. وفي «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك ما يوهم قُربه من القَطن، وليس بصحيح. وعَدّهُ في موضع منها في محافد اليمن، والمحافد: القصور المشهوره، وذكره أيضاً في الجزء الثامن من «الأكليل» وقال إنه لبني مَعْد يكرب من كِنده أهـ. وكأنما نشأ توهمه القرب إلى القطن من فيئة الأشعث بن قيس الكِنْدي إليه في حادثته المشهوره، وفيه أن آل نَشَق بن بكيل كانوا بروثان ـ بين الجوف ومأرب ـ ثم تَحوَّل ـ يعني رَوْثَان ـ إلى من بعدهم فقال أحدهم:

كأن لم يكن روثان في الدهر مسكناً ... ومجتمعاً من ذي الجراب ويَمجُد

ففرقهم رَيْبُ المنون وأصبحوا ... قرى حضرموت ساكنين وسُرْدُد

وفيه شاهد قويّ لكثرة الساقطين من همدان إلى حضرموت في القديم فضلاً عن الحديث. وقد مرّ في المقدمه قول أبي دَهبل الجُمَحي:

أعَرَفْتَ رسماً بالنُّجَيْر ... عفا لزينب أو لسارة

لعزيزةٍ من حَضْرَمَوْ ... ت على مُحيّاها النَضَاره

وقال ميمون بن قيس الأعشى:

ألم تَغتَمض عيناك ليلة أرمدَا ... وبِتَّ كما بات السليم مسهَّدَا

وما ذاك من عشق النساء وإنما ... تناسيت قبل اليوم خِلاً مُهَدَّدَا

ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ... إذا أصلحَت كفّاي عاد فأفسَدا

كـهـولاً وشُـبّـانـاً فـقـدتُ وثـروةً فـلـلّـه هـذا الـدهـر كـيـف تـردّدَا
ومـا زلـت أبـغـي الـمـال مذ أنـا يـافـع ولـيـداً وكـهـلاً حـيـن شـبـت وأمـردا
بـاتـعـابـي الـعـيسَ الـمـراقـيلَ تـغـتـلـى مـسـافـةَ مَـا بـيـن الـنُّـجـيـر وصَـرْخَـدَا

وقال علي بن هوذه يَذْكُر من إرتدّ من العرب:

ولـسـنـا بـأكـفـرَ مـن عـامـرٍ ولا غَـطَـفـان ولا مـن أسـد
ولا مـن سـلـيـم وألـفـافـهـا ولا مـن تـمـيـمٍ وأهـل الـجـنـد
ولا ذي الـخـمـار ولا قـومـه ولا أشـعـث الـعـرب لـولا الـنـكـد
ولا مـن عـرانـيـن مـن وائـلٍ بـسـوق الـنُـجَـيْـر وسـوق الـنـقـد

وقال كُثيِّر يصف غيثاً:

وطـبّـق مـن نـحـو الـنُـجـيـر كـأنـه بـألْـيَـلَ لـمّـا خـلّـف الـنـخـلَ ذامـرُ

الجِرَب:

بكسر الجيم وفتح الراء. **مكان واسع** كانت به قرية جَرَت فيها الحادثة المشهورة سنة ٩٥٨ وهي أن بدر بن عبد الله بوطويرق حَصرَ فيها خمسمائةً من عَبِيد آل يماني ثم قتلهم على بكرة أبيهم حسبما في الأصل. وفي مجموع كلام الحبيب عمر بن حسن الحدّاد أنه كان يطلع منها سبعون من العلويين على سبعين حماراً كلَّ ليلة يُصَلّوْن العصر في مسجد باعلوي.

روغه:

هي قريه صغيره من وراء الجِرَب إلى شرق. قال في «شمس الظهيره» عند ذِكْر السيد عقيل بن محمد بن أحمد بن محمد جمل الليل بن حسن **المُعلّم**: هو السخي العالم المشهور صاحب مسجد روغه، المتوفي بها، المقبور في تريم سنة ١٠٠٩ وعَقِبه بروغه منهم العلامه الفاضل محمد الباقر بن عمر بن عقيل المذكور، توفي سنة ١٠٨٩، وجاء في ترجمة الإمام الجليل محمد جمل الليل بن حسن المعلم أن له مسجداً بروغه، وهو الذي يبعد عنها ـ في شرقيها ـ قليلاً، وهو من المساجد المشهورة بإجابة الدعاء.

ومن أهل **روغه**: السيد الفاضل الصالح الكبير علوي بن علي الهندوان، له

عبادة وأوراد واذكار، وللناس فيه اعتقاد جميل، وهو واسع الفِنَاء رَحْب الصدر والفضاء، جميل الطبائع كريم الصنائع، ثمال الأيتام ومجمع الكرام، له بوالدي إتصال أكيد وإخاء صادق، وكان كثير الدعاء لي جمّ الاعتناء بي، وكان يُبَشِّر والدي بمستقبلٍ جميلٍ لي بشائر عظيمه ربط بها والدي عظميات الآمال، وهو من أهل الفراسة الصادقة فأرجو أن يحقق الله ذلك، توفي ودُفن بتريم سنة ١٣٣٥. ومن وراء روغه:

(مشطه، وكُوَدَة آل عوض):

أما **(مشطه)**: ففيها جماعةً من ذُرِّية السيد أبي بكر بن عيدروس بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، قال في «شمس الظهيره»: ومنهم الآن: عبد الله بن أبي بكر، شريف فاضل عابد. أهـ. ومنهم السيد سالم بن حفيظ بن عبد الله بن أبي بكر، عالم فاضل له اعتناء بتحصيل الفوائد واقتناص الشوارد، ومن فضله عليَّ أنه جمع من رسائل والدي المفيده ما دَخَل في ستة مجلّدات، وهو الذي جمع فتاوي الشيخ أبي بكر بن أحمد الخطيب كما سبق ذِكرهُ في تريم، وتمنيت أن لو ذَكَرهُ شيخنا العلامه المشهور في «شمس الظهيره» لأنه عرضة ذلك وكان له به إختصاص كثير وصَهَر إليه على بنت ولده، غير أن الأستاذ لا يحب المُحاباة، وظَنّ في ذِكْره شيئاً منها فتحاماه مع الاستحقاق، ولو ذَكَرهُ لكان ثاني اثنين على قيد الحياة ممن جاء ذكرهم في «شمس الظهيره» أحدهم السيد أحمد بن حسن الكاف السابق ذكره في الهَجْرَين. والسيد سالم بن حفيظ ـ هذا ـ أحد من صادقَ على فتوى الشيخ عمر بن عثمان بن محمد باعثمان الذي كتبها في سنة ١٣٢٠ في صالح السلطان عوض بن عمر القعيطي ضد أبناء أخيه، وله ولد نبيه ذكي داعٍ إلى الله تعالى، اسمه محمد بن سالم، طُلِبَ للقضاء فرغب عنه وقَبِل أن يكون مساعداً للقاضي.

وأما **(كودة آل عوض)**: فلآل عوض بن عبد الله بن مرساف، وفيها كانت أكبر حوادث حرب المسنده حسبما فُصِّل بالأصل، ومن سكانها: الشيخ سعد بن أحمد بن عبد الله الصبّان باغريب، له رياضات وعِلْم بأسرار الأسماء والحروف والأوفاق، توفي سنة ١٣١٩، وفي سِبَاخ مِشْطَه ـ قريباً من مسجد السيد محمد بن حسن جمل الليل الواقع بوادي روغه ـ أَعتزَلَ السيد أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن علي بن عمر بن حسن بن الشيخ علي بن

أبي بكر، وكان من كبار العلويين زهداً في الدنيا وأهلها، وانجمع عن الناس في ذلك المكان وبقي يصلّي الجمعة بتريم يَطْلَع إليها ماشياً وقد جاوز السبعين سنةً، وله خطّ حسن، كَتَب بيده جملةً من الكتب، وطريقته شاذلية، ويحفظ كتب ابن عطاء الله، توفي سنة ١٢٣١ ودُفن بتريم. أهـ من «النور المُزهر بشرح قصيدة مُدهر» للسيد أحمد الجنيد.

ومن وراء مشطه والكوده **(قُوَز آل مرساف)** ثم **(باعطير)**: وهي قريه لا بأس بها، يخاف سكانها من الموت ويغضبون من ذِكْره، ومتى أراد الذاهبون إلى «نبي الله هُوْد» إغضابهم حملوا رداءً على هيئة الجنازه، فيكادون يقاتلون.

ومن وراء باعطير (أنف الجبل) المُسمَّى بالسويحلي. ومن خلفه: **عَيْنات**.

وأما عن يسار الذاهب من تريم إلى المشرق، فأول ما يكون **(دَمُّون)**: وهي مساكن آل سمله، وهم قبيلة جُلّها من آل تميم كانت لهم خشونة في القبولة، ولهم ولدمُّون ذِكْر كثير في الحروب الواقعة بين آل كثير ويافع في المسندة وغيرها، وإنما قلنا: جُلّها من آل تميم لأن المسموع أنهم نَزَّاع من قبائل شَتّى، رَغَّبهم العلامه الجليل السيد علي بن شيخ بن شهاب ـ السابق ذِكره أوائل الجزء الأول من الأصل ـ في سَكْنَى دمون لحمايتها، وكان أكثر دمون مِلكاً للسيد على ـ المذكور ـ بشهادة الوثائق الكثيره الشاهدة بانتقال الأملاك عنه وعن ورثته. وكان عالماً جليل القدر، ترجم له السيد أحمد الجنيد، توفي بالشحر سنة ١٢٠٣، ومن أهل **دَمُّون**: السيد أحمد بن محمد بن عبد الله بن حسين بن محمد بن شهاب، نجع إلى جَاوَه وجمع ثروة طائلة، حتى كانت له قريةً في جانب بتاوي تُسمى «مينتيغ». وهو الذي أعان السيد علي بن محمد الحبشي على «الرِباط» بأربعة عشر ألفاً من الريالات.

وكان في وادي دَمُّون عيون جاريه تَسْقِي كثيراً من المزارع والنخيل والبساتين، فشملها ما كان من تعدي مَعْن بن زائده بسكرها[1]. وكان الشيخ

---

(١) مَعْن بن زائده الشيباني: هو قائد جيش المنصور العبّاسي الذي سيّره في سنة ١٤٠هـ لإخضاع اليمن بما فيها حضرموت والقضاء على الخوارج الذين بها. وقد أدّى مهمته، إلا أن كتب التاريخ تزيد أنه أستباح حضرموت وعمل على سد مياه عيونهم وقطع كثير من أشجارهم وغير ذلك من الأعمال الشنيعة وقد قُتل إنتقاماً سنة ١٥١هـ على يد شخصية حضرمية إباضية هو: محمد بن عمر بن عبد الله الحارثي.

عبد الكبير باحميد يتعبد في هذا الوادي وانبط الله له عيناً تجري على الأرض، باقيه إلى اليوم إلاّ أنها قلّت فلا يصل ماؤها إلى المزارع ولا إلى قريب منها، وإنما ينتفع بالشرب والسقي منها المنتجعون إذا أجدبت نجودهم. وبقربها نخيلات تسقيها، وماؤها يتقاطر من شَقّي حجره واحدة، أحدهما حارة والآخر بارده، كذا يُقال لكن المشاهده الآن لا تصدقه.

وفي حوادث سنة ٦١٧ من تاريخ شنبل أن عبد العظيم باحميد انبط غيل **دمون** وزرعَ عليه، وذكَرَ سيدي أحمد بن عبد الله الحداد بفوائده السنيّه في دمون ـ هذه ـ ما قيل في (**دَمُّون** الهَجْرَيْن) فإما أن يكون انتقال فكر، وإمّا أن يكون السبب متحداً في التسميه. وفي جنوبها إلى شرقيها (**الفجير**) وهو بيوت قليلة حواليها مزارع ومغارس نخيل. و(**السبير**) وهو مَصْيَف القُطب الحداد، وكان العيدروس الأكبر ينتابه بل قيل أنه وجد فيه. ثم (**حصن دكين**) وهو ثغر دمون، وقد سبق ذكره في أخبار آل غرامه، ورأيت في بعض المذكرات أن عبد الله عوض غرامه هَجَم على هذا الحصن في سنة ١٢٢٤ وأخذه من عمه سالم. ثم (**الغويضه**) لآل باشعيب، وسيأتي ذِكرهم مع ما يناسبه في الواسطه. ومن وراء الغويضه (**حصن بلغيث**) ثم (**الجحيل**) فيه نخل كثير وإليه الإشارة بقول شيخنا العلامه ابن شهاب فيما يعرضه على معشوقه ليرضى بوصاله من قصيدةٍ حُمينيه: (وحيله في الجحيل البِرَك في خير مغرس). وبه يظل آل تريم مرجعهم من زيارة هود ثم يدخلون من العشيّ في زف عظيم.

ثم (**الفرط**) ثم (**وادي جرمان**).

ثم (قاهر)

قرية لآل عبد الشيخ، وهم قبيلة كريمه من آل تميم، ولكن جرتْ بينهم دويهيه ـ في الأخير ـ تصغر منها الأنامل، ذلك أن ناصر بن سالم ـ أحد آل سلمه ـ أخذَ جملين من الحطب لآل الكاف في أيام فتنةٍ بين آل سَلَمه وآل تريم، وكان الجَمَّال يحمل سكيناً من سالم بن عبود بن عبد الشيخ بصفة الخفارة، فلم يُبَالِ بها ناصر بن سالم، فلم يكن من آل عبد الشيخ إلاّ أن صَعَدوا الجبل الذي يطل على آل سلمه وأصبحوا يُطلقون عليهم الرصاص حتى حَجَز بينهم آل تميم على شرط أن يردوا الحطب ويدفعوا بندقيةً عربوناً في الخفاره، فَسُوِّيت المسألة واندفع العار في أعرافهم، وصادف أن وصل السيد حسين بن حامد المحضار إلى عينات

واستدعى آل تميم ليتكلم معهم في كثير من الأمور، فحضروا ولمّا نَهضَ ناصر بن سالم راجعاً إلى دمون تبعهُ سالم بن عبود، ولمّا فصلا عن عينات هَتفَ به سالم بن عبود وذَكّره بصنيعه، فتساورا للقتال، ولكن كان سالم أسبق لاستعداده بحشو بندقيته من قَبْل بخلاف ناصر فما كان إلا آمناً مطمئناً فسقط يتشحط في دمه، وملأ سالم بن عبود ما صنعه فخراً عند أصحابه الذين لم يزالوا يلسعونه بقارص الكلام، ومع غضب السيد حسين بن حامد من هذا الصنيع الذي يمس بشرفه وشرف حكومته فلولا وجوده لما انعقد صلح بين آل عبد الشيخ وآل سلمه أبداً ولكنه أجبرهم عليه، وَفْى آل سَلَمة طواعيّة وحياء فأطلبوه وبذلك أنتفخ سالم بن عبود، ولكن ضَرْبه بناقةٍ وأخرى بطعنه ففي سنة ١٣٦٢ وَرَد سالم بن عبود ـ هذا ـ إلى قَسَم وبمعيته السيد عبد الله بن إبراهيم بن علوي السقاف المُلقَّب بن سحاق، وكان ممنوعاً من دخول قَسَم لِوَحْشَةٍ بينه وبين المُقَدَّم عَبَد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن يماني، فلم يكن من المقدم إلاّ أن أمر بن سحاق بمغادرة قَسَم في الحال، وكان الأمر بصفة التهديد؛ فلم يكن بُد من الإمتثال، فرأى سالم أن شرفه قد مُسّ وخشى مَعرّة الكلام، فحقدها حتى مرت سيّارةً فيها المقدم وإخوانه يخفرهم أحد آل عبد الشيخ، فلم يُبالِ به سالم، وأطلق الرصاص عليهم فَأردَى السائق وواحداً من آل يماني، ولكنه استشعر الخوف من صهره وخال أولاده وهو محمد بن علي بن عبد الشيخ، فأفرخ روعَه وطيَّبَ خاطره، ثم لم يشعر سالم إلاّ والرصاص ينهال عليه من دار محمد بن علي بدون أن يصيبوه، ولكنه لمّا خَفّ لأخذ بندقيته من موضع مكشوف أهلكوه، ثم حصروا ولده ولكنه ثبت حتى قالوا له أن المسألة قد انتهت؛ كان لآل يماني قتيل فثأروا به، وانجلَى العار عن الخفير من آل عبد الشيخ فكان قَتْل أبيك باباً سد منفذين وما بقي إلا أن تخرج معنا ـ إلى عينات ـ ننادي في سوقها بانفصال القضيه وتمام الثار وجلاء العار وأننا من اليوم إخوة ودماؤنا واحده، فقال: لا يطمئن قلبي إلاّ أن تَعهّد لي خال إخواني ـ وهو محمد بن علي بن عبد الشيخ ـ فَتعهَّد لهُ وأعطاه وجهه، فاطمأن إليه، وخَرَج من داره هو وإياه وسارا ـ هما وآل عبد الشيخ ـ معاً إلى عَيْنَات ومعهم ناس من آل يماني، ولمّا كانوا في أثناء الطريق أشار إليهم محمد بن علي فوثبوا على بن سالم بن عبود وكتَّفوه ثم أَطْلَق عليه أحد آل يماني ـ وهو ابن سالم بن أحمد ـ الرصاص، فَخرّ صريع الغدر والخيانه، قبحهما الله. وكان الأَوْلَى إغفال القبيحه ولكن الغدر يؤلم قلبي ويحرق جوفي وقد قال أبو الطيب:

إذا أتت الإساءة من لئيمٍ ولم أُلُم المسيء فمن ألومُ

ولو كان هذا الصنيع قبل اليوم بخمسين عاماً لَما طَمِع محمد بن علي أن يُسقَى ماء أو يجلس مجلساً على فراش واحد، ولو قعد على فراش من لم يعلم بفعله ثم عَلِم لكان مما يوجبه عليه عرفهم أن يحرقه، فرحمة الله على أهل الوفاء ولعنة الله على أهل الخيانه.

اللّسك:

هي من القرى القديمه، وقد كاد يُهْجَر إسمها إذ صار الناس لا يُطلقون عليها إلاّ لفظة «القريه». وفي جبلها مدفن عبّاد بن بِشر على بحث فيه استوفيته بالأصل ولا أزال منه في شك. يسكنها جماعة من ذرية السيد محمد بن عقيل بن سالم، قال في «شمس الظهيره»: ومنهم الآن ـ يعني سنة ١٣٠٧ـ السيد العابد زين بن صالح، وجماعة من ذرية السيد زين بن عقيل بن سالم، ومنهم آل علوي بن عبد الرحمٰن بالقطيعات منها، ومنهم السيد عباس بن علوي بن عبد الرحيم بن سالم بن عبد القادر بن عبد الله بن عمر بن عقيل بن زين بن عقيل بن زين بن عقيل بن سالم، يسكن الآن ـ كآبائه ـ بالمدينة المُشَرَّفه، وهو ملجأ العلويين بل وغيرهم من الحضارم فيها، وقد خنق الخمسين، وإليه مشيخة العلويين فيها كآبائه، وأول من تولاها بها منهم: السيد عبد القادر بن عبد الله بن عمر. وكان لها شأن عظيم ولا سيما في أيام السلطانين عبد المجيد وابنه عبد الحميد، إذ كانت عبارةً عن دولةٍ في باطن الدوله، ثم وَهَت أسبابها ولم يبق إلاّ الاسم، وأصابها ما أصاب المنصبه بحضرموت. وكان السيد علوي بن عبد الرحيم حسن الآداء جميل القراءة، وكان أحد أئمة المسجد الحرام المدني، وعند نوبته في الجهريه يحتشد الناس وربما أُغشي على بعضهم من حُسن أدائه، ولذا طلبه السلطان عبد الحميد العثماني لِيُصلّي به التراويح ففعلَ إحدى السنين وأراده أن يقيم عنده بما يتمناه فأبى إلاّ الرجوع إلى المدينة المشرفه، وبها كانت وفاته سنة ١٣٤١ عن تسعين ربيعاً.

وفي حوادث سنة ٩١٠ من تاريخ شنبل أن السيد عبد الله بن عبد الرحمٰن اللّسكي توفي ذاك العام. وكانت اللَّسَك قاعدة مُلْك آل جسار، ولها ذِكْر كثير في الحروب التي بين الصبرات وآل أحمد وآل كثير ويأتي نزر منه في الواسطه.

وفي الحكايه ١٥٥ من «الجوهر» ما يُفْهَم منه أن دار محمد بن أبي السعود كان في **اللّسك**، وهو ممن عاصر الشيخ عبد الله باعلوي. وسبق في حريضه أن الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطّاس كان ـ كآبائه ـ في اللّسك، فانتقل بإشارة شيخه إلى حريضه. وفي اللسك جماعة من آل مرساف، منهم آل قحطان الآتي ذكرهم في حصن العر.

عِيْنَات:

من أشهر قُرى حضرموت، على نحو ثُلث مرحله من تريم، وأول من أختطها آل كثير في سنة ٦٢٩، وفي سنة ٧٨٧ هَجَم آل الصبرات على عينات وأخربوها وقتلوا سبعةً من آل كثير حواليها، وساعدهم على ذلك راصع، وفي سنة ٨١٧ بَنى آل كثير عينات ثم أخربها آل أحمد في تلك السنة نفسها وقتلوا اثنين من آل كثير ورامياً وخمسةً من العبيد. وكثيراً ما تقلبت بها الأحوال وأضرّت بها الحروب الواقعة بين آل كثير وآل يماني والصبرات والغِزّ حسبما فُصِّل بالأصل. وقد اندثرت ولم يبق إلاّ آثارها. هذه هي عينات القديمه، أمّا الجديده فأول من بَنَى بها: ركن الإسلام وعَلَم الأعلام الشيخ أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الرحمٰن السقّاف المتوفي بها سنة ٩٩٢ وقد ترجم له الشلّي في «المشرع» و«السنا الباهر» وأفرد مناقبهُ العلامه ابن سراج وغيره بالتأليف، وهو بالحقيقة في غنىً بشهرته عن التعريف.

تجاوز قدر المدح حتى كأنه ... بأكبر ما يُثني عليه يُعابُ

وفي الرياض المؤنقة للعلامة السيد علي بن حسن العطاس أن سيدنا الشيخ أبا بكر بن سالم ابتلى بعله البرص وأن تلميذه أحمد بن سهل بن إسحاق انتقده فأصابه الكثير من ذلك حتى صار يقال له هِر اليمن اهـ ومن خط سيدي عبد الرحمٰن بن علي بن الاستاذ الحداد ان المتعلق بالشيخ مع البُعد أحسن من الحاضر عنده لغلبة رؤية البشريّة على الحاضر وقد قال الشيخ أبو بكر بن سالم لو سالت الله أو قال لو تشفعت في أحد من الكفار ولعيالي وأخدامي لرجوت الإجابة لأولئك الكفار لأن المخامرة تذهب الاحترام اهـ مختصراً.

ولمّا مات سيدنا الشيخ وَقَع رداؤه على إبنه عمر المحضار. ومن كلامه: ما ابتلى أهل حضرموت إلاّ بقدحهم في الشيخ أبي بكر بن سالم، وما شَكوا في

ولايته إلاّ لسوء حظهم. ولكنه كَفَى شرهم بالعطاء وبغيره، وكل من شك في الشيخ أبي بكر فهو اليوم يبغضني ويراني خصمه، بل زادوا وطعنوا في العِرْض، ولكننا نرثيْ لهم وندعوا لهم. أهـ. وفيه فوائد، منها أن الإتفاق لم ينعقد على فضل الشيخ أبي بكر إلاّ في الزمان المتأخر، وإلاّ فالناس كالناس ولا يزالون مختلفين، توفي الشيخ عمر **بعينات** سنة ٩٩٧ وله أعقَاب منتشرون بمرخَه وبيحان وروضة بني إسرائيل وحبّان وخَمُور والهند وجاوه ودوعن وغيرها. ومنهم السيد حسين بن محمد بن علي بن عمر المحضار، وصلَ إلى مَسْوَره أرض الرَصّاص فاقترن بإبنة السلطان، فأقطعهُ مكاناً بمرخه يُسمَّى الهَجَر، لا يزال مسكن المحاضير من أعقابهم إلى اليوم وهم مستقلّون. وقد سبق في بالحاف وبير علي أن منصبهم في سنة ١٣٤٩ أمضَى على الوثيقة التي وقَّع عليها أعيان تلك الجهات وسلاطينها بالسمع والطاعة لي في المنشط والمكره، وكفاني الله شر الفتن بصائب رأي مولانا أمير المؤمنين يحيى بن محمد حسبما تقدم.

ومنهم **(آل درعان)** السيد أحمد المحضار وأولاده: مساعد وسالم، لهم أخبار في النجده والشجاعة، ولهم خَيْل عتيقه منها الكويخه، لها خَبَر وعِلْم. وللسيد أحمد بن درعان ـ هذا ـ وِفَاده إلى حضرموت، ونَزلَ بالقويره على نسيبه الإمام أحمد بن محمد المحضار، وطال ثواؤه حتى ملّ، وسبب ذلك أنه لا يمكن إنصرافه إلا بجائزة، وفي عيش الإمام المحضار يُبْس إذ ذاك فلم يجد حيلةً إلاّ أن قال له: نريد إكرامك لكن ما لدينا شيء إلا ثمانية ريال عند غريم مُمَاطِل، قال له: إعطني تحويلاً عليه وسأخرجها من عينه. فأحَالَهُ على صديق لا يزال عنده بالقويره صباح مساء من آل بُروم، فلما أقبل على داره وهو بظهر الكويخه سُرّ وظن معهُ خيراً، ولمّا عرف باطن الأمر قال: لا شيء عندي للحبيب أحمد، قال له: ما كان ليكذب وقد أخبرني بمطلك ولئن لم تدفعها لأَوْجِرَنك سِنان هذا الرمح، فخرجَ ليهرب ولكن ابن درعان قد أغلق السَدّه وأَخَذ المفتاح، فصعد إلى سطح داره يصيح حتى اجتمع الجيران فأشرف عليهم ابن درعان وقال: لا أخرج إلاّ بالثمانية الريال بعد الغداء. فعملوا له غداء ونقدوه المبلغ، فتوجه إلى عينات ثم عاد إلى القويره ومنها ركب إلى مرخه. ثم أن الشيخ عمر المحضار عزم على حمل السلاح لصد عوادي الظَلَمه، فلم يوافقه إخوانه فَنَزل بِرضى منهم عن المَنْصِب لأخيه الحسين:

أَعَـز واتـقـى بـنـي نـزار بـن يـعـربٍ وأوثـقـهـم عـقـداً بـقـول لـسـان
وأوفـاهـم عـهـداً وأطـولـهـم يـداً وأعـلاهـمـو فـعـلاً بـكـل مـكـان

ترجمهُ الشلّي ووهم في قوله إنه وُلّي الأَمْر بعد أبيه، لأنه لم يله ـ كما قَدَّمنا ـ إلاّ بعد أخيه. وبعد أن تربع كرسيّ المنَصبة حصل عليه أذى من آل كثير فسار إلى مكة وأقام بها سبع سنين، قَدِم في أثنائها رؤساء يَافِع إلى مكه ـ وكان حصل عليهم تعب من الزيديه ـ فتأكَّدَت بينه وبينهم الإلفة وتأطدت قواعد الحلف ووعدوه أن يأخذوا بيده أن نصرهم الله. وقد سبق القول بأنهم وصلوا ـ في أيامه ـ إلى حضرموت. توفي **بعينات** في سنة ١٠٤٤ ووَقَعت عمامته على ولده أحمد وقام بمقام أبيه أحسن قيام إلى أن توفي، فاجتمع رأي الساده على تقديم ولده سالم ـ السابق ذكره في الغيظه ـ وكثرت في أيامه الخيرات، واتسع جاهه، وأكثَرَهُ من أرض الظاهر وجبل يافع، وحصلت له أموال طائلة، ثم أن الزيديه استولت على يافع فانقطع المَدَد منها، ولمّا انتهى إليه عزمُ الزيديه على غزو حضرموت ارتحل إلى الحجاز فحج ثم استقر بالغيظه، وسار معه بأهله، وبعد أن أقام بالغيظة أحد عشر شهراً اجتوتها زوجته ـ فاطمة بنت محمد بن شيخ بن أحمد ـ فأذن لها في الرجوع إلى **عينات** مع ابنه علي بن سالم وتنازل له عن ولاية عِينات، وأباح له أمواله بحضرموت. وكان يرسل إليه فوق ذاك ـ من الغيظه ـ بما يكفيه لِكَلَف المنصبه. وكانت له أراضٍ واسعة في **عِينات** إلى العُرْ، تَرعَى بها مواشيه ونِعَمه، وكان يُشرك السادة آل الشيخ أبي بكر فيما يصل له من الفتوح. وبأثر انصراف الزيديّه عن حضرموت أراده الناس على الرجوع إليها فلم يرض، وبعضهم يزعم أن الشيخ عمر بن عبد الله بامَخْرَمه يشير إليه ـ بظهر الغيب ـ إذ يقول:

سَـلِّـم الأمـر يـا سـالـم وخَـلِّ الـحـراره
خَلِّ ذا الكون يـاابـن أحـمـد عـلـىٰ الله مـداره
عـاد رب الـسـمـا يـعـطـف عـلـيـنـا بـغـاره
يـوم قـالـوا لـنـا الـزيـدي تـولَّـىٰ شـهـاره

ويقولون أن (شهاره) هي الحاره المعروفه بسيون، والأمر محتمل. وللشيخ عمر فَرَاسات صادقة كثيره، ولكن شهاره من ثغور اليمن في غربي صنعاء وقد استولى عليها إمام الزيديّه في أيام الشيخ عمر. توفي الحبيب سالم بن أحمد

بالغيظه سنة ١٠٧٧ وبأثر موته أحضر ولده ـ علي ـ سائر إخوانه وكتَب للغائبين منهم، وقال لهم: إنني لا أقدر على القيام بأعباء المنصبه إلاّ بأموال والدي وقد صارت إرثاً لكم فخذوها وأقيموا من تُحبون، فقالوا له: بل أبَحناها لك ـ كما كان أبونا ـ أباحها لك، ولا تَزِدنا عمّا كنت تنفقه علينا في أيامه. وقد أدرك الحبيب علي بن سالم هذا عاماً من حياة جدّ أبيه الحسين. وفي أيامه ـ أي الحبيب علي ـ عاد الظاهر وجبل يافع لأهله بواسطة السلطان معوضه بن سيف بن عفيف والسلطان صالح بن أحمد بن هرهره، فَدرّت الأموال عليه وقال لأخوانه: اقتسموا ما تركه أبوكم فقد أغنانا الله تعالى. وأبقَى ما كان يُجريه عليهم. توفي سنة ١٠٩٦ عن إحدى وخمسين سنةً، وكانت إقامته على المنصبه ١٨ عاماً، وخَلَفَهُ ولده أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين فقام بالمنصبه وسِنَّهُ نحو العشرين، وأعانهُ عليها السيّد شيخ بن أحمد بن الحسين. توفي أحمد ـ هذا ـ سنة ١١١١هـ بعد أن مكث في المنصبه ١٥ عاماً، وخَلَفَهُ ـ عليها ـ ولده علي بن أحمد بن علي بن سالم، واتّسع جاهه بسبب اتساع نفوذ يافع في أيّامه حتى لقد كان «الشُعَيْب» ـ المشهور بحسن ماء ورده ـ إقطاعاً له، وكان شديد الورع والتواضع، وساء التفاهم بينه وبين القطب الحدّاد، بسبب واشٍ من الطِغام، قال له أن الحداد يحاول مَنْصِباً كمنصب جدك الشيخ أبي بكر بن سالم، ويزعم أنه أفضل منه. فلم يكن من القطب الحداد إلاّ أن وَرَدَهُ للترضية إلى عينات، وبعد الإيناس قال له: إني سائِلُك هل خزائن الله ملأى أم لا؟ فقال بل ملأى. قال له: وهل ينقصهُ أن يُعْطِي أحداً مثل ما أعطى الشيخ أبا بكر؟ فقال له: لا. فقال الحداد: إن الذي أعطى الشيْخ أبا بكر يُعطينا ويعطيك ويُعطي غيرنا من الأَلْطَاف والهداية مثل ما أعطاه. فاعَتَبر الحبيب أحمد وجَعَل يُلَطِّخ القطب الحداد بزبادٍ من وعاء له كبير حتى انفدهُ وهو ذاهب عن شعوره، يقول: يعطيك مثله وأكثر، ثم كان يزور الحداد في كل أسبوع أو في كل شهر مع كثرة أشغاله وعِظَم منصبه، ويستغرق سحابة اليوم في قراءة الكتب النافعة عليه، وفي أول قدمه قدمها على الحداد قال الحداد:

جزاك الله عن ذا السعي خيراً ولكن جئت في الزمن الأخير

وإليه الإشاره بقوله من الأخرى: (زارني بعد الجَفَا ظبي النُجود). وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط ما يفيد أن صاحب القصه ـ مع القطب

الحداد ـ هو السيد محسن بن حسين بن الشيخ أبي بكر، ولعل الكاتب وَهَم في ذلك لأن الصواب هو ما ذكرناه. والحبيب أحمد بن علي ـ هذا ـ هو الذي كتب للسلطان عمر بن صالح بن أحمد بن الشيخ علي هرهره ليخرج إلى حضرموت لمّا كثرت بها المظالم والفوضويه. كذا في «بستان العجائب» للسيد محمد بن سقاف، والذي بالأصل عن الشيخ علي بن عبد الرحيم بن قاضي في ترجمته للحبيب شيخ بن أحمد ما يصرح بأنه هو الذي تولّى الأمر بعد أبيه، وأنه هو الذي كَتَب ليافع بالخروج مساعدةً لبدر بن محمد المردوف، وأنه توفي سنه ١١١٩ وأن أخاه ـ عَليّاً ـ إنما تولّى بعده. لكن في رحلة الشيخ عمر بن صالح ما حاصله: كان نهوظنا إلى حضرموت أول يوم في شهر القعده سنة ١١١٧ كَتَب إلينا مولانا وسيدنا وصاحب أمرنا؛ قُطْب الحقيقة والطريقة؛ الشيخ الحبيب علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم أن نخرج إلى حضرموت لأن السلطان عمر بن جعفر طغى وبغَى وعَظَّم شعائر الزيديّه، واستولى على الشّحر، وهَرَب السلطان عيسى بن بدر إلى عِيْنَات فهجم عليه ـ بها ـ هو ومن معهُ من الزيديّه وأخَذَهُ منها قهراً، واستولى على حضرموت كلها وأَرْسَل بعيسى بن بدر إلى عند الإمام، ثم انكفأ على آل هَمَّام ويافع ـ الذين بالشحر وحضرموت ـ فأخرجهم من القلاع وسلّمها للزيديه، واستهان بالساده، فعند ذلك عزمنا. أهـ. ثم استاق الرحله إلى آخرها حسبما استوفينا معناها بالأصل. توفي الحبيب علي بن أحمد بعينات سنة ١١٤٢ وخَلَفَه على المنصبه إبنه أحمد بن علي بن أحمد، وكان مضيافاً يذبح كل يوم ستاً من الأغنام؛ سوى ما يذبحه للواردين، وله ولوع شديد بالقنص، وكان كريماً شفيقاً حتى لقد غضبت عليه زوجه ـ أم أكثر أولاده بنت آل يحيى ـ من زواجه بغيرها، وأَبَت أن ترجع إلاّ بمائه دينار. ولمّا حصّلها آذنهم، فعملوا ضيافةً عامّةً دعوا إليها أهل عِينات أجمعين، فبينا هو ذاهب إليهم سمع إمرأةً تقول ـ من حيث لا تشعر بوجوده ـ نحن جائعون عارون ولا عِيْدَ لي ولا لأيتامي وأحمد بن علي بَايدفع لبنت آل يحيى مائة دينار، فَظهرَ عليها ورماها بالصُرّه وقال: هي حلال لكِ، حرام على بنت آل يحيى. فامتنعت من قبولها لعلمها بالمهمّه، حتى عَزَم عليها وامتنعَ من قبولها، وَبَعث لآل يحيى يعتذر عن الوصول، فَعَظُم الأمر عليهم وأخبروا بنتهم فقالت: إني لأعلم أنه لا يُخْلِف وعداً؛ ولا يبيت على جنابه؛ ولا يأكل إلاّ مع ضيف؛ ولن يتأخر إلى لمهمّ. وبحثت عن الواقع حتى عرفته فذهبت هي وأولادها إليه،

فكاد يجن جنونهُ من الفرح لأنه بها مُغْرَم، وشكرتهُ على صنيعه وقالت له: إن لم تزرنا زرناك. وقد تَرْجَمه الجِنيد في «النور المزهر». توفي سنة ١١٧٧ وفي «شمس الظهيره» أن وفاته كانت في سجوده وهو يُصَلِّي الظهر. وفي كلام سيدي الأستاذ ـ الذي جمعه والدي ـ أن سبب وفاته أن سبخةً لسعته في جبهته وهو يُصلِّي الظهر فمات، وفيه أيضاً أن العلامه الشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد باوزير كان يتحرّج عن طعامه حتى جاء الحبيب طاهر بن محمد بن هاشم فأخبرهُ بما في نفسه، فقال له: إنه صاحب الوقت له الحق في أموال المسلمين أهـ.

وَخَلَفهُ ولده سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين، وكان أبيض السريره لا يعرف شيئاً من أمر الدنيا، وهو الذي وصلت مواساة صاحب المغرب لسادات حضرموت في أيامه، واختلفت الروايه، فالذي قاله السيد محمد بن سقّاف أنه رضي بأكياس الدراهم وكانت حريرية مزركشةً بالفضّه، قياضاً عمّا له ولأسرته منها، وقال غيره انه أراد أن يستأثر بها كلها فما زالوا به حتى اقتنع عن الزائد بالأكياس وأَخَذَ نصيبه وانصباء آله مثل الناس.

وفي أيامه طَلبَت يافع ـ بتريم ـ مواساةً من أهلها، فثقلت عليهم، فذهب أحد آل شامي إليه بهديّةٍ أكثرها من بيض الدجاج، وهو تافه إلاّ أنه لوّنه، فعَزَم على يافع أن لا يأخذوا شيئاً. وكان أمره مطاعاً لديهم فانتهوا، وكذلك الحال كان في العام الذي بعده. توفي سنة ١٢١١ وخَلَفهُ ابنه أحمد بن سالم وكان كثير الخيرات والمَبَرات، وفي أيامه كان وصول الوهابيّه إلى حضرموت بطلب من بعض الساده وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير وإنما كانوا ينشرون دعوتهم فيستجيب لهم الناس، وكان ممن استجابَ لهم ـ وبقي على ذلك إلى اليوم ـ آل علي جابر بخشامر غربي شِبَام، وبعض الساده، وبعض آل كثير، وعبد الله عوض غرامه بتريم، فتمكنوا بذلك من هدم القِباب وتسوية القبور.

ولمّا عَلِمَ الحبيب أحمد بن سالم بوصولهم إلى تريم استدعى منصب آل الحامد السيد سالم بن أحمد بن عيدروس واتفقوا على الدفاع عن عِينات، واستدعى الحبيب أحمد من أَطَاعَهُ من يافع وآل تميم، والحبيب سالم من أَطَاعَهُ من الصَيْعَر والمناهيل. ولمّا عَلِمت الوهابيّه وغَرَامَه بذاك عَمَدوا إلى الاحتيال، فَكَتب غرامه كتاباً للمَنْصِبَيْن يقول لهما فيه أن ابن قملا وصل بقوم ما تُعْقَل من القِبْلَة وقصدهم دخول عِيْنَات، وإن دخلوا يخرِّبون قباب مشائخنا ومناصبنا،

والأَوْلَى أن تصلون أنتم ويكوْن الإفاق، إحتملوا المشقّة في الوصول وهذه منا نصيحة ومحبّة وشفقه وما يَشُقّ عليكم يُشُقّ علينا.. في كلام طويل، وكانوا يعرفون محبته وموالاته لهم فاطمأنوا إلى كتابه ووصلوا إلى تريم، فألقوا عليهما القبض وجعلوهما تحت المراقبة، وأرسلوا العسكر إلى عينات، وقالوا لأهل عينات: إن أحدثتم أدنى أمرٍ بعثنا لكم برؤوس المناصب، فتركوهم يفعلون ماشاؤوا، وخافوا منهم خوفاً شديداً، وكلّفوهم غرامة ثقيلةً دفعوا فيها حليّ نسائهم. ثم ان آل قملا تصادقوا هم والمقدم عبد الله بن أحمد بن عبد الله ـ كما سبق في أحوال تريم الدولية ـ ففتح لهم الطريق إلى «شِعْب نبي الله هُوْد عليه السلام» فهدّموا قبّته. وبأثر رجوع آل قملا من الجهة الحَدريّة أَطْلَق غرامه سراح المناصب، ولا يشكِّل نِسْبَة كِبر الأمر إلى عبد الله عوض غرامه؛ مع أن ذلك كان في أيام عمه لاحتمال أنه غلبه على رأيه أو استماله إليه. وبأثر وصول الحبيب أحمد بن سالم إلى عينات أرسل ابنه أبا بكر إلى جبل يافع، وأتى بأقوام، وأذكى نار الحرب على غرامه وضَيَّق عليه الحصار. هذا ما يقوله السيد محمد بن سقّاف، وفيه تفصيل بنوع مُخَالَفٍ لما في شرح بيت آل تميم من الأصل، إذ الذي فيه أن السيد أبو بكر إنما نهضَ ليافع ليأتي بقوم يحارب بهم السيد سالم بن أحمد الحامد، وأنهم لمّا وصلوا تريماً ـ بعد اللتيّا والتي ـ في أول رمضان من سنة ١٢٣٧ أرضوهم بخمسمائة ريال فَرَّقوها على تريم وسيوون وعِينات، ولم يكن حرب، والله أعلم أي ذلك كان. مع أنه لا يبعد أن الحبيب أرسل ابنه أبا بكر إلى يافع مرتين: أولاً لحرب غَرَامه، وثانياً لحرب السيد سالم؛ ولم يكن بالآخرة قتال.

وفي الأصل عن السيد أحمد الجنيد، أنه انتقد على الحبيب أحمد بن سالم ـ هذا ـ كثرة محاربته مع قوةٍ له في العباده وصيام منه للأشهر الحُرم، وأن الحبيب طاهر بن حسين أجابه بما يزيل سوء ظنه، فَلْيُكشف عنه.

ومن هذا المنصب كانت تولية القضاء لجدنا محسن بن علوي على سيوون وأعمالها، بوثيقةٍ محررة بتاريخ محرم سنة ١٢٣٦ في ذلك. وفي ذلك ما يدل على نفوذ أمره وإتساع سلطانه ودخول يافع تحت طاعته، وقد حج الحبيب أحمد بن سالم ـ هذا ـ وأكرم وفادته شريف مكه وأهداه كسوة فاخرةً، وفَرَساً عربية محلاّةً، وألفاً وخمسمائة من الريالات الفَرانصه. وكانت له نفقات جليله،

وصَدَقات جزيله. توفي سنة ١٢٤٢ ووَقَع رداؤه على ابنه أبي بكر وكانت له عباده، ومحاسن، وإيثار للسِلم، فاصطلح هو وابن يماني والمناهيل وأهدروا الدماء التي ظلّت بينهم، ولكن يافعاً أساءت عليه الأدب ونهبوا في عِينات، ووصلَ إلى سيون ليصلح بينهم فلم يقبلوا له كلاماً. توفي سنة ١٢٦١ وقام في مقامه ابنه سقّاف بن أبي بكر بن أحمد بن سالم.

وفي أيامه انتشر الجهل **بِعِينات**، فحرصَ الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر على كشف غمراته، فبعثَ بالحبيب عمر بن عبد الله بن يحيى فلم يُحْسِن سياستهم، فَردوُّهه مكسور الخاطر. ثم إن جدي المحسن زار «شِعْب المهاجر» فلاقَى به بعض ابناء الحبيب عبد الله بن حسين فزيَّن له زيارة أبيه، فتوجهوا معاً إلى المَسِيْلَه، فكلَّف عليه الحبيب عبد الله أن يذهب إلى عينات ليذكر آل الشيخ، فاعتذر أولاً بأن معه صغار أولاده، فلم يَقْبَل له عُذراً، فذهبَ وأقام لديهم أربعين يوماً، وحصل به نفع عظيم لا يحصل مثله في عداد من السنين لأن قلوبهم سليمه وأذهانهم نقيه، وفي أيامه وصل السيد عمر بن علي بوعلامة ـ السابق ذكره في المكلا ـ إلى عِينات، وسار هو وإياه إلى دَوْعَن، وفي سنة ١٢٨٠ حَجّ الحبيب سقّاف بن أبي بكر، وكانت وفاته في سنة ١٢٨٣ وإبنه سالم في بندر المُكَلاّ فنادوا به ـ ساعة دفن أبيه ـ مُنَصَّباً، مع غيابه، وكتبوا له وللنقيب صلاح بن محمد الكسادي وأولاد عمر بن عوض القعيطي وهم مجتمعون بالمُكَلاّ، وعندهم يافع من الجبل ومن حضرموت وناس من الأعجام المسلمين يُقال لهم الرويله من كابل، يريدون بذلك إخراج غالب بن محسن الكثيري من الشِّحر، فتمّ لهم ما يريدون، وكان الحبيب سالم ـ هذا ـ أدَّى نسكيه بمعية أبيه، ثم توفي في سنة ١٢٩٥ ونادوا بأبنه أحمد مُنَصّباً مع أنّ سِنَهُ لم يكن ـ يومئذٍ ـ إلا تسعاً، فكان كما قال مروان بن أبي حفصه:

لبانت خصال الخير فيه وأكملت ... وما بلغت خمساً سنوه وأربعاً

وكان عمه الفاضل السيد محمد بن سقّاف ـ صاحب كتاب بستان العجائب ـ غائباً يومئذٍ بجاوا، فتركَ كل شيء وخَفّ إلى حضرموت إهتماماً بتعليمه. وفي سنة ١٣٠٦ اتصل بواسطة عمه محمد والسيد بو بكر منصب ـ الآتي ذكره ـ بسيدي الأستاذ الأبَرّ، اتصالاً أكيداً، ولَبِسَ منه، وأخذَ عنه، وتحكّم له. وعهدي به وهو ماثل بين يديّ الأستاذ بغاية الأدب في مُصلّى والدي بمكاننا «عَلَم بَدَر»

من أرباض سيوون، وفي تلك الأيام كان وصول الفاضل الجليل السيد أبي بكر منصب ابن عبد الرحمٰن بن أبي بكر ـ من ذُرِيَّة الحبيب عبد الله بن شيخان بن الشيخ أبي بكر صاحب لامو ـ إلى حضرة سيدنا الأستاذ الأَبَرّ للأخذ عنه، وهو رجل شهم ذو أَسْر شديد، وقوه مُفْرِطه، فلقد شهدت سيدي الأَبَرْ ـ في جماعةٍ من مريديه ـ تحت نخلةٍ من بستاننا ظليلةٍ بعد الظهر، وبستانيّنا في أعلاها يأخذ الخريف للحاضرين، إذ سَقطَ عليه العِذْق الذي لا يقلّ وزنه عن أربعين رطلاً حضرميّاً، وكاد يقع على عمامة سيدي الأستاذ لولا أن المنصب ـ المذكور ـ نهض نصف نهضةٍ فتلقّاه بإحدى يديه، فتعجّب الناس من ذلك. وكان له به شرف وفضل وجمال، وكان له معرفة بأسرار الأسماء والحروف والأوفاق، وكتَبَ رسالةً ـ أظنها تتعلق برحلته واتصاله بالأستاذ ـ ذَكَر فيها أَخْذ الحبيب أحمد بن سالم عن الأستاذ وظهورَ الأثر الطيب عليه من حين الأخذ، وفرقانَ ما بين حالَيْه قبله وبعده، بكلام عذب، وتَرسّل جميل، لم يبق بذهني منه إلاّ القليل، ولا لوم إذ لم أُكْمِل السابعَة من عمري إذ ذاك، ولولا أن خطه كان بديع الحُسن وقد زَيَّن تلك الرسالة بالنقوش والألوان لَما بقي عندي منها أثراً أصلاً، لكن وقوعها بتلك الصفه التي تستهوي عقول الصبيان وتستلفت أنظارهم هو الذي حَمَّلني منها ما لا تزال بقاياه بالذاكره وكأنها بعيني الساعه، مع أني لم أنظرها إلاّ وقت وجوده بحضرموت وهو عام ١٣٠٦ كما تقدم. توفي الحبيب أحمد بن سالم فجأة سنة ١٣٢٤ وَوَقع رداؤه على ولده علي وهو في عهد الطفوله، ثم شَبّ، وكان كريماً مضيافاً كثير الإصلاح بين الجنود، وكان السيد حسين بن حامد المحضار يكرهه وَيَنْفَسه امتداد نفوذه وسِعة جاهه ولا سيما لدى يافع، وله معه مواقف لم يلن فيها جانبه ولم يَزِّل نعله ولم يُعطِه المقاده، ولم يسلس له الزمام. حَجّ في سنة ١٣٤٥ وأَكْرَمَ وفادته الملك ابن سُعود وأعطاه خنجراً ومائة جنيه من الذهب، وتوفي سنة ١٣٤٩ وَخَلَفهُ ولده المبارك أحمد بن علي فلقد كان صالح السيره، طيب السريره، حببت إليه العباده، وواظبَ على حضور الدروس، وقام بالوظيفة أحسن قيام، ولم يزل مفتوح الباب، معدوم الحُجَّاب، ومَرَّت الأزمه وفناؤه رحب، وضيفه مُكَرَّم، وخاطره رخو، وكاهله خفيف، وشأنهُ جميل، وأمور دنياه مفوّضه إلى عمه شيخ بن أحمد بن سالم. وبما نشأ عليه من دماثة الأخلاق ولُطف الشمائل، لم يَزَل يتقبّل إشارات عمه وإرشاداته بصدرٍ رحب، لا يخالفه في حال، لأن الدنيا لم تكن له على بال.

وللسادة آل الحَامِد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، منصب بِعِيْنَات، وجاه ضخم لدى الصَيْعَر والمناهيل وغيرهم. وفي «شمس الظهيره» أن القائم بمنصب جده ـ بعد أبيه ـ هو السيد عيدروس بن سالم، ذو السيرة الحميده، توفي **بعينات** سنة ١١٧٠ وعَقِبه هناك، ومنهم ولده المنصب الجليل سالم بن محسن، وخَلَفَهُ ـ بعد وفاته ـ ولده المنور البال عبد القادر بن سالم، وقد توفي وخَلَفهُ ولده صالح. ومنهم العالم الواعظ الناسك السيد حسن بن إسماعيل، تخرّج برباط تريم على العلامه الفاضل السيد عبد الله بن عمر الشاطري، ثم عاد إلى عينات وابتنى بها رباطاً مُقِيْم به اليوم على نشر العلم والتعليم، وانتفع به خلق كثير من أهل تلك النواحي. وفي عينات جماعةٌ من (آل باوزير) منهم العلاّمه الشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد باوزير، وجماعةٌ من (آل بافضل) منهم العلامة الشيخ رضوان بن أحمد بافضل من أعيان أهل العلم والصلاح، وحَسْبُكَ أن سيدي عبد الله بن حسين بلفقيه ـ على تحريّه في المدح ـ يشهد له بما ذكرناه في وصفه، توفي سنة ١٢٦٥ وأول من نَقَل منهم ـ من تريم إلى عينات ـ الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد بارضوان المتوفي سنة ١١٨٨. وفي عينات جماعة من (آل يعقوب) أظنهم من أعقاب قاضي تريم في عصر السقاف؛ الشيخ بو بكر بن محمد بن أحمد بايعقوب، وناس من (آل باحنان) و(آل باعبده) وغيرهم.

حبوظه:

هو موضع قريةٍ قديمه، ولا أعرف مكانه بالتعيين. له ذِكْر كثير في التواريخ، منه ما جاء في ص ١٩٠ ج ٢ من «المشرع»، ومنه ما جاء في حوادث سنة ٨٦٠ من «تاريخ شنبل» أنها وقعت خصومه بين **صاحب مَرْيَمه وصاحب حبوظه**، إلاّ أن هذا قد يُراد منه «قارة الحبوظي» المتأخمه لمريمه في الشمال، لأنهما متقاربتان. ولكن يغبر عليه أنه لا يُطلق على قارة الحبوظي لفظ حبوضه فقط، ثم عَرَفْت أن حبوظه إسم لوادٍ على يسار الذاهب إلى عِينات، وفي غربيه (قوز آل مرساف). ولم يَبْقَ بحبوظه من آثار القرية القديمه إلاّ مسجد يُنْسَب إلى السيد عمر بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، لا تزال نظارته لآل عمر بن حسين إلى اليوم.

النُقْرَه:

في شمال عِيْنَات أشتد جرف السيول في أخدودها المعروف من حوالي سنة ١٣٠٦ وكلما جاء سيل وجرفَ شيئاً، غاض ماء النهر الذي يجري تحت الأرض، ويظهر منه ماء الآبار في وادي حضرموت من أعلاها، لأنه متصل بماء **النقرة** وعندئذٍ يغور ماء الآبار، حتى لقد زعم بعض أهل الأركان من شبام أنه يُعْرَف جرف السيول هناك بما يغور يومئذٍ من مياه الآبار بسحيل شِبَام. وهَلَك بذلك نخل كثيرٌ لآل عينات، وزاد اهتمام الناس لذلك، ونهضوا عدة مرّات لحسم شره ببنائه بالحصي المُحْكَم، ولكنهم تارة تقصر بهم النفقة وأُخْرى يصلحونه صَلاَحاً غير مُتْقَن فيكتسحهُ أول سيلٍ يمر به. وفي الأخير أهتمّت الحكومة الأنقليزيه باصلاحه لسببين: أحدهما حسم شَرّه، والثاني لإيجاد أعمال للعاطلين ـ من الأكرة وغيرهم ـ من المال الذي خَصَّصته للإسعاف بحضرموت ولكنهم أجتووا ذاك المكان ـ في بدء الأمر ـ واستوخموه وهَلَك منهم بشرٌ كثير لعدم ملائمة الأهوية لهم هناك. بسبب كثرة المستنقعات والمياه، غير أن الجوع أضطرهم إلى الصبر على الأعمال هناك لأن شرّهُ مُحَقَّق، وشر ذاك مشكوك فيه، وقد تم بناؤه على أقوى ما يكون فيما يتعالم به الناس، ويُقال أن الحكومة أنفقت عليه أكثر من ثمانمائة ألف روبيه هنديه، وهو مبلغ هائل جداً.

قَسَم:

هو في شرقي العجز، وهو أرض واسعة اشتراها سيدنا علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بعشرين ألف دينار، وسمّاها قَسَم باسم أرض كانت لأهله بالبصره، وغَرَسها نخيلاً، وبنى بها داراً ينزلها أيام الرُّطَب، ثم بَنى جماعةً بيوتاً عند داره حتى صارت قريةً، ولهذا سُمِّي (خالع **قَسَم**). توفي بتريم سنة ٥٢٧. وفي الحكاية ١٨١ من «الجوهر» ما يُفهم منه أنها لا تُقام جُمْعَةً **بِقَسَم** في حدود سنة ٧٨٦ وذلك أنه قال فيها. قال بعض الثقات: طَلَعْت مع الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله باعلوي ـ بعدما كَفّ بصره ـ من قَسَم إلى «جامع العجز» ليصلي فيه الجمعه أهـ. وما كان علىٰ ضعفه وذهاب بصره ليذهب من أجل صلاة الجمعه لو كانت تُقام في بلده. وكان الشيخ محمد ـ هذا ـ كثير العبادة شديد المجاهده، أَقَامَ في آخر عمره بمدينة قَسَم واستوطنها،

وبها توفي سنة ٧٨٧ ودُفن بمقبرتها المُسَمَّاة بالمصف، وهو المُلَقَّب (جمل الليل). ومن ذُرّيته: علوي بن أحمد قَسَم بن علوي الشيبه بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد جمل الليل، كان له عَقِب بِقَسَم إنقرضوا، ولم يبق إلاّ شيخ بن عبد الله بمليبار. وفي الأصل ما يُعْرَف منه أن أمر قَسَم كان لمنصب عِيْنَات. وآخر مناصبها وِلاَيةٌ على قَسَم: الحبيب أحمد بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين المتوفي سنة ١٢٣٦ فغَلَبَهُ عليها المقدم عبد الله بن أحمد بن عبد الشيخ بن يماني بن سعيد بن العبد بن أحمد، وهذا النسب مقطوع به بينهم، ثم إنهم يقولون أن أحمد ـ هذا ـ بن عبد الله بن يماني بن عمر بن مسعود بن يماني بن سلطان بن دويس بن راصع بن مسعود بن يماني بن لُبيد الظِنّي. وربما سقط شيء من هذا النسب فأنه ليس من المقطوع إتصال سلسلته، ثم صارت إلى ولده أحمد بن عبد الله، واتّسع نفوذه من ضواحي قَسَم الجنوبيّة إلى ما وراء شِعْب نبي الله هُوْد عليه السلام. وكانت له ولأبيه شهامة مُلْك وأُبَّهة سلطان.

لـهـم أوجـه بـيـض حِـسـان وأذرع طـوال ومـن سـيـمـا الـمـلـوك نـجـار

وما سمعت والدي يذكر أحداً بالشهامة وجمال الشارة سِوَاه، لانقطاعه بالعِلْم والعباده عن مجاري الأخبار وعَمّا الناس عليه، ولكنه أستجهرهُ لمّا رآه يتخلّع تخلّع الأسد في جنازة الحبيب محمد بن إبراهيم سنة ١٣٠٧ ووراءه زهاء الأربع المايه من أبطال آل تميم. ثم خَلَفَهُ ولده علي بن أحمد وكان شهماً كريماً شجاعاً متين الدِيْن، وله غُلوّ في العلويين حتى لقد سَمَّى ولده «عَبْد علوي» يعني به شيخنا الجليل علوي بن علي الهندوان السابق ذِكْرَهُ في روغه.

ولمّا عَجِزَ عن نفقات حاشيته وعبيده ـ وهم كُثْر ـ تفرّقوا في البلاد، وهاجر كثير منهم إلى السواحل الأفريقيه، وأول ذلك كان بأثر المجاعة التي اشتدت بحضرموت سنة ١٣١٥ وعندئذٍ احتاجَ إلى مساعدة القعيطي، وما زالت المُناوضات جاريةً بينهم حتى انعقد بينهم الحِلْف المؤكد بتاريخ ذو الحجه سنة ١٣٣٧ وفي نفس هذا التاريخ كُتبت بينهم وثيقة حاصلها: أن المقدم علي بن أحمد بن يماني ـ عن نفسه وعن أولاده وإخوانه ـ وَهَبَ بلاده التي له الولاية عليها وهي «قَسَم» و«الخون» و«السوم» و«عصم» و«برهوت» و«فُعْمه» و«سَنَا» ونواحيها ومتعلقاتها للمكرّم السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي، فتلقّاها بالقبول، وشلّ واعترف السلطان

غالب بن عوض بأن الأمير ـ من طَرَفه ـ علي بن أحمد وأولاده ما تناسلوا. هذا حاصل تلك الوثيقة وعليها امضاء: السلطان غالب والمُقَدَّم، وشهادة السيد حسين بن حامد وعبد الكريم بن شملان وجماعةً من يافع.

وفي ٢٣ القعدة سنة ١٣٥٥ كَتَبَ السلطان صالح بن غالب ما نصه: وبعد فقد أيّد عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي: عبد علوي بن علي بن أحمد بن يماني، مُقَدَّماً على كافة آل تميم، محل والده المرحوم علي بن أحمد بن يماني، وله على الدوله القعيطيه ما لوالده، وعليه ما على والده، وبالله التوفيق. وعليه إمضاؤه بخطه، ثم إن المقدم لم يحصل على شيء يستحق الذِكْر من المساعدة المرجوّة من الحكومة القعيطيه سوى المواعيد المعروف شأنها من السيد حسين بن حامد ـ في أيامه ـ بل كثيراً ما كانت الحكومة القعيطيعه ـ بعده ـ ضد آل تميم كما يُعْرَف بعضه مما سبق. وقد أُضِرّ المُقَدَّم علي بن أحمد ـ بالآخره ـ وثقل سمعه، ولم يمنعه ذلك أن حَجَّ في سنة ١٣٥٤ وتوفي مرجعه من الحج وكان شهماً شجاعاً متواضعاً لأهل العلم والدين منصفاً للضعفاء والمساكين وخلفه ولده عبد علوي ولهم مع المناهيل أحوال طويله مستوفاة في الأصل ويأتي بعضه في (العر) انشاء الله ومن أخبارهم انه حصل بعد وفاة عبد الله بن أحمد نزاع على الاماره بين ولديه عوض بن صالح بن عوض بن صالح بن عبود بن عبد الشيخ وعبد الشيخ هذا هو الجد الذي يجتمعون فيه باختلافهم افترق ملاء آل تميم فكان آل عبد الشيخ وآل مرساف وآل سعيد وآل عثمان في جانب عوض بن صالح وآل سلمة وآل شيبان وآل شملان وآل قصير والقرامصة وآل محد في جانب أحمد بن عبد الله وفي تلك الاثناء كان تجهيز آل كثير على آل تميم بعد أن عقدوا حِلفاً مع عوض بن صالح ولما استولى السلطان الكثيري على المسنده وعلى امكنه الفلاهمة وضرب ديار آل شيبان بالمدافع وتحمل نساءهم وأولادهم إلى سنا وكان عوض بن صالح قد مات وخلفه ابنه صالح بن سالم فاضأرته الرحم وسيّر قصيدة لأحمد بن عبد الله وهو مرابط بالسويري يقول فيها:

أحمد زميم الجيش ناقل حمله مع ... القبيله قد بلغ مجهوده
ذري الأسد جمع الملا تشهد له ... بأرض جباوه لا جهات هنوده
عصب بني مالك وربعه جمله ... في عار بن فلهوم لي مقصوده
خذوا كوات الخشم هن والسهله ... معا عدانة باعلال اعبوده

خلو ديرهم قايسوها سهله ترجع محلتهم بروس نجوده
ذا قول من صالح مراده فصله بن سالم اللى طالبك مردوده

فلما وصلته سر بها وامر المعلم سعيد عبد الحق أن يتولى الجواب فانشاء قصيدة جاء فيها قوله:

قل له وزِدْ قل له وعادك قل له ساعة اتتنا ابياتك المرصوده
الفجر وصلت والقبايل جمله في حضرتي اربعمائه معدوده
فرجو بحجه من كلامك جزله حتى أصبحت كل القبل مقيوده
يا ريت لك عينا تشوف السهله أيضاً وشرقيها دير مهدوده
ونحن خوّه بيننا متصله والمرء ما ينكره لحم زنوده

فلم يكن من صالح بن سالم إلا أن رد حلف الكثيري وانضم إلى أحمد بن عبد الله فاستفحل أمرهم ثم قام الصلح بينهم وبين الكثيري ودفع غرامه الحرب وحددت الحدود كما فصل بالأصل ومن أخبارهم أن عوض بن صالح بن عوض كان في أيام حرب حصن العز في جانب آل تميم وعلي بن أحمد بن يماني في جانب آل كثير وآل تريم وفي عواد الحجه سنة ١٣٤٣ جاء في اتباعه لمعائده المقدم علي بن أحمد بن يماني فبينا هو يلقي الزوامل على أصحابه أصابته رصاصة بين عينيه قيل انها من حيدر بن حميد سعيد أحد دلل آل تريم وكان ولى دمه هو الشهم العربي القح عبد الهادي بن سالم بن صالح بن سالم بن صالح بن عبود بن عبد الشيخ غائباً فحضر وخاطبوا المناهيل وآل مرساف أن يعطيهم بعض حصونه ليحصروا علي بن أحمد فلم يرض لأنه كان حليماً وأراد علي بن أحمد أن يبرىء نفسه فلم يقدر وقال له عبد الهادي أن سلمتم من القتل فلن تسلموا من التدبير ولما رأى أن الزمان قد حرب أبناء عمه لم يرد أن يكون هو والزمان عليهم وبينهم رحمه ماسه وصهر أكيد فتوجه إلى السواحل الأفريقية في سنة ١٣٤٨ ومعه ابنه أحمد ولا يزالان بها إلى اليوم على وجه نقى وسير مرضي. ومن أخبارهم أن آل يماني ذهبوا في سنة ١٣٤٩هـ لجذ ما لهم من الخريف بالسوم فاغتنم الفرصه مبخوت المنهالي الملقب بالبس وقصد دار سالم بن أحمد بصفة الضيف فلما قابله اطلق عليه الرصاص وهرب ولكنه اعنى البس غزا إلى القبلة في هذا العام فلاقى حتفه وكان قتله لسالم بن أحمد غدراً في أوفى صلح بينهم.

وفي **قسم** جماعة من ذريّة السيد عبد الله بن عبد الرحمٰن السقاف المتوفي بتريم سنة ٨٥٧ وهم آل بن براهيم قال في شمس الظهيرة ومنهم السيد الفاضِل الكريم أبو بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن له أيادي عظيمه وأوقاف جسيمه وقف على مسجد السقاف مالاً بنحو خمسه آلاف ريال توفي بقسم سنة ١٢٢٧ ومنهم الآن بتريم حفيده عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله شريف فاضل متواضع ومنهم السيد علوي بن إبراهيم بن شيخ بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمٰن السقاف رجل صالح له ثروة توفي سنة ١٣٥٢ عن ٨١ وله جمله أولاد أكبرهم محمد له عدة أولاد أكبرهم عبد الرحمٰن ومنهم عمهم عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن شيخ توفي بعد أن رجع من الحج في سنة ١٣٥٨ وكان عالماً فاضلاً. وفي **قسم** ناس من **آل فدعق** قال في شمس الظهيرة منهم محمد بن عمر سيد جليل توفي سنة ١٢٧٨ ومن آل فدعق الفاضل النبيه السيد حسن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن حسين بن فدعق نزيل مكه المشرّفه الآن وله بها عدة أولاد منهم أربعة على أسماء الخلفاء الراشدين أنجبهم عليّ. وفي قسم أيضاً ناس من ذريّة السيد امبارك **مدهر** بن عبد الله وطب بن محمد المنفر المتوفى سنة ٨٨٤ قال في شمس الظهيره منهم الشريف النجيب الساعي للعلماء والمحب لهم عبد الله بن عبد الرحمٰن المتوفى بمكه سنة ١٢٩٥ ومنهم عبد الله بن محمد شريف نبيه مكرم للضيفان ومنهم عمه المعمر كثير الصيام والذكر عمر بن عبد الله اهـ وعبد الله بن محمد هذا هو ابن عقيل مطهر مدهر راوية لأخبار الأوائل توفي بقسم سنة ١٣٣٨ وكان بها جماعة من ذريّه السيد عبد الله بن أحمد بن أبي بكر الورع يقال لهم **آل برهان الدين** انقرضوا. ومن أهل قسم السيد الإمام محمد بن سالم الجفري أحد مشايخ الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، وفي قسم جماعه يقال انهم من **بقايا آل النجار** أمراء سيون في السابق منهم الآن رجل يقال له سعيد بن عبد الشيخ.

العجز

قال ياقوت قال الكلبي هي قرية بحضرموت مذكوره في قول الحارث بن جَحْدَم:

تناوَلَه من آل قيس سَمَيْدَعُ ... وريُّ الزّنادِ سيّدٌ وابن سيّد

فما غضبَتْ فيه تميمٌ ولا حَمتْ ... ولا انتطحَتْ شاتان في قتل مَزْيد

ثَوَى زَمَنَاً بالعُجْزِ وهو عقابه وقَينٌ لأقيان وعبدٌ لأعبُد

وكان مزيد وعبد الله ابنا حرز بن جابر العنبري ادميا قتل محمد بن الأشعث الكندي فاقادهما به مصعب فتولىٰ قتلهما الحارث بن جحدم بيد القاسم بن محمد بن الأشعث وبمناسبة ذلك انشاء الحّارث تلك الأبيات والعجز فيها مضبوط بضم العين وسكون الجيم وإلا لتغيّر الوزن وفي كتاب مفتاح السعادة والخير في مناقب السادة آل باقشير: وبلدة العجز هي بفتح العين وضم الجيم مأخوذه من عجز الإنسان وهو أسفله كما أفصح بذلك الامام عبد الملك بن هشام في كتابه التيجان في ذكر ملوك اليمن في سالف الأزمان وصرّح بوصول ذي القرنين إليها حين جاء لزيارة نبي الله هود عليه السلام وهي آخر قرية معمورة يقصدها القاصد وبعد أن ذكر ابن الحائك قرى أخطأ في ترتيبها من حيث المواقع وبعضها لا أثر له أو تبدل إسمه قال ثم العَجْز قرية عظيمة مقسومة نصفين بين حمير نصف للأشباء ونصف لبني فهد اهـ وقد سبق هذا مع ما يتعلق بالأشباء في وادي بن علي وفي مفتاح السعادة والخير أيضاً لمؤلف القلائد.

ومن أهل العجز: الساده (بنو مشيرح) وهم من الصدف من كِنْدَه، رؤوس العرب كما ذكرهُ الإمام أبو شكيل في تاريخه. لهم بالعجز مسجد معروف بالبركة، تَغْلُظ فيه الأَيْمَان فَتُعَجِّل عقوبة الكاذب. وقد انقرضت قبيلتهم ـ فيما نعلم ـ إلاّ أن يكون انقلب اسم القبيله باسم آخر. وقبورهم ـ كما يُذْكَر عن جدي سهل ـ في جانب التُّربه القبلي النجدي أهـ. والكتاب المذكور كما يُعْرَف من إسمه في مناقب آل باقشير، فعليه الإحاله في ذِكْر رجالهم ومناقبهم. ويطربنيْ منها قوله أن السيد عبد الله بن الفقيه محمد بن حَكَم باقشير ـ جدّ صاحب القلائد ـ إذا قام إلى الصلاة جَرَت دموعه على خديه، ولا تزال تقاطر على لحيته حتى وَقَع لها أثر ظاهر، وقد أسلفنا هذا في عيديد. قال سيدي الأستاذ الأَبَرّ: وأَخَذَ الشيخ محمد بن حَكَم عن الشيخ عمر بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بامهره الحضرمي، وهو أَخَذ عن جماعةً من الفقهاء وأجازوه؛ منهم الشيخ الإمام محمد بن علوي بن أحمد؛ والشيخ محمد بن أبي بكر باعبّاد؛ والفقيه عمر بن محمد حضارم؛ والشيخ أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حفص العمدي، وغيرهم. وفي «مفتاح السعاده والخير» ذِكْر كثير للعجز يخرج بنا استقْصاؤه إلى الإطالة. وقد مَرّ في عِيْدِيْد ذِكْر الشيخ حَكَم بن علي بن محمد باقشير، ولو لم يكن لهم إلاّ مؤلف

«القلائد» وهو الشيخ عبد الله بن محمد باحكم باقشير لكفاهم فخراً وذِكراً.

فتىً كان يعلو مفرق الحق قيله إذا العلماءُ الصِيْد عَضَل قيلها

ومن ذلك إنكاره على بدر بوطويرق ما عمله بالأفرنج بعد العهد أو شبهه حسبما في الأصل، مع أن المنافقين يثنون على من إستعان بالكفار على المسلمين وسلّم لهم. وفي ترجمة السيد أحمد بن الفقيه المُقَدَّم من «المشرع» أنه كان يتردد كثيراً إلى قريه العجز الشهيره ويُقيم بها لكثرة من فيها من الصالحين، فاتَّفَق أن فاض بها سيل عظيم، فغرق صاحب الترجمه وحصلت له الشهاده وذلك سنة ٧٠٦ ودُفن بالقرب من مسجد العارف بالله الشيخ عبد الله بن إبراهيم باقشير.

الواسطه:

هي قاعدة مُلك الصَبَرات، بشهادة ما في الأصل عن «مفتاح السعادة والخير» أن عيسى بن محمد الصبري وآلي الواسطه تَعَمَّرَ كثيراً، ومات وَلاَ وَلَد له، فَوْلِّي - من بعده - عقيل بن عيسى بن مجلب الصبري، وهو ابن أخته وليس من فخذه، وكان لهذا تعلُّق بالصالحين مثل خاله فصال آل أحمد على الواسطة فأراد الخروج لقتالهم - ولم يكن عنده سوى سبعة فرسان مع عسكر قليل - لا يكافىء آل أحمد، فمنعه أصحابه من الخروج، فلم يمتنع وهجمَ على آل أحمد، وتبعه أصحابه فقتلوا كثيراً من آل أحمد، وما زالوا يقتلونهم ويطردونهم إلى فرط باشحاره أهـ.

وللواسطه ذِكْر كثير في حوادث آل يماني والصَبَرات وغيرهم بالأصل. وفي الواسطة كثيرٌ من علماء (آل باشعيب) وفضلائهم، منهم الشيخ حسن بن إبراهيم باشعيب؛ أحد تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم. وفي ترجمة السيد عقيل بن عمران من «المشرع» أنه أخذ عن الشيخ حسن باشعيب بالواسطه، وفي ترجمة السيد أبي بكر بن سعيد الجفري - المتوفي سنة ٨٨٠- أنه أخذ عن العارف بالله حسن بن أحمد باشعيب، وفي مقدمه ديوان الحداد عن الحبيب أحمد بن زين الحبشي أن سبب إنشاء القصيده المُسْتهلّه بقوله:

إن كان هذا الذي أكابده يبقىٰ عليّ فلست أصطبر

ما أخبرني سيدي عبد الله الحداد، قال: وَقَعت لي مسائل أظنها ثلاثاً؛ فلم يُجبني عنها أحد بتريم، فرأيت الشيخ حسن باشعيب تلميذ الشيخ أبي بكر بن

سالم في مسجد آل أبي علوي فأجابني عن إثنتين، وقال لي في الثالثة إنما يجيبك عنها السقّاف، فوقَع في خاطري ـ أنه السيد محمد صاحب مكه ـ فكتبت إليه، فأجابني. وفي ترجمة السيد عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن المعلم بن إبراهيم بن عمر بن عبد الله وَطَب ـ المتوفي بقسم في سنة ١٠٥٧ـ أنه أخَذ عن الإمام العارف الأريب حسن بن إبراهيم باشُعيب، ومنهم العلامه الفقيه الشيخ عبد الله قدري باشعيب، له ذِكْر كثير في مجموع الأجداد. وفي ترجمة الشيخ علي بن عبد الرحيم بن قاضي أنه من أقران القُطب الحدّاد. ومنهم الشيخ عبد الله بن أبي بكر قدري ـ صاحب الباكوره ـ أحد مشائخ السيد أحمد بن علي الجنيد، ومنهم الشيخ حسن بن أحمد باشعيب صاحب كتاب «عافية الباطن». وعلى الإجمال فإنهم بيت عِلْم وصلاح ولهم مؤلفات، ولبعضهم تراجم في «خلاصة الأثر» للمحبي. وعن الشيخ رضوان بن أحمد بارضوان بافضل، قال: رأيت على هامش تصنيف في «مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم» للشيخ عبد الله بن أبي بكر باشعيب ـ أظنه بخط المؤلف ـ خبراً عن الفقيه عبد الرحمٰن بن عبد الله شعيب، وهو من (آل شعيب) أهل شِبَام، منهم الشيخ أبو بكر بن شعيب صاحب التصنيف المشهور في الفقه، وله شرح على «المنهاج». له إقامه بمكه، ولعله توفي بالحرمين.

وليس لهم إتصال بآل شُعيب المَسْفَله، فجدّ أهل المسفله: الشيخ العارف محمد بن علي بن سعيد شُعيب الخطيب، انتقلَ من تريم، وهم مشهورون بـ (آل شُعَيْب الخطيب)، ومنهم بنو عقيل بالريده. كان منهم ناس أهل حال منتظم، ومنهم الآن ناس بزي البادية. ومن (آل شُعيب المَسْفَله): بنو عيسى أو بنو علي بظفار، كانوا بيت عِلْم وصلاح، ومنهم قُضاة الشريعة. لهم ذِكْر في مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس، ولأحدهم مدائح في الشيخ. وبلغني أنه بقي منهم قليل، ومنهم طائفة بِعُمَان يحملون السلاح مع السلطان ابن سيف، عَالِمين بالنسبة لآل أبي شُعيب. وسَمعت بعض شيوخ آل شُعيب بشبام يذكر أن أصل (آل شعيب بشبام) من أرض الجوف، والله أعلم أهـ. وقد مَرّ بعضه في شبام. وفي ترجمة السيد عبد الله باعلوي من «المشرع» أنه أعطَى تلميذه الشيخ محمد بن علي باشعيب الأنصاري، أرضاً واسعةً، فغرسها الشيخ محمد نخلاً، وتُسمَّى بـ (باشُعيب). ووَقَفَ على ضيف بلده ـ المُسَمَّاة بالواسطه ـ نخلاً وأرضاً أهـ. وهو أول من انتقل من تريم إلى الواسطة. ومن آل باشعيب الشيخ

عُبيد بن عبد الله بن هادي بن صالح باشُعيب، طلب العلم بتريم على حبيبنا العلاّمة السيد عبد الله بن عمر الشاطري، وهو الآن بمكه، وله تَعلّق برجل البِر والإحسان: الشيخ محمد بن عوض بلاذن السابق ذكره في «رباط باعَشَن».

ومن أهل **الواسطه**: الشيخ مهنّا بن عوض بن علي بن أحمد بامزروع بامَطْرَف القنزلي، كان من العلماء ثم تعلّق بكتب الصوفيّه، فأخذهُ الجَذَب. ترجم له في «خلاصة الأثر» وأورد له أشعاراً، منها قوله:

لـلـقـادسـيـةَ فِـتْـيَـةٌ لا يـشـهـدون الـعَـارْ عـارا

لا مسلمين ولا يهود ولا مجوس ولا نصارىٰ

كذا رُوِي، وقد رأيت البيتين في مادة «بغداد» من معجم ياقوت مَعْزَوْين لغيره، والأول شبيه بما أنشده الأصمعي عن أبي عمرو لبعض بني أسد:

أن يـبـخـلـوا أو يـجـبـنـوا أو يـغـدروا لا يـحـفـلـوا

يـغـدوا عـلـيـك مـرجـلـيـن كـأنـهـم لـم يـفـعـلـوا

قال المحبي: وكانت ولادة مهنّا ـ كما أخبرني بعض تلاميذه ـ في شوال سنة ١٠٠٤ وتوفي بالمدينة سنة ١٠٦٩، وأبوه عوض من تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم. وفي ص ٩٤ج ٢ من عقد شيخنا، تروى حزب الشيخ أبي بكر بأسانيد إلى الشيخ المُحَدِّث حسن بن علي العجيمي المكّي بروايته له عن الشيخ الصوفي مهنا بن عوض بامزروع عن والده عن الشيخ أبي بكر بن سالم.

وفي مجموع الجد طه بن عمر عن أحمد مؤذن، أن علي باشعيب ـ نائب الواسطه ـ أثبت هلال شعبان سنة ١٠٧١ وهو رجل عاميّ محض لا يعرف شيئاً من الفقه، وصادقهُ الحبيب علي بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، ثم انخسف القمر ليلة ١٦ على حسابه، فتحقّق تهوره في الإثبات. ثم ثبت رمضان عند ولد بَامَطْرَف في «الغَيْل» بغوغاء، وأنفذَ الثبوت إلى الشِّحر ليلة الجمعه، فلم يره ليلة السبت إلاّ الآحاد، فتبين، أنَّ إثبات بامَطْرف والكتابة به تلاعب بالدِين. أهـ. وقد مرّت الإشارة إلى بعضه في الغيل.

وفي **الواسطه**، ناس من **(آل دخنان)** التميميين، وناس من **(آل عثمان)** التميميين. وفي شمال **الواسطة** قريةٌ يُقال لها **(سويدف)** فيها مشائخ من آل بن صالح باجابر، وناس من آل عثمان وآل سعيد التميميين، وناس من آل عبد الباقي

العَوَامِر. ثم (**وادي الواسطه**). وهناك أوديةً كثيره، كوادي حسين، ووادي هجره، ووادي عولك. ومن قَسَم إلى جهة الشرق (**وادي الخَوْن**) فيه نخل جميل، وله وادٍ يُسمَّى (**وادي ضرغون**) يذهب غرباً في الجبل الذي عن شماله، وفيه ثلاثة مَعْايين يُقال لأحدها: مِعْيَن العَلْيَا، وللثاني: مِعْيَان العيينه، وللثالث: مِعْيَان سُوَيْدف. وفي شمال هذا (**وادي الشَّكيل**). وفي غربيه: (**وادي سويدف**). وهذه المعايين تَسْقِي نخيل الخون التي يُضْرَب المَثَل بها في النفاسة، ويفيض الزائد من مائها إلى المخاضه التي في شرقي قَسَم على طريق الذاهبين إلى شِعْب هُوْد عليه السلام.

وفي **الخون** قريةً يُنْسَب إليها السيد علوي الخون بن عبد الرحمٰن بن عبد الله باعلوي، انقرض عَقِبه سنة ١٠٣٩ والسيد عبد الرحمٰن بن أحمد الخون. ومن وراء الخون: الفرط، والكوده، وباحفاره، ووادي سبيه، ووادي جب.

ثم (**حصن العُرْ**) وهو حصن بأعلى قارة فارده، باقيه آثاره الشاهدة بِحكمة وقوة بانيه من الحجارة المنحوته، حتى لقد أنكر بعض السُوّاح الأجانب أن يكوْن من بناء الحضارم، وتوهّم أنه من بناء حكماء اليونان ومُهندسيهم لأنه بصنيعهم أشبه، وما دَرَى أن عَاداً هم الذين يبنونَ بكل رَيْعٍ - آية - يعبثون ويتخذون مصانع لعلّهم يخلدون، وأن ثموداً نِعْم الذين ينحتون من الجبال بيوتاً فرهين، والله يقول ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾. وتعد منازلهم وحضارتهم أقدم من حضارة اليونانيين بألوف السنين. وقد مَرّ في حصن الغُراب ما ينبغي النظر إليه عند هذا. ولا يبعد أن يكوْن هذا الحصن هو حصن: جعفر بن قرط بن الهميسع الذي لجأت إليه بلقيس في خبرها المشروح بالأصل. وفي «**صفة جزيرة العرب**» **لابن الحائك** ذكَرَ: «العِرْ» و«ثوبه» في عِدَاد سَرْو حِمْيَر وأوديته بترتيب **مشوَّش وفي** «القاموس» أن العِرّ اسم لجبل عدن. ولعل «العِرّ» و«ثوبه» المذكورين عند ابن الحائك، على اسم العر - هذا - وثوبه التي تليه، لأن هذين إذا كانا عادِيين فهما أقدم من ذينك بكثير...

وحوالي هذا الحصن كانت الواقعة الهائله للمناهيل على آل تميم، حسبما فصّلت بالأصل. ومن قَتْلى آل تميم - في ذلك اليوم - منصور وهادي وعلي آل قحطان.

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم ... ولم يرتقوا من خشية الموت سلما

ولو أنهم فروا لكانوا أعِزّة ... ولكن رأوا صبراً على الموتِ أكرما

وقديماً كان يُقال: ضَحّى بنو أُميّة بالدِيْن يوم كربلاء، وبالشجاعة يوم العقر. وكذلك ضَحَّت المناهيل بِناس بني تميم يوم العِرّ بعد أن كان منهم ليوث غريف، وغيوث خريف.

لعمرك ما تدري القوابل منهمو أسلبت رجالاً أم ظبي فضب تبر

استفرعوا ما كان في البيض والقنا فلم يَبْقَ إلا ذو اعوجاجٍ وذو كسرِ

وفي الأخير ضَبَطت الحكومة القعيطيه هذا الحصن، وجعلت فيه عسكراً أوشَاباً ليسوا من صميم يافع، ومع ذلك أقرّتهم المناهيل ولم تستنكف، حتى سمعوا ما يؤلمهم من بعض نُوَّاب القعيطي الذين طالما تألمنا من سياستهم العوجاء ـ كما سبق ـ في الشِّحر لأنهم لا يعرفون مقادير الرجال ولا يُنْزِلون الناس منازلهم، فلم يكن من المناهيل إلاّ أن هجموا على الحصن وجَرَّدوا العسكر من السلاح، وطردوهم، وكسروا ناموسهم. ولم يبال أحد منهم بالعار سوى يافعي واحد كان بينهم فإنه لم يرض إلاّ بالقتل، وكان ذلك في سنة ١٣٦٦ وأشاع بأثرها من في صدره ضب ضغن ـ على الحكومة القعيطيه ـ ان الدولة البريطانيه فَصَلت العَبْر وما نزَلَ عنها شرقاً عن المملكة القيعطيه وعَقَدت مع المناهيل معاهدةً مستقلّةً طمعاً فيما ظهر بتلك البقاع من آثار البترول وما أظن هذا يصح بحال وإذا كان المتحدث سفيهاً يكون المستمع عاقلاً لأن الحكومة الانقليزيه اعقل من أن تكون كالصائم الذي وقع على حشفة فافسد بها صومه مع انه لا يتعذر عليها شيء من أمر البترول مع بقاء الأرض في حوزة القعيطي إنْ هذا إلا اختلاق.

ثوبه:

هي من الديار القديمه. لها ذِكْر عند ابن الحائك كما سَبَق في الخون وقال في موضع آخر ـ بعد ذِكْر العجز ـ ثم يَنْحدِر المُنْحَدر منها إلى ثوبه، قرية بسُفْلى حضرموت، بوادٍ ذي نخل، ويفيض وادي ثوبه إلى بلد مَهَره وحيث قبر النبي هود عليه السلام. أهـ. وأطلال هذه القريه ظاهرةً إلى اليوم، وهي في شمال السوم إلى الغرب بينها وبينه نحوَ نصف ساعة، ينزلها المناهيل ويضربون بها خيامهم، وفيها آثار كثيره مطموره بالتراب، وأخبرني الولد الأديب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف أن بعضهم خرج إليها ـ في الأخير ـ فَوقَع على ضريبةٍ من

الذهب لم يكن لها مثال. وفي هذا المكان غيران وكتابات حميريه، ولا شك أن هذه الضريبه نموذج مما ورائها من الكنوز المدفونه. ومن وراء ثوبه - إلى الشرق - وادي سخورة.

السوم:

لا يبعد أن يكوْن هو المُراد بقول ابن الحائك السابق عن ثوبه بوادٍ ذي نخل. أهـ. إلاّ أن وادي ثوبه غير أودية السوم، يسكن فيه جماعة من آل باحميد وآل البسري وآل سعيدان وآل براكيز من آل قفله من آل نهيد التميميين، وفيها مسجد للإمام عبد الرحمٰن السقاف. وفي «شمس الظهيره» أن في السوم جماعةً من ذُرية إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمٰن السقاف يُقال لهم (آل براهيم). وفيها - أيضاً - سهل بن أحمد بن محمد حذلفات - المتوفي بتريم سنة ٨٢٧ - بن علوي بن محمد مَوْلَى الدويله، عَقِبه آل زحوم بشتير قُرب النبي هُوْد، وآل صالح، وآل فَدْعَق. ومنهم آل بالبطق بالسوم، وآل بن سالمين بفغمه، وآل بن زين بالسوم، وآل بيت محمد بالسوم وفغمه أهـ.

وفي الحكاية ٤٠٥ من «الجوهر» رَوَى أن الشيخ عبد الله بن محمد بن علي بن علوي بن الفقيه، كان مقيماً بالسوم الأحرم وابنه محمد - إذ ذاك - بظفار، فأرجفوا بموت ولده، فكَذَّبهم. توفي عبد الله سنة ٨١٨ وفي الحكاية ٤٣٧ عن الشيخ عبد الله باعلوي أن والده كان ساكناً بأمّه في عريش بالسوم ففاض وادي عرده بسيلٍ عظيم - وهو السيل المشهور الذي أهلكَ كثيراً من الناس ومن البهائم - فلم يضرّهم ذلك السيل إلاّ قليلاً بدفن أثاثهم، ثم أدركوه.

وكان بالسوم نخل كثير مثمر، حتى لقد كان يدخل علىٰ المُقَدَّم أحمد بن عبد الله بن يماني من مغلّه وجبايته أكثر من ألفي بهار. وكان أكثر تمر حضرموت من ذلك الجانب، لكن السيول أجتاحتهُ فلم يَبْقَ إلاّ القليل، وشر ذلك من أخدود النقره.

وحوالي السوم أودية كثيرة، منها وادي سخوره، ثم وادي عرده - السابق ذكره في حكاية الجوهر - وهو وادٍ تدفع إليه السيول من جبالٍ بعيده، وبينه وبين السوم مكان يُقال له (مكينون) به آثار قديمه، وبعده: شطب، ومشاطر، كما في خريطةٍ قدمها لي الضابط الأنقليزي المكرم وطس.

ثم (عِصِم) وهو منزل ينزل فيه زوار نبي الله هُوْد عليه السلام فيه آل سعد من

آل تميم. وفي شماله **(وادي عِصِم) ثم (العصبة) لآل تميم، ووادي عنهى.**

فُغْمه

ثم قرية **(فغمه)** يسكنها جماعة من ذُريّة السيد محمد بن علي مَوْلَى الدويله، وآل بلحتيش من آل تميم. وفي «بستان العجائب» أنها كانت قريتين: إحداهما لمَوْلى الدويلة وفيها له مسجد، والأخرى لابنه سقاف وفيها له مسجد. وكان يُقال للأولى الدويله. أهـ بمعناه، وهو إمّا انتقال نظرٍ من يبحر إليها وإمّا أن يكون مثلها في الانقسام بين السقّاف وأبيه. وفي جنوبها وادي يبحر، وفي شمالها وادي فغمه وهي الدويله المنسوبة إلى السيد محمد بن علي، وكانت موضعاً للصوص وقُطّاع الطريق فاحتمى به كما في الحكاية ١٢٥ من «الجوهر» والجديده المنسوبة إلى ابنه عبد الرحمٰن السقاف. وفي الحكاية ١٢٧ من الجوهر أن لآل محرم ـ وهم بطن من آل كثير ـ حصناً قريباً من يبحر، وفي الحكاية ١٣٣ ـ منه ـ أن مَوْلَى الدويله كان على حمار فسابق محمد بن أحمد النهدي ـ وهو على فرس ـ فسبقه.

تنعه

ثم **(تنعه)** وهي من قُدامَى البُلدان. قال ياقوت: رُوِيَ عن الدارقطني أنه قال: تنعه هو بقيل بن هانىء بن عمرو بن ذُهل بن شُرْحَبيل بن حبيب بن عُمَيْر بن الأسود ابن الضُّبيب بن عمرو بن عبد بن سلامان بن الحارث بن حضرموت، وهم اليوم أو أكثرهم بالكوفه، وبهم سُمِّيت قرية بحضرموت عند وادي بَرَهوت الذي تسمع منه أصوات أهل النار، وله ذِكْر في الآثار؛ وقد نُسِب بهذه النسبة جماعةٌ منهم إلى القبيلة ومنهم إلى الموضع، ومنهم: أَوس بن ضمعج التنعي أبو قتيبة، وعياض بن عياض بن عمرو بن جبله بن هانىء بن بُقيل الأصغر بن أَسلم بن ذُهل بن نمير بن بقيل وهو تنعه. روى عن ابن مسعود حديثه عند سلمة بن كهيل، وعمرو بن سُوَيد التنعي الكوفي الحضرمي يروى عن زيد بن أرقم، وأخوه عامر بن سويد يروي عن عبد الله بن عمر، روى عنه جابر الجعفي وغيره. أهـ[1] وعلى ذِكْر أوس بن ضمعج أعود بالقارىء إلى ما سبق في «يبعث»

---

(١) تنعه: قرية عامرة من مركز السوم مديرية سيئون. والعجيب أن القاضي إسماعيل الأكوع لم ينقل هذه الماده ضمن كتابه: «البلدان اليمانيه عند ياقوت الحموي» مع أنها واضحة وبارزه في الجزء الثاني من معجم ياقوت.

عن ياقوت من قول التنوخي:

لعمرى لنعم الحي من آل ضجعم ثوى بين احجار ببرقة حارب

وإلى ما جاء في كتابه ﷺ هناك إلى أبناء معشر وأبناء ضمعج.

وحوالي تنعه السبعة الوديان، ثم **(شتير)** السابق ذكره، به دِيار آل مَوْلَى الدويلة، ثم حصن (بن كوب التميمي) لا يزال به ناس منهم إلى اليوم.

ثم **(وادي برهوت)** والكلام فيه منتشر. وقد ذكره الهمداني وصاحب القاموت وياقوت وغيرهم من المُحَدِّثين والمفسرين والإخباريين، فلا حاجة إلى الإطالة بما لا مطمع في حصره، ولا صحة لكثيرٍ منه، وله ذِكْر كثير في الأخبار، وهو وادٍ لا بأس به، منه كُليب بن سعد البرهوتي؛ وَفَد على رسول الله ﷺ كما عند إبن سعد والسيوطي وغيرهما وأنشده أبياتاً، منها:

من وشز برهوت تهوي بي عذافرة إليك يا خير من يحفى وينتعل

شهرين أعملتها نصاً على وجلٍ أرجو بذاك ثواب الله يارجل

وحدّثني من سار إلى بيره المشهوره وقال إنها عباره عن غار يضيق تارةً ويتسع أخرى، وهو مظلم وفيه روائح منكره، ولمّا انتهينا إلى حيث أنطفأت السُرُج لم نجسر على التقدم، لأن انطفاءها دليل فقد الهوى المُغذّى للأنفاس. وكان السيد الرحالة الجليل محمد بن عقيل بن يحيى ممن وصل إليه وكتَب عنه في «مُقْتَطف» جمادي الأولى من سنة ١٣٤٧ ما يقرب مما تقدّم؛ وأخرجَ أبو نعيم في ترجمة مجاهد ـ صاحب التفسير ـ من «الحليه» بسنده إلى الأعمش، أن مجاهداً ذَهَب إلى حضرموت إلى «بير برهوت».

شعب نبي الله هود عليه السلام

هو شِعْب مُتَّقد بالنور، فيّاض بالسرور، شبيه بمنًى من حيث الاجتماع والبهجة والدور، فلا بَدع أن يجيء فيه موضع قول الشريف الرضيّ:

فوا لهفى كم لي على الخيف شهقةً تذوب عليها قطعة من فؤاديا

وكيف لا يكوْن كذلك، وهو مَهْبَط وحي، ومعقل نبوّه، ومختلف ملائكه، ومُتنزّل سكينه. وقد دَلّلت بالأصل على وجود نبي الله هُوْد في حضرموت بالدلائل المجلوّه، ومن أقواها هذه الآية المتلوّه:

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١). والأحقاف: شاملةً حضرموت من دون نزاع وإن فَصَلها الجبل، والأصل بقاء ما كان حتى يُعْلَم خلافهُ. فينبغي أن يُعقد عليه الإجماع، وما أخرجه الحاكم من التحاق نبيّ كل أمّه تهلك بمكة عام موقوف يخصصه ما أخرجه ابن إسحاق في «المبتدأ» وابن عَسَاكِر في «التاريخ» عن عروة بن الزبير أنه ما نبيّ إلا حج هذا البيت إلا ما كان من هُوْد وصالح تشاغلا بأمر قومهما حتى قبضهما الله، ولم يحجا، ولئن ذكَر حج هود في مُسْند أحمد فما سنده بأمثل بما مرّ عن ابن إسحاق وإبن عساكر. وقد ذكَر ابن هشام في «اليتجان» أن هُوْداً وأولاده يحجّون ثم يعودون إلى ديارهم.

وفي جوار هُوْد كان قبر لقمان بن عاد الملطاط بن سكسك بن وائل بن حِمْيَر، صاحب النسور السبعة ـ كما في إكليل الهمداني ج ٨ ـ وذكَرَهُ غيره أيضاً.

ولقبر هُوْد ذِكْر طويل في الأكليل، ولقبر قُضاعه بن مالك بن حِمْيَر ـ جدّ قبائل قُضاعه ـ حديث آخر فيه. وهو لا يخرج عَمّا سبق في وادي عمد عن الشهاب الراصد من أن قبر قُضاعة بجبل الشِّحر، لأن (شِعب هُوْد) عليه السلام داخل في مُسَمَّى الشِّحر، وقال الهمداني: أن قبر هود عليه السلام بالأحقاف بموضع يُقال له الحفيف في الكثيب الأحمر. وهو موافق لما في الأصل. وجاء فيه أعني الجزء الثامن من الأكليل ـ أن قبر قحطان بن هود بمأرب.

وأمّا نسب نبي الله هود عليه السلام فقال الهمداني في الجزء الأول من الإكليل، أنهم اختلفوا فيه إلى خمس فِرَق، قالت الأولى أنه قحطان بن هود بن عبد الله بن رياح بن خلد بن الخلود وهو مُخَلداً بن عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نُوح. قال أبو نصر: والناس يغلطون في عابر، وهو هود بن أيمن بن حلجم بن بضم إبن عضين بن شداد بن عاد بن إلهاد بن عاد بن عوص بن إرم بن عوص بن عابر بن شالخ، وذَكَر أنه وَجَد هذا النّسب في بعض مساند حِمْيَر في صفاح الحجاره. وعابر بن شالخ هو هود بن شالخ، ولا نسب لحمير في عاد. وأمّا قول علقمه بن ذي جَدْن:

ومصنعةٌ بذي ريدان أُسّت بناها من بني عاد قروم

---

(١) الأحقاف ٢١.

فحيف من علقمه، وربما كان الذي بناه من حِمْيَر أبناء رجل منهم يُسمَّى عاداً فالأسماء مستعاره. وقد جاء في حِمْيَر عمالقه، والعمالقة إنما هم بنو لاوذ بن سام، فإمّا أن يكون ذهب إلى القِدم فالعرب تقول لكل شيء قديم عَادِيٌّ. قال بعض طيِّء:

وبالجبلين لنا معقلٌ صعدنا إليه بسمر الصّعَاد
ملكناه في أوليات الزمان من بعد نوح ومن قبل عاد

ذهب إلى مجرد القِدَم. ومن الدليل على أن حِمْيَر ليست من عاد قوله جلّ وعلا ـ بعدما ذكر مهلك عاد ـ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [1] فلا باقية لهم ولا لثمود، لقوله تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾[2] وحِمْيَر تملأ البلاد إلى اليوم، وهذه الحُجّة ضعيفة. وفي الحديث: «أن في المشرق جابلقد يسكنها بقايا عاد، وفي المغرب: جابر سو يسكنها بقايا ثمود». والعرب كثيراً ما تُطلق الكل على البعض. وقالت الفرقة الثانيه ـ وهم الأكثر ـ هو قحطان بن عابر بن شالخ بن إرفخشد، ثم افترقت هذه الفرقه فقال أقلها: أن عابر ـ هذا ـ ليس بِهُوْد المُرْسَل لأنه ليس من عاد، وأن هُوْداً المُرْسَل إلى عاد من أَنْفسِها وأوسطها، وقال أكثر هذه الفرقة أن عابر بن شالخ بن إرفخشد بن سام هو النبي المُرْسَل وأنه عاش ٤٢٠ سنة، وعاش عاد بن عوص ثلاثمائة سنة وما مات حتى ملأ أولاده البلاد، وأدرك أول ملك الخلجان من ولده، وهو الذي هَلَكَت عاد في عصره، واحتجّ هؤلاء بِحُجّتين، إحداهما قول علقمه بن ذي جَدْن:

سأبكي لقومي حميراً إذ تخرّموا وأصبح منهم مُلكهم قد تَمزّقا
تراث نبي الله هود بن شالخ بنيه بني قحطان غرباً ومشرقاً

وقول النعمان بن بشير الأنصاري:

فَمِنّا سراة الناس هودٍ وصالح وذو الكِفل مِنّا والملوك الأعاظم

وقول حسّان بن ثابت الأنصاري:

فنحن بنو قحطان والمُلك والعُلاَ ومنا نبي الله هُوْد الأخاير

(١) سورة الحاقة، الآية: ٧.
(٢) سورة النجم، الآية: ٥١.

وإدريس ما إن كان في الناس مثله ولا مثل ذي القرنين إبنا عابر

قال يُعْرِب:

بنيّ أبوكم لم يعد عمّا به وصَاة قحطان بن هود

وأمّا الحُجَّةُ الثانية، فإنهم ذكروا أن حِمْيَر بن سبأ سيَّر جرهما إلى الحجاز، وأمَّر عليهم هج بن بيّ بن جرهم بن يقطن بن عابر، وقال الخزاعي: هو وهّج بن بجّ بن جرهم بن الغوث بن يشدد ابن سعد ابن جرهم بن يقطن فلمّا صاروا بأسفل مكة إذا هم بهاجَر ومعها ابنها إسماعيل بن إبراهيم ولمّا أخبرتهم بنسبه عَرفوه، وذكروا القرابة، ورَغَّبهم قُربه في مجاورته، فكان حمير بن سبأ في درجة إبراهيم في النّسب إلى عابر - وهو هُوْد عليه السلام - إذ هو إبراهيم بن آزر، وهو تاريخ بن شاروخ بن راغور بن فالغ بن عابر، وحمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وكذلك من قال أن عابر هو هود بن عبد اللاه بن خالد بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهذا أقرب القولين إلى ما يلائم الصواب. وقالت الفرقة الرابعه: إن حميَر وجرهمَ قبل عاد وثمود بدهور طويله، وأن جُرهم لم تكن يوم عثرت على إسماعيل وأُمّهُ وعلى زمزم سيَّارةً من اليمن، وإنما كان حِمْيَر بن سبأ، سيّرهم إلى جبال الحرم ولاَةً على العماليق وعبد ضخم، فكانوا بنجد والطائف وأجْبلُ الحرم، فأقاموا دهوراً لا يدخلون وادي مكة - إذا كان خاوياً - إلاّ لرعي، حتى خرجَ الحارث بن مُضَاضَ بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هجّ بن وبّج بن جرهم في عصبة ترود من جرهم، فوجد إسماعيل فعرفه بالنسب، فرغب في المقام معهم، فأقام وجميع جرهم معه، وتزوج إسماعيل إلى العماليق ثم إلى الحارث بن مضاض. أقول: وهذا بالحقيقه لا يرد ما قبله بل يؤيده، إذ لم يزد بين الحارث وهج بن بج إلاّ خمسة، وهذه لا تقر على شيء، كما تتوضح من قول الفرقة الخامسة أن الاحتجاج بمَادّة الآباء سبب ضعيف لاختلاف أعمار الناس. أعم بنوع تَصرُّف واختصار. والقول الذي ينبغي اعتماده هو ما تكرر عند الهمداني - وعند غيره - أن حِمْيَر بن سباء بن يَشْجُب بن يُعْرِب بن قحطان بن هُوْد.

وأمّا السُوق التي تقوم في شِعب نبي الله هود، فقد سَبَق خبرها في وادي العين. وكانت هذه السوق - كما في الأصل عن بلوغ الأرب - تُقام في النصف من شعبان. وما زال عليه الأمر بحضرموت إلى ما قبل اليوم بنحوٍ من مائتي سنةٍ فتغير

قليلاً، ففي مكاتبه بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٢٠٢ من السيد أحمد بن حسن بن عبد الله الحدّاد، سَيّرها للسيد محمد بن حسن مَوْلَى خيله، تدل على أن تأخر الزياره عن نصف شعبان إنما كان بعد القُطب الحدّاد. غير أن في مجموع كلام القُطب الحداد ما يدل على أن بدء التغير كان في زمان، وصار أهل سيوون - ومن غربيِّهم - يدخلون الشِعْب في اليوم الثامن من شعبان وينفرون في العاشر، وآل تريم يَرِدُون في التاسع وينقلبون في الحادي عشر، وآل عِيْنَات يدخلون في العاشر ويصدرون في الثاني عشر. ثم حاول السيد العلامه أحمد بن حسن العطاس إرجاع الأمر إلى ما كان من الاجتماع هناك النصف من شعبان، فتم الأمر بعد مراجعات. ثم اختلف أهل تريم وأهل عِيْنَات على شرف المجلس الحافل وقراءة دعاء شعبان وإمامة العشاءين فيه، وأهل عينات يَقنعون بالمقاسمه، لكن أهل تريم لا يرضيهم إلاّ الاستيثار بالجميع. وتفاقم الأمر حتى انتهى إلى حرب صوريه كعادة حروب آل حضرموت، ثم لم تسوّ القضيّة إلاّ بإعادة الأمر إلى ما كان عليه بالأخرة.

ولقد حَضَرت تلك المحافل المشهودة - بذلك الشِعْب الشريف - كثيراً من المرّات، أولها التي لا أزال جامعاً منها يدي على غذاء الروح وتباشير الفتوح ولذيذ الذكريات، وهي التي كانت بمعية والدي وأستاذي الأَبَرّ عيدروس بن عمر، حوالى سنة ١٣١١ وفيها كانت محاورات فقهيّه سببها أن سيدي عمر بن عيدروس بن علوي العيدروس وإخوانه والشيخ الجليل محمد بن أحمد الخطيب في ناسٍ من تَرِيم رافقوا سيدي الأستاذ الأَبَرّ، ولمّا قَدَّم العشاءَ مع المغرب بمسجد العجز مع الذهاب، تبعوه مع أن ما بين الشِعب وتريم لا يبلغ القصر. والظاهر أن سيدي الأستاذ الأبر يقصر ويجمع في سائر صلواته، لكن لا أثبت حفظاً إلاّ ما كان تلك الليلة بجامع العجز، والمُشار إليهم لم يتبعوه في القصر حتى تلك الليله وإنما كانوا يتبعونه في الجَمْع لِما فيه من السعة. ثم كانت بعدها مذاكرات كثيره، وأَذْكَرَها عندي لأكثرية جَمْعَها التي كانت سنة ١٣٢٤ وقد تداول الخطابة فيها جماعةٌ من الأفاضل؛ هم السيد علي بن محمد الحبشي، وسيدي الوالد علوي بن عبد الرحمٰن السقاف، وسيدي عمر بن عيدروس بن علوي العيدروس - السابق ذكره - المتوفي بتريم آخر سنة ١٣٢٨ عن عمرٍ قصير، وكان خطيباً مفوّهاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يتكلم على الناس في أيام المراجيح من الشيوخ. وكان بدء خطابته أن قرأ رسالةً لسيدي الأستاذ الأبر في مجمع مولد السيد علي بن محمد الحبشي ثم علّق عليها، وتيسّرَ له - من بعدها - الكلام. ولا أذكر غير هؤلاء الثلاثة عامئذٍ، إمّا

لِنْسَيان وإمّا لانحصارها فيهم كما هو الأقرب.

وقد حضرَ ـ ذلك العام ـ سيدي العلاّمه المتفنن في أنواع المعارف: شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن سميط في جمع ليس بالقليل من آل شِبَام. وحَضَرتها أيضاً في سنة ١٣٤٠ وكانت مشهودةً من نواحي حضرموت ودَوْعَن فما دونها وسواحل حضرموت فما ورائها، وكانت الخطابة إليّ في اليوم الثاني عشر وللعلامة الفاضل السيد أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف المتوفي بسيون سنة ١٣٥٧ في صباح اليوم الثالث عشر، وبعد ظهره إليّ وإلى الأخ العلامه عبد الله بن عمر الشاطري، وفي اليوم الرابع عشر ـ وهو أعظمها حفلاً وأكثرها جمعاً ـ يترأسه منصب الشيخ أبي بكر بن سالم، كانت الخطابة إليّ وإلى الأخ الفاضل حسن بن إسماعيل (وهو عَالِم آل الشيخ أبي بكر الوحيد). وفي سنة ١٣٥٠ كان إليّ أكثر الخطابة، وشاركني الفاضل الجليل الأخ عبد الله بن عمر الشاطري في اليوم التاسع، والفاضل الوجيه الأخ حسن بن إسماعيل في اليوم العاشر. وكانت الزيارة ارجعت ـ في ذلك العام ـ إلى ما كانت عليه، بخلاف سنة ١٣٤٠ وكان الذكي المرحوم السيد محمد بن أحمد بن يحيى معنا ذلك ذلك، فاختزل خطبتي في حفل السّادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم فأُضِيفت إلى مجموع الخُطَب.

وفي تلك المرّة كانت ضجه خفيفه، بسبب أني كنت مُقيماً بتريم ومنها عَزَمت إلى شِعْب هُوْد عليه السلام مع آل سيون ومن لَفَّهم، وطالت بي الخطابه ـ في اليوم الثامن ـ حتى وَجَبَت الظُهر؛ فصلّيتها بهم والعصر مُقَدَّماً مجموعتين مقصورتين، فزعم بعضهم أن لأرخصة لي، لأن المسافة من تَرِيم إلى شِعْب هود لا تبلغ القصر ـ كما سبق ـ فقلت لهم إنني بركوبي من تَرِيم انشأت سفراً طويلاً منها إلى الشِعْب ومنه إلى سيوون ـ بدون تخلل أقامه ـ قاطعةً للسفر، وذَكَرت لهم قول العلاّمه ابن حَجَر في تحفته: يقع لكثير من الحُجَّاج أنهم يدخلون مكة ـ قبل الوقوف ـ بنحو يومين ناوين الإقامة بها بعد رجوعهم من منًى، لأنه من مقصدهم، فلا تؤثر نيّة الاقامة إلا عند الشروع فيها. للنظر فيه مجال، وكلامهم محتمل. والثاني أقرب. أهـ. فاقْتَنَع بعضهم وأصرّ آخرون على تخطئتي. وللناظر البحث والتمييز. ثم ذَكَر لي الولد الفقيه علوي بن عبد الله بن حسين أن البحث طال أيام تدريسي في «المنهاج» وكان لا يتخلف عنه إلاّ الشّاذ، قال ولمّا قررت نحو ما هنا وافق الأكثرون كالفضلاء السادة: محمد بن حامد بن عمر وعبد الله بن

حسين وعمر بن أحمد بن جعفر وعبد الله بن شيخ بن محمد بن جعفر بن عبد الله والشيخ أحمد بن محمد بارجا والشيخ محمد بن محمد باكثير والشيخ عوض صبّان وغيرهم، وخَالف الشيخان عُمر عُبيد حسّان ومحفوظ بن عبد القادر حسّان، واشتد الجدال وتشادقت الرجال، واحضر «الإيعاب» فإذا ما فيه صَرّح بما في «التُحفه»، وقد نَظَمهُ الشيخ محمد باكثير بقوله:

ومن يَسِر من نحو سيوون إلى ... زيارة النبيّ هود مثلاً
فكان لمّا وصل الغَنّا نوى ... عوداً إلى سيوون بعد أن أوىٰ
فالآن لا ترخص له ولا ... كن إن يُجَدِّد قصد هُوْدٍ مقبلا
ففي الذهاب والإياب كان له ... ترخص، والنقل في ذي المسئلة
جاء صريح النص في الإيعاب ... عزاه في المجموع للأصحاب
والشافعيّ وهو ان من أتى ... للحج من بلاده مؤقتا
ثم أتى مكة ناويا إقا ... مة تنافي نحو قصر مطلقا
فليترخصوا ذهاباً وإياب ... وذي وتلك كالغراب والغراب

ومع هذا فقد أصرّ الشيخان ـ عُمر عُبيد ومحفوظ ـ على خلافي، ولهذا فأنا أُمَهِّد العُذر لمن أَنْكَر عليّ، لأن له بهذين ـ على ثقوب فهمهما ـ إسوةٌ.

هذا حاصل ما أخبرني به الولد علوي، فَتَذكّرته ونسيت ـ وما أنساني إلاّ الشيطان ـ أن أَذْكُر يوم أشتدّ الجدال ـ في الأولى والثانيه ـ أنّ سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر أقامَ بتريم أكثر من ستة أيام ثم أنشأ السفر إلى الشِعْب، وكان يَجْمع ويَقْصُر كما تقدم، وكفى به حجةً، ولو أنني ذكَرَت ذلك لعمر عبيد ومحفوظ لأَذْعَنا لِمَا ذَهَبْت إليه. أما الحديث الصحيح: (لا تشد الرِّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد) فقد أُختلف فيه، والأكثرون: على أنه عام مخصوص بالمساجد فلا تُشدّ الرِحَال إلى شيء منها لتقاربها في الفضيله، ما عدا الثلاثة لتميّزها بزيادتها فيه، إذ لا يُحرّم بالاتفاق شَدّها للتجارة وطلب العلم وزيارة الأحباب والصالحين من الأحياء وما أشبه ذلك. ولكن قد نص إمام الحرمين ـ ومِثله القاضي حسين ـ على تحريم السفر لزيارة القبور، واختاره القاضي عياض بن موسى بن عياض في «إكماله» وهو من أفضل متأخري المالكيه. وقَامَ وقعد في

ذلك الشيخ الإمام ابن تيميّة، وأخطأه قوم وصوّبهُ آخرون، ومهما يكن من الأمر فليسعه ما وسع الجويني والقاضيين حسين وعياضاً، ولكنهم أفردوه باللّوم والقول واحد، وقال مالك بن أنس: من نَذَر المشي إلى مسجدٍ من المساجد ليصلي فيه كرهتُ ذلك لقوله ﷺ: «**لا تُشدّ الرِحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد**». وقال ابن سُرَيج ـ من كبار أصحاب الشّافعي ـ أن الزيارة قُرْبةٌ تُلْزَم بالنذر.

والخَطْب يسير لم يُوَسِّعهُ إلاّ الحسد والتعصب، وإلاّ فالتثريب في موضع الاختلاف ممنوع.

وأيام الشِعْب بما فيها من الأُنس والصفا والأفراح والمزاورات أشبه بأيام منى من الجرادة بالجرادة حسبما أسلفنا وتمثلنا ببيت الشريف الرضيّ. وفيها الدُعاء يُجَاب، والغمى تنجاب، والرُحمَى لا تنتقر، وشقاشق الخطباء لا تقر، وثم تذرف العيون، وتغرق الجفون، وتبتلّ الأردان، وتقشعر الأبدان، وترجف القلوب، ويحصل المطلوب. ويتحدث الناس بأمرٍ عظيم، عن خطابة جدي المحسن في تلك المشاهد.

وقد علم الحى اليمانون أنه ... إذا قال أمّا بعد فهو خطيبها

وتنعقد ثَمْ الأسواق المجلوبة إليها الأغنام والإبل من أطراف بلاد المَهَره والمناهيل، غير أن الآخرين لا يمكّنون الأولين من دخول الشِعْب إلاّ في اليوم العاشر، ويستأثرون بما قبله عليهم.

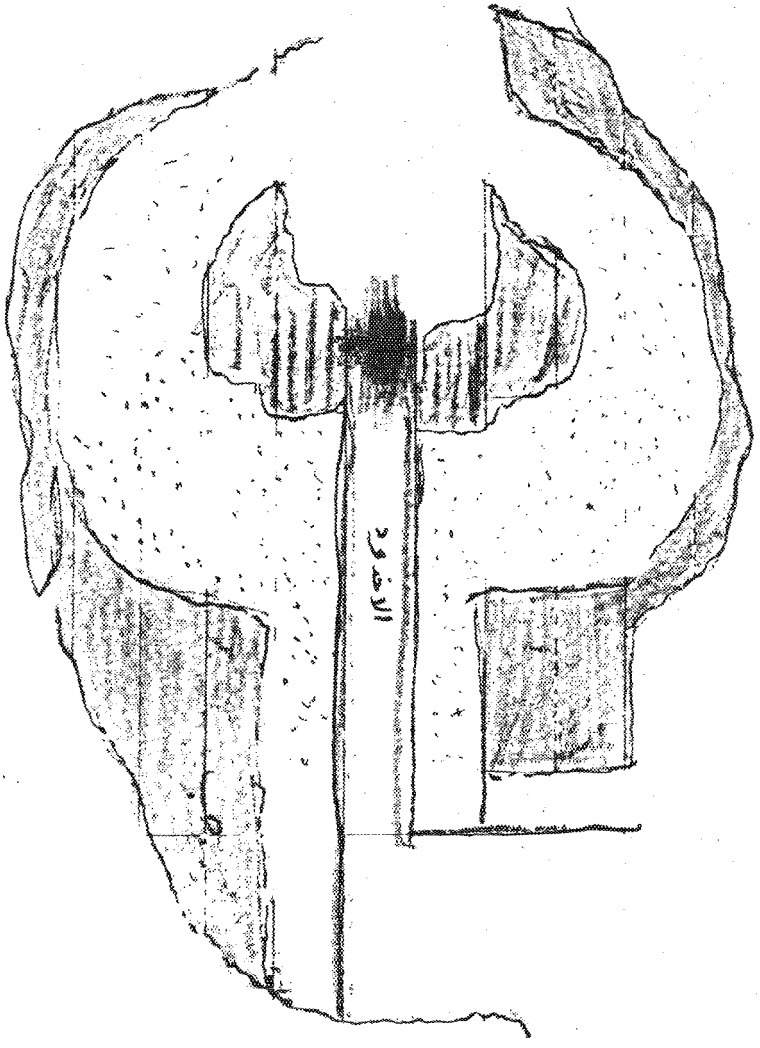
ومن وراء شِعْب هُوْد عليه السلام: وادي يَنْحب، ووادي يسحر، ثم (**مقاشع**) وهي قرية بالية لم يَبْقَ منها غير الآثار القديمه. ثم (**سنا**)، وفي «شمس الظهيره» في ذِكْر عبد الرحمٰن بن أحمد يبحر بن محمد حذلفات: من عَقِبه «آل بيت الهادي» بالباديه بالجزع وسنا قُرْب هُوْد، و«آل مخضرم» بسنا وفُعْمَه أهـ.

وفيها ناس من «آل تميم». والظّاهر أن سنا على إسم: سنا بن السُكون بن الأشرس بن كِنْدَه، فقد جاء في «روضة الألباب وتحفة الأحباب» لعزّ الإسلام محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين الشهير بابن علامة، أن «تَريم» و«شِبَام» و«سنا» بنو السكون بن الأشرس بن كِنْده بن عفير، وذكَرَ أن تريماً وسنا بحضرموت. وقد سبق هذا في شبام، لكن المقصود هنا: كَوْن «سنا» بحضرموت سواء كان ابن السَكون أو ابن حضرموت. ومن أقرب شيء أن تكوْن سنا ـ هذه ـ على اسمه حسبما جرت عادتهم بذلك من تسمية البلاد بأسماء السُكّان. وفي آخر

فتاوى شيخنا المشهور عن الغساني أن حضرموت بن سبأ الأصغر، فمن ولده: «الحارث» و«فُوّه» و«سنا» بالفوقية ليوافق ما في «روضة الألباب» من جهةٍ.

طبوقم:

على عشرين ساعةً من سنا. وهي بليده لا يقيم بها السكّان إلاّ ريثما يزرعون ويحصدون. وقبيلها موضع (سدّ سنا) السابق ذِكْرَهُ في «الحسيِّسه» على الصورة المذكورة أدناه، فالأخدود ما بين الخطين المستطيلين قد إنخفض ـ الآن ـ انخفاضاً هائلاً، والبياض الذي بجانبي الخطين هو مستوى الأرض، والبياض الهلالي ـ في الجانبين ـ كان مرتفعاً عن سطح الأرض بقليل؛ ومنه تفيض السيول، لأنها متى أقبلت صدمتها الأكَمَة المرسومة في طرف الأخدود، فارتدّت إلى جانبيها، ثم لا تفيض إلاّ من ذينك الجانبين، ومنهما تنهر إلى أرض المَهَرة، غير أن «الأكمة» المرسومه كانت رخوةً فصدعها السيل، ومنذ جَرَفها بدأ يخد في الأرض فارتفعت جوانبها عن مجراه، وكلما أعمق الماء في الأخدود زاد حرمانها من الماء. وزعم بعض أهل الحدس والنظر ـ من شبام ـ أنهم يعرفون وصول ماء السيل إلى النقرة ـ كما سبق ـ فيها، بزيادة جري الماء في المسيال الواقع في جنوب شِبَام، إذ يكوْن جريه قبل وصولها متزّناً رهواً، فإذا انتهى إليها أشتد جريه بقوّة يظهر أثرها عَيَاناً. وهو مقبول إذ قالوا بأن الحجر الساقط من علوٍ والماء المنصب منه، تتضاعف عن قوّته بمقدار بُعد المسافة. فكلما زاد هبوطه أشتدّ. وهذا من نوعه. وقد سَبَق في الحسيّسه والنقرة والكَسْر ما له تَعْلَق بهذا.


الأخدود

القسم الثالث

في

نُجود حضرموت

من أعلاها إلى أسفلها

نجود حضرموت

إعلم أن ما سبق في القسمين الأول والثاني، كله غَوْر، إلاّ ما كان من نحو الضِلَيْعه وبعض ما قَبْلَها ـ في الثاني ـ من السوط، فإنه نَجْد في رأس جبل، فيه مضارب (آل بلّعُبيد) وهم قبيلة لا تزال لها خشونتها إلى اليوم ـ كما سَبَق ـ لا يبالون بعسكر القعيطي بل كلما لاقوهم قتلوهم. وهم عدة ديار: آل مزعب، وآل باكرش، والجهمه، وسلم، وبلَّحْوَل ويُقدَّر مجموعهم بثلاثة آلاف رامي. وفي «سبائك الذهب» أن بني العُبَيْد ـ بضم العين ـ بطن من سليح من قُضاعة، وهم من أشراف العرب، وإليهم يُشير الأعشى بقوله:

ولست من الكرام بني العُبيد

والنِسْبَة إليهم: عبدي، كما قالوا في هُذَيْل هذلي. وقال في العبر كان لهم مُلْك يتوارثونه بالحصن الحصين الباقيةِ آثاره في بريَّة سنجار من الجزيرة الفُراتية، إلى أن كان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العُبيد. أهـ. والعبيد هو ابن الأبصر بن عمرو بن أشجع بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قُضاعه. ومما يتأكد من كون آل بلعبيد أهل السوط هم من هؤلاء وجودهم في نواحي قُضاعه وقربهم من يبعث، وقد سَبَق فيه أن سكانه الذين كَتَب إليهم رسول الله ﷺ من أبناء ضمعج، وهو قريب من ضعجم، وأن ضعجم هو ابن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قُضاعه.

أمّا (نجود حضرموت)، فقسمان:

(أحدهما الجنوبي): وفي أعلاه: كَوْرسيبان، والحالكه، والعكابره، والخربه، بَحْسَن، ومنها تكوّن الطريق من الساحل إلى وادي حمم، ثم الخريبه، ودَوْعَن و(وادي حمم) هو وادٍ طويل كثير الأشجار والنخيل والعيون، يسكنه آل باهبري من قديم الزمان، ولهم ذِكْر كثير ولا سيما في حروب القرن العاشر، وفيه ناس من الساده آل العطّاس وغيرهم. ثم (حويره) ومنها تنشعب الطرق إلى وادي العين وإلى وادي بن علي. وفي شمال حويرة ـ إلى الشرق ـ ريدة المعاره

وريدة الجوهيين، ومنهما تشرع الطُرُق إلى حضرموت وإلى عَقَبة الفقره وعَقَبه العرشة وعَقَبة عبد الله غريب وعَقَبة عثه، تنزل هذه كلها إلى الساحل. وقد أُصْلِحت - في الأخير - طريق للسيارات في هذا الجبل، والمسافه بمشي السيارة على التقريب - من الغُرف إلى أول ذلك الجبل وهو عَقَبة الغِزّ - ثلاث ساعات. ومنها إلى رَيْدَة الجوهيين ورَيْدَة المعارّه ثلاث ساعات، ومن الرَيْدَتين إلى (عَقَبة الفقره) يكثر الأزورار والإنعطاف لكثرة القُوَر والشناخيب بذلك الطرف، فبطن ذلك الجبل الذي يلي حضرموت أشبه بظهر الضَبّ. وأمّا ما يلي عَقَبة الفقره - في شمالها - فأشبه بذنبه فيحيط بالسيارات الخطر مكانيئذٍ إن لم يمهر السائقون، والمسافة إلى الفقره ثلاث ساعات، ومنها إلى الشِّحر ساعتان.

وفي هذا **النجد (جول عبول)** وهو الذي توفي به سيدنا عبد الله بن أبي بكر العيدروس مرجعه من الشِّحر إلى تَريم، على ثلاث مراحل من تريم ومرحلتين من الشحر، وفيه أيضاً **(مقد العبيد)** سُمِّى بذلك لسبب يتعالم به الحضارم ولا ندري ما نصيبهُ من الصحه، إلاّ أن آثار القبول ظاهرةً عليه. وهو أن أحد سلاطين حضرموت باتَ بهِ مع عبيده في ليلة شتائيه، وهو مما ينطبق عليه قول أبي الطيّب:

وَعِقَابُ لُبْنَانٍ وَكَيْفَ بِقَطْعِهَا وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ

فجمعوا عليه الرِحال والفراش، وباتوا - هُم - في نقل الحجارة من مكانٍ إلى آخر، فاندفع عنهم البرد بحرارة الأعمال، وأمّا السلطان فأصبحَ ميتاً من شدته.

وفي أواخر هذا **النجد (غَيْل بن يُمَيْن)**، ولسُوَيْد بن يُمين ذِكْر كثير في شِعْر إمام الأباضيّة إبراهيم بن قيس. وقُلت في الأصل: يُحتمل أن يكوْن سويد صاحب هذا الغَيْل، ويُحْتَمل أن يكوْن المراد من شِعْر إبراهيم إنما هو جدّ آل يمين النهديين الموجودين - إلى اليوم - بالسور وسَفُوله اليمنه، على مقربةٍ من طريق حِرَيْضَه. وقد سَبَق في حجر أن طائفةً من آل دَغَّار يُقال لها آل بن يُمَيْن لا تزال بقاياها بقريةٍ في حجر يُقال لها **(الحسين)** فلا يبعد أن تكوْن هي لا سيما وأن القرائن المتوفرة في شِعْر إبراهيم بن قيس تؤكد ذلك. ويُقال للغَيْل المذكور «**غيل الشناظير**» - أيضاً - نِسْبةً لبافع الذين استولوا عليه وقت إقتسامهم لحضرموت. وفي حوادث سنة ٩٣٦ استولى السلطان بدر بوطويرق على غيل بن يُمَيْن ونَهَب

أولاد يُميْنَ وَطَرَدهم فلجأوا إلى الحموم، وما كاد يتصل هذا الخبر بالسلطان محمد ـ أخي بدر بوطويرق ـ إلاّ وتكدّر واغتاظ وأظْهَر أنه محشوم، واتسع الخلاف بينه وبين أخيه إلى أن سَفَر المُصلحون، وأرْجَع بدر أمر الغيل إلى أخيه محمد، فَرَدّهُ لأولاد يُمَيْن. وفي رحلة السلطان عمر بن صالح هرهره أن جعفر بن يمين قُتل مع السلطان عُمَر بن جَعْفر الكثيري في المعركة التي كانت بين يافع وآل كثير في بحران سنة ١١١٧.

وللغيل ـ هذا ـ ذِكْر كثير في أخبارهم وحروبهم، وسيول هذا الغيل تدفع إلى وادي سَنَا، وأمّا ماؤه الجاري فالأكثر عليه الإهمال، وهو من النقاط المُعَيَّنة لسلاطين آل كثير في المعاهدة ذات الإحدى عشرة مادّةً، ولم يجر له ذِكْر في وثيقة إقتسام الممالك بين السلطانين: منصور ومحسن إبني غالب بن محسن؛ المحرَّرة فاتحة رَجَب سنة ١٣٣٦ فهو باقٍ بينهم على الشركة الشائعه، وأكثر معوّل الدولة الكثيريه في حمايته على الحموم، إزاء امتيازات لهم فيه، وهم الذين طَردوا عنه الشناظير ـ من يافع ـ سنة ١٢٧٥. وفيه جماعةً من ذُريّة السيد عمر بن أحمد بن قطبان، وبالبادية حواليه جماعةٌ من بادية العلويين؛ كبيت سهل، وبيت حموده، وبيت قرموص، وبيت عقيل، وبيت الحنشش وبيت محسن، وبيت الأخسف، وبيت كدحوم. منهم جماعةً اشتهروا بالنجدة والشجاعة الخارقه؛ كالسيد حسن بالحنشش، والسيد عمير، فقد كانا مضرب المَثَل في ذلك.

إنْـــسَـــاً إذا نـــزلـــوا، جِـــنّـــاً إذا ركـــبـــو

لا بل كانوا جنّاً وشياطيناً دائماً، حتى أن الأمهات ليروِّعن بهم الصُبيان ليسكتوا عن البكاء، لأنهم من أكثر الناس شَرّاً وقيادةً للغارات، ومنها غارة سنة ١٣١٨ فقد نهبوا قافلة الحجيج في حال صدورها من المكلا إلى حضرموت وفيها السيد سالم بن محمد بن علي بن عبد الله السقاف والسيد عبد الرحمٰن بن عبد القادر البحر، وكان السيد حسن بالحنشش هو القائد العام لتلك الغزوه، غير أنهم بعدما نهبوا الحجيج هَاجَمتهُم سَيْبَان والعوابثه ـ وهم غارون ـ فقتلت منهم نحواً من خمسين وأخَذت ما استولوا عليه من أموال الحُجّاج على نية إرجاعه إليهم ثم خاسوا بتلك النيّة، وبينا هم يقتسمونه عَطَف عليهم السيد حسن بالحنشش بقومه وكَثُرت القتلى من الجانبين، ولم يحجز بينهم إلاّ حرّ النهار، وكان الوقت خريفاً. وهذه من كبريات حوادث بادية حضرموت إن لم تكن أكبرها

على الإطلاق، فلقد أَنتَنَت الجبال من جِيفهم وسَنِقت الوحوش من لحومهم.

وفي الناحية الغربيّة من هذا النجد طريق أخرى للسيارات، تخرج من المكلا، وتمر في أعلا وادي حمم إلى جبال دوعن، ثم تنزل بجحي الخنابشه، ومنه إلى الكَسر ثم شِبَام، وهناك تتصل الطريقان، وتدخل في كل واحد من **النجدين** أوديةٌ كثيرة كَعمد ووادي دَوْعَن ووادي العين ووادي بن علي وشحوح ووادي تاربه وبايوت والقرى التي في جنوب الغُرف إلى عقبة الغِزّ. فهذه كلها داخلةً في **(النجد الجنوبي)** وكوادي سرْ ويَبْهوض وجُعيمه ووادي مدر ووادي الذهب والخون وغيرها، وكلها داخلةً في **(النجد الشمالي)** كما سنذكره بعد أسطر.

وأمّا الثاني **(فالنجد الشمالي)**: وهو جبل ينقاد من نحو العَبْر ـ غرباً، إلى سيحوت شرقاً. يستدق في طرفيه، وتَعْقُبهُ في الغرب آكام وقُوَر، وعرضه في الأثناء ينبسط إلى مسافة ثمانية أيام تارةً وينقبض أخرى إلى خمسة أيام فقط. ومنه تنشعب الأودية إلى الجابيه؛ ووادي سنحور، ووادي هينن، وأودية سِرْ، ويبهوض، وجُعيمه، ومدر، وثبي، ووادي الغبيرا الذي يَنْهَر إلى دَمُّون، ووادي الخون، وسويدف، وغيرها. وارتفاعه من جهة الشمال إلى الرمال أقل من ارتفاعه في جهة جنوبه إلى حضرموت بكثير، حتى لقد تختلط أطرافه برمال الدهناء، كما سيأتي عن بير ثمود.

وفي أول هذا **النجد** غرباً **(رَيْدَة الصَيْعَر)**: قال الهمداني: في عِدَاد قُرى حضرموت وريدة العبّاد وريدة الحرميّة. وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

أولئك: معشري وهمو خيالي ... وجِدِّي في كتيبتهم وَمَجْدِي

همو قتلوا عزيزاً يوم لحج ... وعلقمة بن سعد يوم نجدِ

وما أظنه إلاّ هذا **النجد** يعني، لأنه أقام طويلاً على مقربةٍ منه بالكسر. **والصَيْعَر** ـ كما عند الهمداني وأَجْمَع عليه مؤرخوا حضرموت ـ قبيلة من الصَّدِف، تُنْسَب إليها (ريدة) لِيفَرَّق بينها وبين (رَيْدَة أَرْضين). وقالَ في موضعٍ آخر: وكان الصَّدِف بحضرموت من يوم هم، ثم فاءت إليهم كِنْده بعد مقتل ابن الجون يوم شِعب جبله لمّا انصرفوا عن غمر ذي كِنْده، وفيهم الصَّدِف، وتُجَيْب، والعُبّاد من كِنْده، وبنو معاوية بن كِنْده، ويزيد بن معاويه، وبنو وهب، وبنو بدا بن الحارث، وبنو الرائش بن الحارث، وبنو عمرو بن الحارث، وبنو ذُهَل بن معاوية، وبنو

الحارث بن مَعاوية. ومن السُكون فرقةً، وفرقةً من همدان يُقال لهم المحايل، وفِرقةً من بلحارث بن كعب بِرَيْدَة الصَيْعَر. وإليها تُنْسَب الإبل الصيعريّه، وفيها يقول طُرْفه:

وبالسفح آياتٌ كأن رسومها يمان وشته ريدة وسحول

إنتهى. وقد ناقشته في الأصل إذ زَعَم أن فيئة كِنْدة إلى الصّدِف بحضرموت أول عهدهم بها، إذ لا يتفق مع وجود السبعين ملكاً منهم بها مُتَوَّجين؛ آخرهم الأشعث بن قيس، وقد صرّح بأن العُبّاد من كِنْده، وفي «التاج» وأصله أن العُبّاد من القبائل الشتَّى التي اجتمعت على النصرانيّه، ويُحتمل أن يكوْن جد العُبّاد الكِنْديين أحد أولئك؛ فأنه لا مانع منه، وفي ص ٤٢٠ جزء ثالث من «خزانة الأدب» للبغدادي أن الصّدَف بطن من كِنْده يُنْسَبون اليوم إلى حضرموت أهـ. وقد تَفرّع عن الصَيْعَر كثير من قبائل حضرموت ـ كما تكرر في هذا المجموع ـ كآل باجَمَّال، وآل باصِهي، وآل بابقي، وإل باحفين وآل باكَثير، وآل الجرو، وآل باحلوان، وآل باغانم وكانوا بِبَوْر، وآل بامَطْرَف، وآل بامزروع. وبقي أهل الرَيْدَه على حالهم لم يتغير إسمهم ولا إسم بلادهم، وسَبَق في الغُرفه وغيرها أن آل باحلوان من قُضَاعة.

والصَيْعَر قبيلتان: آل مسلَّم وآل حاتم. وكل قبيله تنقسم إلى بطونٍ كثيره. ورئيس الصَيْعَر الآن ـ كلهم ـ سعد بن طناف بن رميدان، ورئيس آل علي بِلَّيث ـ منهم ـ يُقال له: علي بن عِيْضَه. ومَقْدَم آل يربوع ـ منهم ـ يسلم بن محمد، ومَقْدَم آل عبيدون: سعيد بالحاشدي. وكثير منهم من ينتجع «وَبَار» وبالأخص آل عبد الله بن عون، ففيها منهم نحو مائتي رَام. و«وَبَار» هي الرِمال التي من وراء حِبلهم، إلاّ أن كُلاً من أهل النجد يُسمِّي ما يجاور نجده ـ منها ـ باسم غير الذي يُسمِّيه الآخر. فالصيعر يُسمّون مايلي نَجْدَهم من الغرب إلى الشرق (عِيْوَه) ـ بكسر العين وسكون الياء وفتح الواو ـ وفي الأخير رعاها آل معروف ـ منهم ـ ثم سقطوا على مقربةٍ من نَجْرَان بسبب الجَدْب، وأَذِنَ لهم أمير نَجْرَان ـ وهو رجل شهم وعَربي قُح من صميم تميم له مروءة وشِمَم يُقال له تُركي بن محمد بن ماضي ـ أن يضربوا خيامهم في أطرافها كما أَذِنت الفُرس لحاجب بن زراره، ثم وَفَدَ منهم أربعون على أربعين نجيبةٍ يرأسهم إثنان يُقال لأحدهما «قنيبر» والآخر وهو عبد الله بن سالم بن مِعَيْقل، حتى وصلوا الرياض، فتركوهم أربعة أيام،

وفي اليوم الخامس أو السابع أُذِنَ لهم في مقابلة مَلِك الحجاز ونَجْد، ورأوا من بِشْرِه وإكرامه أكثرَ مما يؤملون وقدّموا له مطيّه على سبيل الهدية أشتروها ـ عمّا يقولون ـ بثلاثمائة ريال، ولكنه بعيد لأن إبلهم لا تبلغ ذلك ولا نصيفه، وبعد اجتماعهم به أجروا عليهم حكْم الضيافه وطلبوا منه أن يُديم لهم الإذن بالإقامة في مشارف نجران، فأحالهم على ما يرىٰ فيه المصلحة أميرها، ودفَع لكل الرئيسين أربعين ريالاً ولكلٍ ـ ممن سواهم ـ عشرين، ولمّا عادوا إلى نجران أبقاهم أميرها مدةً ثم طردهم فعادوا إلى عِيْوَه. هكذا أخبرني ـ عنهم ـ أمبارك بن يَسْلَم بن زيمه بن امبارك العويثي. وكما رفعوا ثمن ناقتهم إلى ما لا يقبله العقل، كتموا ـ فيما أَرَى ـ بعض ما أعطاهم الملك، لأن ذلك النَزْر لا يتفق مع ما سارت به من سماحه الرِكْبَان وضُربت الأمثال فهو الذي:

يهمى الندى والردى في راحتيه فلا عاصية ناج ولا راجيه محروم

وعدد الصيعر لا يزيد عن ألفي رام، وقد عاهدهم الضابط السياسي إنجرامس منذ إحدى عشر عاماً، معاهدةً إعترف لهم فيها بالاستقلال وأنهم ليسوا تبعاً لأحدٍ من سلاطين حضرموت، وعلى أن لا رسوم عليهم في بلادهم، وعلى أن «العَبْر» من حدودهم. كذا أخبرني من اطّلَع على المعاهده. والجاهليةِ عندهم جَهْلاء، وشأنهم شأن العرب في السَلْب والنهب، وكثيراً ما يتناهبون هم والعوامر وآل كثير النِعْم بأنواعها، ولكن أولاء لا يقدرون على الانتصاف منهم إلاّ إذا انضموا إلى المَهَره والمناهيل، وتجمّعوا من كل صوب، وأمّا هم ـ أعني الصَيْعَر والمناهيل والمَهَرة ويَامَ ودَهَمْ والكُرُب ـ فلا يتناهبون إلاّ الإبل لِبُعْد الشقه. وفي الشتاء من هذه السنه غَزَت آل حاتم إلى بعض البوادي الداخلة في الحدود السعوديّة فَغَنِموا إبِلاً كثيراً، فاحتجّت عليهم حكومة عدن، فقيل إنهم أرجعوها كُلّها أو بعضها. وفي جمادي الآخره من هذا العام، غَزَت طائفة من قبيلةٍ يُقال لها «القحطانيون» مكاناً في شرق العَبْر وشماله، يُقال له شمال، فيه أخبية لكثير من الصَيْعَر والكُرُب ونَهْد، فالتحم القتال نحواً من ثلاث ساعاتٍ، وأنجدهم عسكر الباديه المحافظ على الأمن بِطُرُق حضرموت من جهة الحكومة الأنقليزيه، ولكنه قليل، فلم يُنجه مع الفافه سوى الهرب، بعد أن قتل منهم ثمانية عشر، سبعةً من الكَرَب وسبعه من الصَيْعَر وإثنان من نَهْد وإثنان من العسكر، ونهبوا إبلَهُم وسائر ما معهم. وهم يزعمون أنهم قتلوا ثلاثةً من القحطانيين. وعلى هذه

فَقِس ما سِوَاها. وعن أمبارك بن يسلم العويني بن صالح بالخليسي الصيعري الكسيلي، قال: غزوت على ظهر الجبل من نَجْدنا إلى **نَجْد** المَهَره، فلما قارب الجبل الانتهاء استدق حتى صار مثل السيف، فنزلنا عنه ونحن ستة على ستٍ من المطايا فلاقانا سومالي على جمل في طلب اللبّان فَهَابَنا فأمنَّاه، وسألناه: من أين أقبلت؟ قال من عيان ـ وهو موضع قريب من سيحوت يجري فيه غَيْل تُقام فيه الأسواق ـ قُلنا له: من هناك؟ قال: تُجَّار ببضائعهم يتأهبون لقيام السوق. فأبقيناه مع أحدنا عند المطايا ولمّا قاربناهم ألفينا عندهم مهرياً يَحْلُب ناقةً له فأردينا واه وانتهبنا ستين مطيّه مع ما قَدَرنا عليه من خفيف البضائع، وضربنا إباط الإبل بقية اليوم وليلته واليوم الثاني وردهةً من الليلة الثالثه، فتعب أصحابي وكلّوا وأرادوا التعريس، فنهيتهم، فلم يسمعوا، فأكلوا وأغفوا. ولم يكد يطرقني النوم ـ من الذُعر ـ حتى انتبهت فقمت أعسُّ، فشممت رائحة الوَزِيْف من عَرَق جِمَال نجدة المهره؛ لأنها تأكل منها، فأقبلت على أصحابي فسبقتني إليهم البنادق، واعتصمت بأكَمَه، وناديت في القوم أن يعود كُلٍ بحلاله، فأجابني الشوص أحد آل علي بن كثير، وكان معهم، فقال: انتظر حتى نتشاور، ثم قال: الذين قتلتم أخاهم بالأمس وهو يحْلُب ناقته أبوا؛ فجاء موضع قول أبي مكعب:

إن الذين قتلتم أمس سيّدهم ... لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم نَامَا

ولهذا البيت قصةً جاءت في ص ٢٩٧ من جزء رابع من «خزانة الأدب» وأَمَرَ جماعةً أن يكمنوا لي في الطريق، وكان أحد أصحابي نَجَا براحلتين من النهب اقتعدناهما فلم يقدر علينا الكمين، لأنهما كما قال القطامي:

يمشين رهواً فلا الإعجاز خاذله ... ولا الصدور على الاعجاز تتكلُ

وكانت هذه القضيّة في حدود سنة ١٣٥٠ وآثار الصدق لائحة عليها، وفيها فوائد كثيره أهمها أن الجبل لا ينتهي إلاّ على قُرب سيحوت حسبما قدمنا. وقد نقلنا في شرح البيت ٣٦ في الجزء الأول ـ من الأصل ـ عن أبي شكيل، أن مدينة تَريم في شمال لَسْعَا، وجبالها إثنان ممتدان من الشرق إلى الغرب، فيها قوم من المَهَرة، كالوحوش، يتكلمون بلغة عاد، وإليهم تُنْسَب الإبل المهريه أهـ. وبعد فما كان الخليسي مع أصحابه إلاّ كَدُريد بن الصِمّه في الحادثة التي غزا فيها بني كعب بن الحارث بِنَجْرَان، فتبعوهم وقتلوا أخاه عبد الله في حبونن، واستردُّوا منهم ما أخذوا، وفي ذلك يقول قصيدته التي منها:

بذلت لهم نصحي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فلم يستبينوا النُصحَ إلا ضُحى الغَدِ
وما أنا إلاَّ من غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ
تَنَادوا فقالوا أردت الخيل فارساً فقلت أعبدُ الله ذلك الردي
لئن كان عبدُ الله خلَّى مكانَه فلا طائشاً خلو الجنان ولا اليدِ

أو نحوها. وفي أرض الصَيْعَر بِيْر يُقَال لها (مَنْوَخ) فيها ماء إلاّ أنه ينضب عند قلّة الأمطار. وهذه البير في منطقة يُقال لها مَنْوَخ. وقد بَنَت فيه الحكومة مَركزاً على أكَمة صخريه عاليه. وهي في الجنوب الشرقي لوادي عيوه. وفي غربي هذه المنطقة ـ على بُعد خمسة وخمسين ميلاً ـ منطقة (زمخ) وفيها بير مهمه يَسْتَقي منها الغُزاة القادمون من بوادي نَجْرَان، ويحملون ما يكفيهم من الماء في غزوهم للصيعر وآل كثير والعوامر والمناهيل والمهره.

ومركز زمخ يبعد عن مركز العَبْر بسبعة وثلاثين ميلاً. وعن قرية الحجر بريدة الصيعر نحواً من أربعين ميلاً، وفي شمالها رمال الدهناء أو الربع الخالي. وموقع زمخ بمكان كبير من الأهمية ولذا ثَبَتت فيه الحكومة الأنكليزية على حساب الحكومة القعيطية وأقامت فيه مركزاً لصد عوادي الغُزاة أو تخفيفها.

وأمّا بير ثمود ـ الآتي ذكرها ـ فتبعد عن منطقة زمخ بمائتين وثلاثة وسبعين ميلاً في جهة الشرق. وسكان منطقة زمخ: آل عبد الله بن عون من الصَيْعر، وهم بدو رُحَّل، وفي وادي دُهُر مكان يُسمَّى زمخاً، وبير تُسمَّى بير زمخ، ولكنها أقل شهرةً من المكان الذي نحن بسبيله. وسكان منطقة منوخ: آل علي بلَّيث من الصيعر، وسيأتي في وَبَار أنها تمتعت بالثروة زماناً طويلاً، وأنها كانت طُرُق التجارة الأهم بين الشرق والغرب. وقد كانت كلٍ من منطقة «ثمود» و«منوخ» و«زمخ» عظيمةً للتجارة؛ ولكن أفناها ما أفنى القرون الماضيه ولا شك أن آثارها مطمورةً بالرمال.

ومنذ أربعين يوماً غَزَت يَام، وقَتَلت ثلاثة من الكُرُب، وغَنِمت مائة راحلةٍ. ولم يُقْتَل منها إلاّ واحد، ولم يُجْرَح إلاّ إثنان. وفي مكان (المحارثه) من أرض الصَيْعَر شيء من النخل، ولا نخل في سواها من أرضهم. والطُرُق من رَيْدَة الصَيْعَر مفتوحةً إلى كل مكان، ومن أقربها طريق وادي هينن، ومن سَرْ إلى مكان آل علي بِلَّيث في الرَيْدَه: مسير يوم ونصف. ومنذ ثمان سنوات تقريباً أمطرت

الطائرات الأنقليزيه نارها على حصن يسلم بن يربوع بن ملهي، وحصن عبد الله بن عون، فهدمتهما، ثم سُوِّيت القضيّه على ما تريد الحكومه من الموافقةِ على الحِلْف السابق ذِكْرُه عمّا قريب. وبلغني أن الحكومة جعلتهم ـ بالآخرة ـ تَبَعاً للقعيطي برغم الاستقلال التي اعترفت لهم به في ذلك الحِلْف.

نَجْد آل كثير:

هو من وراء **نجد** الصَيْعَر شرقاً، وفيه سعةً وأودية، منها: فرع والقويع وظليم والحوياه ونخط وطرون. وفيه من آل عامر: آل كدّه وآل دويس وآل عبدات ما يبلغ مجموعهم مائة رامي. وفيه من آل عمر: آل الشين وآل بدر بن عبد الله نحو ستين رامياً. وفيه من الفخائذ: آل الصقير وآل زيمه وآل علي بن سعيد نحو أربعين رامياً. ولولا أن بقيّة السيف أبقى عدداً لأَتَت عليهم المغازي واستأصلتهم الحروب. وفي أرضهم تنمو العلوب نماء عجيباً، ومنها تُجلب الأخشاب للعمارة إلى شبام وسيون وتريم وما بينهن، وعُوْد العلوب أو شجر السدر إذا نضج واصفرّ لا تقدر عليه دابة الأرض. وفي أخبار بدر بوطويرق ما يُفْهَم منه أن كثيراً من أسرتهم ـ لعهده ـ كانوا بهذا النجد. وفي أخبار بدر بن عبد الله أنه لمّا أنكسَر من جيش الإمام ولّى منهزماً إلى جبال أخواله، ففيه دلالةً على أن مثرى آل كثير كان باديةً لذلك العهد بهذا **النَجْد**.

نَجْد العَوَامِر:

هو في شرقي **نجد** آل كثير، ومن أوديته: يبا والدخان واماركه والعرج وغيرهن. ورجالهم لا يزيدون عن مائة وخمسين، وفي أرضهم بير يُقال لها «تميس» لكنها بعيدةً عن أماكنهم لا تنفعهم أيام الظمأ فيفضلون عليها الانتقال إلى «تاربه» والنخل يزكوا كثيراً في نجد العوامر، غير أنه يذوي ويموت إذا تتابعت عليه الجدوب ولأَوَّليهم في تعهده إعتناء أكثر من متأخريهم، وإلاّ فنخل تاربه لا يعدّ في جانبه شيئاً مذكوراً. ولسيدي الفاضل علوي بن عبد الرحمٰن المشهور ـ السابق ذكره في تريم ـ رحلات في النجدين لنشر الدعوة الدينية والإرشاد إلى طريق الحق، غير أن الماده لا تساعده، وما كان أشد اهتمامه بحفر الآبار وبناية الأحواض والصهاريج، لأنها ضرورية هناك لو ساعدته القُدرة لكن الأمر كما قال أبو الطيّب:

والـغِـنَـى فـي يـد الـلـئـيـم قـبـيـحُ قـدر قُـبـح الـكـريـم فـي الإمـلاق

وبناء على ذلك تكلمت مع الملك ابن السعود في الموضوع أواخر سنة ١٣٥٤هـ إذ كانت حضرموت تَمُتُّ إليه بِحُرْمَةٍ وذِمَام بما كان بها لأوَّليه من الإلمام؛ إذ هتف بهم منها صريخ في حدود سنة ١٢١٧ فإذا هم لذلك العهد كما قال الشريف الرضيّ:

من القَوْمِ ما زرّوا الجيوبَ على الخَنا وَلا قُـرِعَـتْ أسْـمَـاعُـهُـمْ بِـمَـلامِ
سَـرِيـعُـونَ إنْ نُـودُوا لـيَـوْمٍ كـريـهـةٍ جَـرِيـئـونَ إنْ قِـيـدُوا لـيَـومِ خِـصَـامِ
يُـهَـابُ بِـهِـمْ مُـسـتَـلْـئِـمِـينَ إلى الـرّدَى عـلَـى عَـارِفَـاتٍ بـالـطّـعَـانِ دَوَامِ
عَـنـاجـيـجُ قَـد طَـوّحـنَ كـلّ حُـقَـيـبَـةٍ مِـنَ الـرّكـضِ وَاسـتـهـلـكـنَ كـلّ لـجـامِ
نَـزَائِـعُ مـا تـنـفـكّ تَـفِـري صُـدُورُهـا جُـيـوبَ ظَـلامٍ، أو ذُيُـولَ قَـتَـامِ
يُـخـالِـطْـنَ بـالـفُـرْسَـانِ كـلّ طَـريـدَةٍ ويَـبَـلُـغْـنَ بـالأرْمَـاحِ كُـلّ مَـرَامِ[1]

تلك هي حالهم قبل أن ينخمسوا في الترف، أمّا بعده فما أراهم يقدرون على مثل ذلك الشرف، سُنة الله في خلقه. وقد قَرَّرت في «بلابل التغريد» ما ينشأ عن الترف من الأَضْرار وما ينجرّ به من المصايب، ودلّلت عليه بما لا يوجد في سواه.

تكلمت مع الملك في بناية الأحواض والصهاريج بذلك النجد، فوعد غير أن الظروف والاستعجال حالا عن الاستنجاز، إذ لا بد وأن تَقوْم دونه عِقَاب كأداء من المالية المعروفة بذلك، وهي تطلب من الانتظار ما لا يقدر عليه أمثالي من الأحرار. ولقد أخبرني غير واحد - ممن لا أشك فيهم - عن الأمير الخطير الثقه عبد الله بن عبد الرحمٰن بأن أخاه الملك أمَر لي عام إذٍ بمائة دينار من الذهب، فاختانها وزير الماليه. وما أدري هل الفرصة باقية لبناء الخزانات إلى اليوم أم قد فاتت؛ فأن جمعية الأخوّة والمعاونه أرادت أن تَبْنِي مسجداً بالعَبْر - وهو نظير تلك الناحية - فلم يُسْمَح لها.

(١) ديوان الشريف الرضى: ٢/ ٤٢١- دار صادر.

نَجْد المناهيل:

هو في شرقي **نجد** العوامر، وقد اختلف على رواة الباديه في «بير ثمود» وجبل أو قارة «حَبْشِيَّة»، فمنهم من يجعلهما من أواخر نجد العوامر، ومنهم من يجلعهما من أوائل نجد المناهيل، أمّا جبل حَبْشِيَّة ـ بفتح الحاء المهمله وسكون الباء وكسر الشين المعجمه وتشديد الياء المثناة من تحت المفتوحه ـ فعلى مقربةٍ من «بير ثمود». ويقولون أنهم يسمعون دوّياً منه يدل على وجود شيء من المخزونات ناراً وغازات أو غيرها.

وأما بير ثمود:

فأنها ـ كما سبق ـ في جانب ذلك النجد الشمالي الذي يقصر إرتفاعه جداً إلى الدهناء، فهي في أطرافها. وبقاؤها بهذا الإسم ـ من قديم الزمان إلى الآن ـ يؤكد ما تقدم في وادي سَرْ ونبي الله صالح عليه السلام. ويُشاع أن حواليها ينابيع غزيره للبترول، يتأيَّد بتردد رجال الحكومة الأنكليزيه إلى ذلك المكان، وشدة اهتمامهم به، وتكتمهم بعملياتهم وحفرياتهم فيه. وذكَر لي الولد الفقيه عبد القادر الروش أنه رأى بمكة سنة ١٣٦٤ عدداً ثالثاً من الجريدة المُسماة بالعالم العربي ـ التي لم يصدر منها إلاّ سبعة أعداد ـ جاء فيه أن من أغزر منابع بترول العالم: منابع اليمن ثم حضرموت ثم الظهران. أهـ.

وأمرت الولد النبيل سالم خردان يراجع لي مسألة أذكرها عن القطب الحدّاد، فراجع «تثبيت الفوائد» فتسّعرت عليه لعدم ترتيبه، ولكنه وَقَع على أهم منها، وذلك أنه جاء فيه ما يأتي: لولا أن هذه ـ يعني تريم ـ دار هجرتنا لخرجنا منها، ولا موضع لهجرتنا إلاّ «مرباط» غير أنه لا يمكننا ذلك لِثُقْل الكلفه في التحمل بالنساء والصغار والولدان. ثم قال: نحفظ عن بعض جداتنا عن أبيها ـ وهو من أهل الكشف ـ أنه أُغمي عليه ثم أفاق فقال: عادكم تقولون يَا حَيَا دولة الكثيري، ثم أُغمي عليه، ثم أفاق فقال: يأتي على الناس زمان مالهم مفرّ إلا ثمود، ثم ماتَ على أثر ذلك. وقال الحداد ـ بأثر ذلك ـ ما في تَرِيم إلاّ الوطن إن الإبل تهوَى العَطَن. وقد سبق في «صيف» من أرض دَوْعَن أن القطب الحداد كان يذكر الانتقال إليها أيضاً. وما جاء من ذِكْر المَفَر إلى ثمود عن ذلك الرَجُل الصالح في الحالة التي لا يتهم فيها الكاذب يبشر بمستقبل ضخم لتلك

النواجي بدأت تتمخض به الأيام. وغير بعيد أن يأتي هنا موضع ما سبق في ميفع، وقد عم تصديق فراسة ذلك الرجل الصالح الأولى بتمني الناس أيام الدولة الكثيريه التي تضعضعت ثم بادت بيافع، وما تصديق الفراسة الثانيه ببعيد.

وفي نجد المناهيل **(وادى قتاب)** وهو واسع جداً حتى لقد قيل أنه أوسع من وادي حضرموت على العرف المصغر مرات، وفيه أيضاً **(وادي قيصوم)** وهو واسع أيضاً، واقع في الشمال إلى الشرق من وادي عِيْوه - بكسر العين المهمله وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الواو - زِنَة عِيْوه الصيعريه. ومن بعدها (رماه) على وزن قطاه.

والمناهيل فرقتان: آل بن معشني. وعددهم نحو ثمانمائة رام وآل كزيم وعددهم نحو سبعمائة وكان على رئاستهم البخيت بن اللويطي وهو ممن أمضىٰ على نسخه من الوثيقة التي أرسلت لعلي سعيد باشا ومع توقيعه على تلك الوثيقة أمضى لي على ما هذا نصّه الحمد لله وبتاريخ عشر جماد أول سنة ١٣٣٥ فقد شل وتحمل بخيت بن اللويطي عن نفسه وعن كافة المناهيل لله ولرسوله وللعلم الشريف بكل منفعه يقدر عليها للحبيب عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف وأن يوالي من والاه ويعادي من عاداه ويسمع نصيحته وشفاعته ويقوم معه ومع عياله من بعده بالحق والشريعة وينصرهم على من تعدى عليهم بدا بوفا ما ذكر فترث عليه وعلى من بعده إلى أن يرث الأرض وارثها والله شهيد بدا بما ذكر البخيت ابن اللويطي وكتب بامره وشهد به عبد الله بن عمر بن سلمه، وقد قتل البخيت المذكور في حربه مع أمير قسم، ورئيس جميع المناهيل الآن عيظه بن الحريز بن طناف. وفي الأخير غزتهم قبائل الجهة الغربية فأخذوا عليهم كثيراً من الإبل فجمعوا جموعهم من أنفسهم ومن المهرة والعوامر وغيرهم فانهزموا وكانوا كالضبع ذهبت تطلب لها قرناً فعادت بلا اذنين، وأكثر المناهيل والعوامر وآل كثير والصيعر من سكان هذه النجود يتبعون مواقع القطر لا بيوت لهم إلا الخيام ولكنهم يصدحون الأمطار عن أنفسهم ونعمهم وأغنامهم والا للاقوا منها اتعاباً وانكالاً وذكر لي من طالع «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي» أن فيه قصة طويله منها ان المتنبي خدع واحداً بما رآه من نتيجة الصدحة فآمن بنبوته وذلك شيء يسير تحمله العرب بأصغر حيله وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون والسكاسك وحضرموت يفعلون هذا حتى أن أحدهم ليصدح عن غنمه وإبله وعن القرية فلا

يصيبها شيء من المطر وهو ضرب من السحر اهـ. ولا مانع من يكون من آثار إجابة الدعاء أو من أسرار الأسماء والحروف فلا يلزم أن يكون سحراً لا سيما وأن له حقيقة ظاهرة.

وبار:

ومن وراء هذا الجبل الضارب بجرانه من نحو العبر إلى مشارف سيحوت صيهد حضرموت أو وبار أو رمل عالج أو الدهناء أو البحر السافي أو الربُع الخالي فكل ذلك يقال عليها كما أشرنا إلى بعضه في الأصل ولا عبره بما طرأ من تخصيص الدهناء بما جاور نجدا من رمالها قال ياقوت في ص ١٦ من الجزء الأخير: وكانت منازل عبيل يثرب ومساكن أميم برمل عالج وهي أرض وبار ومساكن جرهم بتهائم اليمن ثم لحقوا بمكة وأطال في ذلك بما تكفي الإحالة عليه. وكان الحبيب أحمد بن حسن العطاس يقول انها تصل ما بين البصرة ونجد وأرض العوامر والمناهيل وجبال حضرموت النجدية الشرقية وأقرب منازل إليها من جهة الإحساء رمله جبرين اهـ وقوله النجدية يعني الشمالية ولعل جبرين هذه التي يعنيها الشمرول في بيته السابق في المقدمة وسبط ابن التعاويذي بقوله (لأن كان دينك في الصبابة ديني، فقف المطى برملتي جبرين) وهو من قصيدة شاعره يمدح بها صلاح الدين ويعارض بها قصيدة صرور المستهلة بقوله (أكذا يجازي ود كل قرين) وفي الجزء الأول من الإكليل أن معدا كانت بتهامه فلما قاربت بلد حكم بن سعد ابن مذحج حاربتهم سعد العشيرة وأخرجتهم إلى الحجاز وفي ذلك يقول عامر ابن المضرب العدواني.

فسعد ارحلت منها معدا ... وكيف مصاقب الداء الدفين

ومما ينسب إلى تبع في ذلك قوله:

عطفت خيلي على عجلان إذ قفلت ... فازلتهم بدار الجوع جبرينا

أرحلتهم من بلاد الرزق كلهم ... فلا رُمّان ولا تينا

وبطون قيس تنجع في البلاد شرقاً وغرباً وتوغل في بلدان الأعاجم وفيهم السلطان وما تحدث نفوسها بمازب إن تطرفها إلى غيرها فضلاً عن النزول بها اهـ باختصار وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن اليمن ما زالت قاهرة لعدنان حتى كان يوم حزاز وعلى عدنان وائل فقهروا اليمن ثم اتصل ذلك بعد عدنان في

الإسلام فإن أراد الهمداني ما قبل وإلا فكلامه مردود وهو لم يكن إلا في القرن الرابع وحمير مقهورة لا قاهرة ومرؤوسة لا رئيسه وهذا جاء في البين لمناسبتين مارتين فلنعد لما نحن فيه.

وقال البكري في معجمه قال أبو عمر ووبار بالدهناء بها ابل وَحْوشية وبها نخل كثير لا يرده أحد ولا يجذه وزعم أن رجلاً وقع إلى تلك الأرض فإذا تلك الإبل تأكل من التمر وترد ماءً هناك فركب منها فحلاً فتبعته تلك الإبل على توحشها فذهب بها إلى أهله وقال الخليل إنها كانت مساكن عاد ولما أهلكهم الله ورثها الجن وهي الأرض التي ذكرها الله في قوله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ (١) وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي كان من شأن دعيميص الرمل أنه لم يكد يدخل أحد أرض وبار غيره ولما انصرف عنها وقف بالموسم يقول:

فمن يعطني تسعا وتسعين نعجة هجانا وأدْما أهدها لو بار

فلم يلتفت له أحد من أهل الموسم سوىٰ رجل من مهرة أعطاه ما سأل وتحمل معه في جماعة من قومه بأهليهم وأموالهم فلمّا توسطوا الرمل طمست الجن بصر دعيميص واعترته الصرفه وهلك هو ومن معه جميعاً اهـ.

وهذا من الخرافات فإن الناس اليوم لها فيه جيئة وذهاب وما بأحدٍ باس، والنحاة على اختلاف في إعراب وبار فمنهم من يبنيها على الكسر لأنه المطرد فيما كان آخره رائين وزن فعال ومنهم من يعربها إعراب الممنوع من الصرف.

والطرق مفتوحة للسيارات في هذه الرملة من غير تعبيد إلى كل مكان ومنه تعرف خطأ الفرزدق إذ ضرب المثل بخفاء طريقها في قوله:

ولقد ضللت أباك يطلب دارماً كضلال ملتمسٍ طريق وبار

وقد يجاب بأن ليس المراد قله السالكين ولكن قلما تثبت الآثار على الرمال وإلا فهي مسلوكه من قديم الزمان إلى الآن وقد سلكها العلاء ابن الحضرمي في قتال المرتدين وتندَّت إبلهم وهم نزول وأصابهم من الكرب والعطش أمر عظيم ثم ظهر لهم ماء فمشوا إليه وعادت إبلهم وعليها ازوادهم فامتطى كلّ بعيره وكتب

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٣٢ ـ ١٣٤.

إلى أبي بكر كما عند الطبري يقول له أما بعد فإن الله تبارك وتعالى فجرَّ لنا الدهناء فيضاً لا ترى غوراً به وأرانا آية وعبرة بعد هم وكرب لنحمد الله ونمجده.

فلا يتعذر سلوك السيارات بها من حضرموت إلى العبر ولا من العبر إلى نجران وقد سلكها المستشرق فلبي ولما اجتمعت بملك الحجاز ونجد في سنة ١٣٥٤ قال لي: أن الحكومة الانكليزية أرسلت إلي وفداً في رمضان من هذا العام يقول لي لا بد من اصلاح حضرموت وتم الكلام على إرسال وفد من عندي ومن عند الأخ يحيى [١] ومن عندهم للاستفتاء فإن اختاروا الأخ يحيى فبها وإن اختاروني فعلي أن أذبَّ عنهم بما أذب به عن أهلي وولدي وان اختاروا الانكليز فشأنهم وأنفسهم. هذا معنى ما قاله لي يومئذٍ إن لم يكن بلفظه، وكم كان سرور الناس بذلك لمّا خابرتهم به مرجعي من الحج ثم لم يكن إلا أن جاء فلبي وكان يتفحص الإسلام ولا ينبغي إلا أن نحمل باطنه على ظاهره، فكان الكل في الكل. وسبق في المقدمة ما يقرب من كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس عن الطيب بامخرمه عن القاضي مسعود وقال الهمداني وفي شعر الأخنس بن شهاب التغلبي الذي يذكر فيه منازل العرب:

وصارت تميم بين قفّ ورملة ... لها من جبال منتأىً ومذانب

وكلب لها خَبْت فرملة عالج ... إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب

والرجلاء هي التي ترجل صاحبها فلا يقدر على الركوب فيها، وأما ما يزعمه كثير من الناس من فرط نعومة رمل بعضها بحيث يغرق من يقع فيه فقد أشرت في الأصل إلى استحالته غير أن الأخبار كثرت بالآخرة عنه ويزعم بعضهم أن في هذه الفلاة بحراً ومع اتساعها وكثرة أعاجيبها وغرايبها فإنه لا يبعد لأن البدو والسواح قد قتلوها علماً ولم يذكروه ولكنهم ذكروا أم الصميم.

أم الصميم:

وهو موضع في الرُبع الخالي قريب من مسقط يرى مثل التراب وهو ماء إذا وقع فيه الإنسان غرق ولكنه ليس بواسع وزعم بعض سُوّاح الأجانب ممن يدعي أنه قتلها علماً أنها تسعمائة ميل في مثلها لا تزيد على ذلك وأورد الطائي في

---

(١) يقصد الإمام يحيى حميد الدين.

المراثي من حماسته أربعة أبيات ابن رواحه السبنسي منها:

وما زال من قتلي رزاح بعالج دم ناقع أو جاسد غير ما صح

وفي مضرب المثل بسعتها يقول البحتري:

وليس التي ضلت تميم وسطها الـ ـدَّهناء لا بل صدرك الدهناء

وقال الهمداني في موضع آخر من «الصفة» بعد أن ذكر أودية كثيرة: وكل هذه الأودية فيها نخل ومساكن وزروع وهي تسمى الثنايا ثنايا العارض وهو قُف مستطيل أدناه بحضرموت وأقصاه بالجزائر اهـ.

وقد أطلت القول عن وبار هذه بالأصل ومنه انها تمتعت بالشرف قروناً طويلة واستثمرت توسط موقعها بين الشرق والغرب فكانت مركز التجارة العظيمة ومخزن البضائع الأهم إذ كانت السفن تقصد سواحلها ومنها إلى عمان وظفار وسيحوت الشحر من السند والهند والصين وجاوا وافريقيا وغيرها من الجهات الغربية كما أشار إليه صاحب الشهاب الراصد وغيره.

وأكثر الدهناء لتميم ولهم اقطاع من رسول الله ﷺ حسبما أطنني ذكرته في الأصل، وقال الفرزدق في هجائه لعمرو بن عفراء:

ولما رأى الدهنا رمته حبالها وقالت ويافي مع الشام جانبه

فإن تغضب الدهناء عليك فما بها طريق لزيات تقاد ركائبه

ومعناه ان الدهناء لا تقبل زياتاً مثلك. وقلما ذكرت الدهناء في خزانة الأدب إلا وقال صاحبها وهو موضع ببلاد تميم كما في شرح هذه الأبيات ص ٣٨٩ ج ٢ منها وشرح قول أبي زبيد الطائي:

فَلَحا الله طالب الصلح منا ما طاف المبس بالدهناء

في ص ١٥٥ منه: والمبس حادي الإبل وفيه تكثير لسالكيها إذ جعله مضرب مثل على عكس ما سبق.

وقال عن الفرزدق ذو الرمّة:

حنت إلى نعم الدهنا فقلت لها أي بلالاً على التوفيق والرشد

وقد شرحها صاحب الخزانة في ص ١٢٠ ج رابع وقال والدهنا موضع ببلاد تميم يمد ويقصر

وقد اعترف كثير من الافرنج أن المحيط الهندي كان بحيرة عربيّة من القرن الثامن إلى نهاية القرن الخامس عشر كما سبق في تريم بمناسبة ذكر الملاح العظيم أحمد بن ماجد عندما ذكرنا علماء آل با ماجد.

ولِوَبَار هذه ذكر كثير من الأشعار، منها قول النابغة:

فتحملوا رحلاً كأن حمولهم ... دوم ببيشة أو نخيل وبار

وفي مضرب المثل بنخلها ما يؤكد قولنا بغزارة خيراتها وكثرة بركاتها وقد أطال ياقوت فيها بما لا حاجة إلى ذكره لأن الكتاب موجود ولأن بعضه مما يشك فيه العاقل ويحتاج في تصديقه إلى سذاجة وافرة.

وممن نص على أنها هي رمال عالج ياقوت وابن خلدون وغيرهما وفي شراح أن مروان الحمار آخر ملوك بني مروان كتب لمعدان بن عبيد بن عدي: ثم والله لا بيلن الخيل في عرصاتك، فقال معدان للرسول: قل له تبيل الخيل في عرصاتي وبيني وبينك رمل عالج وحولى عديد طيء وخلف ظهري الجبلان فاجهد جهدك فلا أبقىٰ الله عليك إن أبقيت، في حديث طويل.

وقال ذو الرمة:

أبيت على مي كئيا وبعلها ... على كالنقا من عالج يتبطح

وقال ابن الأشعث الجنبي يصف صيهد حضرموت هذه وكان سلكها إلى وادي نَجْران كما فعل قلبي:

هلا ارقت لبارق متهجد ... برق تولع حبّي منجد

برق يذكرك الجريدة انها ... علقت علائقها طوال المسند

فلقد ذكرتك ثم راجعت الهوى ... يوم الشرى ودعوت أن لاتقعدي

منها:

فإذا مفازة صيهد بتنوفةٍ ... تيه تظل رياحها لا تهتدي

وتظل كدر من قطاها ولّها ... وتروح من دون المياه وتغتدي

بلد تخال بها الغراب إذا بدا ... ملكاً يسربل في الرباط ويرتدي

فسألت حين تغيبت أعلامنا ... من حضرموت بأي نجم نهتدي

قالوا المجرّة أو سهيل بادياً ثم اهتدوا لقفولكم بالفرقد

نتجشّم الأهوال نبغي عامراً متحزنين عليه أن لم يوجد

وقال الهمداني في الجزء الأول من الإكليل: ذهب في الدهناء بعهدنا قطار فيه سبعون محملاً من حجاج الحضارم صادرين من نجران لَحق هذا القطار في أعقاب الناس ولم يكن فيه دليل فساروا ليلةً واصبحوا وقد تياسروا من الطريق وتمادىٰ بهم الجور حتى انقطعوا في الدهناء فلم يدر ما خبرهم لأن أحداً لا يدخل ذلك المكان ولو دخله لم يظفر بموضعهم لسعة ذلك الخرق فهي فلاة واسعة جداً وفيها بقايا قصور في جانبها الغربي مما يصله العمران يعدّنها الناس في زماننا فيجدون فيها الذهب وما لم يسرع إليه أكل التراب من الفضة اهـ.

وفيه كثرة حجاج الحضارم لذلك العهد لأنه إذا كان اللاحق سبعون محملاً فما بالك بالسابقين ويشبه أن تكون هذه القصة هي بنفسها التي سمعتها عن شيخنا العلامة أحمد بن حسن العطاس وذكرتها في الأصل وهي أن مائة وأربعين دخلوا الدهناء مردفين على سبعين مطية كل اثنين على واحدة فغرقوا في بحر الرمل ما عدا واحداً تخلّف لقضاء حاجته وانتظره صاحبه على مطيته فجاءت حيّه هائلة والتهمت الجمل وراكبه ولم ينج إلا قاضي الحاجة، وكنت استبعدها لما اشتملت عليه من المحالات حتى رأيت كلام الهمداني فظننت أنه هي إلا أنه دخل عليها التغيير والله أعلم.

وفي المقدمة أن وبار اسم لحضرموت بأسرها ولكن بعضهم يخصه بهذه الفلاة التي قلّما تجلس مع أحد من بادية العوامر إلا حدّثك بالأعاجيب عن أشجارها وعن جنها وعن حيواناتها ومنها النعام وبها يكثر بيضها، ومن المعلوم أنها لا تبيض إلا في خصب من الأرض قال جابر بن حريش يصف أرضاً بالخصب والرخاء:

لا أرض أكثر منك بيض نعامةٍ ومذانباً تندي وروضاً أخضرا

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان: زعم ناس أن من الإبل وحشيّه وكذا الخيل وقاسوا ذلك على الحمير والحمام والسنانير وغيرها وزعموا أن مسكن الإبل الوحشية بوبار قالوا وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض فيضرب في أدنى هجمةٍ من الإبل الأهليّة، ومن هذا النتاج كانت الإبل المهريّة. وفي لسان العرب

لابن منظور أن الحوش الحوشية إبل الجن وقيل المتوحشة ويقال أن فحلاً منها ضرب في إبل لمهرة بن حيدان فنتجت النجائب المهرية من تلك الفحول الوحشية فهي لا يكاد يدركها التعب، وفي الأصل ذِكر جميل من الأشعار في وبار.

ومن أشهى ما يحدثك الخبير عن وبار حسن التربة وزكاء المنبت فإن الزرع يحصد منها خمس مرات بالسقية الواحدة والعوامر يسمون المكان الصالح للعمارة منها الحجر لأنهم يحتجرونه لمراعيهم، كما يسمى الصيعر المكان النازل عن نجدهم فيما يليهم منها عِيْوَهْ. وخيام الصيعر والعوامر والمناهيل منتشرة بكثرةٍ في هذه الرمال، هذا ما تلقيته بشأنها عن كثير من العوامر يصدق بعضهم بعضاً إلا أنّ عندهم نصيباً كاثراً من البلادة وسوء الفهم فالعهدة عليهم. وهذا آخر ماانتهى إليه القلم في الموضوع ولم يصله إلا بعد الحران وصوارف الاقتران وذلك إنني لمّا خرجت من سيوون عرض ما يوجب تأليف السيف الحاد لقطع الإلحاد.

ثم لما قاربت الحسيّسة نجم ما يقتضي تأليف «نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر» وبأثره انفسخت العزيمة وضعفت الهمة حتى عالجتها بمثل قول أبي الطيّب:

ولم في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

فانبعثت ثالثةً لكن بخطا قصيرة وصدر ضيّق مع أن الموضوع ليس من فنّي ولا يليق بسنّي وإنما كان الأحرى هو الإقبال على الدار الأُخرى واستقيل الله من العثار ومن غثاء الإكثار وقد قالوا أن أعراض الخلق حفرة من حفر النيران وقف على شفيرها القضاة والمحدثون وأهل التاريخ فيهم يدخلون.

وأنا في المدح أخوف مني في القدح إذ قررت في «بلابل التغريد» أن لا غيبة لفاسق مطلقاً فكيف بها للمصلحة فإني لأرجوا أن أنال بذمهم من الله أجراً مثل أجر المرابط. وقد صرحوا بجواز الغيبة للتحذير من الشر كجرح الشهود والرواة وقاعدة ما جاز بعد امتناعه تقتضي الوجوب والتحذير من الشر أحد أمور ستةٍ تستباح بها الغيبة من دون خلاف، وزاد صاحب الأنوار سابعاً: وهو النصيحة العامة، ولكن قال ابن حجر أنه داخل تحت التحذير من الشر ونقل عن المحققين أنه لا يجوز للمؤرخ أن يذكر من المساوي إلا ما يقدح في العدالة لبيان الجرح إلى آخر ما ذكر. ولئن قصرت في شيء من ذلك في حق من يخشى به الاغترار فلخطر المقام، وأنا استغفر الله وأرجو أن يكون فيما أذكره بهذا الكتاب وغيره

من الكتب والأشعار والخطب ما يكفي للخروج من الحرج.

وأما في المدح فكيف لا أخاف وأنا لا آمن مع الاحتياط فيه التسور على الغيب والثناء بالأمور القلبية وفيه ما فيه إذ لم تتوفر القرائن من الإثم والعيب وعسى أن يكون لي مخرج بما قررته في الجزء الأول من الأصل، وقد زادني خوفاً ما جاء في مكاتبةٍ من شيخ مشائخنا العلامة الجليل الثبت المحقق عبد الله بن حسين بلفقيه من قوله فأماثل البلد عندنا لم يبلغوا العشرة اهـ . ومتى كانت تريم وهي مهد العلم ووكر الولاية لا يبلغ الأماثل فضلاً عن العدول بها في ذلك العصر الطيب عشرة فما بالك بما سواها. وتأكد ذلك بما جاء في حُكْم بتاريخ سنة ١٢٧٦ من قاضي تريم لذلك العهد الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد الكُبَيِّر أنه قَبِلَ شهادة سيدي عيدروس بن علوي بن عبد الله العيدروس في دعوى للسيد عوض بن عمر بن أحمد الشاطري وقال لأنه من الأماثل ولم يقل من العدول، وذكَر غير واحدٍ من الثقاة أن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر شهد مرة برؤية الهلال لدى القاضي ولما أراد العمل بشهادته قال له تمكث حتى أخبرك بحالي وفعلي فربما ترى فيه ما يسقط شهادتي فإني كنت أخرج إلى بعض الآبار وهناك رجل وزوجته يسنون واقعد عندهم وربما يكون في هذا ما ينافي العدالة اهـ. ومعاذ الله أن يكون خروجه إلا لبعض شغله في شيء من آباره ثم يعرض له القعود المشار إليه.

وأنا قد أطنبت في الثناء على رجال هاتين الطبقتين غير أن المحامل كثيرة وفوائد حسن الظن أثيرة بثيرة واني لأحاول جهدي عند الكتابة عن أيّ إنسان ما لم أنسن التحفظ أحياناً أن أتخلى عن عواطف إعظامي وحبي له لأكون أبعد عن المغالاة في فضائله كما فعلت في والدي وسيدي الأستاذ الأبر وشيخه الإمام البحر فكل عارفٍ يعلم أني مقصِّر فيما كتبت عنهم كما قال الأول:

ولو أبصروا ليلي أقروها بحسنها ... وقالوا بأني في الثناء مقصّر

وقد بلغني أن بعضهم اشتكى إلى الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، قرأته في شيء من كتب الأخلاق على الحبيب أحمد بن عمر بن سميط من غير تقرير منه البتة فقال له: يكفيك قراءته، أي معرفة ما هو عليه من الأعمال الحسنة والأخلاق الفاضلة تصداق ما أخرجه أبو نعيم في حليته بسنده إلى الزهري قال كنا نأتي العالِم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه، وما أخرجه أيضاً فيها

بسنده إلى عبد الله بن بشر قال أن الرجل ربما جلس إلى أيوب السختياني فيكون لما يرى منه أشدّ اتباعاً منه لو سمع حديثه، ولله در أبي الطيب في قوله:

واستعظم الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

وقول عصريّه ابن هاني الأندلسي:

كانت مساء له الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح الطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت إذني بأحسن مما قد رأى بصري

كما انني أكلّف قلمي تكليفاً دقيقاً أن لا تكون كتابته عمن تنفر عنه نفسي تحت تأثير أي شيء من تلك العاطفة بل إنني لا آمن أن يذهب بي التحري فيه إلى المغالاة تفادياً من ميل الطبع إلى التقصير وإني لكثيراً ما افترض الحبيب بغيضاً وعكسه لأكون أدنى إلى النزاهة وأنأى عن الهوادة ولم يغرب عن ذهني ما ذكرته أوائل الأصل عن ابن السبكي من انكار ما عليه بعض المؤرخين يعرض بالامام الذهبيّ من تقصير الخطا وقرمطة الكلام في ترجمة من لا يوافقه هواه متوهماً أن لا ضير عليه متى اجتنب المذام أن لا يستوفي المحاسن لأنه لا يلزمه استيفاؤها وان تفضل به في حق من يحبه ويواليه أو ما يقرب من هذا السياق ولكنني أجمد عن نزر خواص لبعض المتأخرين إذا لم ننهض للتغطية على سيآتهم وعذري في ذلك أنني إن ذكرتهم بالعجر والبجر أسوّد التاريخ وإن اخليتهم بالمحاسن كان غشّاً وظلماً لمن يَفْضُلهم بالنزاهة مع خلوّه من تلك الفضائل التي تشين متى وزنت بتلك المساوىء السوداء، فبعد أن اعتلجتني الخواطر واتعبني التردد رأيت الجمود أحزم والإغضاء أَلْزَم والاقتصار على التعريف أسلم وقد قالت إحدى أخوات أم مزوع زوجي لا أبث خبره إلخ.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولوالديّ ولمشائخي ولمشائخهم وهلم جرا ولزوجي ولأولادي وللمسلمين والحمد لله رب العالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد الله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. وكان الفراغ من تسويده في منتصف جمادى الآخرة من سنة ١٣٦٧.

الفهرس

بين يدي الكتاب ٥
العلامة عبد الرحمٰن بن عبيدالله السقاف ... ٩
ثبت مراجع المؤلف ١١
توطئة تعريفية بحضرموت ١٣
حضرموت ١٥

القسم الأول:

مرافئ حضرموت وما داناها ٢٥
عين بامعبد ٢٧
بالحاف ٢٨
بير علي ٣٠
حصن الغراب ٣٠
عزان ٣٤
حوطة الفقيه ٣٤
روضة بني إسرائيل ٣٥
ميفعه ٣٥
ميفع ٣٩
حَجْر ٤١
بروم ٤٨
المكلا ٥٠
شحير ٦١
الغيل ٦٢
النقعة ٦٧
القارة ٦٨
الحزم وصداع ٦٩
الشِّحر ٩٧
مراسي بحر الشِّحر ٩٩
شرمه ١٠١
قصيعر ١٠٢
الريدة ١٠٣
سيحوت ١٠٤
قبائل المهرة ١٠٩

القسم الثاني:

في أواسط حضرموت من أعلاها إلى أدناها ١١١
أواسط حضرموت ١١٣
جردان ١١٣
شبوه ١١٥
عرما ١١٧
دُهر ١١٩
رخيه ١١٩
المخارم ١٢٠
سهوه ١٢٢
علوجه ١٢٢
سدة باتيس ١٢٣
سوط آل سميدع ١٢٣
وادي عَمْد ١٢٣
حيلة باصليب ١٢٦
رباط باكويل ١٢٦
خربة باكرمان ١٢٧
طمحان ١٢٧
حبره ١٢٨
النعير ١٢٨
عنق ١٢٩
منخوب ١٢٩
الرِحب ١٢٩
خنفر ١٢٩
الجدفرة ١٣٠
لفحون ١٣٠
زامر باتيس ١٣٠
قرن ابن عدوان ١٣٠
حريضة ١٣١
لَحْرُوم ١٣٤
عندل ١٣٤
يبعث ١٣٦
حول ١٣٧
الضليعة ١٣٧
دوعن ١٤٢

الجسوسة ١٤٥
قرن باحكيم ١٤٦
الخُريبة ١٤٦
الرشيد ١٥٣
القويرة ١٥٥
حلبون ١٦٠
الجبيل ١٦٠
بِضَه ١٦١
بلاد إلما ١٦٥
خديش ١٦٥
كوكه ١٦٥
قبر تُبَّع ١٦٦
الجانب الشرقي لوادي دوعن ١٦٦
رباط باعشن ١٦٦
عوره ١٦٩
القرين ١٧٠
رحاب ١٧٢
هدون ١٧٣
غيل بلخير ١٧٥
قرن ماجد ١٧٦
الوادي الأيسر من دوعن ١٧٧
العرسمة ١٧٧
جحي الخنابشة ١٧٧
صبيخ ١٧٩
تولبه ١٨٠
الدوفة ١٨٠
خيلة ١٨١
ضري ١٨١
حوفة ١٨٢
صيف ١٨٦
قيدون ١٨٧
مسه ٢٠١
نسره ٢٠١
الهجرين ٢٠٢
المشهد ٢١٠
ميخ ٢١٣
وادي العين ٢١٤
سدبه ٢١٨
حوره ٢١٨
النقعة ٢٢٢
عرض آل مخاشن ٢٢٣
الكسر ٢٢٥
وادي هينن ٢٣١
قعوضة ٢٣٤
الظاهرة ٢٣٥
القارة ٢٣٩
صوران ٢٤٠
المنبعث ٢٤١
الباطنة ٢٤٢
وادي منوب ٢٤٤
ديار بني بكر ٢٤٥
القطن ٢٤٦
لِحِم ٢٤٩
العنين ٢٥١
نقق ٢٥٢
المسحره ٢٥٢
خشامر ٢٥٢
خمور ٢٥٣
وادي سر وقبر صالح ٢٥٤
وادي يبهرض ٢٥٥
عرض مسرور ٢٥٦
نخر عمرو ٢٥٨
شبام ٢٥٩
نعام ٢٨١
جعيمة ٢٨١
الجحي ٢٨٢
سحيل آل مهري ٢٨٣
الحزم ٢٨٣
الدحقة ٢٨٤
السليل أو السرير ٢٨٤
فرط قبوسه ٢٨٥
القارة ٢٨٥
حصن القروتر ٢٨٨
بحيرة ٢٨٨
هدّامه ٢٩٠
المحترقه ٢٩١
مسيلة آل كده ٢٩١
الحاوي ٢٩٣

وادي بن علي ٢٩٤
بلاد الغريب ٢٩٥
جفل ٢٩٦
سحيل الفقرا ٢٩٦
حصن الرباكي ٢٩٧
رحابه ٢٩٨
سحيل غانم ٢٩٨
التبيقول ٢٩٨
العُقْدِه ٣٠٠
حصن الشاووش ٣٠١
الحوطة ٣٠٢
أرباض الحوطة ٣٠٧
الفغره ٣٠٧
ذي أصبح ٣٠٨
الشعب ٣١٧
بليل ٣٢٠
بابكر ٣٢٢
الحول ٣٢٣
الغرفة ٣٢٣
حصون آل كثير ٣٤٣
يرقق ٣٤٤
حصون العوانزه ٣٤٥
حصون آل جعفر بدر ٣٤٦
حصون آل منيباري ٣٤٦
تريس ٣٤٨
السوم ٣٥٥
القرين ٣٥٦
شحوح ٣٥٦
مدودة ٣٥٧
سيون ٣٦٠
سكانها ٣٦٠
القضاء بسيؤون ٣٨٥
خصائص سيئون ٣٩١
أحوال سيئون السياسية ٣٩٥
ضواحي سيئون ٤٠٠
الفجير ٤٠٦
حصون الحوارث ٤٠٨
جلع ٤٠٩
مريمه ٤٠٩
حوطة سلطانه ٤١٣
قارة الحبوظي وقارة العر ٤١٥
بور وحنظلة ٤١٦
ديار آل أحمد ٤٢٢
الحاوي ٤٢٢
قبر حنظلة ٤٢٢
الرييدة ٤٢٣
عرض عبدالله ٤٢٤
نخر كعده ٤٢٧
الحسيسه ٤٢٨
تاربه ٤٤٢
السحيل ٤٤٤
حراد ٤٤٥
سحيل محسن ٤٤٦
باعبد الله ٤٤٧
آل جعفر ٤٥٠
شرمه ٤٥١
سُمَل ٤٥٢
قارة الشناهز ٤٥٣
الغُرَف ٤٥٤
المسيلة ٤٥٨
دمح ٤٦١
السهله ٤٦٢
يشحر ٤٦٣
الصاري ٤٦٧
رضيح ٤٦٧
حكمه ٤٦٨
رسب ٤٦٨
سكدان ٤٦٩
غيل عمر ٤٦٩
ساه ٤٦٩
صيقة آل عامر ٤٧٠
عقبة الغز ٤٧٠
كحلان ٤٧٠
الصومعه ٤٧١
الرّيضه ٤٧٢
السويري ٤٧٢
دحّامه ٤٧٢
حصن جره ٤٧٣

ثبي ٤٧٤
وادي الذهب ٤٧٧
حصن العز ٤٧٨
الرمله ٤٧٩
حصن آل فلوقه ٤٨١
تريم ٤٩٠
أربطة تريم ٥٠١
مساجد تريم ٥٠١
علمائها وأدبائها ٥١٣
فضل تريم ٥٢٠
مدارس تريم ٥٢٤
أودية تريم ٥٢٥
حافات تريم ٥٢٧
قرى تريم ٥٢٧
عيديد ٥٢٧
الحاوي ٥٣٠
المحيضره ٥٣٧
الحيوار ٥٣٧
بريح ٥٣٧
أحوال تريم السياسية ٥٣٧
المسنّده ٥٤٥
خبايه ٥٤٧
النجير ٥٤٨
الجرب ٥٤٩
روغه ٥٤٩
مشطه ٥٥٠
كودة آل عوض ٥٥٠
قوز آل مرساف ٥٥١
باعطير ٥٥١
دموّن ٥٥١
قاهر ٥٥٢
اللسك ٥٥٤
عينات ٥٥٥
حبوظه ٥٦٤
النقره ٥٦٥
قَسَم ٥٦٥
العجز ٥٦٩
الواسطه ٥٧١
وادي الخون ٥٧٤
وادي ضرغون ٥٧٤
وادي الشكيل ٥٧٤
سويدف ٥٧٤
حصن العر ٥٧٤
ثويه ٥٧٥
السوم ٥٧٦
فخمه ٥٧٧
تنعه ٥٧٧
وادي برهوت ٥٧٨
شِعب هود ٥٧٨
طبوقم ٥٨٦

القسم الثالث:

في نجود حضرموت من أعلاها إلى أسفلها . ٥٨٩
نجود حضرموت ٥٩١
النجد الجنوبي ٥٩١
وادي حمم ٥٩١
حويره ٥٩١
جول عبول ٥٩٢
مقد العبيد ٥٩٢
غيل بن يمين ٥٩٢
الحسين ٥٩٢
غيل الشناظير ٥٩٢
النجد الشمالي ٥٩٤
ريدة الصيعر ٥٩٤
منوخ ٥٩٨
زمخ ٥٩٨
بير ثمود ٥٩٨
نجد آل كثير ٥٩٩
نجد العوامر ٥٩٩
نجد المناهيل ٦٠١
بير ثمود ٦٠١
وادي قتاب ٦٠٢
وادي قيصوم ٦٠٢
رماه ٦٠٢
ربار ٦٠٣
أم الصميم ٦٠٥